

علائم الظہور • الملاحم والفتن

تالیف

کامل سلیمان

يوم الخلاص



في ظل

القائم المهدي عليه السلام

بحث جديد للغيبة - كشف علامات الظهور

توضيح حركة الفتح

طبعة منقحة ومزيدة مع المصادر

بقلم

كامل سليمان

مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات

الكتاب: يوم الخلاص

تأليف: كامل سليمان

الطبعة: اولى ٢٠٠٦/١٤٢٧

المطبعة: برهان

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

شابک: ٥-٤٦-٨٧٦٢-٩٦٤

مركز التوزيع: ايران - قم

نقال: ٠٩١٢٠ [illegible] ٧٧١٦

الهاتف: ٧٧٤٤٦٥٨

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إقْتَرَبَ لِلنَّاس حِسَابُهُمْ ! .
وَهُمْ فِيْ غَفْلَةٍ مُعْرِضُون ! ! ! (١)

قال الإمام الصادق ﷺ لصاحبه المفضَّل بن عمر ، عن خبر المهديّ وما يواكبُ ظهورَه المبارَك :

ـ يا مفضَّل، أَلْقِهِ إلى شيعتنا، لئلاَّ يشكُّوا في الدِّين (٢) .

أجَــل ! .

قد استجَبْنا لرغبات العلماء . .
وحقَّقْنا أمل القُرَّاء ،
إذ أثْبَتْنا مصادرَ جميعِ الرِّوايات ،
في هذه الطَّبعة المصحَّحة المنقَّحة . .

جميعُ ما يقعُ في الكتاب بين قَوسَين :
هو مِنّا : تفسيراً وبحثاً وتحليلاً . .
وكل ما لا يقع بين هلالَين :
ذكَرْنا قائله ومصدَرَه . .
واللّهَ نسألُ عدمَ الزَّلَلِ والخطَل ! .

---

(١) الأنبياء ـ ١ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٢٦٧ .

.. وأنت ؟

أنت ، يا علاّمَ الغيوب :
أطلعتَ على بعض الغَيب مَنِ ارتضيت من رُسُلك وأوليائك ،
واستأثرت لنفسك بالبعض الآخر ؛
فكشفَ الرُسلُ والأولياءُ لنا معالم الطريق :
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الكتابَ ، وَيَزْدَادَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِيْمَاناً [1] .

في تأويلٍ للأئمة : زين العابدين ، والباقر ، والصادق ، عليهم السلام :
فَوَربِّ السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقّ :
قيامُ القائم [2]
والنبيُّ والأئمةُ هم الذين عناهم الله تعالى بقوله :
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُوْنَ فِي العلم [3] .

---

(١) المدثر ـ ٣١ .
(٢) الذاريات ـ ٢٣ ، والخبر في البحار ج ٥١ ص ٥٣ ، والغيبة للطوسي ص ١١٠ ، وينابيع المودة ص ٨١ وص ٨٤ والإمام المهدي ص ٥٧ ، وإلزام الناصب ص ٣٠ ، ومنتخب الأثر ص ١٧١ .
(٣) آل عمران ـ ٧ راجع مجمع البيان م ٢ ص ٤١٠ والكافي م ١ ص ١٨٦ و٢١٣ .

أ ـ الإهداء

إلى القائم المنتظَر ؛

الـذي يصفع فَسَقَـةَ الفقهاء ، وكَـذَبَةَ العلمـاء . . فينقـذ الإنسـانيـة من وثنيَّتهـا الضالة ، ويُحطِّم ظَلَمَةَ الحكّام، ويدوس جَهَلَةَ المعاندين . . فيملأ الأرض عـدلاً بعد أن ملئت ظُلماً .

إلى الفارس المظفَّر ،

الذي يكون أمرُه أبْيَنَ من الشمس ! .

إلى حامل مواريث الأنبياء والمرسَلين :

الذي لم يستطع بَياني ـ وكلّ بيانٍ ـ أن يقولَ فيه إلاّ ما هو دون قَدْرِه ،

إلى سيّدي ومولايَ ، ومَن هو أولى منّي بنفسي .

أرفع نهلاتٍ من بحر جدّه الأعـظم وآبائـه الميامين صلوات الله عليهم ، ليكـون لي ذخراً يومَ لا ينفع مال ولا بنون . .

المؤلف

إقــرأ أوّلاً

أكتبُ لك يا قارئي :
لأفاتِحَك فأُصارِحَك
ولأُطْلِعَك ، لا لأُقْنِعَك

وقبل أن تتعجّب من كتابتي في هذا الموضوع بالذات ، في عصرنا اللاّمُبـالي ، أُجيب على خاطرتك بأن إنكار الناس لوجود الخالق تبارك وتعـالى ، لا يدل على عـدم وجـوده ، كمـا أن إنكـارِهم للبعث والحسـاب ، لا يعني أنـه لن يكـون.بعثٌ ولا حساب ! . ومثل ذلك إنكار وجود المهديّ . .

فـاقرأ ، ولا تتنـازل عن حشريـة العلم . . فقد يسُرت لي ظروفي الخـاصـة أن أعرف آخر الزمان . . ثم تيقّنت أنني وإنك من أهل آخر الزمـان ، بعد قـراءة وصفهم إجمالاً وتفصيلاً ، فبعثني الواقع الـذي زاملتُ أهل آخـر الزمـان فيه ، إلى الكـلام في هذا الموضوع ، حيث رأيتُني منهم ، ورأيتُ لزاماً عليّ أن أقول لهم بصراحة :

نحن الذين يُظلُّنا آخر الزمان . . ونحن كقوم عادٍ وثمود ، وكإخـوان لوط ! . .
فلم يقع عندي استنساب لغير هذا الموضوع في وقتنا الحاضر لمخاطبة اثنَين :

إمّـا جاهـلٍ أميّ في هذا المـوضوع ، لم يستـوعب قضية المهـديّ في حجمهـا وأبعادها ، ويخشى إن هو تعرّض لها أن يضيع في حجمهـا وأبعادهـا . . فلا غـروَ أن

أضعه في الطريق . .

وإمّا عالمٍ عارفٍ في غير هذا الموضوع ، لا يريد أن يخوض فيه عن عمدٍ أو عن غير عمد ، وإن كانت لا تُعجز ذهنَه الأبعاد ، ولا تُخيفه ضخامة الحجم إذا أراد التفهُّم والفهم ، بل يُجفِله شيءٌ لا يعرف كيف يُفصح عنه ، فيرغب عن الكلام فيه . . فلا مانع من تشجيعه على الإفصاح بالرأي ، وتدريبه على الصراحة في قول الحق رغم أن الناس يُنغِضون إليه برؤوسهم ، ويقولون ما يقولون ! .

. . وبهذه النيّة أنقل إلى الاثنين كلَّ ما وصلتُ إليه بعد بحث سنواتٍ وجهد أعوامٍ واستقصاء كتب ، تاركاً لهما حرية الرأي عندما يتنازع فكرَهما عاملا التصديق أو الإنكار . وهدَفي من وراء ذلك :

أن يعرف الجاهل ، وتنجلي في ذهنه هذه الحقيقة .

وأن يتشجّع العالم على قول الحق، قبل أن يضيع الناس عن كلمة الحق التي لا تضيع ! .

هذا . . ولن أتكلم مع المكابرين ، ولن أقف مع المماحكين ، ولن أحاجّ الشاكّين بكل ما يصدر عن السماء ، ولا الذين يكفرون بالمطر لأنه ينزل من فوق ! . ولن تكون لي مناظرة مع المعاندين الذين يتجاهلون بديهيّات العقل ، ولن أحاول مناقشة منكِري الخالق وإن كانوا يَقفون أمام عظمة الكون ضُعفاء ، ولا يَشغلون من حيِّزه أكثر من ثلاثة أشبارٍ حين يولَدون ، وستة أشبارٍ حين يموتون ! ! !

وأنا لا أحب أن يقع كتابي في أيدي زنادقة المثقّفين الذين تقوم حياتهم على الكفر بالقيَم . . كما أنني لا أحبّه بين أيدي أنصافِ الآلهة من ذوي العلم الناقص الذين تسلّحوا بشهادةٍ معيَّنةٍ من التخصص، ولا أيدي الذين نبذوا كل عقيدة وتحلّلوا من كل عُرف ، وانهزموا أمام الرجولة : خنافسَ يُسْبِلون الشّعر غيلاناً ، ويتزيَّون بزِيّ النساء مَيَعاناً ، أو هبيِّين تمرّغوا بقذارة الجسد وغبار الأرصفة ، فرجعوا بالإنسان حيواناً بعد أن كان في أسمى مراتب الحضارة ! .

وليس كتابي للنساء الحائدات عن طريق السلامة والكرامة ، من اللواتي لبسنَ الياقة والسروال ، وتَشَبَّهن بالرجال ، وخالفنَ الطبيعة الأنثويّة فارتدَين الثوب القصير ،

وكِدْنَ أن يَكْشِفْنَ أقبح ما فيهنّ لذئاب البشر ! .

ولا هو للجيل الذي إن ردعته لا يرتدع ، وإن زجرته لا ينزجر . . وإن كنت أحبُّ أن أضع أصابع الكلّ على حقيقة يجهلونها ، فلا يقعون فرائس الطيش ، فيندم كل واحدٍ منهم : ﴿ يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ ! . . [1] فإن إمامنا الباقر عليه السلام قال :

ـ كل من دان الله بعبادة يُجهد فيها نفسه ، ولا إمام له من الله ، فسعيُه غير مقبول وهو ضالٌ متحير ، واللَّهُ شانيءٌ لأعماله . وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق ! [2] .

وأنا لا أكتب للدكاترة والمُجازين الذين يرون دُكْتَرَتهم وإجازتهم فوق المبادىء والأفكار . . ولا للمتخصِّصين الذين يمشون في طريق تخصُّصهم كالقطار ولو بَهَتَهُمُ الدليل وبَهَرَتهم الْحُجة ! ! ! . . بل كتابي للأحرار المنصفين الواعين ، المتدرِّبين على الشجاعة في كل بحثٍ ينشد الحق . . ولذوي الجرأة الفكرية الذين لا يأخذون شيئاً أخذ المسلَّمات ، ولا يتنكَّرون لما لا يعلمون . . وللذين يَرَون وراء التعلُّم شيئاً سامياً يجب أن يثب إليه الفكر الطَّموح ليتخطَّى ظُلمات الجهل في كل موضوع ! . . وهو لمن يفكِّر ويقدِّر ، ويؤمن بالبرهان القاطع ، ولا يرتضي لنفسه إيمان العجائز . .

أنا أكتب لهؤلاء . . عن أمرٍ واقعٍ ليس له دافع ! . رضيَ به الكلُّ أم أباه البعض . . لأنه كالشمس التي تدخل كل بيتٍ فُتحت نافذته عليها ولو رفض دخولَها صاحبُ البيت . ولا يحول دون إشراقها غيمُ الفكر الصدىء ولا ممانعةُ النظر الأخفش . .

فَلْيتعرف الناس إلى محتومٍ من أمرهم ! . صدّقوا به أو أنكروه . . وليقرأ من شاء بحصافةٍ فيؤمن إذا افترض وجوبَ الإيمان ، أو يكفر إذا ملك قدرة الكفر بما كتبتهُ له . .

---

(١) الفرقان ـ ٢٧ .

(٢) الكافي م ١ ص ١٨٣ وص ٣٧١ و٣٧٥ وإلزام الناصب ص ٤ ـ ٥ والمحجة البيضاء ج ١ ص ٥٤ .

فكتابي لمن يظهر له فيه الحق ، فيتّبعه عن دليل .
ولمن يفكّر ويتدبّر عواقب الأمور .
وهو لسائر روّاد الحقيقة ، في أي وطنٍ ، ومن أية أمّة . .

وأنا غنيٌّ عمّن ليس عنده سعة صدر العالِم ، وعمّن ليس عنده استعدادٌ لاستيعاب ميسورٍ ما جئتُ به ، لأنّ الوحيّ الذي أنزله الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل والقرآن لم يقتنع به الكلّ ، بل جاء من أنكره وأزهق في محاربته النفوس ، مع أنه كان لا يدعو إلى أكثر من مبادلة إحسان الخالق بشكر المخلوق ! . .

فأنا أكتب لأُطلع الناس على أمرٍ حصل كلُّ ما يسبقه . . ويحصل اليومَ كلُّ ما يواكب حدوثَه . . ولن أحاول إقناع أحد لا يشاركني الاقتناع . . فكثيرون من بيننا لا يزالون يكذّبون بالصعود إلى القمر والمرّيخ ! . . . فَحَيَّ على آياتٍ مُقبِلاتٍ تهزّ أعصاب المصدّقين والمنكِرين دون أن تميّز أو تختار ! . وحَيَّ على أمرٍ واقعٍ سلّمنا به أم عاندناه ، وأردناه أم رفضناه ! .

ولا إكراه في فرض عقيدة . . ولا إجبار في اعتناق مبدأ . . وخذوا الأمر من باب العلم بالشيء ولا الجهل به . . وحذارِ من البقاء في حظيرة الغافلين عن معرفة دعوةٍ ستهزّ العالم . .

وأنا إنما أبيّن رشداً من غيّ . . وأُنذر بظهور مخلّصٍ مؤكّد الظهور آمن الناسُ به أم كفروا . . فليكن كل امرىءٍ على بيّنة من أمره ، وليلتزمْ كل إنسانٍ طائرَه في عنقه ! . وللقارىء عليّ أن أكتب دون هوى ، وأن أنقل ما توصلت إلى معرفته دون تعصّب ، بل أنهج نهجَ البساطة وأتّبع النقلَ الأمين ، ولا أشرح إلا ابتغاء الإيضاح ، ولا أعلّق إلا بما اعتقدتُه وجزمتُ به .

وما أنا ـ بعدُ ـ بمتفائلٍ ينتظر إيمان الناس برأيه.، ولا بمتعنّتٍ يريد أن يفرض الرأي . ولكنني ناقلُ حقيقةٍ لا يضرُّها ولا يضرُّه كفرُ من كفرَ بها ، وإن كان يسرُّه إيمانُ من سمع بها فوعاها فآمن بها ؛ لأن شعاري شعار المؤمن بالعقيدة ، يعرضها ولا يَفرضها ، ويقول :

﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ، لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (١) . .

فقد كفر الناس من قبل بالرسل ، وأنكروا الله وملائكته ، واستهزأوا بالبعث الذي أقسم عليه خالقهم ، ثم أكّد القسم بحروف الجواب ، وبأنَّ ، واللام ، والنون ، في جملةٍ لا تتعدّى الإحدى عشرة كلمة استعمل فيها أقوى الحروف ، ثُم شدَّدها وضعَّفها حيث قال :

ـ ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ : أَحَقٌّ هُوَ ؟ . قُلْ : إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ، وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٢) ومع ذلك صدَّق بالبعث والحساب قليلون ، وكذَّب كثيرون ! ! !

فليس الرادّ عليّ بِمُسيءٍ إليَّ ، بعد أن ردّ أكثرُ الناس على الله ! ! ! ذلك أن الإنسان ، بطبعه ، ما إنْ يتفهّم أبسط الأمور ، حتى يثب إلى إصدار الأحكام في الماوَرَائيّات وعلم الغيب ، وحتى يجادل في الله ، وفي عجائب الكون التي لا تقع تحت حسّه ، ويُفلسف ما استعصى على بصيرته كما لو كان شيئاً يناله إدراكُهُ ، في حين يكون طفلَ علوم يجهل تركيب جسمه ، ويعجز عن تفسير العوامل النفسية النابعة من ذاته ، ثم لا يستحي أن يطّلع إلى السماء وما فوقها ، ويغوص في الأرض وما تحتها ، فيضيع في خضمِّ الكائنات الشاسع وينسى أن القدرَ سيلفظه في ساعةٍ ما . .

وماذا أقول بين يدي موضوعي ؟ .

أفلا يُعتبر الإنسان مثقفاً متحرراً إلا إذا تنكّر لعقائده ونبذ تُراثه ، ومشى وراء غرائزه ؟

يا أيها الذين يزدرون تاريخهم ويهزأون بتراثهم ، ويعقّون آباءهم وأُمهاتهم ، ويتنكرون لأديانهم ، ويسخرون من ذكر المهديّ ويرتابون في أمره :

. . إليكم أكتب أيضاً . . ليصير ما أكتبه حُجةً عليكم حين يفجأكم الواقع فتتنزّلون عن الكبرياء ، وتفرغ ضمائركم إلى محاسبتكم في خلواتٍ لا تسيطر عليها

---

(١) المائدة ـ ١٠٥ .

(٢) يونس ـ ٥٣ .

الجاهلية . . فأنا أربأ بكل أخٍ لي في الإنسانية أن يموت ميتةً جاهلية ، وأريد لكل واحدٍ أن يعرف ما كتبه المهديّ عليه السلام لبعض سفرائه رضوان الله عليهم حين سأله عن شأن المنكرين فكتب له :

ـ مَنْ أنكرني فليس منّي ، وسبيلُه سبيلُ ابن نوحٍ عليه السلام ! ! [١] .

فهل يرضى أحد أن يكون من المغرَقين كما غرقَ ابن نوح بعصبيّته ؟ . .

لا . . فإن ثورة المهديّ على الباب . . ومن البديهيّ أن أحداً من المخلوقات لا يستطيع أن يقف في وجه طوفان ، أو في وجه هزّةٍ وخسف ، ولا أن يسير في طريقين في آنٍ معاً . . فَلْيشذّ من شاء له هواه الشذوذ ، ولْيذعنْ للمحتوم من شاء له عقله الإذعان . فإن أمرَ المهديّ كالموت الذي نفرُّ منه سواء بسواء ، آمنّا به أم حسبنا أننا مخلَّدون نشيّع دائماً غيرَنا إلى الفناء ، حتى تسقط ورقتُنا في كفّ عزرائيل فيتعثّر بنا . .

وقديماً قال الصادق عليه السلام : لو كانت لأحدكم نفسان ، يقاتل بواحدة يجرب بها . . . ثم كانت الأخرى باقية ، فعمل على ما كان قد استبان لها ! . ولكنْ . . له نفس واحدة ، إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة ! . فأنتم أحق أن تختاروا إن أتاكم آتٍ منا ، فانظروا على أي شيء تخرجون [٢] . .

وهذا حق . . فليحافظ كل واحد منّا على نفسه التي لا يملك نفساً غيرها . .

ولكنه قد ينبري من يقول : ما هذه العقيدة القديمة البالية التي جئت تنشرها على الملأ المتحضّر في عصر العلم والنور ؟ !

بَلى ، ونَعَم . . إنها والله لعقيدة قديمة . . ولكنها لا تَبلَى . لأن عمق الحقيقة في التاريخ ، وإمعانها في القِدم لا يفسدانها . ولا بدّ أن يبعثها قائلُ حقٍّ بجرأة مطمئنة ولو قلّ النصير ، تمشياً مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل الحق : ما هُم في أُمّتي إلّا كالشَّعرةِ البيضاء في الثَّور الأسود ، في الليل الغابر [٣] .

فأنا أشكر الله حين أقول كلمة حق في أشد الأزمنة باطلاً . . فإن القول بظهور

---

(١) الغيبة للطوسي ص ١٧٦ وإعلام الورى ص ٤٢٣ والبحار ج ٥٣ ص ٨٠ وبشارة الإسلام ص ٣٠٠ والإمام المهدي ص ٢٥٣ وإلزام الناصب ص ١٢٩ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٣٠٢ .

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٣٠ .

مهديٍّ في آخر الزمان ، قد تواتر النقل فيه من طُرق المؤالفين والمخالفين . بحيث يقول بالمخلِّص في آخر الدهر اليهودُ والنصارى والمسلمون على اختلاف أسباطهم وفئاتهم وطوائفهم . وقد اجتهد حَمَلَةُ الوحي في تأكيد ظهور قائمٍ بالحق ، ثم وصفوا زمان ظهوره ، وذكروا علامات عهده ، وحدّدوا هويته وصفاته ، بحيث مضى نبيٌّ إثر نبي يَعِدُ الناس ويبشرهم به . . فالعقل مدعوٌّ ـ إذاً ـ لأن يُفكّر بِرُشد ويحكم بصواب ، بعد أن وافقت أخبار وجود المهدي علامات واضحة وما زال يتحقق البعض الآخر تباعاً عبر العصور كما حدّدها لنا رُسُل الله ، وبعد أن واكبت غيبتَهُ ظواهرُ حدّدوها لنا جليّة ، رأينا منها الكثير في زماننا ، وبعد أن سبقت يومَ خروجه إنذاراتٌ تتوالى واحداً بعد واحد كما سترى في فصول هذا الكتاب . . فإن أخبار وجوده ، وأخبار غيبته ، ودلائل عصر ظهوره ، تُكوِّن أعظم حصيلة للبرهنة على صدق الوعد به في سائر الرسالات السماوية . . . والتشكيك بأخبار وجوده وزمان ظهوره ، يكون تعمُّداً لرفض كل شيء منقول ، وكفراً بكل نبيٍّ ورسول ، ولكنّ صدق تلك الأخبار لا يجعله الرفضُ باطلاً ، لأن في اتفاق أخباره التي رُويت في فترات تفصل بينها آلاف وآلاف السنوات ، برهاناً قاطعاً على كونها وحياً لا يُضيره إنكار من يُنكر الوحي ، ودليلاً مقنعاً لا يوهنه من يخالف الدليل المقنع . . والتشكيك ـ بحد ذاته ـ وإن كان مباحاً كمبدأ للإيمان ، فلا يجوز أن يكون باباً لإنكار كل حق تقصر عنه الأفكار وتضيق به الصدور ! .

فالوعد بالمهديّ قد صدَع به أولو العزم من الرُّسل . . والأخبار التي وردت بشأنه مرّت على أذهان جهابذة الفكر منذ حوالي ستين قرناً ! . وبقاؤها سليمة مسلّمة يوجب القطع بها ويفيد الجزم . وللقدامى منّا الشكرُ إذ حافظوا على إيرادها كما هي ، ونقلوها نقلاً أميناً بالرغم من أنها قد تناولتها ملايين الأقلام . ولهم الشكر مكرّراً وإن كانوا لم يتمكنوا من جلاء بعض غوامضها ورموزها لعدم تيسير وسائل الشرح والتوضيح في أزمنتهم ، وإن كانت محاولاتهم المحمودة قد أوقعتهم في غلط تسلسل الوقائع مرة ، وفي الإخفاق حين محاولة تطبيق الحوادث مرة أخرى . فرأيت لزاماً عليّ ـ وأنا أعيش في عصر غنيٍّ بوسائل التوضيح والاستدلال ـ أن أدرس هذا الموضوع دراسة مجدّدة أمينة دون أن تفوتني الإشارة بالإعجاب إلى أن مما يشرّف حَمَلَة هذه العقيدة

من الإماميِّين ، محافظَتَهم عليها ، وتتابع بحثهم لجلاء غوامضها وملابساتها ، للبرهنة على صدقها وواقعيتها ، وإن كانت نظرتهم الحتمية للمهدوية كنظرة جميع الناس ، ولكنهم كانوا عبر التاريخ يؤذَون في سبيل هذه العقيدة ، ويُستهزأ بهم ، لأنهم من أشد الناس تمسكاً بها وحرصاً عليها ، ذاك أن المشيئة الربانية قضت بكون المهديّ الذي تحدثت عنه الأديان عامة والملل كافة ، خاتماً لأئمتهم ، فهبّوا يأخذون أخباره الواردة عن النبيّ والصحابة والأئمة ، ويستقصون بصدده جميع المصادر ، إذ يعنيهم من أمره ما لا يعني غيرهم بعد أن كان الثاني عشر من أئمتهم ؛ فتميّزوا باعتناقهم هذا المبدأ من جهة ، وبجهدهم في تدوين أخباره إيماناً به وبالدين كوحدة لا تتجزأ من جهة ثانية ، كيلا يكونوا ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض . .

ومن أقبح القبيح أن يشتغل الإنسان في الجدل الذي يُضعف تكاتف الناس ويوهي شأن الأمة ، فلن تراني أناقش خبراً ، أو أقف مع قائل وقوفاً بغيضاً ، بل سرت في نهج واضح يعتمد على أن المهديّ مخلوق موجود اعترفت به الأديان ولو أنكره الأفراد . . يرقبه العقل وإن خَنَسَتْ من ذكره العواطف . . وقد حاولت بيان ما توصلت إلى فهمه من زوايا موضوعية البحث الغامضة ، فسهّلت فهم كثير من الأخبار التي ظنها القدامى خرافات ، ويسّرت قبولها لأبناء جيل عايش التقدم العلمي الحديث فاتسعت مداركه وأصبحت قادرة على استيعاب ما ظلّ إلى اليوم لغزاً من الألغاز ، وذلك بتفسيرها التفسير الصحيح الذي أصبح ميسوراً في زماننا ، وكان أكثر من مستحيل فيما سبق ، لأنه ينطبق علينا دونهم ، وعلى وسائل عيشنا وما في عصرنا من عجائب لم تكن تخطر للقدامى ببال . .

أما من كان يعيب عقيدة المتشيعين للمهديّ شكلاً وأساساً ، فإننا لا نأخذ عليه إلّا ما أخذه الناس على أحبار اليهود يوم عرفوا محمداً بذاته وصفاته وعلاماته المذكورة في كُتبهم ، ثم كفروا به لأنه بُعِثَ من العرب لا من الإسرائيليين ! ! ! فهل يُرضي العائبَ علينا أن نتحدث عن مهدي لا قرشيٌّ ولا هاشميّ ولا فاطميّ ولا حسينيّ حتى نلتقيَ معه على طمس حقيقة عرفناها كما هي في جوهرها ، وآمنّا بها كما وردت من طُرقنا وطُرق غيرنا ؟ . مع أن نبيّنا الذي لا ينطق عن الهوى قال :

« لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يومٌ واحد ، لَطَوّل الله ذلك اليوم ، ويبعث رجلاً من

أهـل بيتي يـواطىء اسمُـه اسمي ، يمـلأ الأرض قسـطاً وعـدلاً كمـا مُلئت ظُلمـاً وجوراً ! ! ! »[1] .

فظهور المهدي من أعلام النبوّة . . وقد تعمّدت الكتابة بهذا الموضوع في هـذا العصر لأنه قـد ظهر الكثيـرُ الكثيرُ من عـلامات ظهـوره ، فأحببتُ إلفـات نظر مَن أراد لنفسه السلامة والإيمان . . والمصـدّقون بـه لا يُعاب عليهم التصـديق ، بل امتـدح النبيّ ﷺ ثباتهم منذ ألفٍ ومئات السنين حين قال لأصحابه عنهم :

- . . آمنوا بسوادٍ على بياض ! ! [2] . أي بالأخبـار المدوّنـة المأثـورة الثابتـة ، دون أن يعاينوا ذلك أو يشاهدوه .

أفَلا يحق للمتشيّع أن يقـول مع أميـر المؤمنين عليه السلام : وما كـل ذي لبٍّ بلبيب ، ولا كل ذي سمعٍ بسميع ، ولا كل ناظرٍ عينٍ ببصير [3] ؟ ! .

أما مشيئة الله ، فليست خاضعة لإرادة الناس ، ولا منوطةً باختيـار أحد ، ومثلهـا الظواهر الطبيعية من الْحَرّ والْقَرّ والأمـطار والزلازل فـإنها لا تستشيـر أحداً بمـواعيد حـدوثهـا . . إذ لـو كـان شيء من ذلـك ، لتمكُّن الإنسـان أن يعلم الغيب ويـدّعي الربوبيّة ، ولَجَاز لكل ساذجٍ أن يصدّق الرائد الفضائيَّ السـوفياتيَّ يـوم طلع في عَرَبته الفضائية التي اخترقت الجاذبية وابتعدت عن كـوكبنا الأرضي بضعـة آلاف من الأميال التي تُعد تافهةً في مجال أبعاد الفضاء اللامتناهيـة ، ثم رجع ليقـول للناس : لم أرَ الله في رحلتي هذه ! ! ! فقد قالها دون أن يفكّـر بصانـع الكواكب المنتشرة في خضمّ هذا الكون ، وبِمُمْسِكِها وجاعلِ الأبعاد النائيـة بينها ، ودون أن يقـدُر أنّ من أنشأ فيهـا قوّة

---

(1) الإرشـاد ص ٣٢٦ ومجمـع البيـان م٣ ج ١٨ ص ١٥٢ والبيـان ص ٥٩ وكشف الغمـة ج ٣ ص ٢٦٤ ومنتخب الأثر ص ١٤٢ و١٥٣ و٢٤٧ والصواعق المحرقة ص ١٦١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨١ و٨٦ و١٦٥ وبشارة الإسلام ص ٢٨٢ و٢٨٧ باختلاف يسير ، ومثله في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٥ والبحار ج ٥١ ص ٧٤ وج ٥٢ ص ١٢٥ وذخائر العقبى ص ١٣٦ وإعلام الـورى ص ٤٠٢ والغيبة للطوسي ص ١١٢ .

(2) الوسـائل م ١٨ ح ٥١ ص ٦٥ والبحـار ج ٥٢ ص ١٢٥ والمـلاحم والفتن ص ١١٤ وإسعـاف الـراغبين ص ١٤٧ بلفظ قريب ومثله في نـور الأبصار ص ٢٢٩ - ٢٣٠ وإلـزام النـاصب ص ٧٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٧٠ .

(3) بشارة الإسلام ص ٦٠ .

التجاذب والثبات في كونٍ هائلٍ يدور على نفسه بدقةٍ وحكمةٍ وبلا تفكّكٍ ولا وهنٍ منذ ملايين السنين ، ودون أن يدرك أن ربّ ذلك كله لا يقع تحت حسّ رائد فضاءٍ يلتقي به في طريق تحقيق معجزته التي كلّفت من المال ما لو أنفق في الأرض لَمَا ترك أحداً من الجياع ولا من المرضى ولا من الفقراء ! ! ! .

فيا رُوّاد العلم والفهم : لا يجوز أن يكون الرب كائناً يحتويه المكان والزمان وهو خالقهما ، بل عنه فاض كل شيء وكان بقدرته ، ولا أن يكون واحداً يقع تحت حدود العدّ كالشيء الذي له ثانٍ وثالث وشبيه ! ! ! وإذا كان الرب بهذه البساطة فعلينا أن نبحث عن رب غيره يتعالى في وحدانيته ، ويتفرّد في أحديّته ، ويسمو عمن يشاكله ويدانيه . . عن ربّ يجب أن يكون أكبر من صانع صاروخ ومدبّر عربة فضاء ، وأبعد عن أوهام من يصنع المعاجز الواقعة تحت مقدور الخَلق . . فسبحان من : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[1] . .

وأقول لمن شاء أن يتعرف إلى أئمتنا عن كثب ، وأن يطّلع على علمهم عن قُرب ، وأن يعرف صدق رواياتهم التي صدروا فيها عن جدّهم الأعظم ﷺ : إقرأ أخبارهم عن صاحب الأمر ـ وستقرأ كثيراً منها في هذا الكتاب ـ فإن فيها تصويراً لحضارتنا المعاصرة يأخذ بالألباب ، بل فيها وصفٌ دقيقٌ يتناول جميع مظاهر حياتنا ، حتى أنهم ليَصِفون وسائلَ النقل والحرب ، ووسائل العيش في البيت وفي المَتجر ، وفي الديوان والدائرة ، فيتراءى لمن يمرُّ بذلك أنهم كأنّهم كانوا ينظرون من ظهر الغيب إلى أشياء مُجَسَّدة كانت تقع تحت أبصارهم وبصائرهم ، ثم ينعتونها بحقائقها ودقائقها ، حتى لتَظُنّ أنها أشرطة مسجلة رأوها فوصفوها . . وما ذلك بعلم غيب ، ولا بحدس أو تخمين ، ولكنه علمٌ علّمهم إياه رسول الله عن الله عز وجلّ . .

وأُنبّه القارىءَ إلى أن كثيراً مما كان في الماضي مستهجناً ، قد أصبح اليوم حقيقةً على أسسٍ علمية ، بحيث صرنا نركب هذه المستهجنات سيارةً أو طائرةً تقرّب البعيد وتبعِّد القريب ، ونستعملها هاتفاً يُسمِع مَنْ في المغرب كلامَ مَنْ في المشرق ، ونلهو بها تلفزيوناً يُري مَنْ كان في أقصى شمال الأرض وجهَ من هو في أقصى

---

(1) الأنعام ـ ١٠٣ .

جنوبها ، ينظر إليه ويسمعه ، وهو قابع على أريكته الوثيرة في زاوية منزله ، بل لقد أصبح التنقل بين الكواكب ميسوراً ، حتى أن أرض القمر صارت بنظرنا تافهةً . ولكن . . لم يطّلع فرعونُ إلى إله موسى . . ولن يكون موسى إلاّ من الصادقين ، ولن يستطيع أحد أن يقول للشيء : كُنْ فيكون ؛ لأن الإنسان المعاصر لم يستطع ـ بعلمه الذي اجترح العجائب ـ أن يكرّس حقًا مشروعاً على وجه هذه البسيطة ، ولا تمكّن روّادُ الحقائق المتبجّحون أن يُنهوا أتفه المشاكل السياسية ، بل أسَرَتهم العنصرية والأرستقراطية فحاق الظلمُ بالشرق والغرب . .

فما بالُ العلم العصريّ قد فرغ من قضية الله ، وصفّى حسابه معه وأنكره ، قبل أن يفرغ من تصفية بعض مشاكله الأرضية التي تجعل أرباب العلم وأرباب السياسة يعيشون على أعصابهم ، في منافساتٍ لو انفجرتْ لَقضتْ على الجنس البشريّ ؟ ! .

ثم ما بالُ العلم الحديث قد نصب نفسه ميزاناً للعدل في السماء ، مع أنه عجز عن أن يكون ميزان عدل على الأرض ؟ ! . وما بالُنا ننجرف مع الأوهام ، ونضلّ عن الحقائق ، ثم ندّعي الكمال ، مع أننا نرسف في عبودية المال ، وفي عبودية الجنس ، وفي عبودية النفس ؟ .

إذا كان العلم يجرّ إلى مثل هذا الجهل ، فبئس العلم هو . .
وإذا كان الفهم يؤدّي إلى مثل هذا الإسفاف ، فهو فهمٌ موجَّهٌ سقيم . .

. . ولا إخال أحداً في الناس لا يتبنّى اليوم دعوةَ مثل هذا المصلح العظيم ، ولا يُلقي بسمعه إلى من يُحدّثه عنه كمخلّص وعد الله به العالَمين ليكون رحمة للعالمين ، وهدّد به الظالمين لأنه عذاب على الظالمين ، يبعثه الله ليضرب للناس مثلاً أعلى في الحكم العدل .

لذلك أوردتُ ما حصلت عليه من أرباب العقائد على اختلاف العقائد ، وكتبتُ لجميع حَمَلةِ مشعل الفكر ودُعاة الحق من سائر أصحاب المبادىء . . .

فاليهوديّ ـ من أي سبطٍ كان ـ ينتظر مجيء المسيح الذي يحقق العدل المطلق على وجه الأرض في آخر الزمان .

والمسيحيّ ـ من أية طائفة كان ـ ينتظر عودة المسيح المطهّر ، ليرسيَ قواعد

العدل الأسمى على وَجه هذه البسيطة، في آخر الزمان.

والمسلمُ - إلى أية فرقةٍ انتمى - ينتظر المهديَّ والمسيح، يلتقيان في دولة حقٍّ وحكومة عدلٍ مثاليٍّ، في آخر الزمان.. أعني، أن جميع أهل الأديان يُعطون حكومة آخر الزمان المنتظرة أهميتها القصوى، ويعرفون لوقتها علاماتٍ ودلائلَ هي من صميم ما عندهم من تراث دينيّ، ومن صميم ما لديهم من رائحة السماء.. وهذا ما نقلته إلى القارىء وفسّرته وطبّقته وقرّبته إلى ذهنه.

.. أما مِنْ وراء أهل الأديان، فلا يبقى إلا المستهزئون.. وهؤلاء - هم أيضاً - لا يَسَعهم إلا الاعتراف بإفلاس الأنظمة الأرضية التي يزاولها الناس بشتّى أشكالها، ويتشوّقون إلى قيام حكومة عدل ناجحة، بعد التجارب الفاشلة التي كانت متعددة المظاهر والأسماء..

فإذاً، أنا أكتب في هذا الموضوع إلى كل إنسان حيّ... متحدثاً عن حامل لواء حكومة عدل، تُعَيّن وقتَ مجيئه علاماتٌ وقع أكثرُها وسيقع ما بقي، تدل عليه صفاتٌ تميّزه عن غيره؛ سيكون في عصر معيّن، ربما كان عصرنا هذا لدلالة أهم العلامات عليه!.

أما إذا قيل: لِمَ لا يزال المهديّ متغيِّباً عن مسرح الأحداث ما زال مخلوقاً ومدعوًّا للإصلاح في عصرٍ فسد أهلُهُ.. ولِمَ لا يظهر فيقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما زال مرصوداً لهذه الغاية؟. فالجواب: إنّ الله قد جعل لكل شيءٍ قدْراً، وإنّ له أمراً هو بالغُه، ولا يَعجل إلا من يخاف الفوتَ.. ولو استجاب الله لرغبة العباد لاضْطُرَّ لأن يُقيم القيامة ويَنصب الميزان ويحاسب الناس على أعمالهم فوراً، ليؤمنوا بالبعث والحساب، ولَوَجب أن يُطْلع الشمسَ قبل وقتها استجابةً لرغبة مسافرٍ في فلاةٍ يلفحه الصقيعُ، أو أن يُنْزِلَ المطرَ لمجرّد حاجة فلّاح مضطرٍّ لريّ أرضه، ولَصار لله في ملكه ألف شريكٍ وشريك!.

فالبديهي الذي يفترضه خروج المهدي عليه السلام، هو أنّ الشروط لم تُستكمل بعد، وأنّ الدلالات التي حدّدها الله على لسانِ رُسله ليوم نهضته المنتظرة لم تَتِمّ.. وليس من الضروريّ أن يجريَ قضاءُ الله وقَدرُه بحسب رغبات الأفراد وأهوائهم، إذ لو

فُتح مثل هذا الباب من الاعتراضات لَجاز لي أن أقول : لِمَ بُعث عيسى قبل محمد ؟ . ولماذا لا يحاسِب الله الظالمين في دار الدنيا على مرأى ومسمع من المظلومين ؟ . ولِمَ ؟ ولماذا ؟ . وكيف لا ؟ . فينفتح باب جدلٍ لا طائل تحته. وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوْ لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ ﴾ (١) . . ﴿ وَلَقَدْ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ - يا محمد - فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُوْنَ ﴾ (٢) .

ثم ما أدراك أنه قد قيل : لِمَ غاب المهديّ أساساً ؟ . وما الفائدة منه أثناء غيابه ؟ . مع أن القائل يعرف أن كل منادٍ بالحق يتوارى من وجه الظلم حتى يُعد العدة ويهيّء نفسه ، فكيف بمن يتحيَّن الفرصة لوثبةٍ تهدف إلى قلب أنظمة الأرض بالطول والعرض ، وتقف في وجه هذه القوى الهائلة التي منها القنابل المدمِّرة والصواريخ الموجَّهة ؟ . . هذا ، إلى جانب أنه لا يخرج إلاّ بأمرٍ من السماء ، في حين أن احتجابه عنّا لا يَعني أنه لا يظهر لخاصةٍ من مواليه ، ولمن يلي أموره وخدمته من التابعين الذين يكتمون سرَّ الله ويحملون أمانة السماء . .

فلْيتعرَّف الكلّ إلى هوية هذا المنقِذ . .

ولْيقرأ كتابي المتديِّنُ قصةَ عقيدةٍ واضحةِ المعالم . .

ولْيَقرأهُ المنكِر قصةً سماوية جميلة المنهج ، حلوة الْحَبك ، جذّابة الفصول . .

ولْيقرأهُ اللاّمبالي قصةَ العلم بالشيء ولا الجهل به . فقد عالجت الموضوع للجميع ، ليَروا ما رأيت ، وليكون ما يَرونه حجةً عليهم كما صار حجةً عليّ أدّيتها لإخواني وأخَواتي في الإنسانيّة . .

ولتتمَّ غايتي ، أُمحض النصح لجميع القرّاء ، وأنبههم إلى أنني لا أكتب عن شخصية عادية ، ولا أعرض أمامهم شريطاً تمثيلياً . بل أحذّر من أمرٍ من السماء شاءه القضاء ، رضي به القارىء أم رفضه ؛ كالشمس التي تشرق رآها الأعشى أم حجبتها عنه غيوم الهوى ! .

---

(١) العنكبوت - ٥ .

(٢) الأنعام - ١٠ .

وأمسِ لم يردّ الطوفانَ عنادُ قوم نوحٍ ، ولا نجا ابنُه حين وقف على جَبَلِ المكابرين ! .

وأمسِ لم يمنع خسفَ مدائن لوطٍ هزءُ قومه حين جاؤا إلى حَرمه ليفضحوا لوطاً في ضَيفه ! .

وبعدهما ، لم يدفع الغرقَ عن فرعون وجنوده تكذيبُهم لموسى وهارون ! .

ولا أحرقت نارُ النمرود إيمانَ إبراهيم من قبل ! .

واليوم . . نقول مع المهديّ عليه السلام ، ما قاله لأحد الذين شرّفهم الله بسفَارته: لا لأمرِ اللهِ تَعقلون ، ولا من أوليائه تَقبلون ؟ ! ﴿ حكمةٌ بالغةٌ فما تغني النُّذُرُ ﴾ [1] .

ثم نرتضي الإيمان به وإن كفر غيرنا ، ونتأسى بقوله ـ وهو عِدْلُ القرآن ـ حيث قال : لِأَنَّ الله معنا ، فلا فاقةَ بنا إلى غيره . والحقُّ معنا ، فلن يوحشَنا مَنْ قَعد عنّا [2] .

ألَا إنها أمور محتومة ستقع دون مشورتنا ورضانا ! . وهي غيرُ مفتقرةٍ لإيماننا بها ، لأنها كموسم حَرٍّ إذا حلّ ، وكعارض قَرٍّ إذا استقرّ ، لا يرفعهما إلا من أنزلهما ! .

وقد قيل للباقر عليه السلام : هل يبدو لله في المحتوم ؟ . (أي هل يغيّر الله أمراً كان قد قدّره محتوماً) فقال : نعم . فقيل : فنخاف أن يبدوَ لِلهِ في القائم ! . فقال : القائم من الميعاد . (أي أن أمره مؤقتٌ بميعادٍ ليس لِلّهِ فيه بِدَاء) ، مشيراً بجوابه إلى قول اللهِ عزّ وجلّ : ﴿ إنَّ الله لاَ يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ ﴾ [3] .

فلْنستعرض قضاءً مبرماً لا بدّ منه . . ولْننتظر حركةً لا محيص عنها . . .

---

(١) سورة القمر الآية: ٥ راجع منتخب الأثر ص ٥١٨ والبحار ج ٥٣ ص ١٧١ .

(٢) البحار ج ٥٣ ص ١٧٨ في كتاب طويل ، ومثله في الغيبة للطوسي ص ١٧٢ وكذلك في الإمام المهدي ص ٢٥١ و٢٥٥ ومنتخب الأثر ص ٣٨٦ وإلزام الناصب ص ١٢٩ .

(٣) آل عمران ـ ٩ والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ والغيبة للنعماني ص ١٦٢ وفي بشارة الإسلام ص ١٦٦ عن الجواد عليه السلام .

ولنأخذ علماً بحوادث لا مناص من حلولها ، كما أنه لا محيدَ عن العاصفة إذا هبت الريح القاصفة التي تجتثّ وتدمّر ! .

فهذا كذاك . . ولن يؤخّر حتمية ظهور المهدي تعمُّد تجاهُله ، ولا يقف في وجه زحفه التِّيهُ في مجاهل الضلالة ، ولا يؤخّر يوماً موعوداً إنكارُنا له ، تماماً كما أنها لا تمنع بزوغَ الشمس الوهّاجة مشيئة من أراد تأخير سناها من الخفافيش ! . .

وأنا لا أعرف ، متى كان لا يتيسر للعقل البشريّ القاصر أن يختار في الأمور الخارقة للطبيعة ؟ . ومتى كانت إرادتُه قادرةً على منع حلول الظُّلمة إذا هجمت لتخيّم على المكان المستور ! . وهذا العقل ـ وهو العنصرُ المتميِّز ـ قد تقود ديناميكيتُه العجيبيةُ إلى هدىً وإيمان ، وقد تكون مفتاح هوىً وضلال . . فبعد أن حصّنَه الله تعالى في جمجمة متينة الصُّنع ، ورفعه على عرش الجسم ، وشرّفه على كل عضوٍ فيه ، فَكَّرَ ـ أول ما فكّر ـ بإنكار مُوجده ! . وقدَّر ـ أولَ ما قدَّر ـ قياساتٍ قاسها إبليسُ حين استكبر عن السجود لآدم ! . ثم حاول ـ العقل ـ وما زال يحاول أن يخرج من حبسه الضيّق المقفَل ، ثم عبسَ وبَسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال : إنّ كل سماويٍّ خرافة ! . قد شاءه بارئُه لعباده وسيلةً عُليا ، وشاء نفسه أداة إسفافٍ دنيا ، لأنه عقَّ مُبدعه ، وترك مشاكله على الأرض ، وراح يفتش عمّا لا يَعنيه في السماء ! .

وقد سبقنا الإمام الصادق عليه السلام إلى القول : إنَّ حديثَنا صعبٌ مستصعَب ، لا يحتمله إلا صدور منيرة ، أو قلوب سليمة ، أو أخلاق حسنة . إن الله أخذ من شيعتنا الميثاق (أي الولاية) كما أخذ على بني آدم (أَلَسْتُ بربِّكم) . فمن وفَى لنا وفَى الله له بالجنة ، ومن أبغضنا ولم يؤدِّ إلينا حقَّنا ففي النار خالداً مُخلَّداً[1] ! .

وها هي ذي علامات قُرب ظهور صاحب الزمان عليه السلام تتلاحق بسرعة ، حتى أن الإنسان ليتعجّب من دقة وصفها ، فيعتقد أن النبي وآله عليهم الصلاة والسلام كانوا كأنهم يرون ما ينعتون ؛ وإلاّ فكيف وصفوا أهل هذا الزمان حتى أنهم نعتوا كيفية ضَفْرِ الشّعر عند النساء ، واختلاف الأزياء ، وإسبال شعور الرجال ، وميوعة الأجيال ،

---

(١) الكافي م ١ ص ٤٠١ وفي إلزام الناصب ص ١٢ عن أمير المؤمنين بلفظ قريب، ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ٢٠٤ .

وتطويل الشوارب . . وصفوا ذلك وغيره بطريقة تتناول النوع والشكل ، وتذكُر المميّزات ! إلى جانب ما حكوا عن حضارتنا ووسائل عيشنا ، وما نحن عليه من أشَرٍ وبَطَر . .

وكان رسول الله ﷺ قد قال: نَضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها من لم يسمعها . فَرُبَّ حامل فقهٍ ، غيرِ فقيه ، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه[1] .

وقال خاتم أوصيائه ، الإمام المنتظر عليه السلام: وأما ندامة قوم ، قد شكّوا في دين الله ، على ما وصلونا به ، فقد أقَلْنا مَنِ استقال وما لنا حاجة في صلة الشاكّين [2] . .

وأنا ـ في كل حالٍ ـ لا أمُنُّ على من يقرأ محاولتي هذه ، بل للقارىء الشكر والمنّة ، إذ قد حكيتُ فأكثرتُ وأثقلتُ ، ولذلك أتخلّى عن المسرح ليحكيَ غيري في الصفحات الباقية من الكتاب : فيحكي الله عزّ وجلّ ، ويحكي رُسُلُه وأولياؤه ، والمؤرخون ، وجميع الناس . . وليس لي من دورٍ ـ بعدُ ـ إلا في التنسيق والتوضيح . . وليس أحسنَ عندي من أن أختم كلامي بقول الباقر عليه السلام حيث سئل عن المهديّ فقال : مَن أقرَّ به فزيدوه ، ومَن أنكره فذروه[3] . .

والله تعالى من وراء القصد

المؤلف :
كامل سليمان

البياض ـ قضاء صور : لبنان الجنوبي .
في أول ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هجرية .
الموافق آخر كانون الثاني سنة ١٩٧٩ ميلادية .

---

(١) الوسائل م ١٨ ح ٤٣ ص ٦٣ والكافي م ١ ص ٤٠٣ .
(٢) إعلام الورى ص ٤٢٤ وعدة مصادر .
(٣) الكافي م ١ ص ٣٧٠ وإلزام الناصب ص ٨١ .

١ـ مَن هُوَ القَائِم المُنتَظَر ؟

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ـ يـا محمد ـ أَحَقٌّ هُـوَ ؟ ! . قُلْ : إِيْ وَرَبِّي إِنَّـهُ لَحَقٌّ . . وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ﴾[١] .

قيل إن هذه الآية الكريمة تتحدَّث ـ أيضـاً ـ عن آجال الأُمم وتكـذيبها الأنبياء ، ونزول العذاب عليهـا عند انغمـاسها في الضـلال . وفيها يَعِدُ الله تعالى بخـروج قائم يطهِّر الأرض إذا غَوَتِ الأمة الإسلامية وحادت عن طريق الهداية . .

قال رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ـ لا تخلو الأرض من قائم بحُجة ، إمَّا ظاهـر مشهور ، أو خـائف مستور ، لئـلاَّ تبطُلَ حُجَجُ الله وبيّناته[٢] . (ورُوي بلفظه عن أمير المؤمنين والباقرَين عليهم السلام وقال :)

ـ القائم المهديّ من وُلدي ، اسمه اسمي ، وكُنيته كُنيتي ، أُشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً [٣] .

---

(١) يونس ـ ٥٣ راجع الغيبة للطوسي ص ١١٠ .

(٢) إلزام الناصب ص ٤ ومنتخب الأثر ص ٢٧٠ والغيبة للنعمـاني ص ٧ والغيبة للطوسي ص ١٣٢ والبحار ج ٥٢ ص ٩٢ والمهدي ص ١٠١ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٤٨ قريب منه، ونهج البلاغة ج ٤ ص ٣٧ .

(٣) البحـار ج ٥١ ص ٧٢ وإعلام الورى ص ٣٩٩ وينابيـع المـودة ج ٣ ص ١٦٣ و١٦٨ والمهـدي ص ١٤٨ و٢٠٦ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦١ و٢٦٩ بلفظ آخر، ومثله في البيان ص ٥٧ وحقائق الإيمان ص ١٦٢ .

(وقال) : لا تقوم الساعة حتى يقـوم قائم للحق منّـا ، وذلك حين يـأذن الله عزّ وجلّ له . ومن تَبعه نجا ، ومن تَخلّف عنه هلك . اللّهَ اللّهَ عباد الله ، فـأتوه ولـو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله عزّ وجلّ وخليفتي ![1] .

(وقال) : المهديّ من عترتي ، من وُلد فاطمة ، يقـاتِل على سنّتي كمـا قاتلت أنـا على الوحي[2] . . (وقـال لفاطمـة عليها السلام في مرضـه الأخير بعـد أن ضـرب على منكب الحسين عليه السلام :)

ـ من هـذا مهديُّ هـذه الأمـة . . لا تـذهب الـدنيا حتى يقـوم رجـل من وُلـد الحسين يمـلأهـا عـدلاً كمـا مُلئت ظلمـاً وجَـوراً[3] . . (وقــال مشيـراً إلى الحسن والحسين عليهما السلام :)

ـ منهما مهديّ هذه الأمة[4] . (ذاك أنه من أبناء الحسن أيضاً ، لأن فاطمـة بنت الحسن هي أم الباقر. فالباقـر ومَن بعده من الأئمـة حسنيّون وحسينيّـون . . وقد رُوي أنه صلى الله عليه وآله نظر إلى سبطيه مرةً وقال :)

ـ والـذي بعثني بالحق ، إن منهمـا مهديُّ هـذه الأمة إذا صـارت الدنيـا هـرجـاً

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٦٠ ومنتخب الأثر ص ١٤٣ .

(٢) البيـان ص ٦٣ وعيـون أخبـار الـرضـا ج ٢ ص ١٣٠ قـريـب منـه، وكشف الغمـة ج ٣ ص ٢٦٧ ومنتخب الأثـر ص ١٤٣ و١٧٩ والإمـام المهـدي ص ٦٩ و١٠٦ و٢٩٦ وإلـزام النـاصب ص ٥٣ وإسعـاف الراغبين ص ١٣٣ و١٤٢ والحــاوي للفتـاوي ج ٢ ص ١٢٤ و١٤٨ و١٥٥ والغيبـة للطوسي ص ١١٤ بعضه ، والبحار ج ٥١ ص ٧٥ نصفه الأول ومثله في الملاحم والفتن ص ٦٠ و٦٨ والمهـدي المنتـظر ص ٤٣ وينـابيـع المـودة ج ٣ ص ٨٦ مـا عـدا آخـره ومثله في ص ٨٨ والمهدي ص ٧٣ .

(٣) الاختصـاص ص ٢٠٨ والبيان ص ٨٠ ومنتخـب الأثر ص ١٩٩ والمهدي ص ٥٨ وبشـارة الإسلام ص ٢٨٢ و٢٩٢ وإلزام الناصب ص ٥٢ عن الفصـول المهمة وص ٢٥٦ والبحـار ج ٥١ ص ٩١ أولـه، وعيون أخبـار الرضـا ج ٢ ص ١٣٠ قريـب منـه، وكشـف الغمـة ج ٣ ص ٢٦١ وص ٢٧٢ وينـابيع المـودة ج ٣ ص ٩٣ بلفظ آخر وص ١٦٣ عن غـاية المـرام وص ١٦٥ و١٦٧ والمهـدي ص ٥٨ .

(٤) البحـار ج ٥١ ص ٧٨ وبشارة الإسـلام ص ٢٨٠ و٢٩٢ وفي نور الأنـوار ص ١٤٣ تجد نسبَ أم الباقر عليه السلام .

مرجاً ، وتظاهرت الفتن ، وتقطّعت السُبل ، وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقّر كبيراً . يبعث الله عند ذلك منهما مَن يفتح حصونَ الضلالة ، وقلوباً غُلْفاً . يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت في أول الزمان[1] . . (وكلمتا : أول الزمان وآخره ، تَعنيان زمان الدعوة الإسلامية . . وحصون الضلالة قائمة في كل مكان . . والقلوب الغُلف كانت تعني قلوب اليهود خاصةً في القرآن الكريم ، ولكن قلوب أكثر الناس في أيامنا هذه غُلْف . . وقال :)

ـ من وُلدي اثنا عشر نقيباً : نُجَباء محدَّثون مفهَّمون ، آخرُهم القائم بالحق[2] .

(وقال) : ـ الأئمة من بعدي اثنا عشر ، تسعة من صُلب الحسين ، والتاسعُ قائمُهُم . وهم أهلُ بيتي وعترتي من لحمي ودمي[3] . .

(وقال :) ـ نحن سبعةٌ من وُلد عبد المطلب سادةُ أهل الجنة : أنا ، وحمزة ، وعليّ ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، والمهديّ[4] .

(وقال :) ـ إن لذلك الأمر (أمر المسلمين) وُلاة من بعدي : عليّ بن أبي طالب وأحدَ عشر من وُلده[5] . . (وقال لعليّ مرة وبعض أصحابه يسمعون) :

---

(١) منتخب الأثر ص ٨٥ والبحار ج ٥١ ص ٧٨ وج ٥٢ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ و٢٨٠ أوله، والبيان ص ٥٦ وذخائر العقبى ص ١٣٦ والمهدي ص ٥٦ و١٨٨ وبشارة الإسلام ص ٢٤ و٣٣ و٢١٨ و٢٨٩ والإمام المهدي ص ٧٧ ـ ٧٨ وص ٢١٥ ـ ٢١٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٥ بلفظ مختلف ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٧ بلفظ آخر .

(٢) الكافي م ١ ص ٥٣٤ ومنتخب الأثر ص ٣٣ بلفظ آخر والغيبة للطوسي ص ٩٣ عن أمير المؤمنين عليه السلام والبحار ج ٥٣ ص ١٤٢ بلفظ آخر . ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٢ عن غاية المرام .

(٣) المهدي ص ١٠٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٤ بلفظ آخر . ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٧ وفي صحيح مسلم ج ٦ ص ٣: كلهم من قريش، ومنتخب الأثر ص ٥١ و٨٢ والإمام المهدي ص ٢٢ و٢٨ و١٠٥ وإلزام الناصب ص ٦٤ بلفظ قريب .

(٤) البيان ص ٦٦ ومنتخب الأثر ص ٨١ و١٤٥ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٣ و٢٦٧ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٠ والغيبة للطوسي ص ١١٣ والبحار ج ٥١ ص ٦٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩١ والصواعق المحرقة ص ١٥٨ ـ ١٨٥ وبشارة الإسلام ص ٢٧٦ و٢٩٠ والإمام المهدي ص ٦٥ عن ذخائر العقبى، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٤ .

(٥) الإرشاد ص ٣٢٨ .

ـإنَّ خُلَفائي وأوصيائي، وحُجَجَ الله على الخَلق بعدي ، الاثنا عشر. أوَّلُهم عليٌّ ، وآخِرُهم المهديّ[1] .

(فالثاني عشر من الأئمة الأوصياء هو المهديُّ عجَّل الله تعالى فَرَجَه ، بِنَصِّ النبيِّ ﷺ الذي قال مكرِّراً : الأئمة بعدي اثنا عشر : أولهم أنت يا علي ، وآخرهم القائم الذي يفتح الله تعالى ذكْرُه على يدَيه مشارق الأرض ومغاربها . . وقال ﷺ : ـ المُقِرُّ بهم مؤمنٌ ، والمُنْكِرُ لهم كافر[2] .

(وقال :) ـ الأئمة بعدي اثنا عشر ، بعدد نُقَباء بني إسرائيل ، وبعدد الأسباط ، وبعدد حواريِّي عيسى . مَن خالفهم فقد خالفني ، ومن ردّهم وأنكرهم فقد ردّني ، ومن أحبّهم واقتدى بهم فاز ونجا ، ومن تخلّف عنهم ضلّ وهوى . فطوبى لمن احبهم ، والويلُ لمن أبغضهم[3] . . (وقال يُلفت النظرَ إلى أهمية الاعتراف بالأئمة من بعده ، والمسؤولية المترتّبة على مخاصمتهم وقطع رَحِمِه بهم :)

ـ إثنا عشر من أهل بيتي ، أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي ، وخَلَقهم من طينتي . فويلٌ للمتكبرين عليهم بعدي ، القاطعين فيهم صلتي ! . ما لَهم ؟ ! لا أنالهم الله شفاعتي ! . هؤلاء هم خُلفائي وأوصيائي ، وأولادي وعترتي . من أطاعهم فقد أطاعني ، ومن عصاهم فقد عصاني ، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني . بهم يُمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبهم يحفظ الله الأرض أن تَميد بأهلها[4] . .

---

(١) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٨ .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٧ والإمام المهدي ص ٢٣ وإلزام الناصب ص ٦٤ ومنتخب الأثر ص ٥٨ ومعاني الأخبار ص ٣٧٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٨ والمهدي ص ١٠١ وإعلام الورى ص ٣٧٠ والوسائل م ١٨ ح ٢٧ ص ٥٦٢ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٣٧٨ والغيبة للنعماني ص ٥٨ أوله، ومنتخب الأثر ص ٥٣ بلفظ آخر، ومثله في الملاحم والفتن ص ٢٧ .

(٤) منتخب الأثر ص ٣٢ وإلزام الناصب ص ٦٣ ـ ٦٤ وفي ص ٢٣٧ بتفصيل ، والبحار ج ٥١ ص ٧٣ قريب منه، ومثله في كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٧ والإمام المهدي ص ١٠٨ وإعلام الورى ص ٣٧٠ نصفه الأول، والكافي م ١ ص ٢٠٩ باختلاف يسير والمحجة البيضاء ج ١ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٥٣ .

(ثم قال بصفهم :) ألَا إنَّ أبرار عترتي ، وأطايب أرومتي ، أحكمُ الناس صغاراً ، وأعلمُ الناس كباراً . ألَا وإنّا أهلُ بيتٍ من عِلْم الله علْمُنا ، وبحُكم الله حُكْمنا ، ومن قول صادقٍ سمِعْنا . فإن تتّبِعُوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يُهلكْكم الله بأيدينا . معنا رايةُ الحق ، مَنْ تَبِعها لَحِقَ ، ومن تأخّر عنها غرق . ألَا وبنا يُدْرك تِرَةُ كل مؤمن ، وبنا تُخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا يُفتح لا بكم ، ومنّا يُختم لا منكم[1] . . (وجاء عنه ﷺ مبيِّناً من هو بالذات ، ومشيراً من طرفٍ خفيٍّ إلى أنه يولد من حادي عشر الأئمة بلا فصل ، وأنه لا يولد في آخر الزمان كما ذهب بعض محرِّفي الحق عن مواضعه :)

- إن الله عزّ وجلّ ، ركّب في صُلب الحسن (أي العسكريّ) نطفةً مباركةً زكيةً طيبةً طاهرةً مطهّرة ، يرضى بها كل مؤمن أخذ الله ميثاقه بالولاية ، ويكفر بها كل جاحد . فهو إمام تقيّ نقيّ هادٍ مهديّ . أولُه العدلُ وآخرهُ ، يَصدُق الله عزّ وجلّ ويصدِّقه الله في قوله . يكون معه صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم وصنائعهم وكلامهم وكُناهم[2] .

(وكلامهم : يعني لغاتهم . . وورد أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري :) إنّ هذا أمرٌ من أمرِ الله . وسرٌّ من سرّ الله . عِلّته مَطويّةٌ عن عباد الله . فإيّاك والشكّ فإن الشكّ في أمرِ الله كُفر ![3] .

(ودخل جابرٌ هذا على فاطمة عليها السلام ، وبين يديها لوحٌ[4] فيه أسماء الأوصياء من وُلدها ، فعدّدت اثني عشر آسماً ، آخرهم القائم ، فعرف أن الأمر حتمٌ

---

(١) منتخب الأثر ص ١٥١ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٧٤ بعضه .

(٢) إعلام الورى ص ٣٨١ وإلزام الناصب ص ٦٣ وبشارة الإسلام ص ٨ - ٩ ما عدا آخره، والبحار ج ٥٢ ص ٣١٠ باختلاف يسير .

(٣) إعلام الورى ص ٣٩٩ وإلزام الناصب ص ١٢٦ عن الصادق عليه السلام ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٩١ ما عدا آخره . وبشارة الإسلام ص ١٨ والمهدي ص ١٤٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ و١٦٤ و١٦٩ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٧ .

(٤) في مجمع البحرين ج ٥ ص ٧٨ قال الإمام الصادق عليه السلام : مصحف فاطمة عليها السلام فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات . والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، وليس فيه من حلال ولا حرام ، ولكن فيه عِلْمُ ما يكون . أنظر الغيبة للطوسي ص ٩٢ .

من أمر الله تعالى . . ومن جملة ما قرأ فيه :)

ـ قال الله تبارك وتعالى : وأعطيتُك ـ يا محمد ـ مَنْ أُخرج من صُلبه (يعني علياً) أحد عشر مهدياً كلُّهم من ذريتك ، من البِكر البتول . آخر رجل منهم أُنجي به من الهلكة ، وأهدي به من الضلالة ، وأبرىءُ به من العمى ، وأشفي به المريض ، وَلأُطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي ، وَلأُمَلّكنّه مشارقَ الأرض ومغاربَها ، وَلأُسَخّرنَ له الرياح ، ولأركُضَنّ له السّحاب ، ولأُرَقّيَنّهُ في الأسباب ، ولأَنْصُرَنّهُ بِجُندي ، وَلأُمِدَّنّهُ بملائكتي ، حتى يُعلِنَ دعوتي ، ويجمعَ الخلق على توحيدي[1] .

(وقال جابر :) دخلتُ على فاطمة بنتِ رسولِ الله ﷺ ، وبين يدَيها أَلْواحٌ فيها أسماءُ من وُلْدها . فعدَدتُ أحدَ عشر اسماً ، آخرهم القائمُ عليه السلام[2] .

(فبموجب الحديث النبويِّ الشريف نرى أنه ﷺ قد أشار بوضوح تام إلى إطالة عمر القائم عليه السلام لأنه ما كان ليخرج إلاّ في مثل هذا العصر الفضائي ، حيث تكثر الطائرات والصواريخ والمركبات الفضائية . ولا عَجَبَ إذا مَلَكَ مثلَ هذه الوسائل التي يتنعّم بها البرّ والفاجر ، ولا غروَ ان يعلوَ في الجو ، ويرقى الأسباب ، وتتسخّر له الرياح التي يركبها سائر الناس وهم يذرعون الآفاق فوق كوكبنا الأرضي ، يعاقرون المسكِرات ويرتكبون المعاصي وهم قابعون على أرائك الطائرات الوثيرة . .

ثم يزيد في التأكيد على إطالة عمره من قِبَلِ الله تعالى ، ويصارح بغَيبة له تمتدّ حتى يأذن الله تعالى ، قائلاً :)

ـ لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي . ولو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه ، لم يخرج من الدنيا حتى يظهر (أي يخرج

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٧٧ وج ٥٢ ص ٢٧٧ ما عدا آخره وص ٣١٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٠ بتفصيل ، ومثله في المهدي ص ٢٢٩ وبشارة الإسلام ص ٥ و١٢ و١٣ بتفصيل وص ٢٤٤ والإمام المهدي ص ٢١٦ ومنتخب الأثر ص ٤٢٣ و١٣٥ بلفظ آخر ، ومثله في عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٣٦ و٢٠٦ بلفظ آخر . والغيبة للطوسي ص ٩٥ وإلزام الناصب ص ٦٤ و٦٦ و٢٥١ أوله نقلاً عن البيان .

(٢) الإمام المهدي ص ٣٣٣ والبرهان ص ٧٥ وإلزام الناصب ص ٢٢٧ .

منَ الغَيبة وينتصر) فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجَوراً(١)

(وقد لبث نوح في قومه ٩٥٠ سنة بِنَص القرآن الكريم ، ولعلها فترة الدعوة والنبوّة فقط أما عُمره الكامل فهو بين ١٧٥٠ و٢٧٥٠ سنة بحسب اختلاف الأخبار التاريخية . . ثم ركّز النبيُّ ﷺ على قضيّته وأنزلَها في رأس اهتمامات دعوتِه . فقال لأمته) :

ـ لَوْ لم يبقَ من الدنيا إلا يَومٌ واحد . لَطَوَّلَ الله ذلك اليومَ ، حتى يملكَ رجلٌ من أهل بَيتي ، تجري الملاحمُ على يَدَيه ، ويَظهر الإسلام ، والله لا يُخْلِف الميعاد(٢) .

(وتطلَّعَ بثاقب بصيرته مرةً ، فنفَذ إلى ما يكون عليه أمرُ الأجيال المتعاقِبة ، فتنفَّس الصُّعَدَاء وقال ﷺ :)

ـ إلى الله أشكو المكذِّبين لي في أمرِه ، والجاحدين لقولي في شأنِه ، والمُضِلِّينَ لِأُمَّتِي عن طريقِه ! . يُبايَعُ بين الرُّكنِ والمقام ـ بجانب الكعبة أعزَّها الله تعالى ـ ويَفتح فُتوحاً فلا يبقى على وجه الأرض إلاَّ مَن يقول : لا إله إلاَّ الله(٣) .

(ونختتم بيان هويَّته الكريمة على لسان جدِّه ﷺ بقوله :) يكون لهذه الأمة اثنا عشرَ خليفة(٤) .

---

(١) منتخب الأثر ص ١٤١ وص ٢١٥ عنَ الصادق عليه السلام وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٦٥ بلفظ آخر ، ومثله في المهدي ص ٢٠٦ وفي بشارة الإسلام ص ٢٨٤ ونور الأبصار ص ١٧١ و٢٣١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦١ و٢٦٤ و٢٦٥ و٢٦٦ قريب منه ، والصواعق المحرقة ص ٩٨ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٥ والمهدي ص ٤٨ و١١٤ و١١٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٦ و١٦٤ نصفه الأول .

(٢) بشارة الإسلام ص ٥٩ و٣٥ مع زيادة ، وكذلك في ص ٢٨٦ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٣ وإلزام الناصب ص ٢٥١ و٢٥٢ وإسعاف الراغبين ص ١٣٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ و١٦٦ بتفصيل . ومثلُه في المهدي ص ٢٣٠ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٤ بلفظ قريب ، ومثله في البيان ص ٩٠ .

(٣) إعلام الورى ص ٤٠٠ نصفُه الأول، وفي منتخب الأثر ص ١٥٨ نصفُه الأخير .

(٤) مسند أحمد م ٥ ص ١٠٦ والإمام المَهدي ص ١٥ .

(وقوله ﷺ) : لا يزال هذا الدين عزيزاً . إلى اثني عشر خليفةً . كلُّهم من قريش (١) .

(وقوله :) لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقيَ منهُم اثنان ! . (٢) .

(وقوله الأخير بالتحديد :) بعدي اثنا عشر إماماً . تسعةٌ من صُلْبِ الحسين . أُمناء معصومون . ومنّا مهديُّ هذه الأمّة . ألاَ إنَّ أهلَ بيتي وعترتي من لَحمي ودَمي . ما بالُ قومٍ يؤذونني فيهم ؟ . لا أنالَهُم الله شَفاعتي (٣) .

(وقوله ﷺ الذي وجّه فيه آخِرَ إنذارٍ للناس :) مَن أَنكرَ خروجَ المهديِّ فقد كَفَرَ بما أُنزِلَ على محمد ! (٤) .

- من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أُنزل على محمد (٥) .

- مَن أَنكَرَ القائمَ من وُلْدِي أثناءَ غَيبته . مات ميتةً جاهلية ! . (٦) .

(فمن مِن الناس يُصِمُّ سَمعه عن دعوةِ رسولٍ كريمٍ لا يسأل الناسَ أجراً على هدايتهم إلى الحق ؟ ! ! !) .

قَال أمير المؤمنين عليه السلام :

(خاطَب ولدَه الحسين عليه السلام مُقسِماً) : التاسعُ من وُلْدِكَ يا حسينُ هو القائم بالحق ، والمُظْهِرُ للدين ، والباسطُ للعدل . إيْ والَّذي بعثَ محمداً ﷺ بالنُّبوّة ، واصطفاه على جميع البريّة (٧) .

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٥ والإمام المهدي ص ١٨ وصحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٥ والملاحم والفتن ص ١٣٢ وصحيح مسلم م ٢ ص ١٩١ ومسند أحمد م ٥ ص ١٠٦ .

(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٦٢ وذخائر العقبى ص ١٢ .

(٣) منتخب الأثر ص ٦٥ والإمام المهدي ص ٣٠ .

(٤) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٨ وص ١٦٢ ومنتخب الأثر ص ١٤٩ وإلزام الناصب ص ٥٩ والإمام المهدي ص ٢٩٩ نقلاً عن غاية المرام ص ٦٦٢ .

(٥) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٨ ص ١٦٢ ومنتخب الأثر ص ١٤٩ وإلزام الناصب ص ٥٩ والإمام المهدي ص ٢٩٩ نقلاً عن غاية المرام ص ٦٦٢ .

(٦) منتخب الأثر ص ٤٩٢ وفيها : مَن أنكر القائمَ من وُلْدي فقد أنكرني . وفي الاختصاص ص ٢٦٨ : مَن مات وليس له إمام يسمع له ويُطيع ، مات ميتةً جاهلية ، ومثلُه في البحار ج ٧ ص ٢٠ .

(٧) بشارة الإسلام ص ٥٢ والإمام المهدي ص ٧٩ وإعلام الورى ص ٤٠٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٧ عن الرضا عليه السلام ومنتخب الأثر ص ٤٦٧ عن الصادق عليه السلام نصفه الأول .

(وقال عليه السلام معرّفاً به :) هو في الذّروةِ من قريش . والشرفِ من هاشم ، والبقية من إبراهيم[1] ، (وأشار إليه بقوله) :

- ومن بعد الحسين تسعةٌ من صُلْبه . خُلَفاء الله في أرضه . وحُجَجُه على عباده . وأُمَناؤه على وحيهِ . وهم أئمّة المسلمين ، وقادةُ المؤمنين ، وسادةُ المتّقين ، وتاسعُهم القائم[2] .

(وقال للخليفة الثاني حين سأله عن المهديّ عليه السلام :) أما آسمُه فلا . . . إن حبيبي وخليلي عَهِدَ إليّ أن لا أُحدِّث باسمِه حتّى يبعثه الله عزّ وجلّ . وهو مما استودع الله عزّ وجلّ رسولَه في علمه[3] . . (وهذا من الدلائل على عدم جواز ذكر آسمه ، لأن النبيّ والأئمة جميعاً لم يذكروا آسمه في خبر من أخبارهم رغم كثرتها ورغم تعاقبهم على الحديث عنه في مدى مئتين وخمسة وخمسين عاماً ، وإن كانوا قد دلّونا على آسمه تلميحاً أشبه بالتصريح كمَا رأيت وترى . وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام :)

- صاحب هذا الأمر لا يسمّيه إلا كافر ![4] . (بل قد جاء هذا عن القائم عليه السلام نفسه :) ملعونٌ ملعونٌ من سمّاني في مجمع من الناس باسمي[5] ! . .

(وكتب لسفيره العَمري رضوانُ الله عليه :) مَن سمّاني في مجمعٍ من الناس ، فعليه لعنةُ الله[6] . . (وسترى سبب ذلك في مكانه . . وقد دخل عمر بن الخطاب البيت (الكعبة) أيام خلافته وقال : والله ما أدري ، أَدَعُ خزائن البيت وما فيه من السلاح والمال ، أو أقسمه في سبيل الله ؟ ! . فقال له عليّ عليه السلام :)

- إمضِ يا أمير المؤمنين ، فلستَ بصاحبه ! . إنما صاحبه منّا ، شابٌّ من

---

(١) إلزام الناصب ص ١١ .
(٢) إعلام الورى ص ٣٧٨ .
(٣) البحار ج ٥١ ص ٣٤ والإرشاد ص ٣٤٢ وإعلام الورى ص ٤٣٤ والغيبة للطوسي ص ٢٨١ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤١ .
(٤) إلزام الناصب ص ٨٢ .
(٥) البحار ج ٥١ ص ٣٣ وج ٥٣ ص ١٨٤ وإلزام الناصب ص ٨٢ .
(٦) إلزام الناصب ص ٨٢ وإعلام الورى ص ٤٢٣ .

قريش ، يَقسمه في سبيل الله في آخر الزمان ! (١) . (ومن كلامه الذي يصف فيه عظمته وعراقة أصله :)

ـ صاحب هذا الأمر من وُلْدي . . هو من ذروة طود العرب ، وبحر مَغيضها إذا وردت ، ومَخْفَوّ أهلها إذا أَتت ، ومعدن صَفْوتها إذا اكْتدرت . لا يَجْبُنُ إذا المنايا هلَعت ، ولا يَخور إذا المؤمنون اكْتُنِفت ، ولا يَنْكُلُ إذا الكُماة اصطرعت ، مشمِّرٌ مغلَولبٌ ، ظَفِرٌ ضرغامةٌ ، حَصِدٌ مخدَّشٌ ، ذَكَرٌ سيفٍ من سيوف الله ، رأسٌ قُثَمٍ ، نَشِقٌ رأسُه في باذخ السؤدد ، وغارزٌ مجدُه في أكرم المَحتِد . أوسعُكم كهفاً ، وأكثرُكم علماً ، وأرحمُكم رحماً . اللّهم فاجعل بيعته خروجاً من الغُمة ، واجمع به شمل الأمة . فلا يصرفنَّك عنه صارفٌ عارضٌ ينوص إلى الفتنة كلَّ مناص ، إذا قال فشرُّ قائل ، وإن سكت فذَرِرٌ عابر ! (٢) . (فالقائم عليه السلام كما وصفه جدُّه : مغلَولبٌ قاهرٌ لأعدائه ، ظَفِرٌ منتصرٌ على من ناوأه ، ضِرغامةٌ شجاعٌ شديد ، حَصِدٌ مخدَّشٌ : قاتلٌ ممزِّقٌ بضربه ، ذكَرٌ سيفٍ : حدُّ سيفه لا يُفَلّ ، رأس قُثَمٍ : مِعطاءٌ سخيّ ، نَشِقٌ رأسُه في باذخ السؤدد : أصيلٌ في عزّه ، غارزٌ مجدُه الداخل في أشرف أصل ! . أما من يُنكره ويصرف الناس عنه فإنه مُفتنٌ ضالٌّ إذا حكى ، وذَرِرٌ : كارهٌ للحقّ إذا سكت ! . وقد وصفه ثانيةً بعد هذا القول الذي قُدَّ من صخر ، بقولٍ كأنه فاض عن فكر عُلويّ يستلهم من وحي :)

ـ قد لبس للحكمة جُنّتها ، وأخذ بجميع أدبها من الإقبال عليها والمعرفة بها والتفرُّغ لها ، فهي عند نفسه ضالّته التي يطلبها ، وحاجتُه التي يسأل عنها . فهو مغتربٌ إذا اغترب الإسلامُ وضرب بعسيب ذَنبه وألصق الأرض بجرانه . بقيّةٌ من بقايا حُججه ، خليفةٌ من خلائف أنبيائه (٣) . . (مبيّناً أنه أثناء غيبته حائرٌ بضلال الأمة :

(١) منتخب الأثر ص ١٦٢ والملاحم والفتن ص ٥٨ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٤ والمهدي ص ٢٠٧ نقلاً عن البخاري ـ الفصل ـ ٧ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١١٤ وبشارة الإسلام ص ٥٤ والبحار ج ٥١ ص ١١٥ وفي منتخب الأثر ص ٣٠٩ بعضه .

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠٨ وشرح النهج م ٢ ص ٤٣٥ حيث قال ابن أبي الحديد : «وليس ببعيد عندي أن يريد به القائم من آل محمد ﷺ ومنتخب الأثر ص ١٥٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٤ والمهدي ص ١٨ والإمام المهدي ص ٨٤ . وشرح النهج م ٤ ص ٣٣٦ حيث قال ابن أبي الحديد : إن أصحابنا يقولون : إنه وعد بإمامٍ يملك الأرض .

فلا هو مأمور بالخروج ، ولا الأمور مستقيمة تُرضيه . يتأثّر لحال الإسلام الـذي يتمرَّغ في الأرض ولا يستـطيع النهـوض ، كـالبعير الـذي بَـرَك والصقَ صـدره بـالأرض من الجهـد ، فضرب الأرض بـذَنَبه تململاً لأنه لا يتمكن من القيام ! . وليس أجمل من هـذا الوصفِ لتخبّطِ الـدين أيام ضعفـه في نفوس النـاس . . ثم قال عليه السلام في خـطبته المشهورة بالشّقشقية :)

ـ أمَا والذي فَلق الحبة وبرأ النسمة ، لولا حضورُ الحاضر ، وقيامُ الحجّة بوجـود الناصر ، وما أخذ الله على العلمـاء (أي الأئمة) ألّا يقـارُّوا على كِظَّة ظـالمٍ ولا سغَب مظلوم ، لألقيتُ حبلها على غاربها ، ولَسَقيتُ آخـرَها بكـأس أولها ، ولألفيتم دُنيـاكم هذه أزهدَ عندي من عَفطَةِ عَنْزٍ ! (1) . (فهو ، لولا الحجة القائمة بظهور قـائم منصور من ولـده ، وبتقدير أنصارٍ لـه ينتقمون من الـظَّلَمة ، لَنَهَضَ في وجـه الظالمين ولَقَلَبَ الدنيا ظهراً لبطن ! . ولذَلك يرى نفسه غيرَ مطالَبٍ بأكثر مما فعل ، وإن كان قادراً على أن يجعل عاليَها سافِلَها . .)

قالَ الإمَام الحسَن عليه السلام :

ـ من مـات ولم يعـرف إمـام زمـانـه ، مـات ميتةً جـاهليـة ! (2) . (وورد عن الكـاظم عليه السلام مختومـاً بـ : إمامٍ حيٍّ يَعـرفـه (3) . بـل قـال سبـطه الصـادق عليه السلام من بعده :)

ـ من بـات ليلةً لا يعرف إمـام زمانـه ، مات ميتـةً جاهليـة ! ! ! (4) (فتأمَّـلْ بما للولاية من خطرٍ عند الله ! .)

قالَ الإمَام الحسَين عليه السلام :

ـ التاسعُ من وُلْدِي هو القائمُ بالحق ، يُحيي الله به الأرضَ بعد موتها ، ويظهر به

---

(1) نهج البلاغة ج 1 ص 36 .

(2) ينـابيع المودة ج 3 ص 206 والملاحم والفتن ص 138 وكشف الغمـة ج 3 ص 318 والكـافي م 1 ص 371 و377 وإلزام النـاصب ص 5 و27 وعيـون أخبـار الـرضـا ج 3 ص 58 روي في المصادر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن بعض الأئمة عليهم السلام .

(3) الاختصاص ص 268 .

(4) الغيبة للنعماني ص 62 وإلزام الناصب ص 127 بلفظ آخر .

الدين ، يُحق الحقّ ولو كره المشركون(١) .

قال الإمام زين العَابدين عليه السلام :

- لا تخلو الأرض إلى أن تقومَ الساعةُ من حُجّة ، ولولا ذلك لم يُعبد الله(٢) .

(فقد أعطى الولايةَ المفروضةَ للحُجة ، في كل زمان ، ذات الأهمية التي جعلها الله تعالىٰ لها ، والتي أعطاها إياها جدُّه الأعظم صلى الله عليه وآله وآباؤه وأبناؤه . . ثم قطع الطريق على ضلالات التفكير ولَقلقات الألسنة ، وحسمَ موضوع الخوض حول الولاية للحُجّة على الخلق بقوله :) .

- الإمامُ - المنصَّب من الله طبعاً - لا يكون إلا معصوماً . وليست العصمة في ظاهر الخِلقة فيُعرف بها ، ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً(٣) . (ودليلُ صدقِ هذا القول الذي هو زينٌ في الأقوال كزَين العابدين عليه السلام في الرجال ، أن ما تقرأه في هذا الموضوع عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وعن أصحابه (رض) كلّه نصوصٌ صريحة على القائم المنتظَر في آخر الزمان . . ثم قال :)

- إنَّ الله تعالى أعطانا الحلْمَ والعلْمَ والشجاعةَ والسخاوةَ والمحبَّةَ في قلوب المؤمنين . ومِنّا رسولُ الله ، ووصيّه ، وسيّدُ الشهداء ، وجعفر الطيّار في الجنّة ، وسِبْطا هذه الأمّة ، والمهديّ(٤) . (وكان غيرَ متَبجِّح بقوله ، بل متحدِّثاً عن مواهب الله تعالى لهذا البيت الكريم الذي شرّف الله مَنْبَتَه ! .)

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

- . . إياك وشذّاذاً من آل محمد (أي ممن يدّعون المهدويّة) فإن لآل محمد وعليٍّ رايةً ، ولغيرهم رايات . . فالْزم الأرض ولا تتّبع منهم رجلاً أبداً حتى ترى رجلاً من وُلْد الحسين معه عهد نبيٍّ ورايته وسلاحه(٥) . . (فقد حذّر من مدّعي

---

(١) إعلام الورى ص ٣٨٤ .

(٢) منتخب الأثر ص ٢٧١ والبحار ج ٥٢ ص ٩٢ عن الصادق عليه السلام .

(٣) معاني الأخبار ص ١٣٢ .

(٤) منتخب الأثر ص ١٧٢ .

(٥) البحار ج ٥٢ ص ٢٢٤ وإلزام الناصب ص ١٧٦ وإعلام الورى ص ٤٢٧ بعضه ، ومثله في =

المهدويّة ، ثم عرّفه بذاته وبعلامةٍ ما يَحملُه . . وقال عليه السلام معيّناً كونه ثاني عشر الأئمة) : منّا اثنا عشر محدَّثاً ، السابع من وُلدي القائم [1] .

(وقال :) يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي ، تاسعُهم قائِمُهُم [2] .

(وقال :) أنظروا إلى من لا يدري الناس (أي العامة) أُوُلِدَ أم لا ، فذاك صاحبُكم[3] . .

(وقال يوضح شيئاً جديداً من هويّته) : هو ابنُ سيِّدة الإماء [4] .

(وسترى شأن والدته العظيمة في موضوع : ولادته . . ثم قال :) إنّ الأرض لا تخلو إلاّ وفيها عالِمٌ منّا . فإن زاد الناسُ قال : زادوا ، وإن نقصوا قال : قد نقصوا . ولن يُخرِجَ الله ذلك العالِمَ (أي يقبضه إليه) حتى يرى في وُلده من يَعلم مثلَ عِلْمه [5] . (أي إذا زاد الناس في ممارسة الحلال والحرام دلّهم على الصواب ، وإذا أنقصوا حدّاً من الحدود دلّهم على وجهه الصحيح . . وقال :)

ـ لو بقيتِ الأرضُ بغير إمامٍ لَساخَتْ بأهلها ! . وإنَّ الله تبارك وتعالى جعَلنا حُجّةً في أرضه وأماناً في الأرض لأهلِ الأرض [6] .

(ولا تمضِ مع العَجب من سيَخان الأرض فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال من قبله) : لا يزال هذا الدِّينُ قائماً إلى اثني عشر من قريشٍ . فإذا مَضَوا ساختِ الأرضُ

---

* الملاحم والفتن ص ٩٩ وفي بشارة الإسلام ص ١٠٣ بعضه .
(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٧ وَالمُحَدَّثُ هو الذي يُلقي أحدُ الملائكة في ذهنه ما ينبغي أن يقولَه .
(٢) الغيبة للنعماني ص ٧ و٤٦ والإرشاد ص ٣٢٨ .
(٣) البحار ج ٥١ ص ١٣٩ و٣٤ بلفظ قريب ، والغيبة للنعماني ص ٨٧ ومنتخب الأثر ص ٢٨٨ : أنظروا مَن تخفى على الناس ولادته . . . والكافي م ١ ص ٣٤٢ بلفظ قريب .
(٤) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ و١٦٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٧٩ و٢٨٣ والاختصاص ص ٢٨٩ وإعلام الورى ص ٤٠٨ وإلزام الناصب ص ٥٣ والإمام المهدي ص ٨٠ .
(٥) الغيبة للطوسي ص ١٣٤ وإلزام الناصب ص ٤ عن الصادقين عليهما السلام وفي الكافي م ١ ص ١٧٨ و١٧٩ بلفظ آخر .
(٦) إلزام الناصب ص ٤ و٢٤٥ والغيبة للنعماني ص ٦٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٤٨ بلفظ قريب ، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢١٢ والغيبة للطوسي ص ١٣٢ والكافي م ١ ص ٧٩ بلفظ آخر .

بـأهلها[1] . (فـإن سَيَخانَ الأرض بـأهلها لـولا وجود الحُجـة ، حديث يَصدم أذهانَ البُسَطاء لأوّل وهلة ، إذ يغيب عن البال أن وجودَه ودعاءَه الدائمَ إلى الله أن يرفع البلاءَ عن النـاس ، وأن لا يأخـذهم بذُنـوبهم ، يمنع عنهم نـزولَ العذاب الـذي كان ينـزل بالأمم السابقة ، كالخسـف ، والصواعق ، والفيضانـات ، وريح السَّمـوم ، وغير ذلـك من الآيات المُهلكة التي تُعبِّر عنها الأخبـارُ بِسَيَخان الأرض . وقـد رُوِيَ هذا بلفـظه عن الإمام الصادق ﷺ . ثم قال أبوه ﷺ :)

ـ من المحتوم الّذي حتمه الله ، قيامُ قائِمنا . فمن شكَّ فيما أقـول ، لَقِيَ اللّهَ به وهو كافرٌ ، وله جاحد[2] .

(وقال أيضاً :) من أصبحَ من هذه الأمّة لا إمامَ له من الله ، أصبحَ تائهاً متحَيِّراً ضالاً ، وإن مات على هذه الحال مات ميتةَ كُفرٍ ونفاق[3] ! .

(وقـد سُئل يـوماً :) ـ هـل معرفـة الإمـام منكم واجبةٌ على جميـع الْخَلق ؟ . فقال : إنّ الله عزّ وجـلّ بعث محمداً إلى النـاس أجمعين رسولاً لله وحجـةً على جميع خلقـه في أرضه . فمن آمن بـالله وبمحمد رسـول الله ، واتّبعه وصـدّقه ، فـإن معرفـة الإمام منّا واجبـةٌ عليه ؛ ومن لم يؤمن بـالله وبرسـوله ولم يصـدّقه ، ويعـرف حقهما ، فكيف يجب عليه معرفةُ الإمام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعـرف حقَّهما ؟ . لا والله ، مـا أُلهمَ المؤمنين حقّنا إلا اللّهُ عزّ وجـلّ . . (ثم قـال في تـأويـل الآيـة الكـريمـة : ﴿ . . يَجِـدُونَهُ مَكْتُـوباً عِنْـدَهُمْ في التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ ﴾ : يَعْني النبي ، والـوصي ، والقائم ، يأْمُرُهُمْ بِالمعْرُوفِ إذا قام وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ[4] . . وقيل له :)

ـ إنكم أهـل بيت رحمة ، اختصّكم الله تبـارك وتعالى بهـا . فقـال : كـذلـك ، والحمد لله ، لا نُدخل أحداً في ضلالة ، ولا نُخـرجه من هـدى . إن الدنيـا لا تذهب

---

(١) إلزام الناصب ص ٧٨ .

(٢) البحـار ج ٥١ ص ١٤٠ والغيبـة للنعمـاني ص ٤١ والإمـام المهـدي ص ٩٠ عن كشف الغمـة والوسائل م ١٨ ح ٣٢ ص ٥٦٤ .

(٣) الوسـائل م ١٨ ح ٣٧ ص ٥٦٥ .

(٤) الأعراف ـ ١٥٧ راجع الكافي م ١ ص ١٨١ و٤٢٩ .

حتى يبعث الله رجلاً منّا أهل البيت ، يعمل بكتاب الله ، لا يرى منكراً إلا أنكره[1] .

(وقد حذر بعضَ أصحابه مرةً في حديثٍ طويل قائلاً :) . . ومَن أبغضَنا وردَّنا أو ردَّ واحداً منّا ، فهو كافرٌ بالله وبآياته[2] . (وقال لجماعةٍ من أصحابه ظنّوا أنه القائم بالأمر :)

ـ يزعمون أني المهدي ، وإني إلى أَجَلي أدنى مني إلى ما تدّعون[3] . (أي أنه قارب نهاية عمره الشريف ، لأن القائم عليه السلام يظهر وهو أقرب إلى سن الشباب منه الآن . . ثم سئل ثانية : هل هو القائم ؟ . فقال :)

ـ كيف أكون أنا وقد بلغت خمساً وأربعين سنة ؟ . إن صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللّبن مني ، وأخف على ظهر الدابة[4] . .

(ولجوابه مفهومان : أحدهما بسيط ربما كان قد فهمه سائلُه يومئذ ، والثاني يفهمه أهل هذا العصر على صعيد موضوعيّ جديد ما كان ليتسنى لغيرهم من القدماء فهمُه . فالقائم يخرج وكأنه أصغر سنّاً من جده الباقر كما رُوي متواتراً .

ولكنه ليس أخف على ظهر الدابة من حيث خفّة الوزن وحجم الجسم ، بل من حيث معنى لفظة : الدّابة ، حين نفسره تفسيراً يلائم عصر ظهوره ، ويلائم تطور وسائل النقل فيه . . فالدابّة ـ اليوم ـ أقوى في النهوض وأسرع في السير وطيّ المسافات ، ابتداءاً من السيارة وذهاباً إلى الطائرة التي تحمل مئات الأطنان ولا تُحس بوزن جسم الإنسان كوسيلة للركوب . وهي هي الدابّة المقصودة التي بكون أخفّ على ظهرها .

ومن ضيق التفكير أن نقف عند حرفية الألفاظ ، بل من الجمود الأكيد أن نبقى نفكر بمستوى مَن سمع هذه الألفاظ منذ ألف ومئات السنين مع سهولة وسائل التفسير ويُسر عناصر الشرح والتقريب في أيامنا هذه . . وصحيح أن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته

---

(1) البحار ج ٥١ ص ١٤١ و٣٧٨ وبشارة الإسلام ص ٢٤٦ .

(2) الوسائل م ١٨ ح ٢٩ ص ٥٦٣ .

(3) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٨ .

(4) الكافي م ١ ص ٥٣٦ وإلزام الناصب ص ٢٢٩ ما عدا آخره .

جميعاً قد حدّثوا غيرنا ، وحدّثوهم عن زمانِنا ، تماماً كما خاطب القرآن الناس كل الناس في مختلف الأزمنة والأمكنة ، فمثل لفظة : الدابّة ، جاءت في القرآن الكريم لفظةَ : الأنعام ، التي فهمها أهل الزمن القديم دوابٌ نأكل من لحمها ، وننتفع بركوبها : كالغنم والمعز والبقر والخيل والبغال والحمير وغيرها . ولكن القرآن الكريم ذكرها وذكر شيئاً يلفت النظر إلى ما يشبهها ويقوم مقامها في مجال الركوب والنقل ، مما يُتيح لنا أن نفسّر الآيتين الكريمتين التاليتين تفسيراً جديداً ، حيث قال الله تعالى :

﴿ وَالْخَيْلَ - أي خلقها - وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ، وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ، وَمِنْهَا جَائِرٌ ، وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

فما معنى : ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ ؟ . ومعنى : ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ ؟ . ثم ما معنى: ﴿ ومنها جائر ﴾ ؟ . وأخيراً ما معنى : ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ في سياق الخلق والكشف عمّا يَخلق ؟ .

لقد هداني الله تعالى إلى تفسير هاتين الآيتين تفسيراً موضوعياً لم يتسنّ لمن سبقني إيراد مثله لتعذّر وسائل الشرح والإيضاح . فقد قال تبارك وتعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ ﴾ : أي يوجد بهدايته وقدرته مَا لاَ تَعْلَمُونَ له آسماً ولا رسماً ولا شكلاً من وسائل الركوب ، كالسيارات والطائرات بأنواعها ، وكجميع وسائل النقل الحديثة التي يتوفّر بها قَصْدُ السَّبِيلِ .

وقصدُ السبيل هنا ، هو تقصير الطُرق وتسهيلها وتقريبها ، وذلك من قوله عزّ وجلّ : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ (٢) . يعني : لو كان سفر المنافقين معك قاصداً أي سهلاً قريباً لَنهضوا معك ، ولكن بعُدت عليهم المسافة وتصوروا المشقة والتعب . وهو أيضاً من قول أهل اللغة : قَصَدَ في الأمر : ضد أفرط ، وقصد في سيره : مشى مستوياً . . ولا يكون ذلك إلا بواسطة السرعة التي تقصّر وتسهّل وتمتاز بها وسائل النقل الحديثة أي - دوابُ وأنعامُ - هذا العصر التي إذا مشت على الأرض تدب على أربع ككل دابة .

---

(١) النحل - ٨/٩ .

(٢) التوبة - ٤٢ .

ولكن وسيلة الركوب هذه التي وعد الله تعالى بخلقها : مِنهَا جَائِرٌ : أي هادر ، صارخٌ ، له جؤآر ينبعث من المحرِّكات الضخمة التي تنفث الحمم ، وذلك من جأرَ : أي رفع صوته وضجّ ، ومن الجأآر : الضخم ، ومن الجؤار : رفْع الصوت . . ولولا الإشارة إلى ذلك لما كان لهذه العبارة من مكان حين أقحمها الله تعالى في الآية . . ثم ذكر تعالى آسمه أنّ خلْق ذلك متأخر عن زمن نزول الآية بدليل قوله تعالى :

﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ . . فلم يهدهم . ولكنه هدى من جاء بعدهم بمشيئته . . يدل على ذلك المعنى الكامن في لفظة : وَيَخْلُقُ ، التي تدل على وقوع ذلك بعد نزول الآية ، والتي فيها معنى الاستقبال لحدوث الأمر .

هذا وقد ظهر الارتباك والتشويش على كل مفسِّر عرض لهاتين الآيتين ، حتى أن بعضهم أهمل تفسير بعض ألفاظهما عن غير تقصير في الجهد ، بل عن قصور في وسائل البيان والإيضاح . . وبحسب ما ذكرنا يكون معنى قوله عزّ وجلّ باختصار :

خلق لكم الخيل و البغال والحمير لتركبوها ، وزينة ، ويخلق فيما يأتي مراكبَ تقصِّر لكم مسافات الطرق ، ومما يكون لها هدير وجؤار وصوت مزعج ، والحمد له وحده على هدايته . .)

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

- إذا توالت ثلاثة أسماء : محمد وعليّ والحسن ، كان رابعهم القائم [1] .

(وهذا هو الواقع المعتبر عندنا : فقد توالت أسماء محمد الجواد ، وعليّ الهادي ، والحسن العسكري عليه السلام والرابع هو القائم عجّل الله تعالى فرجه . . وقد وردَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مثلُه بلفظ :)

- إذا توالت أربعةُ أسماءٍ من الأئمة من وُلْدِي : محمدٌ ، وعَليٌّ ، والحسنُ ، فرابعُها هو القائمُ المنتَظَر[2] . (وقال :) هو من وُلدي ، وَلَدَهَ يزدجرد بن شهريار[2] . (وذلك من قِبَل عليّ بن الحسين عليه السلام الذي أمه شهر بانوه بنت الملك كسرى

---

(١) منتخب الأثر ص ٢٤٢ والبحار ج ٥١ ص ٣٨ و١٤٣ وإعلام الورى ص ٤٠٣ والغيبة للطوسي ص ١٣٩ - ١٤٠ وإلزام الناصب ص ٦٧ .

(٢) الملاحم والفتن ص ١٦٦ والبحار ج ٥١ ص ١٦٤ .

يـزدجرد ، التي لمـا خُيِّرت بين خـاطبيهـا لم تختـر سـوى الحسين عليه السلام [1] . . وقـال عنه :)

ـ هـو الـذي يشـك النـاس في ولادتـه ، فمنهم من يقـول : حُمِـلَ (أي حملتـه الملائكة ورفعته إلى السماء) ومنهم من يقـول : مات ، ومنهم من يقـول : مات أبـوه ولم يخلِّف ، ومنهم من يقول : وُلد قبل موت أبيه بسنين [2] .

(والقـول الأخير هـو قولنـا اليقين . . وقـال :) ـ إن الله أوحى إلى عمـران أنّي واهبٌ لك ذكراً سويّاًمباركاً يبرىء الأكمه والأبـرص ويحيي الموتى بـإذن الله ، وجاعلُه رسولاً لبني إسرائيل ، فحدّث عمـران امرأتـه بذلـك وهي أم مريم . فلمـا حملت كان حملُها بها عند نفسها غـلام . ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَـا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَـا أُنْثَى . وَلَيْسَ الـذَّكَـرُ كَـالأُنْثَى ﴾ [3] ، أي لا تكـون البنت رسـولاً . يقـول الله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾[4] . فلما وهب الله لمريم عيسى كان هو الذي بشّر به عمران ووعده إياه . فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً فكان في وُلْـده أو وُلدِ وُلـدِه فلا تُنكروا ذلـك [5] . (يعني أن الأنبيـاء والأوصياء قـد يتكلمون عن بعض الأمـور على وجه التلميح وعلى أسـاس المحوِ والإثبات إذا اقتضت المصـالح ، فيظهـر خـلاف مـا يـظنـه الـذين لا يعلمـون المقصـود البعيد الـذي قـد يكـون مشـروطـاً أو مقيّـداً . فمن ذلـك مـا قـالـه الصـادق نفسه عليه السلام لبعض أصحابه :)

ـ الخلَفُ الصـالحُ من وُلـدي هو المهـديّ ! [5] . (ومن أين لنـا أن نحـلّ هـذا اللغز . ونعرف أنـه عنَى ولده السـابع ؟ . كمـا أنه من أين لنـا أن نعرف أن الله تعـالى عَنَى بالذكر الذي يَهبُه لعمران سيكون ابن بنتِه مريم عليها السلام ؟ . ثم قال :)

---

(١) أنظر ينابيع المودة ج ٣ ص ٢٥ وغيره من المصادر .
(٢) منتخب الأثـر ص ٥٠١ والبحـار ج ٥٢ ص ٩٣ وإعـلام الـورى ص ٤٠٥ وإلـزام النـاصب ص ٨٠ . .
(٣) آل عمران ـ ٣٦ راجع البحار ج ٥٢ ص ١١٩ وإلزام الناصب ص ٢٠ .
(٤ ـ ٥) آل عمران ـ ٣٦ راجع البحار ج ٥٢ ص ١١٩ وإلزام الناصب ص ٢٠ .
(٦) منتخب الأثر ص ٢١٤ والمهدي ص ٦١ .

ـ من أنكر واحداً من الأحياء فقد أنكر الأموات ! [١] . (وهو يقصد أن منكري وجود الإمام الحي الغائب هم منكِرون لآبائه الماضين من الأئمة باعتبار أنهم ردّوا عليهم قولهم ولم يصدّقوا وعدهم به . . وقد فسّر هذا الحديثَ قوله عليه السلام :)

ـ من أقرّ بجميع الأئمة ثم جحد المهديّ كانَ كمن أقرّ بجميع الأنبياء وجحد محمداً صلى الله عليه وآله . ألمهدي يغيب شخصه ولا يصح لكم تسميته ! [٢] . (ذاك أن الجحود بالمهدي هو فعلاً إنكار لواحد من الأئمة الذين هم أثنا عشر إماماً ، وردٌّ لكلام جميع الأئمة فيه ، فضلاً عن ردّ كلام جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله) .

قال الإمَام الكاظِم عليه السلام :

ـ يخفَى على الناس ولادتُه ، ولا يحلُّ تسميتُه حتى يُظهره الله عزّ وجلّ [٣] .

قال الإمام الرّضا عليه السلام :

يبعث الله عزّ وجلّ لهذا الأمر رجلاً خَفِيَّ المولد والمنشأ ، غير حفيٍّ في نسبه ونفسه [٤] .

(وقال :) الرابعُ من وُلْدي ، ابنُ سيدة الإماء ، يطهِّر الله به الأرض من كل جَور ، ويقدِّسها من كل ظلم . وهو الذي يشكُّ الناسُ في ولادته ، وهو صاحبُ الغيبة قبل خروجه . فإذا خرج أشرقت الأرضُ بنور ربِّها ، ووضع الميزان بالعدل بين الناس فلا يظلم أحدٌ أحداً . وهو الذي تُطوى له الأرضُ ، ولا يكون له ظِلّ [٥] . .

(وقد رُويَ هذا عن الإمام الصادق عليه السلام وزاد : إن الأوصياء لَتُطْوَى لهم الأرض ويَعلمون ما عند أصحابهم [٥] . وستُطْوَى الأرضُ لصاحب هذا الأمر عليه السلام بتقصير

---

(١) الغيبة للنعماني ص ٦٣ والكافي م ١ ص ٣٧٣ عن الكاظم عليه السلام .
(٢) إعلام الورى ص ٤٠٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٣ والبحار ج ٥١ ص ١٤٣ وإلزام الناصب ص ٦٧ .
(٣) إلزام الناصب ص ٨٢ والبحار ج ٥١ ص ٣٢ .
(٤) منتخب الأثر ص ٢٨٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٤ وفي الغيبة للنعماني ص ٨٨ عن الصادق عليه السلام .
(٥) إعلام الورى ص ٤٠٨ وبشارة الإسلام ص ١٦١ ومنتخب الأثر ص ٢٢٠ وإلزام الناصب ص ٥٣ والمهدي ص ٩٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ والإمام المهدي ص ٩٢ عن الجواد عليه السلام وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ و١٦٤ والاختصاص ص ٣١٦ وغاية المرام ص ٦٦٦ .

المسافات كما يجري لنا حين نسافر بالسيارة أو الطائرة مثلاً ، إذا لم يكن له خاصةً منحةٌ من القدرة الإلَهية غير هذه . أما كيف لا يكون له ظلّ فذلك لأحد أمرين : إمّا لأنه تُظَلِّله غمامة كجدِّه النبيِّ الأعظم ﷺ ـ كما ورد في الأخبار ـ وإما لأن ظله يتلاشى حينما يطوي الأرض بالسرعة العجيبة ، فإن أضخم طائرة نفّاثة يتلاشى ظلها متى ارتفعت واندفعت في الأفق الواسع لشدَّة بُعدها وارتفاعها ، وكلاهما غيرُ عَجيبٍ ولا غريبٍ عليه . . فتأمَّل بالتسهيلات التي ذكروا أنها تتوافر للقائم ﵇ والتي تحدَّث عنها آباؤه منذئذٍ ! . ثم فكِّرْ في حديثهم عن أُمِّهِ التي كانت لم تولد بعدُ في روما من أرض أوروبا ، وعن ولادته المستورة التي ستقع بعدهم بزمنٍ طويل . . فكِّر ثم احكُم بميزانٍ مستقيمٍ ، وبضميرٍ حيٍّ غير منحرف . . ونحن راضون بحكمك في الموضوع . .

وقد قال لدعبل الخُزاعيِّ الشاعر يومَ قرأ عليه تائيَّته المشهورة :) ـ الإمام بعدي محمدٌ ابني ، وبعده عليٌّ ابنُه ، وبعد عليٍّ ابنُه الحسن ، وبعد الحسن ابنُه القائم ، المنتظَر في غَيبته ، المُطاعُ في ظُهوره . . وأما متى يقوم فإخبارٌ بالوقت . لا يُرى جسمُه ولا يُسمَّى باسمه [1] . . (وسترى كيفيَّة تعذُّر رؤيته في فصلٍ آتٍ من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .)

قال الإمَام الجوَاد ﵇ :

ـ إنَّ القائم منَّا هو المهديُّ الذي يجب أن يُنتَظر في غيبته ، ويُطاع في ظهوره ، وهو الثالثُ من وُلْدي [2] . (فلا قائمَ من الأئمة ﵈ يطلب الخلافة بالسيف سواه . وسيُطاع في ظهوره بقوَّة سيف الحق الذي تهزُّه يمينُه المباركةُ المسدَّدةُ من الله تعالى ، فيبسط العدلَ بعدَ الظُّلم هذا المُحيق بالإنسانية . . وقال :)

ـ إذا مات ابني عليٌّ ـ أي الإمام الهادي ـ بدا سراجٌ بعده ثم خَفي . فويلٌ

---

(١) الإمام المهدي ص ٢٧٩ و٩٢ والفصول المهمة ص ٢٣٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٥ و١٣٨ وإلزام الناصب ص ٦١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٥ وفي الكافي م ١ ص ٣٣٢ نصفه الأخير ، ومثله في منتخب الأثر ص ٢٦٢ .
(٢) إعلام الورى ص ٤٠٨ وإلزام الناصب ص ٦٨ .

للمرتاب . وطوبَى للغريب الفارّ بدينه (1) ! . (يعني أن الويل للشاكّ بِبُدوّ السراج الذي هو خليفتُه العسكريُّ ﷺ وبِخفاءِ سراجٍ آخر إذا غيَّبه القدَر . فكأنّه قال : بدا سِرَاجٌ هو العسكريُّ ﷺ ثم خَفِيَ سراجٌ هو القائمُ المنتظَر ﷺ . . وقد عرَّفه بوضوحٍ حيث قال :)

ـ هو سَمِيُّ رسول الله وكَنِيُّه ، وهو الذي تُطْوَى له الأرضُ ، ويذلُّ كلُّ صعب (2) . . (وطَيُّ الأرض وتذليلُ الصعب صارا مَيْسورَين في عصرنا هذا بسبب وجود وسائل النقل السريعة الهائلة ، أُضِفْ إليها اللاسلكيُّ والهاتف والتلكس والأقمار الصناعية وغيرها . . فانظر في هذا الحديث الشريف وهذا التصريح الواثق يَصدُر عن إمامٍ لنا عاش قبل عصرنا الحاضر بألفٍ ومئتي سنة ، ثم فكّر فيه مليّاً . .

وقال له أحدُ أصحابه وكان متشرِّفاً بخدمته : إني لأرجو أن تكون القائمَ من أهل بيت محمد ﷺ فقال :)

ـ ما مِنّا إلاّ قائمٌ بأمر الله عزّ وجلّ ، أو هادٍ إلى دِينه . ولكنّ القائمَ هو الذي يخفى على الناس ولادتُه ، ولا يغيب شخصُه (3) . (أي لا يغيب عن الحضور في كل مكانٍ وإن كان لا يُرى) .

قالَ الإمام الهَادي ﷺ :

ـ أَلْخَلَفُ من بعدي آبني الحسن . فكيف بكم بالخَلَف بعد الخَلَف ؟ ! .
قيل : ولِمَ جُعِلْنا فِداك ؟ . قال : لأنكم لا تَرَونَ شخصه ، ولا يحلُّ لكم ذكرُ آسمِه .
فقيل له : كيف نَذكره . . قال : قولوا : الحُجّة من آل محمد (4) .

---

(1) الغيبة للنعماني ص ٩٨ والبحار ج ٥١ ص ١٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٦٤ .
(2) البحار ج ٥٢ ص ٢٨٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٤ بلفظ قريب .
(3) البحار ج ٥١ ص ٣٣ وإلزام الناصب ص ٦٨ .
(4) منتخب الأثر ص ٢٢٦ و١٢٧ والغيبة للطوسي ص ١٢٢ وإعلام الورى ص ٤١٠ والبحار ج ٥١ ص ١٥٨ وإلزام الناصب ص ٦٩ و٨٢ والكافي م ١ ص ٣٣٢ بلفظ آخر ، والإمام المهدي ص ٩٣ .

قال الإمَام العَسكري ﷺ :

ـ كأني بكم وقد اختلفتم من بعدى بالخَلَف مني . ألا إنّ المُقِرّ بالأئمة بعد رسول الله ﷺ المُنكِرَ لِوَلَدي ، كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورُسُله ثم أنكرَ نبوّة رسول الله ﷺ لأنّ طاعةَ آخرِنا كطاعة أوّلنا ، والمُنكِر لآخرنا كالمُنكِر لأوّلنا [١] .

(وقد رُويَ قريبٌ منه عن النبي ﷺ وتقدم ما يشبهه عن الصادق ﷺ أيضاً وقد قال العسكريّ ﷺ لأحد السجناء معه في حبس المعتضد العباسيّ قبل ولادة المهدي بقليل :

ـ إني واللهِ سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً [٢] . . (قالها لا على سبيل التسلية وتقطيع الوقت مع قرينه في السجن ، بل ليبلّغ الحاضرُ الغائب ، وليكون قولُه هذا إعلاناً يذيعه هذا السجين أمام أصحاب العسكريّ وأمام أعدائه على السواء . .)

قال الحجّةُ المنتظر ﷺ :

(جاء في كتاب لسفيره الأول رضوان الله عليه :)

ـ . . وَلْيعلموا أن الحق معنا وفينا ، لا يقول ذلك سوانا إلاّ كذّاب مفترٍ ، ولا يدّعيه غيرنا إلاّ ضالٌ غويّ . فلْيَقْتَصروا منّا على هذه الجملة دون تفسير ، ويقنعوا من ذلك بالتعريضِ دون التصريح إن شاء الله [٣] . . (وقد قَرُب التفسير . . وسيكون التصريح لغةً واضحة على شَفْرَتَي سيفك الذي يحطّم صُلب الظلم في الأرض يا سيدي ! .) .

قالَ ابنُ عبّاس :

ـ لا تمضي الأيام والليالي حتى يليَ منّا أهلَ البيت فتًى لم تلبسه الفتن ولم يلبسها . قيل : يا ابنَ العبّاس ، يعجز عنها مشيختُكم ، وينالها شبابُكم ؟ ! . قال :

---

(١) منتخب الأثر ص ٢٢٦ والبحار ج ٥١ ص ١٦٠ وإعلام الورى ص ٤١٢ .

(٢) نور الأبصار ص ١٦٧ والغيبة للطوسي ص ١٢٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٣ والإمام المهدي ص ٢٧٨ .

(٣) البحار ج ٥٣ ص ١٩١ والإمام المهدي ص ٢٥٨ .

هو أمر الله يؤتيه من يشاء [1] . .

(وقال :) ـ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : أنا وعليٌّ والحسنُ والحسين وتسعةٌ من وُلْدِ الحسين ، مطهَّرون معصومون [2] .

قال كعبُ الأحبار :

ـ إني لأجد المهديَّ مكتوباً في أسفار الأنبياء : ما حُكمه ظُلم ولا عَنَت [3] .

(أي : فساد . وقال :) ـ المهديُّ مذكورٌ في التوراة والإنجيل . الأمم كلها مُجمِعة على خروج مخلِّص للبشرية من الظلم والعسف ، حتى أن من شك بذلك فقد كفر . وإنه هو بذاته وصفاته لَمكتوب في جميع أسفار سائر الأنبياء . وما أشكل على الناس في ذلك فلا تشكل عليهم ولادته من رسول الله ، ووراثته العلماء من الأئمة عليهم السلام عالِماً بعد عالِم [4] .

قالَ البخاريّ : (المعروف بخواجة بارسا) :

ـ إن الأحاديث في صاحب الزمان ، الغائب عن العيان ، الموجودة في كل الأزمان ، كثيرة متضافرة . وأصحابه قد خلصوا من الريب وسلِموا من العيب ، وأخذوا بطريق الهداية ، وسلكوا من طريق الحق إلى التحقيق . وبه خُتِمت الخلافة والإمامة ، وهو إمام منذ وفاة أبيه إلى يوم القيامة ، يدعو الناس إلى مِلّته ، وهي مِلّة النبي ﷺ [5] . (فهل أوضح وأصرح وأفصح من ذلك ؟ ! !) .

قال الشيخ محي الدين بن العربي :

ـ هو من عترة رسول الله ﷺ من وُلْد فاطمة . جدُّه الحسينُ بنُ عليّ . ووالدُه الحسنُ العسكريُّ [6] .

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٨ و١٥٨ والملاحم والفتن ص ١٤٧ وفي منتخب الأثر ص ١٦٣ ـ ١٦٤ تجده مع نقاش جرى مع معاوية بن أبي سفيان بشأن المهدي ، هو جدير بالاطّلاع عليه .

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠١ .

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٩ والملاحم والفتن ص ٩٦ والمهدي ص ٧٥ و٢٢٥ نقلاً عن عقد الدرر ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٣ والإمام المهدي ص ٩٧ .

(٤) بشارة الإسلام ص ١٠٣ وفي البحار ج ٥٢ ص ٢٣٩ قسمه الأخير عن الباقر عليه السلام ومثله في الغيبة للنعماني ص ١٥١ وكذلك في المهدي ص ٢٢٦ .

(٥) الإمام المهدي ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ذكره بتفصيل نقلاً عن البرهان ص ٦٧ .

(٦) إلزام الناصب ص ١٧٣ نقلاً عن الفتوحات .

فمن هوَ هذا المنتظَر ؟

نعم ، من هو المعنيُّ بهذه الأقوال ؟ .

وهل تخوننا الجرأة إذا أردنا أن ندل عليه ، ونميِّزه من غيره ؟ . .

لا ، ولكننا نقول قبل ذلك : إن المسلمين لم يتعوّدوا الشك ولا الطعن في قول ثبت صدوره عن النبيِّ ﷺ والأئمة من بَنيه . ولم يدرجوا إلا على تصديق ما يقولون ويصح عنهم ، لأن محمداً ﷺ لا ينطق عن الهوى ، ولأن الأئمة ينقلون عنه بأمانةٍ مثلُها أمانةُ جبرائيل عليه السلام في نقله عن ربه عزّ وعلا . . وهؤلاء كلهم كانوا يُنذرون بالحوادث والأحداث ، ويصفون علاماتها حتى لَكَأنَّ المتتبِّع لها يضع إصبعه عليها حين تحدث . أو كأن النبيَّ والأئمة كانوا ـ حين يتكلمون عن ظهر الغيب ـ تنحسر أمامهم الحُجب فينظرون ويصفون كمن يرى الأحداث ويعيشها ويحيا مشاهدها سواءً بسواء . . وما أكثر ما حكَوا لنا في هذا الموضوع ! . بل ما أكثر ما وعدونا به ، فكان الأمر كما حكَوا وكما وعدوا . ثم ما أكثر الوقائع الفردية والجماعية التي بسطوها للناس قبل أوانها ، فكانت كما بسطوا ووقعت كما رَوَوا . .

أفلا ترى أن من أطاع الله أربعين يوماً تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه ، كما هو المرويّ ؟ ! . فكيف بمن كانوا مسدَّدين مؤيَّدين ، محدَّثين مفهَّمين ، لا ينطقون إلا بما يصدرون فيه عن رسول الله عن جبرائيل عن الله ؟ ! . وقد قال إمامنا الصادق عليه السلام :

ـ إنه مَن أتى البيوت من أبوابها اهتدى ، ومن أخذ غيرها سلك طريق الردى . وقد وصل اللّهُ طاعةَ وليِّ أمره بطاعة رسوله ﷺ وطاعةَ رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعةَ ولاة الأمر لم يطع الله ورسوله [1] . .

فمن هو القائم المنتظر إذا أردنا أن ندخل البيوت من أبوابها ؟ . .

مما لا شك فيه أنه هو ذلك المولود من صُلب إمامنا العسكريّ الذي يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في كبد الجو . يدل على تعيينه بالذات الحديث الثابت الدال على أن الأرض لا تخلو من إمام معصوم ، وأن إمام زماننا المعصوم مولود وموجود بشهادة المؤالف والمخالف ، وأن الأمة ـ إذاً ـ متفقة على وجوده ، ومتفقة ـ ضمناً ـ على عدم وجود غيره ، رغم إنكار الوضّاعين ومزيّفي التاريخ . . فجميع الفِرَق الإسلامية متفقة ـ ثَمَّ ـ على أن مهديّاً يظهر في آخر الزمان ، من وُلْد فاطمة ، لم يخالف أحد إلا في تعيينه بذاته لا بصفاته .

فإن قال معترض : إن كل الأخبار صحيحة ، ولكنها لماذا كانت دالَّة على ابن العسكري دون غيره ممن يولدون من نسل فاطمة ؟ . نُجِبْ بأن الصفات ـ مجموعةً ـ لا تنطبق إلاّ عليه ، ولا تتوفر إلاّ فيه ، للنصوص المتواترة التي ميَّزته عن سائر من خُلِق ومن يُخْلَق في المستقبل من نسل عبد المطلب سلام الله عليه وبني فاطمة ، فضلاً عن تضييق الحلقة وحصره بنسل واحد بالذات كما رأيت . . وما زالت النصوص كلها تنطبق عليه فلماذا نَصرفها عنه إلى غيره ؟ . ثم هل يحتمل أن تتوفر في غيره مجتمعة ؟ . كلا ، فإن النبيَّ ﷺ قد أشار إلى آسمه ، وذكر نسبه ، ونَعَتَه فلم يدَعْ حيرةً في أمره تَصرفنا إلى التفكير في غيره .

وليس أغرب من أن نجد الدلالات متوفرة ، ونجد مَن دلت عليه حاضراً ناظراً ، ثم نَعدل إلى التفتيش عن واحدٍ يمكن أن تتوفر فيه بعض الصفات لنقول : هذا هو ! . ثم نقع في الخلاف فنقول : وُلِد أم لم يولَد ؟ . فالقائم أُخفيت ولادته عن بعض عامة الناس لا خاصتهم حتى قالوا : لم يولد بعد ، ذلك لكي يخرج وليس في عنقه بيعة لحاكمٍ ضالّ كما سترى ، وقد كان ذلك كذلك لحكمة سنكشف للقارىء منها بعض

---

(1) الكافي م ٢ ص ٤٧ وم ٢ ص ١٨٢ .

زوايا المستطاع بإذن الله . . .

وقد كتب هو عن نفسه في جملة كتاب طويل إلى أحمد بن إسحاق (رض) :)

- . . . ثم بعث الله محمداً ﷺ رحمةً للعالمين ، وتمّم به نعمته ، وختم به أنبياءه ، وأرسله إلى الناس كافة ، وأظهر من صدقه ما أظهر ، وبيّن من آياته وعلاماته ما بيّن . . . ثم قبضه حميداً نقيّاً سعيداً ، وجعل الأمر من بعد إلى أخيه وآبن عمه ووصيّه ووارثه علي بن أبي طالب ؑ ثم إلى الأوصياء من وُلْده واحداً واحداً ، أحيا بهم دينه ، وأتمّ بهم نوره ، وجعل بينهم وبين إخوانهم وبني عمهم الأدنَين من ذوي أرحامهم فرقاناً بَيّناً يُعرف به الحجة من المحجوج والإمام من المأموم ، بأن عصمهم من الذنوب ، وبرّأهم من العيوب ، وطهّرهم من الدنس ، ونزّههم من اللّبس ، وجعلهم خُزّان علمه ومستودع حكمته وموضع سرّه ، وأيّدهم بالدلائل . ولولا ذلك لكان الناس على سَواء ، ولادّعى أمر الله عزّ وجلّ كل واحد ، ولما عُرف الحق من الباطل ، ولا العالم من الجاهل . حفظ اللّهُ الحقَّ على أهله وأقرّه في مستقرّه . . وإذا أُذِنَ لنا في القول ظَهر الحقّ واضمحلّ الباطلُ وانحسرَ عنكم . وإلى الله أرغبُ في الكفاية وجميلِ الصُّنع والولاية [1] .

(وبهذا كفاية في الجواب ، فقد عُرف كل حجة منهم من المحجوج من غيرهم ، وكان مؤيداً بالدلائل . . وهو - أعني القائم - منهم . وسيكون حجّة قاصمةً لكل من يدّعي أمر الله ! . .

بهذا علّل الجواب لكل ذي بصيرة . .

وقد وُلد فعلاً ، وكان سنّه يوم وفاة أبيه خمس سنوات وأشهراً [2] ، فسلمه أبوه مواريث النبوّة والسلاح . . . وكانت له هذه الغيبة التي يمحّص الله بها المؤمنين ،

---

(١) الغيبة للطوسي ص ١٧٥ والبحار ج ٥٣ ص ١٩٤ - ١٩٥ والإمام المهدي ص ٢٦٠ - ٢٦١ وإلزام الناصب ص ١٢٨ .

(٢) توفّي أبوه ليلة الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠ هجرية ، وكان قد وُلِدَ فجر يوم الجمعة ١٥ شعبان من سنة ٢٥٥ هجرية أنظر المحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٥ والبحار ج ٥١ ص ٢٣ ومصادر غيرها لا تحصى .

ثبتت بقول من شاهدَه وحادثَه وعاملَه . وكان من غريب تصرّف عمه جعفر الكذّاب أن قسّم ميراثه وهو حيّ ، مع علمه بوجوده ، وذلك من أجل الدعوة إلى نفسه ، تلك الدعوة المزوَّرة التي باءت بالفشل الذريع والحمد لله كما سترى ، لأنه كان كذاباً موارباً يسعى بقتله لدى السلطان بعد أن علم بولادته ، ويسعى لنفسه بالإمامة لدى الناس والسلطان لما رأى كتمان مولده كأنه يريد اللعب على الحبلَين . .

فالقائم هو ابن العسكريّ ﷺ وأمه العظيمة هي سيدة الإماء، أُمّ ولدٍ ستعرف شيئاً هاماً عن أصلها الشامخ وأرومتها الأصيلة الفذّة . وقد كانت ذرية أبيه منحصرة فيه ، لم يخلّف غيره فبالغ في ستره عن أعين الظالمين المتربصين به ، خوفاً عليه من القتل الذي كانوا يُضمرونه له ، وإن كانت مشيئة الله تحول دون ذلك، كما سبق في علمه . ولكن والده حجبه كما هو مأمور ، لأن الظالمين كانوا يومئذ غير مترددين في مولده كتردُّدنا البغيض الممقوت ، بل كانوا على موعد مع ولادته ، ينتظرونها ويعتقدون حدوثها ، ويبذلون قصارى جهدهم للقبض عليه كما حصل وجرى ، أي للقبض على مولود موجود ما شكُّوا في وجوده ـ كما شككنا ـ ولكنهم لم يصلوا إليه بتقدير من الله العزيز الحكيم لأنهم كانوا:

﴿ يُرِيْدُوْنَ أَنْ يُطْفِئُوا نُوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ﴾ (١) .

هذا هو الحجّة المنتظر ، والقائم المنصور .

فهل تحددت هويّته في الذهن ؟ . .

هذا هو . وألقابُه المعروفة من الأخبار القدسية : حجّةُ الله ، والمهديُّ ، وخاتمُ الأئمة ، ومنقذُ الأمة ، والمنتظَر ، والباعث ، والوارث ، والخلَف الصالح ، والقائم بالحق ، والمظْهِر للدين ، والباسط للعدل ، وبقية الله في الأرض ، وصاحب الزمان ، وصاحب السيف ، والمنتظر لدولة الإيمان (٢) .

---

(١) التوبة ـ ٣٣ .

(٢) إعلام الورى ص ٣٩٣ والبحار ج ٥١ ص ١٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٥ و٣٠٩ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٧ ومنتخب الأثر ص ٢٥٦ و٣٤٥ والإمام المهدي ص ٨ و٣٤٢ ونور الأبصار ص ١٦٨ وإلزام الناصب ص ١٤٠ و١٤١ و١٤٢ .

ولا ، ولن يشاركه في هـذه الألقاب أحـد ، وهو مصداقها مفـردةً ومجتمعة ليس إلاَّ .

وكُنـاه : أبـو القـاسم ، وأبـو عبـد الله ، وأبـو جعفـر ، وذو الاسمين ، وخلَفُ محمـد . . . معه رايـة الحق ، من تَبِعَهـا لَحِق ـ كمـا قـال آبـاؤه ـ ومن تخلَّف عنهـا غرق [١] . . وهو ثاني عشر الأئمـة من أهل البيت ﷺ وعَـدنا بـه النبيُّ ﷺ ونعتَه ووصَفَه فلا مجال لإنكاره إلا إذا أنكرنا الوحي بِرُمَّته . وقد قال النبيُّ ﷺ فيه :

ـ سيُميت الله به كل بدعة ، ويمحو كل ضلالة ، ويُحيي كل سُنَّة [٢] .

وهو أيضاً : المنصـور ، والصـاحب ، والحجَّة ، والخالص ، وصـاحب الدار ، وصـاحب الأمر ، والمـأمول ، والتـالي ، والنائب ، والبـرهان ، والبـاسط ، والثـائـر ، والمنتقم ، والمؤيِّد ، والسيِّد ، والجابرُ ، والخازن . .

وقـد أطلق عليـه النبي ﷺ والأئمـة من بعـده اسم : أمـيـر الأمَـرَة ، وقـاتِـل الفَجَرَة ، وأنه سيِّد في الدنيا والآخرة [٣] .

وقد سُئِلَ الصادق ﷺ : نسلِّم على القائم بإمرة المؤمنين ؟ . فقـال : لا ، ذاك اسمٌ سمَّاه الله أمير المؤمنين (علياً) لا يسمَّى به أحد قبله ولا بعده إلا كافر ! . قيل : كيف نسلِّم عليه ؟ . قال: السـلام عليك يـا بقية الله [٤] ، ثم قـرأ : ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٥] .

. . . هـذا هو بقيَّـة الله . . فهل يحتـاج إنسان إلى أكثـر من هذه الإيضـاحات ليعرفه ؟ ! . لا ، وكلاَّ .

---

(١) لكـافي م ١ ص ٤١١ والبحـار ج ٥١ ص ٢٤ ومنتخب الأثـر ص ٢١٤ وكـشـف الـغـمـة ج ٣ ص ٢٦١ و٢٦٥ و٢٦٩ والغيبـة للطوسي ص ١٦٤ و١٦٥ وينابيـع المـودة ج ٣ ص ١٦٦ والإمـام المهدي ص ٨ و٣٣٦ وإلزام الناصب ص١٤٠ و١٤١ و١٤٢ .

(٢) لكافي م ١ ص ٤١٢ .

(٣) راجع ينابيع المودة ج ٣ ص ١١٢ و١١٣ وإلزام الناصب ص ١٤٠ و١٤١ و١٤٢ .

(٤) البحـار ج ٥٢ ص ٣٧٣ ومنتخب الأثر ص ٥١٧ وفي الغيبـة للطوسي ص ٢٨٢ : من أدرك منكم قائمنا فليقل حين يراه : السلام عليكم يا أهل بيت النبوَّة ، ومعدن العلم ، وموضع الرسالة .

(٥) هود ـ ٨٦ وسترى تعليقاً مفصلاً حول هذه الآية في موضوع : يوم الخلاص .

٢ـ هكذا وَصَفوهُ . .

. . فهَل كَان مَاثِلاً أمَامَهُم ؟ !

قال رَسُول الله ﷺ :

ـ المهديّ منّي ، أجلى الجبهة ، أقنى الأنف [1] . (ثم قال ﷺ :)

ـ المهـديّ من وُلدي ، وجهـه كالقمـر الدرّيّ ، حَسَنُـه مستـديـرةٌ . اللون لـونٌ عربيّ ، والجسم جسمٌ إسرائيليّ [2] . (أي أنه حنطي اللون مستقيم القامة أقرب إلى الطول منه إلى القصر . . وقال :)

---

(١) كشف الغمـة ج ٣ ص ٢٥٩ و٢٦٩ والبحـار ج ٥١ ص ٨٠ و٩٠ وبشـارة الإسـلام ص ٢٨٢ والحـاوي للفتـاوي ج ٢ ص ١٢٤ ونـور الأبصـار ص ١٦٨ والإمـام المهـدي ص ٣٣٧ والبيـان ص ٨٠ و٩٦ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٠ ومنتخب الأثـر ص ١٤٣ والملاحم والفتن ص ٥٨ و١١٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٧ وإلزام الناصب ص ١٣٨ و١٣٩ و٢٥٦ .

(٢) منتخب الأثـر ص ١٨٥ والبحـار ج ٥١ ص ٧٨ والحـاوي للفتـاوي ج ٢ ص ١٣٦ و١٣٧ و١٦٠ وبشارة الإسلام ص ٢٨٢ و٢٨٣ و٢٩٤ ونور الأبصار ص ١٧٠ والإمام المهدي ص ٦٨ والفصول المهمـة ص ٢٧٦ وإسعاف الـراغبين ص ١٣٤ وينابيـع المـودة ج ٣ ص ٩٠ وكشف الغمـة ج ٣ ص ٢٥٩ و٢٦٩ و٢٧٦ والبيان ص ٩٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٠ وإلزام الناصب ص ١٣٨ وص ٢٥٦ .

ـ وجهه كالدينار ، أسنانه كالمنشار ، وسيفُه كحريق النار[1] . (فوجهه مستدير ، وأسنانه مفلّجة . وهو مهيب هيبة تأخذ بمجامع القلب لِمَا خلع الله تعالى عليه من سرِّه السماويّ ، وقال جدُّه ﷺ أيضاً في وصفه :)

ـ المهديُّ طاووسُ أهل الجنة ، عليه جلابيبُ النُّور[2] .

(وقال ﷺ ينعت مظهره يوم خروجه المؤيَّد :) ـ كأنه رجل من شنوءة ، عليه عباءتان قطوانيتان[3] . . (وشنوءة منطقة باليمن تُنسب إليها قبائل الأزد . وقطوان مكان بالكوفة بسمرقَند . فالعباءتان كأنهما من صنع إحدى هاتين البلدتين . . وقال ﷺ في وصف علاماته المميّزة :)

ـ . . أكحل العينين ، كثّ اللحية ، على خده الأيمن خال[4] .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ المهديّ أقبلُ أجعد ، هو صاحب الوجه الأقمر ، والجبين الأزهر ، صاحب الشامة والعلامة . العالِم الغيور المعلِّم المخبِر بالآثار[5] . . (والأقبل هو أسود العينين الذي كأنه ينظر إلى طرف أنفه خشوعاً . والشامة هي الخال الذي على خده

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٧٧ والبيان ص ٩٦ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ و٢٧٧ والملاحم والفتن ص ١١٥ و١١٦ ونور الأبصار ص ٢٣٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٥ نقلاً عن إسعاف الراغبين وعن غاية المرام وإلزام الناصب ص ١٣٩ .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٥٩ و٢٦٩ ومنتخب الأثر ص ١٤٧ أوله ، ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٤ ونور الأبصار ص ١٧٠ والمهدي ص ٩٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٦ بعضه ، وإلزام الناصب ص ١٣٩ وص ٢٥٦ نقلاً عن البيان ، وغاية المرام ص ٦٦٨ .

(٣) الاختصاص ص ٢٠٨ والبيان ص ٩٥ بلفظ آخر والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٠ والبحار ج ٥١ ص ٨٠ وج ٥٢ ص ٣٠٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٨ نصفه الأخير وص ١٦٢ نقلاً عن غاية المرام وبشارة الإسلام ص ٢٨٣ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ .

(٤) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ و٢٧٦ ومنتخب الأثر ص ١٦٦ مع كثير من صفاته الكريمة . ومثله في الملاحم والفتن ص ٥٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ٣٥ وإسعاف الراغبين ص ١٤٩ وبشارة الإسلام ص ٢٨٢ وإلزام الناصب ص ١٠٤ بعضه ، وص ١٣٨ و١٣٩ .

(٥) البحار ج ٥٢ ص ٥١ وبشارة الإسلام ص ٢٢٠ والمهدي ص ٥٣ وإعلام الورى ص ٤٣٤ بلفظ آخر والبيان ص ٩٥ ومنتخب الأثر ص ١٨٦ .

الأيمن ، والعلامة الخاتم الذي بين كتفيه كخاتم النبوّة . وقد رُوي أول هذا الحديث عن الصادق عليه السلام . . ثم قال أبو الحسن عليه السلام :)

ـ ضخمُ البطن وكلُّها متقاربة ، برّاق الثنايا ، عريض ما بين المنكبَين (١) .

(وقيل : أزْيل الفخذين : أي بعيدً ما بينَهما) في كتفه علائم نبُّوة محمد .

(وقال :) ـ حَسَنُ الوجه ، حسنُ الشّعر ، يسيلُ شعرُه على منكبَيه ، ونورُ وجهه يعلو سوادَ لحيته (٢) .

(وجاء عنه في بعض صفاته التي تُلفت النظر إلى تفرُّده بها لأنها معجزة تثبت كونه المهديّ :) ـ يومىء للطير فيسقط على يده ، ويغرس قضيباً في الأرض فيخضرّ ويورق (٣) . (وسنعرض إلى هذا الموضوع في حينه ، فلا يذهبنَّ بنا العجب من معجزة تتجلّى فيها قدرة الله في مناسبة هامّة لتكون دالةً عليه فتنجي الكثير من المؤمنين المشككين الباحثين عن الحق . . وقال :)

ـ سيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، ويملك بينهم من هو غريب ، وهو المهديّ ، أحمر الوجه ، بشعره صهوبَة (أي شُقرة في سواد) يملأ الأرض عدلاً بلا صعوبة ، يُعْتزَل في صغره عن أمه وأبيه (٤) . .

(وقال عليه السلام أيضاً :) ـ يَخرج رجلٌ من وُلْدي في آخر الزمان ، أبيضُ مُشْرَبٌ حُمرة . مبدحُ البطن (واسعُها) عريضُ الفخذَين ، عظيم مشاش المنكبين ، بظَهره شامتان : شامةٌ على لون جِلْده ، وشامةٌ على شِبْه شامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٥) .

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١١٤ ومنتخب الأثر ص ١٥٠ بلفظ قريب وكذلك في البحار ج ٥١ ص ١٣١ وإعلام الورى ص ٤٣٤ وإلزام الناصب ص ١٣٨ و١٣٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٧٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٥ بعضه .

(٢) البحار ج ٥١ ص ٣٦ وإلزام الناصب ص ١٣٨ وص ١٧٨ والغيبة للطوسي ص ٢٨١ .

(٣) منتخب الأثر ص ١٥٤ والملاحم والفتن ص ١٢٣ .

(٤) منتخب الأثر ص ١٥٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٥) البحار ج ٥١ ص ٣٥ ومنتخب الأثر ص ١٨٥ وإلزام الناصب ص ١٣٨ و١٣٩ والملاحم والفتن ص ٥٨ بعضه .

قالَ الإمَام الحسَين عليه السلام :

ـ تعرفون المهديّ بالسُّكينة والوقار ، وبمعرفة الحلال والحرام ، وبحاجة الناس إليه ، ولا يحتاج إلى أحد ! [1] . (وقد رُوي بلفظه عن أمير المؤمنين عليه السلام مبدوءاً بقوله : يعرف وليّه بالتوسُّم . . ولا نعرف متى كان وقتُ الحسين عليه السلام يتسع للحديث وبَثّ الأخبار الشريفة في شيعته . لولا كونُه مسؤولاً لا بدَّ أن يقول كلمة الحَقّ لِمَواليه ؟ ! .

أما هذا النوع من المعرفة بالتَّوسُّم فمنحةٌ ربانية لجميع الأئمة عليهم السلام سترى التعليق عليها في غير هذا المكان ، حيث أوضحنا ذلك وبيَّنّا الوسائل التي وضعها الله تعالى بين أيديهم لتسهيل هذه الظاهرة وغيرها ، وذكرنا أوصاف الإمام المعصوم عن طُرقهم الصحيحة . ولكننا نورد هنا ردّ أمير المؤمنين عليه السلام على ابن قدامةَ حين قال : لولا أنك أتممت الكلام لَقُلنا : لا إلَه إلا أنت ! . فقال :)

ـ لا تعجبْ تَهلكْ بما تَسمع . . نحنِ مربوبون لا أرباب ، نكحْنا النساء ، وحَمتنا الأرحام ، وحملتنا الأصلاب . وعِلْمْنا ما كان وما يكون وما في السماوات والأرضين بِعِلْم ربِّنا . . فنحن بذلك اختصاصاً مخصوصون . . نحن وأبنايَ شُبَّراً وشبيراً وأمُّهما الزهراء ، والأئمة فيها واحداً واحداً إلى القائم ، من عينِ شرِبنا وإليها ورَدنا . . إسألوني واسألوا الأئمة من بعدي ، فلم يخلُ منهم عصرٌ من الأعصار حتى قيام القائم . . فاشهدوا شهادةً أسألكم عند الحاجة : عليّ بن أبي طالب نورٌ مخلوق ، وعبدٌ مرزوق ، من قال غير هذا لعنه الله ! [2] . (وقال عليه السلام بهذا المعنى :)

ـ قُولوا فينا ما شئتم، واجعلونا مَرْبوبين [3] . (ذاك أنَّهُ يعرف غُلُوّ المغالين فيه الذين ابتُلوا بشيءٍ منه لا تتحمَّله عقولُهم فقال :)

---

(1) الغيبة للنعماني ص ١٢٧ عن الصادق عليه السلام ومنتخب الأثر ص ٣٠٩ والمهدي ص ٧٤ وص ٢٢٦ نقلاً عن عقد الدرر .
(2) إلزام الناصب ص ٢١٤ .
(3) إلزام الناصب ص ١٩٧ .

ـ تَغلو طائفةٌ من شيعتي حتى يتّخذوني رَبّاً ! . وَإني بـريءٌ مما يقـولون [1] . . (براءة الله ورسولِهِ من المشركين . . وفي هذا كفايةٌ لمن كان وراء الحقيقة والواقـع ، واقعِ أئمة الهدى ، وأعلام التُقى ، وحُجَجِ الله على مَن في الدُّنيا . .) .

قال الإمام البَاقِر ﷺ :

ـ وجهه كوكبٌ درّيّ مشربٌ بحمرة [2] .

(وقال) : ـ بالقائم علامات : داءُ الحَزاز بـرأسه (القشـرة) وشامـةٌ تحت كتفه الأيسر . تحت كتفيه ورقة مثل الآس [3] .

(وقـال :) ـ في شعره قَـطَط (أي : قِصَرٌ وتجعُّـد) أفـرقُ الثنـايـا ، أبلجُهـا ، واضحُ الجبين [4] . (ورُوي قريب منه عن الصادق ﷺ . . وقال :)

ـ مُشرفُ الحاجبَين ، غـائرُ العينين من سهـرِ الليالي ، بـوجههِ أَثَـر [5] . . (هو الخالُ الذي على خدّه الشريف) .

قال الإمام الصادق ﷺ :

ـ إنـه من أعظم البليّـة أن يخرج إليهم صـاحبُهم شابّـاً ، وهم يحسبـونـه شيخـاً كبيـراً ! [6] . (فخروجـه في سن الشباب امتحـانٌ لعقيدة النـاس وابتلاءٌ لهم من حيث الثبات عليه . وسنتكلم عن شبـابه في مـوضوع مستقـلٍّ نُشبعه بحثـاً ونتناول فيـه سائـر نواحيه . . وقال :)

ـ إن في صاحب الزمان شبهاً من يونـس : رجوعه في غيبته بشرخ الشباب [7] .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٩٨ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٠٤ وص ١٣٨ و١٣٩ .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١١٥ والبحار ج ٥١ ص ٤٠ و٤١ وإلزام النـاصب ص ١٣٩ ومنتخب الأثـر ص ٢٤١ مع صفاتٍ غيرها .

(٤) منتخب الأثر ص ١٦٥ وإلزام الناصـب ص ١٠٤ وص ١٠٨ بعضُه .

(٥) إلزام الناصب ص ١٣٨ .

(٦) منتخب الأثر ص ٢٥٨ وإعلام الورى ص ٤٠٧ بلفظ آخر وفي مصـادر أخرى كثيـرة نقل بعضُهـا عن بعض .

(٧) الغيبـة للطوسي ص ٢٥٩ وإعـلام الـورى ص ٤٠٣ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٨٧ ومنتخب الأثـر ص ٢٨٥ .

(وقال :) - حَسَنُ الوجه ، آدمُ ، أسمر ، مُشرب بحمرة [1] . (ووصفه باختصار في قوله :)

- أزجّ ، أبلج ، أدعج ، أعين ، أشمُّ الأنف ، أقنى أجلى [2] .

(وقال) : - المهديُّ خاشعٌ لله كخشوعِ الزجاجة [3] . .

(وقال عن شجاعته :) - إنَّ القائم إذا خرج كان في سِنِّ الشيوخ ومنظرِ الشباب ، قوياً في بدَنه ، لو مدَّ يدَه إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لَقَلَعَها ، ولَو صاحَ بالجبال تَدكدكتْ صخُورُها . لا يضع يدهُ على عبدٍ إلاَّ صار قلبُه كَزبُر الحديد [4] .

(وذلك من شدة ما يبعث في قلب العبد من الإيمان به وبعقيدته ورسوخ إيمانه بالله ، مضافاً إلى ما يقوّيه به من الدعاء له بالتسديد والتأييد . . وقال :)

- ليس بالطويل الشامخ ، ولا بالقصير اللازق (اللاصق) بل مربوع القامة ، مدوَّر الهامة ، واسع الصدر ، صَلْت الجبين (بارزُه) مقرون الحاجبين ، على خده الأيمن خال كأنه فُتات المسك على رضراضة العنبر ! [5] .

(وقال :) - إن أبي - أي الباقر عليه السلام لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت تسحب على الأرض. وإني لبستها فكانت وكانت (أي كانت تختلف قليلاً في القصر أو الطول) وإنها تكون من القائم مشمَّرةً كما كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأنه يرفع نطاقها بحلقتين [6] .

---

(٣) الإرشاد ص ٣٤٢ وإلزام الناصب ص ١٣٨ و١٣٩ .
(٤) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٧ والملاحم والفتن ص ٥٨ و٥٩ وفي نور الأبصار ص ١٧٠ كثير من صفاته الشريفة وكذلك في إلزام الناصب ص ١٣٨ و١٣٩ .
(٣) الملاحم والفتن ص ٥٨ والإمام المهدي ص ٩٧ عن كعب الأحبار .
(٤) إعلام الورى ص ٤٠٧ ومنتخب الأثر ص ٢٢١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٤ بلفظ آخر والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٢ عن الرضا عليه السلام .
(٥) إلزام الناصب ص ١٣٨ و١٣٩ وفي الإمام المهدي ص ٣٣٧ شيء منه .
(٦) البحار ج ٥٢ ص ٣١٩ وفي الكافي م ١ ص ٢٣٣ قال : وقائمُنا مَنْ إذا لبسها ملأها إن شاء الله ، ومثله في إلزام الناصب ص ٧ .

قال الإمام الرّضا عليه السلام :

- هو شبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السلام عليه جلابيب النور تتوقّد بشعاع القدس . موصوفٌ باعتدال الخَلق ونضارة اللون . يشبه رسول الله في الخُلُق [1] . (وقد كان الإمام الرضا عليه السلام يَفيض حسناً وجمالاً وهيبة ، حتى أنه كان يخرج مجلّلاً لئلا يفتتن الناس بحسنه وهيبته . . وقال :)

- علامته أن يكون شيخ السنّ ، شابَّ المنظر ، حتى أن الناظر إليه لَيَحْسَبُه ابنَ أربعين سنة أو دونها . وإن من علامته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي عليه حتى يأتي أجلُه [2] . (وروي عن الصادق عليه السلام قريب منه . . وأتمّ الرضا وصفه بقوله :)

- المهديّ خاشع لله كخشوع النسر لجناحه [3] .

(وقال :) - يكون أولى بالناس من أنفسهم ، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم ، ويكون أشد الناس تواضعاً لله عزّ وجلّ ، ويكون آخَذَ الناس بما يأمر به ، وأكفَّ الناس عما ينهى عنه [4] . .

(ثم قال :) - دلالتُه في خُصلتين : في العلْم واستجابة الدعوة . وكلّ ما أخبر به من الحوادث التي تحدُث قبل كونها ، فذلك بعهدٍ معهود إليه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توارثَه عن آبائه عنه عليه السلام [5] .

قال كعبُ الأحبار :

- إن القائم المهديّ من نسل عليّ ، أشبه الناس بعيسى بن مريم خَلْقاً وخُلُقاً وسيماءً وهيبة . يعطيه الله عزّ وجلّ ما أعطى الأنبياء ويزيده ويفضّله [6] .

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٢ وبشارة الإسلام ص ١٦٤ وإلزام الناصب ص ٦٨ أوله وص ١٣٨ آخره .
(٢) منتخب الأثر ص ٢٨٦ وص ٢٢١ بلفظ آخر وإعلام الورى ص ٤٣٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٥ و٣٢٢ نصفه الأول . وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٤ بلفظ آخر .
(٣) المهدي ص ٢٦٦ نقلاً عن عقد الدرر والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٧ .
(٤) إلزام الناصب ص ١٠ في حديث طويل .
(٥) إلزام الناصب ص ١٠ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٧٠ .
(٦) الغيبة للنعماني ص ٧٤ وبشارة الإسلام ص ١٨٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٦ .

(وقال محيي الدين بن العربي :) يُشبه رسولَ الله في الخَلق ، ويَنزل عنه في الخُلُق ، إذ لا يكون أحدٌ مثل رسول الله في أخلاقه [١] .

(وهكذا فإن الحجّة ، عجّل الله تعالى فَرَجه ، معيَّن بذاته وصفاته ، لا يمكن أن يشك فيه أحد حين ظهوره . إذ لا بد أن تجتمع فيه الخلال التي نعته بها آباؤه وواصفوه ممن رأوه خَلّةً خَلّة بلا استثناء . ولذلك قال ابن حجر في مجال حديثه عن المهديّ الذي يظهر في آخر الزمان :

ـ إنَّ المهدي المنتظر واحدٌ لا تعدُّد فيه [٢] .

(وقال ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة أيضاً :) ـ لَو لم يكن في الآتِينَ ـ أي في نسلِ عليٍّ وفاطمة عليهما السلام ـ إلاّ الإمام المهديّ لَكَفَى ! . [٣].

ويدل عليه إلى جانب الصفات ، كلُّ ما يسبق عهد ظهوره ، وكلُّ ما يرافقه من علامات مميَّزة ستراها مفصلة تفصيلاً لم يسبق له مثيل ، لم يألُ النبيّ صلى الله عليه وآله ولا الأئمة عليهم السلام جهداً عن التلميح إليها مرة ، والتصريح بها ثانيةً ، كيلا يلتبس الأمر على أحد ، وبحيث لا يمكن أن يتفق لواحد أن يجمع كافة الصفات الجسدية والخُلقية غيره ، إلى جانب البيعة وعدد الأنصار ، ومكان الخروج ، ويوم الظهور ، وغير ذلك مما يختص به دون سواه ، مما تراه موضَّحاً خطوةً خطوة في بقية الفصول إن شاء الله تعالى .

والصفة الواحدة مما ذكرنا ، أو بعض الصفات ، إذا كانت في واحد من الناس لا تكفي لأن تكوِّن حيثياتٍ للحكم بكونه المهديّ ، مضافاً إلى أسمه وآسم أبيه وأمه ، وتعيين أسرته ، وظروف ولادته ، والصورة الخاصة التي تكون عليها حياته المديدة . . . على أن النداء باسمه ـ بغير الواسطة الأرضية كالإذاعات ووسائل الإعلام ـ يفوق كل دليل عليه . . ونحن نختصر جميع الإشكالات بما قاله الصادقان عليهما السلام في حديث مفصَّل مقنع ستقع عليه عين القارىء في مورده :

---

(١) إلزام الناصب ص ٩٦ وإسعاف الراغبين ص ١٤٢ .
(٢) المهدي ص ٩٧ .
(٣) الصواعق المحرقة ص ١٦١ .

ـ . . . إنّ أمرنا أبْيَنُ من هذه الشمس ! (١) .

فهو يدل على نفسه بنفسه . . لم تؤثّر عوامل تعاقب الزمان في بُنيته الشريفة ، فيخرج على الناس كما قال جدّه وآباؤه صلوات الله عليهم : عليه جلابيب النور تتوقد بشعاع القدس ، فيكون رحمة للمؤمنين ، وعذاباً على الكافرين ، ينجي الله به من الضلالة ، ويُبرىء من العمى ، ويَشفي من المرض، ويكون منصوراً بالرعب ، مؤيَّداً بالنصر . قد فتح الله تعالى بمحمد ﷺ ثم يختم به . .

. . بيده عصا موسى التي تصنع العجائب وتَفلق البحر ، وخاتم سليمان ، وتابوت السكينة الذي يفعل ما لا تفعله القنابل الهيدروجينية ، وبيده جملة مواريث الأنبياء ! ! ! . . وهو ـ بعدُ ـ أكثر الناس علْماً وحلماً (٢) . .

لأن : الأئمةُ أحلمُ الناس صِغاراً ، وأعلمُهُم كِباراً ، لا تُعلّموهم فإنّهم أعلمُ منكم (٣) .

والله القادر على أن يجمع في الصبيّ كل شروط الرسالة من وعي واستيعاب وتبليغ فصيح كما فعل بيحيى وعيسى عليهما السلام وهما في المهد ، قادرٌ على أن يجعل للقائم بالعدل أكثر مما ذكرناه يا أولي الألباب ! .

هذا وقد عرَّف الإمامُ الرضا عليه السلام إمامَ الناس بحديثٍ طويلٍ مرَّ شيءٌ منه ، وهذا شيءٌ : ـ . يكون أعلمَ الناس ، وأحكمَ الناس ، وأتقى الناس ، وأحلمَ الناس ، وأسخى الناس ، وأعبدَ الناس . . ويَرى مَنْ خلْفَه كما يَرَى مَن بين يدَيه ، ولا يكون له ظِلّ . . وتنامُ عيناه ولا ينام قلبُه ، ويكون محدَّثاً . . وتكون رائحته أطيبَ من رائحة المسك . . ويكون دعاؤه مستجاباً حتى أنه لَو دعا على صخرةٍ لانْشقّتْ بنِصْفَين . إلخ . . (٤) . .

---

(١) الغيبة للطوسي ص ٢٠٥ وبشارة الإسلام ص ٨٨ ومنتخب الأثر ص ٢٥٨ ونهاية الخبر تأتي في هذا الكتاب مع جميع مصادره إن شاء الله تعالى .

(٢) إلزام الناصب ص ٧٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ٥٣ والمهدي ص ٧٤ آخره .

(٣) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٧٠ وفي بشارة الإسلام ص ١٨٩ : أعلمهُم علماً ، وأقدمهُم سِلْماً ، وأوقرُهم حِلْماً ، وغاية المرام ص ٧٠٧ .

(٤) إلزام الناصب ص ٩ .

٣ ـ مَوْلِدُهُ :

بَين الكتمان وَالإعلان . .

. . التمهيدُ للغيبة
أين ، وَمتى ، وَكيفَ وُلد ؟
. . ومَن رَآه

قال الإمام الصادق عليه السلام :

ـ إنـه لا يموت منـا ميت حتى يُخَلِّف مِن بَعدِهِ مَن يعمـل بعمله ويسيـرُ بسيـرتـه ويدعو إلى ما دعا إليه (١) .

(وقـال عند ذكـر أولى صفات القـائم عليه السلام وعـلامـاتـه :) ـ هـو خفيُّ المـولـد والمنشأ ، غير خفيّ في نفسه (٢) .

(وقـد وُلِدَ هكـذا ـ مُعلَناً عنـه ، مستورة ولادتـه ـ في سُرَّ من رأى في العـراق ، نظيفاً منظَّفاً ، مفروغاً منه ، مختوناً ـ كما هـو شأن كـل إمام ـ يتلقى الأرض بمسـاجده

---

(١) الكافي م ١ ص ٣٩٧ .

(٢) الغيبـة للنعماني ص ٨٨ ومنتخب الأثر ص ٢٨٨ عن الـرضـا عليه السلام ومثله في كشف الغمـة ج ٣ ص ٣١٤ .

السبعة . وكان ذلك عند بزوغ الفجر من صبيحة يوم الجمعة في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية . . وتناولته السيدة حكيمة ، عمّة أبيه ، بنت الإمام الجواد عليه السلام وناولته لأبيه ، وكان مكتوباً على عضده بالنور : جاء الحق وزهق الباطل ! (١) .

ذاك أنه سيُحق الحقّ بثورته العالميّة ويُزهق الباطلَ ويَسحق الظالمين . ومن العادة أن يكون مكتوباً على عضد الإمام عند ولادته : ﴿ وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾ (٢) . .

وقد جاء عن الإمام الرضا عليه السلام قولُه : ـ سقط من بطن أمه جاثياً على ركبتَيه ، رافعاً سبّابته نحو السماء ، ثم عطس فقال : ألحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله على محمّد وآله ، عبدٌ ذاكرٌ لله ، غير مستنكِف ولا مستكبِر . زعمت الظَّلَمَةُ أن حجّة الله داحضة . ولو أُذِن لنا في الكلام لَزالَ الشك (٣) . .

(وروت السيدة حكيمة هذا الكلام بلفظه) : وكان يومئذ في مدينة قمّ منجّمٌ يهوديٌّ مشهور ، قصده أحمد بن إسحاق وكيلُ أبيه العسكريّ في قُمّ وصاحبُه الجليل وقال له : قد وُلد مولود في وقت كذا ، فاعمل له ميلاداً وطالعاً . فنظر اليهودي في الطالع وعمل عملاً وقال لابن إسحاق : لست أرى النجوم تدلّني فيما يوجبه الحساب . . لا يكون هذا المولود إلّا نبيّاً أو وصيَّ نبيّ . وإن النظر يدلني على أنه يملك الدنيا شرقاً وغرباً ، وسهلاً وجبلاً ، حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد إلّا دان له وقال بولايته ! (٤) .

فقد وُلِد المهديّ أيها المتقوّلون ، ووافق على ولادته الخاص والعامّ ، وإن كانوا قد اختلفوا نظريّاً في بقائه حيّاً طويلَ العمر . .

وإذا كان لم يولد ، فلماذا بذل الخليفةُ العباسيُّ جهده في البحث عنه ليقتله

---

(١) مثير الأحزان ص ٢٩٦ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٠ .
(٢) الأنعام ـ ١١٥ وإلزام الناصب ص ١٠.
(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٨٨ ومنتخب الأثر ص ٣٤١ والغيبة للطوسي ص ١٤٧ عن الكاظم عليه السلام وكذلك في البحار ج ٥١ ص ٤ وإعلام الورى ص ٣٩٥ وإلزام الناصب ص ١٠٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٤٥ .
(٤) البحار ج ٥١ ص ٢٣ .

ويُبطل أقوال آبائه فيه ويُظهر كذبهم (١) ؟ ! . فعصمه الله منه ، وردَّ كيد الخليفة إلى نحره فمات بغيظه ومات معه جعفر الكذاب بحقده ، ولم ينالا بُغيتهما . .

نعم ، وُلد باعتراف كتب التاريخ حتى المزوَّرة منها للأخبار . . وقد حصل ذلك في بيت أبيه العسكري عليه السلام الماثل للعيان حتى اليوم في سامَرّاء ، مزاراً مقدّساً ومنارةً مُشعَّةً تبهر الأبصار . ولذلك قال بإمامته كل القائلين بإمامة أبيه بعد أن رأوا آياته ومعجزاته كما سترى . . فمن أنكره من بعد ما علمه فقد أنكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن عرفه آمن به وصدَّق ولم يكترث بغير ذلك من الأقوال المضلِّلة عن الحق .

ولو لم يكن لأبيه ولَد ـ كما شوَّش الأعداد وهوَّشوا ـ فلماذا كبس جيش الخليفة دار أبيه مراراً ، وفتشها بكل دقة ، مرة ليقبض عليه ويقتله ، وأخرى ليقبض على أمه الحبلى وليحبسها حتى تضع في غياهب السُّجون فيذبح وليدها متى وضعته ، بعد أن أدخلت القوابل في ذهن الخليفة أن أم المهديّ لا تزال حبلى ! ! ! ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٢) . . فاسأل بذلك الزبيريَّ الذي كان من جلاوزة السلطة الحاكمة ، والذي كان شديد العداوة للعسكريّ عليه السلام يتمنى لو تسنّى له أن يقتله قبل أن يولد له ولد ، ليكذِّب شيعته في عقيدتهم بأن العسكريّ عليه السلام لا بدَّ أن ينجب إماماً منتظراً يقوِّض عروش الظلم ، إسأل بذلك ذاك الزبيريَّ الحقود الذي سلَّط الله عليه من قتله قبل أن تتم مكائدُه ، فقال العسكريّ عليه السلام حين بلغه خبر قتله : هذا جزاء من افترى على الله تبارك وتعالى في أوليائه ! . زعم أنه يقتلني وليس لي عَقِب ! . فكيف رأى قدرة الله عزّ وجلّ ؟ ! (٣) .

أجل ، وُلد ، وولدته نرجس (٤) بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، التي أمُّها من

---

(١) الغيبة للطوسي ص ١٤٩ تجد قصة طريفة حصلت لجلاوزة السلطان أثناء بحثهم عنه . والمهدي ص ١٥٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٨٩ و٢٩٠ فيها تفصيل كافٍ وافٍ لذلك .

(٢) آل عمران ـ ٥٤ .

(٣) البحار ج ٥١ ص ٤ وإعلام الورى ص ٤١٤ والإرشاد ص ٣٢٩ .

(٤) ذكر المؤرخون لها أسماء كثيرة : هي مليكة ، سوسن ، حكيمة ، خمط ، مريم ، ريحانة ، سبيكة ، صقيل ، ونرجس ، راجع : شرح النهج م ٢ ص ١٧٩ والبحار ج ٥١ ص ٦ إلى ١٠ وص ٣٦١ والإمام المهدي ص ٨ و٣٤١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٥ ومنتخب الأثر ص ٣٢٠ والغيبة للطوسي ص ١٢٤ إلى ١٢٨ حيث تجد قصة أمه الشريفة ذات الأصل الباذخ . بل تجدها في أكثر مصادر هذه الصفحة ، وفي ينابيع المودة ج ٣ ص ٦٢ و١١٣ و١١٦ .

وُلد الحواريين ، تُنسب إلى شمعون وصي المسيح عليه السلام ، سارت مع جيش أبيها متنكِّرة في زي الخدم مع عدة من وصائفها ليداوين الجرحى في حرب من حروب المسلمين في جنوبي شرقي أوروبا ، فصادفتهنّ طلائع جيش المسلمين بعد هزيمة جيش العدوّ ، فأخذتهنّ أسيرات وما أحس أحد بأنها بنت قيصر . . وعندما عُرضت للبيع مع السبايا غيَّرت اسمها وقالت : اسمي نرجس ، لأنه اسم تتسمَّى به الجواري . وكان والدها قد علَّمها لغات مختلفة من جملتها اللغة العربية التي استمرَّ لسانها عليها وألِفها واستقام لها جيداً . . وكان ذلك في أيام الإمام الهادي عليه السلام فكلَّف أحد أصحابه (١) بشرائها حين وصلت إليه قصتها وعرف بإبائها أن تُباع لمن عُرضوا عليها ، لأنه كان يعلم أنها مرصودة لولده ، فتمَّ ذلك واشتراها صاحبه وأحضرها إليه ، فكلَّف خادمَه كافوراً أن يستدعيَ له أخته السيدة الجليلة حكيمة ، فجاءت فقال لها : ها هِيَهْ (٢) ، فخذيها وعلِّميها الفرائض فإنها زوجة ابني أبي محمد وأمُّ القائم عليه السلام ! .

فهل فكر امرؤٌ بقول الهادي عليه السلام . ها هِيَهْ ؟ . وهل علم القارىء حلّاً للغز هذه اللفظة ؟ . لا ، فمن المؤكد أن الإنسان لا يفكر بهذه السرعة ليعلم المقصود . . فها هِيَهْ تدل على أن أُمَّ القائم عليه السلام كانت معروفة في بيت الهادي بذاتها وصفاتها ، وكانت منتظَرة ، والبيتُ كلُّه على موعد معها . يعني أنها ليست غريبة على سمع الهادي ولا على سمع أخته وأهل بيته ، لأنها ليست ككل سبيَّة تُباع وتُشترى ! . نعم إنها كذلك : يعرفها أهل البيت ، ويعرف الإمام العاشر كامل قصتها وظروف وصولها إلى بيته بعهد معهود متوارَث عن رسول الله صلى الله عليه وآله . وكانت هذه الفتاة الشريفة قد رأت في منامها - وهي في بيت أبيها - أن النبيَّ محمداً صلى الله عليه وآله قد حضر إلى بيتها مع بنته الزهراء عليها السلام وجلس إلى عيسى بن مريم عليه السلام وجلست الزهراء إلى مريم بنت عمران عليها السلام ثم خطبها النبيُّ من المسيح لولده الحسن العسكريّ ، ثم رأت كأن الزهراء أرَتْها صورة

---

(١) هو مولاه الذي يُدعَى بُشر بن سليمان النخّاس ، وهو من نسل أبي أيوب الأنصاري . أنظر مثير الأحزان ص ٢٩٠ و٢٩١ .

(٢) راجع الغيبة للطوسي ص ١٢٨ وإلزام الناصب ص ٩٢ـ ٩٣ ـ ٩٤ ومثير الأحزان ص ٢٩٠ إلى ٢٩٤ ففيها جميعها كاملُ القصة .

العسكري وعرَّفتها قَدره وعلَّمتها كيف تصل إليه [1] . . فأفاقت من هذا الحلم الذهبيّ الذي أخذ بمجامع قلبها وأنار طريق حياتها وخلع عليها بهجة وأملاً عظيماً ، أفاقت لتدبُّر أمر وصولها إلى خاطبها العظيم كما علَّمتها سيدتها الزهراء، ولتجعل الحلم حقيقةً واقعة . . وهكذا كان . . وكان أن وصلت إلى بغداد مع السبايا ، وعُرض عليها مَن عُرض فرفضت أن تباع لأحدٍ حتى تلقَّت فيما تلقَّت رسالة الهادي عليه السلام فعرفت صاحبها [2] ، ووافقت وأمرت النخّاس أن يُجري البيع لصاحب الرسالة . . . ثم وصلت إلى بيتٍ أَذِن الله أن يُرفع ويُذكر فيه آسمُه .

فابنُها مولود ، وموجود . . وكما أن من المستحيل على الناس أن يكونوا بلا سلطان زمنيّ يكونون في ظلّه أقرب إلى صلاح الأوضاع الدنيوية ـ كما هو شأن الممالك والجمهوريات والإمارات ـ فإن من المستحيل على الله تعالى أن يترك المكلَّفين بلا سلطان دينيٍّ يعيشون في ظلّه ويكونون بوجوده أقرب إلى صلاح الحال والبعد عن الفساد كما قال أسلافنا الشرفاء وكما هو الحق . لأن الإمام يدأب على الدعاء إلى الله سبحانه والاستغفار للعباد ليرفع عنهم البلاء ، وليعمَّهم الخير والرزق ، وتشملهم الرحمة والهدى ، إلى جانب انتباه كل واحد من العباد أنه مطالَب بالتمسك بالعقيدة والإيمان ، وبالسيرة الحسنة وبالْتزام جادة الحق أَمام إمام موجود ، لأن الله تعالى يدعو كل أناس بإمامهم الذي كان قيِّماً على شؤونهم . . وقد رُوي عن الصادق عليه السلام أن الله تعالى قال في معرض تعداد الأوصياء كما قرأ في لوح جدّته فاطمة عليها السلام :

ـ ثم أُكْمل ذلك بابنه ـ أي بابن العسكريّ الذي كان قد ذكره بعد آبائه ـ رحمة للعالمين ، عليه كمال موسى ، وبهاء عيسى ، وصبر أيوب ! [3] .

فالخيرَةُ بذلك لله . . ولله وحده ! . والمماحكةُ في هذا الموضوع كالقول : لِمَ

---

(1) البحار ج ٥١ ص ٦ ـ ١٠ وجامع الأخبار ص ٢٣ ومثير الأحزان ص ٢٩١ ـ ٢٩٥ تجد فيها تمام القصة .

(2) وقد كانت الرسالة باللغة الرومية . أنظر إلزام الناصب ص ٩٢ وغيره من المصادر .

(3) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٣٦ .

خلق الله هذا طويلاً وذاك قصيراً ، أو لِمَ جعل هذا أبيض وذاك أسود ، ولِمَ قدّر لفلان الغنى وللآخر الفقر ؟ ! . إنْ هي إلاّ اعتراضات لا مسوّغ لها في منطق حكمة الله ! .

هذا هو الحجة ولا حجّة بعده ، ولا حقّ إلاّ معه ، ولا نور ولا فرقان إلاّ عنده . . ولا منصور عليه ، لأنه ولي الله في أرضه وأمينه على عباده . . فمن أنكره أنكر جدّه الأعظم ﷺ ونبذ كلّ حديثٍ قُدسي ثابت ، وكان ممن يُقال لهم : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ؟ ! (١) .

هذا هو ، ولا يرتاب في غيبته إلاّ من استحوذ عليه الشيطان وسدُّ عليه آفاق التفكير المتفتح إلى الحق ، وأغلق قلبه كيلا يلج إليه الحق ! .

قالت السيّدة حكيمة :

وهي من أجلّ نساء زمانها وأكرمهنّ ـ بنت الجواد وأخت الهادي وعمّة العسكري ـ قد حضرت الولادة ورأت المولود ساعة تفتّح عينيه لنور الحياة ، ثم رأته بعد ذلك مراراً ، ونقل عنها أنها قالت :

ـ وُلد السيد مختوناً ، ولم أرَ بأمه دماً في نفاسها (٢) .

(وقالت :) وُلد ﷺ وقت طلوع الفجر ، فتباشَرَ أهل الدار بذلك (٣) :

(ثم حكت القصة بالتفصيل التالي قائلة :) بعَثَ إليَّ أبو محمد فقال : يا عمّة أجعلي إفطارك عندنا هذه الليلة (٤) . إن الله تبارك وتعالى سيُظهر حجته في أرضه . فقلت له : ومن أمّه ؟ . قال : نرجس . قلت : جعلني الله فداك ، واللّهِ ما بها أثر ! . فقال : هو ما أقول لك .

---

(١) البقرة ـ ٨٥ .

(٢) منتخب الأثر ص ٣٤٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٣ ومثير الأحزان ص ٢٢٦ بلفظ آخر .

(٣) الإرشاد ص ٣٣٠ وعدة مصادر .

(٤) هي ليلة الخامس عشر من شهر شعبان سنة ٢٥٥ هـ . أنظر التفصيل في الغيبة للطوسي ص ١٤١ وإعلام الورى ص ٣٩٤ ومنتخب الأثر ص ٣٤١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٣٦ و١١١ والمهدي ص ١٠٩ ومثير الأحزان ص ٢٩٥ بلفظ آخر وتفصيل والإمام المهدي ص ١٢٣ وإلزام الناصب ص ٩٤ تجد القصة كاملة .

(وتابعت :) فجئتُ فسلّمت وجلستُ ، وجاءت نرجس تنزع خُفّيّ وقالت لي : يا سيدتي وسيدة أهلي كيف أنتِ ؟ . فقلت : بل أنتِ سيدتي وسيدة أهلي . فأنكرتْ قولي وقالت : ما هذا يا عمّة ؟ . فقلت لها : يا بُنَيّة ، إن الله تبارك وتعالى سَيَهبُ لكِ في ليلتِك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة ، فخجِلَتْ واستَحيتْ .

فلما أن فرغتُ من صلاة العشاء الآخرة ، أفطرتُ وأخذتُ مضجعي فرقدت . ولما كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ، ففرغت من صلاتي ونرجس نائمة ليس بها حادثة . ثم جلستُ معقبةً ، ثم اضطجعت . فانتبهتْ هي فَزِعَةً وهي راقدة ، ثم قامت وصلّت ونامت . .

وخرجتُ أتفقد الفجر ، فإذا أنا بالفجر الكاذب كذَنَب السرحان ، وهي نائمة . فدخلني الشك فصاح بي أبو محمد من المجلس قائلاً : لا تعجلي يا عمّة فهناك الأمر قد قرُب . فجلست وقرأتُ آلم السجدة ويّس . فبينما أنا كذلك انتبهتْ نرجس فزعَةً فوثَبْتُ إليها وقلت : اسمُ الله عليكِ ، أتَحِسّين شيئاً ؟ . فقالت : نعم يا عمّة . فقلت لها : إجمعي قلبك فهو ما قلتُ لكِ . . ثم أخذتْني فَترة ـ أي نعاس ـ وأخذتها فَطرة ـ أي انشقاق بطن وخروج مولود ـ وانتبهتُ بِحِس سيدي ! . فكشفتُ عنها ، فإذا أنا به عليه السلام ساجدٌ يتلقى الأرض بمساجده . فضممته فإذا به نظيف ، فصاح لي أبوه : هلمّي إليَّ ابني يا عمّة . فجئت به إليه ، فوضع يديه تحت أَلْيَتَيْه وظهرِه ، ووضع قَدَمه في صدره . وأذّن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ثم أدلى لسانه في فيه كأنّه يغذّيه لبناً ، وأَمَرّ يده على عينَيه وسمعه ومفاصله ، وحنّكه وقال : تَكَلّمْ يا بنيّ . فقال :

أشهد أن لا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله . ثم صلّى على أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه وأحجم . ثم قال أبو محمد : يا عمّة ، إذهبي به إلى أمه ، فذهبْتُ به إليها . وقال أبو محمد : يا عمّة ، إذا كان اليوم السابع فأتينا [1] . .

---

(١) القصة بكاملها في البحار ج ٥١ ص ٢ ـ ٣ ، وص ١٣ ـ ١٤ والغيبة للطوسي ص ١٤١ وإعلام الورى ص ٣٩٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ومنتخب الأثر =

هذا ، وقد حكى التاريخ أيضاً أن والده استدعى قابلة أخرى من غير أقربائه ومن غير شيعته ، لتحضر مولده وترى شخصه ، ولتُعمّم الخبر بين جاراتها وأترابها فيزول الشك بولادته [1] . وقيل إن أباه ضاعف لهذه القابلة الأجر كثيراً وأوصاها بالكتمان ، وهو يعلم أنها ستذيع الخبر وستشهد بما رأت وبما سمعت ، سُئلت عن ذلك أم لم تُسأل كما هو شأن النساء . .

ثم أكملت السيدة حكيمة حديثها السابق قائلة : لمّا أصبحت جئت لأسلّم على أبي محمد ، وكشفت الستر لأتفقد سيدي فلم أره . فقلت : جُعلت فداك ، ما فعل سيدي ؟ . فقال : عمّة ، استودعناه الذي استودعتْ أمُّ موسى ابنَها[2] (أي غيّبناه في حرز الله تعالى . . ثم جاء عنها :)

ولما كان بعد ثلاث اشتقتُ إلى ولي الله فصرت إليهم ، فبدأت بالحجرة التي كانت نرجس فيها فلم أرَ له أثراً ولا سمعت له ذِكْراً ، ورأيت أمّه جالسةً وعليها ثياب صفر ، وهي معصوبة الرأس ، وبجانبها مهدٌ عليه أثواب خضر . فدخلت على أبي محمد فبدأني بقوله : يا عمّة ، في كنف الله وحرزه وستره وعينه حتى يأذن الله له . فإذا غيّب الله شخصي وتوفّاني ورأيتِ شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم . وليكنْ عندك وعندهم مكتوماً ، فإن وليَّ الله يُغيّبه الله عن خلقه ، ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد حتى يقدّم له جبرائيلُ الفَرس ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً [3] . .
(وتابعت هذه السيدة العظيمة :)

ولما كان اليوم السابع جئت فسلّمت وجلست فقال ـ أي أبو محمد عليه السلام ـ : هلمّي إليَّ ابني . فجئت سيدي وهو في الخرقة ، ففعل به كفعله الأول ، ثم أدلى

= ص ٣٢٣ إلى ٣٣٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٤٤ والإمام المهدي ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ومثير الأحزان ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(١) الغيبة للطوسي ص ١٤٤ والبحار ج ٥١ ص ٢٩٣ وإلزام الناصب ص ١٠١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٣٦ ـ ٣٧ وص ١١٣ .

(٢) منتخب الأثر ص ٣٧٤ و٣٧٥ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٠ والغيبة للطوسي ص ١٤٢ ومصادر أخرى .

(٣) الغيبة للطوسي ص ١٤٢ والبحار ج ٥١ ص ١٩ .

لسانه في فيه كأنما يغذّيه لبناً وعسلاً ، ثم قال : تكلّم يا بنيّ ، فتشهّد وصلّى على النبيّ والأئمة حتى وقف على أبيه ثم تلا :

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) . وقد كان الإمام الصادق ﷺ إذا قرأ هذه الآية يقول : والله إن تنزيل هذه الآية في بني إسرائيل ، وتأويلها فينا (٢) . .

وهكذا ، فإن الله تعالى قد آتى المولود المبارك الحكمةَ وفصلَ الخطاب ، وجعله آية للعالمين ، كما قال من قبل : ﴿ يا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ (٣) .

ونقلتْ صقيلُ الجاريةُ : أنَّ العسكريَّ ﷺ قال لولده في حديثٍ له معه قُبَيْلَ وفاته ، يخاطبُه كطفلٍ أُوتيَ الحكمةَ من الله وكان آيةً في جميع أطوار حياته : ـ أبْشِرْ يا بنيَّ ، فأنت صاحب الزمان ، وأنت المهديّ ، وأنت حجة الله على أرضه ، وأنت ولدي ووصيّي (٤) .

ثم كررت السيدة العظيمة حديثها عنه ، تكرارَها لرؤيته والتشرّف بزيارته ، فقالت يوماً : إشتدَّ شوقي إلى وليّ الله ، فصرت إلى البيت ، فبدأت بالحجرة التي فيها الجارية ، وعدلت إلى المهد ، ورفعت الأثواب ، فإذا أنا بوليّ الله نائم على قفاه غير محزوم ولا مقموط ، ففتح عينَيه ، وجعل يضحك ويناجي بإصبعه ، فتناولته وأدنيته

---

(١) القصص ـ ٥ ـ ٦ والخبر بكامله في البحار ج ٥١ ص ٣ و١٩ ومنتخب الأثر ص ٣٣٥ إلى ٣٣٨والغيبة للطوسي ص ١٤٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١١ ومثير الأحزان ص ٢٩٦ وإعلام الورى ص ٣٩٥ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٨٨ وفي مجمع البحرين ص ٨٥ : نزلتْ في القائم ، وفي شرح النهج م ٤ ص ٣٣٦ قال ابن أبي الحديد : إن أصحابنا يقولون : إنه وَعَدَ بإمامٍ يملك الأرض ، ويستولي على الممالك .

(٢) إلزام الناصب ص ٢٢٠ والبحار ج ٥٣ ص ٢٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٣ .

(٣) مريم ـ ١٢ . وانظر ينابيع المودة ج ٣ ص ٣٧ و٦٢ .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ١٧ وإلزام الناصب ص ١٠٤ ومنتخب الأثر ص ٣٤٥ .

إلى فمي لأقبّله . فشممتُ منـه رائحة مـا شممتُ قط أطيب منها ! . ونـاداني أبـو محمـد : يا عمّتي ، هلمّي فتـايَ إليّ . . فتناولـه وقال : أنـطقْ . . وفعل كمـا فعـل أولاً . ثم تناولتُهُ وهو يقول : يا بنيّ ، أستودعـك الذي استـودعتْه امُ مـوسى . كُنْ في دَعَتِه وستره وكَنَفه وجواره . وقال : رُدِّيه إلى أمه يا عمّـة ، واكتمي خبر هـذا المولـود علينا ، ولا تُخبري به أحداً حتى يبلُغ الكتابُ أجَلَه ، فأتيتُ أمه وودّعتهم [1] . . (اي لا تخبري من لا تثقين به . . ثم قالت مرة أخرى :)

دخلت دار أبي محمـد ، فإذا مـولانا صـاحب الزمـان يمشي في الـدار . فلم أرَ وجهاً أحسن من وجهه ، ولا لُغة أفصح من لُغته ! . وقد ابتسمتْ بسخـريةٍ حين سُئلتْ يوماً : هل كان لابن أخيك العسكريّ ولد ؟ . وقالت : إذا لم يكن للحسن ﷺ عَقِبٌ فمنِ الحجة من بعده؟[2] ! . قالت ذلك ككـلّ اثنيْ عَشَرِيٍّ يعتـرف بالـوحدانيـة والنبوّة والولاية للأئمة حتى القائم ﷺ .

وحكيمة هذه ، كانت قد طلبت من ابن أخيها العسكري ﷺ أن يقدّم الله موتها على موته ، فكان لها مـا طلبتْ . وقيل إن أمَّ المهـديّ ﷺ طلبت ذلك منـه لِمَا رأت من ظلم الحاكم وضيْق السجن ، فدعا الله فجعل منيّتها قبل منيّتـه ، وماتتـا في حيـاتـه رضـوان الله عليهما[3] . وفي ذلـك لطفٌ من الله تعـالى بهاتين السيـدتين الكـريمتين اللّتين لو مات العسكريّ عنهما لَلَحِقَ بهما الهوان من خلفاء السوء لِمَا فعلوه من انتهاك حرمة بيته بعد وفاته . .

هذا ، وإلى القارىء شهادات أخرى عن مولده ، ووجوده ، تقطع الشك وتوجب الجزم عند كل مكابرٍ أو مستهجِن ، لأن ولادته أمرٌ مفروغٌ منه لدى كلِ من يُلقي السمع وهو رشيد :

---

(١) أنظر الغيبة للطوسي ص ١٤٣ والبحار ج ٥١ ص ١٨ و٢٩٣ ومثير الأحزان ص ٢٩٦ .

(٢) إلزام الناصب ص ٩٤ و١٠١ والذي سألها هو أحمد بن عبدالله الهاشمي .

(٣) راجـع البحـار ج ٥١ ص ٥ ومنتخب الأثـر ص ٣٤٥ والمحجـة البيضـاء ج ٤ وكشـف الغمـة ص ٢٩٠ وص ٢٦٧ القسم الأول منه .

قال العَمْريّ : (وهو صاحب أبيه ، وسفيره الأول بعد مضيّ أبيه).

لما وُلد السيد ﷺ ، قال أبو محمد : إبعثوا إلى أبي عمرو . فبعثوا ، فقال : إشترِ عشرة آلاف رطل لحم ، وفرِّقها حِسْبَةً على بني هاشم . وعَقّ عنه فبعث لكل واحد من أصحابه بشاةٍ مذبوحة ، وأمر أحد أصحابه بتوزيع تلك الصدقات [1] .

ثم بعث بأربعة أكبُشٍ إلى صاحب له خارج سُرَّ من رأى وكتب إليه في رسالة : - عُقّ هذه عن ابني المهديّ ، وكُلْ هنِّأك الله ، وأطعم من وجدتَ من شيعتنا [2] . . فهل فعل أبوه كل هذا تبركاً بالعقيقة والصدقة فقط ؟ ! . أم أراد أن يعمِّم البشارة بالمولود وينشر الخبر ؟ ! . إنه بلا شك يباشر مشروع إعلانه على القاصي والداني ، ولذا قيل إنه بعد ذلك جلس وتنفَّس مغتبطاً مسروراً وقال أمام من يثق بهم ممن عرفوا وبلّغوا غيرهم ، فوصل بلاغهم إلينا ، قال :

- الحمد لله الذي لم يُخرجني من الدنيا حتى أراني الخَلَف من بعدي . . يحفظه الله في غَيْبَته . . . زعموا أنهم يريدون قتلي فيقطعون هذا النسل ؟ . وقد كَذَّبَ الله عزّ وجلّ قولَهم ، والحمد لله . . إبني هذا ، هو الإمام والحجة بعدي [3] . . .

وهكذا . . فقد استعمل العسكريّ ﷺ كل وسائل إعلامه لنشر خبر ولادة ابنه المهديّ ﷺ :

كاستدعاء عمّته للمبيت عنده ، لتحضر المخَاض ، وتنشر الخبر بين الخاصة ، وهي الصادقة المصدَّقة بين الناس بما هي فيه من الفضل وشرف المنزلة وعلوّ المكانة وجلالة القدر .

وكاستدعاء قابلة من غير شيعته ، لترى ، وتفوز بهدية لا تخطر لها على بال . . ولتُذيع ذلك بين العامّة .

---

(١) منتخب الأثر ص ٣٤١ مع تفصيل ، والبحار ج ٥١ ص ٥ والإمام المهدي ص ١٢٧ .

(٢) الغيبة للطوسي ص ١٤٨ والإمام المهدي ص ١٢٦ - ١٢٧ والبحار ج ٥١ ص ٢٢ ومنتخب الأثر ص ٣٤٣ بلفظ آخر .

(٣) البحار ج ٥١ ص ١٦١ ومنتخب الأثر ص ٣٤٣ - ٣٤٤ والغيبة للطوسي ص ١٣٤ و١٣٦ بلفظ قريب .

وكَعَرض ابنه على جلّ أصحابه في مناسبات شتّى (١) كما ترى في هذا الموضوع .

وكفسح المجال أمام القائم الحجة عليه السلام ليستقبل أصحاب أبيه فيقبض منهم الأموال ، ويفند الحرامَ منها والحلال ، كما ترى لاحقاً .

وكغير ذلك من وسائل إظهاره ، ليشتهر أمره بين الخاصة والعامة قبل لحوق أبيه بالرفيق الأعلىٰ . .

ولا تخدشنّ أذهاننا صفته الخارقة وكونه حجةً بعد أبيه في حداثة سنّه .

فنحن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيّان غير بالغَين ، ولم يبايع طفلاً غيرهما . ونَعلم أن علياً ـ أباهما ـ قد آمن بالله ورسوله وبَذَلَ النُصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عشر سنين ، فَقَبِلَ إيمانه ولم يقبل إيمان طفل غيره ولا دعا طفلاً للإيمان بالله وبرسوله . .

ذُرِّيَّةً بعضُها مِنَ بعضٍ يَجري لآخرهم ما جرى لأوَّلهم سواء بسواء . . فقد جعله الله إماماً في صِغَره ، وآتاه الحكم صبيّاً كما آتى يحيى ، ثم جعله كذلك كما جعل عيسى من قبله في المهد نبيّاً . . فلا مجال للتفلت من الحجج الدامغة الواردة عن جدّه وآبائه عليهم السلام واعترافات المؤرخين ، فالأخبار به وبأوصافه كانت كلها معروفة عند القاصي والداني من المسلمين ، وعند المؤالفين والمخالفين بلا استثناء أحد ، بل عند الحكام والسوقة والكبار والصغار ، إلى جانب أن أصحاب أبيه رأوه بعد ولادته ودفعوا له الأموال كما سيجيء ، وكانوا عرضة لامتحان معاجزه المُثْبِتة لإمامته في حداثته ، والمؤكّدة لأحاديث جدّه الناصّة على أوصيائه الاثني عشر .

أجل ، إنه قد رُؤيَ من الكثيرين ـ جماعات ووحداناً ـ فيما بين ولادته وسنته السادسة ، وخصوصاً في السنة الأولى من عمره الشريف ، وحين وفاة أبيه ـ أثناء الصلاة على جثمانه الطاهر ، وأثناء دفنه ـ رأوه بتقدير من الله عزّ وجلّ ليثبّت المعتقدين به على عقيدتهم حين يحاول الشيطان أن يستزلّ الضعفاء . . وقد نقل أكثرُ من رآه

---

(١) الغيبة للطوسي ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ومنتخب الأثر ص ٣٥٥ .

وصفاً له ، ثم نقل بعضُهم أحكاماً صدرتْ عنـه ، وفتاوى ومعـاجزَ عـديدة ، أثبت لهم فيها أنه المهديّ الذي عناه قول النبيّ صلى الله عليه وآله بعينه . وها إنني أُتابع نقـل أقوال بعض من رأوه ، مكتفياً بها عن غيرها من الكثير الكثير الذي يضيق عنه المجال .

قال ظريف : (خادم أبيه) :

ـ لمّا وُلد تباشرَ أهلُ الدار بذلك . فلما نشأ خرج إليَّ الأمر أن أبتاع في كل يـوم مع اللحم قصب مُخّ ، وقيل إن هذا لمولانا الصغير [1] . . (فهل هـذا القول البـريء مختـرَعُ اختـراعـاً ، والخـادم يُلقيـه إلى من يحـدثهم بـه على سجيتـه وبـالبسـاطـة التامة ؟ !) .

قال أبو غانم : (خادم أبيه ، وأنا أبدأ بهؤلاء لأن أهل الدار أدْرَى بالذي فيه) .

ـ دخلت على صـاحب الزمـان عليه السلام وهـو في المهـد ، فقـال : عَليٌّ بـالصَّنـدل الأحمـر (وهو خشب هنـديّ طيب الرائحـة) فأتيتـه به ، فقـال : أتعرفني ؟ . قلت : نعم ، أنت سيـدي وابن سيـدي . فقـال : ليس عن هـذا سـألتُـك . قلت : جُعلت فـداك ، فَسِّـرْ لي . فقـال : أنـا خـاتم الأوصيـاء ، وبي يـدفـع الله عـن أهلي وشيعتي [2] . . (إنه فعلَ هذا مع الخادم تلطُّفاً منه في حديثه معه . . هذا صحيح ، ولكن الإمام لا يلهو ، ولا يُلقي الكلام على عواهنه ، بل خـاطبه بـذلك بُغْيَـة نقلِهِ إلى الناس في مجلس أبيه ، وفي الطريق ، وفي السوق ، لتـطمئن قلوب المؤمنين وتطيب نفـوسهم . وهؤلاء الذين تشرفوا بخدمته وخدمـة أبيـه العسكـري عليه السلام هم مَنْ هم في مراتب الدين والكمال والصدق والأمانة والاستقامة ، لا خـدَم كالخـدم في مجال معنى اللفظة الضيق . . ثم قال أبو غانمٍ مرةً ثانية :)

ـ وُلد لأبي محمدٍ الحسن مـولودٌ فَعَـرَضَهُ على أصحـابه يـومَ الثالث وقـال : هذا

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٢٢ والإرشاد ص ٣٣٠ والغيبة للطوسي ص ١٤٨ وفي الكافي م ١ ص ٣٣٠ أنه رآه .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٨٩ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٦ عن ظريف الخادم ومثله في إلزام الناصب ص ١٠٠ و١٠٤ وفي منتخب الأثر ص ٣٦٠ وكذلك في الغيبة للطوسي ص ١٤٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٦ وختمه بقوله عليه السلام : فبي يدفع الله البلاء عن أهل الأرض .

إمـامُكم من بعـدي ، وخليفتي عليكم . وهـو القـائمُ الـذي تمتـدُّ عليـه الأعنـاقُ بالانتظار [1] .

قالت نسيم : (وهي خادمٌ في بيت أبيه)

ـ دخلت على صاحب الزمان بعد مولده بعشر ليال ، فعطستُ عنده ، فقال : يرحمكِ الله . ففرحتُ بذلك ، فقال : ألا أبَشِّرُكِ بالعطاس ؟ . هو أمان من الموت ثلاثة أيام [2] . (فها هوذا ، سلام الله عليه ، يحادث الكل ، كلاًّ بحسب مستواه ، ويشارك الجميع في إعلان نبأ ولادته ، ويُعطيهم العلامات الدالَّةَ على مولودٍ غير عاديّ . . هو الإمام المنتظر الذي وَعَدَ به رسول الله ﷺ) . .

قال كامل بن إبراهيم المدنيّ : (وهو رجل جليل كان من المفوِّضة ، ثم اصطلح وَحَسُن إسلامه) .

ـ أنفذني أصحاب العسكري ﷺ لأسأله بعض المسائل ولأطّلع على قصة المولود الجديد . فدخلت على أبي محمد ﷺ وسلّمت وجلست إلى جانب باب عليه سترٌ مرسَل ، فجاءت الريح فكشفت طَرفه ، فإذا أنا بفتًى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها ، فقال لي : يا كامل بن إبراهيم ، فاقْشَعْرَرْتُ من ذلك وأُلْهمت أن قلت : لَبّيك يا سيدي . فقال : جئت إلى وليِّ الله تسأله : هل يدخل الجنّةَ إلاّ من عرف معرفتك وقال بمقالتك ؟ . قلتُ : إي والله ! . قال : إذن والله يقلُّ داخلُها . والله إنه ليَدخلها قومٌ يقال لهم الحَقِّية . قلت : يا سيدي ومن هم ؟ . قال : قومٌ من حُبهم لعليّ يحلفون بحقِّه ولا يدرون ما حقّه وما فضله . ثم قال : وجئت تسأله عن مقالة المفوِّضة ؟ ! . كَذِبوا ، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله ، فإذا شاء الله شئنا ، الله يقول : وَمَا تَشَاؤُن إلاّ أنْ يَشَاءَ الله ! ! ! ثم رجع الستر إلى حالته فلم أستطع كشفه .

---

(١) الإمام المهدي ص ٩٣ عن ينابيع المودة ، وص ١٣٢ عن البحار ومنتخب الأثر وينابيع المودة . .

(٢) الغيبة للطوسي ص ١٣٩ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٠ وإعلام الورى ص ٣٤٥ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٢٧٦ والبحار ج ٥١ ص ٥ وج ٥٢ ص ٣٠ وإلزام الناصب ص ١٠١ ومنتخب الأثر ص ٣٤٤ بلفظ قريب وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٢ ومثير الأحزان ص ٢٩٧ .

فنظر إليّ أبوه مبتسماً وقال : يـا كامـل ، ما جلوسُك وقد أنبـأك بحاجتـك الحجّةُ من بعدي ؟ ! (١) .

فقام وخرج واصطلح قلبه وحَسُنَ إيمانه بعـد ذلك ، لأنـه كان منحـرفاً يعتقـد أن الإمـام يستطيـع أن يخلُق ويرزق ، وقـد جاء ليسـأل العسكريّ ﷺ عن ذلـك فبادَهَـه الحجة بالجواب قبل السؤال ! . فكيف حدث ذلك من صبيٍّ آبن أربع سنوات ! ! ! .

الجواب عند المفكر الذي لا يدخل البيوت إلاّ من أبوابها . . وباب هـذا البيت هو رسولُ الله ﷺ . . فمن أخذ بقوله بإيمان لم يزغ قلبه ، ودخلت عليه حقيقةُ هذه الذُّرِّية المباركة دون استئذان . .

قال أبو الفضل : (وهو الحسن بن الحسين العسكريّ)

ـ دخلت على أبي محمد بسرَّ من رأى ، فهنَّأته بسيدنا صـاحب الزمـان ﷺ لمّا وُلد (٢) . . (فهل قوله هذا ، وقولُ غيره ، تسلية من التسلية ، وهو وأمثاله من الرهوط المرموقين ! ! !) .

قال أحمد بن إسحاق: (وهو ابن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعـري القمّي . وكان وكيل أموال الإمام ﷺ في قُمّ) .

ـ دخلت على أبي محمـد الحسن بن علي ﷺ ، وأنـا أريـد أن أسـألـه عن الخلَف من بعـده ، فقال لي مبتـدئاً : يـا أحمد بن إسحـاق ، إن الله تبارك وتعـالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق آدم ﷺ ولا يخليهـا إلى أن تقوم السـاعة ، من حُجّـة لله على خلقـه ، به يـدفع البـلاء عن أهـل الأرض ، وبـه يُنـزل الغيث ، وبـه يخـرج بـركـات الأرض . فقلت : يا آبن رسول الله ، فمن الإمام والخليفة بَعدك ؟ . فنهض مسرعاً ، فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كـأن وجهه القمـر ليلة البدر ، من أبنـاء ثلاث

---

(١) الإنسـان ـ ٣٠ . والخبـر في كشـف الغمـة ج ٣ ص ٢٨٩ والمحجـة البيضـاء ص ٣٤٦ ومنتخب الأثـر ص ٣٤٨ والغيبة للطوسي ص ١٤٨ وينـابيع المـودة ج ٣ ص ١٢٣ باختصـار آخره وإلـزام الناصب ص ١٠٠ ـ ١٠٦ .

(٢) منتخب الأثر ص ٣٤٣ والغيبة للطوسي ص ١٥١ والإمام المهدي ص ١٢٨ نقلاً عن البحار .

سنين ، فقال : يا أحمد بن اسحاق ، لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حُججه ما عرضتُ عليك آبني هذا . . قلت : يا مولاي ، هل من علامة يطمئن إليها قلبي ؟ . فنطق الغلام بلسان عربيّ فصيح : أنا بقيةُ الله في أرضه ، والمنتقمُ من أعدائه ، ولا تطلبْ أثراً بعد عين يا أحمد بن اسحاق . . (أي لا تحاول الرؤية دائماً) . فخرجت مسروراً فرِحاً بعد أن قال لي أبوه :

ـ . . . يا أحمد بن إسحاق ، هذا أمر من أمر الله ، وسرٌّ من سرّ الله ، وغيبٌ من غيب الله ، فَخُذْ ما آتيتُك واكتمه وكُن من الشاكرين تكنْ معنا غداً في علّيين [1] . .

وكان العسكريّ ﷺ قد كتب إلى صاحبه هذا قبل مثوله بين يدَيه :

ـ وُلد لنا مولود ، فليكن عندك مستوراً ، وعن جميع الناس مكتوماً . فإنّا لم نُظهِر عليه إلاّ الأقرب لقرابته ، والوليّ لولايته . أحببنا إعلامك ليسرّك الله به مثلما سرّنا به ، والسلام [2] . .

ولذلك سأله الإمام حين تشرّف بزيارته قائلاً : ما كان حالُكم في ما كان الناس فيه من الشك والإرتياب ؟ . فقال : لمّا ورد الكتاب بخبر سيدنا ومولده ، لم يبْقَ منّا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلاّ قال بالحق [3] . ـ أي آمنَ بولادة الثاني عشر من الأئمة ، واعتقد بأنّه حُجّةُ الله على الخلق ـ .

قال يعقوب بن منقوش :

ـ دخلتُ على أبي محمد الحسن بن عليّ ﷺ وهو جالسٌ على دكّان ـ أي مِصْطبة ـ في الدار ، وعن يمينه سترٌ مُسْبَل . فقلت له : سيّدي ، من صاحب هذا

---

(١) تجد الحديث كاملاً في بشارة الإسلام ص ١٦٧ ـ ١٦٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٦ وإعلام الورى ص ٤١٢ ومنتخب الأثر ص ٢٢٧ إلى ٢٢٩ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٩ والغيبة للطوسي ص ١٤٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٠ والإمام المهدي ص ١٣٤ ـ ١٣٥ وإلزام الناصب ص ٦٩ و١٠٤ وفي ص ١٤٢ شيء منه .

(٢) البحار ج ٥١ ص ١٦ وج ٥٢ ص ٢٣ ـ ٢٤ ومنتخب الأثر ص ٣٤٤ والإمام المهدي ص ١٢٨ .

(٣) منتخب الأثر ص ٣٤٥ .

الأمر ؟ . فقال : إرفع الستر ، فرفعتُه فخرج إلينا غلام (ثم وصفَه) فجلس على فخذ أبي محمد ﷺ فقال : هذا صاحبكم . ثم وثب فقال له : يا بُنيَّ ادخلْ إلى الوقت المعلوم . فدخل البيت وأنا أنظر إليه . ثم قال لي : يا يعقوب آنظرْ من في البيت . فدخلتُ فما رأيتُ أحداً ! [1] . (فبمثْل هذا الأسلوب كان الإمام ﷺ يمرِّن شيعته على تقبُّل ستر ولده ، وعلى ممارسة غَيبته) .

قال عيسى بن مهديّ الجواهريّ :

ـ تشرَّفت بالدخول عليه ، فدنوت منه ، ورَهِبْتُ حتى ظننتُ عقلي قد اختلط ، فقال : يا عيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذِّبون القائلون بأينَ هوَ ؟ ومتى كان ؟ وأين وُلِد ؟ ومن رآه ؟ وما الذي خرج إليكم منه ؟ وبأيِّ شيء نبَّأكُم ؟ وأيّ مُعجز أتاكم ؟ . . يا عيسى فخبِّر أولياءنا ما رأيت ، وإيَّاك أن تخبر عدوَّنا فَتُسْلَبه [2] . (أي تُحْرَم من هذا الإكرام .)

قال ابراهيم بن محمد التبريزي :

(ونُقل حديثه حرفيّاً عن رفيقه : أحمد بن عبد الله الهاشمي ، الذي تشرَّف برؤيته معه في مجلس واحد) .

ـ دخلت دار أبي محمد الحسن بن عليّ ﷺ بسرَّ مَن رأى يوم تُوفي وأُخرجتْ جنازتُه ، ووُضعتْ ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعودٌ ننتظر ، حتى خرج علينا غلامٌ عُشاريُّ القدّ ـ كأنَّ عمره عشر سنين ـ عليه رداء قد تقنَّع به . فلما خرج قُمنا هيبةً له من غير أن نعرفه ، فتقدَّم وقام في الناس فاصطفُّوا خَلفه فصلَّى عليه . . ومشى فدخل بيتاً غير الذي خرج منه [3] . . (وسترى في مشاهدة ثانية كيف منع عمَّه جعفراً

---

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٧ ومنتخب الأثر ص ٣٥٦ مع وصفٍ للقائم ﷺ وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٥ وإلزام الناصب ص ١٠٤ وإعلام الورى ص ٤١٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٤ .

(٢) منتخب الأثر ص ٣٧٦ في حديث مفصَّل .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٥ ورآه علي بن مطهّر ، والإرشاد ص ٣٣٠ والإمام المهدي ص ١٢٩ عن منتخب الأثر باختصار وص ١٣٥ و١٣٦ روى عن أحمد بن عبدالله الهاشمي وكذلك في إلزام الناصب ص ٩٤ حيث سأل عمّته هل كان للحسن ولد ؟ . فتبسمت وقالت: إذا لم يكن للحسن عَقب فمن الحجة من بعده . . .

الكذاب من الصلاة على أبيه قُبيل دفنه .)

قال أبو الأديان :

(وهو من أصحاب أبيه . رآه هو وأبو سهيل : اسماعيل بن عليّ النّوبختيّ ، وأبو الحسن الضرّاب الأصبهاني ، وراشد الأسد آبادي ، وأبو راجح الحمامي ، وكامل بن ابراهيم ، ورشيق صاحب المادراي ، مع غيرهم ممن رأوه يوم وفاة أبيه العسكريّ عليه السلام فقال أبو الأديان :)

ـ . . . فلما صرنا في الدار ، إذ نحن بالحسن بن عليّ صلوات الله عليه ، على نعشه مكفَّناً ، فتقدَّم جعفر بن عليّ (الهادي) ليصلّيَ على أخيه . فلمَّا همَّ بالتكبير خرج صبيٌّ فجذب رداء جعفر ، وقال : تأخَّر يا عمّ ، فأنا أحقُّ بالصلاة على أبي . فتأخّر جعفر وقد اربدَّ وجهُه ، وصلّى على أبيه ، ودُفن ـ أي العسكريّ ـ إلى جانب قبر أبيه الهادي (١) . (وقد تولّى الحجّة المهديّ دفن أبيه بنفسه بعد الصلاة عليه ، لأنه لا يصلي على الإمام ، ولا يدفنه إلّا إمام مثله .)

قال جماعةٌ من قُمّ :

(وهؤلاء جاؤوا بأموال يريدون دفعها للعسكريّ عليه السلام فوصلوا إلى سامرّاء بعد وفاته بأيام . فاحتال أخوه جعفر الكذّاب لأخذ الأموال منهم فلم يستطع إذ أفحموه وألقموه حجراً بأسئلتهم التي اعتادوا أن يسمعوا الأجوبة على مثلها من الإمام ، فتهدَّدهم باستعمال القوّة (٢) ، فخافوا على أنفسهم وخرجوا إلى السلطان يطلبون حمايته حتى يعودوا من حيث أتوا ، ففعل . . . ولمّا خرجوا من سامرّاء آيسين من مقابلة الحجّة بعد أبيه ، تلقّاهم خادمُه في ضواحي البلدة ، وناداهم بأسمائهم مع جهله بهم وبهويتهم (٣) ـ ولكن قال كما علّمه سيده ليكون ذلك معجزة تقنعهم

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٦٧ ومنتخب الأثر ص ٣٦٧ بتفصيل ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٠٨ ووفاة العسكري ص ٣٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٤ .

(٢) تجد التفصيل في منتخب الأثر ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ والبحار ج ٥٢ ص ٤٩ ووفاة العسكري ص ٤٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٥ وإلزام الناصب ص ١٠٦ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٠٦ وجملة مصادره مذكورة سابقاً ، والإرشاد ص ٣٢٠ و٣٢٥ بصورة خاصة ففيه تفصيل كثير .

بالرجوع راضين مطمئنين ـ فأرجعهم الخادم وأرشدهم إلى مكان القائم ﷺ فقالوا يذكرون ذلك :)

ـ دخلنا دار مولانا الحسن بن عليّ ﷺ وإذ ولده القائم ﷺ سيدُنا ، قاعدٌ على سرير ، كأنّه فلقة قمر ، عليه ثياب خضر . فسلّمنا عليه ، فردَّ السلام ؛ فقال :

ـ جملةُ ما معكم من المال كذا وكذا ديناراً : حَمَلَ فلان كذا ، وحمل فلان كذا . ولم يزل يصف حتى وصف الجميع . فَخَرَرْنا سُجَّداً لله عزّ وجلّ شكراً ، وقبّلنا الأرض بين يدَيه ، ثم سألناه عمّا أردنا ، فأجابنا ، وحملْنا إليه الأموال . . وأمَرَنا القائم ﷺ أن لا نحمل إلى سُرَّ مَن رأى بعد هذا شيئاً من المال ، وأنه ينصب إلينا في بغداد رجلاً نحمل إليه الأموال ، ويخرج من عنده التوقيعات ! [1] .

أمّا جعفر ، فقد كان حمل إلى الخليفة عشرين ألف دينارٍ بعد وفاة أخيه ، وقال : يا أمير المؤمنين اجعلْ لي مرتبةَ أخي ومنزلَته . فقال الخليفة : إعلَمْ أنَّ منزلة أخيك لم تكن بنا ، إنما كانت بالله عزَّ وجلَّ . ونحن نجتهد في حطِّ منزلته والوضع منه . . فإن كنتَ عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا [1] .

قال ابراهيم بن ادريس :

ـ رأيتُه بعد مضيّ أبي محمد ـ أي وفاته ـ وقبّلتُ يده ورأسه [1] .

قال سيماء :

(وهو من رجال الخليفة كان يتربّص بالقائم ليقتله إذا عثر عليه .)

ـ دخلت إلى دار العسكريّ بعد وفاته ، فكسرت بابها وأخذت منها طَبْرَزِين ـ وهي آلة سلاح ـ فقال لي المهديُّ : ما تصنع في داري ؟ ! . فقلت : إن جعفراً زعم أن أباك مضى ولا ولد له . فإن كانت دارك انصرفتُ عنك [2] . . (ولن أُذيع سرّاً إذا قلت : إنه انصرف من خوفه الذي قطّع قلبه هَلَعاً . . وقد سمع حديثه هذا أحد

---

(١) الإرشاد ص ٣٣٠ والغيبة للطوسي ص ١٦٢ والكافي م ١ ص ٣٣١ وإعلام الورى ص ٣٩٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٣ والإمام المهدي ص ١٢٩ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٣ والغيبة للطوسي ص ١٦٢ والكافي م ١ ص ٣٣١ .

زملائه من جلاوزة السلطان ، وممن كانوا يريدون قتل الإمام ﷺ أو طمس آثار ولادته المباركة عن أعين النـاس ، سمع حـديثه ، فعلّق عليـه قائـلاً : ـ لا يكاد يخفى على الناس شيء ! ! ! [1] .

يعني أن المـولود قـد عُرفَ لـدى الخاص والعـام ، وقـد رآه الخـاص والعـام ، والوليّ والعدوّ . . وقـد رُوي حديث سـرقة الـطُّبرزين عن نسيم خـادم العسكريّ ﷺ أيضاً .)

قال محمد بن اسماعيل :

(وهو محمد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر ﷺ وكـان من الشيوخ في ذلـك العهد .) ـ رأيت أبن الحسن بين المسجدَين ، وهو غلام[1] .

قال عبد الله بن صالح :

ـ رأيتـه بحـذاء الحجـر الأسـود والنـاس يتجـاذبـون عليـه ـ أي على الحجـر ـ ويتـدافعـون من حـولـه . وهـو يقـول : مـا بهـذا أُمِـروا[2] . . (أي أنهم لم يُؤمَـروا بالإلتفاف حـول الحجر ، والتفـرق عن إمام زمـانهم ! . فقد تـركوا مـا يسألهم الله عن تركه ويعاقبهم عليه ، ثم تهافتوا على ما لا يُثيبهم عليه وما لم يطلبه منهم) .

قال الزهريّ :

رأيتـه ، وهو أحسن النـاس وجهاً ، وأطيبهم رائحـة . ومـا كلّمني بـأكثـر من أن قال : ملعونٌ ملعـونٌ من أخرَّ العِشـاء حتى تشتبك النجـوم ! . ملعونٌ ملعـونٌ من أخّر الغـداة إلى أن تنقضيَ النجوم ! .[3] (أي من يؤخّـر صلاتَي العِشـاء والصبح إلى مـا بعد وقتَيهما دون عذر مشروع . .)

قال علي بن إبراهيم الأزدي :

---

(1) الإرشاد ص ٣٢٩ ومنتخب الأثر ص ٣٥٨ والكافي م ١ ص ٣٣٠ وإعلام الورى ص ٣٩٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٣ .

(٢) منتخب الأثر ص ٣٧٤ والإرشاد ص ٣٣٠ والغيبة للطوسي ص ١٦٢ والكافي م ١ ص ٣٣١ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ١٥ وإلزام الناصب ص ١١٣ .

- بينا أنا في الطواف ، وقد طفتُ ستةً وأريد السابع ، فإذا بحلقةٍ عن يمين الكعبة ، وشابٌّ حسن الوجه ، طيب الرائحة ، هيوبٍ مع هيبته ، متقرِّب إلى الناس . فلم أرَ أحسن منه كلاماً ، ولا أعذب من منطقه في حُسن جلوسه . فذهبتُ أكلِّمه فزَبَرني الناس - أي انتهروه - فسألت بعضهم : من هذا ؟ فقالوا : هذا ابن رسول الله ، يظهر في كل سنة يوماً لخواصِّه يحدّثهم [1] . (ثم وصفه بما وصفه به غيره .)

قال ابراهيم بن مهزيار (أو : مازيار)

(وهو من ثقات الشيعة الأخيار ، ومن مَراجعهم في عهده ، وكان يُعَدُّ من أبواب المهديّ عليه السلام ونوّابه .)

- رأيته في بيته ، وسألته عن أشياء [2] . (ثم وصفه وصفاً دقيقاً . . وقد كان يثابر على الحج طلباً لرؤيته ، فحجَّ عشرين سنة بهذا الأمل ! . ثم كان أن تشرَّف بالرؤية السعيدة مرة ثانية وقال يروي حادثتها :)

- قدمتُ مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فبحثت عن أخبار آل أبي محمد الحسن بن عليّ - العسكريّ - فلم أقع على شيء ، فترحَّلت إلى مكة مستبحثاً عن ذلك . . وفيها تـراءى لي فتىً فقصدني وسلَّم عليَّ ، وتعرَّف إليَّ ، ورحَّب بي ، ثم قادني إلى الطائف في خُفية ، وأخذ بي بعض مخارج الفلَوات ، فبدت لنا خيمة شَعر على أكَمَة رملٍ تتلألأ تلك البقاع منها . ودخل مسلِّماً وأعلَمَ بمكاني فخرج إليَّ الإذن بالدخول ، فدخلت فإذا به جالس على نمطٍ عليه نِطْعُ أدَمٍ أحمر - أي وسادة عليها جلد - متكيءٌ على مِسْوَرَة أدَم - مُتَّكأ من جلد - فسلَّمت فرد عليَّ السلام . وقد رأيت وجهاً مثل فلقة القمر ، وقد اتَّشح ببُرْدة واتَّزَر بأخرى ، وقد كسر بُردته على عاتقه فإذا هو كأقحوانة أرجُوانةٍ تكاثف عليها النَّدى ، وأصابها ألَمُ الهوا ، وإذا هو كغصن بان أو قضيب ريحان . (ثم عدَّد صفاته المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام وأتَمّ :)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ١ ، وإعلام الورى ص ٤٢١ والغيبة للطوسي ص ١٥٢ وإلزام الناصب ص ١١٢ و١٣١ ومنتخب الأثر ص ٣٦١ بتفصيل .

(٢) سفينة البحار ٢ / ٧٠٤ .

فأكبيتُ ألثم كل جارحةٍ منه ، فقال :

ـ مرحباً بك يا أبا إسحاق ، حيّاك الله . ما فعلتَ بالعلامة [1] التي بينك وبين أبي محمد الحسن بن عليّ ؟ . فقلت معي. فقال : أخرجها . فأدخلت يدي في جيبي فاستخرجتها ، فلمّا أن رآها لم يتمالك أن تغرغرت عيناه ، وبكى منتحباً حتى بلّ أطماره ، ثم قال مخاطباً الخاتم : بأبي يدٌ طالما جُلْتَ فيها . .

أذِن لك يا آبن المازيار . سِر إلى شِعب رحلك ، وكن على أهبةٍ من أمرك [2] .

(ورُوي هذا الحديث عن ولده : علي بن ابراهيم بن مهزيار أيضاً في بعض المصادر ، وذكر أنه رآه في المطاف حول الكعبة وطلب منه العلامة المذكورة سابقاً . فما أجمل ما وصفه به هذا الرجل الجليل حين أورد التشبيه اللطيف لما كان على جسمه الشريف من العَرَق من حَرّ الحجاز وهو في حال الإحرام ، حين أصابه ألَمُ هواء الحجاز فلوّح لونَ جسده ، ثم انكسر تلويحُه على لون الحُمرة البادي من جسمه فبدا كأقحوانةٍ أرجُوانة ـ حمراء ـ تفتن البصر ! .

وقد رآه ابراهيم بن مهزيار مرة أخرى، وقال عنه في حديث طويل :)

ـ . . فلمّا أن رأيته بَدرته بالسلام ، فردَّ عليَّ أحسن ما سلّمتُ عليه ، وشافهني ، وسألني عن أهل العراق ، فقلت : سيدي : لبسوا جلباب الذلّة وهم بين قوم أذلّاء . فقال لي : يا آبن مهزيار ، لَتَمْلكونهم كما ملكوكم وهم يومئذ أذلّاء ! فقلت : يا سيدي ، لقد بَعُدَ الوطن ، وطال المطلب ! . فقال : يا ابن مهزيار ، أبي ، أبو محمد ، عَهِدَ إليَّ أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ، ولهم الخزيُ في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب أليم . وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلّا وَعرها ولا من البلاد إلّا قفرها . . واللّهِ ، مولاكم أظهَر التقية ، فوَكَلَها بي ، فأنا في التقية إلى يوم يؤذن لي فأخرج [3] . .

---

(١) العلامة هي خاتم أعطاه الإمام العسكري عليه السلام لابن مهزيار ، مكتوب عليه : يا الله ، يا محمد ، يا عليّ . والخبر في الغيبة للطوسي ص ١٥٩ إلى ١٦١ والبحار ج ٥٢ ص ٤٤ ومنتخب الأثر ص ٣٦٣ و٣٧٢ وبشارة الإسلام ص ١٧١ ـ ١٧٢ وإلزام الناصب ص ١٠٧ ـ ١٠٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ باختلاف يسير وتفصيل .

(٢) منتخب الأثر ص ٣٦٤ والبحار ج ٥٢ ص ١١ ـ ١٢ وص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٣) الغيبة للطوسي ص ١٦١ والبحار ج ٥٢ ص ١٢ وإلزام الناصب ص ١٠٨ .

(ورُوي هذا الحديث عن علي بن ابـراهيم أيضاً ، وقيـل إن المقابلة كـانت في الحج بعد أن حجَّ عشرين سنة في طلبه . . ووجدتُ مقابلة أخرى لابن مهزيار قال لـه فيها القائم عَجَّل الله تعالى فَرَجَه :)

ـ إعلم يا أبا إسحاق أنه ـ أي العسكريّ ـ قال صلوات الله عليه : يا بني إن الله جلَّ ثناؤه لم يكن لِيُخليَ أطباق أرضه ، وأهلَ الجد من طاعته وعبـادته ، بـلا حُجَّةٍ يُستعلى بها ، وإمام يُؤتَمُّ بـه ، ويُقتدى بسبيـل سنَّته ومنهـاج قصده . وأرجـو يا بني أن تكـون أحدَ من أعـدَّه الله لنشر الحق وطيِّ البـاطل ، وإعـلاءِ الدين وإطفـاءِ الضلال . فعليك يا بنيّ بلزوم خوافي الأرض وتتبُّع أقاصيها ، فـإن لكل وليٍّ من أوليـاء الله عدوّاً مقارعاً وضدّاً منازعاً ، افتراضاً لثواب مجاهدة أهل نِفاقه ، وخلافة أولي الإلحاد ، فـلا يوحشنَّك ذلك (١) . .

قال محمد بن ابراهيم :

(وهو ابن مهزيار الذي كانَ وكيل أموال الإمام في الأهواز .)

ـ تَـوعَّك أبي ومـات . وترك لي مـالاً أمـرني بحمله إلى ابن الحسن وقـال لي : إتَّقِ الله في هـذا المـال ! . فقلت في نفسي : لم يكن أبي لِيُـوصيَ بشيء غيـر صحيـح . أحملُ هـذا المـال إلى العـراق . وأكتـري داراً على الشطّ ولا أُخبِـرُ أحـداً بشيء . فإذا وضحَ لي شيءٌ كوضوحه في أيام أبي محمد أنفذتُه . وإلاّ أنفقتُه في ملاذّي . فقدمتُ العراق . واكتريتُ داراً على الشطّ . وبقيتُ أياماً فـإذا أنا بـرُقعةٍ ـ أي كتابٍ ـ مع رسول فيها :

ـ . . . يـا محمـد ، معـك كـذا وكـذا . . حتى قصَّ عليَّ جميـع مـا معي ، وذكَّرني في جملته شيئاً لم أُحِطْ به علماً ـ فسلَّمته إلى الرسول ، وبقيت أيـاماً لا يُـرْفَع لي رأس ، فاغتمَمْت ، فخرج إليَّ ـ أي جاءه كتاب من القائم عليه السلام فيه ـ :

ـ . . قد أقَمْناك مكان أبيك ، فاحمدِ الله (٢)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٥.

(٢) الكافي م ١ ص ٥١٨ والإرشاد ص ٣٣١ والبحار ج ٥١ ص ٣١٠ و٣٦٤ وإعلام الورى ص ٤١٧ والغيبة للطوسي ص ١٧٠ ـ ١٧١ وفي المحجة البيضـاء ج ٤ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ وقـال : هـو محمد بن إبراهيم بن مهران .

(وبمثـل هـذه الحـوادث والعـلامـات ، يـرى المؤمن نفسـه على خـطة الأئمـة الماضين من آبائه عليهم السلام فلا يضيع ولا يضل) . .

قال محمد بن عثمان الْعَمْريّ : (وهو سفيره الثاني ، رضوان الله عليه) .

ـ رأيته ، وكان آخر عهدي به عند بيت الله الحرام ، وهو يقول :

ـ اللّهم أَنجزْ لي ما وَعـدتَني . . وكان متعلقـاً بأستـار الكعبـة في المستجـار ، يقول : اللّهم انتقم لي من أعدائي (١) .

(وقال لجماعة سألوه عنه في أثناء يفاعه ، وكأنهم كانوا شاكّين بولادتـه ، فقالـوا له مستفهمين : هل رأيته ؟ . فقال :) ـ رأيته والله ، ورقبتُه مثلُ ذي ـ وأشار بيـده إلى رقبته (٢) .

(والظاهر أن سفيره هذا ـ كبقية سفرائه ـ كان يتشرّف برؤيته ، وكان مع الأربعين رجـلاً الذين دخلوا على أبيـه ليسألـوه عنه بعـد انتشـار خبـر ولادتـه ، فـأحضـره إليهم وقال :)

ـ هـذا إمـامكم من بعـدي ، وخليفتي عليكم . أطيعـوه ولا تتفـرّقـوا من بعـدي فتهلكوا . أمَا إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا (٣) . ـ أي لا تجتمعون إليه وتتبادلـون معه الحديث كالمعتاد بين الإمام ومواليه من شيعته . ـ وممن كانوا مع سفيـره هذا يـومئذ : عليّ بن بلال . ومحمد بن معاوية بن حكيم ، والحسن بن أيوب بن نوح ، وغيرهـم من الثقـات الَّذين نُقـل عنهم قولهم :) ـ عَـرض علينا أبـوه آبنَهُ ونحن في منـزلـه ، وكنّـا أربعين (٤) . (وذكروا مثل الحديث السابق . .)

---

(١) البحـار ج ٥١ ص ٣٥١ وج ٥٢ ص ٣٠ والغيبـة للطوسي ص ١٥١ بـاختـلاف يسيـر . ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٦ ومنتخب الأثر ص ٣٥٩ .

(٢) الإرشـاد ص ٣٣٠ ومنتخب الأثر ص ٣٦٠ والغيبـة للطوسي ص ١٤٧ وإلزام النـاصب ص ١٠٤ بلفظ آخر .

(٣) كشـف الغمـة ج ٣ ص ٣١٧ والكـافي م ١ ص ٣٢٩ والبحـار ج ٥١ ص ٣٤٩ وج ٥٢ ص ٢٦ والغيبة للطوسي ص ٢١٧ وإلزام الناصب ص ١٠١ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ والإمـام المهدي ص ١٣٦ مع تفصيل للمقابلة الميمونة .

(٤) إعلام الورى ص ٤١٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٣ .

فهل وُلد القائم يا مزوِّرة الحقائق في بطون التاريخ ؟.

وهل هو موجود ، يا منمِّقة الألفاظ ومزوِّرة الكلام على منابر التضليل ؟ .

نعم ، وبلى . . إيْ والحق الذي لا ينطمس بجولة باطل ! .

إنه وُلد . .

وهو موجود ،

ومرصود لليوم المبارك الموعود

وما هَمَّ الشمسَ رُمْدُ العيون ! ! !

وما هَمَّ الحقيقة الساطعةَ تفنيدُ المنكرين ! ! !

ومن يمكُرْ . . . فإنَّ الله خيرُ الماكرين .

٤ ـ لِمَاذَا غَابَ ؟

وَمَا الحِكمةُ مِن غِيَابِهِ

(جاء في بعض أجوبة الأئمة عليهم السلام) :

ـ ما كلُّ ما يُعْلَم يقال ، ولا كل ما يقال حانَ وقتُه ، ولا كلُّ ما حان وقتُه حضر أهلُه ! [1] .

(فأرجو لي ولقارئي أن نكون ممن إذا سمع القليل وَعَى الكثير . . .) .

قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ـ لا بدَّ للغلام من غيبة ، يخاف فيها القتل ! [2] . (وقال صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ إنما مَثَلُ قائمنا ـ أهل البيت ـ كمَثَلِ السَّاعةِ لا يُجَلِّيها لِوَقتِها إلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ في السَّماوات . . لا يأتيكم إلَّا بَغْتَةً ! [3] . . (ورُوي مثله عن الرضا عليه السلام . . وقال :)

---

(١) البحار ج ٥٣ ص ١١٥ وإلزام الناصب ص ٦١ نقلاً عن عيون أخبار الرضا ، عن الرضا عليه السلام .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ٩٠ وفي كشف الغمة ج ٣ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ قصة توضح هذا الأمر .
(٣) البحار ج ٥١ ص ١٥٤ وفي منتخب الأثر ص ٢٢١ روي عن الرضا عليه السلام بلفظ قريب ، ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ١١٦ .

ـ إنما مَثَلُ أهل بيتي في هذه الأمة ، كَمَثَل نجوم السماء ، كلما غاب نجم طلع نجم . حتى إذا مددتم إليه حواجبكم ، وأشرتم إليه بالأصابع ، جاء ملك الموت فذهب به ! . ثم بقيتم سَبْتاً ـ أي وقتاً طويلاً ـ من دهركم لا تدرون أيّاً من أيٍّ . . فبينما أنتم كذلك إذ أطلع الله نجمكم ، فاحمدوه ، واقبلوه [1] . (ولا يخفى أن مدُّ الحواجب والإشارة بالأصابع يَعنيان الدلالة على الإمام والالتفاف من حوله ، الأمر الذي كان يُثير أضغان الأعداء فيكيدون له ويحتالون لقتله . . وقد جاء عن الصادق عليه السلام بهذا المعنى قوله :)

ـ إيّاكم والتنويه ! . أما والله لَيَغيبنّ إمامكم شيئاً ـ سبتاً ـ من دهركم ! . وَلَتُمَحَّصُنّ حتى يقال : مات أو هلك ، بأيّ وادٍ سلك ؟ . ولَتدمعنّ عليه عيون المؤمنين ! . وَلَتُكْفَأُنّ كما تُكفأ السفن في أمواج البحر ، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه [2] . . (وتجد تتمة هذا الحديث في موضوع الفتن والحروب . .) .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ إن أمرنا صعبٌ مستصعب ، لا يحتمله إلا مَلَكٌ مقرّب ، أو نبيٌّ مرسَل ، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان ! . ولا يعي حديثنا إلّا حصون حصينةٌ ، أو صدور أمينة ، أو أحلام رزينة [3] . . (وورد عن الصادق عليه السلام قريبٌ منه سبق في المقدمة . . . ثم قال عليه السلام :)

ـ إن القائم منّا إذا قام ، لم يكن لأحد في عنقه بيعة . فلذلك تخفى ولادته .

---

(١) الغيبة للنعماني ص ٧٩ والبحار ج ٥١ ص ٢٣ و٧٥ وفي ص ١٣٨ عن الباقر عليه السلام وفي الكافي م ١ ص ٣٣٨ عن الصادق عليه السلام وفي إلزام الناصب ص ٤ قسمُه الأول عن النبيّ صلى الله عليه وآله وكذلك في الصواعق المحرقة ص ٢٣٣ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٤٧ وص ٢٨١ والغيبة للنعماني ص ٧٧ وبشارة الإسلام ص ١٥١ و١٥٤ والغيبة للطوسي ص ٢٠٥ والكافي م ١ ص ٣٣٦ ومنتخب الأثر ص ٢٥٧ وإلزام الناصب ص ٨٠ و١٨٩ .

(٣) البحار ج ٥٣ ص ٧٠ و٨١ وج ٥٢ ص ٣١٨ وإلزام الناصب ص ١٢ وبشارة الإسلام ص ٦٧ـ ٦٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ٢٠٤ وفي الكافي م ١ ص ٤٠١ نصفُه الأول عن الباقر عليه السلام .

ويغيب شخصه [1] . . (والبيعة في لغة الأئمة عليهم السلام تعني إعطاء عهد يطوّق العنق ، وتقضي بعدم محاربة الظالم في حال لزومها ، بقضاءٍ سبق من الله تعالى كما جرى لآباء القائم عليهم السلام بعد الحسين الشهيد سلام الله عليه.

أما القائم فهو ـ على العكس ـ مخلوق ومرصود لإبادة الظلم والظالمين ، ويُعتبر سكوتُه ـ حالَ وجوده ظاهراً للناس ومع الناس ـ إقراراً للظالمين على ظُلمهم . . ويُعتبر قعودُه عن الجهاد رضىً ببقاء الظلم ، في حين أنه مُعَدٌّ من الله لقمع الظلم وإبادة الفساد . . فاقتضت مشيئة الله تغيبه لأمور سنكشف لك أكثرها إن شاء الله ، والله بالغ أمره على كل حال . .) .

قالَ الإمام الحسَن عليه السلام :

ـ أما علمتم أن الخضر لمّا خرق السفينة وقتلَ الغلام ، وأقام الجدار ، كان ذلك سُخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفيَ عليه وجه الحكمة منه ، وكان ذلك عند الله حكمةً وصواباً ؟ ! . أمَا إنه ما منّا أحدٌ إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ القائم [2] . . (فموسى عليه السلام وهو نبيٌّ ، كان يُظهر العَجب من عمل الخضر عليه السلام . . فكيف بمن هو مثلنا ، قاصرٌ عن إدراك كُنْهِ الحقائق ، ثم يجادل فيها ، ويحاول تأويلها بحسب فهمه ، مع أنها بعيدة عن مرمَى تفكيره وتناول فهمه ؟ ! . لهذا السبب ضرب الحسنُ السبطُ عليه السلام هذا المثل المحسوس الرائع لذوي العقول والأفهام من الذين يعتقدون أن الفرق شاسع بين ذوي الأفهام ، وبين ربّ ذوي الأفهام وخالقهم ! . ثم قال عليه السلام :)

ـ إن الله عزَّ وجلَّ يُخفي ولادتَه ، ويُغيِّب شخصَهُ ، لئلاّ يكونَ لأحدٍ في عُنقه بيعة إذا خرج [3] . (فتحرُّره من البيعة لأيِّ كان من الحكّام أمرٌ هامٌ ، ركّز عليه

---

(١) إعلام الورى ص ٤٠٠ والإمام المهدي ص ٨٠ وبشارة الإسلام ص ٥٢ عن الجواد عليه السلام ومنتخب الأثر ص ٢٥١ عن الباقر عليه السلام أوله .

(٢) البحار ج ٥١ ص ١٣٢ و٢٧٩ وإلزام الناصب ص ٦٦ ومنتخب الأثر ص ٢٠٦ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٨ وإعلام الورى ص ٤٠١ والإمام المهدي ص ٨٨ ـ ٨٩ والمهدي ص ١٦٠ بلفظ آخر عن الصادق عليه السلام .

(٣) الإمام المهدي ص ٨٩ نقلاً عن البحار .

النبيُّ ﷺ وأوصياؤه ﵈ من بعده كثيراً كثيراً . .) .

قال الإمام زين العابدين ؛ :

- القائم منّا يخفي على الناس ولادته حتى يقولوا : لم يولد بعد ، لِيَخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة [1] . (وورد عن الصادق ؛ بلفظ :)

- يقوم القائمُ وليس لأحدٍ في عُنقه عهدٌ ولا عَقدٌ ولا بيعة [2] .

(ثم قال السجّاد ؛ :) - واللّهِ لا يَخرج واحدٌ منّا - قبل خروج القائم ؛ - إلّا كان مثلُه مثلَ فَرْخ طار من وَكره قبل أن يستويَ جناحاه ، فأخذه الصبيانُ فعبثوا به ![3] . (وورد مثله عن الباقر ؛ . . وقال السجّاد موضحاً هذا الهجوم الشرس على تقتيل أئمة الهدى وحَمَلة دعوة الحق :)

- كأني بجعفر الكذّاب ، وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله ، والمغيَّب في حفظ الله ، والموكَّل بحرم أبيه ، جهلاً منه بولادته وحرصاً منه على قتله إن ظفر به ، وطمعاً بميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقه ! [4] .

(وجعفر الكذاب هذا ، هو أخ العسكريّ وابن الهادي ؛ الذي لم يَظهر السرورُ على أبيه حين وُلد . فسُئل عن ذلك فقال : سيضلُّ به خَلْقٌ كثير [5] . .

وهو الذي قال فيه مرةً أخرى :)

- تَجَنَّبوا ابني جعفر . فإنّه منّي بمنزلة نمرود من نوح الذي قال الله عزَّ وجلَّ

---

(1) البحار ج ٥١ ص ١٣٥ ومنتخب الأثر ص ٢٨٧ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٢ وإعلام الورى ص ٤٠٢ وبشارة الإسلام ص ٥٢ بلفظ آخر عن الجواد ؛ .

(2) الكافي م ١ ص ٣٤٢ والغيبة للنعماني ص ٨٩ وص ١٠٠ والمهدي ص ١٦٠ ومنتخب الأثر ص ٢٦٦ وص ٢٨٩ عن أمير المؤمنين ؛ .

(3) إلزام الناصب ص ١٣٧ والبحار ج ٥٢ ص ٣٠٣ وفي ص ١٣٩ عن الباقر ؛ ومثله في الغيبة للنعماني ص ١٠٥ .

(4) منتخب الأثر ص ٢٤٣ وإعلام الورى ص ٣٨٥ وإلزام الناصب ص ٦٧ .

(5) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٣١٣ .

فيه : قال نُوحٌ إنَّ آبني من أهلي . قال الله : يا نوحُ إنه ليس من أهلك . إنَّهُ عملٌ غيرُ صالح[١] .

(وهذا هو الذي قال فيه أخوه العسكريُّ ﷺ :) ما مَثَلي ومَثَلُه إلاّ مثل هابيلَ وقابيلَ آبني آدم . حيث حسد هابيلَ قابيلُ على ما أعطاه الله . ولو تهيَّأ لجعفر قَتلي لَفَعَل ، ولكنَّ الله غالبٌ على أمرِهِ[١] .

(وأمَّا لَقبُه بالكذّاب فهو من أعلامِ النبُّوة ، بل هو خير شاهدٍ على صِدْقِ ما نقلَه الأئمة ﷺ عن جدِّهم صلَواتُ الله عليه . . فإن زين العابدين ﷺ قد تكلَّم عنه وذكر آسمه ولقبه قبل أن يولد بحوالي مئتي سنة ! . ثم وُلِد ، وسُمّيَ ، ولُقِّبَ كذلك ! ! ! فكيف كان هذا هكذا ؟ ! . وهل تحضرني الجرأة أو تحضر قارئي فيقول أحدُنا : سأُرزق حفيداً بعد مئتي سنة يكون آسمه كذا ، وتكون صفاته كَيْتَ وكَيْت ؟ ! ! أما الأئمة فقد قالوا ذلك وأكثر منه . . وكانت سيرة جعفر الكذاب كما وصفوا ، وكان أمره كما حدَّثوا . فهل هذا علم غيب ؟ . لا . . بل هو إيمانٌ راسخٌ بما يقولون ، وتصديقٌ بما جاء به النبيُّ ﷺ عن ربه عزَّ وجلَّ ، واطمئنانٌ إلى تصديق الدعوة وثبوت الرسالة . . وكلُّ من قارب هذه المنزلة من الإيمان ، يمنحه الله تعالى نعمة التصديق به وبما جاء من عنده . . ومَن يلاحظْ جعفر هذا ، وحيرتَه حين انتشار خبر ولادة المهديِّ ﷺ وكيف حرَّض السلطة على كَبْسِ دار أبيه للظَّفر بالمولود وقتلِه ، وكيف سعى لدى شرطة السوء بكافة وسائل الوشاية والنفاق ، أقول : مَن يلاحظ ذلك يعرف مَبْلَغ صدق الأخبار التي حكت عنه قبل قرنَين ونصف القرن من الزمن ، ويؤمن بأن المخبر بها لا ينطق عن الهوى . .

فقد أغرى هذا المنافق الخليفة بعيال أخيه العسكريِّ ﷺ فأودعهنَّ الخليفةُ غياهبَ السجن[٢] . ثم استحوذ على إرث أخيه بعد وفاته بغير حق ، وأخافَ النساءَ وشرَّدهن ورماهن بوشايات كاذبة لدى السلطان ، وتصرَّف بأنانية بَغيضَة لئيمة ، فهبَّ السلطان المتربِّص بولادة المهديِّ ﷺ تربُّص فرعون بولادة موسى ، وبعث إلى دار

---

(١) إلزام الناصب ص ١١٤ .

(٢) الغيبة للطوسي ص ٧٤ بتفصيل وكذلك في الإرشاد ص ٣٢٥ .

العسكريّ عليه السلام من فتّش غُرفها ، وختم على جميع ما فيها بعد أن اعتقل أهلها ، وحبس بعض النساء لاحتمال أنها ربما كانت لا تزال حُبلى ! .

ومن ألطف ما جرى أثناء محاولات السلطان واحتياله للقبض على المولود وقتله ، ما جاء في الرواية التالية التي نقلَها بعضُ أفراد الشرذمة المكلَّفة بالمداهمة ، والتي تصف تجميع الشرطة والقيادة وتقول :

ـ فلمّا دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن ، فاجتمعوا على بابه وحَفِظوه حتى لا يصعد ولا يخرج ، وأميرُهم قائمٌ حتى يصل العسكر كلُّه . . فخرج المهديّ عليه السلام من باب السرداب ، وَمَرَّ عليهم مجتازاً بين أمير العسكر وأفراده ! . فلمّا غاب عن مرمى النظر القريب قال الأمير :

ـ إنزلوا عليه ! . فقال له بعض جنوده:
ـ أليس هو مرَّ عليك ؟ ! .
ـ فقال : ما رأيتُ ! ! ! وَلِمَ تركتموه ؟ ؟ ؟
ـ قالوا : إنّا حَسِبْنا أنك تراه ! ! ! (1) .

. . . ألا إن الأخبار الواردة عن الأئمة عليهم السلام بالسند الصحيح لتُنادي على نفسها بالصدق ، وتدعو الإنسان إلى الإيمان بها بالحُجة القاطعة ، وإلاّ كان من ذوي العناد الذين هم في صف جعفر الكذاب ، وفي صف النمرود وفرعون وغيرهم ممن حارب الله ورسوله . كيف لا ، وقد وُلد مولودٌ للهادي عليه السلام وسمِّيَ جعفر ولُقِّبَ كذّاباً ، وكاد لابن أخيه ، وفعل ما قالوه عنه قبل ولادته وبعدها . تماماً كما قدَّر الله ، وتماماً كما نقل رسول الله ، وتماماً كما بلَّغ أبناؤه الأُمناءُ : نَقَلَةُ الوحي وحُفَّاظ الرسالة ، قبل زمان جعفر ، وقبل أن يُخلق جعفرُ وأهلُ جعفر . . .) .

قال الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ إذا غضب الله تبارك وتعالى على خلقه ، نَحّانا عن جوارهم (2) . (فهل من

---

(1) الإمام المهدي ص ١٤٠ نقلاً عن سفينة البحار ٢/٧٠٤ والغيبة للطوسي ص ١٦٠ .
(2) الكافي م ١ ص ٣٤٣ والبحار ج ٥٢ ص ٩٠ .

سميع يفكِّر ويتدبَّر بعض أسباب هذه الغيبة الطويلة الموحشة ؟ ! وها هوذا يقول في مرة ثانية :)

ـ لَو أن بَني فاطمة عرفوه ، لَحَرصوا على أن يقطِّعوه بَضْعَة بَضْعة ! [1] . (وقد صدق باقر العلم . فإن في سعي جعفر الكذّاب بابن أخيه لدى الأعداء ، أكبر دليل على صحة ما قاله . . فقد كان هذا من واحد من بني فاطمة ، فكيف بما يمكن أن يكون من غيرهم من المتزلِّفين لكل حُكم جائر في كل زمان ومكان ؟ ! ! وقال :)

ـ هي والله السُّننُ القُذَّةُ بالقُذَّة ، ومشكاةٌ بمشكاة ، ولا بدَّ أن يكون فيكم ما كان في الذين من قبلكم ، ولو كنتم على أمرٍ واحدٍ كنتم على غير سنَّة الذين من قبلكم . ولو أن العلماء ـ أي الأئمة ـ وَجَدوا من يحدِّثونه ويكتم سرَّهم لَحَدَّثوا ولَبَثُّوا الحكمة . ولكن قد ابتلاكم الله عزَّ وجلَّ بالإذاعة . وأنتم قوم تحبوننا بقلوبكم ، ويخالفُ ذلك فعلُكم . واللّهِ ما يستوي اختلاف أصحابنا ، ولهذا أُسِر صاحبُكم ـ أي غاب وحيلَ بينكم وبينه ـ ليقال : مُختلفين . ما لكم لا تملكون أنفسكم وتصبرون حتى يجيءَ أمر الله تبارك وتعالى وقضاؤه ؟ . والصبرَ ! . إنما يَعجلُ من يخافُ الفَوت [2] ! . (وقد رُويَ هذا عن الإمام الصادق عليه السلام وزاد في آخره :)

ـ لا تَعجلوا ، فوالله لقد قَرُبَ هذا الأمر فأذعتموه ، فأخّره الله[3] . . . وسأله صاحبه أبو الجارود عن صاحب هذا الأمر فقال عليه السلام :)

ـ يُمسي من أَخْوَفِ الناس ، ويُصبح من آمَنِ الناس ! . يوحَى إليه هذا الأمر ليلَه ونهارَه . فقيل له : يوحَى إليه ؟ ! . فقال : إنه ليس يوحَى إليه وَحْيَ نُبوَّة ، ولكنه يوحَىٰ إليه كَوحيِه إلى أمِّ مريم بنت عمران ، وإلى أمِّ موسى ، وإلى النحل . . إنَّ قائم آل محمد لأكرمُ عند الله من مريم بنت عمران ، وأمِّ موسى والنحل ! [3] . (فقد ذكر القرآن الكريم هؤلاء في آيات مقدَّسة استعمل فيها لفظة : أوحَى ، بمعنى الإلهام ، والنكتة في القلب . .) .

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٩٨ وإلزام الناصب ص ١٢٧ وتحفه العقول ص ٢٢٩ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ١١٠ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٢٥٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٨٩ .

قال الإمام الصَادق عليه السلام :

- إن لصاحب هذا الأمر غيبةً لا بدَّ منها ، لأمرٍ لم يؤذن لنا في كشفه لكم ، ووجهُ الحكمة في غيبته وجهُ الحكمة في غيبات مَن تَقَدَّمه من حُججِ الله تعالى ذِكْرُه ، إنَّ وجهَ الحكمة لا ينكشف إلاَّ بعد ظهوره ، كما لم ينكشف وجهُ الحكمة لِمَا أتاه الخضرُ من خَرْقِ السفينة وقتلِ الغلام وإقامةِ الجدار لموسى ، إلاَّ وقتَ افتراقهما.

ومتى علِمْنا أنّه عزَّ وجلَّ حكيمٌ ، صدَّقْنا بأنَّ أفعالَهُ كلَّها حكيمةٌ وإنْ كان وجهُها غيرَ منكشفٍ لنا [1] .

(وقال :) - إن للقائم غيبة قبل أن يقوم . إنه يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه [2] : يعني القتل . (ولولا الخوف من جهة ، وما كتمه الأئمة عنّا من جهة ثانية ، لما ساغ له الغياب والله تعالى يُعصى في كل بقعة من بقاع الأرض ، ولَكان ينبغي له أن يخرج ، وأن يتحمل المشاقَّ والأذى في سبيل إعادة الحق إلى نصابه ، فإن منازل الأنبياء والأوصياء لا تَعْظُم إلاَّ بتحمّل المشاقّ في سبيل الله ، وغيابه الذي يعاني منه ما يعاني من الصعوبات ، وانتظاره الذي ابْتُلِيَ به منذ اثني عشر قرناً تقريباً ، يلاقي منه ما يلاقي من الصبر المرّ ، ومع ذلك يبقى في غيابه سِرٌّ قضت به مشيئة الله ، وحكمةٌ لا يعلمها إلا الله ورسولُه وأهلُ بيته كما يظهر من الحديث السالف ، ولا يتسنّى لنا معرفةُ وجه الغياب أثناء الغيبة مهما أعملنا الفكر . ثم قال في مناسبة أخرى :)

- إن فرعون لمّا وقف على أن زوالِ ملكه على يد مولود من بَني اسرائيل ، أمَرَ أصحابه بشقّ بطون الحوامل من نساء بَني إسرائيل ، حتى قَتَلَ في طلبه نَيِّفاً وعشرين ألف مولود ! . وتعذّر عليه الوصول إلى قتلِ موسى بحفظ الله تبارك وتعالى . وكذلك بنو أمية وبنو العباس ، لمّا وقفوا على زوالِ مُلك الأمراء والجبابرة منهم على يدَي القائم منّا ، ناصَبُوا العداوة ووضعوا سيوفهم في قتلِ أهل بيت رسول الله وإبادة نسله ، طمعاً منهم بالوصول إلى قتل القائم ! . فأبى الله أن يكشف أمره لِواحدٍ من الظلَمَة ، ﴿ وَيَأْبَى اللّهُ إلاَّ أنْ يُتِمَّ نُوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ﴾ [3] . (ذاك أن أهل العهدين :

---

(1) البحار ج ٥٢ ص ٩١ وإلزام الناصب ص ١٢٦ .
(2) إلزام الناصب ص ٨٠ و٨٥ وفي مصادر كثيرة .
(3) التوبة - ٣٣ والخبر في الكافي م ١ ص ٣٣٧ وبشارة الإسلام ص ١١٦ وص ١٤٦ الحديث =

الأمويّ والعبَّاسي ، كانوا لا يشكُّون بأمر المهديّ كأهل زماننا ، بل كانوا يعتقدون يقيناً بأنّه أمرٌ محتومٌ لا محيص عنه ، بل كانوا مستيقنين بأنه سيظهر في زمانهم ، ولذلك دأبوا على تقتيل آبائه خوفاً مما وعد الله تعالى به من السطوة والقوة التي تزيل مُلكهم . . وقد رُوي الجزء الأخير من هذا الحديث عن الإمام العسكريّ عليه السلام بلفظه . . ثم قال الصادق عليه السلام :)

ـ وكذلك النمرود ، فإنّه لمَّا علِمَ أن زوال مُلكه يكون على يد النبيِّ إبراهيم عليه السلام وكّلَ نساءَ قومه بالحبالَى من الناس ، وعزلَ الرجالَ عن النساء حتى يَقتُلَ كلَّ مولودٍ ذَكَرٍ في تلك السنة [1] . .

(وقال عليه السلام :) ـ إن القائم تمتد غيبته ليصرِّح الحقُّ عن محضه ، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد من كانت طينتُه خبيثةً من الشيعة الذين يُخشى عليهم النفاقُ إذا أحسُّوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام . ثم تلا الآية : ﴿ حتّى إذا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا أَتاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [2] .

(والرسل لا يستيئسون يقيناً ، ولا تجدُ صدورُهم حَرَجاً مما قضى الله ، ولا يخامر نفوسهم شك في وقوعِ أمره ونفاذ مشيئته ، ولو كذَّب الناسُ بما وعدوهم به . ولكن الله تعالى عنى بذلك أتباع الرسل ، فحذف المضاف وأقامَ المضافَ إليه مقامَه ، فنحن الأتباع الذين قد يستيئسون من ظهور القائم عليه السلام بعد هذه الغيبة الطويلة . ولذا بدت تباشير ارتداد مَن يُخشى عليهم النفاق في زماننا ، وصارت العقيدة لا تدخل إلى القلوب دون استئذان ودون طرح على مبضعة التشريح ، كما نرى عند بعض حَمَلة الهويَّة الشيعية . . . وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام قولُه الذي يجزم فيه ويؤكِّد :)

كاملاً ، والغيبة للطوسي ص ٢٠٢ وإعلام الورى ص ٤٠٥ و٤٣٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٦ والمهدي ص ١٦٩ ومنتخب الأثر ص ٢٠٥ و٢٩٥ بلفظ قريب وص ٢٩١ رُوي عن العسكري عليه السلام ما عدا أوله . وفي البحار ج ٥٢ ص ٩١ عن الباقر عليه السلام .

(١) إعلام الورى ص ٤٣٧ .

(٢) يوسف ـ ١١٠ والخبر في منتخب الأثر ص ٢٦١ والغيبة للطوسي ص ١٠٨ والبحار ج ٥١ ص ٢٢٢ وبشارة الإسلام ص ١٤٧ ـ ١٤٨ والمهدي المنتظر ص ٣٠ وللمهدي ص ١٧١ وانظر تعليلها المفصَّل في ينابيع المودة ج ٣ ص ٧٩ و١١٧ .

ـ لَيَغيبَنّ عنهم حتى يقولَ الجاهل : ما لِلّهِ في آلِ محمدٍ حاجة ! [1] . (وبعد ذكرِ هذا السبب ـ الذي هو التمييزُ والغَربلة ـ ذكرَ الإمامُ الصادق عليه السلام قلّةَ النّصير في الشكوى التي لَفَظَها أمامَ بعض أصحابه حين قال :)

ولكنّ من شيعتنا من لا يعدو صوتُه سَمْعَه ، ولا شَحْناؤه بَدَنه ، ولا يخاصم فينا والياً ، ولا يجالس لنا عائباً ، ولا يحدّث لنا ثالباً ، ولا يُحبّ لنا مبغضاً ، ولا يُبغِض لنا محبّاً [2] . . (فالشيعي الحق الذي يتخلّق ببعض أخلاقهم ، يكظم غيظه ، ولا يُبدي الشكوى لغير الله ، وخصوصاً حين يحسُّ بالضعف ويرى قلّة النصير . . فمن أين لهم بالنصير الذي يرتفع صوته بالحق ، ويُسمِعُ جهرَه به ، ويقف في ساح معركة الحق والباطل كي يُحْيِيَ أمْرَ الله أو يموت دونه ؟ ! !) .

قال الإمَام الكاظِم عليه السلام :

ـ له غَيبة يطول أمدها ، خوفاً على نفسه من القتل ، يرتد فيها قوم ويَثبت آخرون [3] . (والخوف الذي تتحدث عنه الأخبار القدسية هو غير ما يتبادر إلى الأذهان الساذجة من معاني الخوف الأوّلية ، بل هو ما يصدر عن صاحب وظيفة عُظمى ومسؤولية كبرى من الخوف من تعريض نفسه إلى القتل قبل أن يأذن له الله تعالى الذي منحه هذه الوظيفة بشرطها وشروطها ، فيكون كمن لم يمتثل أمر ربّه في واجبه المترتب عليه كُلّيّةً ، وكمن يُلقي بنفسه إلى التهلكة ويَخرج عن خطّة ربّه التي قدّرها له بجميع ما يسبقها ويواكبها من تقديرات الله ، وكمن يستبق موعدَ القيام بواجبه المحتوم عليه ، فيصلّي الظُّهْرَين وقت الضحى أو يصلّي العشاءَين قبل الغروب ، أو يصوم شهر رمضان قبل حلول شهر رمضان ليستريح حين يصوم الناس ! .

ذلك أنّ مسؤولية الإمام جسيمةٌ تُشبه مسؤولية الرسول الذي يصدع بأمر الله ، فلا يتخطى قضاء الله تعالى لِيُرضيَ بعض أشياعه أو يستجيب لرغبات بعض المعترضين عليه فيُشبعَ فضولَهم حين يتصورون سهولة الخروج على أنظمة الدنيا

---

(1) البحار ج ٥٢ ص ١٠١ .
(2) الغيبة للنعماني ص ١٠٨ وإلزام الناصب ص ٨١ . والوسائل م ١١ ح ٢٧ ص ١٥٠ .
(3) إلزام الناصب ص ٦٨ .

ـ الدنيا كُلّها ـ فيقولون : ليَخرجْ وكلُّ مطالِبٍ بـالعدل نصيـرُه ، ثم إذا ما خـرج اختبأوا وراء أنوفهم إن لم يكيدوا له ! ! !).

قال الإمام الرِّضا ﷺ :

ـ ذاكَ الرابعُ من وُلْدِي . يُغيِّبه الله في ستره ما شاء الله [1] . . (وكرَّر المعنى الَّذي جاءَ عن آبائه ﷺ :)

ـ القائمُ لا يُرى جسمُه ، ولا يُسمَّى باسمِه [2] .

(وقـال ﷺ يصف الحال . . ويُجيب على السؤال :) ـ كـأنّي بالشيعـة ، عند فَقـدِهم الثالثَ من وُلْـدي ـ أي العسكري ﷺ ـ يَطلبون المـرعَى فلا يَجِـدونه ، لأن إمامهم يَغيب عنهم ، لئلاّ يكون في عُنُقِه لأحـدٍ بَيعةٌ إذا قـامَ بالسيف [2] . (وورد عن أمير المؤمنين ﷺ قريبٌ منه بلفظ :)

ـ للقـائم غيبةٌ أمَـدُها طـويل ! . كـأنّي بالشيعة يجولـون جَوْلانَ الغنَم يَـطلبونَ المرعَى فلا يجدونه ! . ألَا ومَن ثَبتَ منهم على دينه لم يقسُ قلبُه لطولِ غَيبة إمـامه ، فهـو معي في درجتي يومَ القيـامـة [3] . (فهنيئـاً لمن ثَبَتَ على الحق ، واطمـأنَّ قلبُـه للحكمة من طول الغَيبة ، دون أن يرتاب بقول النبيِّ ﷺ وأهل بيته ﷺ ليفـوزَ بما وعدَ به أبو الحسن ﷺ من شرَفِ جواره ! . وقال الإمامُ الرضا ﷺ مبرِّراً غيبته وعدم رؤيته ومعرفة مكانه :)

ـ جميـعُ الأئمة ـ بعـد النبيِّ ـ قُتِلُوا : منهم بالسيـف : أميـرُ المؤمنين والحسين . والبـاقون قُتِلُوا بـالسُّمّ . قَتَلَ كـلَّ واحدٍ منهم طـاغيةُ زمـانه ، وجـرى ذلك عليهم على الحقيقة والصحة [4] .

---

(١) بشارة الإسلام ص ٥١ و٢٢١ و٣٠٠ وإعلام الورى ص ٤٠٠ ومنتخب الأثر ص ٥٥ والبحار ج ٥١ ص ١٠٩ والإمام المهدي ص ٧٩ .

(٢) إلزام الناصب ص ٨٢ .

(٣) البحـار ج ٥٢ ص ٩٦ ومـنتـخب الأثـر ص ٢٦٩ وفي ص ٢٥٥ روي جُـزءٌ منـه عـن أميـر المؤمنين ﷺ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢١٣ .

(٤) إلزام الناصب ص ١٠ في حديث طويل .

قال الإمَام العسكري عليه السلام :

ـ وضعَ بَنو أميَّة وبَنو العباس سيوفَهم علينا ، لأنهم كانوا يعلمون أنه ليس لهم في الخلافة حق ، فيخافون من أن تستقرَّ في مركزها ، وسعَوا في قتلِ أهلِ بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإبادةِ نَسْلِهِ طمعاً في الوصول إلى منعِ تَوَلُّدِ القائمِ عليه السلام أو قتلِه . فأبَى الله أن يَكشفَ أمرَه لواحدٍ منهم ، إلاَّ أن يُتِمَّ نوره ولو كَرِهَ المُشركون [1] . (وهذا ـ كما مرَّ ـ من أسباب إخفاء وليِّه وسترِ أمرِه . فقد رأى السلطة الحاكمة تطلبه بشدَّة ، وتجتهد في البحث عنه بعد أن شاعت عقيدة الشيعة الإمامية فيه ، وعُرف انتظارهم له ، ورأى السلطان مقتنعاً ـ كأسلافه ـ بأن القائم سيزلزل أركان دُوَل الباطل ويحطم عروش الفساد . .

ولا عَجَب في سَتره وإخفاء ولادته ، فقد سبقني من يقول : إن مِنَ الناس مَن يولد له ولد من غير زوجته فيستر ولادته عن زوجته خوفاً من لسانها ، أفلا تحمل عقولُنا قبولَ سَتر ولادة مَن هو مهدَّدٌ بالقتل من كل حاكمٍ ظالمٍ يولد في عهده ويعرف أنه المولود الذي يَثُلُّ عرشه ؟ ! .

هذا ، وقد كان الإمام العسكريّ عليه السلام قد بدأ يُعوِّد شيعته على غَيبَة إمامهم عن أبصارهم كما قلنا ، فبدأ ـ هو نفسه ـ بالاحتجاب عنهم [2] ، وصار يُفتي أصحابه بالأحكام دون أن يتشرفوا بمقابلته ، وصار يقبض الأموال بواسطة خَدمه ، ويُعطيهم الصِّلاتِ والهِبات بالواسطة ودون مشاهدته ، يفعل ذلك كله عن قصد وتصميم ، تمهيداً لغيبة المهديّ عليه السلام ، فيكون أسلوبهما مع أوليائهما واحداً من ناحية الكيفية وإن طالت الغَيبة وضرب الزمان في البُعد . .) .

قالَ الحجَّةُ المنتظر عليه السلام :

(كتب في جملة رسالةٍ وجَّهها إلى سفيره محمد بن عثمان رضوان الله عليه ، يأمر شيعتَه بعدم الخوض في ما لا يعنيهم :)

---

(١) منتخب الأثر ص ٢٩١ بتفصيل .
(٢) المهدي ص ١٧٥ ـ ١٧٦ بتفصيل .

ـ . . وأما علّة ما وقعَ من الغيبة ، فإن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ . . ﴾(١) . إنه لم يكن أحدٌ من آبائي إلّا وقعتْ في عنقه بيعةٌ لطاغية زمانه . وإني أخرج حين أخرج ولا بيعةَ لأحد الطواغيت في عنقي . وأمّا وجهُ الانتفاع بي في غيبتي ، فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب . وإني لأمانٌ لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء .

فأغلقوا باب السؤال عمّا لا يَعنيكم ، ولا تتكلّفوا ما قد كُفيتم ، وأكْثِروا من الدعاء بتعجيل الفرج ، فإن في ذلك فرجَكم ، والسلام على من اتّبع الهدى(٢) .

(وتشبيهُ غيابه عنّا بالشمس إذا حجبتها الغيوم عن الأبصار ، يحمل معنىً دقيقاً لبيان فائدته التي نحصل عليها في حالة كونه غائباً . فللشمس فائدة أيّة فائدة ، حتى إذا ستَرتها الغيوم ، لأن سائر الكائنات الحيَّة تتأثّر بها وتفتقر إلى حرارتها التي تنفذ إلى الأرض وما عليها مهما طالت تغطيتها بالغيوم . . فلولا حرارة الشمس النفّاذة لانْقَلبتْ نواميسُ الحياة ولَظَهر في الكائنات الحية تطورات عكسية تذهب بحياتها أو تشوِّه خَلْقَها . وكذلك الإمام ، الغائب عن أبصارنا ، الموجودُ في مجتمعنا ، المستغفرُ للمخطئين منّا ، الداعي بدفع البلاء عنّا ورفع الكوارث ، والمستجابُ الدعاء في كل حال ، فإنه تصلنا الفائدة من وجوده فَنَنعَم بالخير ، وتشملنا رحمةُ الله تعالى ويُصيبنا العفوُ ببركات وجوده بهذا المعنى .

ثم نستفيد من ذلك الوجود ، المحجوب عن أبصارنا ، بمعنىً آخر ، هو المحافظة على أوامره ونواهيه التي هي أوامر الله ونواهيه ، ونبقى حَذِرين من الانحراف عنها مخافةَ أن نَحيد عن خَطِّهِ الذي هو صراطُ الله المستقيم، الذي أراد ربُّ العالمين أن لا نحيد عنه ليوفِّينا أجر المؤمنين بالغيب العاملين المطيعين .

وهكذا يبقى المعترفون بوجوده ، المتمسكون بِعُرى ولايته ، يأتمرون فيما بينهم

---

(١) المائدة ـ ١٠١ .

(٢) الخبر في البحار ج ٥٢ ص ٩٢ وج ٥٣ ص ١٨١ ـ ١٨٢ وإلزام الناصب ص ١٣٠ ومنتخب الأثر ص ٢٦٧ والغيبة للطوسي ص ١٧٧ وإعلام الورى ص ٤٢٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٢ ذكر أن الكتاب موجّه لإسحاق بن يعقوب . ومثله في الإمام المهدي ص ٢٥٢ إلى ٢٥٤ .

بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر ، متيقّظين لأمور دينهم لأنهم محاسبون من لَدُنْه على التقصير ، فهو يعرف حالهم وما هم عليه ، وهم مطالبون بمعصية إمام زمانهم ، تماماً كما نرى العُصبة السياسية أو العقائدية تترابط فيما بينها ولا تخرج على النظام الذي اسْتَنَّتْهُ لنفسها بحضور أي مسؤول منها أو بغيابه ، وني حال قُربه أو بُعدِه . . وجاء عنه عليه السلام في جواب لأحد سفرائه :)

- إن دَلَلْتَهُم عن الاسم أذاعوه . وإن عَرَفوا المكانَ دَلُّوا عليه [1] . .

(وكان قد كتب إلى سفيره الجليل : الحسين بن روح رضوانُ الله عليه في جملة كتاب كريم يبيِّن فيه بعض أسباب الغيبة :) - مَنْ بحثَ فقد طُلب ، ومن طُلب فقد دَلَّ ، ومن دَلَّ فقد أشاط [2] (أي هدرَ الدم) .

فممَّا لا شك فيه أن كل سلطة تسهر على سلامة حالها ، تطلب مَن يبحث عن المهديّ ويتصل به ويعرف مكانه فيجتمع إليه ، وقد تعذِّبه عذاباً يضطر معه إلى أن يدل على مكان مَن هو مهيَّأ لتقويض عرشها . وإذا دلَّ عليه كان من المشركين لأنه يصير من المشتركين في قتل وصيٍّ من الأوصياء بما مهَّدَ من قتله . . أقول هذا على سبيل شرح الشيء العُرفيِّ العادي ، وإن كانت غيبةُ إمامنا ليست كذلك ، لأنه لا يُنال ولا يصل إليه سيف الظالمين بقضاء سابق من الله عزّ وجلّ .

هذا ما عرفناه نقلاً عن طريق هذه الصَّفوة المختارة من الخلق . . فما الحكمة من غيابه في المنطق الآخر الذي قد يركن إليه بعضُ المتفلسفة المتحذلقة الَّذين ما أدري أين طَحتْ بهم عقولُهم حين وعَوا نزراً يسيْراً من المعرفة ، فصار الواحدُ منهم يقول : رأيي كذا . . ورأيي كذا ؟ !) .

مَا الحِكمة مِن غيابهِ ؟

من المؤكَّد أنه لم يستتر شخصُه عن أبصار معاصريه إلاّ بتقدير من الله العزيز . . واللّهُ عزَّ اسمُه ، لا ولَن يستشير أحداً من خلقه في ما يفعله ، لأنه حكيم .

---

(١) الكافي م ١ ص ٣٣٣ .

(٢) البحار ج ٥٣ ص ١٩٦ .

﴿ لا يُسْئَلُ عمَّا يَفْعَلُ ، وهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [1] . . فلأمر ما ، لا تدركه عقولنا ببداهةٍ ، كانت الغيبة ، وكانت عن إرادة حكيم لا شك أن في تقديره حكمةً لا تنالها الأفهام القاصرة ، ولا تتناول سرَّها الأذهان المحدودة ضمن هذه الجمجمة العظْميَّة الصُّلبة ، وسينكشف سرُّها يومَ الظهور المبارك ، فنقول للمؤمن :

تَعَبَّدْ بها أصلاً من أصول عقيدتك ، كالمسح على الرأس والقَدَمين حين الوضوء ؛ فلا هو غسلٌ فنظافة ، ولا هو واضحُ السبب كبقية الأجزاء . . فارْض بما في يديك من البراهين المأثورة عن طُرق السماء التي أُنزلت العقيدة بأصولها وجزئياتها كما هي ودون مشاركة الله في عِلْمه . . ونقول للذي يعتمد الفكر ، ويريد أن يحلِّل أسباب الغيبة زيادة عمَّا سبق وعما يلحق :

فَلْسِفْها برأيك . . كيف شاء فهمُك وإدراكك ، وبالشكل الذي تطمئن إليه نفسك ، ويركن إليه عقلك ويتيسَّر به اقتناعك . .

ولكن إيَّاك وتعجُّلَ الأمر والبتّ . . وإيَّاك وإنكارَها والقطعَ قبل أن تنظر في سِيَرِ السابقين والغابرين ! . فإنَّ في ما مضى دروساً جدّ مفيدة في تحقيق ما يقع ، حتى لَكأنَّ الذي يضرب صفحاً عن الماضي ويُنكره ويتنكَّر إليه ، يُعمِل فكره في المجهول ، ويتخبَّط في سُراه كما تتخبَّط الناقة العشواء في الليلة الظلماء . . فَقِسْ يومَك على البارحة . . واعرضْ خطة سيرك على محكِّ الفكر المستنير الذي يستفيد من سِيَرِ الماضين ، وخذ درساً عن غيرك مستفيداً ممن تورَّط فهلَك ، وممن أحكَمَ فنجح ، وَزِدْ على ذلك من مبتَدَعات ذهنك الخلَّاق ما شاءت لك عبقريتك الفذّة . . . ثم نقول لمن يطلب المثَل :

أوَلَمْ يستتر نبيُّنا محمد صلى الله عليه وآله في شِعْب أبي طالب ثلاثَ سنوات [2] يخاف على نفسه مَرَدَة قريش وجبابرتها ، يحميه عمُّه أبو طالب ، شيخ الأبطح وسيدُ الهاشميين عليه السلام ؟ ! .

أوَلَمْ يستتر قبلها في غار حِرَاء ، محافظة على نفسه ورسالته ، وهرباً ممن كان

---

(1) الأنبياء - ٢٣ .

(2) البحار ج ٥١ ص ١٧٦ والكامل لابن الأثير م ١ ج ٢ ص ١٨ .

يؤذيه في عبادته، ويقف في سبيل دعوته وقوف وقاحةٍ وصلَف، حين قِلّة المؤمنين بدعوته وفُقدان الأنصار [1] ؟ !.

ثم لماذا استتر إدريس عليه السلام عشرين سنة خوفاً من أمته الضالّة التي رفضت دعوة الحق وناصبت رسول الله إليها الْعَداء [2] ؟ ! . .

ولماذا قال موسى عليه السلام لقومه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ، فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [3]، لإحقاق الحق وإبطال الباطل حين سنحت لي الفرصة ؟ !.

فالخوف ـ مبدئياً ـ هو علّة الغَيبة طالت أم قصُرتْ، أي الخوف بمعناه الذي ذكرناه آنفاً، لا خوف واحدٍ عاديٍّ من القتل، بل خوف المهديّ عليه السلام الذي اصطفاه الله حُجّةً على كل ظالمٍ يعرف الحق ويحيد عنه ويحكم بغيره، ويعرف الظلم ويفعله، والذي ادّخره ربّه ليمحق الظُّلم، ويقيم العدل حين تتم الموازين التي قدّرها ربُّه لظهوره، وحين تقتضي الحكمةُ تأديبَ الطواغيت من الخلق الذين لا يعملون بحقٍّ ولا يمتنعون عن باطل !.

لهذا صدع النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بذكر صفاته وعلاماته، منوِّهاً إلى أن الله تعالى قد أخفى يومَ ظهوره، ليؤمن مَن آمن عن بيّنة يُمْتَحَنُ بالتصديق بها، ويَهلك من هلك عن بيِّنة كانت عنده غيرَ كافيةٍ للتصديق، لأنه هو ذاته، وعلاماته وصفاته، قد بلغتْ سمعَ الناس، سائرِ الناس، من حاكمين ومحكومين. فمن يحملْ نفسه على الإيمان بأمر الله وقولِ رسوله ويصدِّقْ بوجود إمام غائبٍ منتَظَر يكنْ له أجر المؤمنين بالغَيب، ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين اليومَ، كما كان غنيّاً عمّن سَبَقنا من الأمم التي ذاقت من العذاب ألواناً وألواناً بالأمسِ القريب أو البعيد في أغوار التاريخ . .

---

(١) أنظر إلزام الناصب ص ٨٤ وغيره من المصادر.
(٢) أنظر إلزام الناصب ص ٨٢ وغيره من المصادر.
(٣) الشعراء ـ ٢١ وأنظر إلزام الناصب ص ٨٣.

هـذا ، والأمـة الإسلاميـة لا تعـدو بشـأنـه خُـطى الأمم السـابقـة ـ كمـا قـال رسول الله ﷺ ـ إذ كلّ نبيّ قد توارى عن قومه لمّا اقتضت مصلحة دعوته ذلك : من إبراهيم إلى إدريس فصالـح فيوسف فمـوسى ، فعيسى فمحمد صلوات الله عليهم . . أفلا يصح ذلك في بقيّة الله في أرضه ، وحُجّته على عباده ، وحامـل مواريث أنبيـائه ، والمخلوق الـوحيدِ الـذي يحمل ريح السماء ورَوحَ الْفَـرَج للإنسـانية ؟ ! ! أجـل . . فالتاريخ الذي بين أيدينا يُنبئنا أن كل إمام عايش عهود الظَّلَمَة الذين ابْتَزّوا حقه ، كـان لا يخرج من حبس إلّا ليتلقّى أوامر حَجْرٍ أو نفيٍ ، أو لتتناشـه شَباةُ سيفٍ ، أو ليُسقى سمّاً قتّالاً ! ! !

ومن منّا لا يعرف أن الإمام الكاظم ؑ مثلاً كانت تجتمع إليه ثقـات شيعته في السجن ؟ ! . وكان يُفتيهم في حلال الله وحرامه والقيدُ في رجليه ، والْغِلّ في يديه ؟ . ومـع ذلك كـانت تُجبى إليه الأمـوال ، وكانت عـطاياه السخيّـة للمؤمّلين تفوق عـطايـا الملوك . . ومَنْ مِنَ الناس لم يَسمع بِصُرَرِ الكاظم من الذهب والفضة التي كان يُعِدُّها للعطايا ؟ ! .

ونُلفت النظَر إلى أن الْفُتيا كانت ميسورةً في أشـد أزمنة الضيق على الأئمـة ، لأن السلطة كانت تضيِّق عليهم لتدفعهم عن مـراتبهم ولتدفـع الخطر عن مُلكهـا ، ثـم تترك متنفَّساً لشيعتهم وتغضُّ الطرف عن الاجتمـاع إليهم والاستماع منهم ، لتمتصَّ مـا عند شيعتهم من النِّقمة والسُّخط . . ولكنَّ حال القـائم ؑ تختلف عن حال آبـائه بسبب أنه الثاني عشر المرصودُ لمعاملة الـظالمين بلا هـوادةٍ وبلا مهـادنةٍ وبـلا حَلٍّ وسط . . فقد كان آبـاؤه لا يزالـون ماضين في تـأثيل العقيـدة ، وشرح القـرآن وتبيانـه ، وإقامـة السنّـة . أما هـو فيأتي بسيفٍ مخلوقٍ لإحيـاء ما انـدَرَسَ من ذلـك ، والحـاكمـون لـه بالمرصاد منذ ولادته وفي كل حين ، إذ لو قد خرج لانْتَظَروا قلبَ الأنـظمة المستبـدة ، ولَمّا كان الحاكم الذي يعـرفه أرحمَ بـه من أيّ واحدٍ من الـرعايـا يحاول نسف الـدولة وزعزعة السلطان . .

فمنذ البدء : كانت محاصرة الشرطة لدار أبيه أثناء الْحَمْلِ به ، ومراقبةُ نسـاء أبيه من القوابل ، وبثُّ الأرصاد والعيون حوله من عسكر أعدائه ، كانت كلها سيوفـاً مُصْلَتَةً لاغتياله قبل أن يُبصر النـور ، حتى أنهم حين فشلوا في الكشف عنه قبضـوا على نسـاء

أبيه وجواريه وحبسوهنّ أكثر من سنة بأملِ أن تضعَ من كانت منهنّ حُبلى كما رأيت ، بل ذهبوا في الْغَيِّ واتبعوا فتوى فقيه سوءٍ فحبسوا إحداهنّ سنتين كاملتين : بِوَهْمِ أنَّ أمَّ القائم المنتظَر لا بدّ أن يكون حَمْلُها على غير المعتاد ! ! ! فتأملْ . .

وقيل في سبب ذلك : إنّ أمَّه لمّا سُئلتْ عن المولود أنكرَتْهُ وادَّعتْ حَمْلاً بها لِتُغَطِّيَ على حال الصبيّ فأُودِعَتْ في غياهب السِّجْن ! . ولولا أنّ الله تعالى شغلَ المسؤولين في ذلك العهد بثورة البصرة وصاحب الزّنج ، لَما أُفْلِتَتْ من أيديهم بعد ادّعائها الحَمْلَ المُتَوَهَّم [1] . .

فما هو مقدَّر له ﷺ لم يكن ليجريَ على آبائه . فلم يكن من واجبهم المفروضِ من السماء أن يُزيلوا دولةً ولا أن يحاربوا ظالماً . فإنّ تكليفهم بعد وقعة كربلاء المشجية المؤلمة التي أنذرت باندراس الدين وانحراف أولي الأمر في المسلمين نحو الْهِرَقْلِيَّة الجائرة ، إن تكليفهم صار منحصراً بالأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكَر ، في إطار إعادة إتمام نشر الرسالة ، وإيضاح السنَّة النبوية ، وشرح الكتاب الكريم . . ومع ذلك لم يُغْضِ عنهم الحكام ! ! ! فكيف إذا ظهر للناس وهو معروف بما هو فيه ، وعليه ، وله ؟ ؟ ؟ .

فلا سبيل له إلاّ أن يتوارى كما شاء له الله ، وأن يُعِدَّ العُدَّة وَيَتَحيَّن الفرصة والإذن بالخروج ، ليخرج بسيف عدلٍ يهدم ما بناه الظلم . .

والمؤاخذةُ في غيابه لا تقع كليَّةً إلاّ على من يَحول بينه وبين أداء رسالة عدلٍ مثاليٍّ تشمل الإنسانية وتملأ الأرض قسطاً . . وسنرى حين ينادىَ باسمه بمختلف وسائل الإعلام ـ بدءاً بصوت جبرائيل ﷺ وانتهاءً بأصوات المحطات الإذاعية ـ سنرى كيف يحترق ذَنَبُ الظالمين ، وكيف يتهيّأون لقتاله ، وكيف يحاولون إطفاء نور الله ، بمعاقبة كل من يذكره أو يُدير لسانه باسمه ! .

---

(1) الغيبة للطوسي ص ٧٤ بتفصيل وإلزام الناصب ص ١٠٤ ـ ١٠٥ والإمام المهدي ص ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ووفاة العسكري ص ٣٧ وفي إعلام الورى ص ٤٣٧ شيء منه ، وكذلك في الإرشاد ص ٣٢٥ والمهدي ص ٥٢ وص ١٥٤ إلى ١٥٦ .

ولقائل أن يقول : إذا كان يغيب خوفاً على نفسه ، وكان الله عزّ وجلّ سيُظهره بقوّة منه ، ويؤمّنه على نفسه حين ظهوره ، ويُقيِّض له أنصاره ومؤيّديه ، فلماذا أخّر الله ذلك وجعل الغَيبة بهذا الطول ؟ ! .

والجواب على ذلك مكرّر في أقوال النبي والأئمة عليهم السلام حين بيّنوا أن غَيبته مِحنة يكون فيها تمحيصُ المؤمنين ، وغربلة المكذّبين به على مَرّ العصور . .

ثم لقائل أن يقول : لِمَ لا يخرج ويَحول الله تعالى ـ نفسُه ـ بينه وبين مَنْ يريدون قتله ما زال في عين الله وكَنَفه ؟ ! . وما زال مسلَّحاً بعناية الله فإن الأمور تستقيم له بالقوّة ، ويصير الناس على خيرٍ مما هم عليه الآن . . ومعنى ذلك بُطلانُ حُجّته ، لأن خروجه هكذا يتنافى مع تكليفنا وتكليفه ، إذ تُصبح المسألةَ مسألةَ إلْهٍ يواقعُ الناسَ في ساحة حرب ليكونوا مؤمنين رغم أُنوفهم . . وبين المخلوقات التي غَبَرَت ، والتي ما تزال بيننا ، كثيرون من الأشرار الذين هم في دار امتحان ، فمن آمن منهم بأوامر الله ونواهيه نجا ، ومن داوم على سيرته هلك . . ثم هل نجد له أنصاراً صالحين بيننا اليوم ؟ ! . أَم ترى أن نُرجع سيرة اليهود مع موسى عليه السلام حين قالوا له : ﴿ إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ ، إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُوْنَ ﴾[1] ، وتصبح القضية قضية سماءٍ مئةً بالمئة ، لا دَخْلَ فيها للإنسان المكلّف بأن يختار لنفسه صفَّ الأخيار أو صفَّ الأشرار ! ! !

وَيْ وَيْ ، أيها الإنسان ! . ألا نَعلم أنَّ الله تعالى أقدر على إبادة الظالمين من الإمام ؟ . فلماذا أَمهلَهم وتركَ لهم سُبُلَ اختيار مصائرهم في دار الدنيا ، حتى يُخْرِجَ لهم إماماً منقِذاً ، وهو أقدر على هدايتهم أو على البطش بهم ! ! . ذلك أن الله جلّ وعلا ، لا يعاجِلُ بالعقوبة ، ولا يقال له : لِمَ ؟ وكيف ؟ ومتى؟ . فهو يُمْهِلُ العباد رأفة بهم ، ويبعث إليهم من يهديهم وينذرهم ، ويستنفد معهم جميعَ الوسائل التي تُصلح شأنهم لا يفعل إلاّ ما فيه الرحمةُ واللُّطفُ . فلا ينبغي أن تُطْرَح عليه الحلول. فأمْرُه بغيبة الإمام ، كأمرِه بظهوره . وكلُّ أمرٍ منهما واحدٌ من جملة أَلْطَافِهِ بالناس . . والناسُ ـ على كل حال ـ في قبضته ، لا يخرجون عن سلطانه ، ولا يهربون من فوق

(١) المائدة ـ ٢٤ .

أرضه ولا من تحت سمائه ، ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾[1] . .

وقد يقول قائلٌ بالأخير : لِمَ لم يبقَ ظاهراً ، ويعتزل الحكم الدنيويَّ كآبائه ، ويأمر بالقسط والعدل ، ويُصلح ما شاءت له ظروف الإصلاح في ظِلِّ تأييد الله وتسديده ، إلى أن يسير بالإنسانية إلى طريق الهدى ولو في مدى ألف عام ؟ ! .

ونقول لهذا : هكذا كان شأن آبائه جميعاً ، ولم يَمُت واحدٌ منهم إلّا بالقتل أو السمّ ، ولم يَستكملْ واحدٌ منهم عُمُرَهُ طبيعيّاً مع سلامة بُنْياتهم وصفاء طينة أجسادهم الشريفة ، وقد سبق في علم الله تعالى أنه لا بدَّ من خروجه بالسيف بعد أن يستحكم الظلمُ في أدمغة أهل العناد وقد رصده الله تعالى لأمره هذا . فتكليفُه غيرُ تكليف آبائه الذين أُمروا بالقسط فماتوا بالقتل والسمّ لأنهم أُمروا به ! ! !

أمّا لماذا كان موجوداً ولا يسعى للحكم وردِّ الإنسانية عن عَمَهِهَا ، فهو إشكالٌ جرى بحق آبائه أيضاً . فإنهم كانوا ظاهرين ولم يَحكموا ولا سَعَوا للحكم الدنيويِّ ، حتى أن ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام قد قَبِلَها من المأمون بعد أن تهدَّده بالقتل إن هو رَفَضَها ، وأظهر للناس خلاف ما يُبطن ، بدليل أنه أرضى عواطف الشيعة حين نَصَّبه وليَّ عهد ، ثم أمره بالخروج إلى مروٍ في خراسان . . ثم لَحِقَ به إلى هناك . . . فدسَّ له السمَّ في العنب وقفل راجعاً يبكيه[2] ! ! !

فقد أزاحت آباءَه الأغراضُ السياسيةُ عن مراتبهم التي رَتَّبهم الله فيها ، فسكتوا ولم يحاربوا حرصاً على إكمال بيان السنَّة وترسيخ العقيدة . اللَّهم إلا ما كان من حُكم أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة . ذلك الحكم القصير المدَّة ، الذي حارب فيه الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين ! . والناس ـ أبداً ـ ناكثون أو قاسطون أو مارقون أمسِ ، واليومَ وفي كل زمان ، فلا بدَّ من حربٍ مجتاحة تأتي على الأخضر واليابس من العصبيات . . في آخر الزمان .

ويقول القائلون : لِمَ لا يظهر لأوليائه المأمونين على معرفته فقط ؟ ! . والجواب

(١) الطارق ـ ١٧ .

(٢) تجد بعض التفاصيل في ينابيع المودة ج ٣ ص ٣٤ وص ٩٤ و١٥٧ و١٥٨ وفي مصادر كثيرة ، لأننا لسنا بصدد تحقيق هذا الموضوع الشائع الذائع . ومَن شاء فليراجع الوسائل م ١٢ ص ١٤٦ إلى ص ١٥٠ .

قد مرَّ . لأنه لوكانَ لَبانَ ، وصار بحكم الظاهر ، فَيُعْرَف مكانهُ ، ويُقضى بشأنه ما هو مقضيٌ . . .

فغيابُه تأديبٌ لأهل زمانه . . . وهو إعلان صارخٌ بأنهم ليسوا في وضع يَصلح لأن يكونوا من الأُمَناء ، فضلاً عن كونهم غير صالحين لِنصرته . .

وغيابُه - بالتالي وكما قُلنا - امتحانٌ يسأل عنه المُوالي كَمُطالَب بعقيدته ليمحِّصَ الله المؤمنين الصابرين ويميِّزَهم عن غيرهم ، ويُسأل عنه المُخالِفُ كَمُنْكِر له ، أو كمتربِّص به ، يقتله لو تَسَنَّى له أن يظفر به .

فانتظار الوقت المناسب لا مفرَّ منه ولو تعطَّل كثير من الأحكام الشرعية ما زال الأمرُ امتحاناً ، ذلك لتتهيَّأ النفوس لقبول قول مصلحٍ يحكم الدنيا بالعدل بعد تجرُّع غُصَص الظُّلم ، فيمنحه أهلُ الدنيا الثقةَ إذا رأوا عدلَه . . ولا تذهَبنَّ بنا العاطفةُ كلَّ مذهب ، فأمسِ قال مسلمٌ سفيهٌ : إعدلْ يا رسولَ الله ! ! ![1] . قالها للنبيِّ ﷺ بوَّالٌ على عَقِبَيه ، والنبيُّ ﷺ هو الذي أرسى العدل السماويّ على الأرض ! . فأجابه النبيُّ ، ذو الخُلق العظيم بقوله : وَيْلَك ، إن لم أُعدل أنا ، فمن يَعدل ؟ ؟ ؟ .

أما القائم المهديّ عَجَّلَ الله فَرَجَه فلا يرحم أمثال هذا السفيه الوقح على الله ورسوله . . لأنه يعرف الناس بالتوسُّم . . فتصوَّر كيف يكون حال المنافقين في دولةٍ ينظر حاكمُها إلى المنافق الذي يُبْطِنُ النفاقَ فيأمر به فَتُضْرَبُ عنقُه على مرأى من الناس ودون سابق محاكمةٍ كما سيتَّضح لك في موضوع : يوم الخلاص من هذا الكتاب ، فيذهب عَجَبُك .

ألَا إنَّ تَقَبُّل مثل هذا الحاكم لا تتحمَّله العقول ببساطة وإذعان . . إلَّا إذا كان وعدُ الله ، وظَهَرَ الحق وزهق الباطل ! .

أما متى يشاء الله الظهور ؟ . فإنه سيشاؤه . .

فقد ربّى فرعونُ موسى تربيةً عزيزةً - تربية ملوك مُتربِّبين - دون أن يعرف شيئاً

---

(١) أنظر تفصيل الحادثة في الملاحم والفتن ص ٨٨ .

عن كُنهـه ، بعد أن بقي نَيِّفـاً وعشرين سنـة يَشُقُّ بطون الحبـالى ليقتـل موسى الـذي يذهب به ، وبسلطانه ، وَبِرُبوبِيَّته . . والإمام القائم عليه السلام بيننا ، شاهدٌ علينا بمـا نحن فيه من كُفر به وعناد لربِّه ؛ ونحن نراه فلا نعرفه ، تماماً كمـا كان مـوسى شاهـداً على فرعون وهو يراه ولا يعرفه . . فكيف لا تَقبل أذهانُنـا وجودَه ولـو أكَّده الـدليل ؟ . بـل كيف نذهب في النِّقمة على من يعترف بوجـوده في حال هـذه الغيبة الـطويلة ، ونرميـه بالسخف ؟ ! .

فلا بدَّ إذن من هذه الغَيبة التي حتَّمها الله وأجراها في سابق عِلْمِـه ، وهي لطفٌ من الله تعـالى بنا ، مثلمـا أنَّ ظهوره ـ حين يـظهر ـ سيكـون ـ أيضاً ـ لـطفاً منـه تعالى بنا . .

٥ ـ كَيفَ لاَ نَرَاهُ ؟ !

وَمَا فائدتنا مِنهُ غائباً ؟ !

قَال رسولُ اللّه ﷺ :

(سـأله جـابر بن عبـد الله الأنصاريّ : هـل ينتفع الشيعـة بالقـائم في غيبته ؟ . فقال :)

ـ إيْ والذي بعثني بالنبوَّة ، إنهم لَيَنتفعون به ، ويستضيئون بنور ولايته في غَيبتـه كانتفاع الناس بالشمـس وإن جلَّلها السحاب[1] .

(فنحن لولا ولايتُه التي اعتنقناها ـ تصـديقاً بـأقوال جـدِّه وآبائـه الطاهـرين ـ لَمَا تمسَّكنا به ، ولا بها ، وَلَضِعْنا في خِضمِّ الشك والإنكار مع من ضاع . . وإننـا ننتفع به ـ وهو في الغَيبة ـ بمعنى أننا نبقى منتظِرين ومستعدِّين نعمل حساباً لظهـوره ونخاف مِدْيَةَ عدلِه إذا فَاجَأنا ونحن على غير طريقته وفي صفّ أعـدائه ، وبمعنى شعـورنا أننـا

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٩٣ وإلزام الناصب ص ٦٢ و١٢٦ و١٢٧ ـ ١٢٨ والإمام المهديِ ص ٢٠ و٣٧ و١٥٧ وإعـلام الـورى ص ٣٧٦ وينـابيـع المـودة ج ٣ ص ٧٨ و١٤٨ و١٧٠ وفي منتخب الأثـر ص ٢٧١ رُوي آخره عن الصادق ؏ ، وكـذلك في البحـار ج ٥٢ ص ٩٢ وفي إلزام النـاصب ص ٩١ .

مطالبون بالْتزام خطّه وبأن لا نحيد عمّا سنّه لنا جدُّه وأوصياؤه ، وبمعنى إعداد نفوسنا لليوم الميمون فلا نتنازل عن اعتقادنا بالولاية مع كل ما يلازمها ، ولا عن اعتقادنا بوجوده وإن حُجب عنّا . فلا نتقبّل أيّة فكرةٍ لا تدور في فَلَك العقيدة المهدويّة الصحيحة ، ونتمسّك بكل ما أُمِرنا به حولها ، ونرفض كل ما عداه ؛ فنعيش من ثمّ ـ علماء وسوقَةً ـ بأمل التشرُّف بلقائه ونصره ، ونُحِبُّ العدل ونهفو إليه ، ونكره الظلم والمقيمين عليه ، ونُصلح أنفسنا لأننا مطالبون ومحاسَبون ، يُلقّن ذلك الآباءُ منّا للأبناء ، والعلماءُ للجهّال ، والكلُّ للكلّ . . فنحن ننتفع به هكذا ، كما أن الشمس تنفع الأحياء بحرارتها حين تظهر ، وبنورها حين يصل من خلال الغيوم ويخترق الكثافات . .

هذا ، مضافاً إلى أننا ننتفع بتعاليمه التي قد يُعطيها لمن يُماشيه ، ولمن يجالسه ، ولمن يرافقه في الطريق ، وفي المسجد ، وفي المتجر ، وفي المجتمعات ، دون أن يُحِسَّ هذا المستفيدُ بأن هذه التعاليم صادرة عن صاحب الأمر عليه السلام . . فإنه يظهر في مناسبات بين الناس ، يَعرفهم ولا يعرفونه ، ويَنصح لهم وللإسلام دون أن يخطر ببال أحدٍ منهم ذِكْرُ المهديّ عليه السلام أو كونُه هو هذا الآمر بالمعروف أو الناهي عن المنكر . .) .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ ألا ومن أدركها منّا ، يَسري فيها بسراجٍ منير ، ويحذو فيها على مِثال الصالحين ، لِيَحُلَّ رِبقاً ويُعتق رِقّاً ، ويَصدع شِعْباً ، ويَشْعَب صَدعاً . يسري في سترة عن الناس ، لا يُبصر القائف أثرَهُ ولو تابَعَ نظره[1] . .

(فكيف لا نُبصر أثره ولو تابَعْنا النظر ؟ ! ! إنها من الله ، أيْ أنها خَرْق للعادة ومعجزةٌ ربّانية تُغَيِّبُ شخصه عن أعين القائفين . ومن يُجادلْ بها يجادلْ في قدرة الله وفي مِنَحِه وعطاياه لأوليائه . إذ كيف يغيب شخص الخضر عليه السلام عن الناس وهو حيٌّ

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٧ ومنتخب الأثر ص ٢٧٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٤ والمهدي ص ١٨ والإمام المهدي ص ٨٣ ـ ٨٤ .

يتنقّل بينهم منذ حوالَي ستة آلاف سنة بِنَصِّ جميع الأديان السماوية ؟ ! . وكيف كانت الغَيمة تُظَلِّل النبيّ ﷺ تسير فوق رأسه كيفما سار ؟ ! ! وكيف صعد المسيح عليه السلام إلى السماء دون مركبة فضائيةٍ وصاروخٍ رافع ؟ ! ! أم كيف كانت نار النمرود بَرداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام ؟ ! . إنَّ كلَّ ذلك لا يتيسَّر تعليله للذهن القاصر ، وإن حاوله تعليله بغير معجزة السماء كان ذهناً مكابِراً غليظاً . . فمن آمَن بالله وقدرته رأى هذا وأكثر منه معقولاً . . وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً :)

ـ حتى إذا غاب المتغيِّب من وُلدي عن عيون الناس ، وباح الناس بِفَقْدِه ، وأجمعوا على أن الحُجَّة ذاهبة والإمامة باطلة . . فَوَرَبِّ عليٍّ ـ حتى إذا بقيت الأمة وتدلَّهت وأكثرت في قولهم : إن الحُجة هالكةٌ والإمامةَ باطلة ـ فَوَرَبِّ عليٍّ إن حُجَّتَها عليها قائمة ، ماشيةٌ في طُرُقاتها ، داخلةٌ في دُورها وقُصورها ، جَوَّالةٌ في شرقِ الأرض وغربها ، تَسمع الكلامَ وتُسلِّم على الجماعة ، تَرى ولا تُرى إلى الوقتِ والوَعدِ ونداءِ المنادي من السماء[1] . ! .

(فسلام الله عليك يا ذا الإيمان الراسخ بما جاء به محمد بن عبد الله من عند الله قبل أن تبلغَ الحُلُم . . إن عليّاً لَيتكلَّم عن شيء مستقْبَل يقع بعد مئات السنين ، وبحزمٍ وتأكيدٍ ، تماماً كمن رأى وشاهَدَ ، ثم يُقسم يميناً على قوله ، مطمئناً آمناً ، قد صدَّق الرسول ، فصدَّق بابنٍ له يغيب ، ثم صدَّق بكل ما يُواكب غَيبته . ولم يدخل إلى قلبه شكٌّ يُشبه شكوكَ نِفاقنا ، ولا ناقش الأخبار مناقشتَنا ، ولا زاغ قلبُه ! . وحاشا لمثله أن يخامر نفسه الريب أو أن يرقَى إلى فكره الشك .

فالقائم عليه السلام معنا ، وبيننا ، وفي أسفارٍ وتنقلات ، يرى الناس ولا يَرونه ، ويدخل المجالس ولا يعرفونه ، ويحج ويزور ولا يميِّزونه ، وهو يتردَّد في كل مكان وله مكان خاص ، لا عَجَب إذا حجبَه الله عنَّا بسوء أعمالنا وبفساد ضمائرنا) .

قالَ الإمَام زين العَابدين عليه السلام :

ـ لا يطَّلع على موضعه أحد من وليٍّ ولا غيره ، إلَّا الذي يَلي أمره[2] . .

---

(١) بشارة الإسلام ص ٣٧ مع زيادةٍ لم نذكرها . والغيبة للنعماني ص ٧٢ و٧٣ .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٥٣ وج ٥٣ ص ٣٢٤ وإلزام الناصب ص ٩٨ و١٧٤ نقلاً عن البرهان .

(فكَأَنَّ السجَّاد عليه السلام يكمل حديث جدّه عنه فيقول : إنه لا يعرف مكان إقامته مؤمنٌ به ولا مُنْكِر ، سوى خادمه الذي يقوم بأموره ويقضي حاجاته ويتولّى تدبير شؤونه . ومن يبحث عن مكان وجوده يَعُدْ بالفشل . .) .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من عُزلة ، ولا بدَّ في عُزلته من قوّة ، وما بثلاثين من وَحْشَة ، ونِعْمَ المنزل طَيْبَة[1] . . (وقد رُوي بلفظه عن الصادق عليه السلام . وهو يدلّ صراحةً على أنه يقضي معظم وقته في جوار جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله . يعيش مع ثلاثين من خدمه وخاصته الذين كلما مات منهم واحدٌ قام واحد ، جعلهم الله قادرين على كُتمان أمره وَعَصَمَهُمْ عن البوح بمكان إقامته ومحل وجوده . . وقد قال عليه السلام موضّحاً :)

ـ إن لصاحب هذا الأمر بيتاً ، يقال له : بيتُ الحمد ، فيه سراجٌ يُزْهِر منذ يوم وُلد إلى أن يقوم بالسيف ، لا يُطْفَأ[2] . . (ورُوي بلفظه عن الصادق عليه السلام . والبيت لا بدَّ أنّه محجوب عن الأبصار هو ونورُه كما حُجِب صاحبُه . . محجوبٌ بهذا المعنى أو بمعنى أنّه منعزل عن الناس وعن كل مكان تدبُّ فيه الأقدام .

أما السراج الذي يُزهر طيلة هذه المدّة فَلَهُ نظائر قد تمكّن من صنعها الإنسان ، كمثل شمعة الشيخ البهائي في حمّام أصفهان التي بقيت مشتعلةً مئات السنين . ولو لم تلعب بها أيدي المخرِّبين ممّن أرادوا اكتشافَ سرِّها من علماء الغرب ، لَبقِيتْ مشتعلةً إلى ما شاء الله . . فسراجُه سراجٌ من صُنع الله . . كالشمس التي لا تُطفأ إلاّ متى شاء الله . .) .

والغيبة للطوسي ص ١٠١ عن الصادق عليه السلام ومثله في منتخب الأثر ص ٢٥١ وص ٢٥٣ عن الحسين عليه السلام ومثله في بشارة الإسلام ص ٨٦ .

(١) الغيبة للطوسي ص ١٠٢ والبحار ج ٥٢ ص ١٥٣ وص ١٥٧ عن الصادق عليه السلام ومثله في الكافي م ١ ص ٣٤٠ ومثله في الغيبة للنعماني ص ٩٩ .

(٢) الغيبة للطوسي ص ٢٨٠ والبحار ج ٥٢ ص ١٥٨ وإعلام الورى ص ٤٣١ وإلزام الناصب ص ١٣٩ والغيبة للنعماني ص ١٢٦ عن الصادق عليه السلام .

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

ـ كيف أنتم إذا بقيتم بِلا إمامِ هُدىً ولا علَمٍ يُرَى ؟ (١) .

(وقال عليه السلام :) ـ للقائم غَيبتان : إحداهما قصيرة والأخرى طويلة . فالأُولى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّةُ شيعته ، والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصّةُ مَواليه في دينه(٢) . (أيْ خدمه والقائمون بشؤونه . . . وقال :)

للقائم غيبتان : يشهد في إحداهما المواسم (أي الحج والزيارات والمناسبات الدينية) يرى الناس ولا يَرونه (٣) . (وهي الغَيبة الكبرى . . وقال :)

ـ يفقد الناس إمامهم (أي يغيب عنهم) فيشهد الموسم فيراهم ، ولا يرَونه(٤)

(وقال :) ـ إن الله أحكمُ وأكرمُ ، وأجـلُّ وأعلمُ من أن يكون احتـجَّ على عباده بحجَّة ، ثم يغيب عنه شيءٌ من أمرهم(٥) . . (فهو يطّلع على أحوالنـا يوميّاً ببساطة ترى تفصيلها في مكان آخر آتٍ من هذا الكتاب إن شاءَ الله . . . وقال :)

ـ في صاحب هذا الأمر شَبَهٌ من يوسف . فما تُنْكِـر هذه الأمـة أن يكون اللّهُ عزَّ وجلَّ ، في وقت من الأوقات ، يريد أن يستر حُجَّته ؟ ! . لقـد كان يـوسف إليه مُلك مصر ، وكان بينه وبين والده ثمانية عشر يوماً . فلو أراد الله أن يُعَرِّف مكانَه لَقَدِر على ذلك . واللّهِ لقد سار يعقوبُ ووُلده عند البشارة تسعةَ أيام من بَدْوِهم إلى مصر ! . فما تُنْكِـر هذه الأمـة أن يكـون الله يفعـل بحُجَّتـه مـا فعـل بيـوسف ، أن يكـون يسيـر في أسواقهم ، ويطأ بُسُطَهم وهم لا يعرفونه ، حتى يأذن الله عزّ وجـلّ أن يُعرِّفهم نفسـه ، كما أذِن ليوسف حين قال : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ؟ .

---

(١) بشارة الإسلام ص ٥٦ و١٥٠ .
(٢) الغيبة للنعماني ص ٨٩ ومنتخب الأثـر ص ٢٥١ والكافي م ١ ص ٣٤٠ وإلزام الناصب ص ٨١ والبحار ج ٥٢ ص ١٥٥ وج ٥٣ ص ٣٢٤ وفي ينابيع المودة ج ٣ ص ٨٢ نصفه الأول .
(٣) الكافي م ١ ص ٣٣٩ والبحار ج ٥٢ ص ١٥٦ قريب منه .
(٤) الكافي م ١ ص ٣٣٨ والبحار ج ٥٢ ص ١٥١ والغيبة للطوسي ص ١٠٢ ومنتخب الأثر ص ٢٥٢ وإلزام الناصب ص ٨٠.
(٥) إلزام الناصب ص ٤ وص ٦ .

قالُوا : ءَإنّكَ لأنْتَ يُوْسُفُ ! . قالَ : أَنَا يُوْسُفُ وَهَذَا أَخِيْ ﴾[1] . . (وجاء عنه ﷺ بلفظ :)

ـ في القائم سُنّةٌ من موسى ، وسنّةٌ من يوسف ، وسُنّةٌ من عيسى . وسنّةٌ من محمد ﷺ . فأمّا سنّةُ موسى فخائفٌ يترقّب . أمّا سنّةُ يوسف فإنّ إخوتَهُ كانوا يبايعونه ـ أي يبيعون ويشترون منه ـ ويخاطبونه ولا يَعرفونه . أمّا سنّةُ عيسى فالسياحة . وأمّا سنّةُ محمد ﷺ فالسيف[2] .

(ثم ضرب هذا المثل في حديث آخر قائلاً :) ما يُنكر هذا الخلق الملعون ، أشباه الخنازير من ذلك ؟ ! . إن إخوة يوسف كانوا عُقلاء ألِبّاء ، أسباطاً أولادَ أنبياء ، دخلوا عليه فكلّموه وخاطبوه وتاجَروه وراودُوه ، وكانوا إخوته وهو أخوهم ، حتى عرّفهم نفسَه وقال لهم : أنا يوسف ، فعرفوه حينئذٍ . فما تُنكر هذه الأمة المتحيِّرة ؟ . ما يُنكر هذا الخَلق أن يكون صاحبُهم المظلومُ ، المجحودُ حقُّه ، صاحبُ هذا الأمر ، يتردّد بينهم ، ويمشي في أسواقهم ، ويطأ فُرُشَهم ، ولا يعرفونه[3] ؟ ! .

(أجل ، كيف يُنْكِر الناسُ أن نرى ونُحادث ، ونُجالس ونُساير من نراه دون أن نعرفه ، مع أن الذين لم يعرفوا يوسف هم إخوته والصقُ الناس به ؟ . وكيف نتعجّب من إنسان لا يعرف غريباً يزامله ويكالمه في الطريق ، أو ممن يجهل إنساناً يراه في مجلس لم يُعرِّفه بنفسه ، ولا عرّفه به أحد ؟ ! . وليس كلُّ واحد منّا يعرف جميع سكّان الأرض ، ولا جميع سكّان مدينة كبرى ، ولا هو قادر على ملاحظة كافة العابرين بها والمتردِّدين عليها ! . فكيف يتسنّى له أن يُلاحظ تحرّكات واحدٍ بالذات يتردّد في سائر أرجاء المعمورة بين مليارات الأشخاص ؟ ! ! هكذا يشرح الصادق ﷺ وَضْعه ؛ ويتابع :)

---

(1) يوسف ـ ٨٩/ ٩٠ والخبر في منتخب الأثر ص ٢٥٥ وص ٣٠٠ أوله ، والكافي م ١ ص ٣٣٧ والبحار ج ٥١ ص ١٤٢ وج ٥٢ ص ١٥٤ وإعلام الورى ص ٤٠٥ .

(2) إلزام الناصب ص ٥٥ وفي ص ٦٧ رُوي عن الباقر ﷺ .

(3) الغيبة للنعماني ص ٨٤ والكافي م ١ ص ٣٣٦ بلفظ قريب ، ومثله في البحار ج ٥١ ص ١٤٢ وج ٥٢ ص ١٥٤ .

ـ لا تـراه عين وقت ظهـوره إلاّ رأتـه كـلُّ عين . فمَن قـال لكم غيـر ذلـك فكـذّبوه [1] . . (فـلا بدّ أن يكـون ظهوره في عصـر التلفـزيـون ، ومـا هـو أكثـر من التلفزيون لتـراه كلُّ عين حين ظهـوره دفعةً واحـدة . وهذا الخبـر من الأخبار المعجـزة المنبِّئة بالغيب ، نقلها أئمتنا عن جدِّهم أمين الله على وحْيِه وعزائم أمره . وكفَى بذلك صدقاًوحقّاً . . يدل على صـدقِه وكـونه من عنـد الله ، صدورُه قبـل جميع مكتشفـات العصـر الحديث ووسـائله بألفٍ ومئـات السنين ! . وقد رُوي هـذا الجـديث عن أميـر المؤمنين عليه السلام . . فسدَّد الله بصيرتك النافذة عَبرَ العصور والأحقاب يا سيدي ، فـإنك كأنك وأبناءَك الميامين تَروننا متحلِّقين حول التلفزيون ننظر إلى فارسكم المظفَّـر بحيث نُحِسّ كلّنا كأنه معنا معنا في بيوتنا ! . ورحم الله قدماءَ رُواتنا فإن أمانةَ النقل عندهم ، وورعَهم في إبقاء الأحاديث بلفظها وإن لم يجدوا لها تعليلاً ميسوراً ، وإيمانَهم بجميع ما صحَّ عنكم وإن لم يفهموا مصداقه ، كلّ ذلك أوصل إلينا هذه الأخبار المقدَّسة كما صـدرت عنكم دون زيادة أو نقصـان ، لنكون على بيِّنـة من أمرنـا حين حصـول هـذا المخطط الإلّهي الذي تـدل عليه أخبـارٌ تنادي على صـدقكم عند القـريب والبعيد . . فجـزاكم الله الخير كله بمـا أزلتم من عمانـا ، وبما أنـرتم من طريقنـا في هذه العهـود الضّالة والأهواء المصطرعة ! .)

قال الإمام الرّضا عليه السلام :

ـ إن الخضـر شـرب من مـاء الحيـاة ، فهـو حيٌّ لا يمـوت حتى يُنْفَـخ في الصور . . . وإنه ليأتينا فيسلِّم علينـا فَيُستمع صـوتُه ولا يُـرى شخصُه . وإنـه لَيَحْضر أينمـا ذُكِر ، فمن ذكـره فَلْيُسلِّم عليه . وإنـه لَيَحضُر الموسم كـلّ سنـة فيقضي جميع المناسك ، ويقف بعرفَة فيؤمِّن على دُعاء المؤمنين . وسيؤنس الله به وحشة قائمنا عليه السلام في غيبته ، ويصل بها وَحدته [2] .

(فالقائم المهديّ عليه السلام موجودٌ وإن كان غائباً عن الأبصار . . وليس هو الموجود الوحيد الغائب عن متناول حَواسِّنا ، والذي نؤمن به ونعتقد وجوده دون أن نراه .

---

(1) إلزام الناصب ص ٢١٥ والبحار ج ٥٣ ص ٦ وبشارة الإسلام ص ٢٦٧ .
(2) البحار ج ٥٢ ص ١٥٢ ومنتخب الأثر ص ٢٦٢ وص ٢٧٧ بلفظ قريب عن العسكريّ عليه السلام .

فالله تبارك وتعالى نؤمن بوجوده ممسكاً السمٰواتِ والأرضَ بقدرته ، مع أنه تعالى عن أن تدركه الأبصار وبَعُدَ عن تصوُّرات الخواطر والأفكار .

والروح التي تحتلُّ أجسامنا وتُسبِّب كل حركة ديناميكية جسديَّة فينا ، نُقِر بوجودها في جسمنا لأثرها الحي الظاهر الذي نستدل عليها بواسطته دون أن نراها بأعيننا موجودة في الجسم أو خارجة منه حال الموت ! .

والهواء الذي نتنفسه أربعين ألف مرة في اليوم على الأقل ، لا نراه في مرة واحدة منها ونؤمن به وبوجوده ! .

والغازات المنعشة والقتَّالة التي تدخل في كثير من نواحي حياتنا نعترف بوجودها دون أن تقع تحت متناول أبصارنا . .

والصوت الذي تُحدثه أوتارُنا الصوتيةُ فينبعث من حناجرنا ويَطْرُق أسماعنا وأسماع غيرنا من الأحياء ، نؤمن به دون أن نرى ذبذباته ثم نُمَيِّز نَبَراته ، فنحدِّد أنه دقيق أو غليظ ، قبيح أو جميل ، من طفل أو من شابٍّ أو من شيخ ، من رجل أو من امرأة ، من طائر أو من حيوان أو محرِّك ! ! !

والتيار الكهربائي الأعجب الذي لا تراه العين ولا تسمعه الأذن نؤمن به وبآثاره الوضعية ؛ ونخشى صَدمته الكهربائية المُميتة قبل أن نلمسه . .

والمادة الذائبة في الماء نعترف بوجودها دون أن تعكِّر صَفْوَه ، ودون أن تظهر لها أجرامٌ فيه . .

ومثل ذلك عمل الخلايا في العقل ، وتوزيع الأوامر في الأعصاب ، والديناميكية في التفكير ووساوس الصدر ، وهواجس النفس ، فإنها كلُّها وكثيراً غيرها ، مواضيعُ نؤمن بها ويؤمن بها غيرنا إيماناً ليس فيه شك دون رؤية ، وننتفع بها دون شك ، بل هي من مظاهر حياتنا اليومية : .

. . فهذه أشياء روحية ـ وأشياء مادية ، كلُّها موجودةٌ ، وكلُّها مفيدةٌ لنا ، بل بعضها من أسباب وجودنا ، ونحن لا نراها ـ وأكثرها لا نراه ولا نسمعه ـ ونؤمن بوجودها . فكيف ؟ ؟ ؟

إلاّ هـذا الغائب المنتظر الذي يـدل عليه اللّهُ ، ومـلائكتُـه ، وكتُبـه ، ورسلُه ، وأولياؤه من أول نبي إلى آخر المرسلين ، نُنْكِره ، ونتنكّر إليه لأنـه لم تدلّنـا عليه العين التي هي أضعف عضوٍ في الإنسان ؟ ! . ألاَ إنني لَمعَ الشاعر الذي يقول :

لـلّه تـحـت قـبــاب الأرض طــائـفــةٌ أخفـاهُم عن عيــون النــاس إجــلالا

أخفاهم عمْداً . . لأن عيون أكثر الناس مفاتيحُ ضمائر عَفِنة ! . ضمائر لا تؤمن بغير شهوات النفس الجسدية ، التي إن هي هـاجت تتحكّم بالأعصـاب وتهز المشـاعر وتسيـطر على الحواسّ ، وتحمـل الإنسان على الـوقوع في الـرذيلة بعد أن تتم عمليـة استيلائها على جميع منافذ العقل والفهم ! .

لا عَجَب إذن أن يؤمن بـوجوده من قـادته عقيـدته إلى الإيمـان ، أو مَن يستطيـع عقله البرهنة على إمكان غيابه ، أو من يوصله فهمه إلى معرفته دون أن يراه . . .

ومـا أدراك أن المهـديَّ ـ المجهـولَ من قِبَلِكَ ـ لا يـرافقـك في السفَـر ، ويـزاملك في الطريق ، ويجـاورك في خلوة تَعَبُّد ، أو يشـاركك الحـديثَ في الحج أو غيره ، أو يكون معك في كثير من تقلّباتك اليومية ؟ ! .

ثم ما أدراك أنه يَعِظُك في المتجر فيحذِّرك نقص المكيال والميـزان ، ويكالمـك عنـد الكتبيّ ، ويصفّ قدميـه إلى جـانبـك في المسجـد دون أن تنتبه إلى واقـع أمره وحقيقة هويته ، ودون أن تجول في نفسك أيّة خـاطرة تُلفت نـظرك إلى أن هذا الـرفيق المزامل هو المهديّ ؟ ! .

ألاَ إنّـه لا يَحكم بعدم إمكـان غيابـه لمجـرَّد عـدم رؤيتـه إلا العقـلُ القـاصـر أو المعاند . .

ومن قـال لا أتمكّن من الإيمـان بـإمام لا أراه ، ولا أعتبـر نفسي مسؤولاً عن جَحدي به ، ولا تلزمني حجّة الجهل فيه ، نقول له : إنك إن لم تلزمك حجة الإيمان بكل شيء لا تراه لَلَزِمَ أن تكفر بجميع المحجوبات عن بصـرك ، نزولاً من الله تعـالى إلى الكفـر بنفسك التي لا تـراها ولا تـرى (الأنا) الكـامنة فيهـا . . . وإذن فـأنت مغالط لواقعك حين تؤمن بمبادىء أصحاب العقائد الفلسفية أو السيـاسية دون أن تـرى

أصحابها ، وأنت بالتالي من الضائعين الذين قد يموتون في سبيل زعيمٍ عقائديٍّ لم يَروه ، ثم يكفرون بآخرَ لأنهم لا يَرونه ! ! !

هذا ، وإن الإمامة أرفع من ذلك منالاً ، لأنها تنصيبٌ من الله ، ولأن لها شأنها وعظمتها وهيبتها ، ولا شأن للانتخاب الفردي والجماعي فيها ، لأنها في الصفوة من الخَلْق ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الخِيرَةُ ، سُبْحَانَ الله وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) . . فليكن من شاء في صف المشركين . والله سبحانه ، حين يختار ، لا يشاور أحداً . . وشِرْكُ المُشرك لا يضرّ الإمامة ولا يُعيق اختيار الله ، لأنه لا يصطفي لهذه المرتبة إلاّ النخبة من خَلقه الذين بَرأهم لائقين لما لا يليق له غيرهم ، وممتازين بكل مقوّماتهم الجسديّة والفكرية عمن سواهم ، وقد قال تبارك وتعالىٰ للنبي موسى ﷺ بعد أن أوصله إلى بيت فرعون الجادّ في طلبه للقتل وأعمى عنه بصره وبصيرته فربّاه تربية الملوك ، قال له تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٢) . . ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (٣) .

ولن تفوتنا الإشارة بالتحذير ، إلى أن المُنكِر مطالَبٌ بالاعتقاد وإن أخذه العناد ، وهو مؤاخذٌ في كلاَ الحالَين لأنه مأمور بالسير وراء الدليل ، وَمُلْزَمٌ بالحُجة التي ترفع كل عناد ، كما يَقهر الله بالموت كل مَنْ يهرب من الموت ، وإن عُمِّر عُمر نوح . .

والمماحِكون . . هُم مساكين . . فإنهم يستحقون الشفقة لو كان بهم خير . . ﴿ وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيراً لأَسمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٤) . . فلا شأن لنا مع هؤلاء . ولكننا نسألهم : لِمَ يختارون لإدارة شؤونهم رؤساءَ ووزراءَ ومجالسَ نُوّاب ثم لا يحقُّ لله أن يختار لرئاسة عباده من شاء من أكرم خلقه لمصلحة مَعاشهم ومَعادهم ؟ ! . ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٥) ، ليس إلاّ ! ! !

---

(١) القصص ـ ٦٨ راجع بهذا المعنى الكافي م ١ ص ٢٠١ والغيبة للنعماني ص ٤ .
(٢) طه ـ ٣٩ .
(٣) طه ـ ١٣ .
(٤) الأنفال ـ ٢٣ .
(٥) النساء ـ ٥٤ .

هذا هو الذي يؤسف له . . لا غيرُه .

ـ والأئمـةُ هم المحسـودون الـذين قـال الله تعـالى فيهم : ﴿ أَمْ يَحْسُـدُونَ النَّاس ﴾ [١] . . وأهلُ البيت هُمُ « النـاس » في الآية ، فقـد قال الإمـامُ الباقـرُ ﷺ مُقْسِماً : نحنُ واللّهِ الناس [٢] ! .

فلا ، ولن يختار النبيَّ انتخـابٌ بشريّ ، ولا اقتـراعٌ أرضيّ . . لأن الانتخابـات الأرضية قد جاءت في عصرنـا هذا بمجـالس أُنيط بها تحليـلُ الحرام وتحـريمُ الحلال ذهاباً من تحليل الرِّبا والقمار وصعوداً إلى الزواج المدنيّ واللِّواط ! .

فلا مجال لاستنساب العقل في مجال اختيار الـرسل والأوليـاء . . ولم يخترْ بنـو إسـرائيل مـوسى ﷺ ، ولا هو اختـار هارون ﷺ دون سـابق علم الله وإلْهامـه ، ولا عيسى ﷺ انتقى الحواريِّين ، ولا محمد ﷺ نَصَّبَ أوصياءه تنصيباً من عنده كورثة عـرش ، ولكن الله تعـالى فعـل ذلـك كله ، وجعلهم حـاملي مـواريث النبـوّات عبـر التاريخ . . والرادُّ على ذلك رادٌّ على الله لا على ناقل الحق ومبلِّغه للناس .

وبهذا يتضح أن العجب لا يكمن في وجـود القائم ﷺ ولا في غيبتـه الكُبرى ، ولا في كونه موجوداً لا يُـرى ، بل في هـذه النبوّة الصـادقة التي مـا صدعت بشيء إلا وفيه ريح السماء وَعَبَقُ الوحي ، لأنها تناولت موضوع المهـدي ﷺ منذئـذٍ ، فأعـطت من التفصيل العجيب الذي يتحقَّق تِباعاً ، ما يعجز عنه الوصف لِمـا قيل فيـه . . ولِما كان . . ولِما سيكون ، بالرغم من المدة المتطاولة التي سبقت عهده برمَّتـه منذ مولده حتى القيام بالسيف ، والتي وصفت الأحداث خطوةً خطوةً إلى يوم الـظهور المبـارك ، آخذةً ذلك بريشة صادق أمين لا تَزيد ولا تُنقص . .

أما نحن ـ المصدِّقين ـ فننتظر . . . ونعيش بأمل شرف البقـاء واللقاء على هـذا العهـد المعهـود ، ثـابتين على أوامـر الـرسـول الأعـظم ﷺ معتقـدين أن غيـاب القائم ﷺ عن أبصار النـاس ذمٌّ للناس ، لا للعقيـدة . . وإننا مقيمـون على ما كتبـه الإمام ﷺ لأحد سُفرائه ، رضوانُ الله عليهم :

---

(١) الكافي م ١ ص ١٨٦ .

(٢) نور الأبصار ص ١١٢ والصواعق المحرقة ص ١٠٥ .

ـ إنّا غير مُهملين لمراعاتكم ، ولا ناسين لِذِكْركُم ، ولولا ذلك لاصْطَلَمتكم اللّأواء ، وأحاطت بكم الأعداء . .

وبالأخير ، إنّنا معتمدون على ما جاء في رسالته إلى سفيره محمد بن عثمان رحمه الله على ما بذل وأدّى :

ـ أكْثِرُوا من الدعاء بالْفَرَج ، فإن ذلك فَرَجكم (١) . .

عَجَّلَ الله تعالى فَرَجك أيها الغائب المنتظَر لليوم العظيم ! . وجَعَل بذلك فَرَجَنا وفرج الناس أجمعين كما أكّدتَ . . ووفّقَنا للقيام بطاعتك ، والمثوبة بشرف خدمتك والمكث في دولتك . . فالصبحُ بدأت تتخايل تباشيرُ بزوغه . . بإذن الله .

---

(١) منتخب الأثر ص ٢٦٧ والغيبة للطوسي ص ١٧٧ وإعلام الورى ص ٤٢٤ والبحار ج ٥٣ ص ١٨١ ـ ١٨٢ والإمام المهدي ص ٢٥٤ وإلزام الناصب ص ١٣٠ .

٦ ـ مَا هذَا العُمر المَديد ؟

بَعض طَويلي الأعمَار

قال الإمامُ الصادقُ ﷺ لأحد أصحابه حين رآه يتعجب من طول الغَيبة :

إن الله تعالى أدار في القائم منّا ثلاثةً أدارها لثلاثة من الرسُل :

قَدَّر مولده تقديرَ مولد موسى ، وقَدَّر غَيبته تقديرَ غَيبة عيسى ، وقَدَّرَ إبطاءه تقديرَ إبطاءِ نوح ، وجعل له من بعد ذلك عُمْرَ العبد الصالح دليلاً على عُمره[1] (يعني الخضر ﷺ . وبعد أن علَّل غَيبات الرُّسل الثلاثة في حديثٍ طويلٍ مذكورٍ في مكان آخر من هذا الكتاب ، قال :)

ـ . . وأما العبد الصالح الخضر ، فإن الله تبارك وتعالى ما طوَّل عمره لنبوَّة قدَّرها له ولا لكتاب يُنزِّل عليه ، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة مَن كان قبله من الأنبياء ، ولا لإمامة يُلْزِمُ عبادَه الاقتداءَ بها ، ولا لطاعة يَفرضها له ، بل إن الله تَبارك وتعالى لمَّا كان في سابق علْمه أن يقدِّر في عُمر القائم في أيام غَيبته ، وعَلِمَ من إنكار عباده لمقدار ذلك العمر في الطول ، طَوَّلَ عُمر العبد الصالح من غير سبب . فما

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٤٦ تجد الحديث كاملاً ، ومنتخب الأثر ص ٢٥٩ والغيبة للطوسي ص ١٠٥ والبحار ج ٥١ ص ٢٢٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٦ و١١٧ والمهدي ص ١٦٨ و١٦٩ و١٧١ وإلزام الناصب ص ٨٥ ما عدا أوله .

أوجب ذلك إلا لعلّة الاستدلال على عُمر القائم ، وليقطع بذلك حُجة المعاندين ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّة [1] .

(فكثيراً ما ورد عن النبيِّ ﷺ وعن آله المعصومين كونُ القائم فيه سنّةٌ من نوح وهي طول العمر . . أوردوا ذلك موردَ تأكيد لا ريب فيه ، حتى أن الصادق عليه السلام قال مرةً مستهجناً :)

ـ ما تُنكرون أن يُمِدَّ الله لصاحب هذا الأمر في العمر كما مَدَّ لنوحٍ عليه السلام في العمر [2] ؟ ! !

(ثم قال مرة ثانية :) إن وليَّ الله يُعَمَّـر : عُمِّرَ إبراهيم الخليل عشرين ومئة سنةٍ ، وكان يظهر في صورة فتىً موفَّق ـ أي رشيد قويّ ـ ابن ثلاثين سنة . لو خرج القائم أنكره الناس ، يرجع شاباً موفَّقاً [3] . . (وكيف نتعجَّب من رجوعه محتفظاً بمقوِّمات شبابه إذا أجرى الله تعالى عليه ما أجرى لغيره من الصالحين ؟ . فإن طول عُمره صار عن محض الإرادة الإلَهية ، التي قدَّرت طول العمر لكثير من الصالحين والطالحين فيما مضى وكما سترى . .)

قد قيلَ إن عُزَيْراً خرج مع أهله وامرأتُه في شهرها ، وله خمسون سنة . فلمَّا ابتلاه الله عزَّ وجلَّ بِذَنْبه أماته مئة عام ثم بَعَثَه . فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة ، فاستقبله ابنه وهو ابن مئة سنة ! ! ! وردَّ الله عُزَيْراً إلى الذي كان به . .

أهذه أعجب أم قضية صاحبنا عليه السلام ؟ ؟ ؟

وَخُذ الثانية قبل أن ينقضيَ عَجَبُك ، فإن نَصر بن دهمان ـ من غطفان ـ قد عاش مئةً وتسعين سنة ، ثم اعتدل بعدها ، وعاد شاباً . فتعجَّب معاصروه من ذلك أشد العجب حتى أن العرب لم يَرَوا مثلها أُعجوبة فريدة [4] ! . ومثل هذه أيضاً ، ما ذكره

---

(١) النساء ـ ١٦٥ والخبر في منتخب الأثر ص ٢٦١ والغيبة للطوسي ص ١٠٨ وإعلام الورى ص ٤٠٦ وبشارة الإسلام ص ١٤٨ .

(٢) الغيبة للطوسي ص ٢٥٩ .

(٣) الغيبة للطوسي ص ٢٥٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٧ وفي منتخب الأثر ص ٢٥٨ نصفه الأخير .

(٤) الغيبة للطوسي ص ٢٥٩ .

أصحاب السِّيَر والآثار من أنَّ (زليخا) امرأة عزيز مصر ، قد رجعت شابَّةً طريئةً بعد شيخوختها وهَرَمها ، بل ذكروا أن يوسف عليه السلام قد عاد فتزوجها بحسب بعض رواياتهم . .

فلا أخال إطالةَ عُمر المهديّ عليه السلام إلى ما يزيد على الألف سنة موضوعاً فيه إشكالٌ ذو بال وإن كانَ المستنكرون يَرونه المشكلةَ كل المشكلة ، مع أن الإمام المعصوم يخلقه الله تعالى تامَّ التركيب الجسميّ ، معتدلاً في جميع مقوّمات حياته ، ولا يصيبه الموت إلاّ بعارض خارجيّ كالقتل والسمّ كما حدث لآباء القائم عليه السلام . على أنَّ الإنسان العادي ، السليم الجسم ، لا يَدْهمه الموتُ إلاّ إذا طرأ عليه ما يخرِّب جسمه ويعطِّل بعض مقوِّماته . . وها نحنُ نبحث عن هذه الظاهرة ـ ظاهرة طول العمر ـ من نواحيها الدينية ، والحياتية والطبيعية .

الناحيةُ الدِّينيّة :

لا أحسب أن الخالق الذي أوجد الإنسان من العدم وقال عنه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[1]، لا أحسب أن الخالق الذي طوَّر سُلالة الطين إلى إنسان متينِ الصُّنع ، وجعل من النطفة كائناً مستويَ الْخِلْقة قال عنه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[2] ، لا أظنُّه عاجزاً عن أبسط من ذلك من الأمور ، خصوصاً حين نلاحظ أنَّه نقَل هذه النطفة في الأصلاب والأرحام ، وأقرَّها في بطن الأم تسعة أشهر دون حركة في اللسان أو الرئة أو غيرهما من الأعضاء ، ثم قدَّر لتلك الآلات أن تتحرَّك كلها دفعةً واحدةً ، مع عشرات الأجهزة غيرها ، حين يخرج المخلوق إلى هذا العالم ، متحدِّياً أطِبَّاءَ الإنس والجنّ أن يُفَجِّروا فيه حاسَّةً واحدة إذا خُلِقَت معطَّلة ، أو أن يزيدوا فيه عضواً واحداً إن خُلِق ناقصاً ، أو أن يُطَوِّروا في خَلْقِه شيئاً أرادوه واستحسنوه ! .

---

(١) المؤمنون ـ ١٢ / ١٤ .

(٢) التين والزيتون ـ ٤ .

فالله القادر على إنشاء الإنسان من العدم ، والذي قال عنه متعجّباً وموبّخاً : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ (١) ، وقال مستهزئاً به ومقرّعاً له : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ (٢) ، لتكون منه النطفةُ فالعلقةُ فالمضغةُ فالعظامُ فاللحمُ ، فالخَلْقُ السَّويُّ الذي يشدُّه بالعصب ، ويجري فيه الرُّوح والنَّفَس والدم في القلب والعروق . . هذا الخالق قادر على أن يفعل ما يشاء ، كيف يشاء ، حين يشاء ! .

فأقْبِحْ بالإنسان مُنكِراً ومُتنكِّراً لما يقع تحت حِسِّه ، فضلاً عما لا يقع تحت حِسِّه ولا يصل إليه إدراكه ! ! !

ألاّ إن ذلك لا يَدلّ على عجَبٍ في الموضوع ، بمقدار ما يدلّ على عَجْزٍ في الحواس ، وقصورٍ في الإدراك ، وضَعفٍ عند الإنسان ، بل يدلّ على تفاهته وعقوقه ، لأنه لا يكاد يقف على قدميه حتى يتطلّع إلى تقويض السماء ، والشِّرك بربِّه الذي ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ، فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) ، يعلن العداوة للدَّين والدَّيّان ، وتَنْصبُ النطفةُ القذِرةُ نفسَها خصيماً مبيناً لبارئها . . لله . . الذي يقهرها بالموت فيجعلها جيفةً يتعجَّل ذَووها لطمرها بالتراب للتخلُّص من نَتْنِها ! ! !

فليس كل ما لا يقدر أن يستوعبه العقل مستحيلاً . ولو كان ذلك لَلَزِمَ إدراك كُنْهِ مَنْ ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ (٤) . . على أن الإلّه الذي نتوصَّل إلى معرفته وتحديده بمكان وزمان ، نُقَلِّلُ من أهميته ونُفْقِدُه عَظَمَةَ الألوهية وجلالَها . .

ومن مفارقات إنسان عصرنا الذي اجْترح العجائب وأتى بالمعجزات أن يُنْكِر ما لا تدركه حواسه ، ويستوعبه إدراكه المحصورُ في هذه الْجُمجمة المقفَلَة الصُّلبة . فإنّه وإن سخَّر الهواء والماءَ والكهرباء ، وصعد بالطائرة والصاروخ إلى الفضاء والأجواء ،

---

(١) القيامة ـ ٣٧ .
(٢) المرسلات ـ ٢٠ / ٢١ .
(٣) النحل ـ ٤ .
(٤) الأنعام ـ ١٠٣ .

واحتلّ القمر الذي كان يعتبر بعيد المنال ، وتَجاوَزه إلى المرِّيخ الذي يبعد عنّا أكثر من ثلاثمئة وخمسين مليون كيلو متر ، إنه مع ذلك قد بقي مكابِراً ومشابِراً على تكذيب ما لا يَسَعُه أفقُ تفكيره من أوامر الله ونواهيه . . فقط من أوامر الله ! ! ! !

فبقاء المهدي ﷺ كان باختيار الله تعالى وتحت مقدوره ، وبمشيئته لا بمشيئتنا ولا اختيارنا ولا موافقتنا ، لأننا ـ إذا جَدَّ الجدّ ـ لا نستطيع زيادة نَفَسٍ واحدٍ على أنفاسنا حين يتحكّم سلطان الموت وتختنق الأنفاس ! . وهذا هو الفرق بين أن نشاء نحن ، وأن يشاء الله رب العالمين ! . وإنه لو جاز لنا أن نختار لَمَا رضينا لأنفسنا بمثل عُمر نوح الذي أخذ يدعو قومه ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً ﴾ [1] ، والذي حين بولغ في عمره أوصله الرواة إلى أَلْفَين وسبعمئة وخمسين سنة ، فضلاً عن أن نقبل بأعمار غيره ممن وصلوا إلى الألْف أو الثمانمئة أو الستمئة سنة ! .

ولبقاء المهديّ عجّل الله تعالى فَرَجَهُ وجهٌ تقتضيه حكمةُ الخالق التي لاحَظَ فيها مصلحة المكلّفين أنفسهم ، ولولا ذلك لَمَا كانت ضرورةٌ إلى هذه التمثيلية التي يصعب تصوُّر دَور بَطلها المنتظَر . كما أنَّ بقاء عيسى ﷺ ورَفْعَه إلى السماء كان لمصلحة المكلّفين أيضاً ، فما من أحدٍ يبقى حيّاً من أهل الكتاب إلى يوم نزول المسيح ﷺ من السماء إلاّ ويؤمن به حين يراه فينال نعمة التصديق ويشترك في نُصرة دولة الحق والعدل والإيمان .

والمهديّ ﷺ يُعتبر ـ إلى الآن ـ شابّاً لو كان من أولاد نوحٍ أو أبناء معاصِري نوحٍ مثلاً ، أو من أبناء لُقمان أو غيرهم ممن عاصر أزمنة التعمير ، حيث كان يتزوج الرجل لأول مرة بعد بلوغ الثمانمئة سنة ، والستمئة سنة والأربعمئة سنة كما سترى [2] ! ! ! وهذا وحدَه يُسْقِط التعجُّب من قلوب المرتابين ويثبِّت المستيقنين على يقينهم . .

ثم يجب أن لا يغيب عن بالنا أن بقاء المهديّ ﷺ مشروطٌ بآخر الزمان ،

---

(١) العنكبوت ـ ١٤ .

(٢) قيل إن سلمان الفارسي رضوان الله عليه أدرك رسولَ الله ﷺ وقد قارب أربعمئة سنة . أنظر كشف الغمة ج ٣ ص ٣٣٢ وإعلام الورى ص ٤٤٢ وغيرهما من المصادر .

لِتَصْدُقَ به أخبار جدّه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

أما تطويل الأعمار فهو هَمُّ أساطين الأطبّاء اليومَ . وهَمُّ جهابذة علْم الحياة الذين يبحثون بوسائلهم الأرضية عن تنشيط الخلايا وإصلاح الأنسجة المستهلَكة ، وتجديد شباب الشيوخ ، أي أنهم يبحثون عن شيء يعرفه الله ـ يا سيِّد العارفين ـ ! ! ! فكيف نُنكِر عليه أن يجدِّد الخلايا ، ويُعيد الشباب ، ويطيل العمر ؟ ! !

مَهْ مَهْ للعقول التي لا تريد أن تفكِّر وتقابل ! ! !

ومهلاً مهلاً لمن يُجفله اسمُ الله كما كان يُجفِل الفيلسوف الفرنسي ـ فكتور هيغو ـ الذي درَّس الإلحاد لتلامذته حتى بلغ السادسة والثمانين ، ثم صَرَخ بملء شِدْقَيه ـ أثناء الدرس ـ : يا ربِّ خلِّصنا ، حين هبَّت عاصفةٌ غير مألوفة يرافقها رعدٌ وبرقٌ وريحٌ صَرْصَرٌ كادت تهدم البيوت وتقتلع الأشجار . ثم كانت صرختُه هذه سبباً لإثارة انتباه تلامذته الذين صرخوا بدورهم : نراك تستغيث بالربّ الذي تدرِّسنا وتدرِّبنا على إنكاره منذ عشرات السنين ! ! ! ثم كان ذلك سبباً لإعادة نظره في عقيدته الأولى والرجوع إليها لَمّا رأى الإنسان يرجع إلى الله وحده وقت الضيق والخطر الذي لا يُدفَع . .

وليس أسهلَ على المتخفّي مثل المهديّ المنتظر عليه السلام من أن يتناول بُلْغة عيشه من طعام الزاهدين ـ كما قال هو عن نفسه ـ وشراب المحتاجين ، ويكون خاليَ الفكر من تعقيد الحياة ، وثِقَل هَمِّ المأكل والمشرب والتنافس بالمال والولد وزِبرج الحياة ، يقضي الوقت بالطاعة والتبتُّل والعبادة ، تحميه العناية الربّانية ، ويحفظ سلامة جسمه عدمُ عبوديته لِشَرَه الطعام والشراب ، فيكون طول عمره من النواميس الطبيعية الممكنة ، التي تستمرُّ في حال عدم وجود العائق المخرِّب ، والتي لا يُنكِرها إلا العقل المحدود . .

فطولُ عُمره ثابتٌ بتواتر النَّقل ، لا يأباهُ واقعٌ ولا عقل حَصيف ، وكأنَّه ـ في واقع الحال ـ فتنةٌ قدَّرها الله لنا كما قدَّر غيرها من الفتن التي امتحن بها امثالَ الأمم الغابرة لأوامر رُسُله إليهم وأُمَناء وحيه عليهم .

فلا امتناع في تطويل عُمره ، بدليل تَصَافي أهل الأديان السماوية على بقاء

عيسى والخضر ﷺ حيين (١) ، وبقاء إبليس اللعين مُنظَراً منذ نَفْخِ الروح في آدم إلى يوم يُبعثون . . ولو حَسَبنا عُمر الخضر منذ أيام موسى ﷺ حتى يومنا هذا لَـرَأيناه يـدور في فَلَكِ الستة آلاف سنـة ، كما ذكـرنا سـابقاً ، وسيبقى مع ذلك ما بقيت دنيا الظالمين . . أفَلَيس معقولاً أن تقتضيَ إرادةُ الله بقاء المهدي ﷺ إلى آخـر الزمـان ، أي أقل من الخضر بما يُنيف على الأربعة آلافٍ وخمسمئة سنة ؟ ! ! .

ولمـاذا لا نـرضى حـلاً لمثـل هـذه العقـدة لِـوَليٍّ من أوليـاء الله المخلَصين ، ونـرتضيهـا لغيـره من المخلوقين ؟ ؟ ؟ فلو أنَّ نـوحـاً ﷺ كـان من مـواليـد عهـد محمدٍ ﷺ لكان اليوم في مقتَبَل عُمره ورَيعان شبـابه ، ولَكُنّـا نقول مثـلاً : هذا أمرٌ خارقٌ للطبيعة المألوفة لدينا ، ثم نتعجَّب منه . . فَلْنقل : إنّ أمر المهدي ﷺ خارقٌ للطبيعة المألوفة لدى قصيري الأعمار أمثالَ أهل زماننا ! . وَلْنتعجّب منه دون أن نُنكِره لأنه في إطار الإمكـان . . ولولا سـوء ظنّ الناس بـالله وبقدرتـه ، وعدم تصـديقهم به بـادىء بَدءٍ ، لَمّـا استغرب أحـدٌ طـول عُمـر المهـديِّ ﷺ . لأن من قـدِر على خلْق الإنسان من نطفةٍ قَذِرَةٍ كَدِرَةٍ ، لا يعجز عن إبقائه بعد إيجاده . . وقـد نبَّهنَا الله تعـالى إلى إمكان ذلك حين حكى قصة يونس ﷺ بعد أن ابتلعه الحوت في البحر ، فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢) ، وهـذا يعني أنه حين يَقدر أن يقاصَّ يونس فيُطيل عُمره إلى يوم البعث ، يُطيل عمـر الحوت أيضـاً ليبقى يونسُ في بطنه حيّاً محتجَزاً ، في ظروفٍ غير ملائمة لبقاء الحيّ ـ أيهـا العقلاء ـ مما يشكّل معجزةً تفوق التصوّر . على أننا لا نعرف كيف خرج يونس من بطن الحوت حيّاً حتى ولو كان لَبثه في بطنه دقـائقَ معدودة دون تنفس ولا هـواءٍ صالـح للحياة ! ! ! فَأَحرِ بمهديِّنا ﷺ أن يعيش حرّاً طليقاً غير محتَجَزٍ في بـطن حوت ولا في قعـر بحر ، بل محجوباً عن عقول عشَّش فيها الشكُّ فـلا تريـد أن تستوعب قضيتـه لا بالـطول ولا بالعرض ! ! !

---

(١) أنظر ينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ ونور الأبصار ص ١٦٨ نقلاً عن البيان ، وغيـرهما من المصـادر لترى بحوثاً إضافيةً بهذا المعنى .

(٢) الصافات ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ .

الناحية الحياتية (البيولوجية) :

إن علماء الحياة ، والأطباء المعاصرين ، قد توصلوا إلى أنَّ كلَّ الأنسجة الرئيسية في جسم الكائن الحيّ قابلةٌ للاستمرار إلى ما لا نهاية له إذا لم يعرِض لها ما يَقطع حياتها . .

وقد أصبح من المقرَّر عندهم أنه لا مانع للإنسان من حياة طويلة إذا تيسَّرت له جميع الظروف المناسبة . بل لقد قرَّروا أن الأجزاء الأولية للأنسجة يمكن أن تبقى حيَّةً ناميةً ما دام يتوفَّر لها الغذاء اللازم ، والمناخ الملائم ، وما دامت في منأى عن العوارض الخارجية المعيقة للنموّ والحياة . فليس بعجيب أن يطول عُمر بعض الناس إذا توفَّرت الظروف الصالحة ـ كما نرى بالبديهة في عصرنا الحاضر ـ فقد عَمَّر كثيرون من سكان منطقة خوزستان إلى ما فوق المئتي سنة ، ووصل أفراد منهم إلى ربع الألف وزادوا . . فكيف إذا رافق ذلك مشيئة مقدِّر الأعمار الذي يخلق الأنسجة وأجزاءَها الأوليةَ وظروفَ عدم تعرُّض الخلايا للخراب ؟ . وقد صار طرح المسألة عند علماء الحياة الآن هكذا :

العجبُ كلُّ العجب كيف يموت الحيّ الذي خلاياه قابلة للاستمرار في الحياة إلى ما لا نهاية له ؟ ؟ ؟

وما من أحدٍ منهم يُنكِر أن في مقدور الإنسان العادي أن يتوصَّل إلى إطالة العمر ، كما قد توصَّل إلى تقليل نسبة الوفيات في الأطفال في سائر مناطق الدنيا . بل ما من أحدٍ منهم يشك أن باستطاعة صاحب المقدرة الطبية الحقَّة بَرمَجَةَ حياة واحد من الناس فيجعله في وضع صحيٍّ مثاليٍّ ما شاء الله من الزمان ، ويجعله سعيداً في عُمر مديد . . وأجزم أنَّ عُمر الحُجَّة المنتظَر عليه السلام عجيب في نظرنا لأنه ـ وحده ـ يتميَّز بمثل هذا العمر في عصر نحن فيه قصار الأعمار . ولو كان غيره يتمتَّع بمثل عُمره كما كان مألوفاً في العهود السالفة لكان الأمر عاديّاً فعلاً .

فليس معنى طول عُمره أن طول العمر مستحيلاً ولو كان عجيباً ، إلاّ بمعنى أنَّه وحده طويلُ العمر . ولو كان طويلو الأعمار كثيرين لكانت القصَّة تلبس غير هذا القميص ، ولكان الإنكار قد يأتي من ناحية ثانية تتطلَّب أن يكون لديه معجزة المائدة

من السماء ، أو إسقاط السماء كسفاً ، أو إنزال الملائكة وأهل السماوات أجمعين ، ليستيقن من لا يريد اليقين بوجهٍ من الوجوه .

فلماذا ننكر على المهديّ عليه السلام نعمةً يتمتع بها البِرُّ والفاجر من المخلوقات ؟ . ولا غرابة في ذلك ، ولا خرق لنواميس الطبيعة ، بل الخَرق في الموت الذي يقطع حياة الحيّ حسب رأي العلماء المحدَثين ! . ونحن إذاً قاصرون عن تمديد حياتنا ، ولذلك نموت في حسرة الحياة ! . أمّا المهديّ عليه السلام ـ ومن ورائه مشيئة الله ـ فقد وُفِّق إلى تجنّب ما يقطع حياته واستمرار بقائه إلى أمدٍ قدّره له من يقول : ﴿ فَقَدَرْنَا ، فَنِعْمَ الْقَادِرُوْنَ ﴾ [1] في سياق حديثه عن خلق الإنسان بالذات . .

ومما لا شك فيه أن مراعاة القواعد الصحيّة تستلزم هناءَ العيش ، وسلامةَ الجسم والعقل ، وطولَ العمر أيضاً كما قرّر أطباء العصر ، وأن اتّباع تلك القواعد في أيامنا ، قد محا أمراضاً كثيرة كانت تغزو الأرياف في الصيف والخريف : كالرُّمد الصديديّ في العيون وكالملاريا الفتّاكة ، وككثير من الحمّيات الخبيثة ، بل لقد قلّلت غيرها من الأمراض بعد أن توفّرت النظافة وسلامة المناخ . فما المانع من أن يعيش الإنسان سليم الجسم طويلاً إذا بقي ملتزماً بغذاءٍ ملائم ومناخٍ صالح ، وإذا نجا من العوارض الخارجية التي تقطع الحياة وتَبتُر العُمر ؟ ! .

والطعامُ البسيط الذي لا يُحْدِثُ مضاعفاتٍ أثناء عملية الهضم والتمثيل ـ كالألبان والنباتات فقط ـ غِذاءٌ إن اتّبعه الإنسان دون تفريط ولا إفراط ، وأخذ قسطه من الراحة في مناخ طيب ، وعملٍ غير مجهد ، يؤدّي إلى سلامة في الجسم ، وسعادة في الحياة ، وطولٍ في العمر كما تبيّن من درس حالات فلّاحي ورعاة خوزستان وغيرها من مناطق طويلي الأعمار . .

الناحيّة الطبيعيّة (المصّادَفة) :

نقول لمن يدّعي وجود الكائنات (صُدْفة) :

إن في (صدفته) التي يتشبّث بها كثيراً من المفارَقات . . ففي مصادفته

---

(1) المرسلات ـ ٢٣ .

ـ بالصيغة الفصيحة إذ ليس في اللُّغة صدفة ـ أن بعض الإناث يلدن عجائب وغرائب : فواحدة تلِد توأمين ، وأخرى تلد ثلاثة ، والثالثة قد ولدت في فرنسا خمسة أطفال دفعة واحدة ! ! ! أمّا الرابعة في العراق فقد ولدت طفلاً كجَدْي الْمِعْزى ! ! ! هـذا ، فضلاً عمن تلِد طفلاً بست أصابـع ، أو من تلِد طفلاً بقلبين أحـدهما في اليمين والثـاني في اليسار ، أو من ولدت مخلوقاً برأسين وقلبين وجهـازين تناسليّين لـذكرٍ وأنثى معـاً ، أو مَن ولدت إنساناً له ذَنَب حيوان كما جرى في أيّامنا . . ففي المصادفـة إذاً أغلاط ، أو حالات شاذّة ، لأن كل حالة مما ذكرنا هي مصادفة قائمة بذاتها ومستقلة عن (صدفته) العامة .

ومن (صـدفتـه) المـدّعـاة أيضـاً ، من يمـوت من المــواليـد وهــو في آلسَّلَى (المشيمـة) ، ومن يعيش القرون والقرون . . أفلا تشـذ هذه الصـدفة في إطـالة عُمـر الخضر والمهديّ ﷺ كَفَرْدَين يجري لهما ما يجري لغيرهما من شواذّ (صـدفته) إذا لم يدخل على بُنْيَتيهما ما يقف بوجه الاستمرار في الحياة ؟ ! .

فنقول إذاً لمن يرى المصادفة في الطبيعة : إن طول عُمر القائم المنتظَر ﷺ هو (صـدفة) من مصـادفات الـطبيعة ، وهي شـاذّة من الشاذّات . . ومن فمـه نَدينـه ولا جواب له على قولنا مهما فكَّر وقدَّر ، وعبس وبَسَر . . . ثم نقول أيضاً :

مهلاً ، مهلاً . . فإن الذين شاؤوا أن لا يقتنعوا بـالميسور المعقـول الذي يحيط بنا ، لن نشدّد في إقناعهم ، لأن الله الذي خَلَق أمثالهم يقول عن المعـاندين : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُـوْنَ بِهَـا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِـرُوْنَ بِهَـا ، وَلَـهُمْ آذَانٌ لاَ يَـسْمَـعُـوْنَ بِهَا ﴾ [1] ، ونحن نقول : لهم قلوبٌ وأعينٌ وآذانٌ ، ولهم أفهـام ، ولكنهم لا يريـدون أن يقنعوا . . فهم أحرار بالاختيار لأنفسهم ، ولتكونَ الحُجة بالغةً لله عليهم حين تُنشَر الدواوينُ وتُعلَّق الموازين . .

فكونُ المهديّ ﷺ مولوداً ليس من المستحيل ،
وكَوْنُهُ موجوداً ، ليس من المستحيل ،
وكونُهُ غائباً عن الأعين ، بالمعنى الذي بيَّنّاه ، ليس من المستحيل أيضاً ،

---

(١) الأعراف ـ ١٧٩ .

وكونُهُ طويلَ العُمر ليس من المستحيل ، ولا من غير الممكن ، ولا مما يستعصي على مُطيل الأعمار : ربّاً كان ، أو محاولةً إنسانيةً فريدةً من نوعها ، أو مصادفةً بَلْهاء ! ! !

فعلى صعيد العقائد السماوية ، يرى جميع المعترفين بالعقيدة المهدوية ، وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ، أن أهل الجنّة لا يهرمون ولا يموتون ، وهم فيها مخلَّدون ، مخلَّدون . . . ومثلهم أهل النار . . فمن الميسور على مخلّدهم أن يمد في عُمر أوليائه في دار الدنيا مَدّاً مؤقّتاً لا تخليداً . .

وعلى صعيد العلم والفهم ، سيخرج قائم أهل البيت عليه السلام قريباً ـ كما ستستنتج من العلامات ـ فيقتنع الناس بالمحسوس والملموس ، حين يجيل سيفه في رؤوس ركبها الانحرافُ عن أمر الله . . فهو مرصود لمثل هذه الحالة بالذات ، لا لجزّ رقاب المؤمنين ، ولا لحرب الصالحين ، بل له يوم موعود مظفّر ، ستظهر فيه الخارقة الطبيعية التي تصل إلى القلوب الغُلْف والأذهان الضالة التي ترى كل شيء بمنظارها الزائغ .

هذا وإن الفحم الحجريّ ـ بِعُرف علْم العلماء بالمحسوس ـ لا ينضج إلّا بعد خلقه بمئات آلاف السنين ! ! ! .

والبترول ـ بِعُرف علماء الاختصاص ـ لا يصير صالحاً للاستعمال إلّا إذا توفّرت عناصره في ظروف خاصة وبقيت ملايين السنين ! ! ! .

ومعدن الألماس الثمين ـ بمذهبهم الذي لا ريب عندهم فيه ـ لا يصبح ماساً صافياً ناضجاً إلّا بعد أن تُؤلْمسه الطبيعةُ ملايين وملايين السنين ! ! ! .

ناهيك عن الشموس التي اكتشفها العلم الحديث ، والتي تكبر شمسنا بملايين ملايين المرات ، وهي مبثوثة في أُفق لا مُتناهٍ ، يسير نورها نحونا منذ ملايين السنين ، ولم يصل إلينا بعد ، بالرغم من أنه يسير بسرعة ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة ! ! ! .

وَيْ ، وَيْ . . كل هذه الملايين معقولةٌ ، نأخذها من أفواههم أَخْذَ المسلَّمات لا شبهة فيها ولا بقائليها ، إلّا مهديَّنا الذي عُمره أقلّ من ألف ومئتي سنة إلى الآن ،

فهو غير معقول ، والرقم يصدم الأذهان ؟ ؟ ؟ .

وَيْ ، وَيْ . . يا علماء العصر ، ويا قادة الفكر الحديث نحو التجهيل والتضليل . .

نحن نقول مقالتكم ، ونُقرّ بعلْمكم ، ونسلّم بملايين الملايين التي تطرحونها ، ولكننا نقول لكم : إن الشمس التي ذكرتموها وغيرها مما قد يكون أكبر منها ، كلّها ، موجودةٌ في الكون الذي تحتويه السماء الدنيا ـ أقرب السماوات إلينا ـ وتطويه قدرة الله التي تحمل ما هو أكبر منه بملايين وملايين المرات من بقية الكائنات المحيطة بالسماوات السبع وما فيهنّ وما بينهنّ وما فوقهنّ ! ! ! .

فكيف بنا وبكم لو ادّعينا أن قائمنا عليه السلام لن ترهص عنه إرادة الله إلّا بعد ملايين وملايين السنين ، كفحمكم الحجريّ ، وكبترولكم ، وكالألماس والشموس النائية وغيرها ؟ .

مَهْيَمْ ! . مَهْيَمْ يا أُناسِيّ ! .

ما أرخص الملايين في عُرفكم الطائش ، وما أغلى الوقت وأثمنه في عُرفنا الرّصين الذي نَصدر فيه عمّا قاله الله تعالى لنبيّه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيْمٍ عَلِيْمٍ ! ! ﴾ (١) .

أفنقول لهؤلاء من ذوي المنطق الأعوج : ﴿ أَفَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ ﴾ (٢) ؟ ؟ ؟ .

لا . . وصدّقوني أن طول عُمره ، وغَيبته ، ممكنان . . وخفاؤه وتخفّيه مقبولان نصّاً وعقلاً . . وهو مستخفٍ من ابالسة كلام ، ومُلَقْلِقة لسان ، سيتعتعهم سيفُه القاطع . . ولا بدّ من خروجه ، ولا بدّ من نزول عيسى عليه السلام في دولته . . ومَن قَدِر على إيجاده هكذا ، وحفظ موسى طفلاً في تابوت سعف النخل فوق صفحة مياه النيل في أشد أيام الصعوبة على الأطفال الذُّكْرانِ من بني إسرائيل ، وقدر على تطويل عُمر الخضر عليه السلام وإخفائه عن الأبصار ، يَقدِر على حفظ القائم عليه السلام طويل العُمر ،

---

(١) النمل ـ ٦ .

(٢) البقرة ـ ٨٥ .

مستخفياً عن أعين المرتابين . . وبكثرة المرتابين فيه وتضاعُف عددهم ، يتعجل الفرَج ويحين الحين بإذن الله تعالى . .

وليس كل خارق للعادة ممنوع حدوثه ولو كان خارقاً لها كما سبق وقلنا ، ولا طول عُمر المهديّ عليه السلام وغَيبته يثيران الاستهجان لكونهما خارقَين لها . . وهاكَ أسماء بعض المعمَّرين من الناس حتى ألف سنة فما فوقها فقط ـ ولم نذكر أحداً ممن عُمِّر دون ذلك ـ ليطالعها من تصدم ذهنه هذه المعجزة ، أو يضيق بها صدره . فقد عُمِّر هؤلاء بحسب المصادر التاريخية والوثائق المعتبرة :

سنة :	الأسم :
٣٦٠٠	عوج بن عناق . (وأمه أربتْ على ٣٠٠٠ سنة !).
٣٠٠٠	ذو القرنين .
١٢٠٠	الضحاك (بيورسب).
١٧٥٠ ـ ٢٧٥٠	نوح (ع) .
١٠٠٠	أفريدون بن أثفيان الذي ملك ٥٠٠ سنة .
١٠٠٠	الضحاك ، الثاني .
٢٥٠٠	مَلِك فارس الذي أحدث عيد النيروز ،
	وقيل استتر عن قومه ٦٠٠ سنة .
٣٥٠٠	لقمان بن عاد (الحكيم).
١٧٠٠	ريّان بن دومغ . (والد عزيز مصر الذي كان في أيام يوسف).
٣٥٠٠	دومغ . (والد الريّان المذكور) .
١٠٠٠	أروى بن شلم . . الخ . . . .(١) .

(١) أنظر الغيبة للطوسي ص ٧٩ و٨٥ والبحار ج ٥١ ص ٢٤٣ و٢٨٨ و٢٩٠ وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ص ١٧ و٢٧ وحقائق الإيمان ص ١٧٣ و١٧٥ وإلزام الناصب ص ٨٦ و٩٢ والمهدي ص ١٢٧ والبرهان ص ١١ إلى ٢٨ وإعلام الورى ص ٤٤٢ والإمام المهدي من ص ١٦٧ إلى ص ٢١٤ حيث ذكر ٢٢٣ معمّراً غير عاديِّين مع ذكر مصادره . وفي كشف الغمة ج ٣ ص ٣٣٣ ذكر أن عاداً الكبير عاش ٣٥٠٠ سنة .

ها إن هؤلاء ـ الذين بعضُهم عاديون لا تقتضي مصلحةً من المصالح بقاءهم ، ولا تفرض علّةٌ معروفة لدينا أن يُمَدَّ في أعمارهم ـ عُمِّروا حتى بلغ بعضهم الثلاثة آلاف وستمئة سنة ! . فكيف لا يرتضي الناس واحداً لم يبلغ بعد ربع الألف الثاني من عُمره ؟ ؟ ؟ .

ألا إنه لا عَجَب في إنكار الجاهل إن كان جهله بسيطاً ، ولكن العجب والتعجب من العالم العارف الذي ينقاد بالهوى إلى جهل مركّب ، فيعترف بمثل جميع ما أوردناه ثم ينكر علينا طول عُمر واحد فقط ! ! هو أولى بالتعمير من إبليس الناس ، ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (١) ، يا أيها الناس ؟ . وسيخرج حين يؤذَن له كما وصَفه إمامُنا الحسنُ بن عليٍّ ﷺ حين قال للمتعجِّبين من طول عُمْره :

ـ لو قام المهديّ لأنكره الناس ، لأنه يرجع إليهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً ! (٢) .

وكَما قال الصادق ﷺ أيضاً : ـ أمَا إنّه لَو قد قام لقالَ الناس : أنّى يكون هذا وقد بليتْ عظامُهُ منذ دهرٍ طويل ؟ ! (٣) . (من كذا وكذا ؟) .

نعم ، سيخرج . . ﴿ فَانْتَظِرُوا ، إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (٤) . . وتعجَّبوا من قصر أعماركم في هذا العصر ، لا من طول أعمار غيركم في سالف الزمان . .

---

(١) الناس ـ ٥ ـ ٦ .
(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٧ ومنتخب الأثر ص ٢٨٥ والمهدي ص ٢٠٦ نقلاً عن البخاري الفصل الثاني . عن الحسين ﷺ .
(٣) البحار ج ٥١ ص ١٤٨ و٢٢٥ وج ٥٢ ص ٢٩١ وإلزام الناصب ص ٨٠ و١٨٩ والغيبة للطوسي ص ٢٦ ومنتخب الأثر ص ٢٧٦ وبشارة الإسلام ص ٩٩ وص ٨٧ عن الباقر ﷺ .
(٤) الأعراف ـ ٧١ .

٧ ـ غيبتُه الصغرى . . .

. . وسُفَرَاؤه

الغَيبة الصغرى ، أي الأولى ، دامت قرابة أربع وسبعين سنة [1] بعد ولادته ، وهي الفترة التي كان يتصل به أثناءها سفراؤه ونوّابه المتتالون على الأمر من أجلاّء شيعته ، ومن بعدها انقطع عهدُ السفارة بينه وبين الناس ووقعت الغَيبة الكبرى بعد سفارة استمرت تسعة وستين عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً .

وقدّر الله تعالى هذه الغَيبة قبل وقوع الغَيبة الكبرى ، ليستأنس الشيعة بمعرفته ، وليسمعوا فتاواه في الدين ، وليطّلِعوا على تواقيعه الشريفة فتترسّخ عقيدتهم في القلوب ، بعد أن يتأكّدوا من وجوده ، ويعرفوا ما تكون عليه غَيبته الكبرى وعهد الانتظار المُر ، فهي إذاً مقدمة لغَيبة طويلة موحشة ، لا يمكن أن تركن إليها نفوس معاصريه إذا لم تتدرّب عليها تدريباً عمليّاً مقنعاً من فمه الشريف وإذا لم تتمرّس قبلها باعتقاد وجوده تمرّساً عميقاً راسخاً مع عدم رؤيته . .

---

(١) تغيّب عن الأبصار منذ سنة ٢٦٠ هجرية ، أي يوم الجمعة لثمان خَلَونَ من ربيع الأول بعد الصلاة على جثمان أبيه الشريف كما ترى في حديث الصادق ﷺ وكما ترى في الإشارة إلى ذلك بعد وفاة آخر سفرائه . راجع بذلك كشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٠ والبحار ج ٥١ ص ٢٦٦ وج ٥٣ ص ٦ وجامع الأخبار ص ٣٩ ووفاة العسكري ص ٣٤ .

ولا يفوتنّنا أن الأئمة عليهم السلام كانوا منذ عهد الإمام الثامن لا يجتمعون إلاّ بخواصّهم للفُتْيا بالمشاكل المستعصية ، تمهيداً لِحَجْبِ الثاني عشر منهم عن الأنظار ، ليحيا في البصائر والعقول والضمائر، حين يقضي الله تعالى بالإستتار التامّ ، فيكون شيعتُه ومواليه قد أَلِفُوا مثل ذلك القضاء ، فلا يَنوصون منه كما ينوصُ غيرُهم . .

قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم :

- . . ثم يغيب عنهم إمامهم ما شاء الله ! . ويكون له غَيبتان ، إحداهما أطول من الأخرى . الحذرَ الحذرَ إذا فُقِدَ الخامس من وُلْدِ السابع من وُلْدي ! ! ! [1] (أي إذا غاب ، فافتقَدوه فلم يَرَوه . . وقد سأله جابر بن عبد الله الأنصاري : يا رسول الله ، وللقائم من وُلدك غيبة ؟ فقال :)

- إيْ وربّي : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِيْنَ ﴾ [2] . (وقال لأحد أصحابه :)

- كيف أنت إذا استيأست أمتي من المهديّ ، فيأتيها مثل قرن الشمس ، ليستبشر به أهل السماء والأرض ! [3] . (وقال وكأنه يوبِّخ أُمّته على الإنكار :)

- والذي بعثني بالحق بشيراً ، إن الثابتين على القول به زمانَ غَيبته لأَعَزُّ من الكبريت الأحمر [4] . (ثم قال مُنذِراً :)

- يرتاب في غَيبته كل مُبْطِل [5] . (لأنه بنافذ بصيرته يعلم ما يكون الناس

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٨٠ .
(٢) آل عمران - ١٤١ والخبر في البحار ج ٥١ ص ٧٣ وبشارة الإسلام ص ١٨ وإلزام الناصب ص ٥٣ والمهدي ص ١٤٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ و١٦٤ و١٦٩ .
(٣) البحار ج ٥٣ ص ٦٥ .
(٤) البحار ج ٥١ ص ٧٣ وإعلام الورى ص ٣٩٩ والمهدي ص ١٠٥ وإلزام الناصب ص ٥٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١١ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٧ وبشارة الإسلام ص ١٨ ومنتخب الأثر ص ١٨٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ و١٦٣ و١٦٩ .
(٥) المهدي ص ١٦٠ .

عليه . . ثم قال ﷺ مُدرِّباً الناس على الإمتثال في حديث رواه الباقر عليه السلام :)

ـ . . . ما ورد عليكم من حديث آل محمد ﷺ فلانَت له قلوبكم وعرفتموه فاقبَلوه ، وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه ، فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد . وإنما الهالك أن يحدَّث أحدُكم بشيء منه لا يحتمله فيقول : والله ما كان هذا ، والله ما كان هذا . والإنكار هو الكفر (١) . (ولم يقصد بالردّ إلى الله والرسول ردّ الحديث ولا استنكاره ، بل قصد الرضى به أمراً مقدوراً لا شك فيه ، ومسؤوليتُه على الله ورسوله والأئمة حين لا تَنال أفهامُنا تفسيرَه) .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ اللّهمّ لا بدّ لأرضك من حُجّةٍ على خَلقِك يَهديهم إلى دينك ويُعلِّمهم عِلْمَك ، ولا يضيع أولياؤك بعد إذ هديتَهم : ظاهرٍ وليس بالمُطاعِ ، أو مُتكتّمٍ مُترقّبٍ إن غابَ شخصُه عن الناس في حال هُدنة ، لم يَغِبْ عنهم ثُبوتُ عِلْمِه ، فإذا قلوبُ المؤمنين مُثْبَتة (٢) .

(وقال عليه السلام :) ـ أنا سيّد الشِّيب ، وفيَّ سُنّة من أيوب ، وسيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله . وذلك إذا استدار الفَلَك ، وقلتم : مات أو هَلَك (٣) . . (وبزعمي أن الفَلَك قد استدار ، وأصبح مَداراً ومسرحاً يقع تحت مقدور كل إنسان ، تتنقّل بين كواكبه الطائرات والمركبات الفضائية والأقمار الصناعية والمحطّات الجويّة ، ونحن نجتاز مسافاته الشاسعة بالوسائل الهائلة بيُسر وسهولة ، وبيننا نسبةٌ عاليةٌ تحسب أن صاحب الأمر الذي نتكلّم عنه قد مات وبليَت عِظامه منذ مئاتِ السنين بعد أن يسمع مثل هذا القول الغيبيِّ العجيب . . وقال يبيِّن بعض أسباب غيبته وبعض ما يفعله بعد ظهوره :)

---

(١) الكافي م ١ ص ٤٠١ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ٦٨ والإمام المهدي ص ٨٥ .

(٣) الغيبة للطوسي ص ٢٦١ والبحار ج ٥١ ص ١٤٨ عن الصادق عليه السلام آخره ، وج ٥٢ ص ١٥٦ عن الباقر عليه السلام وج ٥٣ ص ٧٦ و٧٧ و٨٩ وفي الغيبة للنعماني ص ٨٠ عن الباقر عليه السلام أيضاً ، وكذلك في بشارة الإسلام ص ٨٧ و٩٩ .

ـ ولَيَبعثنَّ الله رجلاً من وُلْدي (في آخر الزمان) يطالب بدمائنا . ولَيَغيبنَّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة (١) . .

قالَ الإمَام الحسَن عليه السلام :

التَّاسعُ من وُلْدِ أخي الحسين ، ابنُ سيِّدةِ الإماء ، يُطيلُ الله عُمره في غيبته ، ثم يُظهِره بقُدرَته في صورة شابٍّ ذي أربعين سنة ، ذلك لِيُعْلَمَ أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير ! (٢) .

(ومن يصدِّقْ أن الله على كل شيءٍ قدير يا سيدي ، يصدِّقْ ذلك ويطمئن قلبه وتَرْكن إليه نفسه ، ويقبل ما جاء عن الله دون استهجان . .)

قالَ الإمام الحسَين عليه السلام :

ـ قائمُ هذه الأمَّة هو التاسعُ من وُلْدِي ، وهو صاحبُ الغيبة . وهو الذي يُقْسَمُ ميراثُه وهو حَيّ (٣) . .

(وقال عليه السلام :) ـ له غَيبةٌ يرتدّ فيها أقوام ، ويثبت على الدين آخرون (٤) . . (وقد ارتدَّ الكثيرون ، ولم يثبت إلا القليل القليل يا أبا عبد الله . وليس أعرَفَ منك بمن لا يُصغون لكلمة الحق ، ولا يؤمنون بكل ما يَنزل من السماء ، مع أن ما جاء عنكم من الأخبار يُدهش كل ذي لُبٍ ، لأنكم تكلَّمتم عنه وعن عصره وعنَّا وعن عصرنا ، وعن آخر الزمان برُمَّته ، كمن يتكلَّم عن شيءٍ يحياه ويعاصره ، ومع ذلك تجد مَن يصد عن الحق صُدوداً . . ثم قال عليه السلام :)

ـ في التاسع من وُلْدي سنَّة من يوسف ، وسنَّة من موسى بن عمران ، وهو قائمنا

---

(١) الإمام المهدي ص ٨٠ نقلاً عن البحار .

(٢) منتخب الأثر ص ٢٠٦ وإلزام الناصب ص ٦٦ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٢ بلفظ آخر والبحار ج ٥٢ ص ٢٧٩ والإمام المهدي ص ٨٩ وبشارة الإسلام ص ٥٢ عن الجواد عليه السلام .

(٣) إلزام الناصب ص ٦٧ .

(٤) منتخب الأثر ص ٢٠٥ روي عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم والغيبة للطوسي ص ٢٠٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام ومثله في الغيبة للنعماني ص ٢٩ وإلزام الناصب ص ٦٧ والبحار ج ٥١ ص ١٣٣ والإمام المهدي ص ٨٩ .

أهلَ البيت . يُصلح الله أمره في ليلة واحدة [1] . . (وقد بيّنّا المقصود من ذلك في ما سبق ، فنسأل الله أن يَهِبَنا صبراً مثل صبرك يوم وقفت في وجه الباطل ، حتى نفوز بالثبات كما فُزْتَ يوم حاولت تخليص الإنسانية مما تمرَّغ به من ضلال ومروق وَقِحِ . .)

قال الإمام زين العَابدين ﷺ :

ـ إن للقائم منّا غَيبتَين ، إحداهما أطول من الأخرى . أمّا الأولى فستّة أيام ، وستّة أشهر ، وستّ سنوات . وأما الأخرى فيطول أمدها حتى يخرج من هذا الأمر أكثرُ من يقول به ، فلا يثبت عليه إلاّ من قويَ يقينُه ، وصحّت معرفته ، ولم يجد في نفسه حرجاً مما قَضَيْنا ، وسلّم لنا أهلَ البيت [2] .

(وهذا حق . . وهل غيرهم يقول الحق ويعيش معه ، يدور كيفما دار ؟ ! فإنه لا يؤمن بقولهم إلا من سلّم لهم ووهبه الله نعمة الإيمان بهم وبما جاؤوا به . . وقد قيل في تأويل الأيام والشهور والسنين ما يلي :

في الستة الأيام الأولى ، لم يطّلع عليه إلا الخواصّ من أهله . وفي الستة الأشهر اطّلع عليه الخواصّ من شيعته . وفي الست سنين ـ من ولادته إلى وفاة أبيه ـ ظهر أمرُه لكثير من الناس ، وتشرّف برؤيته الأولياء وبعض الأعداء لتتم الحجّة [3] . . ثم قال ﷺ :)

ـ في القائم منّا سنّة من ستة أنبياء : سنّة من نوح ، وسنّة من إبراهيم ، وسنّة من موسى ، وسنّة من عيسى ، وسنّة من أيوب ، وسنّة من محمد . فأما من نوح فطول العُمُر . وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس ، وأما من موسى فخفاء الولادة

---

(1) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٢ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٨ والبحار ج ٥١ ص ١٣٣ ومنتخب الأثر ص ٢٠٦ وإلزام الناصب ص ٦٧ .

(2) البحار ج ٥١ ص ١٣٤ ومنتخب الأثر ص ٢٥١ دون التوقيت ، وإلزام الناصب ص ٢٩ـ ٣٠ عن أمير المؤمنين ﷺ وص ٧٩ باختلاف يسير وص ٨١ و١٧٣ نقل أوله عن الفصول المهمة ، وفي الغيبة للطوسي ص ٢٦١ بعضه عن الباقر ﷺ ومثله في إعلام الورى ص ٤١٦ وفي بشارة الإسلام ص ٣٩ عن أمير المؤمنين ﷺ بلفظ آخر .

(3) أنظر موضوعي : مولده ، والغيبة الصغرى .

ودوام خوفه وتعب شيعته من بعده مما لَقُوا من الأذى والهوان إلى أن أذِنَ الله بظهوره وأيّده على عدوّه . وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه حتى قالت طائفة : ما وُلِد ، وقالت طائفة : وُلِدَ وقُتِل وصُلِب ، وقالت أخرى : ما زال حيّاً يُرْزَق . وأما من أيوب فالفَرَج بعد البلوَى . وأما من محمّد فالخروج بالسيف والرعب ، وقتلُ أعداء الله وأعداء رسوله ، والجبّارين والطواغيت ، وأنه لا تُرَدُّ له راية ! [1] . (ورُوِيَ قوله على الشكل التالي) :

ـ فيه سنّة من يونس بن متّى ، وهو رجوعه من غَيبته وهو شابٌ بعد كِبَر السنّ . وفيه سنّة من يوسف ، وهي غَيبته عن خاصته وعامته ، واختفاؤه عن أبيه وإخوته مع قُرب المسافة [2] .

(وجاء عنه أيضاً :) غيبتُه كغَيبة يوسف ، ورجعتُه كرجعة عيسى الذي أنكر الكثيرون كونه حيّاً . واختلاف الأمة في ولادته كاختلاف الناس في موت عيسى [3] .

(وفي هذا بيان من فم صاحب « الصحيفة السجّادية » التي تدهش ببلاغة ابتهالاتها ، وتأخذ بمجامع القلب بمعاني العبودية والخشوع في مطاوي آياتها ، وتترك العقل حائراً بما فيها من مناجاة العبد الذي كان يبتهل لربٍّ كأنه يراه . . فلا يحتاج بيانُه منّا إلى بيان .)

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ إسألونا ، فإن صدَقناكم فأقِرّوا ، وما أنتم بفاعلين ! . أمّا عِلْمنا فظاهر . وأما إبّان أَجَلنا الذي يظهر فيه الدين حتى لا يكون بين الناس اختلاف ، فإنّ له أَجَلاً من

---

(١) إعلام الورى ص ٤٠٢ و٤٠٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٣ بلفظ آخر ، والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٨ ومنتخب الأثر ص ٢٠٧ جزء منه وص ٢٨٤ بلفظ قريب وص ٣٠٠ عن الباقر عليه السلام وص ٣٠١ عن الصادق عليه السلام والغيبة للطوسي ص ٤٠ بعضه عن الباقر عليه السلام ومثله في بشارة الإسلام ص ٩٨ والبحار ج ٥١ ص ٢١٧ بلفظ قريب ومثله في ج ٥٢ ص ٣٤٧ وفي إلزام الناصب ص ٦٧ .

(٢) بشارة الإسلام ص ٩٨ مع تفصيل ، عن الباقر عليه السلام وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٣ بلفظ آخر .

(٣) الغيبة للطوسي ص ٧٧ وبشارة الإسلام ص ٩٨ بتفصيل وص ١٨٩ .

ممرّ الليالي والأيـام . إذا أتى ظَهر (أي انتصـر) وكـان الأمر واحـداً [١] . (أي أمـر الناس في أيام دولة الحق ، حيث يكون صاحب الأمر عليه السلام بين ظَهراني الناس . .)

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

ـ الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها العالم ، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار [٢] .

(وإن ابنـك لَكَذلـك يا أبـا عبد الله ، بـل أنتم جميعاً كـذلك ! . ولكننـا نتكلّم عنكم بمقدار أفهامنا ، ونصل إلى معرفة جزءٍ يسيرٍ من فيض بحر علْمكم اللّدنيّ الذي مَنَّ الله تعالى به عليكم . وحين نفسّر قولكم لا نعدو النظرة الفاشلة التي تصوِّبها العين خاطفةً إلى قرص الشمس عند الظهيرة ، ثم ترتَدّ خاسئةً لتقول : الشمس كوكبٌ نـاريٌّ يَهَبُ الأرض الحرارة والنور . . . وهـا نحن نعيش بوارف ظـل ابنك العـظيم ، ونحيا بأمل التشرّف بلقائه . . وقد شلَّ الله كل يدٍ حاولت النَّيـل منه ، وأعمَى بصَـرَ كل لئيم حاول رؤيته أو لَمحَهُ إلا كما يلمح البصر الضعيفُ الشمس في كبد السماء . .

وقد سُئل الصادق عليه السلام مرةً : ألَا يُرى وقت ولادته ؟ . فأجاب :)

ـ بَلَى واللّهِ لَيُرى من ساعـة ولادته إلى سـاعة وفـاة أبيه ، ثم يغيب في آخـر يوم الجمعة لثمانٍ خَلَونَ من ربيع الأول سنة ستين ومئتَين [٣] . . .

(فمن رأى أو سمع ـ يا ربّ ـ رجلاً مثل الصادق عليه السلام ، يُقسم على حدوث أمرٍ على شكل معيَّن ، ويذكر فيه الوقت ، واليوم ، والشهر والسنة ، قبل حصولـه بعشرات وعشرات السنين ؟ ؟ ؟ ومن يتجرأ أن يتكلّم بهذا الجزم غيره وغير آبـائه وأبنـائه الـذين لم يخطّطوا للمهدي عليه السلام من عندهم حتى تختلف الروايـات ، بل ينقلون عن الـوحي الكـريم الذي آمنـوا به فنشـروه وبشّروا بـه مطمئنّين إلى مـا يقولـون ، وموضحين كـل مـوضوعٍ بكـافّة عُقَـدِه وملابسـاته ، تمـاماً كمن يمسـك بالمـوضوع الـذي خَلَص من

---

(١) الكافي م ١ ص ٢٥١ .

(٢) الكافي م ١ ص ٢٠٠ عن الرضا عليه السلام وإلزام النـاصب ص ١٠ عن أمير المؤمنين عليه السلام والبحار ج ٥١ ص ٣٦٦ .

(٣) البحار ج ٥٣ ص ٦ وبشارة الإسلام ص ٢٦٧ وإلزام الناصب ص ٢١٥ .

تخطيطه بنفسه ، ثم وقف يتلو تسلسُلَ فصوله التي فرغ من تجربتها . . وإلاّ فكيف يعيّن الإمام ﷺ هذه الدقائق عن مولود لم يكن قد وُلدَ آباؤه وأجداده بعد ؟ ! . إن هو إلاّ وحيٌ نَزَل . . آمَنّا به يا ربِّ فاكتبنا مع الشاهدين . . وقال أيضاً :)

ـ إن الله أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمامٍ عادل [1] .

(بل قال :) ـ إنَّ الله لم يَـدَعِ الأرضَ بغير عـالم ، ولَولا ذلك لم يُعرف الحقُّ من الباطل [2] . .

(فلا يجوز على الله تعالى ـ عقلاً ، ورحمةً منه بنـا ـ أن يُخليَ الأرض من حُجَّةٍ على الناس . . ثم بالَغَ في رحمة الله بِخَلْقِهِ وعنايته بهم ، فقال :)

ـ لو كان الناسُ رجُلَين . لَكانَ أحدُهما الإمام [3] .

(وقال بمعناه :) ـ لو بقيَ اثنان لَكان أحدهُما الحُجة على صاحبه ! [4] . (وقد ذكرنا ذلك سابقاً . .

ثم كأنّي به قال مهدِّئـاً خواطر مواليه وشيعته الذين يستوحشـون لهذه الغَيبـة الطويلة :)

ـ إعرفْ إمامك ، فإنـك إن عرفتـه لم يضرُّك تقـدُّم هذا الأمر أو تأخُّـر . . (ثم يعلِّل غَيبتَه بقوله الذي يُجيب على ما في ضمائر المعاندين :)

ـ إنَّما هي مِحْنَةٌ من الله عـزَّ وجلَّ امتَحَنَ بهـا خَلْقَه ! . [5] (فمن شـاء أن يتقبَّلَ المحنةَ أنارَ الله قلبه بنور الهداية والإيمانِ . . ثم قال ﷺ :)

ـ إنَّ له غَيبةً يخاف فيها على نفسه . فهو المنتـظَر وهو الـذي شُكَّ في ولادته ، فمن الناس من يقول : ما وُلِد ، ومنهم من يقول : وُلِد ، ومنهم من يقـول : وُلِد قبل

(١) الكافي م ١ ص ١٧٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٩ وبشـارة الإسلام ص ١٤١ وإلـزام الناصب ص ٤ وانظر البحار ج ٥٣ ص ٦ واقرأ وتعجَّب من الدقة والتأكيد الواثق .

(٢) إلزام الناصب ص ٤ رُوِي بنصوص مختلفة عن الصـادقَين عليهما السـلام ، وانظر البحـار ج ٥٢ ص ٩٢ .

(٣) الكافي م ١ ص ١٧٩ والغيبة للنعماني ص ٦٩ وإلزام الناصب ص ٤ وص ٢٤٥ .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ١٤١ .

(٥) البحار ج ٥١ ص ١٥٠ وج ٥٢ ص ١١٣ .

وفاة أبيه بسنين . غير أن الله تبارك وتعالى أحبَّ أن يمتحن قلوب الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون [1] . .

(وقال منبهاً :) ـ إن لصاحب هذا الأمر غَيبةً ، فليتّقِ الله عبدٌ ، وليتمسّك بدينه ! . إذا بلغكم عن صاحبكم غَيبة فلا تنكروها . إذا أذِن الله في الخروج خَرَج [2] .

(ثم قال عليه السلام :) إن الله عزَّ وجلَّ أبى إلاّ أن يُجري فيه سُنن الأنبياء في غيباتهم ، وإنه لا بدّ من استيفاء مُدَدِ غَيْباتهم . إن سُنَن الأنبياء عليهم السلام بما وقع من الغَيبات الجارية ، في القائم منّا أهلَ البيت ، حَذْوَ النَّعل بالنعل والقُذَّة بالقُذّة [3] .

(وقال :) إنه ليس أحدٌ منّا يشار إليه بالأصابع ، ويُمضغ بالألسن ، إلاّ مات غَيظاً أو حتف أنفه . ولذلك كانت الغَيبة [4] . (والمضغُ بالألسن هو الخوضُ في الحديث عنه ، والدلالةُ عليه ، وتعقُّبُ أمره ، وهو أوضح بياناً من الإشارة بالأصابع . وقد رُوي هذا الخبر عن الباقر عليه السلام ثم قال في تأويل :)

ـ ﴿ إنْ أدْرِي أقَرِيبٌ مَا تُوْعَدُونَ أمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أمَداً ، عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحَداً ، إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُوْلٍ ﴾ : يُخبر رسولَه الذي يرتضيه بما كان من قَبله من الأخبار ، وما يكون بعدَه من أخبار القائم عليه السلام وغيره [5] .

(وعلى هذه الطريقة وصلتنا أخبار السماء صافيةً من صفوة الخَلق في الخَلق . ثم قال أيضاً في تفسير :) ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [6] : إنّه إمامٌ يَخنس (يتنحّى ويستتر) في زمانه ، عند انقطاعٍ من علمه

---

(١) الكافي م ١ ص ٣٣٧ وبشارة الإسلام ص ١١٧ .

(٢) الكافي م ١ ص ٣٤٠ ومنتخب الأثر ص ٢٥٧ والبحار ج ٥١ ص ١٤٥ وج ٥٢ ص ١١١ في معاني الأخبار ص ٣٩ آخره ، وفي بشارة الإسلام ص ١٢٦ نصفه الأول ، وفي الغيبة للطوسي ص ١٠٢ نصفه الأخير .

(٣) منتخب الأثر ص ٢٣٩ بتفصيل وص ٢٦٣ والبحار ج ٥١ ص ١٤٢ نصفه الأول .

(٤) الغيبة للنعماني ص ٨٧ وفي الكافي م ١ ص ٣٤٢ عن الباقر عليه السلام ومثله في البحار ج ٥١ ص ٣٦ و١٣٨ وص ٣٧ عن الصادق عليه السلام .

(٥) الجنّ ـ ٢٥ / ٢٧ . والخبر في البحار ج ٥٣ ص ٥٨ وج ٥١ ص ١٣٩ عن الباقر عليه السلام .

(٦) التكوير ـ ١٥ /١٦ . والخبر في الغيبة للنعماني ص ٧٥ والغيبة للطوسي ص ١٠١ ومنتخب الأثر =

عند الناس ، سنةَ ستِّين ومئتين ، ثم يَظهر كالشِّهاب الثاقب يتوقَّدُ في الليلةِ الظلماء . فمن أدركَ ذلك قَرَّتْ عينُه (٤) .

(وورد هذا عن الإمام الباقر عليه السلام بلفظ :) - . . . ثم يبدو كالشهاب الثاقب يتوقَّد في الليلة الظلماء ، معه ذخائر الأنبياء (١) . . (وكثيراً ما ترى عبارة : الشِّهاب الثاقب ، تتكرَّر في ألفاظ النبيّ وأهل بيته صلوات الله عليهم . أفلا يشيرون بذلك إلى ظهوره في عصرنا الفضائي الذي تنقضُّ فيه كل طائرة عند هبوطها من الأفق العالي كالشِّهاب الثاقب ؟ . مضافاً إلى أن القائم عليه السلام سينقضُّ في حروبه أيضاً كالشِّهاب الثاقب لينقُض هذه الجاهلية الرعناء . . فتأمَّلْ في أحاديثهم تَرَ كل كلمة تعبِّر عن مدلولها الصحيح ، وتحمل فوق ذلك سائر المحتملات . وسترى في هذا المعنى - بالخصوص - ما هو أوضح وأعجب . .

ثم من قال لهذا الإمام العظيم أن غيبةَ غائبنا العظيم ستقع في سنة ستِّين ومئتين ، لا قبلَها ولا بعدها ؟ ! . وما هذا الجزم في تحديدٍ لم يُخطىء قيدَ شعرةٍ ، صدَرَ عن رجلٍ يتكلَّم عن حفيدِ حفيدِ حفيده ؟ ! .

ألَا بُورِكَ بهذا العلْم الرَّبَّاني الشريف يَبذله الإمامُ الهمامُ لشيعته فيُنير لهم طريقَ مسيرتهم الْوَعِرَة في ظلِّ حُكَّام الظُّلم والظَّلام ، لئلاَّ يضلُّوا مع من ضَلَّ ! ! !

وقال عليه السلام يُثبِّتُ ويُريح الأفكار من عبءِ التنبُّؤ :)

- مَن وقَّت لمهديِّنا فقد شارك الله في علْمه ، وادَّعى أنه ظهر على سرّه (٢) .

قال الإمَام الكاظِم عليه السلام :

- لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غَيبة ، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول

ص ٢٥٦ والكافي م ١ ص ٣٤١ والبحار ج ٥١ ص ٥١ وإلزام الناصب ص ٣٢ و١٤١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٥ .

(١) الغيبة للنعماني ص ٧٥ والبحار ج ٥١ ص ٧٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١١ بلفظ آخر، وفي منتخب الأثر ص ١٨٣ رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وينابيع المودة ص ١٦٣ وص ١٦٨ ما عدا آخره ، وكذلك في بشارة الإسلام ص ١١٧ .

(٢) البحار ج ٥٣ ص ٣ .

بـه . إنما هي محنـةٌ من الله عزَّ وجـلَّ امتحن بها خَلْقـه . ولو علم آبـاؤكم وأجـدادكم أصح من هذا لاتَّبعوه [1] . (إيْ والله ، إن آباءنا وأجدادنا ـ منذ أولئك الذين شـرُفتهم صحبـة النبيِّ ﷺ وأهل بيتـه عليهم السلام وعايشـوا أهل البـاطل من أعـدائهم ـ لم يجـدوا أصح من قول النبيِّ وآله صلواتُ الله عليهم ، ولا أصدق من نَقَلَة حديثهم عندنا ، ولا أورع من رُواتـه ، لأنهم كانـوا أُمناء على إيصـال هذه الأخبـار المقدَّسـة بألفـاظها التي نقلوهـا بحرفيَّتهـا دون أن يفهموا سـائر مـدلولاتهـا ، فجاءتنا صافيـة بلا تحـريف وبلا تغيير ، مع بُعد بعضها عن التعليل بالميسور لديهم لِمَا فيها من عجيب وغريب شرحتـه لنـا الأيام والحضـارات ووسائـل العلم الحديث ممـا كان متعسِّـراً على أولئك المؤمنين الشرفاء . . ثم رُوِيَ عنه عليه السلام في تأويل الآية الكريمة :)

ـ ﴿ وأَسْبَغَ عليكم نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وباطِنَةً ﴾ : النِّعمـةُ الظاهـرةُ : الإمامُ الـظاهر . والبـاطنةُ : الإمـامُ الغـائب . يَغيبُ عن أبصـارِ النـاس شخصُـه ، ولا يَغيب عن قلوب المؤمنين ذِكْرُه . وهو الثـاني عشر منَّـا ، يُسهِّل الله لـه كلَّ عسيـر ويذلِّـلُ كلَّ صعب ، ويُظهِر له كُنوزَ الأرض ، ويُقرِّب عليه كلَّ بعيد [2] .

قالَ الإمام الهَادي عليه السلام :

(سـأله أحدُ أصحابـه عن موعـد الفـرَج فقـال :) إذا غـاب صـاحبُكم عن دار الـظالمين ، فَتَوَقَّعُـوا الفرَج [3] . (فقـد غاب والأرض كلُّهـا اليومَ ديـارُ ظُلم . . وإنّـا لَمُنتظِرون . .) .

قال الإمَام العسكري عليه السلام :

(قال لصاحبه أحمد بن إسحاق :)

ـ إنَّ ابني هـو القائم من بعـدي ، وهو الـذي تجري فيـه سننُ الأنبياء بـالتعميـر

---

(1) منتخب الأثر ص ٢١٨ و٢٧٤ وإلزام الناصب ص ٦٩ والغيبة للطوسي ص ١٠٤ وبشـارة الإسلام ص ٤٠ ما عدا آخره وص ١٥٧ بتمامه .
(2) لقمـان ـ ٢٠ ، والخبر في البحـار ج ٥١ ص ٦٤ و١٥٠ ومنتخب الأثر ص ٤٧٢ وإلـزام الناصب ص ٢٧ و١٤٠ .
(3) إلزام الناصب ص ٦٩ .

والغَيبة ، حتى تَقسوَ القلوب لطولِ أمَدِها . فقال صاحبُه : يا ابنَ رسول الله ، وإنَّ غَيبَته لَتطول ؟ . قال : إيْ وربّي ، حتى يرجع عن هذا الأمر أكثرُ القائلين به ، فلا يَبقى إلّا مَن أخَذَ الله عهدَه بولايتنا ، وكَتبَ في قلبه الإيمانَ وأيّدَه بروحٍ منه (١) .

(وقد قَسَتْ أكثر القلوب ، ورجعَ عن هذا الأمر عددٌ كبير لا يكاد يُحصى من شباب الشيعة الذين أغرتهم الحضارة الماديّة وأضرَّ بهم العِلْمُ الناقص ، ثم أخذتِ اليومَ بعضُ القلوب تعود إلى اللّين ، وصارت بعضُ النفوس تَشمُّ رَوْحَ اليقين ، وأصبح كثيرٌ من العقول يميِّزُ الغَثَّ من السَّمين ، والكثيرون الكثيرون بدأوا يهفون لحاكمٍ عادلٍ ، وأمسَوا يتهيّأون لقبول دعوةِ مخلِّصٍ مُخلِص بعد أن أدركوا ما كانوا فيه من دوّامة فراغٍ وضياع ، وما صاروا إليه من فَزَعٍ وهَلَع . .

وقد قال لأحد المقربين من أصحابه بعد أن أراه الحُجّة القائم عليه السلام :)

- أُكتم ما رأيت وما سمعت منّا اليوم إلّا عن أهله (٢) . . (ودخل عليه صاحب آخر لم يَرَ الحُجة عليه السلام فسأله عنه فقال :)

- إستودعناه الذي استودعت أم موسى ولدها (٣) .

(فلماذا هذا ؟ . إنه لا لشيءٍ سوى التدريب على قبول فكرة غيابه ، حتى ولو حدث في نفس صاحبه ما حدث . لأن العسكريّ عليه السلام يريد أن يجعل شيعته في منعة من وساوس الشيطان . . ولم يَرَ هذا بأساً في غيابه ، لأن كلام الإمام مُطاع كسنّة النبي صلى الله عليه وسلم . .) .

قال الحجّةُ المنتظر عليه السلام :

(جاء في إحدى رسائله لبعض سفرائه رضوانُ الله عليهم :)

- إن أبي صلوات الله عليه عَهِدَ إليّ أن لا أُوطِّن من أرض الله إلا أخفاها وأقصاها ، إسراراً لأمري ، وتحصيناً لمحلّي من كيد أهل الضلال والمردة . فأنبذني

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٢٤٤ ومنتخب الأثر ص ٢٢٧ و٢٢٨ و٢٢٩ والمهدي المنتظر ص ٤٧ .
(٢) منتخب الأثر ص ٣٥٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٦ بتفصيل .
(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٥٩ والغيبة للطوسي ص ١٤٢ وإعلام الورى ص ٤١٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ٣٧ وص ١١٣ .

إلى عِثْيالة التلال والرِمال ، وجنَّبني صرائمَ الأرض ، ينتظر ليَ الغاية التي عندها يحل الأمر وينجلي الهلَع [1] . . (وعِثْيالة التلال : الجبالُ التي فيها ضِباعٌ ووحوش ، وصرائمُ الأرض : المفاوِزُ التي لا نبات فيها . .

وهكذا فإن الناس قد يَرَون غَيبته كطول عُمره : من خوارق العادة ، هل أكثر من ذلك ؟ !

ناهيك عما يَرَونه في جوانب الغَيبة من استحالة الحياة بهذا الطول المديد ! ! ! ولكن ما أكثر الخوارق التي نتحدَّث عنها ونسلِّم بها لأنها تقع تحت حِسِّنا ، أو لأنها احتوتها بطون الكتب مرويَّة عن علماء أو باحثين أو فلاسفة كما ذكرنا سابقاً مع أن تصوُّرها صعبٌ ، كملايين وملايين السنين التي سمعنا ذكرها . . فما بال صدور الناس تتسع لقول هؤلاء العلماء ، وتضيق بقول علماء السماء حين يحدِّثونهم عن خارقة هي حق ؟ ! . وهل هي لا تصح ، في مذاهب مَن يَنْفِرون بطبيعتهم من الحق لصعوبة الإلتزام به ؟ ! ! .

وعلى كل حال ، إننا وكثيرون من الناس ـ حتى الذين تعقَّبوه ليقتلوه ـ في يقينٍ من ولادته تاريخيّاً وواقعاً . . ونحن وإيّاهم ـ ذاتهم ـ في يقينٍ من أنه لم يمت تاريخيّاً . . فهو ـ إذاً ـ مولودٌ ، حيٌّ ، برغم نفور بعض الأذهان من تقبُّل غَيبته وطول عُمره . . وهو ـ على هذا ـ يتمتع بعمر طويل كما جرت سنَّة الله بذلك في المؤمنين والكافرين . . وهو مستتر عن أبصارنا استتارَ ذكْره عن قلوب أعدائه . .

ونعود فنقول : إن أم إبراهيم عليه السلام ولدت إبراهيم خُفيةً ، وغَيَّبتهُ في غارٍ بعيد وكان من أمره ما كان . . كما أن أم موسى عليه السلام ولدت موسى خُفيةً وامتثلت ما أُوحيَ إليها من وضعه في تابوت من سُعَيفات النَّخل على صفحة مياه النيل ، ليلتقطه عدوُّه فرعون ، ويُنْسَى ذِكْرُهُ ، ويربِّيه في حضن أمه نفسها بعد أن حرَّم الله عَليه المراضع ، فحمَّلها فرعونُ مسؤولية السهر على سلامة الطفل وحفظه ، وكان من أمره ما كان ! .

أفلا يصح في مولد صاحب الزمان عليه السلام ما صح في مولد إبراهيم وموسى من بعده ؟ ! بلَى . . وليست قصته بأعجب من غيرها إذا رُوِيت بمنظار الفكر المنصف

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٤ـ ٣٥ .

الذي لا يكفر بكل ما هو من السماء ، ولا يذهب مع وسوسة النفس وهوى القلب . .

أما إذا عدنا إلى قضية إدريس [1] عليه السلام فنرى أنه قد غاب عن قومه حتى تعذّر عليهم القوت بعد أن ابتُلوا بالجوع وقتلَ قويُّهم ضعيفَهم ، فظهر نبيُّهم من جديد وانتصر بالقلّة المخلصة التي ثبتت على الإيمان رغم جميع الآيات والنوازل . . ومثله صالح عليه السلام الذي غاب عن قومه وهو كهل ، ثم عاد فلم يعرفوه لطول حياته ، وجرَّهم الشيطان إلى إنكار دعوته . . فما بال المتعجبين يتعجبون من غَيبة القائم التي وعد بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله ، وذكّرَ الناسَ بها أبناؤه واحداً بعد واحد ، راسمين خطواتها مرحلةً مرحلة ، فوقعت كما ذكروا بالضبط ؟ ! ! إن في هذا ـ وحده ـ لَبُرهاناً قاطعاً على صدقها لأنها وقعت هي وكل ما يواكبها كما حدَّثوا وكما قالوا . .

ألَا إن غَيبتـه من جملة الأدلة القاطعة على صدق تلك الأحاديث ، بمقدار ما كانت الأحاديث الصادقة دليلاً عليها . وهي أيضاً دليل قاطع على صحة إمامته ، ومن جملة البراهين الدالة على كونه القائمَ المنتظرَ بذاته ، لأنها بما هي فيه لم تقع لغيره من سائر العالمين . أما الشك في أمرها وفي أمره ، فأعتقد أنه حصل من ناحية طولها . ولكن غاب عن البال أن طولها حين كان فوق المعقول ، كان معجزاً سماويّاً يمتحن الله الناس به ليميِّز المصدِّقين من المكذِّبين . وإنّ من يعتقد استحالة طول غيابه وطول عُمره يحاولْ إبطال قول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعياذ بالله ، ويحاولْ ردّ أحاديث أهل بيته الذين ركّزوا على أمره أعظم تركيز ليثبِّتوا أتباعهم على عقيدتهم فلا يستزلُّهم الشيطان . .

على أن غَيبته هذه إما أن تكون تحت مقدور الله فنحن ملزَمون بالتصديق بها ، وإما أنها لا تقع تحت مقدوره فنُحجم عن مخاطبة القلوب المغلقة . فمثل هذه المسألة لا اختيار فيها للفرد ولا للجماعة ، ولا يقام فيها وزن لاعتراف هذا وإنكار ذاك ، لأنها قضاء مبرم من الله ، كالصاعقة الماحقة التي لا ينجو منها من تمسَّك بالطُّحلب . . والإيمان بها هو الإيمان بالأمر الواقع الذي لا يردُّه استهجان ولا يقوِّيه تحيُّز ! . فهل أمام العقل الذي ينشد الحق ويتجنّب الوهم ، إلّا أن يقول : وفّقني

---

(١) أنظر قصة غيابه وعودته ومعجزاته في إلزام الناصب ص ٢٣٤ .

اللّهم للإيمان به ، وللقيام بطاعته ، ولاجتناب الرّيب في أمره ، والحذَر من الشك ، والمثوبة بخدمة دعوته المُنجية من الهلكة ؟ .

منك وحدك يا الله يطلب ذلك كل من كان مؤمناً بعهدك ووعدك . .

وبالمناسبة أذكر خارقة صاحب الحمار الذي سرد القرآن الكريم قصته (١) : فقد أماته الله ـ موتاً ـ مئة عام ، ثم بعثه وبعث حماره ، وردَّ طعامه وشرابه لم تتغيّر حرارته ولا طعمه مع ما في ذلك من خرق للعادة . .

وَيْكَ ! . إن الغائب الميّت قد عاد ، فما شأن الغائب الحيّ ؟ ؟ ؟

إنه كالعبد الصالح ذي القرنين الذي دعا قومه فضربوه على قرنه ـ أي طرف جبهته اليمنى ـ إنكاراً لدعوته ، فغاب عنهم حتى قيل : مات . ثم رجع . . ودعاهم ، فضربوه على قرنه الأيسر (٢) ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصته لأصحابه قائلاً :

ـ إن فيكم من هو على سننه(٣) . وإن الله عزّ وجلّ سيُجري سنّته في القائم من وُلْدي ، فيُبلغه شرقَ الأرض وغربَها حتى لا يُبقيَ منهلاً ولا موضعاً منها ، من سهل أو جبل وطئه ذو القرنين ، إلاّ وطئه !(٤) .

فهنيئاً لمن صدّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . .

وإذا قيل : إن غَيبته هذه أدّت إلى إنكار ولادته ، ووجوده ، ودعوته . فلِمَ لم يظهَر ؟ . ولِمَ لا يقوم بوظيفته التي هي السيف أولاً وأخيراً ؟ .

وقد سبق الناسَ إلى الجواب على ذلك عَلَمُ الهدى السيدُ المرتضى ، فردَّ هذه الشبهة ردّاً طويلاً نقتبس (٤) منه : أن الإمام الذي لا بدّ أن يكون معصوماً ، لا يغيب

---

(١) أنظر البحار ج ٥١ ص ٢٢٤ والغيبة للطوسي ص ٧٨ .
(٢) إلزام الناصب ص ٢٣٢ وص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .
(٣) يقصد أمير المؤمنين الذي ضربه ابن ملجم اللّعين على جبهته الشريفة أثناء الصلاة في مسجد الكوفة . وضَرْبَتُهُ هذه من أعلام نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه وَعَدَ عليّاً بها قبل حدوثها من ثلاثين سنة ! . والخبر في كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٧ بتفصيل ، وكذلك في منتخب الأثر ص ٢٩٣ وفي إعلام الورى ص ٤١٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٣ وج ٥٣ ص ١٠٧ والكافي م ١ ص ٢٦٩ بلفظ آخر .
(٤) أنظر البحار ج ٥٣ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

عن مسـرح الأحداث إلا إذا تقـرَّر غيابـه وفُرض عليـه ولو بشكـل لـم يَعرف هـو نفسـه الحكمة منه ، شأنه في ذلـك شأن الآيـات المتشابهـات في القرآن الكـريم ، التي في ظاهرها جبرٌ للعباد على الفعل ، وتجسيمٌ لله عزّ وجلّ مثـلاً . فإننـا ما إنْ نعلم صفـات الله الثبوتية حتى ننزِّهه عن التشبيه ، ونرفعه عن الجبر وسائر ما يرميه به من يقعـون في الشبهات . وما علينا إلا أن نُجيل نظرنا في متشابه القـرآن حتى نرى بجـلاء ما يصدُق على الجليل عزّ وجلّ ، وما لا يصـدق . . فالله تعـالى حكيم ، ولا بدَّ من وجـهٍ حسنٍ لما يقدِّره ولـو جهلناه ، بـل ليس واجباً علينـا أن نُفلسف كل أمـرٍ إلّهيّ . ولذلـك كان اجتهـاد الشيعة في دفـع هذه الشبهـة الواردة من الخصـوم ، يعدّ تفضّـلاً منهم لهـدايـة غيرهم إلى وجه الصـواب وطريق الحق ، لا واجباً عليهم . فهم ليسوا مكلَّفين بشـرح أعمال الله ، وإن كانوا يدافعون عن صدق نـظرتهم ونظريتهم دون أن ينـظروا إلى ربح أو خسارة .

ونحن نكـرِّر ونقول : إننـا لا نقطع بـأن الإمـام الغـائب لا يصـل إليـه أحـد في غَيبته ، فقد ذكرنا مـا رُويَ عن آبائـه عليهم السلام من قولهم : (ومـا في ثلاثين من وحشـة) يعني أنه مع أُسـرة وقوّامين على خـدمته : هـذا يولـد وذاك يموت ، وكلُّهم مـرصودون لإيناس وحدته إنعاماً من الله عليه ، لأن الله أرأف بالعبد من نفسه ، فكيـف تكون رأفته بوليِّه المنتظر الذي يقيم به ميزان العدل على الأرض ؟ ! .

هذا ، وإن غياب القـائم عليه السلام عن وجه أعـدائه تقيّـةٌ منهم . . وغيابـه عن أعين أوليائه تقيَّةٌ عليهم وحفظٌ لهم . . وغيابه عن النـاس ـ كـل النـاس ـ رأفـةٌ بالنـاس ، لأنه سيكون لكلِ الناس ، لا لواحد من العالمين . وقد أوضح لنا التاريخ كيـف كانت حيـاة أبيـه مراقبـةً من السلطان ، بحيث كان شبـه محجوبٍ إلّا عن النَّـزر القليـل مَن خُلَّص شيعته ومواليه . . أفلم يكن ذلك إنذاراً بهذه الغَيبة الطويلة لولده ؟ ! . بلىَ ، لأنها لم تُلاقِ استغراباً يومئذٍ عند مواليه بعد أن مهَّد لها جدُّه وأبوه . بل إن الـدخول على آبـائه جميعاً كان بالإذن الذي قد لا يحصل من اليـوم الأول ، ليعوِّدوهم على احتجـاب آخر الأوصياء . . وقد بدأ جدُّه الهادي عليه السلام يستتر عن الناس بعض الشيء ، ثم عقبه ولـده العسكريّ عليه السلام بالإستتار الأطول حتى كان لا يُرى إلا خـارجاً في أمـر هامٍّ ، أو عـائداً منه ، يعوِّد بذلك أتباعه . . . ثم كانت غَيبة صاحب الغَيبة عجَّل الله فَرجه . .

قضيّة السّرداب :

أما متى ، وكيف ، وأين غاب ؟ . فإنها قصة رُمِيَ فيها الشيعة بافتراءات عجيبة . والواقع الذي لا ريب فيه أنه كان محجوباً عن أعين الناس منذ ولادته كما رأيت ، وقد حصل اختفاؤه عن أعينهم نهائيّاً في بيت أبيه الماثل للعيان حتى اليوم . أي أنه رُؤي يصلّي على جثمان أبيه حين وفاته ، ثم انفتل من الصلاة وتولّى دفنه ، ودخل بيته ، ولم يُرَ بعدها رؤيةً عامة .

وبيته هذا الذي نتكلّم عنه ، هو كسائر البيوت التي كان يملكها شُرفاء الناس في العراق ، يتألّف من حُجرة للرجال ، وثانية للنساء ، ومن سرداب تحت البيت نفسه ـ في جوفِ الأرض ـ مقسّم غُرَفاً لهؤلاء وهؤلاء ، يأوي إليه أهلُه أيام اشتداد الحرّ . وقد صار الشيعة يقدّسون هذا البيت وذلكِ السرداب ، لأن إمامهم كان وما يزال ينزله ويتعبّد فيه لأنه بيته . ومن هنا أخذ أعداؤهم يشنّعون عليهم ويقولون : غاب الإمام في السرداب ! ! ! .

لا هَا الله ، أيها الناس ! . إن البيت والسرداب كعبةُ تقديس لنا ، لأنهما منزل الإمام وأبيه وجدّه وأمه وعمّته لا أكثر ولا أقل ! . ونسبة الغَيبة إلى السرداب كنسبتها إلى البيت كله ، وكنسبتها إلى أيّ مكان رُؤيَ فيه الإمام ﷺ . ومن الجهل المطبق أنِ يستمع الإنسان لقول الْكَذَبة بأن غيابه كان في السرداب وأنه باقٍ فيه إلى يوم الخروج ! ! ! .

ألا إنه ليس في السرداب . بل هو سائح يحلّ بقاع الأرض بين الخدم والْمَوالي ، ويطوف في أرجائها فيحضر المواسم الدينية ويقوم بالشعائر ويشاهد من يحيا ومن يموت . . وأصدق القول في زيارة الشيعة للسرداب أنهم يزورونه كجزءٍ من أجزاء بيت مقدّس ، متردّدين فيه كمنزل كريمٍ سكنه ثلاثةٌ من الأئمة الميامين ، وليس في السرداب من سرٍّ يتفرّد به عن غيره من أطراف المنزل المبارك ، وإن كانت غُرَفُ الْحَريم هي الأجدر بالتقديس لأنها هي التي ضمّته حين ولادته وطفولته ، وهي التي تضمّخت بعبير أنفاسه الشريفة ، في يفاعة الفذّ ونشوئه الكريم ، وما زالت تضم نفحات قدسه إلى اليوم في مناسبة موسم كل زيارة مستحبّة لا بدّ أن يدخل أثناءها منزلَه الخاصّ به فيزور جدّه وأبَوَيه وعمّته . . .

فَلِمَ يُلام الشيعة إذا وقفوا خاشعين لِلّهِ في منزل إمامهم ـ بل أئمة ثلاثة لهم : منهم إثنان مدفونان فيه ـ ثم عبدوا الله فيه بإجلال ، لأنه يذكّرهم بصفوة الْخَلق في عهودهم ، وسراجهم المنير ، وسيدهم المنتظَر ، وقائدهم المظفَّر ، ولا يُلام العلماء العصريّون والسُّوقةُ من السُّياح والهُواة ، حين يقفون عشراتٍ ومئاتٍ أمام تمثال منحوت أَصَمّ أَبْكَم ، أو أمام لوحةٍ زيتيَّةٍ من حبرٍ وورق ، أو أمام غارٍ مهجورٍ فيه عِظامٌ نَخِرَةٌ وروائح كريهةٌ ، أو صخرة محفورة ، أو نُصُبٍ تذكاريّ ؟ ! ! .

أترى أن هؤلاء يتأمّلون عظمة الفن ، ويمجّدون المثّال والرسّام ، والشيعةُ يُرْمَون بالبهتان إذا وقفوا أمام أضرحة كريمة فيها عَبَقُ النبوّة ، وَرَوْحُ الرسالة ، وثمالُ الوصيّة وألَقُها ، يقدّسون باحترامها عظمةَ الله في خلقه في مكان مبارك طاهر ؟ ! ! .

هذا هو منطق غيرِ المنصفين والله ! . .

. . أمّا السفارة التي قام بها وكلاؤه ـ وبعضهم كانوا وكلاء جدّه وأبيه ـ فقد كانت أشبه بالنظام الذي وضعه جدُّه الهادي عليه السلام للإتصال بشيعته ومواليه بالواسطة تمهيداً لما هو أبعد من الواسطة . وقد كان السفراء يتكتّمون في أمر المهديّ عليه السلام ويعالجون مشكلة غَيبته عن قواعده ، ويُقنعون جماعتهم بخفائه ، تكتماً شديداً لا يخطر في البال ، واستطاعوا تركيز الفكرة في أذهان سائر أفراد الطائفة لكونهم محل ثقة الطائفة من جهة ، ولمعرفة الطائفة بالغَيبة معرفةً ملازمة لاسم الإمام الثاني عشر عليه السلام من جهةٍ ثانية . . . وقد قال واحدٌ عاصرَ بعض بسفرائه ورأى كتمانه العجيب : لو كان الحُجّة تحت ذيله ـ أي طرف ثوبه ـ وقُرِّض بالمقاريض يكشفُ الذيل عنه لَمَا كشفه ! . بل كانوا لا يلفظون اسمه الشريف مطلقاً لِيُبعدوا فكر الغير عن قصته لشدّة تربّص الأعداء به.

سُفراؤه الأربعَة :

١ ـ العَمْريّ :

(سفَر له قرابة خمس سنوات إبّان خلافة المعتمد العباسيّ . وهو أبو عَمْرو ، عثمان بن سعيد الْعَمْريّ الأسديّ : وكيل جدّه الهادي وأبيه العسكريّ عليه السلام طيلة

خمس سنوات قبل مولده . . وكان يُلقّب بالزيّات أو السمّان لأنه كان يتاجر بالسمن تغطيةً لأمره العظيم الذي كان يتولاّه في عصر الرقابة الشديدة وظُلم بني هاشم [1] ، حتى أنه كان ينقل الأموال للعسكريّين في زقاق السمن قبل أن يصير من وكالتهما لسفارة المهديّ عليه السلام . وهو الذي قال عنه العسكريّ عليه السلام لصاحبه أحمد بن إسحاق قولاً أعلنه على الملأ في الشيعة :)

ـ العمريّ ثقتي ، فما أدّى إليك عني فعنّي يؤدي ، وما قال لك فعنّي يقول ، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون [2] . . (وقد سمع العمريّ هذه الشهادة فيه ، فخرّ ساجداً شاكراً لله على هذه الثقة ، وبكى أمام أحمد بن إسحاق ومن كان في مجلسه . فهو محل ثقة الشيعة يومئذٍ في أقطار الأرض لِمَا سمعوا من مدحه والثناء عليه ، فتسالموا على عدالته ووثاقته وجلال قدره .

وقد سُئل هذا السفير الذي قام بأعباء السفارة للحُجة منذ طفولته : هل مضى أبو محمد ؟ . أي هل لحق العسكريّ عليه السلام بربّه ؟ . فقال :

قد مضى ، ولكن خلّف فيكم مَنْ رقبتُه مثل هذه ـ وأشار بيديه إلى غلظ رقبة المولود الشريف ـ مؤكداً أنه مولود وموجود ، وأنه قد أيفع وصار غلاماً رشيداً موفّقاً [3] . . وقد رُوِيَ هذا الحديث عن ابنه ، السفير الثاني . وكان السفير الأول في جملة الذين حضروا تغسيل العسكريّ وتكفينه والصلاة عليه ودفنه . .

ومن جملة كتاب كتبه الحُجة عجّل الله فَرَجَه إليه نقتطف ما يلي :)

ـ . . عافانا الله وإيّاكم من الفتن ، ووهب لنا ولكم روح اليقين ، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب .

إنه أُنهيَ إليّ ارتيابُ جماعة في الدين ، وما دَخَلهم من الشك في ولاة أمرهم ،

---

(١) الغيبة للطوسي ص ٢١٤ والبحار ج ٥١ ص ٣٤٤ وفي الكنى والألقاب ج ٣ ص٢٢٧ ملخصٌ مُفيدٌ عن السفراء الأربعة رضوان الله عليهم .

(٢) الكافي م ١ ص ٣٣٠ وإعلام الورى ص ٣٩٦ ومنتخب الأثر ص ٣٩٤ وص ٣٩٣ بتفصيل ، والغيبة للطوسي ص ٢١٧ .

(٣) الإرشاد ص ٣٣٠ وإعلام الورى ص ٣٩٦ .

فعمَّنا ذلك لكم لا لنا ، وساءنا فيكم لا فينا . لأن الله معنا فلا فاقةَ بنا إلى غيره ، والحقُّ معنا فلن يوحشنا من بَعُدَ عنَّا ، ونحن صنائع ربِّنا ، والخَلق بعدُ صنائعنا . (أي صنائع من أجلنا ، مسؤولون عن ولايتنا . أو صنائع لنا بمعنى أنَّنا نتولّى تأديبهم بأدب الدين والأخلاق فيصيرون صنائعنا بالجهة التربوية التوجيهية ، لأنهم يكونون مطبوعين بطابعنا يسيرون على سنَّتنا موسومين بِسِمَتنا ، كالمعنى الموجود ضمن المثل القائل : من علّمني حرفاً كنت له عبداً ، لا بمعنى العبودية البعيد . . ثم أُكمِلُ قولَه :)

يا هؤلاء ، ما لكم في الريب تتردَّدون ، وفي الحيرة تنعكسون ؟ . أوَ ما سمعتم الله عزّ وجلَّ يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِيْنَ آمَنُوا أَطِيْعُوا اللهَ وَأَطِيْعُوا ٱلرَّسُوْلَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ؟ ؟ ؟ أوَ ما عَلِمتم بما جاءت به الآثار عمَّا يكون ويحدث في أئمَّتكم : على الماضين والباقين منهم عليهم السلام ؟ ؟ . أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها ، وأعلاماً تهتدون بها من لَدُن آدم إلى أن ظهر الماضي ـ أي أبوه عليه السلام ـ كلما غاب عَلَمٌ بدا عَلَم ، وإذا أفل نجمٌ بدا نجم ؟ ! . فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله أبطلَ دينه ، وقطع السبب بينه وبين خلقه ؟ ! . كلّا ، ما كان ذلك ، ولا يكون حتى تقوم الساعة وَيَظْهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ .

وإنَّ الماضيَ ـ يعني أباه ـ مضى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام حَذْوَ النعل بالنعل ، وفينا وصيَّته وعِلْمُه ، ومنه خُلفُه ومَن يسدُّ مسدَّه . ولا ينازعنا موضعه إلا ظالمٌ آثم ، ولا يدَّعيه دوننا إلا كافر جاحد ! . ولولا أن أمر الله لا يُغلَب ، وسرَّه لا يظهَر ولا يُعلَن ، أظهَرَ لكم من حقّنا ما تبرأ ـ أي تُشفى ـ منه عقولُكم ويُزيل شكوككم . . لكنه ما شاء الله كان ، ولكل أجلٍ كتاب . .

فاتَّقوا الله ، وسلِّموا لنا ، وردّوا الأمر إلينا ، فعلينا الإصدار كما كان منَّا الإيراد ، ولا تحاولوا كشف ما غُطّيَ عنكم ، ولا تميلوا عن اليمين ، ولا تعدلوا إلى اليسار ، واجعلوا قصدَكم إلينا بالمودّة على السنَّة الواضحة . فقد نصحتُ إليكم ، والله شاهدٌ عليَّ وعليكم . . ولولا ما عندنا من محبة صلاحكم ورحمتكم والإشفاق عليكم لَكُنَّا في شُغلٍ ممَّا قد امْتُحِنَّا به من منازعة الظالم العُتُلّ الضالّ المتابع في غيّه المضادّ لربه ، المدَّعي ما ليس له ، الجاحدِ حقَّ مَن افترضَ الله طاعته ، الظالمِ الغاصبِ لي ، وبي شَبَه رسول الله ، ولي أُسوةٌ حسنةٌ برسول الله صلى الله عليه وآله وسيَرْدَى

الجاهلَ وراء علْمه ، وسيعلم الكافر لمن عُقبى الدار . . عصمنا الله وإيّاكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلها برحمته ، فإنه وليّ ذلك والقادر على ما يشاء ، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً ، والسلام على جميع الأوصياء والمؤمنين ، ورحمة الله وبركاته [1] . .

(وليس في هذه الرسالة ما يحتاج إلى توضيح وتعليق . . أللّهم إلا أن الكثيرين منّا قد انحرفوا ومالوا إلى اليمين ، وإلى اليسار ، وضلّوا في متاهات المبادىء الأجنبية التي ما فكّر بها أصحابُها إلا محاربةً للدين ، والتي أخذ يشعر معتنقوها بأنها لم تصل بهم إلى الهدف المنشود ، لأنها تنادي بمبادىء يسارية ممعنةٍ في التطرّف اليمينيّ في واقع الحال ، أو تتغنّى بمبادىء يمينيّةٍ تدَع الإنسان يرتمي لاهثاً في ساحتها لشدة ما يعاني من استعمار مبادئها له وتحكّمها به وبحياته . فالمبادىء التي غزت الأمة الإسلامية لتضيّع عليها دينها ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ ! ! ! [2] . وقد أحسّت شبيبتُنا بإفلاس كِلا الطرَفين بعد أن رسُخا في عقولها إفلاس قواعد النظام الدينيّ مع الأسف . .

ثم كتب الحُجة لسفيره يشرح له ولشيعته أمر الله ويثبّتهم على الحق ، كتاباً نأخذ منه قوله الكريم :)

ـ . . كيف يتساقطون في الفتنة ويتردّدون في الحيرة ، ويأخذون يميناً وشمالاً ! . فارَقوا دينهم أم ارتابوا ، أم عاندوا الحق ، أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة ، أو عَلِموا فتناسَوا ؟ ؟ ؟ .

أوَما تعلمون أن الأرض لا تَخلو من حُجّة ، إما ظاهراً أو مغموراً ؟ . أوَ لَم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبيّهم ﷺ واحداً بعد واحد ، إلى أن أفضى الأمر بأمر الله عزّ وجلّ إلى الماضي صلوات الله عليه ـ يقصد أباه ـ فقام مقام آبائه يهدي إلى الحق

---

(١) النساء ـ ٥٨ ، والتوبة ـ ٤٨ ، والكتاب في البحار ج ٥٣ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ وص ١٥٨ ومنتخب الأثر ص ٣٨٦ والغيبة للطوسي ص ١٧٢ ـ ١٧٣ والكنى والألقاب ج ٢ ص ١٠١ وإلزام الناصب ص ١٢٩ والإمام المهدي ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ وذكر أنّ الكتاب كان موجّهاً لمحمد بن إبراهيم بن مهزيار ، وورد بكامله في ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وفي ينابيع المودة ج ٣ ص ١٩٣ شيء من آخره .

(٢) النور ـ ٣٩ .

وإلى صراطٍ مستقيم ، ومضى على منهاج آبائه حَذْوَ النعل بالنعل ، على عَهْدٍ عَهِدَه ووصيَّةٍ أوصى بها إلى وصيٍّ ستَره الله عزّ وجلّ بأمره إلى غاية ، وأخفي مكانه بمشيئته للقضاء السابق والقدَر النافذ ، وفينا موضعُه ، ولنا فضلُه . ولو قد أَذِنَ الله عزّ وجلّ فيما قد منعه ، وأزال عنه ما قد جرى به من حُكمه ، لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن حِلْيَةٍ وأبْيَن دلالة وأوضح علامة ، وَلأبان عن نفسه وقام بحُجته . ولكنّ أقدار الله عزّ وجلّ لا تُغالَب ، وإرادته لا تُردّ وتوفيقه لا يُسبق . .

فَلْيَدَعوا عنهم اتّباع الهوى ، وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه ، ولا يبحثوا عمّا سُتِرَ عنهم فيأثموا ، ولا يكشفوا سترَ الله عزّ وجلّ فيندموا (١) . .

(فها هوذا يثبِّت أولياءه في كل مناسبة ، ويشدهم إلى عقيدتهم الأصيلة ، ويزيل الشكوك من أذهانهم ، ويحذِّرهم من الإنحراف عن صراطهم المستقيم لئلا يضلّوا مع من ضلّ . .

وحين توفيَ هذا السفير الجليل ، حزن الناس عليه حُزناً شديداً حتى أن المهديّ ﷺ حزن عليه وعزّى فيه ـ وابنُه السفيرُ الثاني كما ذكرنا ـ وشرَّفه بكتاب قال فيه :)

ـ إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه . عاش أبوك سعيداً ومات حميداً ، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومَواليه ﷺ . فلم يزل مجتهداً في أمرهم ، ساعياً فيما يُقَرِّبه إلى الله عزّ وجلّ وإليهم . نضَّر الله وجهه وأقال عثرته (٢) . .

(وكتب إليه معزّياً مرة ثانيةً تدل على حزنه العظيم لفقد هذا السفير الجليل ، وعلى مكانته من نفسه ، ويبشِّره بإقامته مكان أبيه :) أجزلَ الله لك الثواب ، وأحسنَ لك العزاء . . .

رُزئت ورُزئنا ، وأوحشَك فراقه وأوحشَنا ، فسرَّه الله في منقلَبه . كان من كمال

---

(١) البحار ج ٥٣ ص ١٩١ والإمام المهدي ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

(٢) البحار ج ٥١ ص ٣٤٩ ومنتخب الأثر ص ٣٩٥ والغيبة للطوسي ص ٢١٩ والإمام المهدي ص ٢٥٢ وإلزام الناصب ص ١٢٥ وص ١٣٠ ـ ١٣١ .

سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يَخلفُه من بعده ، ويقوم مقامه بأمره ، ويترحم عليه [1] .

(وبذلك تظهر المنزلة الكبرى للسفير الراحل وابنه السفير التالي . .)

٢ ـ العَمْريّ الثاني :

سفَر له قرابة أربعين عاماً عاصَرَ فيها خلافة المعتمد العباسيّ ، وخلافة المعتضد ، وخلافة المكتفي ، وعشر سنواتٍ من خلافة المقتدر . وهو أبو جعفر ، محمد بن عثمان السابق ذكره ، توفيَ سنة ٣٠٥ هـ . وقد كان سفيراً للقائم ﷺ بنص من أبيه العسكريّ ﷺ كما سبق في شهادته له ، وبنصٍّ من أبيه ـ السفير الأول ـ وبتعيينٍ من القائم عجَّل الله فَرَجه كما رأيت سابقاً . وكانت تزكيته قد سبقت من الإمام العسكريّ في كتاب لأحد أصحابه ، قال فيه :)

ـ العَمريّ وابنُه ثقتان . فما أدَّيا فعنّي يؤدِّيان ، وما قالا فعنّي يقولان . فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان [2] . (وكتب بشأن هذا السفر العظيم :)

ـ وأمّا محمد بن عثمان العَمري ، رضيَ الله عنه وعن أبيه من قبل ، فإنه ثِقَتي ، وكتابُه كتابي [3] .

(وكتب سيدنا الحُجة لهذا السفير) : ـ أمّا ما سألتَ عنه ، أرشدك الله وثبّتك ووقاك من أمر المُنكِرين لي من أهل بيتنا وبَني عمنا ، فاعلمْ أنّه ليس بين الله عزَّ وجلَّ وبين أحدٍ قرابة . ومَن أنكرَني فليسَ منّي ، وسبيلُه سبيلُ ابنِ نوح ! . وأمّا سبيل عمّي جعفر ووُلْده ، فسبيلُ إخوة يوسف . . وأمّا أموالكم فلا نَقبلها إلا لتطهُروا . فمن شاء منكم فَلْيَصل ، ومن شاء فَلْيَقطع ، وما آتانا الله خيرٌ مما آتاكم . . أما ظهور الفَرَج فإنه إلى الله ، وكذب الوقّاتون . . [4] .

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٣٤٩ ومنتخب الأثر ص ٣٩٥ والغيبة للطوسي ص ٢٢٠ والإمام المهدي ص ٢٥٢ وإلزام الناصب ص ١٢٥ وص ١٣١ .

(٢) الغيبة للطوسي ص ١٤٦ ـ ١٤٧ والكافي م ١ ص ٣٣٠ والبحار ج ٥١ ص ٣٤٨ وإعلام الورى ص ٣٩٦ .

(٣) الإمام المهدي ص ٢٥٣ وإلزام الناصب ص ١٢٩ والبحار ج ٥٣ ص ١٨١ .

(٤) البحار ج ٥١ ص ٣٥٦ وج ٥٣ ص ١٨٠ ـ ١٨١ وص ١٨٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢١ وإعلام

(وكتبَ الحُجة عجّل الله تعالى فرَجه بحقِّ هذا السَّفِير) :

ـ . . (وهو) محلُّ ثِقَتِنا بما هو عليه . وإنه عندنا بالمنزلة والمكان اللَّذين يَسُرَّانه . زادَ الله في إحسانه إليه ، إنَّه وليٌّ قدير ، والحمد لله لا شريك له ، وصلّى الله على رسوله محمدٍ وآله ، وسلّم تسليماً كثيراً . . [1] .

(ثم تُوفيَ هذا السفير الخطير الذي كان له شرف الخدمة بين يدي الإمام هذا الوقت الطويل ، تغمَّده الله برحمته ورضوانه . .) .

٣ ـ النُّوبَختيّ :

(سفَر له بعد سلَفه الصالح قرابة واحدٍ وعشرين عاماً ، أي بقية خلافة المقتدر ، وفترةً من خلافة الراضي . وهو أبو القاسم ، الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختيّ المتوفَّى في شعبان سنة ٣٢٦ هـ . أقامه محمد بن عثمان السابق بأمرٍ من صاحب الأمر عليه السلام بعد أن كان سلَفه يُحيل عليه قبض الأموال قبل وفاته بسنَتين لمرضه وعجزه عن مزاولة السفارة إلى آخر نسمة من حياته ، وقال لمن حضَرَ ساعة وفاته : أُمرتُ أن أُوصيَ إلى أبي القاسم ، حسينِ بن روح [2] .

وقد كتب هذا السفير إلى سيده يستأذنه في الخروج إلى الحج فخرج الأمر هكذا :) ـ لا تخرج هذه السنة[3] .

(فاغتمَّ لعدم الإذن . وأعاد الطلب ثانية مستفتياً بالحكم ، لأن حَجَّه كان نَذراً موقوتاً ، فخرج الأمر :) ـ إذا كان لا بدّ ، فكنْ في القافلة الأخيرة [3] .

(وهكذا فعل رحمه الله ، فكان في القافلة الأخيرة . وبقي متعجِّباً من عدم

الورى ص ٤٢٣ والغيبة للطوسي ص ١٧٦ وبشارة الإسلام ص ٣٠٠ والإمام المهدي ص ٢٥٣ وإلزام الناصب ص ١٢٩ والإمام المهدي ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(١) البحار ج ٥١ ص ٣٥٦ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٢٥ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢١ وفي منتخب الأثر ص ٢٧٢ آخره ، والغيبة للطوسي ص ١٧٦ وبشارة الإسلام ص ٣٠٠ والبحار ج ٥٣ ص ١٨١ و١٨٤ آخره ، ومثله في المهدي ص ٢٥٣ .

(٣) البحار ج ٥١ ص ٢٩٣ ومنتخب الأثر ص ٣٩٧ والغيبة للطوسي ص ١٩٦ .

الإذن لـه في المرة الأولى والإذن لـه في الثانيـة ، حتى انكشف الأمر ، وسَلِمَ مـع من سَلِمَ من الذين تأخرت قوافلهم ، ونجـا من القتل إذ لم يكن مـع من تقدّم من القـوافل السـابقة ، حيث أُصيب القـرامطة أثنـاء خـروجهم إلى الحجّ ، حين تنـاثـر الكـواكب وحصول الكارثة التاريخية المشهورة التي أودت بحياة قوافل الْحُجاج فيمـا بين الحجاز والعراق . . .

وقد بقي هذا السفيـر في عمله ، أميناً عليـه مخلصاً لـه ، ناشـطاً فيه مـدة ثلاثٍ وعشـرين سنـة ، منهـا ستتـان كـان ينـوب أثنـاءهمـا عن سلَفـه السـابق رضـوان الله عليهما . .) .

٤ ـ السَّمريّ :

(بقي في السفارة ثلاث سنين ، أي مدة خلافة الراضي ، وخمسـة أشهر وأيـاماً من خـلافـة المتّقي . وهـو أبـو الحسن ، عليّ بن محمـد السَّمَريّ المتـوفى سنـة ٣٢٩ هـ [١] . أوصى لـه أبو القـاسم النّوبختيّ السفيـر الثالث بـأمر من الإمـام ﷺ . وكان من أصحاب العسكري ﷺ السابقين المقـرَّبين . وقد كتب لـه الحُجة ﷺ في أواخر عهده في جملة كتاب شريف :)

ـ . . . أما الحوادث الواقعة ـ أي الأحكام الشرعيـة التي تحتاجـون إلى الفتوى بمـا يجدّ فيهـا ـ فارجِعـوا بهـا إلى رُواة حـديثنـا ، فـإنهم حُجّتي عليكم ، وأنـا حُجـة عليهم [٢] . .

(وهكذا وجَّه قواعده الشعبية من مختلف فئات الشيعة نحو المـرجعية الـدينية ، ولفت أنـظارهم إلى حَمَلَة الحديث القـدسيّ ، وحمّـل هؤلاء مسؤوليـة حفظ الحـديث وحَمْلَ أعباء الحُكم أثناء الغيبة . .

ولما أدركت هذا السفير نهاية أمره ومرِض مَرَض المـوت في مدينـة السـلام سئـل أن يوصيَ لغيره فقال :)

---

(١) الغيبة للطوسي ص ٢٤٢ : أو سنة ٣٢٨ هـ . وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٠ .
(٢) كشف الغمـة ج ٣ ص ٣٢١ وإعلام الـورى ص ٤٢٤ وإلـزام النـاصب ص ١٢٩ والبحـار ج ٥٣ ص ١٨١ والمهدي ص ١٨٢ والإمام المهدي ص ٢٥٣ وفي منتخب الأثر ص ٢٧٢ باختصار .

ـ لِلّهِ أمرٌ هو بالِغُه (١) .

(ثم فضَّ الرسالة الشريفة التاريخية التالية المكتوبة بخط الحُجة وبتوقيعه الكريم ، فإذا هو مكتوب فيها :) بِسْمِ اللهِ الرَّحمن الرحيم،

ـ يا عليّ بن محمد السمريّ ، عظَّم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميِّت ما بينك وبين ستة أيام . فاجمعْ أمرك ، ولا توصِ إلى أحدٍ فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغَيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى ذكْره ، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً . وسيأتي من شيعتي من يدَّعي المشاهدة . ألَا فمن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذَّابٌ مُفترٍ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم (١) . ـ والْمُشَاهَدَةُ : الْحُضُورُ معهُ ـ

(ثم جادَ هذا السفير الجليل بنفسه في اليوم السادس المعيَّن ، تَغَمَّده الله برحمته ، وألحقه بسادته الذين كانوا يُوقِّتون . . حتى لموت أوليائهم ، كما وقَّتوا لولادة المهدي عليه السلام وغَيبته قبل مئات الأعوام . . ثم وقعت الغَيبة الكبرى الموحشة . .

وهذا يعني أنه لم يجتمع لديه عدد أنصارٍ مخلصين طيلة هذه المدة . . واستغفر الله مما نحن فيه اليوم ، فقد كان يصله شيءٌ يكرهه من جماعته أيام السفارة السعيدة ، فكيف بما يتصل به من أخبار مروقنا من الدِّين وخروجنا عن خط الإسلام ، ذلك المروق الذي يندى منه جبين الإنسان خجلاً : ؟ ! !

وورد عنه عجَّل الله تعالى فرجه في رسالتين مختلفتين :)

ـ وأمَّا ندامَةُ قومٍ قد شكُّوا في دين الله على ما وَصلونا به ، فقد أَقَلْنَا مَن استقال ، ولا حاجةَ بنا إلى صِلةِ الشاكِّين ! . وأمَّا ما وَصلْتنا به ، فلا قبولَ عندنا إلَّا لِمَا طابَ وطهُر (٢) . .

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٣٦١ وج ٥٢ ص ١٥١ وج ٥٣ ص ٣١٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٠ والمهدي ص ١٨١ وبشارة الإسلام ص ١٦٩ وإلزام الناصب ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ومنتخب الأثر ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ والغيبة للطوسي ص ٢٤٢ وإعلام الورى ص ٤١٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢١ بلفظ آخر .

(٢) البحار ج ٥٣ ص ١٨١ .

ـ . . . أما المتلبّسون بأموالنا ، فمن استحلَّ منها شيئاً فأكله فإنما يأكل النيران ! ! وأما الخُمس فقد أُبيح لشيعتنا وجُعلوا منه في حِلٍّ إلى وقت ظهور أمرنا ، لتطيب ولادتهم ولا تخبث (١) . . (أي أنه أباح حقّه الشرعيّ في الخمس للفقراء والمحتاجين من شيعته ، فلا يتوهَّمَنَّ أحدٌ من الأغنياء أنه أعفاهم من دفعه إلى المستحقين . ومن يفعل ذلك يكن كالمتلبّسين بمال الإمام سواء بسواء .

وقد تُوفي السمريّ رضوان الله عليه سنة ٣٢٩ هـ . وكان عهده مليئاً بالظلم والتضييق على الشيعة ، فلاقَى صعوبةً شديدةً في ممارسة عمله ، ومضى سعيداً حميداً كأسلافه الميامين .

وكان عُمر الحُجّة عليه السلام إذا ذاك أربعاً وسبعين سنة ، قضى منها :

أربع سنوات ونصف السنة مع أبيه ، وتسعاً وستين سنة ونصف السنة وخمسة عشر يوماً في الغَيبة الصغرى التي استُوفيتْ أغراضُها عند هذا الحدّ من تعويد الناس على الغَيبة امتثالاً لقضاء الله من جهة ، وابتغاء تعويدهم على أخذ أمور دينهم من مراجعهم الدينية من جهة ثانية ، ومن أجل تدريب العقول المرِنة على قبول ما يقضي به الله تبارك وتعالى . . .

وكان قد كتب الى الشيخ المفيد قدّس الله تعالى سرّه كتاباً طويلاً (٢) قال فيه :)

ـ . . . ولو أنَّ أشياعنا وفَّقهم الله لطاعته ، على اجتماع القلوب في الوفاء بالعهد القديم ، لَما تأخَّرَ عنهم اليُمن بلقائنا ، ولَتَعَجَّلتْ لهم السعادة بمساعدتنا على حقِّ المعرفة وصِدقِها منهم بنا . فما يَحبسنا عنهم إلاّ ما يتَّصل بنا مما نكرهه ولا نُؤثِرُه منهم ، واللّهُ المستعانُ ، وهو حَسْبنا ونِعْمَ الوكيل (٣) .

---

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٢ والغيبة للطوسي ص ١٧٧ وإعلام الورى ص ٤٢٤ والبحار ج ٥٣ ص ١٨١ والإمام المهدي ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ وإلزام الناصب ص ١٢٩ و١٣٠ .

(٢) تجد الكتاب في مكان آخر من هذه البحوث .

(٣) تجد الكتاب بكامله في الارشاد ص د ـ هـ وفي البحار ج ٥٣ ص ١٧٧ وفي إلزام الناصب ص ١٣٦ .

٨ ـ غَيبَتُهُ الكُبرى

بدأت بإغلاق باب السؤال وانتهاء الغَيبة الصغرى والسفارة . .

وتستمرُّ إلى يوم الخروج بالسيف : يوم الخلاص .

فهل هي ـ بما هي عليه ـ في حدود الإمكان ، أم لا ؟ .

قلنا : نعم ، مع ما فيها من خرق للعادة كغيرها . .

وإليك أقوال النبيّ وأهل بيته عليهم السلام :

قالَ رسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم :

(في معرض حديث شريف ، قال صلى الله عليه وآله وسلم لجابر بن عبد الله الأنصاري :)

ـ يغيب عن شيعته غيبة ، لا يَثبت فيها على القول بإمامته إلاَّ مَن امتحن الله قلبه بالإيمان . . . هذا من مكنون سرِّ الله ومخزون علمِه ، فاكتُمه إلاَّ عن أهله [1] .

(وقال صلى الله عليه وآله وسلم مُقسماً ومؤكّداً :)

ـ والذي بعثني بالحق بشيراً ، لَيَغيبنَّ القائم من وُلدي ، بعهدٍ معهودٍ إليه منّي ، حتى يقول أكثر الناس : ما لله في آل محمد حاجة ، ويشك آخرون بدلائله ، فمن أدرك زمانه فَلْيَتمسك بدينه ، ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً بشكّهِ فيزيله عن ملّتي

---

(١) إلزام الناصب ص ١٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٧٠ ما عدا آخره .

ويُخرجه من ديني ، فقد أخرج أبويكم من الجنّة من قبل . والله عزّ وجلّ جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون [1] . .

(وها قد قال أكثر الناس في هذه العقيدة ما قالوا ، وشكّ بعض معتقديها بدلائلها كما قلت يا سيّدي . ونعوذ بالله ـ نحن ومن بَلَغه قولُك ـ أن نجعل للشياطين علينا سبيلاً بعد هذا الإنذار الذي حلفتَ عليه بالله تعالى وأكّدتَ اليمين باللاّم والنون المشدَّدة . .) .

قالَ أمير المؤمنين ﷺ :

ـ إن لصاحب الأمر غَيبةً ، المتمسكُ فيها بدينه كالخارط للقتاد بيَديه ! . فأيكم يُمسك شوك القتاد بيده ؟ [2] . (ورد بلفظه عن الباقر ﷺ وقال جدُّه أيضاً :)

ـ إن لصاحب هذا الأمر غَيبةً ، فلْيَتّقِ الله عبدٌ ولْيَتمسك بدينه ! . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ، حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ : مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟ . أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [3] . (رُوي بلفظه عن الصادق ﷺ أيضاً ، وفيه إشارة إلى امتحان الناس بالعقيدة بمعرفة قدرتهم على الثبات على الوعد الحق . . ثم بالغ في شدّة المحنة فقال ﷺ :

ـ لَيغيبنّ حتى يقولَ الجاهلُ ما لله في آل محمدٍ حاجة [4] . (وأكثر الجهلة في

---

(١) البحار ج ٥١ ص ٨٦ وفي ص ١٤٥ قريبٌ منه عن الصادق ﷺ وإلزام الناصب ص ٦٩ و٨٠ و١٠٤ والإمام المهدي ص ٦٤ نقلاً عن سفينة البحار وص ٨٢ نصفه الأول عن أمير المؤمنين ﷺ ومنتخب الأثر ص ٢٦٢ وبشارة الإسلام ص ٢٠ رُوِيَ عن الرضا ﷺ وص ٥١ نصفه عن أمير المؤمنين ﷺ وص ١١٧ عن الصادق ﷺ ما عدا أوله ، وفي إعلام الورى ص ٤٠٠ نصفه الأول عن أمير المؤمنين ﷺ وكذلك في الغيبة للنعماني ص ٧٠ .

(٢) الغيبة للطوسي ص ٢٧٥ والبحار ج ٥٢ ص ١١١ و١٣٥ وإلزام الناصب ص ١٣٧ وبشارة الإسلام ص ١٢٦ والغيبة للنعماني ص ٨٨ ومنتخب الأثر ص ٢٥٧ ما عدا الآية الكريمة ، وكذلك في الكافي م ١ ص ٣٣٥ .

(٣) البقرة ـ ٢١٤ والخبر في الغيبة للطوسي ص ٢٧٥ ومنتخب الأثر ص ٢٥٧ والكافي م ١ ص ٣٣٥ والبحار ج ٥٢ ص ١٣٥ وإلزام الناصب ص ١٣٧ .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ١٠١ .

إيامنا يقولون ذلك ! . وهذا مؤشّرٌ بقرب الفرَج إن شاء الله تعالى .)

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ وذلك بعد غَيبةٍ طويلة ، ليعلمَ الله مَنْ يُطيعه بالغيب ويؤمن به [1] .

(وجاء عنه في تأويل الآية الكريمة قوله) : ـ ﴿ **أرَأَيْتُمْ إنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً ، فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِيْنٍ** ﴾ : نـزلتْ في الإمام : إن أصبـح إمامكم غـائباً عنكم ، فمن يأتيكم بإمام ظاهرٍ يأتيكم بأخبار السماء والأرض ، وبحلال الله وحرامه ؟ . أمَـا والله ما جاء تأويلُ هذه الآية ، ولا بدَّ أن يجيءَ تأويلها [2] ! . (ورُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قريبٌ منه في قوله :)

ـ المهديُّ يغيب عن الناس غَيبة طويلة ، يَرجع عنها قومٌ ويثبت آخـرون . وذلك قـولُ الله تبارك وتعـالى : ﴿ **أرأيتم إن أصبـحَ مـاؤكم غـوراً** ﴾ الـخ [3] . . (فـالكُـلُّ يُخبرون عن أشياء لم تأت . . . وقد أتى أكثرُها ، وكـانت كما قـالوا . . وقـال عليه السلام في مرة ثانية :)

ـ كأني بكم إذا صعَّدتم لم تجدوا أحداً ، ورجعتم لم تجدوا أحداً ؟ . [4] (وقد حصـل ما وعـدنا بـه ، فصعَّدنـا بنظرنـا فلم نرَ شيئـاً ، ورجعنا فلم نجـده إلاّ حيّاً في ضمائرنـا ننتظر فـرَجه . . ولـم يتـركنا واحـدٌ من الأئمة إلاّ على موعدٍ لا ريب فيـه مع الغَيبـة ومع صـاحبها حتى لا يَفجـأنا وقـوعُها كمـا فجأ غيـرَنا ممن ضـاع بين علامـات الاستفهام وسدَّت عليه الشكوكُ منافذَ التفكير ، فقد أقسم لنا الصادقُ عليه السلام يميناً لنكون على بيِّنةٍ من أمرنا فقال :)

ـ واللّهِ لـو بقيَ في غَيبتـه مـا بقي نـوح في قـومـه ، لا يخـرج من الـدنيـا حتى

---

(١) الإمام المهدي ص ٢٢٧ .

(٢) الملك ـ ٣٠ ، والخبـر في البحار ج ٥١ ص ٥٢ والغيبـة للطوسي ص ١٠١ وينابيـع المودة ج ٣ ص ٨٤ باختلاف يسير ، ومثله في إلزام الناصب ص ٣١ و١٤٢ .

(٣) منتخب الأثر ص ٢٠٥ والإمام المهدي ص ٢١ و٥٨ و٥٩ .

(٤) البحار ج ٥١ ص ١٣٩ والغيبة للنعماني ص ١٠١ .

يظهر . [1] (مَثله في هذه مثل الخضر ، ومثَل ذي القرنين الذي جعل الله له من كل شيءٍ سبباً حتى بلغ المشرق والمغرب ومكّن له سلطانه . . ثم قال أبوه الباقر ﷺ :)

ـ إذا دار الفَلَك ، وقالوا : مات أو هَلك بأيّ وادٍ سلَك . وقال الطالب له (أي عدوُّه) : أنّى يكون وقد بليتْ عظامُهُ ؟ . فعند ذلك فارْتجُوه . وإذا سمعتم به فأْتوه ولو حَبْواً على الثلج ! [2] . (رُوي مثله عن الصادق ﷺ ونحن اليوم في ظل أمل الفرج بعد أن تحقّق الكثير الكثير من العلامات التي تطالعها موضّحة في الفصول التالية إن شاء الله تعالى :)

قال الإمام الصّادق ﷺ :

ـ للقائم غيبتان : إحداهما طويلة والأخرى قصيرة . فالأولى يُعلم بمكانه فيها خاصّةٌ من شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّةُ مواليه في دينه [3] . (والمَولى هنا يدل على النوع ، فإنه يقوم بخدمته وإيناس وحشته أشخاصٌ متعدّدون كما رأيت سابقاً . ثم قال :)

ـ إن للقائم غيبَتَين ، يقال في إحداهما هلك ، ولا يُدْرى في أي وادٍ سَلَك ! [4] . (وقال في تأويل :)

ـ ﴿ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وكثيرٌ منهم فاسِقُون ﴾ : نزلت في القائم وأهلِ زمانِ الغيبة وأيامِها دون غيرهم . والأمَدُ أمَدُ الغيبة [5] . (وقد بدأت القلوب تقسو من زمنٍ غير قريب كما

(1) منتخب الأثر ص ٢١٥ مع زيادة ، ومثله في البحار ج ٥١ ص ١٤٥ وفي إعلام الورى ص ٣٨٦ وفي إلزام الناصب ص ٦٧ .
(2) البحار ج ٥١ ص ١٣٦ وبشارة الإسلام ص ٨٧ و٩٩ وفي إعلام الورى ص ٤٠٢ عن زين العابدين ﷺ .
(3) منتخب الأثر ص ٢٥١ وبشارة الإسلام ص ٨٦ عن الحسين ﷺ ، والبحار ج ٥٢ ص ١٥٣ وج ٥٣ ص ٣٢٤ .
(4) منتخب الأثر ص ٢٥٢ والغيبة للطوسي ص ٢٦٠ .
(5) الحديد ـ ١٦ ، تجد الأخبار المتعلّقة بتعليل مواضيع جميع الآيات الكريمة في الغيبة للنعماني ص ٧ والبحار ج ٥١ ص ٥٤ وتمام الخبر في ج ٥٣ ص ١ ـ ٢ ـ ٣ وفي ينابيع المودة ج ٣

نعلم . وسُئل : هل للمأمول المنتظر من وقتٍ يَعلمه الناس ؟ . فقال :)

ـ حاشا لله أن يوقّت ظهوره بوقتٍ يَعلمه شيعتنا ، لأنه هو الساعة التي قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ (1) .

ـ وهو الساعة التي قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (2) ، وقال : ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ (3) ، ولم يقل إنها عند أحد ، وقال : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ، فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ؟ ! ﴾ (4) . ليس للمهديّ وقتٌ لأنه كالساعة إنما علمها عند ربي ، ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (5) . والمماراةُ : يقولون : متى وُلِد ؟ . ومن رأى ؟ . وأين يكون ؟ . ومتى يظهر ؟ . وكل ذلك استعجالاً لأمر الله ، وشكًّا في قضائه وقدَره ، ودخولاً في قدرته : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (6) . . . ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ (7) . . . وقال : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (8) ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (9) .

(وقد كادت أشراط ساعة الخروج تجيء كما سترى . ونحن مُشفِقون منها ،

ص ٨٣ قال الباقر عليه السلام : هي ساعة القائم عليه السلام تأتيهم بغتة ، وفي ص ٨٤ : أي ساعة قيام القائم عليه السلام ، وكذلك في المهدي ص ٢٠٤ وإلزام الناصب ص ٢٧ و٢٩ و٣٠ و٣١ وص ١٤١ قال الإمام الصادق عليه السلام : واللهِ ما هي إلاّ قيام القائم . وبشارة الإسلام ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(1) الأعراف : ١٨٦ ، وانظر رقم الحاشية السابق ، لمعرفة مصادر تعليل هذه الآيات الكريمة .

(2) النازعات ـ ٤٢ .

(3) لقمان ـ ٣٤ .

(4) محمد ـ ١٨ .

(5) الشورى ـ ١٨ .

(6) الأعراف ـ ٩ . هود ـ ٢١ . المؤمنون ـ ١٠٣ .

(7) صٓ : ٥٥ .

(8) القمر ـ ١ .

(9) الأحزاب ـ ٦٣ .

ونَعلَم أنها حق لا ريب فيه قد اقترب موعده ، وكلُّنا في ظِلال عهده الميمون الذي يخلّص البشرية من الظلم الجائم في أقطار الأرض . . ونحن لا نُوَقِّت ولا نُعَيِّن ، ولكن بوادر الفَرَج تتلألأ في مطاوي الأجواء ، وقد قال إمامنا الصادق عليه السلام كما قال آباؤه :)

ـ إن من وقّت لمهديّنا فقد شارك الله في عِلْمه ، وادّعى أنه ظهر على سرّه . . وما لله من سر إلاّ وقد وقع إلى هذا الخَلق المعكوس الضالّ عن الله ، الراغِب عن أولياء الله ! . وما للّهِ من خبرٍ إلاّ وهم أخصُّ به لسرّه وهو عندهم . وإنما ألقى الله إليهم ليكون حُجّة عليهم [1] . .

(وتتجلّى في قوله هذا السخريةُ المهذّبة من أولئك الذين يريدون أن يشاركوا الله في علْمه . وحقّ لمثل أبي عبد الله أن يستهزيء من الذين يتركون قول الله وينصرفون إلى قول المنجّمين والأفّاكين ويدخلون البيوت من غير أبوابها . .

وقد دخل عليه جماعة من أصحابه يوماً فوجدوه جالساً يبكي بِوَلَهٍ وهو يقول :)

ـ سيّدي ، غَيبتك نفت رُقادي ، وضيّعت عليّ مهادي ، وَابْتَزّت منّي راحة فؤادي ! .

سيّدي ، غَيبتُك وصلت مُصابي بفجائع الأبد ! . وَفَقْدُ الواحدِ بعد الواحد يُفني الجمع والْعَدد ! . فما أُحسّ بدمعةٍ ترقأ في عيني ، وأنين يفترّ من صدري عن دوارج الرزايا وصنوف البلايا ، إلاّ لَقِيني غوائلُ أَعْظَمُها وَأَقْطَعُهَا ، وبوائقُ أشدُّها وأنكرُها ، ونوائبُ مخلوطةٌ بغضبك ، ونوازلُ مجبولةٌ بسخطك ! ! !

فقال له واحد منهم : يا سيّدي ، لا أبكى الله ما بين الورى عينك من آيةٍ تسترقّ دمعتك وتستمطر عَبرتك ! . وأيّ حالة حسّنت عليك هذا المأتم ؟ ! . فزفر زفرةً انتفخ منها جوفُه ، واشتد عنها خوفه وقال :

ـ ويلكم . . نظرت في كتاب الجَفر ، صبيحة هذا اليوم ، وتأملت مولوداً غائباً ، وغَيبَته وإبطاءه ، وطول عُمره ، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولُّدَ الشك

(١) البحار ج ٥٣ ص ٣ وبشارة الإسلام ص ٢٦٥ وإلزام الناصب ص ٣٠ وص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

في قلوبهم من طول عيبته ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تعالى جلّ ذكره : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ : يعني الولاية ، فأخذتني الرِّقة واستولت عليَّ الأحزان [1] . (فكل ما ابتُلينا به ذَكَرَه الإمام عليه السلام كمن يحياه . .) .

قال الإمَام الجوَاد عليه السلام :

- إن الإمام بعدي ابني ، أمرُه أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ، والإمام بعده ابنُه الحسن ، أمرُه أمر أبيه ، وقوله قول أبيه ، وطاعته طاعة أبيه . (ثم سكت) . فقيل له : يا ابن رسول الله ، ومَن الإمام بعد الحسن ؟ . فبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : إن من بعد الحسن ابنَه القائم بالحق ، المنتظَر . فقيل : يا ابن رسول الله ، وَلِمَ سُمِّيَ بالقائم ؟ . قال : لأنه يقوم بعد موت ذِكْره ، وارتداد أكثر القائلين بإمامته . فقيل : وَلِمَ سُمِّيَ بالمنتظَر ؟ . قال : لأن له غَيبة يطول أمدُها فينتظر خروجَه المخلصون ، ويُنكره المرتابون ، ويستهزىء بذكْره الجاحدون ، ويَكْذِب فيه الوقّاتون ، ويَهلك فيه المستعجلون ، وينجو فيه المسلِّمون [2] .

(فها هوذا الجواد عليه السلام - على دَيدنِ آبائه وأبنائه - يتكلَّم عن الأمر الذي لم يحدث بعد ، ويذكر الأسماء ، والحالات ، والظروفَ التي نكون عليها بعده بألفِ ومئات السنين . يقول ذلك وهو في تفتُّح شبابه ليبلِّغ ما زُقَّهُ من العلم قبل أن تدهمه يدُ الظالم العُتُلّ ، فيُذوي ذلك الشباب الريّان وهو يتدرَّج ما بين العشرين والثلاثين من

---

(1) الإسراء - ١٣ ، والجفر كتاب يشتمل على علم المنايا وعلم البلايا ، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، خصَّ الله تعالى به محمداً والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين ، فهو معهم يتنقل من واحد إلى واحد . وهو الآن مع الإمام المنتظَر عجَّل الله تعالى فرَجه . والخبر بكامله في البحار ج ٥١ ص ٢١٩ وبشارة الإسلام ص ١٤٤ - ١٤٦ وإلزام الناصب ص ٨٥ وص ١٩١ ونور الأبصار ص ١٤٥ ومنتخب الأثر ص ٢٥٩ والغيبة للطوسي ص ١٠٥ والمهدي المنتظَر ص ٢٣ وما بعدها وتجد معلوماتٍ عن كتاب الجفر في الكافي م ١ ص ٢٣٩ و٢٤٠ وفي إلزام الناصب ص ٧ و٨ و٩ وص ٧٢ بتفصيل ، وينابيع المودة ج ٣ ص ٥٢ - ٥٣ وص ٥٦ بتفصيل ، وكذلك في ص ٦٧ و١١٦ وفي المهدي ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(2) منتخب الأثر ص ٢٢٣ - ٢٢٤ والبحار ج ٥١ ص ٣٠ و١٥٨ وإعلام الورى ص ٤٠٩ وبشارة الإسلام ص ١٦٥ وإلزام الناصب ص ٦٨ وص ٧٨ عن الصادق عليه السلام آخره .

عمره ، فيدسّ له السمّ في طعامه !) .

قالَ الحجَّةُ المنتظر عليه السلام :

(قال عليه السلام في كلامٍ شريفٍ له مع عليّ بن إبراهيم الأزديّ حين تشرّف بخدمته :)

- إنَّ الأرض لا تخلو من حُجّة ، ولا يبقى الناس في فترةٍ أكثر من تيسه بني إسرائيل وقد ظهر أيامُ خروجي . فهذه أمانة في رقبتك ، فحدِّث بها إخوانك من أهل الحق (١) .

(وفي هذا الحديث - إن صحّ - إشارة إلى فترة مميَّزة ، قد ينزل فيها غضب الله على العباد فتقع حروب وفتن - كما يجري في أيامنا - ثم تَحُلُّ رحمة الله بالظهور المبارك ، وذلك كأنْ يَظْهرَ على رأس أربعين سنة تمضي على إعلان دولة إسرائيل مثلاً - بدليل ذكْر التيه - وبدليل التصريح بالفترة التي تَعني الفتن والحروب المتصلة الحلقات . . والله وحده أعلم بالتوقيت الدقيق . . وكان سلامُ الله عليه قد قال لإبراهيم بن مهزيار في مقابلته التي ذكرناها في موضوع : مولده :)

- إعلم يا أبا إسحاق أنه - أي أبوه - قال صلوات الله عليه : أرجو يا بُنيّ أن تكون أحدَ من أعدَّه الله لنشر الحق وطيِّ الباطل ، وإعلان الدين وإطفاء الضلال . فعليك يا بُنيّ بلزوم خوافي الأرض ، وتتبّع أقاصيها ، فإن لكلِّ وليٍّ من أولياء الله عزّ وجلّ عدوّاً مقارعاً وضِدّاً منازِعاً ، افتراضاً لمجاهدة أهل نفاقه وخِلافه ، أُولي الإلحاد والعناد . فلا يوحشنَّك ذلك .

يا أبا إسحاق ، ليكنْ مجلسي هذا عندك مكتوماً إلاَّ عن أهل الصدق والأُخُوَّة الصادقة في الدين .

إذا بدت لك إمارات الظهور والتمكين . فلا تُبطيء بإخوانك عنّا ، وبأهل المسارَعة إلى منار اليقين وضياء مصابيح الدين ، تَلْقَ رَشَداً إن شاء الله (٢) . . (إيّاكِ

---

(١) إلزام الناصب ص ١١٢ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٣٥- ٣٦ .

أعني ، واسمعي يا جارة . . ففي الجزء الأخير من هـذا الحديث خـاطبَ الإمام عليه السلام شيعتَه عَبْرَ التاريخ من خلال مخاطبة ابن مهزيار رحمه الله ، وَعَبْرَ محادثته معه ، ليكون كل واحد منّا على بصيرته من أمره إذا بدت إمارات الظهور والتمكين.

فقد كانت له غيبةٌ صغرى اتّصل فيها بمواليه وشيعته من خلال نوّابه وسفرائه كما رأينا ، ثم كانت الغَيبة الكبرى التي نعيش في ظلّها ابتداءً من سنة ٣٢٩ هـ . وستنتهي بالفَرَج . .

فعجّل الله تعالى ذلك اليوم المشهود المظفَّر : يومَ الخلاص ! .)

٩ ـ الحَيْرَة . .

. . وَانتِظَار الفَرَج

قال رَسُول اللّه ﷺ :

ـ تكـون له غَيبـة وحَيرة تضـلّ فيهـا الأمم [١] . (ورُويَ عن أميـر المؤمنين عليه السلام مختوماً بقوله : يضلّ فيها أقـوام ويهتدي آخـرون ، وعن الحسين عليه السلام بلفظ آخر تـراه في محلّه . . وجاء عنه ﷺ :)

ـ كائنٌ في أمتي ما كان في بني إسرائيل حَذْوَ النعل بالنعل والقذّة بالقُذّة ! . وإن الثـاني عشر من وُلـدي يغَيب حتى لا يُرى ! [٢] . (والـذي كان في بني إسـرائيل هـو حيرتهم لمّا غاب عنهم لاوَى بن برخيا ـ أول الأسباط ـ غَيبة طويلة ، ثم عـاد ، فأظهـر الله به شريعته بعد اندراسها ، وقاتَلَ قرسيطاء الملك وانتصر عليه . مضافاً إلى أنه كان فيهم أشيـاء كثيرة تشبـه ما صـار في الإسـلام ، يكفي أن نـذكـر منـه أكبـر انتـظار في

---

(١) كشف الغمـة ج ٣ ص ٣١١ والبحـار ج ٥١ ص ٧٢ وإعـلام الـورى ص ٣٩٩ والمـلاحم والفتن ص ١٥٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٣ و١٦٨ والمهدي ص ١٤٧ والإمام المهدي ص ٦٨ .

(٢) منتخب الأثر ص ٩٨ والبحار ج ٥٣ ص ١٢٧ باختلاف في آخره ، وكذلك في ص ١٣٩ وينابيـع المودة ج ٣ ص ١٠٠ .

الإنسانية ، وهو انتظار ظهور السيد المسيح عليه السلام من قِبَلِهم منذ الوعد به حتى اليوم . .)

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ يكونُ لغَيبته حيرةٌ يضلُّ فيها أقوامٌ ويهتدي آخرون ، أولئك خيارُ الأمَّة مع أبرارِ العِترة (١) .

(والذي نحن فيه اليومَ كلُّه من أمر الجاهلية ، بل بعضه أحطُّ من أمر الجاهلية الأولى . فقد حادت الأمة الإسلامية عن كتابها وسنة نبيّها ، ومن عَصَمَ الله ورحمَ فقليل ما هُم . . وسنرى أن كل ما يأمرها به الإمام من الأحكام الدينية تراه جديداً عليها ، يدل على ذلك ما نراه في إيران من الاحتجاج الصارخ على تحريم الخمور وتحريم السفور الوقح ومظاهر الخلاعة التي يحرِّمها الإسلام ! . ـ فقد ابتعدت الأمة الإسلامية عن قواعد الدين بعداً كبيراً يجعلها حَرِيَّةً بقولك لنا يا سيّدي وقد قلتَ للمسلمين منذِراً) :

ـ يَهْتُمْ كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى . وبحقٍّ أقول : لَيُضعَّفَنَّ عليكم التيه من بعدي باضطهادكم وُلدي أضعافَ ما تاهت بنو إسرائيل ! ! (٢) . (وليس الضِّعف هنا مقدارَ المثْل أو المثْلَين ، بل يعني الأكثر ، لأن الضعف بلغة العرب زيادة غير محصورة أقلُّها المثْل . وعليه فلم يُرد الإمامُ أن يقول : تاهت بنو إسرائيل أربعين سنة ، وأنتم ستتيهون ثمانين ، بل ستتيهون كثيراً) .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ يخرج بعد غَيبة وحيرة ، لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا ، وكتبَ في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه (٣) . (ورد قريبٌ منه عن الصادق والرضا عليه السلام وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام بلفظه .

---

(١) إلزام الناصب ص ٥٥ و٨١ وإعلام الورى ص ٤٠٠ والغيبة للطوسي ص ٢٠٤ بلفظ آخر .
(٢) بشارة الإسلام ص ٦٣ .
(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١١ والبحار ج ٥١ ص ١١٠ وإعلام الورى ص ٤٠١ وبشارة الإسلام =

وقد سأل الإمام الباقر عليه السلام صاحبَه الفضلَ بن يسار : لهذا الأمر وقت ؟ فقال : ـ أما ظهور الفَرَج فإنه إلى الله تعالى ، وكذَب الوقّاتون . إن موسى لمّا خرج وافداً إلى ربه واعَدَهم ثلاثين ليلة ، فلما زاده الله على الثلاثين عَشْراً قال قومه : قَدْ أخلَفنا موسى . فصنعوا ما صنعوا . . فإذا حدَّثناكم الحديث فجاء على ما حدّثناكم به فقولوا : صدق الله . وإذا حدَّثناكم الحديث فجاء على خِلاف ما حدَّثناكم فقولوا : صدق الله تؤجَروا مرّتين [1] . . (ولا يكون الحديث على خِلاف ما يقول الأئمة عليهم السلام إلاّ إذا بدا لله عزّ وجلّ في الأمر بُدُوٌّ أو مشيئة يشاؤها . أو قضاءٌ يبدّله لمصلحة الناس والرأفة بهم . ولذلك كان أجر التصديق مضاعفاً حين الرضى بما يبدو لله فيه تغيير . .)

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

ـ يكون له غيبةٌ وحيرة ، حتى يَضلَّ الخلقُ عن أديانهم [2] .

(وقد ضَلَّ الخلقُ ـ سائر الخَلْق إلاّ مَن عَصَم الله ـ وتاهوا عن أديانهم ، من مسلمين وغير مسلمين ! . فالعياذُ بالله وحدَه مما نحن فيه من التمحيص الصعب ، ونسأله العفوَ إذا جالَ سيفُ المَحْقِ في رقاب الخَلق إذا قامَ قائمُ الحق ! . وجاء عنه عليه السلام أيضاً :)

ـ كيف أنتم إذا بقيتم شيئاً من دهركم لا تَرون إماماً ؟ ! . إستوت أقدام بني عبد المطلب كأسنان المشط . فبينا أنتم كذلك إذ أُطلع اللّهُ نجمكم ، فاحمدوا الله واشكروه [3] . . (واستواء أقدام بني عبد المطلب يعني أن من حكَم منهم ـ من

ص ٥٣ ومنتخب الأثر ص ٢٢٩ بلفظ قريب ، والإمام المهدي ص ٧٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام وص ١٣٥ عن العسكري عليه السلام ومثله في إلزام الناصب ص ٦٩ .

(١) بشارة الإسلام ص ٣٠٠ وص ١٠٧ وص ١٨٠ عن محمد بن الحنفية رضوان الله عليه وص ١٨٢ ومنتخب الأثر ص ٤٦٣ أوله ، ومثله في الغيبة للطوسي ص ٢٦٢ وفي البحار ج ٥٢ ص ٢٧٠ نصفه الأول وص ١٨٥ نصفه الأخير . والغيبة للنعماني ص ١٥٨ وإلزام الناصب ص ٨٠ وفي ص ١٧٥ عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه أيضاً وختامه : فكفر قومُه وقالوا : غرَّنا موسى ، فعبدوا العجل . .

(٢) البحار ج ٥١ ص ٧٢ .

(٣) الملاحم والفتن ص ١٥٢ وفي البحار ج ٥١ ص ١٣٨ رُوي عن الباقر عليه السلام .

العباسيين أو غيرهم ـ لم يختلف واحدٌ منهم عن الآخرين في ادّعاء العدل ، ومزاولة الظلم . ولن يختلف عن هؤلاء سائرُ الحكّام ، فلا خير لكم إلا بالانتظار حيث يأتيكم فجأة مَن يحكم بالعدل ، أي نجمكم الذي تترقّبون طلوعه ! . ثم قال مثبّتاً ومشجّعاً :)

ـ إذا أصبحتَ وأمسيتَ لا ترى فيه إماماً من آل محمد ـ أي بعد وقوع الغَيبة ـ فأحبَّ من كنت تحب ، وأبغض من كنت تُبغض ، ووالِ من كنت توالي ، وانتظر الفَرَج صباحاً ومساءً [1] . . (فَدَعْوَتُه إلى التمسك بالأمر الأول أمرٌ لنا بالثبات على ما تعتقده من الحق حتى يُظهره الله تعالى لنا ، لئلا نضيع في التيارات المختلفة والأهواء المضلِّلة ، ولذلك كرّر قائلاً :)

ـ . . . إذا كان ذلك فتمسّكوا بما في أيديكم حتى يصحَّ لكم الأمر [2] . . (أي تمسّكوا بعقيدتكم ، وانتظِروا . . ثم وعد بالفترة الطويلة ، فقال :)

ـ يأتي على الناس زمان يصيبهم فيه سبطَة ، يَأْرِزُ العلْم فيها (أي ينقبض) كما تأْرِزُ الحيَّة في جُحرها . فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم نجمُهم . فقيل له : فما السَّبطة ؟ . فقال : فترةُ النعاس والضَّعف ، كونوا على ما أنتم عليه حتى يُطلع الله نجمَكم [3] .

(وقال ﷺ :) ـ كذب الوقّاتون ، وهلكَ المستعجلون ، ونجا المسلِّمون ، وإلينا يصيرون . ما وقّتنا فيما مضى ، ولا نوقّت فيما يُستقبَل [4] .

(وسأله صاحبُ الجليلُ أبو بصير عن التوقيت بالذات فقال ﷺ :)

ـ كذَب الوقّاتون ! . إنّا أهل بيتٍ لا نوقّت ! . أبى الله إلا أن يخالِف وقتَ

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ١٣٣ والكافي م ١ ص ٣٤٢ بلفظ آخر ، وإلزام الناصب ص ١٣٨ .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٣٣ .
(٣) بشارة الإسلام ص ١٥٤ ـ ١٥٥ والبحار ج ٥٢ ص ١٣٤ وفي الغيبة للنعماني ص ٨٢ نصفه الأول .
(٤) منتخب الأثر ص ٤٦٢ والكافي م ١ ص ٣٦٨ ما عدا آخره ، وكذلك في الغيبة للنعماني ص ١٠٤ و١٥٧ والبحار ج ٥٢ ص ١٠٣ و١٠٤ وبشارة الإسلام ص ٢٩٨ وإلزام الناصب ص ٧٨ .

الموقِّتين [١] . (وسأله صاحبه ذاته : ما لهذا الأمر أمدٌ ينتهي ونُريح أبداننا ؟ . فقال :) ـ بَلىَ ، ولكنكم أذعتم . فأخَّره الله [٢] .

(وقال مكرِّراً :) ـ إنما هلَك الناس من استعجالهم لهذا الأمر ! . إن الله لا يعجل لعجلة العباد . إن لهذا الأمر غايةً ينتهي إليها ، فلو قد بلَغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا [٣] . (وقال لصاحبه الثقة الجليل محمد بن مسلم بهذا الموضوع :)

ـ إن قدَّام القائم علامات تكون من الله عزّ وجلّ . فقال : وما هي ؟ . قال : قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ، وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ : ولَنبلونكم : يعني المؤمنين ، قبل خروج القائم بشيءٍ من الخوف : من ملوكٍ بني فلان في آخر سلطانهم ، والجوع : بغلاء أسعارهم ، ونقصٍ من الأموال : بكساد التجارات وقلة الفضل ، ونقصٍ من الأنفس : موتٌ ذريع ، ونقصٍ من الثمرات : قلة رَيع ما يُزرع ، وبشّر الصابرين : عند ذلك بتعجيل خروج القائم . وذلك بعد فتنةٍ صمَّاء صَيْلَم ، يسقط فيها كل وليجةٍ وبطانة . فيثبُ الجارُ على جاره فيضرب عُنقه . فالزموا الأرضَ ولا تُحرِّكوا يداً ولا رِجْلاً [٤] ! . (وورد بلفظ :) .

ـ وخوفٌ يَشمل أهلَ العراق وبغداد ، وموتٌ ذريعٌ فيه ، ونقصٌ في الأموال والأنفس والثمرات ، وقِلَّةُ رَيْعٍ لما يزرع الناس [٥] . (ثم قال أيضاً :) .

ـ يا محمد بن مسلم : مَن أخبرك عنّا توقيتاً فلا تهابَنَّ أن تكذِّبه ، فإنّا لا نُوقِّت

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٣٢ و١٥٥ والغيبة للطوسي ص ٢٦٣ والكافي م ١ ص ٣٦٨ وإلزام الناصب ص ٧٨ وبشارة الإسلام ص ٢٩٨ والبحار ج ٥٢ ص ١١٤ بلفظ مختلف .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٥٤ و١٥٧ والغيبة للطوسي ص ٢٦٣ والبحار ج ٥٢ ص ١٠٥ وفي ص ٣٦٠ نصفُه الأخير ، وإلزام الناصب ص ٧٨ و١٨٦ وبشارة الإسلام ص ٢٩٩ و٣٠١ .

(٣) الكافي م ١ ص ٣٦٩ والغيبة للنعماني ص ١٥٨ وإلزام الناصب ص ٧٨ .

(٤) البقرة ـ ١٥٥ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٣٢ وإعلام الورى ص ٤٢٧ وإلزام الناصب ص ١٨ ما عدا آخره وص ١٧٥ و١٨٥ والإرشاد ص ٣٤٠ ومنتخب الأثر ص ٤٤٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٦ باختلاف يسير ، ومثله في المهدي ص ١٩٧ وبشارة الإسلام ص ١٧٦ والإمام المهدي ص ٣٣ .

(٥) الإمام المهدي ص ٢٣٤ .

وقتاً [1] . . (وبالمناسبة نقول : إن النهي عن التوقيت لا ينافي أن نعرف اليوم الذي يخرج فيه بالذات بعد حدوث العلامات الكبرى الملازمة لوقت الظهور : كالنداء باسمه ، وكخروج السفيانيّ ، والخسف وغير ذلك ، بل النهيُ منحصرٌ في أن نوقّت قبل حدوث أية علامة قريبة من الموعد . لئلا نقع في الخطأ إذا بدا لله عزّ وجلّ بُدُوٌّ كما قلنا . . فالعلامات الواضحة ـ لا غيرها ـ هي التي تجعلنا نعتقد قرب الموعد وكونه على الأبواب) .

قال الإمَام الكاظِم ﷺ :

ـ إذا فُقد الخامس من وُلد السابع ، فالله اللّهَ في أديانكم ، لا يُزيلنّكم عنها أحد ! . إنه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غَيبة ، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به [2] . . (شأنُ الكاظم ﷺ في ذلك شأنُ آبائه وأبنائه ، يأخذ بِضَبْعَي الشيعة ويرفعهم إلى منزلة المسلّمين الراضين الصابرين . . .)

قال الإمَام الرِّضا ﷺ :

ـ لا بُدَّ للناس من فتنةٍ صمّاء صَيْلَم ، يسقط فيها كلُّ بطانةٍ ووَليجة ، وذلك عند فُقدان الرابع ـ الثالث ـ من وُلدي [3] . (أي عند غياب القائم المنتظَر ﷺ وعدم رؤيته) .

قال الإمَام الجوَاد ﷺ :

ـ إنها ستكون حيرة . لو عُيِّنَ لهذا الأمر وقتٌ لَقَسَت القلوب . ولرجع عامة

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٥٥ والغيبة للطوسي ص ٢٦٢ والبحار ج ٥٢ ص ١٠٤ وبشارة الإسلام ص ٢٩٨ وفي ص ١١٨ ما عدا آخر جملة .

(٢) البحار ج ٥١ ص ١٥٠ وج ٥٢ ص ١١٣ والغيبة للنعماني ص ٧٨ وبشارة الإسلام ص ٤٠ و١٥٧ تجد الحديث بكامله ، وإعلام الورى ص ٤٠٦ والمهدي ص ١٧٢ وإلزام الناصب ص ٦٨ ومنتخب الأثر ص ٢١٨ والغيبة للطوسي ص ١٠٤ و٢٠٤ والكافي م ١ ص ٣٣٦ .

(٣) الغيبة للنعماني ص ٩٤ والبحار ج ٥١ ص ١٥٥ بلفظ قريب ، وج ٥٢ ص ٢٨٩ بتفصيل ، والملاحم والفتن ص ١٥٣ وبشارة الإسلام ص ١٦٠ و١٦٣ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٦ ومنتخب الأثر ص ٤٢١ عن النبيّ ﷺ قريبٌ منه .

الناس عن الإسلام ، ولكن قالوا : ما أسرعه ! . وما أقربه ! . تألُّفاً لقلوب الناس ، وتقريباً للفَرَجِ [1] . (أجل إنه لَيَقْسو قلبي حين أعرف أن الحجة سيخرج بعد ألف سنة مثَلاً ، فَأَيْأس من لقائه شيئاً ما ، ثم يزيد ابني من بعدي يأساً ، ويتزايد يأس حفيدي لذلك ، فيبتدىء البعد عن الدين جيلاً فجيلاً . . أما بهذا الشكل فإني أهفو للّقاء الميمون ، ويهفو إليه غيري ، ونحسّ بأننا مطالَبون بين يدي إمام يحاسب سبقه على التفريط ، ومحاسبون على التقصير ، فنشعر بالمسؤولية ونتمسّك بعقيدتنا ونقوم بواجباتنا ، ونرى هيبة الإمام مسيطرة علينا ، فتستقيم أعمالُنا وتحسُن عبادتنا ، ويتحسّن سلوكنا ومعاملاتنا مع سائر الناس . .)

(وقد سأله بعضُ أصحابه يوماً :) مَنِ الخَلَفُ بعدك ؟ . قال : ابني عليٌّ ، وابنا عليّ - أي ابنُه الهادي ثم ولَداه : العسكريُّ والحُجَّةُ عليهم السلام جميعاً - ثم أطرق مليّاً . ثم رفع رأسه ثم قال : إنها تكون حيرة ؟ ! ! فقيل له : فإذا كان ذلك فإلى أين ؟ . فسكت ، ثم قال : لا إلى أين ؟ ! . حتى قالها ثلاثاً . . فأعيد عليه السؤال فقال : إلى المدينة . فقيل : أيُّ المُدن ؟ . فقال : مدينتُنا هذه ، وهل مدينةٌ غيرها ؟ ! [2] .

(فكلمة : لا إلى أين ، تدلُّ على صعوبة المَهرب من الفتن في آخر الزمان - كما سترى - لشمُول الفتن أطرافَ الدّنيا ، ولقَسوتها بحيث لا يُراعي القائمون بها إلّاً ولا ذمَّة ولا يرعَونَ عهداً ولا ميثاقاً ، إذ لا رحمة في قلوبهم ولا شفقة عندهم ! . هذا مُضافاً إلى أنه يُلفت النظر إلى وجود الحُجّة عجّل الله تعالى فَرجه أثناء الفتن في مدينة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) .

قال الإمَام العَسكري عليه السلام :

وَالله لَيَغيبنَّ غَيبةً لا ينجو فيها من الهَلكة إلّا من يُثبّته الله على القول بإمامته ، ووفّقه للدعاء بتعجيل فرَجه . . فقال له صاحبُه الجليلُ أحمد بن إسحاق حين أراهُ الحُجّة والخَلَفَ من بعده ، وأخبرَه بطول غَيبته : يا ابن رسول الله ، وإنَّ غَيبته

---

(١) الغيبة ص ١٥٨ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ٩٧ وبشارة الإسلام ص ١٦٥ والبحار ج ٥١ ص ١٥٦ .

لَتطول ؟ . فقال عليه السلام :)

ـ إيْ وربّي ، حتى يَرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ، ولا يَبقى إلاّ مَن أخذ الله عزّ وجلّ عهده بولايتنا ، وكَتَبَ في قلبه الإيمانَ وأيّده بروحٍ منه[1] . (وقال عليه السلام في مناسبة ثانية :)

ـ أمَا إن لولدي غَيبةً يرتاب فيها الناس ، إلاّ من عصمه الله عزّ وجلّ . أما إن له غَيبةً يحار فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المبطلون ، ويكذِب فيها الوقّاتون ![2] .

ـ . . . ثم يرجع ، فكأنّي أنظر إلى الأعلام البِيْض تحفق فوق رأسه بنجف الكوفة[3] . .

(واهاً ، واهاً لتلك الساعة السعيدة ! .
وواهاً لساعة نشر لواء العدل والقسط ، .
والخلاصَ الخلاصَ من الظلم المُحيق بالأرض ! ! !) .

قال ابن عباس :

ـ يَظهر بعد غيبةٍ طويلةٍ وحيرةٍ مُظلمة . فيُعلن أمْرَ الله ، ويُظهر دين الله ، ويؤيَّدُ بنصر الله ونصر ملائكة الله[4] .

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٦٨ تجد الخبر بتمامه ، وكذلك في الإمام المهدي ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .
(٢) إلزام الناصب ص ١٠٤ والبحار ج ٥١ ص ١٦٠ بلفظ قريب ، ومثله في إعلام الورى ص ٤١٥ ، وفي منتخب الأثر ص ٢٢٧ نصفه الأخير .
(٣) إعلام الورى ص ٤١٥ .
(٤) إلزام الناصب ص ٦٢ .

١٠ ـ المؤمِنُونَ المُنتَظِرون

لا تذهبْ بكمُ المذاهب . فواللّهِ ما شيعتُنا إلاّ مَن أطاعَ الله ! [١] .

(الإمام الباقر عليه السلام)

قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ـ المهديُّ من وُلْدي الذي يفتح الله به مشارقَ الأرض ومغاربها ، ذاك الذي يُغيب عن أوليائه غَيبةً لا يَثبت على القول بإمامته إلاّ من امتَحنَ الله قَلْبَهُ للإيمان [٢] .

(وقال صلى الله عليه وآله وسلم :)

إن أعظم الناس يقيناً ، قومٌ يكونون في آخر الزمان ، لم يَلحقوا النبيّ ، وحُجب عنهم الحُجة ، فآمنوا بسوادٍ في بياض [٣] . (أي آمنوا بما وجدوه مسطوراً في الكتب بَدءاً بتوحيد الله والاعتراف بصفاته الثُبوتيّة ، وانتهاءً بالإيمان بالنبوّة فالولاية فالبعث

---

(١) الكافي م ٢ ص ٧٣ .

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ٧٧ وإلزام الناصب ص ١٢٧ والإمام المهدي ص ٧٥ والمهدي ص ١٠٦ .

(٣) الوسائل م ١٢ ح ٥١ ص ٦٥ والبحار ج ٥٢ ص ١٢٥ ومنتخب الأثر ص ٥١٣ وإلزام الناصب ص ٧٨ و١٣٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

والحساب . أي آمنوا بأصول الدين وأركانه بواسطة الأخبار الصحيحة التي أخذوها عن أسلافهم ، يدل على ذلك قوله ﷺ :)

ـ أفضلُ العبادة انتظار الفَرَج (١) . (ذلك أن انتظار الفَـرَج يعني الإيمان بـالإمام المنتظَر ، ويعني ـ بالتالي ـ الإيمان بـالوحـدانية والعـدل والرسـالة ، والعمَـلَ الصالـحَ المقبولَ الجامعَ للشروط التي فَرضها الله تعـالى . . والإيمان شـرطٌ في صحة قبـول العمل إذ جاء في الحديث الصحيح السند عن الصادق عليه السلام قولُه بخصوص الولاية :)

ـ بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ : على الصـلاة ، والـزكـاة ، والحـج ، والصـوم ، والولاية . ولـم يُنادَ بشيءٍ ما نُودِيَ بالولاية (٢) .

(وورد بلفظ :) فأخذ النـاس بأربـعٍ وتركـوا هذه . فلو أن أحـداً صام نهـاره ، وقـام ليلَه ، ومات بغيـر ولاية ، لم يُقْبَـل منه صـومٌ ولا صـلاة ! (٢) . (فبهـذا المعنى يكون الإعترافُ بالولايـة باعثـاً على انتظار الفَـرَج ، ويكون انـتظارُ الفرَج ـ مـع العمل الصالح المقبول ـ من أفضل العبادة.

وقد تكرَّر هذا المعنى في الأخبار عن النبي وأهل بيته عليهم السلام فقد جاء عنه ﷺ أيضاً :)

ـ انتظار الفرَج عبـادة . أفضلُ أعمـال أُمَّتي انتظار فَـرج الله عزَّ وجـلَّ (٣) : . . (وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام :)

ـ أفضـل العبادة الصَّمْتُ وانتـظار الفَـرَج (٤) (لأن انتـظار الفَـرَج إيمـانٌ بـالغيب يحمل العبد على العمل والتعبُّد بعقيدة متكاملة ، ويكون محبّاً للعدل ، كارهاً للظلم ،

---

(١) نهج الفصاحة ج ١ ص ٧٨ وج ٢ ص ٣٧٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥ وينابيع المـودة ج ٣ ص ١٦٩ والمهـدي ص ٢٠١ وفي تحف العقـول ص ٣٣ : أفضـلُ جهـادِ أُمَّتي انتـظارُ الفـرَج ، ومثله في منتخب الأثر ص ٤٩٥ و٤٩٩ وفي ص ٢٢٣ رُوِيَ عن الجواد عليه السلام ، وكذلك في البحـار ج ٥١ ص ١٥٦ .

(٢) الـوسـائـل م ١ ح ١٠ ص ١٠ وم ١٨ ح ١٤ ص ٢٦ بلفظ آخر ومثله في م ١٨ ح ١١ ص ٤٤ والكافي م ٢ ص ١٨ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ١٢٢ وإلزام الناصب ص ١٣٧ .

(٤) الكشكول ص ١٥١ .

يوجِّه نفسه وسائر أعماله نحو ما فيه خيرها وخيرُ الآخرين ، فيصبح خيراً ممن يقوم بعبادة لا تنفع إلا صاحبها . . والاعترافُ بالحق والجهرُ به ليسا أمراً سهلاً في ظل حكومات الباطل ، بل هما بمرتبة الجهاد الصامت ، وهما ـ من ثم ـ أفضل من التعبُّد الْحُرّ في دولة الحق . . ولذلك جاء عن النبيّ ﷺ بحق المؤمنين المنتظِرين في آخر الزمان :)

ـ سيأتي قومٌ من بعدكم ، الرَّجُلُ منهم له أجرُ خمسين منكم . . قالوا: يا رسول الله نحن كنّا معك ببدرٍ وحُنَينٍ وأُحُد ونزلَ فينا القرآن ! . فقال : إنكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرَهم ! [١] . (لأنه ﷺ يعرف المصاعب التي يُلاقيها حامل كلمة الحق ، ولذلك قال أيضاً :)

ـ يأتي على الناس زمانٌ ، المؤمنُ فيه أذلُّ من شاته ! [٢] . (فليس أطوَع من النعجة لصاحبها في سائر المخلوقات ، والمؤمن حالَ انتظارِ الفَرَج في ظل أيّة حكومة يكون معها أذلَّ من الشاة مع صاحبها حِفاظاً على العقيدة وطمعاً بالفَرَج الذي قد يمنحه المشاركة في نشر لواء العدل . . وقد قال ﷺ مرة لأمير المؤمنين ؑ :)

ـ يا عليّ : لا يحفظني فيك إلا الأتقياء الأنقياء الأبرار الأصفياء . وما هم في أُمّتي إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود في الليل الغابر ! [٣] . (ثم قال يخاطبه مرة ويُشير إلى المؤمنين المنتظِرين :)

ـ يا أبا الحسن : حقيقٌ على الله أن يُدخل أهلَ الضلالَة الجنّة ! [٤] . (أي الضالّين عن مكان وجود إمامهم ، المؤمنين بغَيْبته عن الأعين ، مع الاستمساك بعُروة الولاية استمساكاً لا يزعزعه ضلالهُم عن تفصيلات أموره ـ لا ضالّين عن الحق كما يتبادر للذهن الساذج ـ بل هم متحيِّرون صابرون ، يتأذّون ممّا الناس فيه من الانحراف ولا يستطيعون إقامة حقٍّ ولا دفع باطل ، يصفهم نبيُّهم ﷺ بقوله عنهم أثناء الغَيبة القاسية :)

---

(١) منتخب الأثر ص ٥١٥ والغيبة للطوسي ص ٢٧٥ .
(٢) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٦٤٥ .
(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٣٠ .
(٤) البحار ج ٥٢ ص ١٤٣ .

ـ عندها يذوب قلبُ المؤمن من جوفه كما يذوب الملحُ في الماء : مما يرى من المنكَر فلا يستطيع أن يغيّره ! . المؤمن يمشي بينهم بالمخافة ، فإن تكلّم أكلوه ، وإن سكَتَ ماتَ بغيظه ! [1] . (وقد رُويَ مثله عن الصادق عليه السلام . ثم قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مرةً لأصحابه :)

ـ لو تعلمون ما لكم في مقامكم بين عدوّكم ، وصبرِكم على ما تسمعون من الأذى ، لَقَرَّت أعينكم ! [2] . (وهفا قلبُه صلى الله عليه وآله وسلم في ساعة تأمُّلٍ إلى المؤمنين المنتظِرين الصادقي الإيمان والصبر ، فقال وعنده بعض أصحابه :)

ـ اللّهم لَقِّني إخواني ! . فقال له واحد : أمَا نحن إخوانك يا رسولَ الله ؟ ! . فقال : لا ، إنكم أصحابي . وإخواني قومٌ في آخر الزمان آمنوا بي ولم يَرَوني . . لقد عَرَّفَنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يُخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أُمهاتهم . ولأحَدُهم أشدُّ بقيةً على دينه من خَرْط القتاد في الليلة الظَّلماء ، أو كالقابض على جمر الْغَضا ! . أولئك مصابيح الدّجى ، يُنْجيهم الله من كل فتنةٍ غبراء مظلمة ! [3] .

(ولا يقصد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سوى الأخيار الأبرار من المؤمنين المنتظِرين ، وعلى رأسهم أنصار القائم بالحق عليه السلام . وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً في الموضوع :)

ـ طوبى للصابرين في غَيبته ! . طوبى للمقيمين على محبّته ! . أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال : ﴿ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [4] . (بل جاء عن الصادق عليه السلام بخصوص هذه الآية الكَريمة) :

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٣٢ وبشارة الإسلام ص ٢٥ ما عدا آخره . وفي إلزام الناصب ص ١٨٢ نصفُه الأول .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٧٤ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ١٢٤ ومنتخب الأثر ص ٥١٥ ـ ٥١٦ باختلاف يسير . ومثله في إلزام الناصب ص ١٣٧ وفي مسند أحمد م ٢ ص ٤٠٨ بلفظ آخر .

(٤) البقرة ـ ٢ ـ ٣ . والخبر في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠١ وإلزام الناصب ص ١٨ والإمام المهدي ص ٥٨ .

ـ المتَّقون : شيعةُ عليٍّ . والغَيب : هو الحُجَّةُ الغائب [1] .

(وعنه ؏ أيضاً :) ـ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بالْغَيْبِ : من أقرَّ بقيام القائم أنه حق [2] .

(وجـاء عن النبيِّ ﷺ :) ـ لا يـزالـون قـومٌ من أُمتي يُقـاتِلون على الحق ظاهرين ـ أي منتصرين ـ إلى يوم القيامة [3] .

(وورد عنـه بلفظ :) لا تزال طـائفة من أُمتي على الحق ظـاهرين ، حتى يـأتي أمرُ الله [4] . (وأعتقد أنه يعني أصحاب رايات الحقّ في آخر الزمان ، الذين يكونـون من أنصار القائم ؏ في حـروبه ، والـذين لا يفتأون يحملون دعـوة الحق ويقـاتِلون بـاسم الإسـلام . وقـال أميـر المؤمنين ؏ مشيـراً إلى مكـان وجـودهم ، وإلى ثُلةٍ منهم :)

قُم يجتمـع فيهـا عبـاد الله المؤمنـون ، ينتـظرون محمـداً وشفـاعتـه للقيـامـة والحساب ، يجري عليهم الهم والغم والأحزان والمكاره [4] .

(وجاء عن الصادق ؏ في قُمّ وأهلِها في حديث :)

ـ . . فيجعل الله قُمّ وأهلَها قائمين مقامَ الحُجة [5] . (أي مراجـعَ للشيعة كمـا هي الحال الآن ، فإنهم حَمَلَةُ الدين والمذهب . فتصوَّر أقوال من نفذت بصيرتُهم الى أبعدِ من اثني عشر قرناً ! ! ! ثم يقول الصادقُ ؏ عنها أيضاً :)

إنمـا سُمِّيَت قُمّ هكذا لأن أهلهـا يجتمعون مـع قائم آل محمـد ، ويقومـونَ معه ويستقيمون على نُصرته [6] . (وجاء عنه ؏ :)

ـ جـرى ذكْرُ أهـل قُمّ أمام أميـر المؤمنين ؏ فتـرحَّم عليهم وقـال : رضيَ الله

---

(١) إلزام الناصب ص ١٣٧ .
(٢) البحار ج ٥١ ص ٥٢ وج ٥٢ ص ١٢٤ ونور الأبصار ص ٢١ والاختصاص ص ١٠١ .
(٣) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥١٦ ومنتخب الأثر ص ٥١٤ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٥٢ و٥٣ والإمام المهـدي ص ١٣٥ ما عـدا آخره عن العسكـري ؏ والاختصـاص ص ١٠١ ، والبحـار ج ٥١ ص ٥٢ و٨٨ وج ٥٢ ص ١٢٤ ونور الأبصار ص ٢١ والمهدي ص ١٩١ .
(٤) الاختصاص ص ١٠١ .
(٥) منتخب الأثر ص ٤٤٣ .
(٦) منتخب الأثر ص ٤٨٥ .

عنهم . ثم قال : إن للجنّة ثمانية أبواب ، وواحدٌ منها لأهل قُمّ ، وهم خِيارُ شيعتنا من سائر البلاد . خَمَّرَ اللّهُ تعالى ولايَتنا في طينتهم[1] . (وورد عنه ﷺ أيضاً :)

ـ إن الله احتجَّ بالكوفة على سائر البلاد ـ يعني الكوفة وَنَجَفَهَا ـ وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد . واحتجَّ ببلدة قُمّ على سائر البلاد ، وبالمؤمنين من أهلها على سائر أهل المشرق والمغرب من الجنّ والإنس . ولم يَدَعِ الله قُمّ وأهلها مستضعفين ، بل وفّقهم وأيّدهم . . إن الدين وأهله بِقُمّ ذليل ، ولولا ذلك لأسرع الناس إليها فخربت قُمّ وخرب أهلُها فلم تكن حُجَّةً على سائر البلاد . وإذا كان ذلك لم تستقرّ السماء والأرض ولم يُنْظَروا . إن البلايا مدفوعة عن قُمّ وأهلها . وسيأتي زمان تكون بلدة قُمّ وأهلها حجّةً على الخلائق ، وذلك في زمن غَيبة قائمنا إلى ظهوره ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها . . إن الملائكة لَتدفع البلايا عن قُمّ وأهلها ، وما يقصدها جبّارٌ بسوءٍ إلا قصَمه قاصم الجبّارين ، وشغَلَهُ عنهم بداهيَةٍ أو بمصيبَةٍ أو عدوّ . ويُنْسي الله الجبّارين من دولتهم ذِكْرَ قُمّ وأهلها كما نسوا ذكْرَ الله ![2] .

(وهذا ما حصل وأنا أكتب هذا الحديث الشريف . فإن قُمّ اليوم محطُّ أنظار الخلائق في العالم ، فقد هبَّ علماؤها وقادةُ الدين فيها ضد إمبراطور إيران ـ الشاه محمد رضا بهلوي ـ الذي تعمّد هتْك حرمة قُمّ ، وهتْك حرمة الدين في سائر أنحاء دولته ، وهو مَن هو في قوة جيشه الهائلة ، فزلزل الشعبُ عرشَه وعلى رأسه علماء الدين في قُمّ ، يُمْلي على ذلك الشعب البطل منهجَ الثورة الإسلامية المباركة زعيمُهُ الدينيّ آية الله الخُمينيّ القابعُ في أقصى الغرب الأورُوبيّ من ضاحية باريس ، ويُوجّه إضراباتٍ شعبيةً عنيفةً نادرة المثيل ، الأمر الذي أدّى بالشاه الجبّار الذي من ورائه جيش مسلّح مُدَرَّبٌ جرَّار ، أدّى به إلى الهرب في ليلةٍ ظَلْماء ناجياً بنفسه ، فانهار عرش ظُلْمٍ حَكَمَ إيران آلاف السنين والحمد للّهِ ربِّ العالَمين . .

فيا قارئي العزيز : لو لم يكن النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار مُمسِكين بخريطة

(١) منتخب الأثر ص ٥١٦ .
(٢) منتخب الأثر ص ٢٦٣ .

العالم ، ينظرون إلى مدينة قُمّ ـ كما هي عليه الآن تماماً ـ لَمّا قالوا عنها ما قالوه ! . فإن حاضرة الدين اليوم في قُمّ ، كما هي في النجف وأكثر ، بل فيها مراجعُ عُظَماء للشيعة ، إلى جانب عدد يصل إلى ستة آلاف عالمٍ وطالب علمٍ ديني ، تختلف مراتبهم بين أعلى مراتب الاجتهاد وأدنى درجات المشتغلين في طلب العلم الدينيّ ! .

فمن أين للنبيّ وأهل بيته عليهم السلام بهذا الغَيب ؟ ! . وكيف عرفوا أن قُمّ ستكون هكذا وهي في زمنهم قرية حقيرة ذات مياه عفِنَة ومناخ متقلّب وفيها عَبَدَةُ أوْثان ؟ ! . نعم عَبَدَةُ أوثان ونيران ! .

هل غير أن ذلك من عند الله الذي خَلَقَ فسوّى ، ثم قدَّرَ فَهَدَى ؟ ! . لا . . لأن أهل قُمّ أسلموا بعد الفتوحات ، أي بعد النبيّ وبعض الأئمة ، ثم تشيَّعوا بعد ذلك بزمنٍ بعيدٍ ، أي بعد عددٍ آخر من الأئمة ، ومع ذلك يقول الصادق عليه السلام بجرأة العقيدة السماوية : . . . تكون بلدة قُمّ وأهلها حُجّةً على الخلائق ! . كأنه هو سيعايشها ، وهو سيتولّى توجيه التربية الدينية فيها ، وهو هو سيرافق تطورّها في مدارج العلم والكمال إلى ما بعد ألف ومئتي سنة . .

وفّقنا اللّهم للأخذ بقول رسولك الكريم ، واجعلنا من المصدِّقين بما جاء به من عندك ، كما أُطلعتَ هذه الصُفوة من الخَلْق على علم ما كان وما يكون . لنكون ممن يُلْقي السمع إلى قولهم وهو رشيد . .

وقد حذَّرنا النبيُّ صلى الله عليه وآله من اليأس، فنقلَ لنا ما خُطَّ بقلم القُدرة على اللّوح المحفوظ من قدَر الله وقضائه ، فقال :)

ـ أخبرني جبرائيلُ أنهم يُظلَمون بعدي ، وأن ذلك الظُّلم يبقى ، حتى إذا قام قائمُهم وَعَلَتْ كلمتهم ، واجتمعت الأمّةُ على محبَّتهم ، وكان الشانيءُ لهم قليلاً ، والكارهُ لهم ذليلاً ، وكَثُرَ المادحُ لهم . وذلك عند تغيُّر البلاد وضعفِ العباد واليأسِ من الفَرَج . فعند ذلك يَظهر القائمُ المهديُّ من وُلدي بقومٍ يُظهِرُ الله الحقَّ بهم ، ويُخمِد الباطلَ بأسيافهم ! . .

مَعاشر الناس : أَبْشِرُوا بالفَرَج ، فإنّ وَعْدَ الله لا يُخْلَف ، وقضاءه لا يُرَدُّ ، وهو

الحكيمُ الخبيرُ ، وانَّ فتْحَ الله قريب(١) .

قال أمير المؤمنين ﷺ:

ـ الآخذ بأمرنا ، معنا غداً في حـظيرة القُـدس (٢) . . (رُويَ عن الصادق ﷺ بلفظه . . وجاء عنه ﷺ بلفظ :)

ـ إنتظروا الفَرَج ولا تيأسوا من روح الله ، فـإن أحبَّ الأعمال إلى الله عـزّ وجلّ انتظار الفَرَج . الآخذُ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القُـدس ، والمنتظِر للفَـرَج كالمتشحِّط بدمه في سبيل الله ! (٣) . (ثم أوصانا أمير المؤمنين ﷺ بالصبر وشجَّعَنا بقوله :)

ـ إتّخِذوا صوامعكم بيوتكم ، وعَضُّوا على مثل جمر الْغَضـا ، واذكروا الله كثيـراً فذكْرُ الله أكبرُ لو كنتم تعلمون (٤) . . (وجاء عنه في الحث على الصبر أيضاً :)

ـ إلْزَموا الأرض واصبروا على البلاء ، ولا تحـرّكوا بـأيديكم وسيـوفكم في هوى ألسنتكم . ولا تستعجلوا بمـا لـم يعجّله الله لكم . فإن من مـات منكم على فـراشـه ، وهو على معرفة حقِّ ربِّه وحقِّ رسوله وأهلِ بيته ، مـات شهيداً ووقـع أجره على الله ، واستوجبَ ثوابَ ما نَوَى من صالح عمله ، وقامت النيَّة مقامَ إصلاتِهِ بسيفه ، وإنَّ لكـلِّ شيءٍ مدَّةً وأجلاً (٥) .

(ثم طالَبنا الإمامُ ﷺ بأكثر من ذلك حين قال :) ـ وذلك زمانٌ لا ينجو فيـه إلاَّ كل مؤمنٍ نُوْمَة ـ أي لا يؤبَهُ له ـ إن شهد ـ أي حضَر ـ لم يُعرف ، وإن غاب لم يُفقد . أولئك مصابيح الهدى وأعلام السُّرى ، ليسوا بالمسابيح ولا المـذاييع الْبُـذُر ! . أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ، ويكشف عنهم ضرَّاء نقمته (٦) . (فما العمـل يا مـولاي

---

(١) المهدي ص ١٦ والإمام المهدي ص ٦٨ و٦٩ .
(٢) منتخب الأثر ص ٤٩٨ والبحار ج ٥٢ ص ١٢٣ .
(٣) البحار ج ٥٢ ص ١٢٣ .
(٤) بشارة الإسلام ص ٦٠ وإلزام الناصب ص ١٨٩ والإمام المهدي ص ٨٢ .
(٥) منتخب الأثر ص ٥١٥ والبحار ج ٥٢ ص ١٤٤ وإلزام الناصب ص ١٣٨ نقلاً عن نهج البلاغة ، وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٤ وص ٢٠٤ .
(٦) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩٨ والغيبة للطوسي ص ٢٧٩ وشرح النهج م ٢ ص ١٩٧ والبحـار ج ٥١ ص ١١٢ ثلثه الأول ، وكذلك في معاني الأخبار ص ١٦٦ وفي بشارة الإسلام ص ٥٥ .

وكُلّنا مسابيح لا يقرُّ لنا قرار ، ومذاييع لا يهدأ لنا لسـان ، وبُذُرٌ نمّـامون نقضي حيـاتنا في الهذر والعمل الفـوضويّ ؟ ! . ولن يَنجـوَ إلاّ من كان نُوَمَة ، وإلاّ من وعى قـولك حين قلت :)

ـ والله ما يكون ما تأملون حتى يَهلك المُبطِلون ، ويضمحلُّ الجـاهلون ، ويأمنَ المُتّقون ، وقليلٌ ما يكون . حتى لا يكون لأحدكم موطنُ قدَمـه ، وحتى تكونـوا أهونَ على الناس من الميتة عند صاحبها ! . فبَينا أنتم كذلك إذ جاء نصرُ الله والفَتح [1] .

(فلن ينجـوَ إلا مَن استمع لـوعدك حين قلت يـا سيِّدي :) ـ مـا يجيء أمـر الله حتى تكونوا أهـون على الناس من الميتـة ! . ألاَ فتوقّعـوا من إدبار أمـوركم ، وانقطاع وصلكم ، واستعمال صغاركم . . ذلـك حين تكون ضـربة السيف على المؤمن أهـونَ من الدرهم من حِلّه . ذاك حيث يكون المعـطَى أعظم أجـراً من المعطي . ذاك حيث تَسكرون من غير شرابٍ بل من النعمة والنعيم ، وتحلفون من غير اضطرار ، وتكـذِبون من غير إحراج . وذلك إذا عضّكم البلاء كما يعضّ القَتَب غارب البعيـر . . ما أطـولَ هذا العناء ، وأبعدَ هذا الرجاء ! [2] . (رُوي عن الصـادق عليه السلام مثله . . وصدَقتَ يـا أبا الأئمة : إننا سكارى النعمة والأشَر والبطَر ، فلا عجبَ إذا غـزتْنا ألـوانُ البلاء التي تعضّ أفئدتنا كما يعضّ القَتَب ظهر الْجَمَل لأن الدنيا أعمت بصائرنا قبـل أبصارنـا ! . وقد أصبح المعطي يُعطي لِلسُّمعـة والريـاء ، وبقي المعطَى لـه مسكيناً حـامداً شـاكراً لأنْعُم ربه . .

وقـد جاء عنـه وعن بعض حفَدَتـه عليهم السلام قولُهم الـذي يدعـون فيه إلى الانتـظار الطويل والصبر :)

ـ مزاولةُ قلع الجبال أيسرُ من مزاولة مُلْكٍ مؤجَّل ! . ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ لا تُعـاجلوا الأمر قبـل بلوغـه فتندمـوا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمـر فتقسـوا قلوبكم [3] . (أي اصبـروا دون أن

---

(1) إلزام الناصب ص ٢٢ ـ ٢٣ والإمام المهدي ص ٤٤ : قريب منه عن الصادق عليه السلام .

(2) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٦ وبشـارة الإسـلام ص ٨٣ ومنتخب الأثـر ص ٣١٤ ـ ٣١٥ وينـابيـع المودة ج ٣ ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(3) الأعراف ـ ١٢٨ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ١٢٣ .

تجزموا بأن موعد الظهور بعيد ، فتقعوا في اليأس . وانتظِروا الفَرَج لتبقى قلوبكم ليّنةً مطمئنة إلى تقدير الله . . ثم قال موجِّهاً ومربّياً أرفع تربية :)

ـ كونوا كالنحل في الطير ، ليس شيءٌ من الطير إلاّ وهو يستضعفها . ولو علمت الطير ما في أجوافها من البرّكة لم تفعل بها ذلك ! . خالِطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم ، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم . فوَالذي نفسي بيده ، لا تَرَون ما تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض ، وحتى يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين ، وحتى لا يبقى منكم إلاّ كالكُحل في العين والملح في الطعام ! . وسأضرب لكم مثلاً ، وهو مَثَل رجلٍ كان له طعام ـ أي قمح ـ فنقّاه وطيّبه ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله . ثم عاد إليه فإذا هو قد أصاب طائفةً منه السوسُ ، فأخرجه ونقّاه وطيّبه وأعاده . ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رُزمة كرُزمة الأَنْدَر ـ القمح بقشّه ـ لا يضُرُّه السوس شيئاً . وكذلك أنتم : تميَّزون ، حتى لا يبقى منكم إلاّ عصابة لا تضُرُّها الفتنة شيئاً (١) . (وقد رُوي عن الباقر ﷺ قريب منه ، هذا لفظه :)

ـ واللّهِ لَتُمَيَّزُنّ ، واللّهِ لَتُمحّصنّ ، واللّهِ لَتُغَربلنّ كما يُغربَلُ الزُّوان من القمح (٢) . (وبهذا اللفظ رُوي عن الصادق ﷺ بزيادة : حتّى لا يبقى منكم إلاّ الأقلّ . ثم صرّ كفّه تقليلاً . . وسئل : كم مع القائم من العرب ؟ . فقال : نفرٌ يسير . فقيل له : وَاللّهِ إنّ مَن يَصِفُ هذا الأمر منهم لَكثير ! . قال : لا بُدّ للناس أن يُمَحّصوا ويُميَّزوا ويُغربَلوا ويَخرج من الغربال خلق كثير . . مع القائم من العرب نَفَرٌ يسير (٣) ! .

(فأمرُ عليّ ﷺ لنا بأن نكون كالنحل هو أمر لنا بأن لا نحمل في قلوبنا إلا الخير والبرَكة ، وبأن نلتزم بالآداب الرفيعة لنحافظ على جوهر معتقدنا ، كالنحل التي

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ١١٥ ـ ١١٦ والغيبة للنعماني ص ٨ وص ١١٢ وبشارة الإسلام ص ٥٢ وإلزام الناصب ص ٨٠ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٠٩ والبحار ج ٥٢ ص ١١٤ عن الباقر ﷺ وص ١٠١ عن الصادق ﷺ قريب منه وبشارة الإسلام ص ٩٠ بلفظ قريب وص ١٢٩ . وإلزام الناصب ص ٧٩ و٨٠ .

(٣) الكافي م ١ ص ٣٧٠ والغيبة للنعماني ص ١٠٨ والبحار ج ٥٢ ص ١١٤ و٣٤٨ وبشارة الإسلام ص ٢٠٥ وإلزام الناصب ص ٧٨ و٧٩ .

لا تظهر الطير على ما في جوفها من خالص رحيق الأزهار ، وإن كانت الطير تستضعفها كما يستضعفنا الناس . . ورُوي عنه ﷺ قولُه :)

اللّهمَّ وإني أعلم أنَّ العلْمَ لا يأرزُ كلُّه ، ولا ينقطع موادُّه ، وانك لا تُخلي الأرض من حُجَّةٍ لك على خلقِك : ظاهرٍ ليس بالمطاع ، أو خائفٍ مغمور ـ أي متستِّر ـ كي لا تَبطُلَ حُجَجُك ، ولا يَضلَّ أولياؤك بعد إذ هديتَهم . . بل أين هم ؟ . . وكم ؟ . أولئك واللّهِ الأقلّون عدداً ، والأعظمون عند الله جلَّ ذِكْرُهُ قَدْراً ، المُتَّبِعون لِقادة الدِّين : الأئمةِ الهادين ، الذين يتأدَّبون بآدابهم ، وينهجونَ نهجَهُم . فعند ذلك يهجم بهم العلمُ على حقيقة الإيمان ، وتستجيب أرواحهم لقادة العلم ، ويَستلينون من حديثهم ما اسْتَوْعَرَ على غيرهم ، ويأنسون بما استوحشَ منه المكذِّبون وأباهُ المُسْرفون . أولئك أتباع العلماء ، صَحِبوا أهلَ الدُّنيا بطاعَة الله تبارك وتعالى وأوليائه ، ودانوا بالتَّقيَّة عن دينهم والخوفِ من عدوِّهم ، فأرواحُهُم معلَّقةٌ بالملأ الأعلى ، وعلماؤهم ـ أي أئمَّتهم ـ خُرْسٌ صُمْتٌ في دولة الباطل ! . هَا ، هَا ، طوبَى لهم على صَبرهم على دينهم في حال هُدنتهم ـ أي أثناء فترة غياب إمامهم ـ ويا شَوقاهُ إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم ! . وسَيجمَعنا الله وإيَّاهم في جنَّة عَدْنٍ ومَن صلَح من آبائهم وأزواجهم وذرِّيَّاتهم [1] . (وورد عنه حديث آخر مثله ، نهايتُه :)

ـ . . . فتستجيبُ أرواحهم لقادة العلم ، ويباشرون روح اليقين ، ويستلينون من حديثهم ما استوعَر على غيرهم من المترَفين ، ويأنسون بما استوحش منه المكذِّبون وأباه المسرفون . أولئك أتباع العلماء ـ أي الأئمة ـ صَحِبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه ، ودانوا بالتقيَّة عن دينهم والخوف من عدوِّهم . فأرواحهم معلَّقة بالملأ الأعلى ، وعلماؤهم ـ أي أئمتهم ـ خُرْسٌ صُمْتٌ في دولة الباطل ، منتظرون لدولة الحق . وسيُحقُّ الله الحقَّ بكلماته ويمحق الباطل . هَا ، هَا ! . طوبَى لهم على صبرهم على دينهم في حال هُدنتهم ! . ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم ! . ﴿ وسيجمعنا الله وإياهم في جنَّة عَدْنٍ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

---

(١) الكافي م ١ ص ٣٣٥ وص ٣٣٩ نصفه الأول ، والغيبة للنعماني ص ٦٨ باختلاف يسير . ونهج البلاغة ج ٤ ص ٣٧ .

وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ (١) .

(ألَا إن النفْس لا تَشبع من بليغ كلامك يا باب مدينة العلْم . . لأنه فوق كلام الناس مبنىً ومعنىً وإن كان دون كلام الخالق كما قيل ! . فإنك قد بيَّنت كيف تكون حالة المؤمنين المعترفين بابْنِك القائم ، كاشفِ الْغُموم عن وجه الكرة الأرضية ، يوم يؤازره في ذلك أنصارٌ من أشياعكم توارثوا الولاية لكم جيلاً بعد جيل يؤدِّيها السلَف إلى الخَلَف ، آخذين عنك بعضَ الإيمان ، وبعض العزيمة ، حين انبريتَ مع رسول الله ﷺ يافعاً تتحدّى الرؤوسَ الكبيرة من جبابرة قريشٍ وعتاة الكفار يوم بُزُوغ فَجْرِ الدعوة إلى الهدى ! . ثم كأنّه قال مُختَتِماً :)

ـ شيعتُنا ومُحِبُّونا عند الناس كُفّار ، وعند الناس خاسرون ، وعند الله رابحون ، فازوا بالإيمان وخَسِرَ المنافقون (٢) . (وليس أخْبَرَ منك بشيعتك يا سيِّدي ، فإنهم عند الناس كما قلتَ . . وفازَ مَن تولّاك وسار على صراطك وصراط أبنائك الميامين ، الذي هو صراطُ الله وصراط رسوله الكريم . .) .

قالَ الإمَام الحسَين عليه السلام :

ـ له غَيبةٌ يَرتَدُّ فيها قومٌ ويثبتُ على الدِّين آخرون ، فيؤذَن لهم ويقال لهم : مَتَى هذا الْوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين ؟ ! . أمَا إنَّ الصابرَ في غَيبته على الأذى والتكذيب ، بمنزلةِ المجاهد بالسيف بين يَدي رسول الله ﷺ (٣) .

(وورد بلفظه عن الصادق عليه السلام وما أقلَّ كلامَ أبي عبد الله الحسين الشهيد عليه السلام في مختلف المواضع ! . ولكنْ ما أبْلَغه وأوسعه واشْمَله ! . فالحسين عليه السلام صاحبُ سيفٍ قال كلمتَهُ الفاصلةَ بين الحقِّ والباطل يومَ كربلاء، فكان

---

(١) الرعد ـ ٢٣ . والمؤمن ـ ٨ والخبر في الكافي م ١ ص ٣٣٥ ومنتخب الأثر ص ٢٧٠ أوله بلفظ قريب .

(٢) إلزام الناصب ص ١٩٧ .

(٣) الآية الكريمة في : يونس ـ ٤٨ ، والأنبياء ـ ٣٨ ، والنمل ـ ٧١ ، وسبأ ـ ٢٩ ، ويس ـ ٤٨ ، والملك ـ ٢٥ . والخبر : في البحار ج ٥١ ص ١٣٣ وإعلام الورى ص ٣٨٤ وإلزام الناصب ص ٦٧ والغيبة للطوسي ص ٢٠٤ أوله عن أمير المؤمنين عليه السلام ومثله في بشارة الإسلام ص ٣٩ والملاحم والفتن ص ١٥٣ والإمام المهدي ص ٨٩ .

كلامٌ سيفِهِ أبْلَغَ قولٍ حفلتْ به بُطون الكتب في ترسيخ العقيدة ترسيخاً فريداً . لأنَّ وقْفَتَه يومئذٍ بَنَتِ العقيدة الإسلامية بناءً متيناً بعد مَوقفٍ فَذٍّ كان له على صعيد الطَّفِّ ، ضاقَ عنه تاريخُ أمَّةِ جدِّه ، بل ضاقت عن تحليلِهِ وسَبْر غَوْرِ أبعاده تواريخُ الأمم جمعاء ، لِمَا فيه من أريحيَّةٍ عجزَ الدهرُ عَن أن يُرْهِصَ بمثلها ! .

وقد قاسَ الحسين عليه السلام صبرَ المجاهدين على الأذى في غَيبة إمام العصر ، بمقياس الجهاد لا بغيره من المقاييس ، لأنّه سيِّد المُجاهدين للباطل والمدافعين عن حقِّ السماء ، ولأنَّ الجهادَ هو الحكمُ الفصلُ عنده . ولأن للحسين فضلاً كبيراً في عُنق كلِّ مَن نَطق بالشهادَتَين من المسلمين حتى اليوم) .

قال الإمام زين العَابدين عليه السلام :

- إنتظار الفَرَج من أعظمِ العمل ! [1] . (ولا يعجبنَّ القارىء من ذلك فقد عرضنا لمثل هذا المعنى ، وأوضحنا أن قبول العمل مشروطٌ بالصحة وبالولاية التي رفع الرسول صوته بها مراراً وتكراراً فطمس أخبارَها ذهبُ معاوية وذهبُ خلَفه حتى آخر العهد العباسي الذي انتهى بالذهب والسيف ! . ولا يبعد أن يكون العمل الواجب في ضمن هذا القول ، ويكون معناه : أفضل من العمل الذي يأتي على خلاف ما أمر الله تعالى به . فالانتظار معناه اتِّباع الحقّ ، ومَن اتَّبع الحقَّ لا يترك الصلاةَ مثلاً ويكتفي بالتمسُّك بالولاية ، ولا يترك صَوماً ولا فريضةَ حَجٍّ ولا يتهاون بأمر من أمور دِينه ثم يجلس مُنتظِراً ! . وبهذا المعنى جاء عن الصادق عليه السلام قولُه :)

- أفضلُ البقاع ما بين الرُّكن والمقام . ولو أن رجلاً عُمِّرَ ما عُمِّر نوحٌ في قومه ألفَ سنةٍ إلاَّ خمسين عاماً ، يصوم النهار ويقوم الليل - أي متعبِّداً - في ذلك المكان ، ثم لقِيَ اللّهَ بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً ! [2] .

(ثم قال زين العابدين عليه السلام) : - من ثبتَ على ولايتنا في غَيبة قائمنا ، أعطاه الله

---

(١) منتخب الأثر ص ٢٤٤ .
(٢) الوسائل م ١ ح ١٢ ص ٩٣ وفي ص ٩٤ جملة أحاديث بمعناه وبلفظ مختلف ، وجامع أحاديث الشيعة م ١ ص ١٢٤ .

أجر ألف شهيد مثل شهداء بَدْرٍ وأُحُد [1] . . (ذاك أن مجرَّد التصديق بالغَيب ذو أهمية كبرى عند الله عزّ وجلّ ، فهو القائل :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [2] . وقوله حق . فلا إيمانَ بلا تصديق . وقد فسَّر الإمامُ قوله هذا بقولٍ آخر جاء فيه :) .

ـ إن أهلَ زمان غَيبته ، والقائلين بإمامته ، والمنتظرين لظهوره ، أفضلُ من أهل كل زمان ، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغَيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلَهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يَدَي رسول الله ﷺ بالسيف ! . أولئك المخلَصون حقّاً ، وشيعتُنا صدقاً ، والدعاةُ إلى دين الله سرّاً وجهراً ! [3] .

(وهل في ذلك عَجب وهم يحملون هذه العقيدة ، ويبقَون حَمَلَةَ دعوة الرسول عبر العصور ، ينقلها الأعقاب للأعقاب ، وتودِعها الصدور في الصدور لتبقى حيَّةً قائمة تنفخ الروح في أنصار دولة الحق آخرَ الزمان ! ! ثم يفسِّر السجّاد عليه السلام ما يلاقي حَمَلَةُ هذه العقيدة من الفتن فيثبتون في ساحة الجهاد وينالون مرتبة الأخيار الأبرار ، بقوله :)

ـ لَتأتينَّ فتنٌ كَقِطَعِ الليل المظلم ، لا ينجو منها إلاّ من أخذ الله ميثاقه . أولئك مصابيح الهدى وينابيعُ العلْم ، يُنجيهم الله من كل فتنةٍ مُظلمة [4] . . (فأرباب هذه العقيدة في جهاد مستمرٍّ مع مُنكِريها ، منذ تفوَّه بها النبيّ الكريم ﷺ إلى يوم الدين كما ترى في بطون كتب التاريخ . .) .

---

(1) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٢ والبحار ج ٥٢ ص ١٢٥ ومنتخب الأثر ص ٥١٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٤ بلفظ آخر وإعلام الورى ص ٤٠٢ وإلزام الناصب ص ٦٧ و ١٣٧ .

(2) الحديد ـ ١٩ .

(3) البحار ج ٥٢ ص ١٢٢ ومنتخب الأثر ص ٢٤٤ وإعلام الورى ص ٣٨٥ وإلزام الناصب ص ٦٧ و١٣٧ .

(4) البحار ج ٥١ ص ١٣٥ ومنتخب الأثر ص ٣١٢ والإمام المهدي ص ٩٠ .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ ما يُبالي من عرَّفه الله هذا الأمر أن يكون على قُلَّة جبلٍ يأكل من نبات الأرض حتى يأتيه الموت ! [1] . (مبيِّناً أن معرفة هذا الأمر خيرٌ للإنسان من زِبْرِجِ الدنيا وزُخرفها ونَعيمها الزائل . . ثم دعا في تأويل الآية الكريمة شيعته المؤمنين إلى الانتظار والصبر ، فقال عليه السلام :)

ـ ﴿ يا أيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ : عَلَى أَدَاءِ الفرائض ، ﴿ وَصَابِرُوْا ﴾ : على أذيّةِ عدوِّكم ، ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ : إمَامَكُم المهديّ المنتظَر . مَن مات وهو عارِفٌ لإمَامِه لا يَضُرّه تَقدَّمَ هذا الأمرُ أو تأخّر . ومَن ماتَ وهو عارفٌ لإمامه كان كمَنْ هو مع القائم في فُسطاطه . . [2] .

(وجاء عنه عليه السلام :) ما ضَرَّ من مات منتظِراً لأمرنا ألَّا يموت في وسط فُسطاط المهديّ وعسكره [3] ؟ ! ! (أي موتَ الشهداء . وقد رُوي بلفظه عن الصادق عليه السلام . . وقال :)

ـ إعلموا أن المنتظِر لهذا الأمر له مثل أجر الصائم القائم [4] . (ولا يفوتَنَّنا أن أيَّ انتظار لا يسبقه العمل بأوامر الله كوحدةٍ لا تتجزَّأ يكون انتظار جهل وسفَه . . ثم قال عليه السلام :)

ـ رحم الله عبداً حبس نفسَه علينا ، رحم الله عبداً أحيَى أمرنا ! [5] . (فقال له واحدٌ من أصحابه سمع ذلك : فإن متُّ قبل أن أُدرك القائم ؟ . فقال :)

ـ القائلُ منكم : إن أدركتُ القائم من آل محمدٍ نَصرتُه ، كالْمُقارع معه بسيفه والشهيد معه ، وله شهادتان [6] . . (وتقدير قيمة هذه العقيدة مرةً بالشهيد ومرةً

---

(١) الكافي م ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) آل عمران ـ ٢٠٠ ، والخبر في منتخب الأثر ص ٥١٥ وص ٤٩٨ والكافي م ص ٣٧٢ والغيبة للنعماني ص ١٠٥ و ١٨٠ .

(٣) الكافي م ١ ص ٣٧٢ ومنتخب الأثر ص ٤٩٨ وإلزام الناصب ص ١٨ ما عدا آخره .

(٤) الكافي م ٢ ص ٢٢٢ .

(٥) البحار ج ٥٢ ص ١٢٦ .

(٦) منتخب الأثر ص ٤٩٥ والبحار ج ٥٢ ص ١٢٦ .

بالألف شهيد ، يدل على أهميتها وعلوّ مرتبتها لا أكثر . . وقد قال عليه السلام :)

ـ لا يكون الذي تنتظرون حتى تكونوا كالْمَعز الْمِواهِ التي لا يُبالي الخابسُ ـ أي الجزّار ـ أين يَضع يدَه منها ! . ليس لكم شرفٌ تشرفونه ، ولا سندٌ تُسنِدون إليه أمركم [1] . (وورد بلفظ : الْمَعز المهوّلة : المذعورة ، ورُوي هذا عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً ، ثم قال الباقر عليه السلام :)

ـ أكتموا أسرارنا ، ولا تحملوا الناس على أعناقنا ـ أي على تعقُّب أمورنا وقتْلنا ـ . وانظروا أمرنا وما جاء عنّا : فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به ، وإن لم تجدوه موافقاً فردُّوه ، وإن آشتبه عليكم الأمر فقِفوا عنده [2] . (أي : خذوا النص ولا تطلبوا تفسيره ممن لا يستطيع بيانَه وردُّوه بمسؤوليته إلينا فنحن أعلمُ بباطنه وظاهره . . وقد غضب مرةً من كثرة التنويه ومحاولة إقناع الآخرين ، فقال :)

ـ إن حديثكم هذا لَتَشمئزُّ منه القلوب ، قلوبُ الرجال . فانبُذوا إليهم نَبذاً ـ أي ألقوه دون تعليق ـ فمن أقرَّ به فزيدوه ، ومن أنكره فَذَروه ! . لا بدَّ أن تكون فتنةٌ يسقط فيها كل بِطانة ووليجَة ـ أي كل وسيلة تقرُّب من الحاكمين ـ حتى يسقط فيها من يشقُّ الشعرة بشعرتَين ـ أي الذكيّ الحاذق ـ حتى لا يبقى إلاّ نحن وشيعتنا [3] . . (ونحن قد عملنا بأمره . . وها نحن ننبذ نَبْذاً ، ونَعرض القضية بجميع ما يواكبها عرضاً ، لننبِّه إخواننا في الإنسانية إلى ما فيه طريق خلاصهم وفلاحهم . . ثم حثَّ على عدم القنوط فقال عليه السلام :)

ـ وخروجُه إذا خَرج عند اليأس والقُنوط من أن يَروا فَرَجاً . فطُوبَى لمن أدركَه وكان من أنصاره ، والويلُ كلُّ الويلِ لمن خالفه وخالفَ أمره وكان من أعدائه ! . لا يأخذُه في الله لَومةُ لائم ! [4] .

(1) البحار ج ٥٢ ص ١١٠ و٢٦٤ والغيبة للنعماني ص ١٠١ وبشارة الإسلام ص ٥٣ و٨٩ .
(2) البحار ج ٥٢ ص ١٢٣ ومنتخب الأثر ص ٥١٢ .
(3) الغيبة للنعماني ص ١٠٧ والكافي م ١ ص ٣٧٠ والبحار ج ٥٢ ص ١١٥ وإلزام الناصب ص ٧٩ و٨١ و٢٢٩ .
(4) إلزام الناصب ص ١٨٨ ـ ١٨٩ وبشارة الإسلام ص ٩٢ و١١٠ و١١٥ ومنتخب الأثر ص ٤٣٤ والإمام المهدي ص ٢٢٩ والغيبة للنعماني ص ١٢٣ و١٣٥ والمهدي ص ١٨٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣١ وص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

ـ من دين الأئمة الورعُ والعفةُ والصلاحُ ، وانتظارُ الفَرَج بالصبر[1] . . (ولا تغيبنّ اللّفظةُ الأخيرة عن البال ، فلا بدّ من الصّبر وتحمُّلِ صعوبته . . ثم قال يوماً لصاحبه أبي الجارود مُلخصاً العقيدة ، لينقُلَ صاحبُه عنه :)

ـ ديني ودينُ آبائي الذي تَدِيْنُ الله تعالى به : شهادةُ أنْ لا إلّه إلّا الله ، وأن محمداً رسولُ الله والإقرارُ بما جاء به من عند الله ، والولايةُ لِوَلِيّنا ، والبراءةُ من عدوّنا ، والتسليمُ لأمر ربّنا [2] .

(ثم قال مبيّناً أهميّة الولاية :) وَاللّهِ لَولا أنَّ الله فرضَ ولايتَنا ومودّتنا ، ما أدخلناكم بُيوتَنا ، ولا أوقفناكم على أبوابنا . واللّهِ ما نقول بأفواهنا ، ولا نقول برأينا ، إلا ما قال ربُّنا [3] .

(ثم يُسَلّي المنتظرين ويُثبِّتهم بقوله عليه السلام :)

ـ لو قد خرج القائم عليه السلام بعد أن أنكره كثير من الناس ، يرجع إليهم شاباً موفّقاً ـ أي مسدّداً رشيداً ـ فلا يثبت عليه إلّا كل مؤمنٍ أخذ الله ميثاقه في الذّر الأول [4] . (فلا يستقرُّ على الاعتراف به إلّا كل مؤمن جُبِل على الولاية . . وهؤلاء هم المنتظِرون حقاً . . ثم يشير إلى ما نلاقيه من صعوبة فيدعو لنا بالْعَون :)

ـ أن أهل الحق لم يزالوا ، منذ كانوا ، في شدّة . أمَا إن ذلك إلى مدةٍ قريبةٍ ، وعاقبةٍ طويلة [5] . . (وقد سأله صاحبُه الجليل ، أبو بصير : ما بال أمير المؤمنين لم يقاتِل مخالِفيه في الأول ؟ . فقال عليه السلام :)

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٩٨ وبشارة الإسلام ص ٩٠ .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٩٧ و٤٩٩ وجامع أحاديث الشيعة م ١ ص ١٢٥ عن الباقر عليه السلام والغيبة للنعماني ص ١٠٦ .

(٣) جامع أحاديث الشيعة م ١ ص ١٧ .

(٤) الغيبة للنعماني ص ٩٩ و١١٣ والغيبة للطوسي ص ٢٥٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٧ و٣٨٥ وإلزام الناصب ص ٨٠ وبشارة الإسلام ص ٢٤٩ والمهدي ص ٢٠٦ ما عدا آخره .

(٥) الوسائل م ٢ ح ٣ ص ٩٠٧ والغيبة للنعماني ص ١٥٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٨ .

ـ لِآيَةٍ في كتاب الله : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ، لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [1] . فقال له : وما يعني تزايلهم ؟ . قال : ودائعُ مؤمنون في أصلابِ كافرين . فكذلك القائم عليه السلام لن يظهر حتى تَخرج ودائعُ الله عزّ وجلّ . فإذا خرجت ظهَرَ ـ أي انتصر ـ على من ظهر ـ أي قام بالسيف ـ من أعداء الله عزّ وجلّ فقتلهم [2] . (والودائع الأولى : هي النُّطَفُ المؤمنة تخرج من أصلابِ كافرة ، وودائع الله الأخيرة : هم أنصار القائم عليه السلام ومن كان غيرهم من المؤمنين في أصلاب كافرين لم يقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام حتى تتحدّر منهم ذرّياتهم المؤمنة التي تحملها أصلابهم ، أو ستحملها أصلاب أعقابهم . ثم قال عن الفتن والإرتداد إبّانَ الغيبة يخاطب جماعةً من أصحابه خاضوا في هذا الحديث بحضرته :)

ـ هيهات ، هيهات ! . لا وَاللّهِ لا يكون ما تَمُدُّون إليه أعينكم حتى تُغربَلوا ! . لا والله ما يكون ما تَمُدُّون إليه أعينكم حتى تُمَحَّصوا ! . لا يكون ما تَمُدُّون إليه أعينَكم حتى يَشقَى مَن يَشقَى ويَسعَدَ من يَسعد.[3] . (وقال بنفس المعنى :)

ـ لا بدَّ للناس أن يمحّصوا ويميَّزوا ويغربَلوا . إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد أيساس ! . لا واللّهِ حتى يشقى من يشقى ، ويسعد من يسعد ! [4] . (ورُوي عن الرضا عليه السلام بلفظه . وقال الصادق عليه السلام أيضاً :)

ـ واللّهِ لَتُكْسَرنَّ كَسْرَ الزُّجاجِ ! . وإن الزجاج لَيُعاد فيعود كما كان . واللّهِ لَتُكْسَرنَّ كَسْرَ الْفَخّار ، وإن الفخّار لا يعود كما كان ![4] . (وقال محذِّراً من اليأس) :

---

(1) الفتح ـ ٢٥ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٩٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٤ والإمام المهدي ص ٥٦ وإلزام الناصب ص ٣٠ و١٢٧ وبشارة الإسلام ص ٢٥٦ ومنتخب الأثر ص ٢٩٠ بلفظ آخر .

(2) إلزام الناصب ص ٧٩ .

(3) البحار ج ٥٢ ص ١١١ والغيبة للنعماني ص ١١١ عن الباقر عليه السلام وبشارة الإسلام ص ٤٠ و١٠٠ و١١٧ وإلزام الناصب ص ٧٩ وفي الكافي م ١ ص ٣٧٠ بلفظ آخر وكذلك في الغيبة للطوسي ص ٢٠٤ وفي منتخب الأثر ص ٣١٤ .

(4) الغيبة للنعماني ص ١١٠ وبشارة الإسلام ص ٤٠ و١٢٩ وإلزام الناصب ص ٧٩ والبحار ج ٥٢ ص ١٠١ ومنتخب الأثر ص ٣١٥ ما عدا آخره ، وكذلك في الغيبة للطوسي ص ٢٠٦ .

ـ لا يَثبتُ على إمامته إلاّ مَن قَوِيَ يَقينُه وصَحّتْ معرفَتُه (١) . (وقال مُنذراً ومبشّراً ومدرِّباً على الخُلق السَّمح) :

ـ رحمكم الله . . بنا يبدأ البلاء ، ثم بكم . . وبنا يبدأ الرَّخاء ، ثم بكم . رحم الله من حَبَّبنا إلى الناس ولم يكرِّهنا إليهم (٢) . . (ثم قال ﷺ :)

ـ إنَّ الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ : فمن عرف إمامَه كان كمن هو في فسطاط المنتظَر (٣) . (ثم ورد عنه مثل ما ورد عن آبائه في قوله :)

ـ إعرفْ إمامك ، فإنك إن عرفته لم يضرُّك تقدَّم هذا الأمر أو تأخَّر . ومن عرف إمامه ، ثم مات قبل أن يرى هذا الأمر ، كان له مثل أجر من قُتِل معه (٤) . .

(وقال ﷺ يَعِد المنتظِرين :) ـ مَن أدرك قائمنا فقُتل معه كان له أجرُ شهيدين ، ومَن قَتل بين يديه عدوّاً لنا ، كان له أجر عشرين شهيداً (٢) . (والاختلاف في عدد الشهداء يمكن أن يكون قد جاء من تواتر النقل أو من النسيان عند الرواة ، أو من كثر الإستنساخ . . ثم قال ﷺ :)

ـ مَن مات منكم على هذا الأمر ، منتظِراً له ، كان كمن كان في فُسطاط القائم ! .

إنَّ الميِّت منكم على هذا الأمر ، بمنزلة الضارب بسَيفه في سبيل الله ! . المنتظِرُ للثاني عشر كالشاهر سيفَه بين يدَي رسول الله ﷺ يذُبُّ عنه (٦) .

(١) ينابيع المودة ج ٣ ص ٨٢ ومنتخب الأثر ص ٢١٥ .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ٣٤٧ .
(٣) الغيبة للنعماني ص ١٨٠ .
(٤) منتخب الأثر ص ٥١٥ والغيبة للطوسي ص ٢٧٦ والكافي م ١ ص ٣٧١ وفي نور الأبصار ص ١١٤ ـ ١١٥ : منْ ماتَ على حُبِّ آل محمد مات شهيداً ، ومن مات على بُغضِ آل محمدٍ لم يَشُمّ ريحَ الجنة . (في حديث طويل نقلَهُ عن النبيّ ﷺ وصاحب الكتاب من أعظم الكارهين للشيعة الإثني عشرية ! !) .
(٥) البحار ج ٥٢ ص ٣١٧ .
(٦) منتخب الأثر ص ٤٨٥ وص ٤١ بلفظ آخر ، والغيبة للنعماني ص ٤١ و١٧٩ والبحار ج ٥٢ ص ١٢٥ و١٢٦ وإلزام الناصب ص ١٣٧ و١٣٨ .

(وقـال البـاقـر ﷺ بنفس المعنى السـابق :) ـ . . . من مـات وهـو عـارف لإمامِه ، لم يضرَّه تقدُّم هذا الأمرُ أو تأخّر ، ومن مـات وهو عـارفٌ لإمامِه ، كان كمن هو مع القائم في فُسطاطه (١) . . (أي في سُرادِقِه ، يشترك في ديوانِه الحربيِّ ويوجِّهُ الناس للجهاد في سبيل الله . .

وسـألَ الصـادق ﷺ أحـدُ أصحـابه يـومـاً : أيُّمـا أفضَـلُ ، نحن أو أصحـابُ القائم ﷺ ؟ . قال :)

ـ أنتم أفضل من أصحاب القائم ، وذلك أنكم تُمسـون وتُصبحون خـائفين على إمـامكم وعلى أنفسكم من أئمة الْجَـور . وإن صلَّيتم فصلاتكم في تقيَّـة ، وإن صُمتم فصيـامكم في تقيَّـة ، وإن حججتم فحجكم في تـقيَّـة ، وإن شـهـدتم لـم تُقبـل شهادتكم ! . فقال لـه واحدٌ منهم : فمـا نتمنّى القائم ﷺ إذا كـان هذا الأمـر ؟ ! ! (أي لِمَ نتمنّاه ما زالت حالتنا في غَيبته بخيرٍ كهذا الذي تذكره ؟ .) فقال له : سبحانه الله ، أمَـا تحبّ أن يـظهـر العـدل ، ويـأمن السبُـل ، ويُنْصَفَ المـظلوم ؟ ! ! ! (٢) . (وقال ﷺ مُخفِّفاً عن المنتظِرين) :

ـ هـو المفرِّج الكـربَ عن شيعتِه بعـد ضنكٍ شـديدٍ ، وبـلاءٍ طويـلٍ ، وجَور . فطوبَى لمن أدرك ذلك الزمان (٣) . (ومن تشجيعه للمنتظرين قولُه ﷺ :)

ـ أقرب ما يكون العبادُ من الله ، وأرضَى مـا يكون عنهم ، إذا افتقـدوا حُجة الله فلم يظهر لهم ، ولم يعلموا بمكانه . وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبـطل حُجة الله ولا ميثاقه . فعند ذلك تـوقعوا الفَـرَج صباحـاً ومساءً . فـإنَّ أشدَّ مـا يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حُجته فلم يظهر لهم ! . وقـد علم أن أولياءه لا يـرتابـون . ولو علم أنهم يـرتابـون ما غيَّب عنهم حُجتـه طرفـة عين . ولا يكون ذلـك إلاّ على رأس شِـرار الناس (٤) . (أي أنه لا يخـرج إلاّ في عهد كُفـرٍ ومُروق كـالذي ننغمس فيـه نحن إلى

(١) البحار ج ٥٢ ص ١٤٢ والغيبة للنعماني ص ١٨٠ وإلزام الناصب ص ١٣٧ .
(٢) الاختصاص ص ٢١ والبحار ج ٥٢ ص ١٤٤ والكافي م ١ ص ٣٣٣ .
(٣) إلزام الناصب ص ١٣٨ .
(٤) الغيبة للطوسي ص ٢٧٦ والغيبة للنعماني ص ٨٣ـ ٨٤ وفي إلزام الناصب ص ١٣٨ ثُلثه الأول والكافي م ١ ص ٣٣٣ والبحار ج ٥٢ ص ١٤٥ وإعلام الورى ص ٤٠٤ .

شحمات الآذان . . وورد عنه قول ثقيل في معناه يبيِّن أهمية الثبات على الولاية وانتظار الفَرَج ، كما سبق وورد عن آبائه :)

ـ إن من انتظر أمرنا ، وصبر على ما يرى من الأذى والخوف ، هو غداً في زمرتنا [1] . (وقال في وصف سوء نظر الناس لمن يقول بهذا القول :)

ـ يكون المؤمن محزوناً محتقراً لا يستطيع أن ينكِر إلاّ بقلبه ! . يبلغ عندهم كل هوان ! [2] . (ثم جاء عنه ما يعوِّض هذا الهوان من ثواب الآخرة :)

ـ المؤمنون يبتلون ، ثم يميِّزهم الله عنده . إن الله لم يؤمِّن المؤمنين من بلاء الدنيا ومرائرها ، ولكنه آمنهم من العمى والشقاء في الآخرة . كان الحسين بن علي عليه السلام يضع قتلاه بعضَهم على بعضٍ ثم يقول : قتلانا قتلى النبيِّين وآل النبيِّين ! [3] . (الأمر الذي يدلّ على شيء من اغتباط الحسين الشهيد عليه السلام لحُسن خاتمة أصحابه وتمحيصِهم بالشهادة وجَعْلِهم مخلَصين من كل شائبة ، بالرغم من اكتئابه من جوّ الظلم الْمُحيق بمعركة كربلاء ! .

ثم يطالعنا في أقوال الصادق عليه السلام الوصف التالي للمنتظِرين :)

ـ سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوي الدين إلاّ من ظنوا أنه أبله ، وصبر نفسه على أن يقال : إنه أبله لا عقل له ! [4] . (وقال عليه السلام لأحد أصحابه مرة :)

ـ أنّى يكون ذلك ولم يَسْتَدِرِ الفلَك ؟ ! . فقيل له : ما استِدارةُ الفلَك ؟ . فقال : اختلافُ الشيعة فيما بينهم [5] .

(وهذا الاختلاف قد بدت طلائعه ـ والحمدُ لله ـ حتى أنَّ النِّزاع أخذ يتسرَّب إلى صفوف بعض علماء الدِّين من حَمَلَة رسالة سيِّد المرسَلين . . وقال في مناسبةٍ

---

(1) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ وبشارة الإسلام ص ١٣١ وإلزام الناصب ص ١٨٣ .
(2) بشارة الإسلام ص ١٣٢ بتفصيل ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٣ وفي منتخب الأثر ص ٤٢٩ .
(3) البحار ج ٥٢ ص ١١٧ .
(4) الكافي م ٢ ص ١١٧ .
(5) الغيبة للنعماني ص ٨٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٨ وإلزام الناصب ص ٨٨ .

ما :) ـ كيف أنتم إذا وقعت البطشة بين المسجدين ؟ . (أي الخسف بالجيش السفياني بين المسجد الحرام في مكة ، ومسجد النبيّ ﷺ في يثرب) فيأرز العلم كما تأرز الحية في جُحرها ، واختلفت الشيعة ، وسمّى بعضُهم بعضاً كذّابين ، وتفل بعضهم في وجوه بعض ! . فقال له صاحبه : جُعلت فداك ، ما عند ذلك من خير ؟ . فقال : الخير كله عند ذلك[1] . (قالها ثلاثاً . واختلاف الشيعة فيما بينهم نعيشه اليوم ، وتجترض الآمه سائرُ طبقاتنا من حَمَلَة العلم والدين القائمين على شريعة سيد المرسلين ، إلى فئات المثقفين ، بل إلى صفوف العقلاء والجهّال . .

غير أنه لا بدّ من اختلافٍ يكون بينهم بشأن صاحب الأمر عليه السلام ، وقد يحصل ذلك حين ينادى باسمه فيصدّق من يصدّق ، ويكذّب من يكذّب فيكون اللّعن والتكذيب والتّفل ! . وقد سبق مثل هذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام حين قال لأحد أصحابه :)

ـ كيف أنت إذا اختلت الشيعة هكذا ؟ . (وشبّك أصابعه وأدخل بعضها في بعض) فقال صاحبه : يا أمير المؤمنين : ما عند ذلك من خير ؟ . فقال : الخير كله عند ذلك . عند ذلك يقوم قائمنا فيقدّم سبعين رجلاً يكذبون على الله ورسوله فيقتلونهم ، ثم يجمعهم الله على أمر واحد[2] . (فلا بدّ أن يجمع الله تعالى أمر الطائفة على المهديّ عليه السلام بعد قتل المنكِرين والمكذّبين ؟ .

ونلاحظ أن جميع الحالات التي ذكروها موجودة بين الناس في أيامنا ، حتى بين الكبار والصغار ، ولن تنتهي الحالُ إلاّ بالفَرج ، فنقول كما قال سيدُنا الحسنُ السِّبْطُ عليه السلام ، وكما قال جدُّه وأبوه من قبله ، وكما قال أخوه من بعده ، إذ رُوي عنهم جميعاً هذا الخبرُ ، وختَمه بعضُهم بلفظ :)

---

(١) الكافي م ١ ص ٣٤٠ والبحار ج ٥٢ ص ١٣٤ وبشارة الإسلام ص ١٥٢ و١٥٥ نقلاً عن الغيبة للنعماني .

(٢) بشارة الإسلام ص ٥٠ والبحار ج ٥٢ ص ١١٥ و٢١١ والغيبة للنعماني ص ٨٢ و١٠٩ ؤما عدا آخره .

- . . . يقومُ قائمُنا فيرفَع ذلك كلّه (1) . (أما أميرُ المؤمنين عليه السلام فختَمه بقوله :)

- . . وحتى لا يبقى منكم إلاّ كالكحل في العين ! . هيهات ، هيهات ، لا يكون فَرجُنا حتى يذهب الكدر ويبقى الصَّفو ! (2) .

(الشبيه بقول الصادق عليه السلام حين ذكر قول جدّه وعقّب عليه :) - لا يكون فرَجُنا حتى تُغربَلوا ، ثم تغربَلوا ، حتى يذهب الكدر ويبقى الصفْو (3) .

(وقد سئل الصادق عليه السلام : أيهما أفضل : العبادة في السرّ مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل ، أو العبادة في ظهور الحق ودولته مع الإمام منكم الظاهر ؟ . فقال :)

- الصدَقة في السرّ واللّهِ أفضلُ من الصدَقةِ في العلانية . وكذلك واللّهِ عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل وحالَ الهدنة ، أفضلُ ممن يعبد الله عزّ وجلّ في ظهور الحق مع الإمام الظاهر في دولة الحق . وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل ، مثل العبادة والأمن في دولة الحق . . (وهو حديث طويل في هذا المعنى ، قال له صاحبه في نهايته : أحب أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل من أصحاب الإمام الظاهر منكم في دولة الحق ونحن على دينٍ واحد ؟ . فقال عليه السلام :)

- إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزّ وجلّ ، وإلى الصلاة والصوم والحج ، وإلى كل خيرٍ وفقهٍ ، وإلى عبادة الله جلّ وعزّ سرّاً من عدوّكم مع إمامكم المستتر مطيعين له ، صابرين معه ، منتظِرين لدولة الحق ، خائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك الظَّلَمَة ، تنظرون إلى حق إمامكم ، وحقوقكم في أيدي

---

(1) الغيبة للطوسي ص ٢٠٦ وفي ص ٢٦٧ عن الباقر عليه السلام وإلزام الناصب ص ٧٩ و١٨١ والإمام المهدي ص ٩٤ ومنتخب الأثر ص ٤٢٦ وبشارة الإسلام ص ٨٤ وفي ص ٨٦ عن الحسين عليه السلام ، ومثله في المهدي ص ١٨٧ والغيبة للنعماني ص ١٠٩ بلفظ قريب ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢١١ وبشارة الإسلام ص ١٢٩ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٩ .

(2) البحار ج ٥٢ ص ٢١١ والغيبة للطوسي ص ٢٦٧ قريب منه عن الحسن عليه السلام .

(3) البحار ج ٥٢ ص ١١٣ والمهدي ص ١٧٢ ومنتخب الأثر ص ٣١٥ بلفظ قريب .

الظَّلَمَة ، قد منعوكم ذلك واضطرُّوكم إلى حرثِ الدنيا وطلبِ المعاش مع الصبر على دينكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوّكم . فبذلك ضاعف الله عزّ وجلّ لكم الأعمال ، فهنيئاً لكم . فقال له صاحبه جُعلت فداك ، فما ترى إذاً أن نكون من أصحاب القائم ويظهر الحق ، ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أصحاب دولة الحق والعدل ؟ . فقال :

سبحان اللهِ ، أمَا تحبون أن يُظهر الله تبارك وتعالى الحقَّ والعدلَ في البلاد ، ويجمع الله الكلمة ، ويؤلِّف الله بين قلوب مختلفة ، ولا يعصون الله عزّ وجلّ في أرضه ، ويقام حدودُه في أطرافه ، ويُردَّ الحق إلى أهله ، فيظهر حتى لا يستخفيَ بشيء من الحق مخافةَ أحدٍ من الخَلق ؟ . أمَا والله لا يموت منكم ميّت على الحال التي أنتم عليها إلاّ كان أفضل عند الله من شهداء بَدْرٍ وأُحدٍ فأبشِروا [1] . . (وورد عنه مطلعُ هذا الحديث بلفظ :)

ـ وكذلك واللهِ عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل ، وتخوُّفكم من عدوّكم في دولة الباطل وحالَ الهدنة ، أفضل ممن يعبد الله في ظهور الحق مع إمام الحق في دولة الحق . . (ولن يفوتنا عرضُ ما رآه الصادق ﷺ مكتوباً في لوح جدَّته فاطمة ﷺ في حديث طويل عن الربّ الجليل ، يَصف به المؤمنين بالغَيب أثناء غَيبة المهديّ ﷺ نذكر منه محل الشاهد وهو :)

ـ . . . سيَذلّ أولياؤه في غَيبته ، ويتهادَون رؤوسهم كما تُتهادَى رؤوس التُّرك والديلم ، فيُقتلون ويُحْرَقون ، ويكونون خائفين مرعوبين وَجِلين ، تُصْبَغ الأرض بدمائهم ، ويَفشوا الويلُ والرَّنين في نسائهم ، أولئك أوليائي حقّاً . . (أي أولياء الله تبارك وتعالى ، لأنهم حامِلو كلمته وحافِظو سرّه . . والحديث هنا عن القدرة الإلٓهية كما قدَّمنا ، وتمامُه :)

بهم أدفع كل فتنةٍ عمياء حِنْدِس ، وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال ، ﴿ أُوْلَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ

---

(1) الكافي م ١ ص ٣٣٣ و٣٣٤ تجد الحديث بكامله ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ١٢٧ ـ ١٢٨ وفي إلزام الناصب ص ١٣٨ والمهدي ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ومنتخب الأثر ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧ .

﴿الْمُهْتَدُوْنَ﴾ [1] . . (وقال الصادق ﷺ بعد سرد هذا الحديث :)

ـ طُوبى لشيعة قائمنا المنتظِرين لظهور غَيبَته ، والمطيعين له في ظهوره ! . أولئك أولياءُ الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون [2] . (وهذا خيرُ وعْدٍ للمؤمنين به والمصدِّقين بدعوة الله ، بحسَب تقرير الصادق الأمين ﷺ الذي قال عن المنتظِرين أيضاً :)

ـ إذا مات المنتظِر ، وقام القائم بعده ، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه . فجدُّوا ، وانتظروا . هنيئاً أيتها العصابة المرحومة ! [3] . (ثم قال عن المنتظِرين أيضاً :)

ـ طوبَى لمحبِّي قائمنا ، المنتظِرين لظهوره في غَيبته ، والمطيعين له في ظهوره ! [4] . .

(وسئل يوماً : العذابُ إذا نزل يوماً ، يُصيب المؤمنين ؟ . فقال : نعم ، ولكن يُخلَّصون بعده [5] . . (وبما أنه لا يبقى للنُّصرة إلاّ المخلَصون ، فمعنى ذلك أنه يقلُّ المؤمنون المصدِّقون فلا عجبَ مما نحن فيه من غربلةٍ وتمحيص ، لأنه جاء عنه ﷺ :)

ـ أمَا لو كملت الْعِدَّةُ الموصوفة ، ثلاثمئةٍ وبضعة عشر ، كان الذي تريدون [6] . (والثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً هم الأنصار المبادرون فوراً إلى البيعة بجانب الكعبة المشرَّفة أعزَّها الله ، يجتمعون إليها من أقطار الأرض كما سنرى قريباً إن شاء الله تعالى .

---

(1) البقرة ـ 157 . والخبر مفصَّل في عيون أخبار الرضا ج 1 ص 35ـ 36 ومعاني الأخبار ص 373 كذلك ، ومثله في بشارة الإسلام ص 12 ـ 13 ـ 14 وفي منتخب الأثر ص 135 وجامع الأخبار ص 23 .

(2) منتخب الأثر ص 514والبحار ج 52 ص 123 أوله ، وكذلك إلزام الناصب ص 57 وص137 .

(3) الغيبة للنعماني ص 106 .

(4) ينابيع المودة ج 3 ص 77.

(5) الكافي م 2 ص 247 والغيبة للنعماني ص 31 .

(6) الغيبة للنعماني ص 108 والزام الناصب ص 81 .

فتأمّلْ هذا العدد القليل الذي يبادر بالبيعة مبادرةً ، ويبقى مضمِراً للنُصرة ، على عهد الله ورسوله ، ثم اعجبْ كل العجب أنَّ هـذا العدد لم يكن مجموعاً في وقتٍ واحدٍ طيلة أيام الغَيبة ، بمعنى وجود المستعدّ للبذل والتضحية والشهادة في سبيل إحقاق الحق ، وبمعنى الإجابة الفوريّة التي تُنسي المرء نفسَه وعيالَه وجميع علاقاته فيصير ـ بل يطير ـ إلى نُصرة الحق إذا دعا إليه داعي الحق ! ! !)

قال الإمَام الكاظِم ﷺ :

ـ طوبَى لشيعتنا المتمسكين بحُبّنا في غَيبة قائمنا ، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا ، أولئك منّا ونحن منهم . وقد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة ، طوبَى لهم ! .

ثم طوبَى لهم ! . هم واللهِ معنا في درجتنا يوم القيامة (١) . . (فأحرِ بهذه البشارة أن تَضطَمَّ عليها قلوب الموالين لتزيدهم تمسكاً بهذه الصفوة من الخَلْق ! .)

قال الإمام الرضا ﷺ :

ـ ما أحسنَ الصبرَ وانتظار الفَرَج ! . أمَا سمعتُم قولَ الله تعالى : ﴿ وَٱرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ، فَٱنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ ﴾ . فعليكم بالصبر ، فإنما يجيء الفَرَج بعد اليأس . وقد كان الذين قبلكم أصبرَ منكم (٢) . .

(ثم وعد بالتمحيص وطول الإنتظار وصعوبة الصبر ، فقال ﷺ :) واللهِ ما يكون ما تمدُّون إليه أعناقكم حتى تُمَحَّصوا ، ولا يبقى منكم إلاّ الأندر الأندر ! . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ـ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ ـ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ (٣) ؟ . (ورُوِي عن الصادق ﷺ مثله ، ثم رَوى معمَّر بن خلاَّد ،

---

(١) البحار ج ٥١ ص ١٥١ وإعلام الورى ص ٤٠٧ وإلزام الناصب ص ٦٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٤ ومنتخب الأثر ص ٢١٩ وفي الإمام المهدي ص ٩١ عن الباقر ﷺ ، وص ٩٥ عن زين العابدين ﷺ .

(٢) هود ـ ٩٣ ، ويونس ـ ٢٠ و١٠٢ والخبر في البحار ج ٥٢ ص ١٢٩ ومنتخب الأثر ص ٤٩٦ والغيبة للنعماني ص ١٨٠ ما عدا أوله .

(٣) التوبة ـ ١٦ ، وآل عمران ـ ١٤٢ ، والخبر في الغيبة للطوسي ص ٢٠٤ وإلزام الناصب ص ٢٧ والكافي م ١ ص ٣٧٠ والبحار ج ٥٢ ص ١١٣ قريب منه عن الصادق ﷺ والغيبة للنعماني =

صاحب الرضا عليه السلام قوله :)

ـ لا يكون ما تمدّون إليه أعناقكم حتى تُميّزوا وتُمحّصوا فلا يبقى منكم إلا القليل ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ آلم ، أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟ ﴾ . ثم قال لصاحبه المذكور : ما الفتنة ؟ . قال : جُعلت فداك ، الذي عندنا أن الفتنة في الدين . فقال : يُفتنون كما يُفتَن الذهب . يُخلَصون كما يُخلص الذهب ! »[1]) . (ورُوِي القسم الأخير منه عن الصادق عليه السلام . وفتنة الذهب تكون بتذويبه على النار لتخليصه من النفايات والموادّ الغريبة التي تعلق به . وهكذا تكون فتنةُ المصدِّقين بتذويب القلوب على نار الصبر ومرارة الانتظار حتى لا يبقى إلاّ المخلصون . . وقد جاء عنه عليه السلام مقوّياً على الصبر :)

ـ إن الله جلّ ذكْره أخذ ميثاق أوليائنا بالصبر على دولة الباطل . وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ[2] . (وهل من نعمة على العبد أجلّ من أن يكون من أولياء الله الذين أخذ ميثاقهم وأيّدهم بروحٍ منه ؟ ! . ثم قال يأمر شيعته بالصبر على طول الغَيبة :)

ـ لا دينَ لمن لا ورعَ له ، ولا إيمانَ لمن لا تقيَّةَ له ، إن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقيَّة . فقيل : يا ابن رسول الله إلى متى ؟ . قال : إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو خروجُ قائمنا . مَن ترك التقيَّة قبل خُروج قائمنا فليس منّا[3] .

قال الإمَام الجوّاد عليه السلام :

ـ أفضلُ أعمالِ شيعتِنا انتظارُ الفرَج . مَن عرَف هذا الأمرَ فقد فرِّج عنه بانتظاره[4] . (وجاء مثلُه عن الصادق والرضا والهادي عليهم السلام .) .

ص ١١١ بلفظ آخر ، وفي بشارة الإسلام ص ٤٠ بعضه وص ١٠٠ عن الباقر عليه السلام وص ١٥٩ عن الرضا عليه السلام وص ١٦٠ ما عدا الآية الكريمة .

(١) العنكبوت ـ ١ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٠٧ والإرشاد ص ٣٣٩ وإلزام الناصب ص ٧٩ و٨٠ و١٧٧ و١٨٤ وبشارة الإسلام ص ١٥٩ والكافي م ١ ص ٣٧٠ ومنتخب الأثر ص ٣١٥ لنهاية الآية الكريمة .

(٢) البحار ج ٥٣ ص ٨٧ .

(٣) بشارة الإسلام ص ١٦١ .

(٤) إلزام الناصب ص ٦٨ والبحار ج ٥٢ ص ١١٠ والغيبة للنعماني ص ١٨٠ آخره .

قالَ الإمام الهَادي عليه السلام :

ـ لولا من يبقى بعد غَيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه ، والدَّالين عليه ، والذَّابِّين عن دينه بحُجَج الله ، والمنقذين للضعفاء من عباد الله من شِباك إبليس ومَرَدَته ، لَمَا بقيَ أحدٌ إلَّا ارتدَّ عن دين الله . ولكنهم يُمسكون أزِمَّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سُكّانها ـ أي مِقْوَدها الذي يشق عُبابَ الماء ـ أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ (١) . (وهذا ما جرى ويجري على أيدي أئمة الشيعة وعُلمائها منذ بدء الغَيبة حتى اليوم ، فإنهم هم الذين يمسكون بأزمة قلوب الشيعة ، ويقوُّون عقيدتهم ، ويثبِّتونهم على الإيمان ، ويوضحون لهم كل إبهام ، ويجنِّبونهم مزالقَ الشك وضعفِ اليقين .)

قال الإمَام العَسكري عليه السلام :

(في حديثٍ طويل له مع صاحبه أحمدَ بن إسحاق ، قال عليه السلام) :

ـ مثلُه في هذه الأمَّة مثلُ الخضر عليه السلام ، ومثلُه مثل ذي القرنين . وَاللّهِ لَيغيبنَّ غيبةً لا ينجو من الهلكة فيها إلَّا من ثبَّته الله عزَّ وجلَّ على القول بإمامته ، ووفَّقه الله فيها للدعاء بتعجيل فرَجه (٢) . (ثم قال عليه السلام :)

ـ لا تزال شيعتُنا في حزنٍ ، حتى يظهر ولدي الذي بشَّر به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

(فاكشفِ اللّهم هذه الغُمَّة عن قلوب عبادك . . وأبشِروا أيها المؤمنون المنتظِرون . . واصبروا . . إن الله مع الصابرين . . وَلْنَكن دائماً مع قول إمامنا الصادق عليه السلام :)

ـ لا تكونوا مؤمنين حتى تكونوا مؤتَمَنين ، وحتى تَعُدُّوا النعمة والرخاء مصيبة ، وذلك أن الصبر على البلاء أفضل من العافية عند الرخاء (٣) . . (وَلْنَثِقْ أن الغربال يهتزُّ الآن ، ويَصدُق قولُ سيِّدنا العسكريِّ عليه السلام :)

ـ حتى يخرج عن هذا الأمر أكثرُ القائلين به ، فلا يبقى ، إلَّا مَن أخذَ الله عهدَهُ بولايتنا ، وكتبَ في قلبه الإيمانَ وأيَّده بروحٍ منه (٤) .

---

(١) منتخب الأثر ص ٢٢٣ وفي البحار ج ٥١ ص ١٥٦ روي عن الإمام الجواد عليه السلام والمحجة البيضاء ج ١ ص ٣٢ .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٦٨ بتفصيل ، والإمام المهدي ص ١٣٤ .

(٣) الوسائل م ٢ ج ٢٣ ص ٩٠٨ .

(٤) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٦ وإعلام الورى ص ٤١٢ .

١١ ـ الأنصَار . .

. . . وَالبَيعَة

شعارُ الأنصار : أمِتْ أمِتْ [١] . .

قال رَسُول الله ﷺ :

ـ المهديّ منّا أهلَ البيت ، يُصلحه الله في ليلة [٢] .

(ثم قال ﷺ :) ـ يكون اختلافٌ عند موت خليفة ، فيخرج رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهلِ مكة فيُخرِجونه وهو كارِهٌ ، فيُبايعونه بين الرُّكن والمقام [٣] . (وسترى تعليقاً موسّعاً حول موت الخليفة في موضوع : الفتن

(١) منتخب الأثر ص ٤٨٦ والملاحم والفتن ص ٥٢ وفي الإمام المهدي ص ٢٢٦ عن الباقر عليه السلام .

(٢) منتخب الأثر ص ١٤٤ وص ٣٠٠ : يصلح الله أمره في ليلة واحدة ، والصواعق المحرقة ص ١٦١ وفي البحار ج ٥٢ ص ٢٨١ عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه ومثله في إلزام الناصب ص ٥٣ وص ١٠٠ وص ٢٥٣ نقلاً عن البيان ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٣ نقلاً عن غاية المرام . والملاحم والفتن ص ٥٧ و١٣٤ وبشارة الإسلام ص ١٠٣ عن الباقر عليه السلام ، والإمام المهدي ص ٦٣ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٤ و١٣٤ .

(٣) الإمام المهدي ص ٧١ والمهدي ص ١٥٢ وبشارة الإسلام ص ٣٤ وإسعاف الراغبين ص ١٣٥ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٦ و١٤٤ بلفظ آخر وص ١٦١ وإلزام الناصب ص ٥٢ وص ٢٥٤ نقلاً عن البيان وص ٢١٠ و٢١٨ .

العامة عند كلام الصادق ﷺ عن مجزرة مِنَى . . والناس الذين يُخرجونه من بين أهل مكة هم الأنصار . وقد هنَّأ النبيُّ ﷺ مَن يَسعدُ بولايته ، ويَثبتُ على إمامته ، ويتشرَّف بخدمته ، فقال :)

- طوبَى لمن أدرك قائمَ بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه ، يتولَّى وليَّه ويتبرأُ من عدوِّه ، ويتولَّى الأئمة الهادين من قبله . أولئك رفقائي ، وذوو وُدِّي ومودَّتي ، وأكرم أُمَّتي عليَّ يوم القيامة [1] . (ثم هنأ أنصارَه والمؤمنين به ، ووصف طيب عُنصرهم ، ووعدهم بالفوز والجنَّة ، بقوله ﷺ :)

- طوبَى لمن لَقيه ، وطوبَى لمن أحبَّه ، وطوبَى لمن قال به . ينجِّيهم الله من الهلكة . . وبالإقرار بالله وبرسوله ، وبجميع الأئمة يفتح الله لهم الجنَّة . مثَلهم في الأرض كمثَل المسك الذي يسطع ريحُه فلا يتغيَّر أبداً ، ومثَلهم في السماء كمثَل القمر المنير الذي لا يُطفأ أبداً [2] . . (وقال ﷺ - بعد هذا الثناء على المُوالين - في حديثٍ له يحدِّد فيه هويَّة الأنصار :)

- . . يَخرج النُّجباءُ من مصر ، والأبدال من الشام ، وعصائبُ أهل العراق ، رهبانٌ بالليل - لكثرة العبادة - ليوثٌ بالنهار ، كأنَّ قلوبهم زُبُر الحديد ، فيبايعونه بين الرُّكن والمقام [3] . . (وروي مثلُه عن الباقر ﷺ . وكلمةُ الشام تشمل كلَّ ما يقع على شاطىء البحر المتوسط من بُلْدان الشرق الأوسط من جنوبي تركيا حتى شمالي بلاد الحجاز ، ومن الشرق حتى بادية الشام . . وعن الباقر ﷺ أيضاً :)

- يُبايع القائمَ بين الركن والمقام ثلاثُمئةٍ ونَيِّفُ رجلٍ ، عدَّةَ أهل بدر . فيهم النُّجباءُ من أهل مصر ، والأبدال من أهل الشام ، والأخيارُ من أهل العراق [4] .

(وقال ﷺ في حديثٍ آخر بنفس المعنى :)

---

(1) الغيبة للطوسي ص ٢٧٥ ومنتخب الأثر ص ٥١١ والبحار ج ٥٢ ص ١٣٠ وإلزام الناصب ص ٥٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٨ والمهدي ص ١٠٥ و١٤٧ والإمام المهدي ص ٦٥ - ٦٦ .
(2) بشارة الإسلام ص ٩ والبحار ج ٥٢ ص ٣١١ وإلزام الناصب ص ٦٣ .
(3) الاختصاص ص ٢٠٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٠٤ والملاحم والفتن ص ٥٠ و٥٢ شيءٌ منه .
(4) البحار ج ٥٢ ص ٣٣٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٩ والغيبة للطوسي ص ٢٨٤ وبشارة الإسلام ص ٢٠٤ .

ـ يخرج إليه النُّجباءُ من مصر ، وعصائبُ أهل المشرق ، حتى يأتوا مكة فيبايعونه [١] .

(ثم قال ﷺ :) إذا قام قائمنا ، جمع الله له أهل المشرق وأهل المغرب ، فيُجمعون له كما يجتمع قَزَعُ الخريف . فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة ، وأما الأبدال فمن أهل الشام [٢] : (يأتون إليه متفرّقين في الجوّ ، كغيوم الخريف التي تسوقها الرياح ! . فما ألطف هذا التشبيه لهم ، يجيئون جماعات ووحداناً في الجوّ ، في عهد طيران تبدو فيه الطائرات عادة كغيوم الخريف المتقطعة السريعة الجريان . . وهذا التشبيه الفريد من نوعه يدلّ على عجيب التصوير للسفر في الجوّ قبل أن يكون السفر في الجوّ حلماً من الأحلام ! . وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام قريب منه في قوله :)

ـ جيش الغضب (أي الغضب لله !) . قوم يأتون في آخر الزمان ، قَزَعٌ كقَزَع الخريف : الرجُلُ ، والرجلان ، والثلاثةُ من كل قبيلة ، حتى يبلغ التسعة . أَمَا والله ، إني لأعرف أميرهم واسمه ، ومناخ ركابهم ! [٣] . (فهم يركبون الريح ، ويسيرون في الجو مسار الطائرات ، سيراً قد يكون طبيعياً كما نألف ، وقد يكون بواسطة لم تتعرَّف إليها الإنسانية بعد . . وستجد وصفاً لذلك في كلام الباقر عليه السلام بعد صفحات قليلة . . ثم قال رسول الله ﷺ عنهم أيضاً :)

ـ يجمعهم الله من مشرقها إلى مغربها في أقلّ مما يُتِمّ الرجلُ عينَيه ، عند بيت الله الحرام ، فبينا أهل مكة كذلك يقولون : كَبَسنا السفيانيّ ، ثم يُشْرِفون فينظرون إلى قوم حول البيت الحرام ، وقد انجلى عنهم الظلام ، ولاح لهم الصبح ، وصاح

---

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٩ والمهدي ص ٢١٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٧ مع زيادة في وصف قوّتهم ، وص ١٤٥ .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٧٧ والصواعق المحرقة ص ١٦٣ وفي الغيبة للنعماني ص ١٥٠ باختلاف يسير . والمهدي ص ٢١٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وكذلك في منتخب الأثر ص ٤٧٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٠ وفي بشارة الإسلام ص ٦٣ و٢٠٤ شيء منه ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٧٦ وص ٢٢٦ عن الصادق عليه السلام .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٦٨ وبشارة الإسلام ص ٤٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ وص ٣٦٨ بعضه ، وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٤ بعضه .

بعضُهم ببعض : النّجاة ! . وأشرف الناس ينظرون وأمراؤهم يفكرون [1] . . (وقد رُوي مثله عن أمير المؤمنين والصادق عليه السلام . . وعبارة : في أقلَّ مما يُتِمُّ الرجل عينَيه ، تعني السرعة الفائقة . فقد يأتي اللّهُ تعالى بهم بالطريقة التي أحضر بها بَرْخيا عرشَ بلقيس ملكةِ سبأ للنبيِّ سليمان عليه السلام إذا كان جمعُهم بمعجزة ، وإذا كان طبيعيّاً فإننا في عصر وسائل سفر يدفعها الصاروخ فتقطع آلاف وآلاف الكيلومترات بأقل مما يرتد البصر . .

أَوَ تَعجب من أمر الله يا قارئي الكريم ، وتَدهش من الخَطف في السحاب ، والحَمل على الفُرش ، والنَّقل بأقلّ مما يرتدّ الطَّرف ؟ ؟ ؟

لا تَعجبْ . . فإن في عَينك نفسها ما هو أدهش وأغرب . . فهي الحاسَّة الأكثرُ ضعفاً . . وفيها أصغر جهاز يختطف صورة الأشياء من مَرْمَى النظر بجزءٍ يسيرٍ من الثانية . . ويَسترق جمال المنظَر قَرُب أم نأى . . تفتح الأهداب : فإذا الشيء البعيد عنك ملايين الكيلومترات ـ كالشمس والقمر وبقية الكواكب ـ متمثّلاً في ذهنك . . بين يَديك . . حاضراً منظوراً ! ! !

وأُذُنُك تختطف الصوت من جانبك . . ومن بُعد آلاف الكيلومترات بالهاتف . . ومن ملايين الكيلومترات باللاسلكي ! ! ! .

أمّا ذهنُك فَلَهُ وَثَبات . . ولهُ لَقطات من السماء والأرض ، ومن اللانهاية بجزء الجزء من الثانية . .

أَفَلا يتفكَّرون في أنفسهم . . ما خَلَقَ الله هذا باطلاً . . ولا قال رُسُلُه شيئاً من الباطل ! . . . ثم وصف صلى الله عليه وآله وسلم وجهاتِ سفَرهم وأمكنة وجودهم فقال :)

ـ أولهم من البصرة وآخرهم من اليمامة [2] . .

(وفي ذلك دليل على أنهم من بلدان متفرقة في سائر الجهات ، إذ ورد في حديث آخر :) ـ ما من بلدة إلا يَخرج منها معه طائفة ، إلا أهل البصرة فإنه لا يَخرج

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٢١ وإلزام الناصب ص ٢٠٠ و٢٠١ باختلاف يسير .
(٢) الملاحم والفتن ص ١١٩ وبشارة الإسلام ص ٢٢١ وإلزام الناصب ص ١٩٩ .

معه منها أحد [1] . (ولا معارضة بين الحديثين لأن ذكْر البصرة في الحديث السابق لا يدل إلا على مكان العبور ووجهة الحضور ، لا على جنسية الأنصار ولا أوطانهم . .)

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ لا تَنْثَنِ عنه إذا وُفِّقت له ، ولا تُجيزنَّ عنه إذا هُديت إليه [2] .

(وقال يوم أظفره الله بأصحاب الجمل :) ـ . . . . ولقد شهَدَنا (أي حضر) في عسكرنا هذا ، أقوامٌ في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، سيَرْعف بهم الزمان ويقوى الإيمان [3] . (ويقصد بذلك نُطَفاً ذَخرها الله تعالى لِنُصرة حفيده عجَّل الله تعالى فَرَجَه . . وقال أيضاً يوم قتل الخوارج في النهروان :)

ـ والذي فلَق الحبَّة وبرأ النسمة ، لقد شهِدَنا في هذا الموقف أُناسٌ لم يَخلق الله آباءهم ولا أجدادهم . . قومٌ يكونون في آخر الزمان يَشْرَكوننا في ما نحن فيه ، ويسلِّمون علينا . فأولئك شركاؤنا في ما نحن فيه حقّاً حقّاً [4] . (فقد أقسم بأنهم حضروا الموقف في أصلاب الرجال ، وهم لا يزالون في عالم الذر ، وقرَّر أنهم شركاء أصحابه ، بمعنى أن جهادهم كجهادهم بمعناه ومبناه للحق وللحق وحدَه ! . ثم قال عليه السلام في خطبة له :)

ـ إذا هَلك الخاطب (أي الطامع بالرئاسة) وراغ الصاحب (أي مالَ الحاكمُ عن الحق) وبقيت قلوب تتقلَّب : من مُخصِب ومُجدِب ، هلك المتمنُّون (الذين يتمنون إطفاء نور الله بقتل أوليائه للوصول إلى المراتب) و اضمحلَّ المضمحلُّون ، وبقي المؤمنون (بعد الحروب المُفْنية) وقليلٌ ما يكون : ثلاثمئة أو يزيدون (٣١٣ رجلاً) وتجاهد معهم عصابةٌ جاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بَدْرٍ ولم تُقْتَلْ ولم تَمُتْ ! [5] . (أولئك هم الملائكة المسوَّمون . . ثم وصف الأنصار فقال عليه السلام :)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٠٧ وإلزام الناصب ص ٢٢٦ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٥٤ .
(٣) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٤ .
(٤) البحار ج ٥٢ ص ١٣١ وإلزام الناصب ص ١٣٨ .
(٥) البحار ج ٥٢ ص ١٣٧ والغيبة للنعماني ص ١٠٣ وبشارة الإسلام ص ٥٣ .

ـ يؤلف الله قلوبهم ، ولا يستوحشون إلى أحد ، ولا يفرحون بأحدٍ دخل فيهم (يعني بسبب انصراف اهتمامهم كلياً لإحقاق الحق وإبطال الباطل حتى ولو لم يبقَ في الأرض غيرُهم !) . على عِدَّةِ أصحاب بَدْرٍ ، لم يسبقهم الأوَّلون ولا يُدركهم الآخرون ، وعلى عِدَّةِ أصحاب طالوت الذين جاوزوا النَّهر (١) . .

(وقال عليه السلام في مناسبة ثانية يصف اجتماعهم السريع العجيب :) ـ هم المفقودون عن فُرُشهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾ (٢) . (وتمثَّل الإمام الصادق عليه السلام عند ذكْرهم بهذه الآية وقرَّب المعنى إلى ذهن السامع بقوله :)

ـ إذا اذِنَ الإمامُ دعا اللَّهَ باسمِه (أي باسم الله الأعظم) فأُتيحت له صحابته ، وهم أصحاب الألْوِية : فمنهم من يُفتقد عن فراشه ليلاً فيصبح في مكة ، ومنهم من يُرى يسير في السحاب نهاراً ! (٣) . (وعند هذا القول الصادق من صادق القول ، يقف المؤمنُ به والكافرُ مُذعنَين تَبهتهما قدرةُ الله التي تتجلّى في كل شيء شاءَ الناس أم أبَوا . لأن هذا السير في السحاب ـ في آخر الزمان ـ ورد في الأناجيل والتوراة أيضاً ، ولأنه صار ميسوراً في عصرنا الفضائيّ بقدرة العقل البشريّ ، فكيف بما هو فوق العقل والمعقول ؟ ؟ ؟ وقد ورد عنه تعليقٌ على الآية الكريمة السابقة بلفظ :)

ـ نزلت في القائم وأصحابه ، يجتمعون على غير ميعاد (٤) .

(وقال عليه السلام :) ـ يجمعهم الله في ليلة ، فمن استطاع المسير سار ، ومن لم يستطع فُقِدَ عن فراشه (٥) .

---

(١) بشارة الإسلام ص ٨٠ وص ٢٠٠ نصفه الأخير ، ومنتخب الأثر ص ١٦٦ والمهدي ص ٢١٧ .

(٢) البقرة ـ ١٤٨ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٦٨ و١٦٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٩ عن الباقر عليه السلام و٢٨٦ عن الصادق عليه السلام و٣٦٨ عن زين العابدين عليه السلام و٣١٦ و٣٢٣ و٣٤٢ ومنتخب الأثر ص ٤٢٢ و٤٧٦ عن زين العابدين عليه السلام وص ١٧١ قال عبدالله بن العباس : أصحابُ القائم يجمعهم الله في يوم واحد ، ومثله في البحار ج ٥١ ص ٥٣ و٥٨ وفي بشارة الإسلام ص ١٠٣ عن الباقر عليه السلام قريبٌ منه و٢٠٣ بعضه ، وهو في ص ٢٠٥ و٢١١ و٢٢٧ .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٦٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٦ و٣٦٨ وبشارة الإسلام ص ٢٠٣ .

(٤) الغيبة للنعماني ص ١٢٨ والإمام المهدي ص ٣٢.

(٥) البحار ج ٥٢ ص ٣١٦ و٣٤١ وبشارة الإسلام ص ٢٢٧ مختوماً بـ : ومن ابتُلي بالمسير سار الخ . . .

(وورد بلفظ :) إنهم لَمُفْتقدون عن فراشهم ليلاً ، فيصبحون بمكة ، وبعضهم يسير في السحاب نهاراً ، يُعرف اسمُه واسمُ أبيه وحلْيته ونسبُه [1] .

(وبلفظ آخر فيه تأكيد أقسم عليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :) ـ واللّهِ إنّي لأعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وحُلاهم (أي أُلبستهم وأسلحتم) ومواقع منازلهم ومراتبهم . وهم المفقودون عن فُرُشهم وقبائلهم ، السائرون في ليلهم ونهارهم إلى مكة ، وذلك عند استماع الصوت ـ أي النداء من جبرائيل عليه السلام ـ في السنة التي يظهر فيها أمرُ الله ـ وهم القضاة والْحُكّام على الناس ! [2] .

(وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بشأنهم :) ـ إنّي لأعْرِفُ أسماءَهم وأسماءَ آبائهم ، وأسماء خيولهم . وهم خيرُ فوارسٍ على ظهر الأرض . أو من خيرِ فوارسٍ على ظهر الأرض [3] . . (وقد سأل الصادقَ عليه السلام صاحبُه أبو بصير عند سماع حديث أمير المؤمنين عليه السلام منه قائلاً : جُعِلْتُ فِداك ، هل كان أميرُ المؤمنين يعرف أصحاب القائم كما يعرف عِدَّتَهم ؟ . فقال :) ـ لقد كان يعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم [4] .

(وزاد :) ـ وكلّ ما عرَفه أمير المؤمنين فقد عَرَفه الحسن ، وكلّ ما عَرفه الحسن فقد عرَفه الحسين ، وكلّ ما عرَفه الحسين فقد عَلِمَهُ عليُّ بن الحسين ، وكلّ ما عَلِمَهُ عليُّ بن الحسين فقد عَلِمَهُ محمدُ بن عليّ ، وكلّ ما عرَفهُ محمدُ بن عليّ فقد عَرَفه وعَلِمَهُ صاحبُكم (يعني نفسَه . .) قال صاحبه : مكتوب ؟ . فقال الصادق عليه السلام : مكتوبٌ في كتابٍ محفوظ في القلب ، مُثْبتٌ في الذكْر لا يُنسى ! [5] . (وجاء عن الجواد عليه السلام راوياً عن آبائه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله :)

ـ مع القائم صحيفةٌ مختومةٌ ، فيها عددُ أُصحابه بأسمائهم وبُلدانهم ، وطبائعهم ، وحُلاهم وكُناهم . هم كرّارون مُجدُّون في طاعة الله وطاعته [6] . .

(١) الغيبة للنعماني ص ١٦٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٦ وص ٣٦٢ عن الباقر عليه السلام .
(٢) بشارة الإسلام ص ٢٠٨ وص ٢٠٥ : القسم الأول منه ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٩٩ وفي منتخب الأثر ص ١٦٢ شيء منه وص ٤٧٦ وفي الملاحم والفتن ص ١٦٨ بلفظ آخر .
(٣) إلزام الناصب ص ١٧٨ .
(٤) بشارة الإسلام ص ٢٠٨ وإلزام الناصب ص ١٩٩ والغيبة للطوسي ص ٢٨٥ بعضه .
(٥) بشارة الإسلام ص ٢٠٨ .
(٦) بشارة الإسلام ص ٩ وإلزام الناصب ص ٦٣ .

(ثم يكمل أمير المؤمنين عليه السلام أحاديثه الكثيرة عنهم بقوله :) ألا بأبي وأمي من عِدَّةٍ أسماؤهم في السماء معروفة وفي الأرض مجهولة ! (١) . (ولولا جهلنا بها لما خامرَ قلوبَنا الريب . أمّا من عرفها عن طريق السماء فقد عرفها وبلّغنا عنها كما ترى . . وقد وصف شدَّتَهم في الدين فقال عليه السلام :)

- يُجاهدهم في الله (أي يجاهد الكفّارَ) قومٌ أذلَّةٌ عند المتكبرين ، في الأرض مجهولون ، وفي السماء معروفون (٢) . (ووصفهم في مناسبة أخرى بقوله عليه السلام :)

- قومٌ لم يمنُّوا على الله بالصبر ، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحقّ ، حتى إذا وافى واردُ القضاء وانقطاعُ الرجاء جَلَوا بصائرَهم عن أسيافهم ، ودانوا لربّهم بأمر وَاعِظِهم (اهتدَوا للحق وانصاعوا ، وأطاعوا إمامهم) . كلُّهم ليوثٌ قد خرجوا من غاباتهم ، لو أنهم هَمُّوا بإزالة الجبال لأزالوها من مواضعها ! . فهم الذين وحّدوا الله حق توحيده . لهم في الليل أصواتٌ كأصوات الثواكل حُزْناً من خشية الله ، قُوّامٌ بالليل صُوَّامٌ بالنهار ، كأنما ذَأْبُهم ذَأْبٌ واحد . قلوبُهم مجتمعةٌ بالمحبّة والنصيحة (٣) .

(وقد ورد مبدوءاً هكذا :) - إذا قام تَجتمعُ إليه أصحابُه على عدّة أهل بدرٍ وأصحاب طالوت ، وهم ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً ، كلُّهم ليوث (٤) . . إلخ . .

(وجاء عنه عليه السلام :) - إنهم يجتمعون من مطلع الشمس ومغربها ، في نصف ليلة ، إلى مكة (٥) . . (فما أدقّ هذا التعبير ، لأن أبعد بلدٍ في الدنيا عن مكة المكرمة لا تحتاج إلى أكثر من مسيرة نصف ليلة بالطائرة إلى جُدَّةَ وبالسيارة إلى مكة إذا اقتضى الأمر حضورهم كما تريد عقولنا وكما نألف . . ثم وصفهم بقوله :)

- أصحاب القائم شبابٌ لا كهول فيهم ، إلا مثل الكحل في العين والملح في الزاد ، وأقلّ الزاد الملح ! (٦) . . (رُوي هذا عن الباقر عليه السلام وأتمّ أبو الحسن :)

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٦ وبشارة الإسلام ص ٨٣ ومنتخب الأثر ص ٢٣٩ و٣١٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٤ .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٥.

(٣) بشارة الإسلام ص ٢٢٠ وإلزام الناصب ص ١٩٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٥.

(٤) إلزام الناصب ص ١٩٩ .

(٥) بشارة الإسلام ص ٢٢٣ .

(٦) الغيبة للنعماني ص ١٧٠ ومنتخب الأثر ص ٤٨٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ وبشارة =

ـ لا يزال الناس يُنقصون (في الدين) حتى لا يقال : لا إله إلاّ الله ، إلاّ مُستخفياً ، ثم يأتي الله بقوم صالحين . . أولئك هم خيار الأمة مع أبرار العِتْرَة . . فإذا كان ذلك ضربَ يَعسوب الدين بذنَبه ، فيبعث الله قوماً من أطرافها ، يجمعهم الله كيف يشاء ، فيتوافدون من الآفاق ثلاثمئة وثلاثة عشر ، حتى أن الرجل لَيحتبي (أي يلتفّ بثيابه) فلا يفكُّ حَبْوَتَهُ حتى يُبلغه الله ذلك [1] . . (فكأني بأمير المؤمنين عليه السلام ينظر إليهم سائرين في آفاق الأجواء ، يراهم في سفرهم بأزيائهم ، ويرى أن الواحد منهم لا ينزع رداءه الذي ارتداه في بيته حتى ينزل من الجوّ ، ويَبلغ حدَّ الإحرام في مواقيت مكة المكرمة . . وإننا ـ نحن ـ لا يحتاج المسافر منّا بالطائرة إلى نزع ثيابٍ ولا إلى فَكِّ حَبْوَةٍ ، ولذلك كان الإمام وأبناؤه عليهم السلام جميعاً يتحدثون عن مجيء الأنصار بذهنية من سيعيش بعدهم بأربعة عشر قرناً من الزمن . . فتأمَّلْ تَرَ أن لا عجبَ في ذلك ! . ثم اسمع أمير المؤمنين عليه السلام يتابع الوصف كمن ينظر في لوحٍ مرسومٍ ظاهرٍ لعينَيه :)

ـ كأني أنظر إليهم ، والزيُّ واحدٌ ، والْقَد واحدٌ ، والْجَمال واحدٌ ، واللباس واحدٌ ! . (كأنه يقصد مَظهرهم يوم البيعة المباركة وامتشاق سيوف العدل) كأنما يطلبون شيئاً ضاع منهم . فهم مُتحيِّرون في أمرهم ، حتى يَخرج إليهم من تحت ستار الكعبة في آخرها ، رجلٌ أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خَلْقاً وخُلُقاً وحُسْناً وجَمَالاً ، فيقولون : أنت المهديّ ؟ ! ! فيجيبهم ويقول : أنا المهديّ ، بايِعُوا [2] . (فيبايعون على شروطٍ تراها مفصَّلةً في موضوع : يومِ الخلاص التالي إن شاء الله تعالى . . ثم قال معقباً على الآية الكريمة :)

﴿ يا أيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا : مَنْ يَرْتَدَّ منكم عَنْ دِينِه ، فَسوف يَأْتي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم

= الإسلام ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ بلفظ آخر ، والملاحم والفتن ص ١١٨ أوله .

(١) منتخب الأثر ص ٤٧٦ و١٦٤ جزء منه ، وبشارة الإسلام ص ٣٩ و٤١ و٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٤ والغيبة للطوسي ص ٢٨٥ بلفظ آخر ، والغيبة للنعماني ص ٢٩ بعضه ، والملاحم والفتن ص ٦٤ وص ١٤٥ باختصار . وبشارة الإسلام ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٤ وإلزام الناصب ص ٥٥ بعضه ، ومثله في المهدي ص ٢١٦ عن الباقر عليه السلام .

(٢) الملاحم والفتن ص ١٢٢ .

ويُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٍ على المؤمنينَ ، أَعِزَّةٍ على الكافِرِينَ ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ : هُم أصحابُ القائم [1] .

وقد سُئل رسولُ الله ﷺ عن تفسير هذه الآية ، فضرب على عاتق سلمان الفارسيِّ رضوانُ الله عليه ، ثم قال : هذا وذَوُوه ! . ثم قال : لو كان الدين معلَّقاً بالثريًا لَتناوله رجالٌ من أبناء فارس [2] ! . قالها وأبناءُ فارس يومئذٍ مجوسٌ يعبدون النار ! . فتأمل واستعمل بصيرتك بقول هذا النبيِّ الكريم الذي عرَّفه ربُّهُ مستقبل أهل فارس وإيمان أهل فارس ، فقال ما قال متحدّياً نار المجوس ، ومتحدّياً مجوس أمّته ومنكِري عَظَمتِه والمرتدِّين عن دينه ، يَجْبَهُ الكلَّ بمثل هذا الحديث من أعلام نبوّته ! ! !

(ثم قال وصيّه عليه السلام :) - إن أهل الكهف كلهم أعجام ، ولا يتكلمون إلاّ بالعربية [3] . (أي يوم خروج المهديّ عليه السلام ولا تستعجلْ في العَجب ، فإن جميع الصالحين يُبعثون يوم القيامة وهم يتكلمون بالعربية لأنها لغة أهل الجنّة ، يُلهمهم الله تعالى إياها إلهاماً فتستمرُّ عليها ألسنتُهم بفصاحةٍ ليس لها نظير كما هو المرويُّ عندنا في الأخبار . وقد جاء في أخبار المهديّ عليه السلام أنه :)

- يسلِّم عليهم ، فيُحييهمُ الله عزَّ وجلَّ ، ثم يَرجعون إلى رَقْدَتِهم إلى يوم القيامة [4] . (وذلك عند مروره بكهفهم قرب عَكّا أثناءَ فتوحاتِه ، يَفعل ذلك إيذاناً من الله تعالى بأنّه المهديُّ ، ومُعجزةً ينعكس اثرُها على اليهود الذين يكونون يومئذٍ لا يزالون في سواحل فلسطين الغربية . ثم قال أميرُ المؤمنين عليه السلام في إكمال تصوير الأنصار :)

- لَيَشحذنَّ فيها قومٌ شَحْذَ القَينِ النَّصْلَ (والقَين : الحدّاد) تُجْلَى بالتنزيل (أي بالقرآن) بصائرهُم ، ويُرمى بالتفسير في مسامعهم ، ويَغبقون كأس الحكمة بعد

---

(١) المائدة - ٥٤ ، والخبر في منتخب الأثر ص ٤٧٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٧ .
(٢) أنظر الرقم السابق .
(٣) منتخب الأثر ص ٤٨٥ وأنهم يكونون وزراء المهديّ عليه السلام .
(٤) منتخب الأثر ص ١٦٥ والزام الناصب ص ١٧٧ بمعناه . وفي الإرشاد ص ٣٤٤ : وقيل إنهم يبايعونه هم وخمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يَعدِلون .

الصُّبوح . . وله رجال إلّهيون يُقيمـون دعوتـه وينصرونـه . هم الوزراء لـه ، يتحمَّلون أثقال المملكة عنه ، ويُعينونه على ما قلَّده الله [1] . .

(وهكذا يكون قد تكلَّم عن المبشَّرين به عبر التاريخ ، ثم تكلَّم عن أعـوانه في الحرب والفتوحـات والحكم . . وقال عليه السلام :) ـ واللّهِ سيُجمـع هؤلاء لشرِّ يـومٍ لبني أميَّة ، كما يجمع قَزَع الخريف ، ثم يؤلِّف الله بينهم [2] .

قال الإمام زين العَابدين عليه السلام :

﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ، فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ﴾ . . .
ما يوعدون : يعني القائم وأنصاره بالنسبة لأعدائـه [3] . (وقد رُوي عن الصـادق عليه السلام مثله . . ثم ذُكر خطبة القائم عليه السلام للناس يوم ظهوره ، ودعوته إيَّاهم للبيعة فقال :)

ـ ثم يقـوم رجلٌ منـه (أي من أسرتـه) فينادي : أيهـا الناس ، هـذا طَلِبتكم قد جاءكم يدعوكم إلى ما دعـا إليه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فيقوم بعضهم إليـه ليقتلوه ، فيقوم ثلاثمئة ونيِّفٌ فيمنعونه ، منهم خمسون من أهل الكوفة ، وسـائرهـم من أفْناء الناس . (أي لا يُعلم مِمَّن هم) لا يَعـرف بعضهم بعضـاً ، اجتمعـوا على غيـر ميعـاد [4] . (وسـترى تفصيلاً لـذلك أشمـلَ في موضـوع : يوم الخـلاص فيمـا يـأتي إن شـاء الله تعالى) .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

يظهر في ثلاثمئة وثلاثة عشـر رجلاً ، عـدة أهلِ بـدر ، على غير ميعـاد ، قَزعـاً كقَزع الخريف [5] . (ووصـف اجتماعهم فقال عليه السلام :)

---

(1) ينابيع المودة ج ٣ ص ٩٥ نصفه الأول وص ٣٧ نصفه الأخير ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٩٢ وفي بشارة الإسلام ص ٢٩٧ والإمام المهدي ص ٣٤٣ وإسعاف الراغبين ص ١٤٣ ونور الأبصار ص ١٧٠ .
(2) بشارة الإسلام ص ٦٢ . .
(3) الجنّ ـ ٢٤ ، والخبـر في ينابيـع المـودة ج ٣ ص ٨٤ وبشـارة الإسـلام ص ٦٢ وإلـزام النـاصب ص ٣٢ عن الباقرين عليهما السلام وص ٢٤٢ عن الصادق عليه السلام .
(4) إلزام الناصب ص ٢٢٦ والبحار ج ٥٢ ص ٣٠٦ .
(5) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٥ وإلزام الناصب ص ٢٢٦ بلفظ آخر .

- بَيْنَا شبابُ الشيعة على ظهور منازلهم نيامٌ ، إذ توافَوا إلى صاحبهم في ليلة واحدة على غير ميعاد ، فيصبحون بمكة ، يجتمعون قَزَعاً كقَزَع الخريف من القبائل [1] . . (وكأن في ظاهر هذا الخبر إشارة إلى خروج القائم عليه السلام في فصل يكون حارّاً في بعض المناطق ، إذ من المعتاد أن ينام بعض أهل الشرقَين : الأدنَى والأقصَى على سطوح منازلهم أيام الْحَرّ . ولذلك نراه قد تحدَّث عن إحدى مناطق الشرق الأقصَى مرةً بقوله :)

لا بدَّ لنا من آذربيجان ، لا يقوم لها شيء ! . (أي لا بدَّ لثورة المهديّ عليه السلام من ثورة تنطلق من آذربيجان لا يقف بوجهها شيء) فإذا كان ذلك فكونوا أحْلاس بيوتكم (أي مُلازِمين لها لا تَخرجون) وَالْبُدوا ما لَبَدنا ، وانتظروا النداء والخسف بالبيداء ، فإذا تحرَّك متحركُنا فاسعَوا إليه ولو حَبْواً [2] . (رُوي عن ابنه الصادق عليه السلام مثله ما عدا انتظار الخسف والنداء . . وقال عليه السلام :)

- أصحابُ القائم ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر ، أولادُ العجم ، بعضُهم يُحْمَل في السحاب نهاراً ، وبعضُهم نائمٌ على فِراشه فيوافيه في مكة على غير ميعاد [3] . (رُوي بلفظه عن الصادق عليه السلام . والنائم على فراشه قد لا تَعني أكثر من التشبيه ، أي أنه يُنْقَلُ براحةٍ في الطائرة أو ما شابهها وكأنه نائم على فراشه ، لأن النوم ميسور في هذه الحالة ، وخصوصاً حين يستلقي الواحد منهم على الكرسيِّ الوثير ، ويحلم بالسعادة الأبدية والساعة الكريمة التي يصافح فيها اليد الشريفة التي تخلِّص البشر من آلامهم الْمُزمنة ! .

فما أجرأ نبيَّنا وأوصياءه عليهم السلام على الجهر بكلمة الحقّ ! . إنهم يقولونها ولو كان

---

(1) الغيبة للنعماني ص ١٧٠ عن الصادق عليه السلام والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٩ و٢٨٨ وص ٣٠٦ ما عدا أوله ، وص ٣٧٠ عدا آخره ، وإلزام الناصب ص ٢٢٣ وفي ينابيع المودة ج ٣ ص ٧٩ آخره ، ومثله في بشارة الإسلام ص ١٠٣ و٢٠٥ و٢٠٧ وفي الإمام المهدي ص ٢٢٦ .

(2) الغيبة للنعماني ص ١٠٢ و١٤٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٩٢ وص ١٣٥ عن الصادق عليه السلام ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٣٧ و١٧٥ والملاحم والفتن ص ١٦٤ وبشارة الإسلام ص ١٢١ .

(3) الغيبة للنعماني ص ١٧٠ والبحار ج ٥٢ ص ٣٧٠ وإلزام الناصب ص ٢٢٣ الإسلام ص ٢٠٥ وص ١٠٣ أوله .

قولها تحدّياً للتاريخ ، لأنهم يتكلمون عَمَّنْ يُحْمَلُ في السَّحاب منذ أربع عشرة مئةً من السنين ، وكأنهم بذلك يخاطبوننا عبر أسماع الرُّواة عنهم ، ويخاطبون من يَلي من الأجيال ، واثقين بأن التاريخ سيكشف صدق أخبارهم التي وثقوا بها ثقتهم بربِّهم ! .
هذا هو الإيمان الشامخ الراسخ برسالة السماء ، وما دونه لغوٌ وباطل ! ! !

ثم يبشِّر الباقرُ عليه السلام شيعةَ أهلِ البيت بقوله :)

ـ من أدرك قائمَ أهل بيتي من ذي عاهةٍ بَرىء ، ومن ذي ضَعفٍ قَويَ (١) . .

(ويؤكد ابنه الصادق عليه السلام الطُّمأنينة فيقول :) ـ . . . وتزول كلُّ عاهةٍ عن معتقِدي الحقّ من شيعة المهديّ ، فيعرفون عند ذلك ظهورَه بمكة فيتوجهون لنُصرته ، تُطْوَى لهم الأرضُ ويذلَّل كلُّ صعب (٢) .

(وكان جدُّه زين العابدين عليه السلام قد سبق إلى القول :) ـ إذا قام القائم أذهب الله عن كل مؤمن العاهةَ ، وردَّ إليه قوَّته (٣) .

(وسبق إلى حديث أكثر تفصيلاً جاء فيه :) ـ إنَّه لَو قد كان ذلك ، أُعْطِيَ الرجُلُ قوَّةَ أربعين رجلاً ، وجُعلت قلوبُهم كزُبُر الحديد . لو قذف بها الجبال لَقَلَعها ، وكنتم قُوَّام الأرض وخُزَّانها (٤) .

(وحديث آخر هو :) ـ إن الرجل منهم يُعطَى قوَّة أربعين رجلاً ، وإن قلبه لأشدّ من زُبر الحديد ! . ولو مرُّوا بجبال الحديد لقطَعوها ! . لا يكفُّون سيوفهم حتى يرضى الله عزّ وجلّ (٥) . .

(وقال من بعده حفيدُه الإمام الرضا عليه السلام :) ـ وتَصير إليه شيعتُه من أطراف

---

(١) المهدي ص ١٩٧ وبشارة الإسلام ص ٢٤٣ .
(٢) منتخب الأثر ص ٤٨٦ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ وإلزام الناصب ص ١٨٥ وبشارة الإسلام ص ١٧٦ والإمام المهدي ص ٢٣٥ .
(٣) الغيبة للنعماني ص ١٧١ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٤ وص ٣١٧ عن زين العابدين عليه السلام ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٣٩ و٢٣٠ .
(٤) بشارة الإسلام ص ٢٤٠ وإلزام الناصب ص ٢٢٧ والغيبة للنعماني ص ١٦٦ بلفظ قريب . ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٣٧٢ عن الصادق عليه السلام . وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٩ .
(٥) إلزام الناصب ص ٢٢ وص ١٣٩ ومنتخب الأثر ص ٤٨٦ والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٧ .

الأرض ، تُطْوَى لهم الأرض طيّاً حتى يبايعوه [١] . (وسترى كيف تُطوى الأرض لأنصار القائم عليه السلام فيما يلي من كلامٍ لزين العابدين عليه السلام في موضوع : يوم الخلاص إن شاء الله تعالى ، وإن كان يَطُل العجَبُ حين نفكّرُ أن الله الذي قيّض هذا المخلِّص للإنسانية من عذابها ، يمكن أن يقيّض لأنصاره ومُبيدي الظالمين من أعدائه وسائل نقلٍ عجيبةٍ لا تقلُّ عن عَجَبِ أجدادنا من الطائرة والمركبة الفضائية وركوب الجوِّ والتنقّل بين الكواكب لو سمعوا بذلك قبل موتهم ، وقبل وجود هذه الوسائل المدهشة التي ننظر إليها اليوم نظرةً عاديّة . . أما الباقر عليه السلام فيتابع الوصف بقوله :)

ـ يبعث الله قائم آل محمد في عُصبةٍ لهم ـ أي لعامّة الظالمين ـ أدقّ في أعين الناس من الكحل . فإذا خرجوا بكى لهم الناس ، لا يَرون إلا أنهم يُختطفون . (أي يُقتلون) يفتح الله لهم مشارق الأرض ومغاربها . . ألاَ : هُمُ المؤمنون حقّاً . . ألاَ إن الجهاد في آخر الزمان [٢] . (وقد رُوي عن الصادق عليه السلام ما هو قريبٌ منه . وقال أبوه عليه السلام أيضاً :)

ـ . . . ويجيء واللّهِ ثلاثمئةٍ وبضعة عشر رجلاً ، منهم خمسون امرأة ، يجتمعون في مكة [٣] . (ولم يَرِدْ خبرٌ وجود النساء إلاّ في هذا الحديث ، لأن وجود النساء بين الأنصار غير وارد في الحرب لسوى تضميد الجراح وبعض الإسعافات . وقد ورد حديث آخر عن الصادق عليه السلام أقرب إلى المعقول قال فيه : يكون مع القائم ثلاث عشرة امرأة يُداوين الجرحَى ويَقُمن على المريض . وهو أقربُ إلى الذهن ، فمع الجيوش ممرضات مسعفات ، في غالب الأحيان . . والنساء لا يشتركن يقيناً في البيعة الأولى ولا يعملن إلاّ بعد أن تنشب الحرب . وقد قال في تأويل الآية الكريمة :)

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرنَا عَنهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾ : إن الأمة المعدودة هم

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٦٥ والإرشاد ٣٤١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ وفي المهدي ص ١٩٨ عن الإمام الصادق عليه السلام ، وكذلك في الإمام المهدي ص ٩٥ .
(٢) منتخب الأثر ص ٤٥٥ والغيبة للطوسي ص ٢٧٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٧ وبشارة الإسلام ص ١٧٨ .
(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٢٣ وإلزام الناصب ص ١٧٦ والغيبة للنعماني ص ١٥٠ باختلاف يسير .

أصحاب المهديّ في آخر الزمان . هم والله الأمة المعدودة . ﴿ لَيَقُولُنَّ : مَا يَحْبِسُهُ ﴾ عن الخروج أو نزول العذاب على يده ؟ . ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [1] . (رُوي عن الصادق وقال عليه السلام :)

ـ هم والله الأمّةُ المعدودة ، يجتمعون في ساعةٍ واحدةٍ قُزَعاً كقَزَع الخريف ، فيبايعونه بين الرُّكن والمقام ، ومعه عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله يتوارثه الأبناءُ عن الآباء [2] . (وورد نصفه الأخير عن الإمام الباقر عليه السلام .

ثم قال عليه السلام مؤوِّلاً الآية الكريمة :)

ـ واسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ : أَلْخَيْراتُ : الولاية ، ويَأْتِ بكم : يَعني أصحاب القائم عليه السلام [3] .

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

ـ أَمَا إني لو ادركتُ ذلك لاسْتَبْقَيْتُ نفسي لصاحب هذا الأمر ! [4] . (فكم في قوله المبارك هذا من حثٍّ على الانتظار وإعداد النفس ليوم الثورة الميمونة ! . ثم قال عليه السلام :)

ـ يقف بين الركن والمقام ، فيصرخ صرخةً فيقول : يا معاشر نُقَبائي ، وأهلَ خاصّتي ومن ادَّخرهم الله لنُصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض : إئتوني طائعين ! . فتَرِدُ صيحته عليهم وهم في محاريبهم وعلى فُرُشهم في شرق الأرض ومغربها ، فيسمعونه في صيحةٍ واحدةٍ في أُذن كل رجلٍ ، فيجيبون نحوها [5] . . (وما زال

---

(١) هود ـ ٨ ، والخبر في البحار ج ٥١ ص ٥٥ وفي ص ٥٨ نصفه الأول وص ٤٤ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وج ٥٢ ص ٢٨٨ وفي ٣٤٢ أوله ، وإلزام الناصب ص ٢٤٠ والغيبة للنعماني ص ١٢٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٨ بلفظ آخر ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٢٢٧ وفي الإمام المهدي ص ٤٣ عنه وعن أمير المؤمنين عليهما السلام ، ومنتخب الأثر ص ٤٧٥ بعضه .

(٢) إلزام الناصب ص ١٨ وبشارة الإسلام ص ١٠٣ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٨٨ والإمام المهدي ص ٣٢ .

(٤) الغيبة للنعماني ص ١٤٥ .

(٥) بشارة الإسلام ص ٢٠٦ والغيبة للطوسي ص ٢٨٤ وإلزام الناصب ص ١٨٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٣ .

المذيع العاديّ قادراً على إسماع صوته إلى ملايين الناس من وراء المذياع ، فلا يصعب على القائم عليه السلام أن يمسك بيده آلةً باثّةً تُسْمِعُ سائر أصحابه بشكلٍ متطوِّر قد لا يحتاج إلى آلة لاقطة كالتي صنعها الإنسان ، بل سيلتقط الدعوةَ كلُّ مذياع وكلُّ تلفزيون ، وستسمعه كل أذن . . وهذا غير مستحيل لا على قدرة الإنسان ولا على قدرة الله تعالى ! . بل قال عليه السلام :

ـ يُصبح أحدُكم وتحت رأسه صحيفةٌ عليها مكتوبٌ : طاعةٌ معروفة ! . [1] .

(فهل هذا تنجيم ؟ ! وسِحر ؟ ! لا . فإنه الحديث الذهبيُّ المسلسلُ : منذُ مشيئة الله عزّ وجلّ . حتى قلم القُدرة . فاللّوح المحفوظ ، فجبرائيل عليه السلام فالنبيُّ صلى الله عليه وآله فأهل بيته عليهم السلام . . قضاه الله في سابق تقديره ، ثم نقلَه واحدٌ عن واحدٍ دون زيادةٍ أو نُقصانٍ ، والدليلُ عليه فيه . . وَوِزْرُ إنكارهِ يقع على كاهل المُنكِرين . . وما هو بتنجيم ولا سحر ! .

ثم قال عليه السلام مرة لصاحبه أبي بصيرٍ بحضور واحدٍ من خراسان :)

ـ أُركض بِرِجْلك الأرضَ ، فإذا بحرٌ تلك الأرض على حافّتيه فُرسانٌ قد وضعوا رقابهم على قرابيس سُروجهم . هؤلاء من أصحاب المهديّ [2] . . (وهؤلاء هم جنود الخراسانيّ الذين يصيرون في جيش المهديّ عليه السلام حين الإلتقاء به ، بل إن أكثر أنصاره السابقين من أولاد العجم . . وقد سئل الصادق عليه السلام : كم مع القائم من العرب ؟ . فقال :)

ـ إتق شرَّ العرب فإن لهم خبرَ سوء ! . أمَا إنه لا يخرج مع القائم منهم أحد[2] . . (وهذا لا يعني أنه لا ينصره منهم أحد ، بمقدار ما يَعني ـ بالضَّبط ـ أنه ليس بين الثلاثمئة وثلاثة عشر أحدٌ بَدْءاً ، وإن كان يلتحق به بعد البَيعة الفَورية كثيرون كما سمعت فيما سبق من مصر والشام والحجاز وغيرها ، إذ سوف لا يخرج من مكة إلا بجيش عدده عشرة آلاف رجل فيهم عرب كثيرون كثيرون . . وقال :)

ـ إن صاحب هذا الأمر محفوظ له أصحابه . لو ذهب الناس جميعاً أتى الله له

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٠٥ وص ٣٢٤ وفيه : إسمعوا وأطيعوا .
(٢) الاختصاص ص ٣٢٥ .

بـاصحابـه . وهم الـذين قـال الله عـزّ وجـلّ فيهم : ﴿فـإنْ يَكْفُـرْ بِهَـا هَؤُلَاءِ ، فَقَـدْ وَكَّلْنَـا بِهَـا قَوْماً لَيْسُـوا بِهَا بِكَـافِرِيْنَ﴾ . . . وهم الـذين قال الله فيهم : ﴿فَسَـوْفَ يَـأْتِي الله بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّـوْنَـهُ ، أَذِلَّـةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ ، أَعِـزَّةٍ عَلَى الْكَـافِـرِينَ﴾ . . والـذين كفـروا بـرسـالـة محمد ﷺ وبقضية المهدي ؏ هم قريش والعرب ، وأصحاب المهـديّ ؏ هم الأعِـزّةُ على الكـافـرين ، الأذِلّـة على المؤمنين [1] . (ثم سئل عن أصحـاب القـائم هكذا :)

ـ ليس على ظهـرهـا مؤمن غيـر هؤلاء ؟ . فقـال : بَلَى في الأرض مؤمنـون غيرهم . ولكنهم الْعِدَّةُ التي يَخرج فيها القـائم ؏ . وهم النُجباء والقُضـاة والحُكّام والفُقهاء في الدين . يمسح الله بطونهم وظهورهم فلا يُشكل عليهم حُكْم [2] . . . (ومَسْحُ الله لبطونهم وظهـورهم هو خَلْقُهم طـاهرين مـطهّـرين في ألسنتهم وفـروجهم ممتنعين عن المحرّمات ، مُتفقّهين لأمور الدين نُجباء فُقهاء . . ووصفهم ثانيةً بقوله :)

ـ هم أصحاب الألوية ، وهم حُكّام الله في أرضه على خلْقه[3] . (وقال يوضّح بعض الهويّات لجلال قَدْر أصحابها :)

ـ له كنوز بـالطالقـان [3] ما هي من ذهبٍ ولا فضـةٍ ، بل هي رجـال كأن قلوبهم زُبر الحديد ، لا يَشوبها شك ، في ذات الله أشدّ من الحجر ، لـو حَملوا على الجبال لأذلّوها ، لا يقصدون برايتهم بلداً إلّا خرّبوها (أي خرّبوا مظاهر الكفر فيهـا .) كأنهم على خيولهم العُقبان يتمسّحون بسَرج الإمام يطلبون بذلك الْبَركة ، ويَحُفُّون بـه يَقونـه بـأنفسهم في الحرب ، ويَكْفـونه مـا يريـد . رجـالٌ لا ينـامـون الليـل ، لهم دويٌّ في صلواتهم كَدَويِّ النحلِ ، يبيتون قياماً على أطرافهم (أي راكعين ساجدين) ويسبّحـون على خيولهم . وهم أطوعُ من الأمَةِ لسيِّدهـا . كأنَّ قلوبهم القنـاديلُ ، وهم من خشية الله مُشفِقون . . شِعارُهُم : يا لثارات الحسين ! . يسيرُ الرُّعبُ أمـامهم مسيرةَ شهـر ،

---

(1) الأنعـام ـ ٨٩ ، والمـائـدة ـ ٥٤ ، والخبر في الغيبـة للنعماني ص ١٧٠ والبحـارج ٥٢ ص ٣٧٠ وإلزام الناصب ص ١٩ وينـابيع المـودة ج ٣ ص ٧٧ وبشارة الإسـلام ص ٢٠٧ والإمام المهـدي ص ٣٩ـ ٤٠ و٤١ .

(2) منتخب الأثر ص ٤٨٥ والملاحم والفتن ص ١٧١ وبشارة الإسلام ص ٢١١ .

(3) أنظر مصادر الرقم التالي .

يَمشون إلى المَولى أرسالاً ، بهم يَنصرُ اللّهُ إمامَ الحق [1] . (وقد رُوِيَ القسمُ الأكبرُ منه عن أمير المؤمنين ﵇ ثم جاء عنه وعن حَفيدَيه الصادقَين ﵉ بلفظ :)

ـ وَيْحاً للطالقان ! . فإن لِلّهِ فيها كنوزاً ليست من ذهبٍ ولا فضةٍ ، ولكنْ بها رجالٌ عرفوا الله حق معرفته ، وهم أنصار المهديِّ في آخر الزمان [2] . (وجاء عن الصادق ﵇ مبدوءاً بـ : بَخٍ بَخٍ للطالقان [3] . . وسبقَ أن قال النبيُّ ﷺ في هؤلاء الأنصار الشُرفاء :)

ـ وله بالطالقان كنوزٌ لا ذهبٌ ولا فضّة ، إلاّ خيولٌ مطهّمة ورجالٌ مسوَّمة ! . يَجمع الله عزَّ وجلَّ له من أقاصي البلاد على عدد أهل بَدْر : ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً [4] . . (ووصف الإمامُ العسكريُّ ﵇ أنصارَه وصفاً رائعاً تجده في موضوع : يوم الخلاص إن شاء الله . . ومن العجيب أن النبيَّ ﷺ وأهل بيته قد قالوا ذلك القولَ في أهل الطالقان في حين كان أهلُ الطالقان في أيامهم مجوساً يعبدون النار ! . فتأمّلْ واعجبْ ! . ثم أكمل الصادق ﵇ الوصف قائلاً :)

ـ إذا قام القائم ﵇ ، نزلت سيوفُ القتال ، على كل سيفٍ اسمُ الرجل واسمُ أبيه [5] . . (أي نزلت إلى الحرب ، ولعل أصحابها قد نقشوا عليها أسماءهم . وبذلك يرتاح فكر القارىء من عبء التفكير بنزولها من السماء إذا كان ذلك كذلك بحسب علم الله . . وقال يوماً وهو في البيت الحرام ، في موسم الحج :)

---

(١) الطالقان : بلدتان ، إحداهما بخراسان بين مرو وبلخ ، وهي أكبر مدينة بطخارستان ، والثانية ، وهي المقصودة غالباً ، بلدة ومنطقة بين قزوين وأبهر فيها عدد كبير من القرى يقع عليه هذا الاسم في بلاد جبلية لا يزال أهلها يقيمون الشعائر الدينية كاملةً غير منقوصة على سيرة السلف الصالح ، حتى اليوم . والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٣٠٨ وبشارة الإسلام ص ٢٢٥ وإلزام الناصب ص ٢٢٧ .

(٢) البحار ج ٥١ ص ٨٧ ومنتخب الأثر ص ٤٨٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦١ وإلزام الناصب ص ٢٥٤ نقلاً عن البيان ، وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٨ عن أمير المؤمنين ﵇ ، ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ١١٠ و١٦٧ .

(٣) المهدي ص ٢١٧ نقلاً عن ينابيع المودة ص ٤٤٩ . (طبعة قديمة) . وغاية المرام ص ٧٠٠ .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ٣١٠ ـ ٣١١ وبشارة الإسلام ص ٩ وفي الملاحم والفتن ص ٥٠ نصفه الأخير وإلزام الناصب ص ٦٣ .

(٥) الغيبة للنعماني ص ١٢٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٦ .

ـ سيأتي الله بثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً في مسجدكم هذا ، يَعلم أهلُ مكة أنهم لم يولدوا من آبائهم ولا أجدادهم ، عليهم سيوف، مكتوبٌ على كل سيفٍ اسمُ الرجل واسمُ أبيه ونسبه[1] . . (وفي قوله لم يولدوا من آبائهم ، لعلّه يقصد أنهم من غير العرب أو من غير بلادهم على كل حال ، والأول أصح لأنه قال مرة :) .

ـ لَيَنْصُرَنَّ الله هذا الأمرَ بمن لا خَلاَقَ له . ولو قد جاء أمرُنا لَخَرج منه من هو اليوم مقيمٌ على عبادة الأوثان[2] . (أي أنه ينصرف عنه بعض مَن تَعُدُّونه متديِّناً ، وهو يُبطن النفاق ويعبد الله على حرف ، ثم ينصره مَن لم يكن في الحسبان ممن لا خَلاَق له ولا ذكْر . . ثم خاطبنا عبر الأجيال بقوله :)

ـ لِيُعِدَّ أَحَدُكم لخروج القائم ﷺ ولو سهماً . فإنْ عَلِم الله ذلك من نيّته رجوتُ لأنْ يُنْسأ (أي يُمَدّ) في عُمره حتى يدركه ويكون من أعوانه وأنصاره[3] . . (وفصَّل الحديث عنهم بما لم يسبقه إليه أحد من آبائه ، ولا كرَّره غيره من أبنائه فقال :)

ـ يَجمعهم الله عزَّ وجلَّ بمكة في ليلة واحدة ، وهي ليلة جُمعة . فيصبحون بمكة في بيت الله الحرام ، لا يتخلّف منهم رجل واحد . فينتشرون بمكة في أزقّتها ، ويطلبون منازلَ يسكنونها فيُنْكِرهم أهلُ مكة ، وذلك أنهم لم يعلموا بقافلةٍ قد دخلت من البلدان لِحَجٍّ ولا لِعُمرةٍ ولا لتجارة . فيقول مَن يقول من أهل مكة بعضُهم لبعض : ما تَرون قوماً من الغرباء في يومنا هذا لم يكونوا قبل هذا ؟ . ليس هم من أهل بلدةٍ واحدة ، ولا هم من قبيلةٍ واحدة ، ولا معهم أهلٌ ولا دوابّ ! . فبينا هم كذلك ، إذ أقبل رجل من مخزوم ، فيتخطّى رقاب الناس ويقول : رأيتُ في ليلتي هذه رُؤيا عجيبة ، وأنا خائفٌ وقلبي منها وَجِل ، فيقولون : سِرْ بنا إلى فلان الثَّقَفيّ . فيقول المخزوميّ : رأيت سحابةً انقضَّت من عِنان السماء ، فلم تزل حتى انحطَّت إلى الكعبة فدارت فيها ، وإذا فيها جرادٌ ذو أجنحةٍ خُضرٍ طافت بالكعبة ما شاء الله ، ثم

---

(1) إلزام الناصب ص ٥٦ و٢٢٦ والغيبة للنعماني ص ١٦٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٨ و٢٦٩ وبشارة الإسلام ص ٢٠٤ و٢٢٥ و٢٢٩ .

(2) الغيبة للطوسي ص ٢٧٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٩ وبشارة الإسلام ص ٢٤١ وفي الغيبة للنعماني ص ١٧١ بلفظ آخر .

(3) البحار ج ٥٢ ص ٣٦٦ والغيبة للنعماني ص ١٧٣ .

تطايرت يميناً وشمالاً لا تمرُّ ببلدٍ إلاّ أحرقته ، ولا بحصنٍ إلاّ حطّمته ، فاستيقظتُ وأنا مذعورٌ وَجِل ! . فيقول الثَّقفيّ : لقد طَرَقكم في هذه الليلة جندٌ من جنود الله جلّ وعزّ ، لا قُوَّةَ لكم به . فيقولون : أمَا والله لقد رأينا عجباً ، ويحدثونه بأمر القوم . ثم ينهضون من عنده ويَهمُّون بالوثوب عليهم ، وقد ملأ الله قلوبهم رُعْباً وخوفاً . فيقول بعضُهم لبعض وهم يأتمرون بذلك : لا تعجلوا على القوم ، إنهم لم يأتوكم بَعْدُ بمنكَرٍ ولا شَهَروا السلاح ، ولا أظهروا الْخِلاف . ولعله أن يكون في القوم رجل من قبيلتكم . فإن بدا لكم من القوم شيءٌ فإنكم وهم . إنّا نراهم مُتنسِّكين سيماهم حسنة ، وهم في حَرم الله جلّ وعزّ ، الذي لا يباح من دخلَه حتى يُحْدِث حَدَثاً ، ولم يُحْدِث القوم ما يوجب محاربتهم ! . فيقول المخزوميُّ ، وهو عميد القوم : أنا لا آمن أن يكون وراءهم مادّة (أي أعوان وذخيرة) وإن أتت إليهم انكشف أمرُهم وعظُم شأنهم . فتهضُموهم وهم في قِلَّةٍ من العَدَد وغِرَّةٍ بالبلد قبل أن تأتيهم المادّة . وما احسب تأويل رُؤيا صاحبكم إلا حقّاً . فيقول بعضهم لبعض : إن كان من يأتيكم مثلهم ، فإنه لا خوف عليكم منهم ، لأنه لا سلاح معهم ولا كِراع ، ولا حصن يلجأون إليه ، وهم غُرَباء ومحتاجون . فإن أتى جيش لهم نهضتم إلى هؤلاء فيكونون كَشُرْبَة ظمآن . . فلا يزالون في هذا الكلام ونحوه ، حتى يَحجز الليلُ بين الناس ، فيضرب على آذانهم بالنوم ، فلا يجتمعون بعد انصرافهم إلى أن يقوم القائم فيلقى أصحابُه بعضُهم بعضاً كأبناء أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ افترقوا غُدْوَةً واجتمعوا عَشية ! [1] .

(وفي صبيحة تلك الليلة تكون البيعة المباركة التي تدكُّ حصون الضلالة في أقطار الأرض تماماً كما رأى المخزوميّ في الطَّيف ! . وما أسرعَ ما يُبايعُ مكّيُّون . . ثم يصحُّ القولُ الصادقُ من الإمام الصادق ﷺ :)

ـ لا يدَعون وتراً لآل محمدٍ إلاّ أخذوه [2] . (ونحن مُنتظِرون بإذنِ الله لإذنِ الله عزَّ وجلَّ بالفرَج) .

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٦٩ إلى ١٧١ تمام القصة ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٢١٠ ـ ٢١١ .
(٢) إلزام الناصب ص ٢٣ .

قال الإمَام الكاظِم عليه السلام :

(في تعليقٍ على الآيـة الكريمـة : ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ ٱلصِّرَاطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ . قال عليه السلام :)

ـ سألتُ أبي عن هذه الآية قال؛ هو القائمُ المهديُّ ومَنِ اهتدَى إلى طاعته [1] .

قال الإمام الرِّضا عليه السلام :

ـ واللّهِ لو أن قائمنا قام ، يَجمع الله إليه شيعته من جميع البلدان [2] . .

(هذا، وقد تحدثت بعض الروايات عن أسماء أنصاره وأسماء بلدانهم ، وقد وجدت اختلافاً ظاهراً فيما بينها ، فعدلت عن نقلها أو نقل بعضها ، لئلا أقع في تطويل يحتاج إلى تدقيق ومقابلات لا طائل يوصل إلى الجزم في محتواها . فمن شاء أن يطّلع على شيء من هذا فليراجع كُتُب :

الملاحم والفتن ص : ١١٩ وص : ١٦٨ ـ بشارة الإسلام ، ص: ٢٠٨ ـ ٢٢١ ـ إلزام الناصب، ص: ٢٠٠ ـ نهاية الأرب ص: ٣٤٠ ـ إلخ . . . وَلْيعتمد الطبعات التي ذكرناها في مصادرنا في آخر الكتاب ، أو لِيفتش عنها في الطبعات الأخرى إذا لزم الأمر .)

فكيفَ ينتصِرُ الأعزل ؟ !

وهل ينتصر واحدٌ على الدنيا بثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً يأتون من أقاصي المعمورة بلا عُدَّةٍ ولا عَديد إلى بلدٍ حرام ليس فيها سلاح ، وفي مناطق جرداء يجهلون دروبها ومسالكها ومخارمها ؟ ؟ ؟ .

الجواب الْفَوريّ : لا . . ونحنُ لا نقول بذلك . . وسترى نوعية سلاحه الهائل تحت عنوان : يوم الخلاص . ولكننا نُشير هنا إلى ظواهر تقتضي إعمال الفكر قبل الجواب الْفَوريّ ، منها :

---

(١) طه ـ ١٣٥ ، إلزام الناصب ص ٢٤ .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٩١ وإلزام الناصب ص ١٨ والإمام المهدي ص ٣٣ .

- أن القائم عليه السلام سيقاتل بعقيدة . . .

- أن أنصاره - الثلاثمئة وثلاثة عشر - قد ركبوا العقيدة ذاتَها من أوطانهم إلى مكّة فما أحسُّوا بوعثاء السفَر ، وسيقاتلون بها . . . حتى الموت ! .

- أنه يبايعه أكثر من تسعة آلافٍ في مكة بعد بيعة الأنصار بلا فصل كما سيجيء .

- أنَّ هذا الثائر يحمل مواريث النبوَّة من عهود اليهودية والمسيحية والإسلام . وهذه المواريث هي ما هي في مجال الحروب والتدمير والانتصارات كما سترى . . مضافةً إلى وسائل حديثةٍ تُعدُّ بسيطةً إذا قسناها بما يحمل هو وأنصاره من إيمان سيوقظ البشرية الغافية على سُكْرِ حياتها الخادعة . . ومضافةً إلى ما يقبض بيَديه من عُدَّةٍ ووسائل تموين ذات طاقة لا تخطر في بال مخلوق ! .

وإننا لن نحكيَ حَكْيَ عجائز فنصوِّر نصرَ إمامنا المنتظَر بالدعاء على الظالمين ، فيقف دعاؤه في وجه مَدافع أعدائه وقذائفهم وصواريخهم ومدمِّراتهم ووسائل حربهم المُفْنية ! . بل نعرض للقارىء صورةً بسيطةً غير مبسَّطةً نتمثَّل بها ، دون أن ننسى تذكير القارىء بثورة إيران الإسلامية التي كانت فاتحة الخير كما ستلاحظ في موضوع : الفتن ، فقد نجحت هذه الثورة بتحطيم أقوى وأمنع امبراطورية في الشَّرق ، تملك أكبرَ وأقوى جيشٍ مدرَّب ، وأحدث سلاح فتَّاك ، نجحت على أيدي شباب وكهول عُزَّل كان يسيِّرهم شيخٌ جليلٌ طاعن في السن من وراء الأبعاد والبحار والآفاق ، هو آية الله السيد الخمينيّ : القائد بعقيدته ، لملايين الجماهير المنقادة بعقيدتها ! ! ! وبتذكير القارىء بهذه الثورة نضعه في جَوٍّ جديدٍ لم تألف البشرية مثيلاً له في تاريخها القديم ، ولا في تاريخها الحديث ! . فيصير - القارىء - على شبه بيِّنة من أن الإيمان الرفيعَ الذي تجلَّى في ثورة إيران هو الذي أقصى الشاه محمد رضا بهلوي عن عرشه بسهولةٍ ويُسر ، ومحا ذكْر امبراطورية تمتد جذورها في التاريخ إلى عمق آلافٍ وآلافٍ من السنين ، وبذلك تنفتح آفاق الفكر فلا يصعب على القارىء أن يتصور خطوطاً كبرى لثورة الإمام عليه السلام بعد المفاجأة المذهلة التي تخلق أجواء وأجواء حين سماع النداء باسمه من السماء ، بصوتٍ يأتي من فوق ، ومن تحت ، وعن

اليمين والشمال ، ومن الوراء والأمام [1] ، وبذلك لا يتعجّب قارئي المُنصف من عَرضي المتواضع التالي :

* يبايعه صبيحة يوم السبت في العاشر من المحرم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، هم أنصاره .

* تهزُّ المفاجأةُ السعيدةُ لدعوة الحق ضمائر أهل مكة ومن فيها من الغرباء ـ وهم خائفون مرعوبون من جيش السفيانيّ الذي يقتل بلا شفقة ـ فيستجيب للبيعة عددٌ كبيرٌ منهم ، فلا يغادر مكة إلاّ وقد أصبح جيشه عشرة آلاف نسمة في أيام لا تصل إلى أصابع اليد الواحدة عَدّاً كما سترى في الأخبار التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . .

* يزحف بالعشرة آلاف نحو يثرب ، ولا يكون بين مسيره من مكة إلى المدينة فالقدس فالشام فالكوفة ـ حيث يُحرز انتصارات مذهلة ـ وبين أن يدخل العرب في طاعته سلْماً وحرباً ، إلا مدى شهرين أو أكثر بقليل لِمَا يسدِّد من ضَرَباتٍ قاصمةٍ ، ولِمَا يسير بين يديه من رُعبٍ مخيف . . الأمر الذي يحدّد دعوةَ الحق في أذهان الناس بوضوح ، فيتسابق إليه الأصحاب والأبدال من المؤمنين التوّاقين إلى العدل ، فيصبح الشرق الأوسط ـ أكثره ـ جيشاً مُنضوياً تحت رايته ، إلا القليل القليل ممن يقع بين فكّي الأسد فيسحقه سحقاً كما سنبيّن في البحوث التالية . .

* يُفيق الضميرُ العالميُّ من حالة الصَّرَع التي يعيشها ، وتتفتّح الآمال للعدل بعد الظلم الذي يدمِّر بعض القارات من جرّاء حرب عالمية تسبق ظهوره المبارك . . فتهفو النفوس إلى حاكم عادل . . وتتمهَّد الطريق لقبول الدعوة . . ويصير الإمام والخَصم على الخَصم . .

* يظهر انقلابٌ فكريّ ، وَتَغَيُّرٌ عقائديٌّ ، ومفاهيمُ جديدةٌ لدى انتشار نصّ خطاب عرش المجد الذي يلفظه أثناء البيعة في مكة ويبيِّن فيه دستور دولة الحق . . فيقرِّر عددٌ لا يحصى من الناس السيرَ تحت راية العدل للتخلُّص من معاناة الظلم .

---

(١) أنظر الملاحم والفتن ص ٢١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٤ وبشارة الإسلام ص ٩٩ .

* يسبق ذلك الفتنُ والانقلابات العسكرية إبّان الثورة السفيانية ، وتنتشر الفوضى ويسيطر الوهن على الناس فتُتاح الفرصة لمن يلمُّ الشّمل ويرتُق الفَتق .

* يسبق عهده ، بفترة خاطفةٍ ، حربٌ عالميةٌ تُفني ثُلث العالم . ثم يعقبها مرض الطاعون فيفني ثُلثاً ثانياً كما سترى ! .

* يكون قد سئم الناس من الفتن التي هزّت أطراف الأرض - كما أصابنا في لبنان ، وكما أصاب الشرق الأقصى وإيران ، وأصاب مناطق كثيرة في أفريقيا وأميركا وغيرها - ثم عَقِبَهَا الحرب العامة والأمراض ، فتصير القوى خائرةً ، متفرّقة ، متفكّكة ، ويصبح باستطاعة ضابط عاديّ قويٍّ في نفسه أن يقوم بالانقلاب ويحقّق الانتصارات في مناطق محدودة . . فأَحرِ بمن يتسلّحون بإيمان يُزيل الجبال ، ويَغمُر قلوباً كَزُبر الحديد ، أن ينتصروا ويحققوا هدفَهم المقدّس .

* يفتتن الناس بالدعوة الكريمة لكثرة ما تجرّعوا من الباطل ، ويطمعون بالدّعة والراحة ، وبحُكمِ عادل بيده سيف كحريق النار ! . يؤمّن لهم دَعة الدنيا والآخرةِ ! ! ! .

هذا ، والحوادث اليومية التي عايشناها منذ بدء الانقلابات العسكرية في أقطار الأرض ، تعطينا خير مِثالٍ لا نستغرب معه انتصار قائمٍ بالقسط يهزّ سيف السماء ، وسيف رسول الله ﷺ في وثبةٍ شعارُها : أَمِتْ ، أَمِتْ . . لا تَقبلُ الجِزْيَة ولا الحياد ، لأن شعارها قد أعلنه الخبر الشريف المروي عن النبيّ والأئمة عليهم السلام الذي يقولون فيه :

- . . وما هو - وَاللّهِ - إلاّ الموت تحت ظلّ الأسنة ! ! ! [1] .

فهو أعمق من ذلك في العقيدة ، وأخلص من ذلك للمبدأ ؟ ! !

لا واللّهِ . . فإن الأكثرية الساحقة من الطبقة الرشيدة ستضع نفسها في خدمة ماحِي الظُّلم ومُقيم العدل . . ويومَها يتنفّس المظلومون الصُّعداء . . إذ يَرَون سيف

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٢٢ والغيبة للطوسي ص ٢٧٧ ومنتخب الأثر ص ٤٨٩ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٤ .

الإيمان في رقبة الكُفر ، ومدية الحق في ضمير الباطل . . لا يُقْبَلُ حياد . . ولا تُقبل جزية ! .

ثم ماذا ؟ ! .

ثم ما أدراك أن ينصر الله عزّ وجلّ مَن يظنُّهُ الجاهلون أعزل ، في معركة أرضية يشاء الله تعالى فيها فناءَ مَرَدَة الناس ، ليعيد العدل إلى الأرض ؟ .

سيكون ذلك . . وستظهر عصا موسى ثانيةً بيد حُجة الله على الخَلق لتصنع العجائب . . .

وسيقف سلاح الإمام وتابوت السكينة[1] بوجه القنابل الذرّية . . والهيدروجينيّة . . والنيترونيّة . ويصنع أعجَبَ العجائب ! ! !

وستُرهص الأيام القادمة ـ في عُمر الأرض ـ بمشيئة الله تعالى عن :

يوم الخلاص :

. . وَفِّقْنَا يا رب للقيام بطاعته ، ونشرِ دعوته ، وللثواءِ في خدمتهِ والمكثِ في دولتِه . . واجعلْنا ممَّن يُمَلَّكُ في أيامِه ، ويستظلُّ تحت أعلامِهِ ، ويُحْشَرُ في زُمرته ، وتقَرُّ عينُه برؤيتِه . . يا أرحمَ الراحمين .

---

(١) سترى أهمية تابوت السكينة كسلاح في الحرب ، وتلمس آثاره في كسب المعارك ، في موضوع آتٍ من هذا الكتاب . وانظر : تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء ص ٧٩ والبحار ج ٥٣ ص ٨٥ .

١٢ ـ يومُ الخَلاص . .

. . يومَ الفتْح (١)

وَنُـريـدُ أَنْ نَمُنَّ على الَّـذينَ اسْتُضْعِفُـوا في الأَرْضِ ، ونَجْعلَهُم أَئِمَّـةً ونَجْعَلَهُمُ ٱلْـوَارِثِينَ ؛ هُم آلُ محمـد ، يَبعثُ الله مهـديَّهم بعـد جُهـدهم ، فَيُعِـزُّهم ويُـذِلَ عَدُوَّهم (٢) .

(أمير المؤمنين عليه السلام :)

قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :

ـ لا يخرج القائمُ إلاّ في وَتْرٍ من السنين : سنة إحدى أو ثلاث ، أو خَمس ، أو

---

(١) قيل إن مدة الأمة الإسلامية تزيد على ألف سنة ، وإذا حصلت زيادة فإنها لا تبلغ خمسمئة سنة . واستنتجوا ذلك ممّا وردَ من طُرق مختلفة أن عُمر الحياة على الأرض سبعة آلاف سنة ، وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم بُعث في أوائل الألف السادسة . ويقرب من هذا القول ما جاء على ألْسِنة الناس والعوام من أن المسيح عليه السلام قال : تؤلَّف ولا تبلغ الألفين (يلفظونها : تؤلَّف ولا تؤلَّفان) أي بعد بعثة المسيح عليه السلام والله أعلم بذلك كلّه . والخبر في الملاحم والفتن ص ٨٤ بتفصيل ، وكذلك في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٦ وما بعدها إلى ١٧٦ .

(٢) الإمام المهدي ص ٢٦٧ نقلاً عن البحار .

سبع ، أو تسع (٣) . (وجاء عنه ﷺ :)

ـ إذا كانت الصيحة في رمضان ، فإنها تكون معمعةً في شوّال وتَميزُ القبائلُ وتتحارب في ذي القعدة (أي تأخذ كل قبيلة ضريبة الدم من أبنائها فتجنّدهم للحرب) ويُسلب الحاجُّ وتُسفك الدماء في ذي الحجة . والمحرّم ، وما المحرّم ؟ ! . هيهات ، هيهات . . يُقتل الناس هرجاً هرجاً ! . ثم ينادي منادٍ من السماء : ألا إن فلاناً بنَ فلانٍ هو المهديّ قائم آل محمد ، فاسمعوا له وأطيعوا ! . وذلك الصوت صوت جبرائيل حين يدعو للبيعة في صبيحة يوم الخلاص (٢) . . (حيث يخرج الإمام عليه السلام يوم عاشوراء ليكون الفرَج وليشفيَ الله صدور قوم مؤمنين . وفي هذا الحديث تصريحٌ بالفتن وتنويهٌ بسفك الدماء في مِنى ، وفي الْحَرَم ـ دم الْنفس الزكيّة ـ وفي مجزرة يثرب ، وغيرها كمذابح السفيانيّ . . ثم قال ﷺ في حديثٍ له مع أمّ شريكٍ تناول فيه هذا الموضوع :)

ـ . . ويُدعَى ذلك اليومُ يومَ الخلاص(٢) . فقالت أمُّ شريك : فأين العربُ يومئذٍ يا رسول الله ؟ . قال : هُم يومئذٍ قليل ، وجُلُّهم ببيت المقدس ، إمامُهم المهديُّ ، رجلٌ صالح . قالت : يا رسول الله) أنَهْلِكُ وفينا الصالحون ؟ . قال : نعم ، إذا كثُرَ الخَبثُ(٣) .

(ونلاحظ في هذا الخبر الشريف وما سبقه أن الأخبار كثيراً ما تذكر اسم العرب بدلاً من ذكْر المسلمين ، لأنها تتكلّم بلسان عصرنا الحاضر ، ولأن قائليها يعلمون

---

(١) إعلام الورى ص ٤٣٠ ومنتخب الأثر ص ٤٦٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٩١ والمهدي ص ١٩٨ وبشارة الإسلام ص ١٩٤ وفي ص ٩٥ عن الباقر عليه السلام وفي مصادر لا تحصى . .

(٢) من هذين الحديثين الشريفين ، ومن حديث يُشبههما جاء عن المسيح عليه السلام : أخذنا اسم كتابنا هذا : يوم الخلاص . والخبران في كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ و٢٧٧ والبحار ج ٥١ ص ٨١ والبيان ص ١٠٠ وإلزام الناصب ص ٤٠ و٤٣ وبشارة الإسلام ص ١١١ ـ ١١٢ والملاحم والفتن ص ٣٣ ما عدا آخره ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٠٧ باختلاف يسير ، ومنتخب الأثر ص ٤٦٤ .

(٣) البحار ج ٥١ ص ٨١ ومنتخب الأثر ص ٤٦١ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٤٦ و١٦٥ وشرح النهج م ٢ ص ٤٩٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٥ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٤٨ و٦١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ والملاحم والفتن ص ٦٦ وفي مصادر كثيرة .

اندِراس الإسلام في آخر الزمان ، ويعرفون نشوء القوميَّة العربيَّة في مقابل العنصريات الأخرى ، مما يكون سبباً لتخاذل المسلمين وضَعفهم أمام الصهيونية العالمية وغيرها من غُزاة الإسلام الشرقيين والغربيين ، ولذلك قال ﷺ عن الحجة القائم عليه السلام الذي يعارضه عربٌ مسلمون ويقاتلونه :)

ـ المهديُّ رجلٌ من عترتي ، يقاتِلُ على سُنّتي ، كما قاتلتُ أنا على الوحي [1] .

(وقال ﷺ :) ـ لا تقوم الساعة ، حتى يقوم القائم منّا ، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له . ومن تَبِعه نجا ، ومن تخلّف عنه هلَك . . اللّهَ اللّهَ عبادَ اللّهِ ، فأتُوه ولو حَبْواً على الثلج فإنه خليفة الله عزّ وجلّ وخليفتي [2] .

(وقال ، وقد نظر سبطَه الشهيد عليه السلام في حديث نقتطف منه :) ـ . . . ثم يظهر أميرُ الأمْرة ، وقاتلُ الْكَفَرة ، السلطانُ المأمولُ الذي تتحيَّر في غَيبته العقول ، وهو التاسع من وُلْدك يا حسين . يظهر بين الركْنَين (أي بجانب الكعبة) يَظهر على الثَّقَلَين (أي ينتصر على الإنس والجن) ولا يترك في الأرض الأَدْنَين (أي أقاربه المنحرفين عن جادّة الدين) . طوبَى للمؤمنين الذين أدركوا زمانه ، ولَحِقوا أوانه ، وشهدوا أيامه ، ولاقوا أقوامه ! [3] . وقال النبيّ ﷺ عن أهل بلادنا ـ بلاد الشام عامّةً كما حدّدناها سابقاً ـ :)

ـ يُرسِل الله على أهل الشام من يفرِّق جماعتهم ، حتى لو قاتلتهم الثعالبُ لَقَتلتهم ! [4] . (وقد كان ما قُلتَه يا سيِّدي ، إذ أرسل اللّهُ دولةَ إسرائيل التي مزّقتْ

---

(١) ينابيع المودة ج ٣ ص ٩٠ والمهدي ص ٢٢٤ وفي الصواعق المحرقة ص ٩٨ قريبٌ منه .

(٢) منتخب الأثر ص ١٧٠ وص ٢٠٤ وإلزام الناصب ص ٥٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٣ نقلاً عن غاية المرام ، وفي بشارة الإسلام ص ١٠ مبدوءاً بـ : لا تقوم الساعة حتى يخرج المهديُّ من وُلدي الخ . .

(٣) بشارة الإسلام ص ٤٩ و٦٦ ومنتخب الأثر ص ٤٦٧ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٦ وفي الإمام المهدي ص ٢٢٠ عن أمير المؤمنين عليه السلام . وبشارة الإسلام ص ٤٣ وص ٦٦ عن أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام ومثله في إلزام الناصب ص ١٤٠ و١٨٨ .

(٤) بشارة الإسلام ص ١٨٣ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٠ والملاحم والفتن ص ٥٢ ومنتخب الأثر ص ٤٨٦ بألفاظ مختلفة .

مسلمي الشرق الأوسط ، وفرّقتْ الدول العربيـة وجعلت وحدتهـا مستحيلة ، وباعـدتْ بين قـادتها ورؤسـائها . واليهـودُ فيهـا يُهَـدِّدون ويُبـرقـون ويُـرعـدون ونحن في غَفلتنـا سادرون ! . والأملُ ، كلُّ الأمل بما وعدتَ به يا سيِّدي في تتمة حديثك الشـريف . . وقد وردَ أيضاً عن الباقر عليه السلام حديثٌ يتناول فيه فتنة البلاد الشاميَّة قال فيه :)

ـ تكـون قبل المهـديّ فتنة تحصـر النـاس حَصـراً . فـلا تسبُّـوا أهـل الشـام بـل ظَلَمَتَهم ، فإن الأبدال منهم . وسيرسل الله سبباً من السماء فيفـرِّقهم حتى لو قـاتلتهم الثعالب غَلَبَتهم . ثم يبعث الله المهديّ في آثني عشر ألفاً إن قَلّوا وخمسة عشر ألفاً إن كثروا . وعلامتُهم أنهم إذا هجموا صرخوا : أَمِتْ أَمِتْ ، ثم يظهـر (أي ينتصر) فيـردّ إلى المسلمين أُلفتهم ونعمتَهم (١) . . (نعم ، إن فتنة إسرائيل حصرت العرب حصراً بين فكّي الشرق والغرب ، وجعلتهم يعيشـون في قلقٍ دائم ، وهي السبب الذي أرسله الله تعالى ففرَّق شملَهم بعـد أن تكفَّلت الصهيـونيـة بتـركهم مفكّكين متفـرِّقين . .ثم تحدث عليه السلام عنه في مناسبة ثانية فقال :)

ـ يستخرج الزّبور من بحيرة طبريَّة ، فيهـا مما تـرك آل مُوسى وهـارون ، تَحملُه المـلائكة وفيهـا الألواحُ وعصـا موسى عليه السلام (٢) . (فيكـون ذلك مـدعاة لإيمـان بعض اليهـود الباقين في تلك الأصقـاع . وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المـوضـوع قولُه :) ـ يستخرج الكنوز ، ويفتح مدائن الشِّرك (٣) .

(وقولُه :) ـ إنَّما سُمّيَ المهديّ لأنه يَهدي إلى أمرٍ قد خَفيَ ، ويستخـرج التوراة والإنـجيـل مـن أرضٍ يقـال لهـا أنـطاكيـة (٤) . (رُوِيَ مثلُه عن الصـادقيـن

---

(١) انظر الرقم السابق .

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ٥٣.

(٣) البحار ج ٥١ ص ٧٨ وبشارة الإسلام ص ٢٨٣ وإلزام الناصب ص ٥٢ نقلاً عن الفصول المهمة ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٦ والمهـدي ص ٢٣٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٨ وص ١٦٣ نقلاً عن غاية المرام ، وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ والبيان ص ٩٥ والملاحم والفتن ص ١١٦ .

(٤) الملاحم والفتن ص ٥٤ و٥٥ وبشارة الإسلام ص ٢٤٢ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٩ والبحار ج ٥١ ص ٢٥ وج ٥٢ ص ٣٩٠ والغيبة للنعماني ص ١٢٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ نقلاً عن إسعاف الراغبين والمهدي ص ٢٢٧ وقد تختلف بعض النصوص ولكن المعنى واحد ، وإن =

والجواد عليهم السلام . . وعن الصادق أيضاً بهذا المعنى :)

ـ . . وإنَّما سُمّيَ القائمُ مهديّاً ، لأنه يهدي إلى أمرٍ مضلولٍ عنه ، وسُمّيَ بالقائم ، لأنه يقوم بالحق [1] . (وعن الباقر عليه السلام :)

ـ . . يستخرج التوراةَ وسائرَ كتب الله عزَّ جلّ من غارٍ في أنطاكية [2] .

(وقيل :) ـ إنَّ المهديَّ يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية ، وأسفارَ التوراة من جبلٍ بالشام ، يحاجُّ به اليهود فيُسلِمُ كثيرٌ منهم [3] . . (وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام :)

ـ إن في غار ثَور ، في جبلها (وقيل : غار غيران) ، رضراضاً من ألواح موسى وَكِسَرِ عصاه ، ورضراضاً فيه تابوت السكينة ، فليس تمرّ سحابةٌ شرقيةٌ ولا غربيةٌ ولا كوفيةٌ ولا قِبْليةٌ إلاّ احَبَّت أن تُلْقيَ بَرَكَتها . ولا تمضي الأيام والليالي حتى يستخرجها المهديّ [4] .

(أما الباقر عليه السلام فقال :) ـ أول ما يبدأ القائم عليه السلام بأنطاكية ، فيستخرج منها التوراة من غارٍ فيه عصا موسى وخاتم سليمان [5] .

(وقال :) وفي بيت المقدس (أي أثناء وجوده في القُدس) يستخرج تابوت السكينة وخاتم سليمان بن داود والألواح التي نزلتْ على موسى [6] . (وسترى تفصيلاً وافياً لهذا الموضوع في كلام كلٍّ من الباقرَين عليهما السلام . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :)

كان بعضها قد أشار إلى أنه يدعو اليهود فيُسلم منهم ثلاثون ألفاً ، ثم يستخرج مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام .

(١) بشارة الإسلام ص ٢٣٢ وص ٢٥٣ أوله ، والإمام المهدي ص ٢٧٣ و٢٧٤ وإلزام الناصب ص ١٤٢ .

(٢) إلزام الناصب ص ٥٥ و١٤٢ وبشارة الإسلام ص ٢٤٢ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٠ ذكر تابوت السكينة .

(٣) منتخب الأثر ص ٣٠٩ والمهدي ص ٢٢٨ نقلاً عن إسعاف الراغبين ص ١٣٨ .

(٤) الملاحم والفتن ص ١١٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ نقلاً عن إسعاف الراغبين ص ١٣٨ وص ١٦٧ .

(٥) البحار ج ٥٢ ص ٣٩٠ وبشارة الإسلام ص ٢٥٣ .

(٦) إلزام الناصب ص ٢٠٢ وفي البحار ج ٥٢ ص ١٥١ بعضه وص ٣٩٠ .

ـ يَظهر على يديه تابوتُ السَّكينة من بُحيرة طبريَّة ، يُحمل فَيُوضع بين يَدَيه ببيت المَقدس ، فإذا نظرت إليه اليهودُ أسلمتْ إلاّ قليلاً منهم [1] . (وهذا مرويٌّ عن الباقرَين عليهما السلام . وقال الصادق . في حديثٍ آخر :)

ـ كانت عصا موسى قضيب آسٍ من غَرس الجنَّة ، أتاه بها جبرائيل عليه السلام لمَّا توجَّه تِلْقاءَ مَدْيَن وهي وتابوت آدم في بحيرة طبريَّة . ولن يَبْليا ولن يتغيَّرا حتى يُخرجهما القائمُ إذا قام [2] .

(ثم عن الصادق عليه السلام أيضاً :) ـ إنَّ المهديَّ يستخرج كُتُباً من غار أنطاكية ، ويستخرج الزَّبورَ من بحيرة طبريَّة ، فيها مما تركَ آلُ موسى وآلُ هارون تحملُه الملائكة ، وفيها الألواحُ وعصا موسى [3] .

(وهكذا نرى أن صاحب الأمر عليه السلام هو الذي يُنهي الوجودَ اليهوديَّ في الشرق بعد أن يَسْلَم من سيفه مَن يؤمن به منهم . وهذه بشارة بقرب فَرَجه بدليل الآية الكريمة : ﴿ هُوَ الَّذِيْ أَخْرَجَ الَّذِيْنَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [4] : أي أخرجهم بعد أن أباد بُخْتَنَصَّر منهم مَنْ أباد وسَبَى مَنْ سَبَى ، ثم جاء الإسلام فحاربوه وحاربهم وأبقاهم مشتَّتين خارج ديارهم عبر تاريخ طويل . ثم جاءت مقدمة الفَرَج بوعد (بلفور) الذي أخذ اليهود يتجمَّعون ـ بموجبه ـ في (أرض الميعاد) ليكون حشرهم ـ جمعُهم ـ فيها في أول الحشر : أي قُبيل يوم القيامة .

وقد بيَّن الله تعالى ذلك في آيةٍ ثانيةٍ تصف تشريدهم ، وتَذكُر جَمعهم في هذا الوقت بالذات ، حيث يقول عزَّ من قائل : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ [5] ـ أي الضربة الآخرة والأخيرة لليهود ـ ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفاً ﴾ [6] ـ أي : جمعناكم من أطراف الأرض جمعاً ، ليتمَّ سحق من بقي منكم مُصِرّاً على العناد ! ! !

هكذا قال الله عزَّ وجلَّ . . وهذا وعدُه . . قبل وعد (بلفور) . .

---

(١) المهدي ص ٧٤ و٢٢٧ والملاحم والفتن ص ٥٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦١ .
(٢) الغيبة للنعماني ص ١٢٥ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥١ .
(٣) إلزام الناصب ص ٧٢ .
(٤) الحشر ـ ٢ .
(٥) الإسراء ـ ١٠٤ .

وهو الذي بلّغه رسولُه ﷺ ونقله أوصياؤه ، منذ ألفٍ وأربعمئة سنة . .

وهو يجري خطوة خطوة نحو تحقيق ما قالوا . . وستجد شرحاً وافياً لهذه الآية الكريمة وما سبقها من آيات بشأن اليهود في مكانٍ آخر من هذا الكتاب . . وسنبيِّن توهُّمَ المفسِّرين ، ونكشف جديداً ، لم يَستعصِ عليهم إلاَّ لعدم توفُّر أدلّتهم ووسائلهم آنذاك . . ثم قال الصادق عليه السلام :)

ـ يكون معه عصا موسى ، وخاتمُ سليمان [1] . (وذكر الباقر عليه السلام عصا موسى عليه السلام مرةً فقال :)

ـ كانت عصا موسى لآدم ، فصارت إلى شُعيب ، ثم صارت إلى موسى بن عمران ، وإنها لَعِندنا . وإنَّ عهدي بها خضراء كهَيئتها حين انتُزِعَت من شجرها . وإنها لَتَنطِقُ إذا استُنطِقَت . أُعِدَّت لقائمنا يصنع كما كان يصنع موسى بها ! . . وإنها لَتَرَوَّعُ وتَلْقف ما يأفِكون . وإنها لَتصنع ما تؤمَر . تُفتح لها شُعبتان : إحداهما في الأرض والأخرى في السقف ، تَلقف ما يأفِكون بلسانها ! ! ! [2] (وقد رُوي عن الصادق عليه السلام مثله ، وزاد :)

ـ ألواحُ موسى عندنا ، وعصا موسى عندنا ، ونحن ورَثة النبيِّين [3] .

(ولا معارضة بين استخراج بعض مواريث الأنبياء من الأرض ، وبين وجود بعض نُسخها عند الأئمة عليهم السلام . فالمقصودُ هو إخراج ما كان عند الأنبياء عليهم السلام على يدَي القائم الشريفَتين ، واستخراجُ ما كانَ بين أيدي أُمَمِهم . .

وقيل : إنه ـ سلام الله عليه ـ يَقتل خطيبَهم يوم الجمعة في التاسع من المحرَّم ويتخفّى في الحَرَم حتى يَجُنَّ الليل ، فيصعد سطح الكعبة وينادي أنصاره فيلبُّون من مشرق الأرض ومغربها . ثم يصبح نهار السبت في العاشر من المحرَّم فيدعو الناس

---

(1) منتخب الأثر ص ٢٢١ .

(2) الكافي م ١ ص ٢٣١ والاختصاص ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ والبحار ج ٥٢ ص ٣١٨ وبشارة الإسلام ص ٢٦٠ وإلزام الناصب ص ٢٢٤ ما عدا آخره ، وانظر صفات عصا موسى عليه السلام في مجمع البحرين ج ٢ ص ٦ والكافي ج ١ ص ٢٢٥ وص ٢٣١ مضمونه

(3) إلزام الناصب ص ٧ .

إلى بيعته (١) . . وقد رُوي عن أمير المؤمنين وعن ابنه الصادق عليه السلام قَسَمُهما العظيم :)

ـ وَاللّٰهِ لَكَأَنِّي أنظر إليه دخل مكة ، وعليه بُردة رسول الله ، وعلى رأسه عمامةٌ صفراء ، وفي رجلَيه نعلُ رسول الله المخصوفة ، وفي يده هَراوتُه ، يسوق بين يديه أَعْنُزاً عِجافاً حتى يصل بها نحو البيت ـ أي الكعبة أعزّها الله ـ ليس ثَمّ أحدٌ يعرفه (٢) . . (وأتمّ الصادق عليه السلام :)

ـ ويُصبح الناسُ في مكة فيقولون مَن هذا الرجلُ الذي بجانب الكعبة ، وما هذا الخَلقُ الذي معه ، وما هذه الآيةُ التي رأيناها الليلة ولم نَرَ مثلَها ؟ . فيقول بعضهم لبعض : هذا صاحبُ الْعُنَيزات (٣) .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ يظهر في شُبهةٍ لِيستبين ، فيعلو ذِكْرُه ، ويَظهر أَمْرُه ، وينادَى باسمه وكُنيته ونَسَبه . ويكثر ذلك على أفواه الْمحقِّين والْمبْطِلين ، والموافقين والمخالفين ، لتلزمهم الْحُجة بمعرفتهم به ! . على أنه قد قَصَصْنا ودلَلْنا عليه ، ونَسَبناه وسمَّينا وكَنَّيناه ، وقلنا سَمِيّ جدِّه رسول الله وكَنِيُّهُ ، لئلا يقول الناس : ما عرفنا له آسماً ولا كُنيةً ولا نسباً . واللّٰهِ لَيَتحقّق الإيضاح به وباسمه وكُنيته على الْسنتهم حتى لَيسمّيه بعضهم لبعض ، كل ذلك للزوم الْحُجة عليهم . ثم يُظهره الله كما وَعد به جدُّه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عزّ وجلّ : ﴿ هُوَ الَّذِيْ أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ﴾ (٤) . . . (رُويَ بلفظه عن الصّادق عليه السلام وقال مرةً ثانيةً بعد تلاوة الآية الكريمة :)

---

(١) إلزام الناصب ص ١٩٠ .

(٢) بشارة الإسلام ص ٢٦٧ وإلزام الناصب ص ٢١٥ وص ١٩٠ باختصار ، والبحار ج ٥٣ ص ٦ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٢٦٩ وإلزام الناصب ص ٢١٦ . وكان قد ظهر مساء يسوق ثلاث عُنَيْزاتٍ أمامَ الكعبة على مرأى من أهل مكّةَ ، ولم يخطر في بال أحدٍ أنه هو هو عليه السلام .

(٤) التوبة ـ ٣٤ . والخبر في إلزام الناصب ص ٢١٥ ، وشرح النهج م ٢ ص ١٧٩ والغيبة للنعماني ص ١٢٠ والبحار ج ٥٣ ص٣ ـ ٤ ونور الأبصار ص ٢٢٨ بلفظ آخر . وفي بشارة الإسلام ص ٢٦٥ وص ٩٩ آخره عن الباقر عليه السلام .

ـ هو الإمامُ الذي يَظهر على الدِّين كُلّه . وهذا مِنَ الّذي تأويلُه بعد تنزيله [1] .

(ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام مرةً عند ذِكْرِ بَني أميَّة :)

ـ وأَيم اللّهِ لو فرّقوكم تحت كل حجر ، لَجَمعكم الله لشرِّ يوم لهم ! . فانظروا أهل بيت نبيّكم ، فإن لَبدُوا فالْبَدوا ، وإن استنصروكم فانصروهم فَلَيُفَرجنّ الله بغتةً برجلٍ منّا أهل البيت ! . بأبي ابنُ خيرة الإماء ! . لا يعطيهم إلّا السيف هرجاً هرجاً ـ أي قتلاً ـ موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر ، حتى تقول قريش : لو كان هذا من وُلْد فاطمة لَرَحِمَنا . . يُغريه الله ببني أُميّة فيجعلهم تحت قَدَميه ويطحنهم طحنَ الرّحَى ﴿ مَلْعُونِيْنَ أَيْنَمَا ثُقِفُوْا أُخِذُوْا وَقُتِّلُوْا تَقْتِيْلاً ، سُنَّةَ ٱللَّهِ فِيْ ٱلَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيْلاً ﴾ [2] .

(فهو يُبشّر القِلّة التي تبقى ليوم الظهور المبارك بالجمع والتجميع والنصر ، ويأمرها بلزوم السكوت ما زال القائم المنتظرَ عليه السلام ساكتاً . . ثم كأنّه عرّف إلينا حقيقة أمره وحثّنا على اليقظة بقوله :)

ـ إن لنا أهلَ البيت رايةً ، من تقدّمها مَرِق ، ومن تأخّر عنها زَهَق ، ومن تَبِعها لَحق . يكون مكتوباً في رايته : الْبَيعَةُ لله ! [3]

ـ أللّهم فاجعلْ بيعَتَه خروجاً من الْغُمة ، واجمعْ به شمل الأمة . (وقال عليه السلام أيضاً :)

---

(1) إلزام الناصب ص ٣٠، وفي ص ١٧٣ فسّر سعيد بنُ جُبَيْر هذه الآية الكريمة بقوله : هو المهديُّ من وُلْدِ فاطمة .

(2) الأحزاب ـ ٦١ ـ ٦٣ . والخبر في منتخب الأثر ص ٢٣٨ وص ١٧٢ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي ابن خيرة الإماء ! . ومثله في الكافي م ١ ص ٣٢٣ وكذلك في شرح النهج م ٢ ص ١٧٨ وفي إلزام الناصب ص ٢٧ وفي ينابيع المودة ج ٣ ص ١٧٥ وص ١٩٢ ، والغيبة للنعماني ص ١٦٥ مثله عن الصادق عليه السلام ، وكذلك في بشارة الإسلام ص ١٩٩ والملاحم والفتن ص ٥٣ بلفظ مختصر ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٦ بلفظ آخر وَرَدَ : يُغريه الله ببني أمية وبني العباس ، ونهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٥ بلفظ : لَمَا واللّهِ لو فرّقوكم تحت كل كوكب لَجَمَعَكُم الله لشرِّ يوم لهم .

(3) الملاحم والفتن ص ٥٥ وص ١٣٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٢ والمهدي ص ٩٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٠ وبشارة الإسلام ص ٢٠٢ ما عدا آخره ومنتخب الأثر ص ٣١٩ .

ـ إذا هزَّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب ، ووضع الله يَدَه ـ أي يدَ المهديّ عليه السلام ـ على رؤوس العباد ـ أي سلّطه عليهم ـ فلا يبقى مؤمنٌ إلاّ صار قلبه أشدُّ من زُبُر الحديد ، وأُعطِيَ قوة أربعين رجلاً ! (1) . (وجاء عن الباقر عليه السلام مثله بزيادة : فلا يبقى مؤمنٌ إلاّ دخلت الفرحةُ إلى قلبه (1) ! . . ثم رُوي عن أبي الحسن عليه السلام أيضاً :)

ـ رايتُه مِرْطُ مُخْملةٍ سوداء ، مربعةٌ فيها حَجَرٌ ، لم تُنْشَر منذ تُوُفّيَ رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تُنْشَر حتى يخرج المهديّ . يُمِدُّه الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه أعدائه وأدبارهم (2) ! . (رُوي قريبٌ منه عن الصادقَين عليهما السلام مع اختلاف في اللفظ ، كمثل : يضربون وجوه من خالَفهم وأدبارهم . . وقال عليه السلام :)

ـ ينشر راية رسول الله السوداء ، فيسير الرُّعب قدّامها شهراً ، وعن يمينها شهراً ، وعن يسارها شهراً ! . ويكون عليه قميص رسول الله الذي كان يرتديه في أُحدٍ ، ودرعُه السابغة . وعلى رأسه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله السحاب ، وبيده سيفُه ذو الْفِقار ، يُجَرِّده ثمانية أشهر . . (3) (وسَيْرُ الرُّعب دليل على شدة وطأة ثورته المباركة التي لا يقف في وجهها شيءٌ مطلقاً ، لأنها تكون على الكافرين عذاباً صَبّاً ! . وقد جاء مثله عن الصادق عليه السلام بلفظ :)

ـ إنه يخرج مَوْتُوراً غضبانَ أسفاً لغضب الله على الخَلق ، عليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان عليه يوم أُحُد ، وعمامتُه السحاب ، ودِرعُ رسول الله السابغة ، وسيفُ رسول الله ذو الفقار . يجرِّد السيفَ على عاتقه ثمانية أشهرٍ ، يَقتلُ هرجاً (4) . (وقال أميرُ المؤمنين عليه السلام :)

---

(1) منتخب الأثر ص ١٨٦ وإعلام الورى ص ٤٣٥ والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٨ وص ٣٩١ عن الصادق عليه السلام وبشارة الإسلام ص ١٩٩ بلفظ آخر وص ٢٠١ وفي إلزام الناصب ص ١٣٩ بعضه .

(2) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٧ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٣٣ والملاحم والفتن ص ٥٨-٥٩ وإلزام الناصب ص ٢٥٩ نقلاً عن البيان .

(3) بشارة الإسلام ص ١٩٩ والغيبة للنعماني ص ١٦٥ عن الصادق عليه السلام ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٣٩١ وفي إلزام الناصب ص ١٣٩ نصفه الأول وص ١٨٩ .

(4) إلزام الناصب ص ١٨٩ والغيبة للنعماني ص ١٦٥ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦١ .

ـ بعد أن يخرج ، يخرج إليه سبع راياتٍ من الشام ـ أي من بلادنا الشاميَّة بكاملها ـ فيهزمهم [1] . (ولا بدَّ أنهما تكون فُلولَ جيوش العرب المتفرِّقين شِيَعاً وأحزاباً . . ثم جاء عنه ما يُبيِّن به الفرق بين حرب القائم ﷺ وحروبه ، بقوله :)

ـ كان لي أن أقتل الْمُوَلِّيَ ، وأُجهزَ على الجريح . ولكن تركتُ ذلك للعاقبة من أصحابي ـ أي شيعته عبر التاريخ ـ إنْ جُرحُوا لم يقْتلوا . والقائمُ لـه أن يَقْتُلَ المـوَلِّيَ ويُجهِز على الجريح [2] . (ولذلك نجد الصادق ﷺ يقول :)

ـ يسيرُ فيهم بسيرة رسولِ الله ، ويعمل فيهم بعملِه [3] . (ويسأله ، يوماً ما ، صاحبُه المعلَّى بن خنيس : أيَسير المهديُّ ﷺ إذا خرج بخلاف سيرة عليٍّ ﷺ . ؟ . فيقول :)

ـ نعم ، ذلك أن عليّاً سارَ بالمنِّ والكَفِّ ، لأنه عَلِمَ أن شيعتَه سيظهرُ عليهم مَن بعدَه . وإن القائم إذا قام ، سار فيهم بالسيف والسَّبْيِ ، وذلك لأنه يَعلم أنَّ شيعته لم يظهر عليهم مَن بعدَه أبداً [4] . (وقد سئل الصادق ﷺ مرَّةً ثانية :)

ـ يسير القائم بسيرة عليٍّ بن أبي طالب في أهل السواد ؟ . فقال : لا . وَأَمَرَّ إصبعه على حلقه ، فقال : هكذا ـ يعني الذَّبح ـ ثم قال : إن لكل أهلِ بيتٍ نجيباً شاهداً شافعاً لأمثالهم [5] .

(ومن تتمة حديثٍ لأمير المؤمنين ﷺ مرَّ معنا في الموضوع السابق نذكر وصفَ بيعة الأنصار للمهديِّ ﷺ الوارد في قوله :)

ـ . . . يبايعون على أن لا يَسرقوا ، ولا يَزنوا ، ولا يَسُبُّوا مسلماً ، ولا يقتلوا مُحْرِماً ، ولا يهتكوا حريماً محرَّماً ، ولا يهجموا منزلاً ، ولا يضربوا أحداً إلاّ بالحق ،

---

(١) الملاحم والفتن ص ٥٢ .
(٢) الغيبة للنعماني ص ١٢١ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٣ وفي بشارة الإسلام ص ١٩٨ بلفظ مختلف .
(٣) الإمام المهدي ص ٢٧٢ نقلاً عن سفينة البحار م ٢ ص ٧٠٥ وص ٢٧٣ نقلاً عن الإرشاد ص ٣٩١ .
(٤) الغيبة للنعماني ص ١٢١ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٣ وص ٣١٨ بلفظ آخر وبشارة الإسلام ص ٢٥٦ وص ٢٧٧ وفي ص ١٩٨ بمعناه وإلزام الناصب ص ٢٢٩ .
(٥) البحار ج ٥٢ ص ٣١٣ وبشارة الإسلام ص ٢٤٧ مع تفصيل .

ولا يكنزوا ذهباً ولا فضةً ولا بُرّاً ولا شعيراً ، ولا يأكلوا مالَ اليتيم ، ولا يشهدوا بما لا يعلمون ، ولا يُخربوا مسجداً ، ولا يشربوا مُسكراً ، ولا يلبسوا الخزَّ ولا الحرير ، ولا يتمنطقوا بالذهب ، ولا يقطعوا طريقاً ، ولا يُخيفوا سبيلاً ، ولا يَفسُقوا بغلام ، ولا يَحبِسوا طعاماً من بُرٍّ ولا شعير . ويرضون بالقليل ويشتمُّون على الطِّيب ، ويكرهون النجاسة ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويلبسون الخشنَ من الثياب ، ويتوسَّدون الترابَ على الخدود ، ويجاهدون في الله حقَّ جهاده . . ويشترط على نفسه لهم : أن يمشيَ حيث يمشون ، ويلبسَ كما يلبسون ، ويركب كما يركبون ، ويكونَ من حيث يريدون ، ويرضى بالقليل ، ويملأ الأرض بعون الله عدلاً كما مُلِئَت جَوراً ، يعبد الله حقَّ عبادته ، ولا يأخذ حاجباً ولا بوّاباً . . (١) .

(ورُوِي عنه هذا الحديث بغير هذا الترتيب . ولكن بنفس الشروط . .

وجاء عن النبيِّ ﷺ قولُه بالنِّسبة لجيش السفياني الذي يُخرب المدينة ويتوجَّه إلى مكَّة لمحاربة المهديِّ عليه السلام :)

ـ يبعث الله جبرائيلَ فيقول : يا جبرائيلُ اذهبْ فأبِدْهم . فيضربها برجله ضربةً يَخسفُ الله بهم عندها ، ولا يفلت منهم إلاَّ رجُلان من جُهينة (٢) . (أي أنه يضرب أرضَ البيداء فتنخسف بالجيش وتطويه الأرضُ في بطنها ولا ينجو سوى اثنين . . وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديثٍ له عن ذلك الجيش :)

ـ . . ويخرج رجلٌ من الجيش في طلب ناقةٍ له ، ثم يرجع إلى الناس فلا يجد منهم أحداً ولا يُحسُّ بهم . وهو الذي يُحدِّثُ الناسَ بخبرهم . (وقال عليه السلام مُفصِّلاً :)

ـ ثم يُقْبِل على القائم رجلٌ وجهُه إلى قَفاه ، ويقف بين يَديه ، ويقول : يا سيِّدي ، أنا بشير ، أمَرني مَلَكٌ من الملائكة أن ألْحَقَ بك فأُبشِّرك بهلاك جيش

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٦٩ والملاحم والفتن ص ٤٩ وص ١٢٢ وإلزام الناصب ص ٢٠١ .
(٢) الإمام المهدي ص ٥٦ و٥٢ والملاحم والفتن ص ٤٩ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ بلفظ قريب .

السفيانيّ بالبيداء . فيقول القائم : بيِّنْ قصتك وقصة أخيك ، فيقول الرجل :

كنت وأخي في جيش السفيانيّ وخربنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها جمّاء ، وخرَّبنا الكوفة ، وخرَّبنا المدينة وكسَّرنا المنبر في حضرة ٱلرّسول ، وراثتْ بغالُنا في مسجده . وخرجنا منها وعددُنا ثلاثون ألف رجلٍ ، نُريد خراب البيت (الكعبة) وقتْل أهل مكة . فلما صرنا في البيداء عرَّسنا فيها ، فصاح بنا صائحٌ : يا بَيداء ، أبيدي القومَ الظالمين ! . فانْفجرت الأرض وابتلَعتْ كل الجيش ، وَوَاللّهِ ما بقيَ على وجه الأرض عِقال ناقةٍ فما سواه غيري وغير أخي . فإذا نحن بملَكٍ قد ضرب وجْهَينا فصارا إلى الوراء كما ترى . فقال لأخي : ويلَك يا نذير ، إمضِ إلى السفيانيّ بدمشق فأنذره بظهور المهديّ من آل محمّد ، وعرِّفه أن الله قد أهلَك جيشه بالبيداء ، وقال لي : يا بشير ، إلْحَقْ بالمهديّ بمكة ، وبشِّره بهلاك الظالمين ، وَتُبْ على يده فإنه يقبل توبتك . فَيمرُّ القائم يدَه على وجهه فيردّه سالماً سويّاً كما كان ، ويبايعه ويكون معه [1] . (وقد رُوي هذا عن الصادق عليه السلام أيضاً . ولا عجب في معجزته هذه ، فهو مؤيدٌ قال فيه جدُّه أميرُ المؤمنين عليه السلام :)

- يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكَلَب من الدهر وجهلٍ من الناس ، يؤيِّده الله بملائكته ويَعصم أنصاره ، وينصره بآياته ، ويُظهره على الأرض حتى يَدينوا طَوعاً أو كرهاً ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً وبرهاناً ، يَدين له عرضُ البلاد وطولُها . لا يَبقَى كافرٌ إلاّ آمن ، ولا طالحٌ إلاّ صَلَح [2] . (وقد رُويَ خبر الخسف عن الصادق عليه السلام هكذا :)

- إذا بعث السفيانيُّ جيشه من آثني عشر ألف رجلٍ يَطلب المهديَّ من المدينة إلى مكة . تنخسف به البَيداء [3] . (وقال عن نهاية السفيانيّ :)

- تقع حربٌ عظيمةٌ ، يَفنى بها جيشُ السفيانيُّ إلاّ شرْذِمةً يهرب هو معها ،

---

(١) البحار ج ٥٣ ص ١٠ وإلزام الناصب ص ٢١٦ وبشارة الإسلام ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٨٧ وبشارة الإسلام ص ١٩٧ وص ٢٦٠ - ٢٦١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٠ عن الإمام الحسن السبط عليه السلام .

(٣) الملاحم والفتن ص ٥٣ بلفظ قريب والمهدي ص ١٩٢ وبشارة الإسلام ص ١٠٢ قريبٌ منه ، ومثله في ص ١٣٩ وفي إلزام الناصب ص ٢٥٤ - نقلاً عن البيان ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قولُه : ويبعث إليه بَعْث الشام ، فيُخسف بهم بين مكة والمدينة .

فيلحقُه قائدٌ من قواد المهديِّ آسمُه صبَّاح فيأسره ويأتي به إلى المهدي في صلاة العشاء الآخرة . فيستشيرُ المهديُّ أصحابَه بشأنه فيرَون قتْلَه ، ثم يقودونه إلى ظلِّ شجرةٍ مُدَلَّاةِ الأغصان ، ويُذبح كما تُذبح الشاة (١) . . (ثم قال يصف هذه المعركة النهائية :)

- . . فيخرج بخيله وقومه ورجاله وجيشه ، ومعه مئةُ ألفٍ وسبعون ألفاً ، فينزل بحيرة طبرية . ويسير إليه المهديُّ في الليل ويكمُن في النهار والناسُ يتبعونه حتى يواقع السفيانيَّ على بُحيرة طبريَّة ، فيغضب الله على السفيانيّ ، ويغضب خَلْقُ الله لغضب الله تعالى فترشقهم الطيرُ بأجنحتها ، والجبالُ بصخورها ، والملائكة بأصواتها ، ولا تكون ساعةٌ حتى يُهلك الله أصحابَ السفيانيِّ كلَّهم ، ولا يبقى على الأرض غيرُه وحدَه ، فيأخذه المهديُّ عليه السلام فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها مدلَّاةٌ على بحيرة طبرية ، ويملك مدينة دمشق (٢) . (وقال عليه السلام :)

- إذا اشتدَّ القتل قلتم : مات أو هلَك في أيِّ وادٍ سَلَك ، ذلك تأويل الآية : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ (٣) . . (فيستنكِرون كونَه القائم المهديَّ لشدَّة فتكه وعدم هوادته مع العُصاة . . ثم حدَّث عن بقية خطواته يوم الفتح فقال :)

- ثم يأمر المهديّ بإنشاء مراكب ، يبني أربعمئة سفينة في ساحل عكا . ويوافي المهديّ طرطوس فيفتحها ، ويتقدم إلى أنطاكية فيفتحها . . ويهاجم القسطنطينية فيفتحها ، ويتوجَّه إلى بلاد الروم فيفتح رومية مع أصحابه (٤) . . (ثم جاء عنه في وصف الفتوحات ، مؤكِّداً بجزمه المعتاد :)

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠١ .

(٢) الملاحم والفتن ص ١٢٣ .

(٣) الإسراء - ٦ ، والخبر في البحار ج ٥٣ ص ٦٠ وص ٨٢ وج ٥١ ص ٥٧ وص ٢٧٢ - ٢٧٣ وإلزام الناصب ص ١٧٦ وبشارة الإسلام ص ٥٨ وص ٦٧ وص ٦٨ وص ٨٧ وفي ص ٩٩ عن الباقر عليه السلام أوله . وفي الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٦ بزيادة : (ويَدخل العربُ والعجمُ وأهل الحرب والرومُ وغيرهم في طاعته) .

(٤) إلزام الناصب ص ٢٢٤ - ٢٢٥ بتفصيل وبشارة الإسلام ص ٢٥٨ آخره .

ـ لأبنِيَنَّ بمصر منبراً ، ولأنْقُضَنَّ دمشق حَجَراً حَجَراً ، ولأُخرِجَنَّ اليهود من كل كُوَرِ العرب (أي من جميع الأقاليم) وَلأسوقَنَّ العربَ بعصايَ هذه ، يفعلُه رجلٌ مني ! (1) .

(وفي هذا الحديث دليل على أن اليهود قد يحتلُّون من بلاد العرب أكثر من إقليمٍ بالدهاء والمماطلة وكسب الوقت وتفويت الفرصة على أعدائهم كما هو شأنهم ، ثم تنتهي الغوغاء التي نعيشها ويكون مكر اليهود كالزَّبد يذهب جُفاءً . . كما يعلمون من كُتُبهم التي يُقدِّسونها . . (وقال عليه السلام :)

ـ كأني به قد عبر وادي السلام إلى مسجد السهلة على مقربة من نجف الكوفة ، وقد لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يركب على فَرس أدهَم مُحجّلٍ له شَمراخٌ يُزهر ـ أي له غُرّةٌ بيضاء ـ ينتفض به انتفاضةً لا يبقى أهلُ بلادٍ إلاّ وهُم يرَونه أنه معهم في بلادهم ، يدعو ويقول : لا إلَه إلا الله حَقّاً حَقّاً ، لا إلَه إلاّ الله إيماناً وصدقاً ، لا إلَه إلاّ الله تعبُّداً ورقّاً . أللّهم مُعِزَّ كل مؤمن وحيدٍ ، ومُذِلَّ كل جبّارٍ عنيدٍ ، انت كَنَفي حين تُعْيِيني المذاهب وتَضيق عليّ الأرض بما رَحُبَت . أللّهم خلقتني وكنت غنيّاً عن خَلقي ، ولولا نصرُك إيّاي لكنتُ من المغلوبين . . يا مُنْشِرَ الرحمة من مواضعها ، ومُخْرِج البركاتِ من معادنها . ويا من خصَّ نفسه بشموخ الرِّفعة فأولياؤه بعزِّه يتعزَّزون . يا من وضعتْ له الملوكُ نيرَ المذلّة على أعناقهم ، فهم من سطْوته خائفون ، أسألك باسمك الذي فطرتَ به خَلْقك فكلٌّ لك مُذعنون ، أسألك ان تصلّيَ على محمّد وآل محمّد ، وأن تُنجز لي أمري ، وتعجِّلَ الفرَج ، وتكفيَني وتعافيَني ، وتقضيَ لي حوائجي الساعةَ الساعةَ الليلةَ الليلةَ ، إنك على كل شيء قدير (2) . . (رُوي عن الرضا عليه السلام القسم الأول بلفظه . وجاء عن الباقر عليه السلام بلفظ :)

ـ كأني أنظر القائم على ظهر النجف ، لبس درع رسول الله تتقلّص عليه ، ثم ينتفض بها فتستدير عليه ، ثم يُغَشّى بثوب إستبرق ، ثم يركب فرساً أدهمَ أبلقَ بين

---

(1) البحار ج ٥٣ ص ٦٠ .

(2) منتخب الأثر ص ٥١٩ وإلزام الناصب ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ والإمام المهدي ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ باختلاف يسير في أوله ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٥ وص ٣٩١ وص ٣٢٨ ما عدا الدعاء .

عينيه شِمراخٌ ، فينتفض به انتفاضة حتى لا يبقى أهل بلد إلا أتاهم نور ذلك الشمراخ فيظنون أنه معهم في بلادهم ، حتى تكون آية [1] . (وبهذا اللفظ ورد عن الصادق عليه السلام . وقد تكون الرؤية بواسطة التلفزيون الذي يُطلعنا يومياً على أحداث الدنيا ووقائعها ، إذا لم يكن في الأمر آيةٌ تفوق آية التلفزيون سيهتدي إليها الناس ، أو سيختص بها المهديّ عليه السلام . . ثم ورد هذا الوصف عن الصادق عليه السلام مرةً ثانية بلفظ :)

ـ كأني أنظر إلى القائم على نجف الكوفة ، عليه خِداجةٌ من إستبرق ـ أي قطعة ديباج ـ يلبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإذا لبسها انتفضتْ به انتفاضةً حتى تستدير عليه . ثم يركب فرساً أدهمَ أبلقَ بين عينَيه شِمراخٌ ، بين يديه راية رسول الله صلى الله عليه وآله . . [2] إلخ . . .

(فمن من المخلوقات يتجرأُ أن يقول ما قاله النبيُّ صلى الله عليه وآله وأوصياؤه ، ويملك قدرة القول بهذا الجزم منذ أربعة عشر قرناً : لا يبقى أهل بلدٍ إلاّ وهم يرون أنه معهم في بلادهم ؟ ! .

أم مَن يتمكن أن يقول : فيظنون أنه معهم في بلادهم ؟ ! . أو يتكلم عن الحصان وشِمراخه ويصف لباسَه وكلامَه وموقفَه كأنه شاهدَه منذ لحظات ! ! ! .

ألاَ إنَّ هذا من أعلام النُّبوَّة ، وهو وحدَه دليلٌ ينادي على نفسه بالصدق ! . وانتظر أيها القارىء أعجَب من ذلك فيما يلي ، حيث تشعر بأن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهلَ بيته كأنهم قد عايشونا وحادثونا وعاشرونا فوصفونا ووَصفوا حياتَنا أدقَّ وصف . أمّا عن نهاية حروبه فقال أبو الحسن عليه السلام :)

ـ ثم يتوجّه المهديُّ إلى القدس الشريف بألف مَركب ، فينزلون الشام ـ يعني جماعته وجيشه ـ وفلسطين بين صور وعكّا وغزّة وعسقلان . . وينزل المهدي بيت المقدس [3] . (وقال عليه السلام :)

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٦٦ والبحار ج ٥٢ ص ٣٩١ وبشارة الإسلام ص ٢٠١ .
(٢) إلزام الناصب ص ٢٢٧ وبشارة الإسلام ص ٢٠٠ والغيبة للنعماني ص ١٦٦ .
(٣) إلزام الناصب ص ٢٢٨ .

ـ . . ويتوجّه إلى الآفاق ، فلا يبقى مدينةٌ وطئها ذو القرنَين إلاّ حلّها وأصلحها . ولا يبقى كافرٌ إلاّ هلك على يدَيه ، ويَشفي الله قلوبَ أهل الإسلام [1] .

قال الإمام زين العابدين عليه السلام :

ـ كأني بصاحبكم علا فوق نجفكم بظهر كوفان ، معه أنصار أبيه تحت راية رسول الله قد نشرها ، فلا يُهْوِي بها إلى قوم إلاّ أهلكهم الله عزّ وجلّ ! [2] . (ولا يخفى أن هلاك القوم يكون بحُماة الراية ومَنِ الْتفَّ حولها من أبطال ، لا بالرّاية نفسها ، فهي رمزُ قوّتهم وشدّة وطأتهم ، ولذلك كانت تُرعب من يرى خفقانها الذي يوزّع الإنذارات بالموت كأسْمَى ما تكون عليه راية حقّ تَدْمَغ الباطل وتُزهقه ! . فسيكون مجرَّدُ توجيهها نحو الأعداء إيذاناً بتدميرهم بهذا المعنى ، وبمعنى عدائهم لها واعتقادهم بأنها تَحمل القاضِيَةَ وتصبُّ جام غضب الله وسخطه على عُصاة أمرِه ! ! ! وقد ورد عن الباقر عليه السلام وصف لموقف القائم في الكوفة قال فيه :)

ـ كأني بقائم أهل بيتي قد أشرف على نجفكم هذا ـ وأومأ بيده إلى ناحية الكوفة ـ فإذا هو أشرف نشر راية رسول الله ، فإذا هو نشرها انحطّتْ عليه ملائكة بَدر . عُودُها من عَمَدِ عرش الله ورحمته ، وسائرُها من نصر الله ، لا يُهوي بها إلى شيء إلاّ أهلَكَه الله ! . يأتيه بها جبرائيل عليه السلام [3] .

(فما أروعَ هذا التشبيه الذي يجعل للراية الكريمةِ الْهَيْبةَ الْعُلْويّة والهالَة القُدسية ! . وليس لله تعالى عرشٌ من عيدان ، ولكن راية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مُحاطةً بعناية الله ، محفوفةً برحمته ، مؤزّرةً بقدرته . ثم قال سيّد الساجدين عليه السلام أيضاً :)

ـ أمَا إن ذا القرنَين قد خُيِّرَ بين السَّحابَين ، فاختارَ الذّلول وذخَر لصاحبكم الصَّعب . فقيل له : وما الصَّعب ؟ . فقال : ما كان من سحابٍ فيه رعدٌ وصاعقةٌ

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٢٨ .
(٢) البحار ج ٥١ ص ١٣٥ ومنتخب الأثر ص ٣١٢ بلفظ قريب ومثله في الإمام المهدي ص ٩٠.
(٣) الغيبة للنعماني ص ١٦٥ ـ ١٦٦ وإلزام الناصب ص ٢٢٧ عن الصادق عليه السلام وبشارة الإسلام ص ٢٠٠ وفي ص ٢٥٠ نصفه الأول ، وفي منتخب الأثر ص ٣١٢ قريبٌ منه ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٦ وص ٣٦٢ وفي ص ٣٢٨ عن الصادق عليه السلام وكذلك في ص ٣٨٧ .

وبرقٌ فصاحبُكم يركبه ! . أمَا إنه سيركب السَّحاب ، ويرقى في الأسباب : أسبابِ السَّماوات السَّبع والأرضينَ السبع : خَمْسٌ عوامرُ واثنتان خَرِبتان ! [١] .

(وَيْ كأن الأئمة ﷺ يُمسكون بأصابعنا في هذا الزمان ليضعوها على علامات ظهور القائم علامةً بعد علامة ! . فَلِصاحب الأمر ﷺ ركوبُ الطائرة التي فيها رعدٌ وصاعقةٌ وبرق ! . هذا إذا لم يكن قد أعدَّ الله تعالى له ما هو أكثر رُعباً وأسرع فتكاً . . ولكننا سنبقى على الأرض ونتكلّم كأهل الأرض . وسيكون سيرُه في الأجواء وسيرقى الأسباب ، وسيجوز عِنان السماء ككل واحدٍ منّا في عصر الطيران لا أكثر . . ففي وسائلنا صوتٌ (راعدٌ) ونورٌ (خاطفٌ) وصوتٌ (صاعقٌ) . .

هذا وقد كشف لنا هذا الحديث عن ناحية هامّة جدّاً ، تدل على سبق حربٍ نَوَوِيَّة ستدمّر قارَّتين من الكرة الأرضية ! . وأعتقد ـ في شبه جزم ـ أنهما أميركا وأوقيانيا اللتان لم يردْ ذكرُهما في خَبرٍ من الأخبار ، إلى جانب ما يَخربُ من غربيِّ وشماليِّ أوروبا ، ومن شماليِّ آسيا بدليل عدم ذكر تلك المناطق في أي خبرٍ من الأخبار في حروب القائم ﷺ أو في تحديد دولته . .)

قالَ الإمَام البَاقِر ﷺ :

(جاء عنه في تأويل الآية) : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ : ﴾

ـ إذا قام القائمُ ذهبت دولة الباطل [٢] . (ومن ذاق مرارة دولة الباطل كما ذُقتَ يا مولاي وكما ذاق آباؤك وأجدادُك وأبناؤك ؟ ! . فلا عجبَ أنْ تَزُفَّ إلينا هذه البُشرى ، وتَعِدَنا فيها بزوال كابوس الباطل التي ترزح تحته الإنسانية في عصرنا الحاضر . . ثم قال ﷺ :)

ـ القائم منّا منصور بالرعب ، مؤيّد بالنصر ، تُطوَى له الأرض ، وتظهر له الكنوز ، ويبلغ سلطانُه المشرق والمغرب [٣] . . (وقد رُوي عن الصادق ﷺ مثله .

---

(١) الاختصاص ص ١٦٩ وص ٣٢٦ وفي البحار ج ٥٢ ص ٣٢١ عن الصادقين عليهما السلام وفي إلزام الناصب ص ١٣٩ ـ ١٤٠ عن الباقر ﷺ .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٧١ ، والإمام المهدي ص ٤٤ نقلاً عن البحار .

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ والمحجة البيضاء ج ٣ ص ٣٤١ ومنتخب الأثر ص ٢٩٢ وص ٤٨٢ =

ومنا أحري الأرض بأن تَطْوَى لنا حين نَثِبُ بالطائرة من قارَّة إلى قارَّة كالبرق الخاطف ! . وبذلك تقصر المسافات ، وتنعدم المشقّات ، كما أنها تقصر بالسيّارة وتزداد قصراً - وطيّاً - بالمركبة الفضائية ، بل إن الصاروخ لَيطوي الأرض كلها بأقلّ مما يرتد إلينا طَرْفُنا . . هذا مضافاً إلى ما في أمر المهديّ ﷺ وأمر أنصاره من عنايةٍ إلهيّةٍ وتأييدٍ ربّانيٍّ سيذلِّل كل صعب ويسهِّل كل عسير ، فَيدمغ بعضَ العقول التي أصبحت رجوماً وبروجاً للشياطين ! ! ! وأتمَّ الباقر ﷺ وصف حروبه بقوله :)

- يجرِّد السيف على عاتقه ثمانيةَ أشهرٍ هرجاً - أي قتلاً - حتى يرضَى الله [1] .

(ثم تابعَ في حديثٍ آخر قائلاً :)

- إن رسول الله سار في أمّته باللِّين والمنّ وكان يتألف الناس . والقائم يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً . . بذلك أُمِرَ في الكتاب الذي معه . ويلٌ لمن ناواه ! [2] .

(ورُوي عن الصادق ﷺ مثله . ولا اختلاف بين الحديثَين ، فإنه يسير بسيرة رسول الله من حيث العدل وإحقاق الحق ، ولكنه مأمور بالفتك في المعاندين والعصاة . . وقال الباقر ﷺ أيضاً :)

يُسند ظهره إلى الحجَر - أي الحجر الأسود المبارك في رُكن الكعبة أعزّها الله - ويهزُّ الراية المغلَّبة [3] . (وقيل : هي راية رسول الله الْمُعْلَمَة . والتحريف في كِلا الحالين من كثرة النقل . وقال) :

- يظهر في آخر الزمان . على رأسه غمامةٌ بيضاء تُظِلُّه من الشمس . فيها مَلَكٌ ينادي بلسانٍ عربيٍّ فصيح : هذا المهديُّ فاتَّبِعوه [4] . (وقد رُوي قريبٌ منه عن

آخره ، والبحار ج ٥٢ ص ١٩١ وإعلام الورى ص ٤٣٣ وبشارة الإسلام ص ٩٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ نقلاً عن إسعاف الراغبين ص ١٥٢ والمهدي ص ١٩٨ - ١٩٩ وص ٢٣٣ آخره ومثير الأحزان ص ٢٩٧ والإمام المهدي ص ٩٥ وص ٢٢٦ ونور الأبصار ص ١٧١ .

(١) إلزام الناصب ص ١٨٩ والغيبة للنعماني ص ١٦٥ وبشارة الإسلام ص ١٩٩ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٢١ ومنتخب الأثر ص ٣٠٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٣ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٢٠٦ وص ١٩٩ وإلزام الناصب ص ١٨٩ .

(٤) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ و٢٦١ و٢٦٥ و٢٦٦ والبيان ص ٩٢ و٩٣ بلفظ قريب ومثله في البحار ج ٥١ ص ٨١ وج ٥٢ ص ٣٧٨ والغيبة للنعماني ص ١٨٠ وبشارة الإسلام ص ٢٨٣ و٢٨٤ وص ٢٩٣ و٢٩٤ والمهدي ص ٩٦ وإسعاف الراغبين ص ١٣٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ =

النبي ﷺ . . ومن ألطف ما مرَّ معي من التحريف في النقل القول : يلبس عمامة بيضاء ، فيها ملك ينادي : البيعةَ لله ! ! ! . فقد استعمل الناقل لفظة (عمامة) بدل لفظةِ (غمامة) وأجلس الملَك في العمامة سامحه الله ! ! ! ثم قال الباقر عليه السلام يصف هَوْل المواقع :)

ـ يظهر بالسيف ! . وَلو اسْتَقَامت الأمور لأحد ، لاَسْتَقامت لرسول الله ﷺ حيث أُدْمِيَتْ رباعيَتُه وشُجَّ في وجهه . والذي نفسي بيده حتى نَمْسحَ نحن وأنتم العَرق والعَلق (أي الدم) والقومُ على السُّروج [1] . (وجاء عن الصادق عليه السلام مثله ، وعن الرضا عليه السلام قريب منه : ولعلَّ في استعمال الأئمة للَفظة السُّروج إشارةً إلى فرش المراكب الحديثة التي تُشبه السُّروج إذا كانوا لم يقصدوا الخيول بالذات ، وسينكشف واقع ذلك قريباً بإذن الله . . ثم قال عليه السلام :)

ـ من أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى ، وإن قبضه الله قبل ذلك خارَ له [2] . (وأكمل البيان في حديث آخر جاء فيه :)

ـ لو قد خرج قائم آل محمّد ، لَنَصره الله بالملائكة المسوَّمين والمردفين والمنزلين والكروبيين . يكون جبرائيل على مقدَّمته ، وميكائيل على ساقَته ، وإسرافيل عن يساره ، والرُّعب يسير أمامَه وخلْفَه وعن يمينه وشماله ، والملائكة المقرَّبون خدَّامه . أولُ من يبايعه شيعة محمد وعليّ . يأتي ولِلّهِ سيفٌ مخترَط (أي مسلول) يفتح الله له الرومَ والصينَ والتُّركَ والسندَ والهندَ وكابل شاه والخزَر [3] ! . (وقال مدلِّلاً

ص ١٢٧ و١٢٨ والإمام المهدي ص ٣٣٦ وإلزام الناصب ص ٥٢ نقلاً عن الفصول المهمة وص ٢٥٧ نقلاً عن البيان ، ونور الأبصار ص ١٧١ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ وص ١٦٣ نقلاً عن غاية المرام وص ١٦٦ .

(١) الغيبة للنعماني ص ١٥٢ وص ١٥٣ عن الرضا عليه السلام وإلزام الناصب ص ١٧٩ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٧ وص ٣٥٨ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٠٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٠ بلفظ قريب .

(٣) إلزام الناصب ص ٢٢٩ وص٢٠٨ باختصار والغيبة للنعماني ص ١٢٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣١٨ وص ٣٣٣ بعضه وج ٥٣ وص ٩١ ومنتخب الأثر ص ٤٧٣ بعضه عن النبيُّ ﷺ وبشارة الإسلام ص ١٠٩ وص ١٨٥ و١٨٩ بعضه وص ١٩٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ نقلاً عن إسعاف الراغبين ، والمهدي ص ٢١٨ بلفظ آخر .

على أن الأئمة عليهم السلام أولهم وآخرهم واحدٌ من جهة ، وعلى أن القائم عليه السلام هو يَمَالُ الباقين :)

ـ من أدرك منكم قائمنا فَلْيَقُل حين يراه : السلام عليكم يا أهل بيتِ النبوّة . ومعدِن العلْم ، وموضِع الرِّسالة . . [1] (وقال :)

ـ إذا ظهر قائمنا أهلَ البيت ، قال للناس : ﴿ فَفَرَرْتُ منكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ، فَوَهَبَ لِيْ رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَني مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ﴾ [2] (لا مُرسلاً برسالة جديدة ، بل لإحياء الدين ونشر لواء العدل وإحقاق الحق وإبطال الباطل) : خفتُكم على نفسي ، وجئتكم لمّا أذِن لي ربّي وأصلح أمري . (رُوي مثله عن الصادق عليه السلام وقال الباقر أيضاً :)

ـ ينتهي إلى المقام فيصلّي ركعتَين ، وينشد الله ويقول : ﴿ أَمَّنْ يُجِيْبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوْءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ، أَإِلَـهٌ مَعَ اللّهِ قَلِيْلاً مَا تَذَكَّرُوْنَ ﴾ [3] . (رُوي هذا بلفظه عن الصّادق عليه السلام ثم ختمه قائلاً :)

ـ نزلت في القائم . واللّهِ هو المضطرّ ، يُجيبه الله ويكشف عنه السوء ، ويجعله خليفةً في الأرض [4] . (وقال الصادق عليه السلام أيضاً :)

إنَّ القائم إذا خرج دخل المسجدَ الحرام ، فيستقبل القبلة ويجعل ظهره إلى المقام ثم يصلّي ركعتين ، ثم يقوم فيقول : يا أيها الناس ، أنا أولى بآدم ، أنا أولى الناس بإبراهيم ، أنا أولى بإسماعيل ، أنا أولى الناس بمحمد . . ويدعو ويتضرّع [5] . (وقال الباقر عليه السلام مفصلاً :)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٣١ ومنتخب الأثر ص ٣٠٩ .

(٢) الشعراء ـ ٢١ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٨١ وص ٢٩٢ وص ٣٨٥ والغيبة للنعماني ص ٩١ وإلزام الناصب ص ٥٧ وبشارة الإسلام ص ٢٤٩ .

(٣) النمل ـ ٦٢ ، والخبر في الغيبة للنعماني ٩٥ وص ١٦٩ والبحار ج ٥١ ص ٤٨ وص ٥٩ قريبٌ منه عن الصادق عليه السلام وج ٥٢ ص ٣١٦ وص ٣٤١ وبشارة الإسلام ص ٢٢٧ ومنتخب الأثر ص ٤٢٢ وص ٢٩٤ عن الصادق عليه السلام .

(٤) الإمام المهدي ص ٢٢٦ وإلزام الناصب ص ١٧٢ بتفصيل .

(٥) إلزام الناصب ص ٢٦ .

ـ واللَّهِ لَكَأنّي أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحَجَر ، ثم يقول : يا أيها الناس ، إنّا نستنصر الناس على من ظلَمَنا وسلَب حقّنا . إنّا أهلُ بيت نبيِّكم محمّد ﷺ ونحن أولى الناس بمحمّد . من يُحاجّنا في آلله فإنّا أوْلَى الناس بالله ، ومن يحاجّنا في آدم فإنّا أوْلَى الناس بآدم ، ومن يحاجّنا بنوح فإنّا أوْلَى الناس بنوح ، ومن يحاجّنا بإبراهيم فإنّا أوْلَى الناس بإبراهيم ، ومن يحاجّنا بمحمّد فإنّا أوْلَى الناس بمحمّد ، ومن يحاجّنا بالنبيين فإنّا أوْلَى النّاس بالنبيّين ، ومن يحاجّنا في كتاب الله فإنا أولى الناس بكتاب الله ، أليس يقول الله في مُحكَم كتابه : ﴿ إنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ عِمْرانَ عَلَى ٱلْعَالَمِيْنَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَٱللَّهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴾[1] ؟ ! .

فأنا بقيّةٌ من آدم ، وذخيرةٌ من نوحٍ ، ومصطفىً من إبراهيم ، وصفوةٌ من محمّد ﷺ . ألا ومن حاجّني في سنّة رسول الله فأنا أوْلَى الناس بسنّة رسول الله ، فأنشد الله من سمع كلامي اليوم ، لَمَا بلّغ الشاهدُ منكم الغائب . وأسالكم بحق الله ورسوله وبحقّي فإن لي عليكم حقّ القُربى من رسول الله ، إلاّ أعَنتمونا ومنعتمونا ممن يظلمنا ، فقد أُخِفْنا وظُلِمْنا ، وطُرِدْنا من ديارنا وأبنائنا ، وبُغِيَ علينا ودُفِعْنا عن حقّنا ، فافترى أهلُ الباطل علينا . .

فاللَّهَ اللَّهَ لا تَخذلونا ، وانصرونا ينصرْكم الله ، إنّا نستنصر اليوم كلَّ مسلمٍ[2] ! . ثم يدعو الناس إلى كتاب الله وسنّة نبيِّه والولاية ، ومعه عهدُ رسول الله ﷺ . فيقوم رجلٌ فينادي : أيّها الناس ، هذا طَلِبَتُكم قد جاءكم يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول الله ﷺ . فيقوم هو فيقول :

ـ أنا ابن نبيِّ الله ، أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبيُّ الله . .[2] (ثم

---

(١) آل عمران ـ ٣٣ ـ ٣٤ . والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٥٠ وإلزام الناصب ص ١٧٦ وص ٢٢٦ وبشارة الإسلام ص ١٠٢ ـ ١٠٣ وص ٢٢٧ والإمام المهدي ص ٢٢٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٣ بلفظ آخر وص ٢٣٨ وص ٢٣٩ وفي ص ٣٠٥ نصفه الأول وص ٣١٥ وص ٣٤١ وص ٤٠٦ .

(٢) آل عمران ـ ٣٣ ـ ٣٤ . والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٥٠ وإلزام الناصب ص ١٧٦ وص ٢٢٦ وبشارة الإسلام ص ١٠٢ ـ ١٠٣ وص ٢٢٧ والإمام المهدي ص ٢٢٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٣ بلفظ آخر وص ٢٣٨ وص ٢٣٩ وفي ص ٣٠٥ نصفه الأول وص ٣١٥ وص ٣٤١ وص ٤٠٦ .

قال ﷺ :)

أول من يبايعه جبرائيل ﷺ ، ثم الأنصار [1] . .

- وقد سئل عن تأويل الآية : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [2] ، فقال : نار (أي حرب) تخرج من المغرب (أي مغرب الحجاز ، يعني مكة) ومَلَكٌ يسوقها من خلفها . فلا تَدَعُ داراً لبني أميّة إلاّ أحرقتها وأهلها ، ولا تَدَعُ داراً فيها وترٌ لآل محمد إلا أحرقتها ، ذلك هو المهديّ [3] (ثم قال مبيّناً عدد أفراد جيشه بعد هذه المدة الوجيزة :)

- ثم يخرج من مكة حين يكون في مثل الحلقة : عشرة آلاف رجل ، جبرائيلُ عن يمينه وميكائيلُ عن شماله . ثم يهزّ رايةَ رسول الله ، وعليه دِرْعُه ، وبيده سيفُه ذو الفقار [3] . (وقد رُوي هذا عن الصادق ﷺ بلفظه ، ورُوي عنه أيضاً بهذا المعنى :)

- أول ما ينطق به هذه الآية : ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مؤمنين ﴾ ، ثم يقول : أنا بقيّةُ الله وحجّتُه وخليفتُه عليكم ، فلا يسلّم عليه مسلم إلا قال : السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه . فإذا اجتمع عليه العَقد : وهو عشرة آلاف رجل ، لم يبق في الأرض معبود دون الله عزّ وجلّ من صنمٍ أو وَثَنٍ أو غيره إلاّ وقعت فيه نارٌ فأحرقته [4] ! . (ووقوع النار هنا إن لم تكن من السماء فهي نار حربه التي تُحرق

---

(1) الغيبة للنعماني ص ١٦٩ ومنتخب الأثر ص ٤٦٨ بلفظ آخر ، ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٣٠٧ .

(2) المعارج - ١ ، وانظر بشارة الإسلام ص ١٠٨ والغيبة للنعماني ص ١٤٥ وإلزام الناصب ص ٣٢ وص ١٧٨ .

(3) إلزام الناصب ص ٢٢٦ والبحار ج ٥١ ص ١٥٧ روي عن الإمام الجواد ﷺ وج ٥٢ ص ٢٨٣ وص ٣٠٧ ومنتخب الأثر ص ٤٦٨ والمهدي ص ١٩٩ وبشارة الإسلام ص ١٩٩ وص ٢٢٤ و٢٣١ وص ٢٤٩ آخره ، وإلزام الناصب ص ٦٨ وص ١٨٩ عن الصادق ﷺ بتفصيل .

(4) هود - ٨٦ ، والخبر في منتخب الأثر ص ٩٢ والإرشاد ص ٣٤٣ ونور الأبصار ص ١٧٢ والبحار ج ٥٢ ص ١٩٢ وص ٣١٨ وص ٣٣٨ وص ٣٦٧ ومبشر الأحزان ص ٢٩٨ والإمام المهدي ص ٩٢- ٩٣ وبشارة الإسلام ص ١٠٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ والمهدي ص ١٩٩ - ٢٠٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ بلفظ آخر وإلزام الناصب ص ١٧٥ وص ١٤٠ أوله وإعلام الورى ص ٤٣٣ .

الأوثان الحجريّة والخشبيّة والبشريّة من المتربّبين من الناس ! ! ! ثم قال ﷺ يصف ساعة انطلاق جيش الله من بيت الله ويصف زادَ جيش الهدى وتموينَه وما يحمله معه :)

ـ إذا قام بمكة وأراد أن يتوجّه إلى الكوفة نادَى مُناديه : ألَا لا يَحْمِلَنَّ أحدٌ طعاماً ولا شراباً . ويحمل معه حجرَ موسى بن عمران ﷺ وهو وَقْرُ بَعِيرٍ ، فلا ينزل منزلاً إلاّ انْفجرت منه عيونٌ ، فمن كان جائعاً شبع ، ومن كان ظامئاً رَوِيَ ، ورَوِيَتْ دوابُهم . فهو زادُهم حتى ينزلوا النجفَ من ظهر الكوفة . فيخرج بها بضعة عشر ألفاً يدّعون التبرئة منه ويقولون : إرجع من حيث أتيت ، فلا حاجة لنا في بَني فاطمة ، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم ، فيَقتل كل مرتاب ، ويَقتل مقاتِليه ، ثم ينزل النجف [1] . . (وأصحاب آلتّبرئة هؤلاء ليسوا من الكوفة وحدها ، ولا من النجف فقط ، ولكنهم يتجمّعون من صفوف من تبرّأوا من عليٍّ بن أبي طالب ، والعياذُ بالله ، على يد جيش السفيانيّ ، ومن فلول ذلك الجيش الضّال ، ويَخرجون هناك لحربه بمجموعهم فيُفنيهم . ومن ألطف تحريفات النقل أن بعض النُّسّاخ كتب : (يُدعون الْبَتْريّة) بدل : (يدّعون التّبرئة) ثم فسّر ذلك وأتعب نفسه في نِسْبتهم إلى فلان الأبتر ، وضاع وأضاع غيره ممن تَبعه في النَّقل عنه ، واضطرَّ لأن يعقد فصلاً خاصّاً لهذه الطائفة وارتبك في محل إقامتها وكيفية تجميعها هناك يومذاك ! ! ! فتأمّلْ . .

ثم قال ﷺ في وصف الخسف بجيش السفيانيّ قُبيل خروجه من مكة :)

ـ ويبعث السفيانيُّ بعثاً إلى المدينة ، فيفرُّ المهديُّ منها إلى مكة . فيَبلغُ أميرَ الجيش أنَّ المهديَّ قد خرج إلى مكة ، فيبعث جيشاً على أثره فلا يُدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقّب على سنّة موسى بن عمران . وينزل أميرُ جيش السفيانيِّ البيداء ، فينادي منادٍ من السماء : يا بَيْداء أبِيدي القوم ، فيُخسَف بهم فلا يفلت منهم إلاّ ثلاثة

---

(١) الإرشاد ص ٣٤٣ والكافي م ١ ص ٢٣١ وإلزام الناصب ص ٧ وص ١٤٠ وص ٢٢٣ نصفه الأخير وفي منتخب الأثر ص ٣١٢ أوله ومثله في الغيبة للنعماني ص ١٢٥ وإعلام الورى ص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٤ و٣٢٥ و٣٣٥ نصفه الأول، و٣٣٨ تمام الخبر ، وص ٣٥١ والإمام المهدي ص ٢٢٧ وبشارة الإسلام ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ و٢٤٤ ما عدا آخره ، و٢٤٦ .

نفَر يحوّل الله وجوههم إلى أقْفِيَتِهِم (١) . . (وورد بلفظ :)

فإذا جاء إلى البيداء ، يخرج إليه جيش السفيانيّ ، فيأمر الله الأرض فتأخذهم من تحت أقدامهم ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ . وَقَالُوا : آمَنَّا بِهِ (يعني القائم ﷺ) وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ، كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ فلا يبقى منهم إلاّ رجلان : وترٌ ووُتيرة من مُراد (أي قبيلة مُراد) وجهُ كلّ منهما في قفاه ، يمشيان القهقرَى ، يُخبران الناس بما فُعِلَ بأصحابهما (٢) . (كما بيّنا فيما سبق عن بشير ونذير . . ثم قال يبيّن ما ينزل بالمردة والْعُتاة وكفَرة الناس :)

ـ لو عَلِم الناس ما يصنع المهديّ إذا خرج ، لأحب أكثرهم أن لا يراه مما يَقتل من الناس ! . أَمَا إنه لَيبدأ بقريش ، فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول كثيرٌ من الناس : ما هذا من آل محمّد ، لو كان من آل محمّد لَرحم (٣) . (رُوي بلفظه عن الصادق ﷺ ثم قال الباقر ﷺ عن قريشٍ التي جرّعت النبيّ ﷺ الأذى في حياته وبعد لُحوقه بربّه :

ـ ما بقاءُ قريش ، إذا قدَّم القائمُ المهديُّ منهم خمسمئة فضربَ أعناقَهم ، ثم قدَّم خمسمئةٍ فضرب أعناقَهم صبراً ، ثم خمسمئةٍ فضربَ أعناقَهم ، وإنَّ مولى القوم منهم (٤) . (أي أن من بين المضروبةِ أعناقُهم صبراً لا أثناء المعركة يكون مولاهم السفياني . . ولا تعجب فقد جاء عنه ﷺ في تأويل :)

---

(١) الإمام المهدي ص ٢٢٤ .

(٢) سبأ ـ ٥١ ـ ٥٤، والخبر في كشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٥ وإلزام الناصب ص ٢٨ وص ١٧٧ ومثير الأحزان ص ٢٩٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣١٦ وص ١٨٥ باختصار وص ٣٤٢ تمام الخبر ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٤ وص ١٦٠ بلفظ آخر والملاحم والفتن ص ٦٠ باختصار وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٢ باختلاف يسير وص ٢٢٨ وبشارة الإسلام ص ١٠٢ آخره .

(٣) البحار ج ٥١ ص ٣٥٤ وبشارة الإسلام ص ٢٧٧ وإلزام الناصب ص ٢٢٣ .

(٤) الإرشاد ص ٣٤٣ والغيبة للنعماني ص ١٢٣ وإعلام الورى ص ٤٣٠ البحار ج ٥٢ ص ٣٤٩ عن الحسين ﷺ وبشارة الإسلام ص ١٩٩ قريبٌ منه وص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ وإلزام الناصب ص ٢٢٣ عن الصادق ﷺ وص ٢٢٤ عن الحسين ﷺ .

- ﴿ إنَّهم يَكِيـدُونَ كَيْداً ، وأَكِيـدُ كَيْداً ، فَمَهِّـلِ الْكَـافِـرِينَ أَمْهِلْهُم رُوَيْـداً ﴾ ، قال : أمهِلِ الكافرين يا محمد رُوَيداً ، لو بُعِثَ القائمُ فينتقم من الجبّارين والطواغيت من قريش وبَني أميَّة وسائر الناس [1] . .

(وقال الباقر عليه السلام يصف الخُطوات الأولى للثورة المباركة :) - . . . . ويَستعمل على مكة - أي يعيِّن عاملاً ، حاكمـاً - ثم يسير نحـو المدينـة ، فيبلغُه أنَّ عـامِلَه قُتل ، فَيـرجع إليهم فيَقتـل المقاتِلة ولا يـزيد على ذلـك . ثم ينـطلق فيـدعـو النـاس مـا بين المسجـدَين - المسجد الحـرام ، ومسجد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم - إلى كتـاب الله وسنَّـة رسـولـه والـولاية لعليِّ بن أبي طـالب والبراءة من عـدوِّه ، حتى يَبلغ البيداء فيخـرج إليه جيشُ السفيانيِّ فيُخسَفُ بهم [2] . .

(ثم يكمل الباقر عليه السلام وصف المراحل بقوله :) يخرج عـائداً إلى المـدينة حتى يمرَّ بالبيـداء ، فيقول هـذا مكان القـوم الذين خُسِف بهم ، وهي الآيـة التي قال الله : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِيْنَ مَكَرُوْا السَّيِّئَاتِ ، أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ ، أَوْ يَـأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ ، أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِيْ تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ﴾ [3] ؟ ! . (ثم قال في حديثٍ ثانٍ :)

- ثم يدخل المدينة (يثرب) وتقاومه قريشٌ وغيرُها ، فيمنحه الله أكتافهم ويُمكِّنه منهم [4] . (وقال يصف وجودَه بجوار جدِّه صلى الله عليه وآله وسلم :) -

- يقـول في المدينـة مخاطبـاً جـدَّه صلى الله عليه وآله وسلم : يـا جـدَّاه ، وصفْتَني ودَلَلْتَ عليَّ ، ونَسَبْتَني وسمَّيْتَني وكَنَّيْتَني ، فجحدَتْني الأمةُ وقالت : ما وُلِـد ، ولا كان ، وأين هـو ؟ ومتى كان ؟ وأين يكون ؟ . وقد مات ولم يُعقب (أي أبوه) ولو كان صحيحاً مـا أخَّره

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٤٣ والبحار ج ٥٣ ص ٥٨ وص ١٢٠ .
(٢) البحـار ج ٥٢ ص ٣٠٨ وص ٣٤٢ وج ٥٣ ص ١١ وبشارة الإسلام ص ٢٢٨ وص ٢٧١ نصفُه الأول ، وص ٢٧١ - ٢٧٢ بتفصيل ، وإلزام الناصب ص ٢١٦ - ٢١٧ .
(٣) النحل - ٤٥ - ٤٦ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٢٤ وإلزام الناصب ص ١٧٦ .
(٤) البحار ج ٥٢ ص ٣٤٢ .

الله تعالى إلى هذا الوقت المعلوم ، فصبرتُ مُحْتسباً ، وقد أذن الله لي فيها بإذنه [1] .

(ثم قال متابعاً التحرّكات الميمونة :) ـ يخرج من الحجاز . . حتى يستوي على منبر دمشق [2] . (وعن فرحة المُوالين قال :)

ـ . . فيخرج من مكة متوجِّهاً إلى الشام ، يفرح به أهلُ السماء وأهلُ الأرض ، والطيرُ في الهواء والحيتانُ في البحر [3] . (وعن صدى الزّحف الكريم قال :)

ـ . . وتقع الصيحة بدمشق : إن أعراب الحجاز قد جمعوا لكم . فيقول السفيانيّ لأصحابه : ما يقول هؤلاء القوم ؟ . فيقال له : هؤلاء أصحاب تمرٍ وإبلٍ ، ونحن أصحاب خيلٍ وسلاح ، فاخرج بنا إليهم . فيخرج السفيانيّ بخيله وقومه ورجاله وجيشه ، ومعه مئة وسبعون ألفاً . فينزل بُحيرة طبريَّة . . ويسير إليه المهديُّ ، يسير في الليل ويكمُن في النهار ، والناس يتبعونه ، حتى يواقع السفيانيَّ على بُحيرة طبريَّة ، فيغضب الله على السفيانيّ ويغضب خَلْقُ الله لِغضب الله تعالى ، فترشقهم الطيرُ بأجنحتها ، والجبالُ بصخورها ، والملائكةُ بأصواتها ، ولا تكون ساعة حتى يُهْلِك الله أصحابَ السفيانيّ كلَّهم ، ولا يبقى على وجه الأرض غيره وحده ، فيأخذه المهديُّ فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها مدلاَّة على بُحيرة طبريَّة قرب مدينة دمشق [4] . (ورُوي عن النبي ﷺ قولُه المختصرُ في وصف هذه الواقعة :)

ـ وَيبعث السفيانيُّ إليه ـ أي إلى المهدي عليه السلام ـ بعثاً ، فيظهرون عليهم . وذلك بعثُ كلب ، والخيبةُ لمن لم يَشهد غنيمةَ كلب [5] . (ثم رُوي عن الباقر عليه السلام في وصفِ متابعة الزّحف المقدّس :)

---

(١) البحار ج ٥٣ ص ٣٢ وإلزام الناصب ص ٢٢٢ عن الصادق عليه السلام .

(٢) الملاحم والفتن ص ١٢٣ وإلزام الناصب ص ٢٠١ عن أمير المؤمنين عليه السلام ما عدا آخره ، وإسعاف الراغبين ص ١٣٨ شيء منه .

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٥٩ وص ٢٦١ والملاحم والفتن ص ١١٦ .

(٤) انظر ـ مع اختلافٍ في اللفظ ـ بشارة الإسلام ص ٤٦ وص ١٩٢ وص ٢٤٩ وص ٢٧٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ وإلزام الناصب ص ٢٠١ .

(٥) إلزام الناصب ص ٥٢ وص ٢٥٤ نقلاً عن البيان ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٦ وص ١٦٠ بلفظ آخر .

ـ ثم يسير حتى يأتي العذراء هو ومن معه وقد أُلحق به ناس كثير ، والسفيانيّ يومئذٍ بوادي الرَّملة . حتى إذا التقوا يخرج أناسٌ كانوا مع السفيانيّ من شيعة آل محمّد ، ويخرج أُناسٌ كانوا مع آل محمد إلى السفيانيّ فهم من شيعته حتى يلتقوا بهم ، ويخرج كل أناس إلى رايتهم ، وهو يومُ الأبدال . ويُقتل يومئذٍ السفيانيّ ومن معه حتى لا يُدْرَكُ منهم مُخْبر . والخائب يومئذٍ من خاب من غنيمة كَلْب . ثم يُقبل إلى الكوفة فيكون منزله فيها [1] . . (وغنيمة كَلْب هي أسلابُ قبيلة كَلْب التي تربطها الخُؤولة بالسفيانيّ ، وأسلابُ السفيانيّ أيضاً وجميع من كانوا معه . . ثم رُوي قريبٌ منه عن الصادق عليه السلام ختمه بقوله :)

ـ ثم ينشأ رجلٌ من قريش أخوالُه من كَلْب ، فيبعث بعثاً فيظهرون عليهم ، وذلك بعثُ كَلْب ، والخيبةُ لمن لم يشهد غنيمة كَلْب [2] . (وجاء عنه أيضاً قولُه عليه السلام :)

ـ إذا قام القائم وبعث بجيشه إلى بني أميّة ، هربوا إلى الروم ، فيقول لهم الروم : لا نُدخلكم حتى تدخلوا في ديننا ، فيفعلون . ويُدخلونهم [3] . . (يُدخلونهم في دينهم : أي في مبدئهم السياسي المجسَّد في حرب الإمام) فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم طلبوا الأمانَ والصلح ، فيقول أصحابُ القائم : لا نفعل حتى تدفعوا إلينا أهلَ ملّتنا ، فيدفعونهم إليهم . وذلك قولُ الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إذا هم مِنْها يَرْكُضُون . لا تركُضُوا وارْجِعُوا إلى ما أُتْرِفْتُم فيه ، ومَساكِنِكُم لعلَّكُم تُسْئَلون ـ يسألونهم عن الكنوز ، ولهم علْمٌ بها ـ قالوا يا وَيْلَنا إنّا كُنّا ظالمين ! . فما زالتْ تلك دَعْواهُمْ حتى جعلناهم حصيداً خامِدِين ﴾ [4] بالسيف .

---

(١) العذراء : سهل قرب دمشق دُفن فيه معاوية حِجْرَ بن عديّ وأصحابه أحياءً لأنهم يوالون عليّاً عليه السلام . والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٢٤ وإلزام الناصب ص ١٧٦ وفي كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٩ جزءُ منه، والبيان ص ٧٣ بلفظ آخر ، وفي الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٦ شيء منه .

(٢) البحار ج ٥١ ص ٨٨ والصواعق المحرقة ص ١٦٣ وقال عن السفياني: رجلٌ من قريش ، ومثله في ينابيع المودة ج ٣ ص ٨٧ والإمام المهدي ص ٧٢ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٦ بلفظ آخر وكذلك في ص ١٦٠ منه .

(٣) بشارة الإسلام ص ٢٢٩ باختصار وص ٢٥١ بتفصيل ، وإلزام الناصب ص ٢٥ .

(٤) الأنبياء ـ ١٢ ـ ١٥ ، والخبر في بشارة الإسلام ص ٢٢٩ وص ٧٠ بلفظ قريب . ومثله في البحار =

(وقد رُويَ عن الصادق عليه السلام مثله بزيادة : القائم يَسأل بني فلان عن كنوز بني أميّة . ثم قال في تأوُّل الآية الكريمة :)

ـ ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بعدَ ظُلْمِه : (يعني القائم وأصحابه) ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ، والقائمُ إذا قام انتصَرَ من بني أميّة ومن المكذِّبين والنُّصّاب ، هو وأصحابه . وهو قولُ الله تبارك وتعالى : ﴿ إنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

ـ وقال في تفسير الآية : ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا ، لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾[2] : ينزل القائم يوم الرَّجفة بسبع قِبابٍ من نُور ولا يُعلَم في أيِّها هو ، حتى ينزل ظهر الكوفة .

(وفي هذا التأويل دليل على أنه ـ بعد الخسف بجيش السفيانيّ والخروج من يثرب ـ ينزل العراق بسرب طائراتٍ تخترق أنوارُها الأجواء ليلاً بحسب ظاهر الكلام ، ويكون نُزُولُه في موكبٍ مؤلَّف من سبع طائرات ، بدليل القول بأنَّ للقائم في الهواء خيلٌ مُسْرَجةٌ مُلْجَمة ، ولها أجنحة ! . أفتُريدُ أوضحَ من وصفها الذي لم يترك ذكْرَ الأجنحة ؟ ! . هذا وإن التاريخ لم يَغفل عن ذكْرِ خيل النبيّ سليمان عليه السلام ذواتِ الأجنحة كما سترى قريباً .

ووَاللّٰهِ إن العاقلَ لَيَقف خاشعاً أمام مثل هذه الأخبار التي حُكِيَتْ منذ ثلاثة عشر قرناً ، ويُجمجم نُطْقَه الإكبارُ لمثل هذه الشخصيّات الفذّة التي طَمسَها ظُلم التاريخ المزوَّر على يد أعداء الإنسانية ، لأن قائليها لم يكونوا ـ ولا كانوا في الحقيقة وواقع الأمر ـ لطائفةٍ دون طائفةٍ ولا لأصحاب عقيدة دون غيرهم . ولكنهم على كل حالٍ ما ضاعوا ولن يضيعوا ، ولن يزدادوا إلاّ رِفْعة ، ولم يضع علْمهم ولن يضيع، ولا يزداد إلا تألّقاً ووضوحاً وانكشافاً لكل ذي بصيرة ! ! ! .

هذا ، ولن ننسى الإشارة إلى أنه ربما ركب سرير النبيّ سليمان بن داود عليه السلام

ج ٥٢ ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ وفي إلزام الناصب ص ٢٢ عن الصادق عليه السلام ما عدا أوله .

(١) الشورى ـ ٤٢ ، والخبر في إلزام الناصب ص ٢٩ وص ٥٧ .

(٢) الرحمن ـ ٣٣ .

ـ أي بساطَ الريح المشهور ـ في ذلك السَّرب ، لأنه جاء عن الباقر ﷺ نفسه بصراحة :)

ـ . . ويسير نحو الكوفة ، وينزل على سرير النبيِّ سليمان ﷺ وبيمينه عصا موسى ، وجليسُه الروحُ الأمين وعيسى بنُ مريم ، مُتَّشحاً بِبُرد النبيِّ ، متقلّداً بذي الفقار ، ووجهُه كدائرة القمر في ليالي كماله ، يخرج من بين ثناياه نور كالبرق الساطع ، على رأسه تاجٌ من نور [1] ! . (الأمر الذي يدل على أن سرير سليمان ﷺ يكون معه بعد أن استخرجه من القدس أثناء وجوده فيها . وبذلك قرّب الباقر ﷺ كيفية ركوب القائم ﷺ الريحَ ، وكيفيَّة سيرِه في الجو : إمّا على بساط الريح الذي يحمل سكّان مدينة بكاملها مع زادهم وأسلحتهم وأمتعتهم ، وَإمّا على الخيل المسرّجة الملجّمة ، وَإمّا ـ بحسب واقعنا الحالي ـ على متون الطائرات ، وإمّا ـ بالأخير ـ على ظهور الصحون الطائرة التي تتراءى للعالم بين الْفَيْنَة والْفَيْنَة ، والتي لا تزال لُغزاً مجهولاً بمصدرها ومُصدِّريها ومُستعمِليها . . وقد قال أمير المؤمنين ﷺ :)

ـ إنَّ مُلكَنا أعظمُ من مُلك سليمان بن داود ، وسلطاننا أعظمُ من سلطانه [2] ! .

(وقيل أيضاً : إن خيل سليمان النبيِّ كانت لها أجنحة تطير بها [3] ! . هذا وقد قال الباقر ﷺ :)

ـ كأنّي بالقائم على نجف الكوفة ، وقد سار إليها من مكة بخمسة آلافٍ من الملائكة : جبرائيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وشُعَيب بن صالحٍ على مقدَّمته ، والمؤمنون بين يدَيه ، وهو يُفرِّق الجنود في الأمصار ، فيفتح القسطنطينية والصين وجبال الدَّيلَم [4] . (ثم قال يصف موقعة جيش التبرئة الذي سبق ذِكرُه ،

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٨ .

(٢) إلزام الناصب ص ٢٣١ .

(٣) حضارة العرب ص ٦٢ .

(٤) إعلام الورى ص ٤٣٠ والإرشاد ص ٣٤١ ومنتخب الأثر ص ٣١٢ بعضه ، وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ مجملاً ، والبيان ص ٩٧ باختصار ، والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٧ ما عدا آخره . ومثله في إلزام الناصب ص ٦٣ وص ٢٢٢ وص ٢٢٥ و٢٢٦ بتفصيل ، وإسعاف الراغبين ص ١٣٥ إلى ص ١٤٠ وتجد آخره في الإمام المهدي ص ٢٧٣ وفي الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٤ وص ١٤٥ وفي مصادر أخرى لا حاجة لتعدادها .

وتصفية جوّ الكوفة :)

ـ . . حتى إذا صعد النجف قال لأصحابه : تَعَبَّدوا لَيْلَتَكُم هذه ، فيبيتون بين راكعٍ وساجدٍ يتضرَّعون إلى الله ، حتى إذا أصبح قال : خُذوا بنا طريق النُّخَيْلة ، وعلى الكوفة خندقٌ مُخَنْدَقٌ ، حتى ينتهيَ إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بالنُّخَيْلة ، فيُصلِّي فيه رَكعتَين ، فيخرج إليه من كان بالكوفة من مُرجِئةٍ وغيرهم من جيش السفيانيّ ، فيقول لأصحابه : استطْردوا لهم ، ثم يقول : كُرُّوا عليهم ، فلا يجوز الخندق منهم مُخْبِر ، ويدخل الكوفة [1] .

(وقال عليه السلام في نفس الموضوع :) ـ إذا دخل القائم الكوفة لم يبق مؤمن إلاّ وهو بها يجيء إليها . فيقول القائم : سيروا بنا إلى هذا الطاغية ، فيسيرون إليه [2] .
(والطاغية الذي عناه ، هو قائد فلول جيش الضلال المرسَلُ من قِبَل السفيانيّ للتنكيل بأهل العراق . . وقد جاء عنه عليه السلام :)

ـ ثم ينطلق ، حتى إذا بلغ (الثعلبية) قام إليه رجل من صلب أبيه ، هو أشدّ الناس ببدَنه وأشجعهم بقلبه ما خلا صاحبَ هذا الأمر ، فيقول : يا هذا ، ما تصنع ؟ . فواللّهِ إنَّك لَتُجفِل الناسَ إجفال النَّعَم ! . أفَبِعَهْدٍ من رسول الله أم بماذا ؟ ! . فيقول المولى الذي وَلِيَ البَيْعَة : أُسكت ، لَتَسْكُتَنَّ أو لأضربنَّ الذي فيه عَيناك ! . فيقول القائم : أُسكت يا فلان . إيْ واللّهِ إن معي عهداً من رسول الله . هاتِ لي يا فلانُ العَيبة (أي المحفظة) فيأتيه بها ، فيقرأ العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول الرجل : جعلني اللّهُ فداك ، أعطني رأسك أُقَبِّلْهُ . فيعطيه رأسه فيقبِّل بين عينَيه ، ثم يقول : جعلني الله فداك ، جدِّد لنا بيعة ، فيجدِّد لهم بَيْعة [3] .

(وهذا المتكلِّم هو الحسينيّ ـ الخراسانيّ ـ كما سترى ، وهو يطلب الحُجة

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ وبشارة الإسلام ص ٢٢٩ .
(٢) الغيبة للطوسي ص ٢٧٥ وص ٢٧٣ باختلاف يسير ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٠ وص ٣٤٢ وص ٣٨٥ وج ٥٣ ص ١١ وبشارة الإسلام ص ٢٢٩ عن الصادق عليه السلام ومثله في إلزام الناصب ص ٢٥٧ ما عدا آخره .
(٣) بشارة الإسلام ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ وص ٢٣٢ باختصار وص ٢٥٠ وإلزام الناصب ص ٢٢٧ باختصار ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٤٣ وص ٣٢٦ باختلاف يسير وص ٣٥٢ وص ٣٨٧ .

والـدليل حيث كـان لا يزال منتـظراً ومـرابـطاً فيمـا بين الكـوفـة وكـربـلاء . . ثم قـال الباقر عليه السلام أيضاً :)

ـ ثم يأتي الكوفة فيُطيل المكثَ فيها ما شاء الله ، حتى يَظهر عليها [1] . (وقال عن قتاله في الكوفة وفيما حولها :)

ـ يدخل المهديّ الكوفـة وبها ثـلاث رايات قـد اضطربت بينهـا ، فتصفو لـه . فيـدخل حتى يـأتي المنبر ، ويخـطب فلا يـدري النـاسُ مـا قال من البكـاء . . كـأني بالحسنيُّ (أي الخراسـانيّ) والحسينيُّ (أي المهديّ) وقـد قاداهـا (يعني الحرب أو الـرايات) فيسلِّمهـا الحسنيُّ للحُسينيّ فيبايعـونه [2] . (وينضـوي الحسنيّ تحت لـواء الإمام عليه السلام . ولم يوضِّح الخبرُ ، سببَ تسميته بالحسنيّ ، إلاّ إذا سمّى الجيش بـاسم قائده الذي قُتل . . . ثم قال عن الزحوف التي يبعثها من العراق :)

ـ فإذا وصل إلى الكوفة يعقد ثلاث رايات : لواء إلى القسطنطينية يفتح الله لـه ، ولـواء إلى الصين يفتـح الله لـه ولـواء إلى جبـال الـديلم فيفتـح الله لـه [3] . (ثم قال عليه السلام :)

ـ إذا فتـح جيشُـه بـلاد الـروم ، يُسْلِم الـروم على يـده ، فيبني لهم مسجـداً ، ويستخلف عليهم رجلاً من أصحابه [4] . (وقال أيضاً :)

ـ روميـة التي يفتحها المهـديُّ هي أمُّ بلاد الـروم ، التي من كـان يملكهـا كـان بمنـزلة الخليفـة عنـد المسلمين [5] . (وهـذا من أعـلام الغيب إذ لم تكن روميـة قـد

---

(1) إلزام الناصب ص ١٧٦ .

(2) الغيبة للطوسي ص ٢٨١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ مجمـلاً وإلزام النـاصب ص ٢٢٢ نصفـه الأول ومثله في إعلام الورى ص ٤٣٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٤ .

(3) البحـار ج ٥٢ ص ٣٣١ وص ٣٣٣ وص ٣٨٨ ومنتخب الأثـر ص ١٥٣ بـلفظ آخـر ومثـله في المـلاحم والفتن ص ١١٨ والمهدي ص ١٩٨ وص ٢٢٣ وكـذلك في بشـارة الإسـلام ص ٢٣٥ وص ٢٥١ وفي ص ٢٥٨ بلفظ : ويفتـح القسطنـطينية والصين وجبـال الدَّيْلَم ، وص ٢٨٧ ونـور الأبصار ص ١٧١ وقريب منه في إسعاف الراغبين ص ١٣٦ وفي إلزام الناصب ص ٢٢٣ .

(4) بشارة الإسلام ص ٢٥١ .

(5) إلـزام النـاصب ص ٢٢٤ وص ٢٢٥ بتفصيـل ، والمـلاحم والفتن ص ٦٤ وص ٦٥ بلفظ آخـر مفصَّل .

صارت في هذا المركز يوم قال الباقر عليه السلام قوله هذا . . ثم قال عليه السلام :)

ـ ثم يسير المهديّ ومن معه إلى البحر المحيط [1] . (وقال وكأنه يختتم موضوع ثورته المباركة : ـ هو الذي يَجمع الكَلِمَ وُيتِمُّ النّعَم ، ويُحق اللّهُ به الحقَّ ويُزهق الباطل . وهو مهديُّكم المنتظَر .)

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

ـ قالَ في تأويل قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا ، وَأَنَّ اللهَ على نَصْرِهم لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقّ ﴾ : هذه الآية في القائم عليه السلام وأصحابه [2] . (وقال عليه السلام في تأويل :)

ـ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَومَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِير ﴾ : إنَّ إماماً منّا مُظَفَّراً مُستَتِراً ، فإذا أراد الله عزَّ وجلّ ذِكْرُه إظهارَ أمرِه نكتَ في قلبه نكتةً فظهرَ فقامَ بأمر الله تبارك وتعالى [3] . (ثم قال عليه السلام :)

ـ يغيب فلا تراه عينٌ حتى يراه كلُّ أحدٍ وكلُّ عين [4] . . (وقد يكون ذلك بظهوره على شاشة التلفزيون في كل بيتٍ كما أوضحنا سابقاً ، أو على شاشة تلفزيونية تظهر في مختلف آفاق الأرض إذا كان الإنسان قد اهتدى إليها ، أو في الصحف والمجلات إذا حكينا بعقلية الأطفال . . ويجدر بمثل هذه الأخبار أن تُكتَب بماء الذهب ، وأن تُنقش على صفحات القلوب كمفاخرَ تنطق بعظمة تراثنا المقدّس الذي يقول بثقةٍ وبإيمان راسخ : سيكون كذا وكذا بعد أربعة عشر قرناً من الزمن ، وينقله من ينقله مؤمناً به إيمانه بربِّه وبنفسه ! . ثم وردَ عنه عليه السلام قولُه التالي الذي يثبِّت به أتباعه :)

---

(١) ينابيع المودة ج ٣ ص ٩٢.

(٢) الحج ـ ٣٩ ـ ٤٠، والخبر في البحار ج ٥١ ص ٥٨ وج ٥٣ ص ٥٥ ومنتخب الأثر ص ١٧٠ والإمام المهدي ص ٤٦ وإلزام الناصب ص ٢٥ ، وص ٢٣٧ والغيبة للنعماني ص ١٢٧ .

(٣) المدّثر ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ، والخبر في الكافي م ١ ص ٣٤٣ والبحار ج ٥١ ص ٥٨ وج ٥٢ ص ٢٨٤ وإلزام الناصب ص ٣٢ .

(٤) إلزام الناصب ص ٢١٥ والبحار ج ٥٣ ص ٦ وبشارة الإسلام ص ٢٦٧ .

ـ يَطلع عليكم كما تَطلع الشمس أينما تكونون ، فإياكم والشك والإرتياب . أنْفوا عن أنفسكم الشكوك ، وقد حذَّرتكم فاحذَروا [1] . . (فلا بدَّ أنه طالعٌ علينا في يوم من الأيام على شاشة أكبر تلفزيون في العالم ، يُشرق وتشعُّ طَلْعته كالشمس الساطعة . . هذا إذا لم يكن لديه وسيلةٌ غير عاديّة تجعله يُشْرق من حالِقٍ كما قلنا وكأنَّ الآفاق كلها شاشةُ تلفزيون بديهيّةٌ لا نستغربها بعد أن يكون الإنسان قد توصَّل إلى اكتشاف طريقتها أو بعد أن يُطوِّرها القائم عليه السلام فيجعلها كذلك . والشك في ذلك لا يرقى إلى مثل كلام الصادق وكلام آبائه وأبنائه عليهم السلام . ولكنَّه يُحذِّر من يوم الخروج ويوم العدل فيقول :)

ـ ما تستعجلون بخروج القائم ؟ . فَوَاللَّهِ ما لِباسُهُ إلاَّ الغليظ ، وما طعامه إلاَّ الْجَشِب ، وما هو إلا السيف ، والموت تحت ظِلِّ السيف ! . يسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يعيش إلا عَيْش أمير المؤمنين عليه السلام [2] . (والطعام الْجَشِب هو الطعام الغليظ بلا أدْم . . وقال عليه السلام :)

ـ إذا تمنّى أحدُكم القائم فَلْيَتَمنَّه في عافية . فإن الله بعث محمداً صلَّى الله عليه وآله رحمةً ، ويبعث القائم نقمة ! [3] . (نقمة على الظالمين لا غيرهم كما قدَّمنا . . ذلك أنَّ المهديَّ عليه السلام يُقيم أمرَ الله تبارك وتعالى ويُحيي الأحكام ويُقيم الحدود . . ثم قال عليه السلام يحدِّد الوقت الميمون :)

ـ يُنادَى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاثٍ وعشرين (من شهر رمضان) ويقوم في يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذي قُتِل فيه الحسين عليه السلام لَكأنّي به يومَ السبت العاشر من

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٥٣ نقلاً عن الغيبة للنعماني .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٢٢ والغيبة للطوسي ص ٢٧٧ ما عدا آخره ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٣٥٤ ومنتخب الأثر ص ٤٨٩ عن الحسين عليه السلام وص ٣٠٧ عن الرضا عليه السلام وكذلك في الغيبة للنعماني ص ٢٥٣ وكذلك في إلزام الناصب ص ٢٢٣ والإمام المهدي ص ٢٧٣ ما عدا آخره ، والمهدي ص ٢٢٦ نقلاً عن عقد الدرر .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٣١٥ وص ٣٧٦ وإلزام الناصب ص ١٤٠ بلفظ آخر ، ومنتخب الأثر ص ٤٦٥ باختلاف يسير .

المحرَّم قائماً بين الركن والمقام ، عن يمينه جبرائيل ينادي : البَيْعَةَ البَيعَة ! [١] (وورد عنه بلفظ :)

ـ يُنادَى باسم القائم في ليلة الجمعة لثلاث وعشرين من شهر رمضان ، ويقوم في يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذي قُتِل فيه الحسين ﷺ ، يكون النهار نهارَ سبت حين يقوم بين الركن والمقام ، فتصير إليه الشيعةُ من أطراف الأرض [٢] . . (وقد رُوي عن الباقر ﷺ تعيين يوم خروجه ذاك كذلك تماماً . . ثم قال ﷺ في تأويل :)

﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ : يوم القائم ، ويوم الموت ، ويوم القيامة . . [٣]

(فقد قَرَن الله تعالى أهوال هذه الأيام الثلاثة بعضها ببعض ، وساوَى بينها لشدَّتها ، وثِقل وَطْأتها على الإنسان . . وقد أَعْذر من أنذر ! . (وقال في تأويل :)

ـ لِيُظْهِرهُ على الدِّين كُلِّه : في هذا اليوم هو المهديّ ، (وقال :)

نحن على منهاج رسول الله حتى يأذن الله لنا في إظهار دِينه بالسيف ، وندعو الناس إليه ، فَنضرِبُهم عليه عَوْداً كما ضرَبَهم رسول الله بَدْءاً [٤] .

ـ (وقال في تأويل قوله تعالى :) ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَى وَدِيْنِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ﴾ [٥] : واللّهِ ما نزل تأويلها بعد ،

---

(١) الإرشاد ص ٣٤١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٤ وإعلام الورى ص ٤٣٠ ومنتخب الأثر ص ٤٤٨ وص ٤٦٤ والغيبة للطوسي ص ٢٧٤ نصفه الأول ، ونصفه الثاني عن الباقر ﷺ والإمام المهدي ص ٩٥ وص ٢٢٩ وبشارة الإسلام ص ١٤٩ وفي ص ٩٧ نصفه الثاني عن الباقر ﷺ وص ١٩٣ بتمامه ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٩٠ والمهدي ص ٧٨ وص ١٩٨ .

(٢) أكثر مصادر الرقم (١) ولا حاجة لتكرارها ، والخبران متقاربان في المعنى .

(٣) إبراهيم ـ ٥ ، والخبر في إلزام الناصب ص ٢٣ وص ٢٤٠ والبحار ج ٥١ ص ٤٥ وج ٥٣ ص ٦٣ ومعاني الأخبار ص ٣٦٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٩ .

(٤) إلزام الناصب ص ٢٣٧ .

(٥) التوبة ـ ٣٢ ، والفتح ٢٨ ، والصف ـ ٩ ، والخبر في منتخب الأثر ص ٢٩٤ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٨ بتفصيل والبحار ج ٥١ ص ٦٠ وج ٥٢ ص ٣٢٤ وص ٣٤٦ ما عدا آخره وص ٣٨٨ بلفظ آخر ، وإلزام الناصب ص ٢١ـ ٢٢ وص ٣١ وص ٢٢٢ وينابيع المودة ج ٣ =

ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم ﷺ . فإذا خرج القائم لم يبقَ كافرٌ ولا مُشركٌ بالإمام إلاّ كَرِهَ خروجه ، حتى لو كان كافرٌ أو مشركٌ في بطن صخرةٍ لَقالت : يا مؤمن في بطني كافرٌ فاقْتُلْهُ ! [1] . (وهذا كناية عن شدّة خوف أعداء الله منه . . فكأنّ الكافر يتخيّل الصخرة تَشي به للمؤمنين فيقتلونه ، لأن القائم ﷺ وأنصاره شديدون على الكافرين ، فلا مساومة ولا مداهنة في الدين . . وسترى حديثاً مفصّلاً عن ذلك في موضوع آخر من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . . ثم قال يصفُ تباشيرَ ساعة الصِّفر المباركة :)

ـ يظهر وحدَه ، ويأتي البيت وحدَه ، ويَلج الكعبة وحدَه ، وَيَجُنُّ الليل عليه وحدَه . فإذا نامت العيونُ وغسَقَ الليلُ نزل إليه جبرائيل وميكائيل والملائكة صفوفاً ، فيقول جبرائيل : يا سيدي قولك مقبولٌ وأمركَ جائز . . فيمسح يده على وجهه ويقول :

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ، وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِيْنَ ﴾ [1] ثم يقف بين الركن والمقام فيصرُخ قائلاً :

يا مَعاشر نُقبائي ، وأهلَ خاصّتي ، ومن ذَخرهم الله لنُصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض : إئتوني طائعين ! . فتَرِد الصيحةُ عليهم وهم في محاريبهم وعلى فُرُشهم في شرق الأرض وغربها ، فيسمعونه في صيحةٍ واحدةٍ في أذن كُلِّ رجل ، فيجيئون نحوها ، ولا يمضي إلاّ كلمحَة بَصَرٍ حتى يكونوا كلهم بين يديه . ويكون هذا قُبيل طلوع الشمس[1] .

(ووُرود الصيحة عليهم في محاريبهم وعلى فُرُشهم ، لا يُتعب حَلُّه ذهناً من أذهان المعاصرين لزمننا العلميِّ الحديث ، لِمَا نمارسه من وسائل لا تجعلنا نَستهجن الأمر . ومثلُه حضورهم بين يدَيه في لمحة بَصَرٍ لأنهم موجودون آنئذٍ في الحَرَم

ص ٧٨ وبشارة الإسلام ص ٢٦٢ وص ٢٦٣ وفي ص ٢٥١ بلفظ آخر ، والإمام المهدي ص ٤٢ وفي نور الأبصار ص ١٦٩ بلفظ : ليُظهره على الدِّين كلّه ولو كَرِهَ الكافرون : هو المهديّ من وُلدِ فاطمة ، ومثير الأحزان ص ٢٩٧ ومسند أحمد ج ٢ ص ٥٣٠ بلفظ آخر .

(١) الزمر ـ ٧٤ ، والخبر في البحار ج ٥٣ ص ٧ وبشارة الإسلام ص ٢٦٨ وإلزام الناصب ص ٢١٥ .

يتعبّدون ، وهم على موعدٍ مع ساعة الصفر هذه ، يعرفونها أكثر مما نعرفها نحن وسائر الناس ، ويترصّدونها ، بل هم مرصودون لها . . وقد ورد عن الصادق عليه السلام قوله :)

ـ إذا أذن الله تعالى للقائم بالخروج ، صعد المنبر فدعا الناس إلى نفسه ، وناشدَهم اللَّهَ ، ودعاهم إلى حقّه وأن يَسير فيهم بسنّة رسول الله ويعمل فيهم بعمله [1] . .

(ثم قال يصف البيعة) : ـ فيقول جبرائيل: أنا أولُ مَن يبايعك . أبْسُطْ يدَك. فيمسح على يده [2] .

(وورد عنه بلفظ) : ـ أول من يبايع القائمَ جبرائيل ، فينزل في صورة طيرٍ أبيض فيبايعه . ثم يضع رِجْلاً على البيت الحرام ورِجْلاً على المسجد الأقصى وينادي بصوت طَلقٍ ذَلِقٍ تسمعه الخلائق : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ . (وهذا أول إنذار تخلع له القلوب !) . ثم يصيح صائحٌ بالخلائق من عين الشمس بلسانٍ عربيّ يُسمِع من في السماوات ومن في الأرضين : يا مَعاشر الخلائق ، هذا مهديّ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بايعوه ولا تخالفوا أمره ! [3] .

(والصياح من عين الشمس أيضاً لم يَعُدْ غريباً بعد أن اقتنَى الناس آلات البثّ وعرفوا قُدرتها على الإرسال عبر الأجواء الشاسعة بقوة تجعل الصوت يقطع ملايين الكيلومترات ، وبعد أن أَلِفُوا الأقمار الصناعية والآلات اللاّقطَة ، فصار السّماعُ لديهم من عين الشمس غيرَ عجيب ، بل صار العالِم يتمكّن من إصلاح الْخَلَل في المركبة الفضائية وهي في كوكب الزُّهَرَة ، والعالِمُ قابعٌ على الأرض في مُختبره يُغيِّر اتجاهها كيف شاء ، ويصوِّر بواسطتها ما شاء متى شاء ، ثم يُنزلها حين شاء وأينما شاء بالرّغم

---

(1) إلزام الناصب ص ٢٢٢ والإرشاد ص ٣٤٣ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٥ ومنتخب الأثر ص ٤٦٨ وإعلام الورى ص ٤٣١ وبشارة الإسلام ص ٢٣١ والإمام المهدي ص ٢٧٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٧ .

(2) بشارة الإسلام ص ٢٣١ وإلزام الناصب ص ١٩٠ وص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(3) النحل ـ ١ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٧٩ وص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ وج ٥٣ ص ٨ وإلزام الناصب ص ٢٣ وص ١٩٠ باختصار ، وبشارة الإسلام ص ٢٥٩ وفي ص ٢٢٧ ما عدا آخره وفي ص ٢٦٩ آخره .

من بُعدها عنه ملايين الكيلومترات ! ! ! فكيف بالمعجزة الإلٓهية التي تتعدّى حدود المعقول عند البشر ؟ ؟ ؟

(وأتمّ قائلاً في وصف البيعة المباركة) : ـ يُسند القائم ظهره إلى الحَرَم ، ويمدُّ يده إلى البَيْعة فترى بيضاء من غير سوء ، لدى طلوع الشمس ، ويقول : هذه يد الله ، وعن الله ، وبأمر الله . ثم يتلو الآية :

﴿ إنَّ الَّذينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمَا يُبَايِعُونَ آللَّهَ ، يَدُ آللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيْهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . فيكون أول من يبايعه جبرائيل ، ثم الملائكة ونُجباء الجنّ ، ثم نُقباؤه وأصحابه [1] . (وورد عنه في تأويل الآية الكريمة : ﴿ أَتَى أَمْرُ آللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ :

ـ هو أمرُنا أمَرَ الله عزَّ وجلَّ أن لا نستعجل به . يؤيِّده الله بثلاثة أجناد : بالملائكة ، وبالمؤمنين ، وبالرُّعب [2] . (ومعنى ذلك أنّه لن يرتاحَ لخروجه مَن كان يخاف على نفسه من حدِّ سيف الحق . فقد نعَته الإمام الصادق ﷺ بأنه وليُّ الدمِ والتِّرَةِ لآبائه وأجداده المظلومين ، وهو الذي يتولى الإقتصاص ممّن ظلَمهم . ثم قال :)

ـ فلا يَبقى أحدٌ ممّن قاتلَنا فظلَمنا ورضيَ بما جرى علينا إلاّ قُتل في ذلك اليوم [3] . (ولذا قال في تأويل :) ﴿ خاشعةً أبصارُهُم ، تَرْهَقُهم ذِلّةٌ ، ذَلِكَ الْيَومُ الَّذي كَانُوا يُوعَدُون ﴾ : يعني خروج القائم [4] . (فهو المفرِّج للكرب عن شيعته بعد ضَنْكٍ شديدٍ وبلاءٍ طويلٍ وجزعٍ وخوف . ثم جاء عنه ما يدلُّ على استطالة الغَيبة وعلى الفرَح بالفرَج :)

ـ يأتي على فترةٍ من الأئمة ، كما أن محمّداً ﷺ بُعث على فترة منَ الرُّسل .

---

(١) الفتح ـ ١٠ ، والخبر في إلزام الناصب ص ٢١٦ والبحار ج ٥٣ ص ٨ والإرشاد ص ٣٤٣ وبشارة الإسلام ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٠٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٤٦ وإلزام الناصب ص ٢٣ .

(٣) إلزام الناصب ص ٢٢ .

(٤) إلزام الناصب ص ٢٤٢ .

عنـد ذلك ﴿ يَفْـرَحُ المؤمِنُونَ بنَصْـرِ الله ﴾ : عند قيـام القائم عليه السلام [1] . (وقـال عليه السلام يصف مشاهد الظهور :

ـ رايتُه رايةُ رسول الله ، ما هي من قـطنٍ ولا كتّانٍ ولا خـزٍّ ولا حريـر . . . هي من ورق الجنّة ، نشَرهـا رسول الله صلى الله عليه وآله يـوم بَدْرٍ ثم لفَّهـا ودَفَعها إلى عليٍّ فلم تـزل عنده حتى كان يوم البصرة ، فنشرها ففتح الله عليه ، ثم لفّها . وهي عندنـا لا ينشرهـا أحدٌ حتى يقوم القائم عليه السلام فإذا قام نشَرها فلم يبقَ في المشرق أو في المغرب أحدٌ إلاّ لَعَنَها ! [2] . (ولا تَعْجبنَّ من لَعْنِها فقد علَّله الصادق عليه السلام بحديثٍ قال فيه :)

ـ إذا ظهرت رايةُ الحق لَعَنها أهل المشرق وأهل الغرب ، لِلَّذي يَلقى النـاسُ من أهـل بيته قبـل خروجـه ، ولِمّـا يَلقـون من بني هـاشم [3] . . (فلن يلعنَهَـا إلا أهـل الباطل . . وهُـمْ ـ النـاسُ ـ في لسان الأخبار . . أمَّا المؤمن فَيَفِيءُ إلى ظِلِّها الوارف ، ويهفو إليها ليلَ نهار ! . ثم تكلَّم عن بدء الزحف فقال :)

ـ يُقبِـل صاحب الأمـر نحو العـراق ، ويبعث جيشاً نحـو المـدينـة فيـأمن أهلُهـا ويرجعون إليها [4] . (لأنهم يكونون قد هربوا من وجـه جيش السفيانيّ وتنكيله . . ثم قال عليه السلام :)

ـ إذا ظهر المهديّ ، بعث أصحابُ الرايات السـود له بالبَيعَـة ، وهم بالكـوفة [5] (وهؤلاء هم أصحاب الخراسانيّ كما سترى) .

ـ وسئل الإمامُ الصادقُ عليه السلام : متى فَرَج شيعتكم ؟ . فقـال : إذا خرج صـاحب

---

(1) الـروم ـ ٤ ـ ٥ ، والخبر في إلـزام النـاصب ص ٨١ وص ١٤٠ ـ ١٤١ وص ١٨٩ وفي ص ٢٤١ بمعنـاه ، ومنتخب الأثـر ص ٢٩٤ بلفظ آخـر ، وفي ينـابيـع المـودة ج ٣ ص ٨١ قـال الصادق عليه السلام : عند قيام القائم عليه السلام يفرح المؤمنون بنصر الله .
(2) الغيبة للنعماني ص ١٥٥ وص ١٦٥ وبشارة الإسلام ص ١٩٩ وفي ص ١٩٨ كثيـر منه ، وإلـزام الناصب ص ١٣٩ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ والملاحم والفتن ص ٥٥ أولُه .
(3) الغيبة للنعماني ص ١٥٩ وص ١٦٠ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٣ وبشارة الإسـلام ص ١٩٩ نصفُه الأول .
(4) البحار ج ٥٢ ص ٣٠١ وبشارة الإسلام ص ١٣٩ .
(5) الغيبة للنعماني ص ١٤٤ والملاحم والفتن ص ٥٢ والمهدي ص ٢٢٣ بلفظ آخر .

هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله ﷺ . فقال السائل : ما تُراثُ رسول الله ؟ . قال : سيف رسول الله ودِرعه وعمامته وبُرده ، وقضيبُه ورايته ولأمَته وسَرْجه ، حتى ينزل مكة فيُخرج السيف من غِمْدِه ، ويلبس الدّرع والبُردة والعمامة ، وينشر الراية ويتناول القضيب بيده ، ويستأذن الله عزّ وجلّ في ظهوره (١) . (وهذا التراثُ النّبويُّ الشريف يتوارثُه الأئمةُ واحداً بعد واحدٍ كما رأيتَ سابقاً ، وبدليل قول الصادق عليه السلام الصريح :)

ـ وَإنَّ عندي لَسَيْفَ رسول الله . وإنَّ عندي لَدِرع رسول الله ولأمَتَهُ ومِغْفَرَه . وعندي ألواحُ موسى وعصاه وخاتمه (٢) .

(ورُوي عنه عليه السلام وصفٌ لقوّة شيعة المهديّ عليه السلام وأنصاره بعد خروجه قال فيه :) إن الله ينزِع الخوفَ من قلوب شيعته ، ويُسكنه في قلوب أعدائه ! . إذا قام قائمنا وظهرَ مهديُّنا كان الرجل أمْضَى من سِنانٍ وأجْرأ من ليثٍ ، يطعن عدوّه برُمحه ويضربه بسيفه ويدوسه بقدمه (٣) . ! (وورد عنه بلفظ :)

ـ إن الله يُلقي في قلوب مُحِبِّينا الرعبَ من عدوِّنا . فإذا وقع أمرُنا وخرَج مهديُّنا كان الرجل من شيعتنا أجرى من ليثٍ ـ أي أسرع جرياً من الأسد ـ وأمضَى من سِنان . يطأُ عدوَّنا برجلَيه ، ويضربه بكفَّيه . وذلك عند نزول رحمة الله وخروجه على الميعاد . وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ عِبَاداً لَنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيْدٍ ﴾ : القائمَ وأصحابَه (٤) ! . (وقد رُوي بلفظه عن الكاظم عليه السلام . .

وبحسب هذا التأويل لا يتم النصرُ الكامل على اليهود إلاّ على أيدي القائم عليه السلام

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٤٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٠١ وفي ص ٢٤١ نصفُه الأول ، وبشارة الإسلام ص ١٣٩ وقال مكملاً : ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلى المدينة فيُهلكهم الله عز وجل دونها .

(٢) إلزام الناصب ص ٧ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٣٣٦ وبشارة الإسلام ص ٢٧٨ ما عدا آخره .

(٤) الإسراء ـ ٥ ، والخبر في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ وص ١٦٤ ـ ١٦٥ والبحار ج ٥٢ ص ٣١٨ وص ٣٧٢ عن الباقر عليه السلام ومنتخب الأثر ص ٤٨٦ نصفه الأول عنه عليه السلام والإمام المهدي ص ٤٤ ختمه بقوله : القائمُ وأصحابُه أولو بأسٍ شديد ، والمهدي ص ٢١٣ .

وأنصاره الذين هم عباد الله أولو البأس الشديد ، والضمير في ـ عَلَيْهِمْ ـ يعود إلى بني إسرائيل لأن الآية فيهم . . ثم قال عن موعد ظهوره :)

ـ إذا صلّى العِشاء ـ بعد ظهوره ـ نادَى بأعلى صوته : أُذكّركم أيها الناس مقامكم بين يدَي الله عزّ وجلّ ، فقد أكملَ الحُجة ، وبعثَ الأنبياء ، وأنزل الكُتُب ، وأمركم ألاّ تُشركوا به شيئاً ، وأن تحافظوا على طاعة الله ورسوله ، وأن تُحْيوا ما أحيَا القرآن ، وتُميتوا ما أمات القرآن ، وتكونوا أعواناً على الهدى ، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وآذنتْ بوداع ! . وإني أدعوكم إلى الله ورسوله والعمل بكتابه ، وإماتة الباطل ، وإحياء سُنَنِه (١) . .

(ثم قال معيِّناً موعد الفتح المبارك الذي ينتج عن الثورة :)

ـ جمادي فيها الفتح من أولها إلى آخرها (٢) . . (فمِن بَدء ظهوره حتى أول جمادي يكون قد انتهى من معارك الحجاز وبلاد الشام والعراق ، ثم يُسَيِّر جيوشَه لفتح الأمصار في هذا الشهر فيكون فتح بقية أقطار المعمور على رأس نهاية ثمانية أشهرٍ يحمل فيها السيف . وبعد ذلك يخيِّم الهدوء والعدل على وجه البسيطة . . وتحدَّث عن قوّة جيشه وأنصاره ، فقال ـ كما مرَّ سابقاً بمعناه ـ :)

ـ يكون قويّاً في بدنه ، حتى لو مدَّ يدَه إلى أعظم شجرةٍ على وجه الأرض لَقلَعها ؛ ولو صاح بين الجبال لَتدكدكت صخورُها ! (٣) . (وورد بلفظ :)

ـ يخرج بجيشٍ لَو استقبل به الجبال لَهَدَمَهَا واتَّخذ فيها طريقاً (٤) ! . (والجبال تَهدمها اليوم الجرّافاتُ ، وتنسفها المتفجِّرات ، فلا غروَ أن يَهدم جيشُ الإمام الجبالَ ويفجِّر الأرضَ براكين ، وقد حذَّر الإمام الصادق عليه السلام الناسَ منه ومن جيشه الذي يتبِّر أعداءَ الله . وقال في تأويل قوله تعالى :)

ـ ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٩٠ عن الباقر عليه السلام والملاحم والفتن ص ٥١ والمهدي ص ٢٢٣ نقلاً عن عقد الدرر الباب ٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٢ .

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٤ وبشارة الإسلام ص ١٨٣ باختصار .

كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ، فَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُون ﴾ : يعني خروجَ القائم عليه السلام فإذا ظهر لم يَقبل تـوبـةَ المُخـالف[1] . (وقـال أميرُ المؤمنين عليه السلام تعليقـاً على هـذه الآيـة الشريفة :)

ـ فعند ذلك تُرفَع التوبةُ ، فلا توبةَ تُقبَلُ ، ولا عملَ يُرفَع ، ولا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبل[2] . . (ثم قال الصادق عليه السلام في تأويل :)

ـ ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ : فهو خروج القـائم ، ﴿ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾ : وهو الساعة ، ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ : ذلك اليوم ، وما نَزل بهم على يد قائمه ، ﴿ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً ﴾ : يعني عنـد القائم ، ﴿ وَأَضْعَفُ جُنْداً . وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً ﴾ : يـزيـدهم ذلـك اليـوم هُـدًى على هُـدًى بـاتِّبـاعهم القـائم حيث لا يجحدونه ولا يُنكِرونه[3] . . (وقال يصف تصرُّفاته :)

ـ يُعِزُّ الله به الإسلام بعد ذُلِّه ، ويُحييه بعد موته . ويضع الجزية ـ أي يُبطلها ولا يَقبلها ممن يريد البقاء على دِينه ـ ويدعو إلى الله بالسيف ، فمن أبَى قُتل ، ومن نازعه خُذِل . يُظهِرُ من الدِّين ما هو عليه الدِّينُ في نفسه ، ما لو كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَحكم به . يَرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلاّ الدِّين الخالص[4] . (ثم قال عليه السلام :)

ـ إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب والفُرس إلاّ السيف ! . لا يأخذها إلاّ بالسيف ، ولا يُعطيها إلاّ السيـف[5] ! . (وقال عن مُعـارضي الحجّة عجّـل الله تعالى فرَجه :)

---

(١) الأنعـام ـ ١٥٨ ، والخبر في ينـابيـع المـودة ج ٣ ص ٧٧ والبحـار وج ٥٢ ص ١٤٩ وج ٥٣ ص ١٣٣ وفي بشارة الإسلام ص ٣٢ ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثّل بهذه الآية ، وص ٧١ تمثّل بها أمير المؤمنين عليه السلام .

(٢) إلزام الناصب ص ١٨٠ .

(٣) مريم ـ ٧٥ ـ ٧٦ والخبر في الكافي م ١ ص ٤٣١ والبحار ج ٥١ ص ٦٣ وإلزام الناصب ص ٢٤ وص ٩٦ وإسعاف الراغبين ص ١٤٣ .

(٤) بشـارة الإسلام ص ٢٩٧ والإمـام المهدي ص ٣٤٣ نقـلاً عن إسعاف الـراغبين وإلزام النـاصب ص ١٧٩ والملاحم والفتن ص ١٠٨ بلفظ آخر .

(٥) الغيبة للنعماني ص ١٢٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٥ وص ٣٨٩ والمهدي ص ٢٢٦ نقـلاً عن عقد الدرر الباب ٩ باختلاف يسير ، ومثله في بشارة الإسلام ص ١٦٩ وص ٢٥٢ .

ـ إن قائمنا إذا قام استقبل من جَهَلَة الناس أشدَّ مما استقبله رسولُ الله ﷺ من الجاهلية . فقيل له : كيف ذلك ؟ . فقال : إن رسول الله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والْخُشُب المنحوتة . وإن قائمنا إذا قام أتى النـاسَ وكلُّهم يتأوّلون عليه كتاب الله ، ويَحتـجُّ عليه بـه ، ويقاتله عليـه ! . أمّا واللّهِ لَيَـدخلَنَّ عليهم عَدْلُه جوفَ بيوتهم كما يَدخل الْحَرُّ والْقَرّ ! ! [1] (وقال ﷺ أيضاً :)

ـ أعداؤه مقلِّدةُ الفقهاء ، أهلُ الإجتهاد ، لمَا يَرونـه يحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتُهم . ولولا أن السيف بيده لأفْتى الفقهاءُ بقتله ! . ولكن الله يُظهره بالسيف والكرَم فيطيعونـه ، ويخافـون فيتقبّلون حُكمه من غيـر إيمان ، بـل يُضمرون خـلافه ! . . إذا خرج فليس له عـدوٌّ مبينٌ إلاّ الفقهاء خـاصة ! . هـو والسيف أخَوان [2] ! . (ثم جـاء عنه ﷺ بنفس الموضوع :)

ـ يخرج على فترةٍ من الـدين ، ومن أبَى قُتل ، ومن نـازعه خُـذل ! . يُظهـر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ، ما لو كان رسول الله يحكم بـه . . أعداؤه الفقهـاء المقلِّدون . يدخلون تحت حُكمه خوفاً من سيفه وسطوته ، ورغبةً فيمـا لديـه ، يبايعـه العارفون بالله تعالى من أهـل الحقائق عن شهـودٍ وكشفٍ بتعريف إلَهيٍّ [3] . (أي عن دليل لديهم مثـل هذا الـذي ننقله عن أسلافنـا الأبرار مـروياً عن النبيّ والْعِتْـرة الأطهار صلوات الله عليهم . وقد قاله هؤلاء الناس ـ جميع الناس ، وعـامّتهم ـ فأخـذه خاصـةً هَدى الله قلوبَهم للإيمان . . ثم قال :)

ـ إنه أول قائم يقوم منّا أهلَ البيت . يُحدِّثكم بحـديثٍ لا تحتملونه ، فَتَخـرجون عليه بِرُمَيْلَةِ الدَّسكَرة فتُقَاتلونه فيَقتلكم . وهي آخر خارجةٍ تكون [4] .

---

(١) الغيبـة للنعمـاني ص ١٥٩ والبحـار ج ٥٢ ص ٣٦١ وص ٣٦٢ وص ٣٦٣ وإلـزام النـاصب ص ٢٢٣ .

(٢) ينـابيع المـودة ج ٣ ص ٦٢ وإلزام النـاصب ص ١٧٣ نقلاً عن الفتـوحـات وص ١٩٢ وإسعـاف الراغبين ص ١٤٣ بلفظ آخر ، وبشارة الإسلام ص ٢٩٧ نصفُه الأول .

(٣) ينابيع المودة ج ٣ ص ٢٧ وص ٦٢ وص ١٣٢ والمهدي ص ٢٢٨ نصفُه الأول ، وبشارة الإسلام ص ٢٩٧ وإلزام الناصب ص ١٩٢ ثلثه الأخير .

(٤) إلـزام الناصب ص ٥٨ وص ٢٢٧ بـاختلاف يسيـر ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٣ وص ٣٧٥ وبشـارة الإسلام ص ٢٣٠ بلفظ آخر .

(وإذا تسارعت الأفكار إلى وضع علامات الإستفهام . . . وإذا حامت الأذهانُ حول هذا الحديث الذي لا نحتمله فلا نعدم الجواب القريب ، لأن سلوكنا العمليّ كله مخالف للقرآن والسنّة . فلو حدَّثنا - مثلاً - بتغيير ترتيب القرآن وجَعْلِه حسب نزوله ، أو بإقامة الحدود ، أو بهدم المسجد الحرام وردِّه إلى أساسه ، بل لو حدَّثنا بأي فرضٍ من فروض الشرع ، لَقامت قيامة الناس ولَجرَّدوا جميع الأبواق ووسائل الإعلام ، ولَشَحذوا السيوف وأعلنوا قتالَ من يأمر بالحق . . وهو هنا إنَّما يحدِّث عن شيءٍ لم يألفه المسلمون ، وعن إنهاءِ الوجود اليهوديِّ وسائرِ الكفّار عن وجه الأرض ، لأنه وردَ عنه أيضاً بلفظ :)

- ثم لا يَلبثُ قليلاً حتى تَخرج عليه مارقةٌ من المَوالي بِرُمَيْلَة الدَّسكرة ، فيدعو رجلاً من الموالي فيقلِّده سيفه فيخرج إليهم حتى لا يُبقي أحداً (١) .

- وقال في قوله تعالى : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ : كيف يحتاج الجبّار تعالى إلى معرفة خَلْقٍ أنشأهم وهم خَلْقُه ؟ . لو قام قائمنا أعطاه الله السيمياء ، فيأمر بالكافر ثُمَّ يُخْبَطُ بالسيف خبطاً (٢) . (وفي هذا الحديث تصريحٌ واضحٌ بإعطائه السيمياء وجَعْلِه يعرف وليَّه من عدوِّه بالتوسُّم فلا يحتاج إلى بيِّنةٍ ولا إلى شهود ليأخذ المجرمَ بسيفه . . ثم قال في المعنى السابق :)

- إذا قام القائم هَدَم المسجد الحرام حتى يردَّه إلى أساسه ، وحوَّل المقام - مقام إبراهيم عليه السلام - إلى الموضع الذي كان فيه ، وقطع أيديَ بَني شَيبةَ وعلَّقها على باب الكعبة وكتَب عليها : هؤلاء سُرَّاقُ الكعبة ! (٣) . (وهذا من الأشياء التي لا يحتملها المسلمون بحسب وضعهم الحالي . . وقال عليه السلام :)

---

(١) البحار ج ٥٣ ص ٣٧٥ .

(٢) الرحمن - ٤١ . والخبر في الاختصاص ص ٣٠٤ ، وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٤٣ وإلزام الناصب ص ٣١، والغيبة للنعماني ص ١٢٧ آخره، ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٣٢١ .

(٣) الإرشاد ص ٣٤٣ والغيبة للطوسي ص ٢٨٢ باختلاف يسير ، وإلزام الناصب ص ٢٢٣ وص ٢٣٩ عن الباقر عليه السلام بلفظ آخر والوسائل م ٢ من ص ٣٥٣ إلى ٣٥٦ في أحاديث كثيرة ، وإعلام الورى ص ٤٣١ والغيبة للنعماني ص ١٦٥ ما عدا أولّه ، وبشارة الإسلام ص ٢٣٣ وفي ص ١٩٩ بلفظ آخر وص ٢٠٧ وص ٢٤٧ آخرُه ، والإمام المهدي ص ٢٧٤ نصفُه الأخير والبحار ج ٥٢ ص ٣١٣ باختلاف يسير وص ٣٣٢ وص ٣٣٨ .

ـ بعد أن تُعقَد له الْبَيعةُ بمكة ، يسير من مكـة حتى يأتي الكـوفة ، فينـزل نَجَفَها على قُـربٍ منهـا . ثم يُفـرِّق الجنـد في الأمصـار (١) . (ثم قـال بصف خـطواتِـه الجبَّارة :)

ـ ثم يسير المهديُّ إلى مدينة جدِّي رسول الله ، فإذا وَرَدها كـان له فيهـا مقامٌ عجيب ، يظهر فيهـا سرورُ المؤمنين وخزيُ الكافـرين (٢) ! . (ثم ألقى ضوءاً خـافتاً على ـ المقام العجيب ـ الذي يكون له في المدينة ، فقال :)

ـ يدخل المدينة فيغيب عنهم عند ذلك قريشٌ ـ أي أنه يتوارى عن جيشه كلُّ من ناصرَ جيشَ السفيـانيِّ ـ وهو قـول عليٍّ عليه السلام : والله لَوَدَّتْ قـريشٌ أنَّ لي عندهـا موقفـاً جَزْرَ جزورٍ ـ أي مُـدَّةَ نَحْرِ الْجَمَـل ـ بكل مـا طلعتْ عليه الشمس أو غـربت ! ! ! (٣) (وجاء عنه ما يزيد إيضاحاً لموقفه من أعدائه عليه السلام في يثرب فقال :)

ـ . . ثم يُحْـدِث حَدَثـاً . . فـإذا فعـل قـالت قـريش : أُخـرجـوا بنـا إلى هـذا الطاغية ، فَوَاللّهِ لو كان محمَّديّاً ما فعل ! . ولو كان علَويّاً ما فعل ! . ولو كان فـاطميّاً مـا فعل ! . فيمنحـه الله أكتافهم ـ أي أنهم يـولُّون مُـدبِرين بين يـديه ـ فيَقتُـل المقاتِلَة ويَسبي الذرِّية (٤) ! .

(فالله أعلمُ بالذي سيُنكِره عليهم حتى يَسبي ذرِّيتهم حينَ إنكارهم أنه محمَّـديٌّ عـلويٌّ فـاطـمـيٌّ ، ولـيس فـي الأرض أصـحُّ مـنـه نـسـبـةً إلـى مـحـمَّـدٍ وعـليٍّ وفاطمةَ عليهم السلام ! ! ! أما الحدَث فهو بلا شك تقتيلٌ وتدميرٌ ، بل حرقٌ ومحـوٌ للظالمين وآثارهم . . ثم قال عليه السلام :)

ـ ثم يَظهر بأصحابه ، فيفتح الله له الحجازَ ، ويُخـرج مَن كان في السـجـون من بَني هاشم ، ويسير حتى ينزل بيت المقدس (٥) . (وجاء عنه أيضاً :)

---

(١) المهدي ص ١٩٩ والإمام المهدي ص ٢٧٤ نصفه الأخير ، والملاحم والفتن ص ٥٢ بلفظ آخـر ومنتخب الأثر ص ٤٦٥ ما عدا أوله .

(٢) إلزام الناصب ص ٢١٧ والبحار ج ٥٣ ص ١٢ وبشارة الإسلام ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٣٤٢ وبشارة الإسلام ص ٢٢٨ .

(٤) بشارة الإسلام ص ٢٢٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٤٢ .

(٥) الملاحم والفتن ص ٥٢ والمهدي ص ٢٢٣ والحـاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٩ وص ١٤٠ وكلُّهـا =

ـ أول لواءٍ يعقده المهديُّ ، يبعثه إلى التُّرك فيهزمهم ، ويأخذ ما معهم من السَّبي والأموال . ثم يسير إلى الشام فيفتحها ، ثم يُعْتِق كل مملوكٍ ويعوِّض على أصحابه (١) . .

(وقال الباقر عليه السلام من قبله :) ـ يُقاتِلُ السفيانيُّ التُّركَ ، ثم يكون استئصالُهم على يد المهديِّ . وأولُ لواءٍ يعقده المهديُّ يُبعث إلى التُّرك (٢) .

(وقال الصادق عليه السلام في حديث :) ـ . . (ويستخرج) حِلْيَةَ بيت المقدس ، والتابوت الذي فيه السكينة ، ومائدةَ بني إسرائيل ، ورُضاضة الألواح ، وعصا موسى ، ومنبر سليمان ، وقفيزاً من المنِّ الذي أُنزل على بَني إسرائيل أشدُّ بياضاً من اللَّبن (٣) .

(وحليةُ بيت المقدس من أعظمِ كنوز الأرض المدفونة . . وإنَّ أقلَّ ما هو عليه التابوت من سرٍّ إلهيٍّ ـ أيها القارىء العزيز ـ أنه يوجّه نحو المدينة فيُحرقها بمن فيها ، كالقنبلة الذرِّية على الأقل ! . بل قيل إنه لو وُجِّهَ إلى دولةٍ مترامية الأطراف لأعدم فيها الحياة كأشد مما تفعل القنابل الهيدروجينية والنيترونية والصواريخ النَّوَوِيَّة التي صنعها الإنسان . فقد سبقنا الله إلى صنع جهازٍ واحدٍ يُغْني عن آلاف آلاف الأجهزة المنتشرة في المعمور ، تُعينه عصا موسى وسيف صاحب السيف المنتظَر عجَّل الله تعالى فَرَجه . .

أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقال :)

ـ ويسيرُ إلى البصرة حتى يُشرفَ على بحرها ، ومعه التابوتُ وعصا موسى . فيَعزِمُ عليه ـ يعني على التابوت ـ فيزفُر في البصرة زفرةً فتصير بحراً لُجِّيّاً ، لا يبقى فيها غير مسجدها كجؤجؤ السفينة على ظهر الماء (٤) ! ! ! .

متقاربةٌ في اللفظ متَّفقةٌ في المعنى .

(١) الملاحم والفتن ص ٥٨ وبشارة الإسلام ص ١٨٥ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٤ .

(٢) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) إلزام الناصب ص ٢٢٧ ، وغاية المرام ص ٧٠٤ .

(٤) بشارة الإسلام ص ٧١ والبحار ج ٥٣ ص ٨٥ والملاحم والفتن ص ١٠٢ بعضُه . راجعْ شيئاً عجيباً من فعل التابوت في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ص ٧٩ وفي إلزام الناصب ص ١٤ تجد

(ومن يتعجَّبْ من ذلك نسألُه عن عدم تعجُّبه مما صنع الإنسان . ونطلبُ إليه تبريرَ عدم التعجُّب من هذا ، وسبب التعجُّب من ذاك في آنٍ واحد ؟ . ثم قال عن موقعته الأخيرة مع اليهود :)

ـ ومن الغد ـ عند الظهر تتلوَّن الشمس وتَصفرُّ فتصير مظلمة ! . ويومَ الثالث يفرِّقِ الله بين الحقّ والباطل ، وتخرج دابَّة الأرض ، وتَنزل الروم إلى ساحل البحر عند كهف الْفِتْيَة ـ قرب عكا ـ فيبعث الله الْفِتْيَة من كهفهم مع كَلْبهم . منهم رجلٌ يقال له : مليخاء ، وآخر : حملاها ، وهما الشاهدان المسلمان للقائم . قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ آمَنُوا فِيْ الْحَيوٰةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ يَقُوْمُ الأَشْهَادُ ﴾ (١)

وهؤلاء هم الأشهاد : أي الشهود الذين يسلِّمون على القائم باسمِه(١) . . (وورد عن أمير المؤمنين ﷺ بلفظه منذ عبارة يفرِّق الله بين الحق والباطل . غير أن الشاهد الثاني وردَ اسمُهُ : كمسليما . بدل : حملاها . . وفي هذين الخَبَرين دليل قاطع على بقاء قسم من اليهود في ساحل فلسطين الغربيِّ بعد تخريب دولة إسرائيل ، يقيمون حواليَ عكا لأن كهف الْفِتْيَة هناك .

والظاهر أن مقتلة اليهود تكون في اليوم الثالث من دخول القائم ﷺ إلى القدس ، حيث يكون ذلك اليوم يوماً مظلماً كئيباً على أعداء الله . . والآية السابقة تشمل نَصْرَ صاحب الأمر ﷺ عليهم بدليل ذكْر : الذين آمنوا ـ وهو المقصود بها ـ وبدليل الأشهاد من فِتْيَة الكهف . . وجاء عنه بالمعنى السابق :)

ـ يبعث المهديُّ بعثاً لقتال الروم ـ أي اليهود قطعاً كما سترى عند تحقيق اللفظة في موردها ـ ويرسل معه عَشَرَة تستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية (؟ ؟ ؟) فيه التوراةُ التي أُنزلَت على موسى ، والإنجيلُ الذي أُنزل على عيسى ، يحكم بين أهل

= عجائب وغرائب ما ترك آلُ موسى مما تحملُه الملائكةُ بين يدي القائم ﷺ . ونهج البلاغة ج ١ ص ٤٤ .

(١) المؤمن ـ ٥١ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٧٥ وج ٥٣ ص ٨٥ وبشارة الإسلام ص ٥٩ وص ٦٩ ما عدا آخره ، ومثله في ص ٧٠ ومثله في إلزام الناصب ص ١٧٧ وص ١٨٠ .

التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم فيُسلمون [1] . (بمعنى أنه يحتجّ عليهم جميعاً بكتابيْهم المقدّسين ويجعلهما الوسيلة لهداية أتباعهما إلى الدين الإسلامي ، لا أنه يترك أتباعهما على معتقداتهم ويرتضي لهم الشريعة المنسوخة التي اعتنقوها فيُفتيهم بحسبها . .

أما تابوت السكينة فلا يستخرجونه من غار أنطاكية ، وفي ذلك وهمٌ من كثرة النقل والنسخ . . ثم قال يصف الزحف المبارك :)

ـ يكون أهلُ همدان وزراءَه ، وخولان جنوده ، وحِمْيَر أعوانه ، ومصر قُوّاده . ويُكثّر الله جَمْعَهُ ويشُدُّ ظهره ، فيَسير بالجيوش حتى يصيرَ إلى العراقِ والناسُ خَلْفه وأمامه [2] ! . (ثم قال بعد ذِكْرِ البيعة العامّة والأبدال والنُّجباءِ والأخيار :)

ـ . . ثم يسير السفيانيّ وجيشه ، فيقاتلهم ويقتلهم . ويأسر جيشُه السفيانيَّ ، فيذبحه بيده [3] . . (وجاء عنه في وصف جيش المهديّ ﷺ :)

ـ كأني أنظرُ إلى القائم وأصحابه في نَجَفِ الكوفة ، كأنَّ على رؤوسهم الطير ، قد فَنِيَتْ أزوادُهم وخَلَقَتْ ثيابُهم ـ بَلِيَتْ ـ وقد أثَّر السجودُ بجباههم . لُيوثٌ بالنهار ، رُهبانٌ بالّيل [4] . (وقال الباقر ﷺ في تأويل :) ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ . . ﴾ [5]

ـ لم يجيء تأويلها . فإذا جاء تأويلها يُقتل المشركون حتى يوحِّد الله عزّ وجلّ ، ولا يكون شِرك . ذلك في قيام قائمنا ، إنه يقتل المنافقين والكافرين [1] ! . (وفي تأويل آخر قال ﷺ :)

---

(١) الملاحم والفتن ص ٥٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥١ وص ٣٩٠ بلفظ قريب عن الباقر ﷺ ومنتخب الأثر ص ٣٠٩ بلفظ آخر .
(٢) إلزام الناصب ص ٢٠١ .
(٣) بشارة الإسلام ص ٢٢٩ .
(٤) البحار ج ٥٢ ص ٣٨٦ وبشارة الإسلام ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .
(٥) البقرة ـ ١٩٣ ، والأنفال ـ ٣٩ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٣٤٥ وص ٣٧٨ باختلاف يسير وج ٥٣ ص ٤ وبشارة الإسلام ص ٢٣٠ . ومنتخب الأثر ص ٢٩١ وإلزام الناصب ص ٢١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٨ والإمام المهدي ص ٤١ .

ـ ولا يَبقى أرضٌ إلاّ نُودِيَ فيها شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله (1) . (وجاء عن الصادق ﷺ بلفظه . . وقال ﷺ عن بقيّة الخطوات :)

ـ ويَبعث جُنداً إلى القسطنطينية . . ويدخلونها فَيحكمون فيها ما يريدون (2) . (وقال :)

ـ يفتح قسطنطينية وروميةَ وبلاد الصّين (3) . (وقال :)

ـ يفتح أرمينية والقسطنطينية ويقسم المال . ثم يعود إلى بيت المقدس ويَستخرج ذخائر الأنبياء ! (3) . (ثم جاء عنه قولُه الذي يُلْقي الأضواءَ على تحرُّكاته الميمونة :)

ـ يمشي الخضرُ بين يديه ، ويقفو أثرَ رسول الله . . لـه مَلَكٌ يُسدِّده من حيث لا يراه . . يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفاً من المسلمين يشهدون الملحمة العظمى ، مأدبةَ الله بمرج عكّا ، يُبيد الظلمَ وأهلَه ، يُقيم الدِّين (3) . (وقد يَخدش سَمْعَ الكثيرين فتحُ مدينةٍ بالتكبير ! . والتكبير المذكور يعني أنَّ الهجوم الصاعق يكون مصحوباً به للتشجيع بمبدأ التوحيد عند النِّزال ، ولتخويف الأعداء ، ورصِّ الصفوف وتفجير العزائم ! . وليس معناه أن التكبير هو سلاح النصر بمقدار ما هو الصَّرخة بالشعار المشجِّع المقوّي . . وقال ﷺ :)

ـ ثم يسير إلى مصر فيدخلها ، ويصعد منبرها فيخطب الناس ، فتستبشر الأرض بالعدل ، وتُعطي السماءُ مطرَها ، والشجرُ ثمرَها ، والأرضُ نباتَها وتتزيَّن لأهلها . . ويقول القائم ﷺ : ﴿ كُلُوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيْئاً ، بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِيْ الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (4) . . (وقال :)

---

(1) الإمام المهدي ص ٣٤ وص ٢٦٥ .

(2) بشارة الإسلام ص ٢٣٨ وص ٢٥٨ وص ٢٧٤ وإلزام الناصب ص ٢٠٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٧٧ والبيان ص ٥٧ والملاحم والفتن ص ٥٢ وص ٦٤ جميعها بنصوص متقاربة .

(3) بشارة الإسلام ص ٢٩٧ ما عدا أوله والإمام المهدي ص ٣٤٣ وإلزام الناصب ص ٩٦ وص ٢٠٢ وص ٢٢٧ وإسعاف الراغبين ص ١١٢ بتفصيل وص ١٤٢ ومنتخب الأثر ص ٤٩٠ والبحار ج ٥١ ص ٨٤ كلها بألفاظ متقاربة .

(4) الحاقّة ـ ٢٤ ، والخبر في بشارة الإسلام ص ٧١ والبحار ج ٥٣ ص ٨٦ ما عدا أوله .

ـ ثم يسير إلى مدينة الزَّنج ويفتحها ـ يعني إلى شماليّ أفريقيا وبعض أقسامها الوسطى ـ ويعود إلى سواحل فلسطين ، ويمرُّ بعكّا وبغزَّة وعسقلان ، ويقترب من القُدس [1] . (واقترابُه هذا من القدس يكون للمرَّة الثانية كما لا يخفى) .

قال الإمَام الكاظِم عليه السلام :

ـ يفرح بخروجه المؤمنون وأهل السماوات . ولا يبقى كافرٌ ولا مشركٌ إلاّ كرِه خروجه [2] ! . (وقال الإمام الصادق عليه السلام :)

ـ المهديُّ إذا خرج ، يفرح به جميعُ المسلمين خاصَّتهم وعامَّتهم . (بل قال عليه السلام معمِّماً :)

ـ يفرح به أهلُ السماء وأهلُ الأرض ، والطيرُ في الهواء ، والحيتانُ في البحر [3] . (ثم قال الإمام الكاظم عليه السلام :)

يقول الله : ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِه ﴾ : بولاية القائم ، ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ : بولاية عليّ . . فسئل : هل هذا تنزيل ؟ ! فقال : نعم ، أمَّا هذا الحرف فتنزيل ، وأمَّا غيره فتأويل [4] . . (وقد ورد القسم الأول من هذا الخبر عن الصادق عليه السلام حتى عبارة : بولاية القائم . . ثم جاء عن كاظم الغيظ عليه السلام أيضاً :)

ـ ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنْفَعُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِيْمَانُهُمْ ، وَلاَ هُمْ يُنْظَرُوْنَ ﴾ : يومَ تُفتح الدنيا على القائم ، ولا ينفعَ أحداً تقرُّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً . وأمَّا من كان قبل الفتح مؤمناً ومنتظِراً لخروجه فذلك الذي ينفعه إيمانه ، ويعظِّم الله عزّ وجلّ عنده قدْرَه وشأنَه ! . وهذا أجر المُوالين لأهل البيت . . ثم لا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله ، ويَعلم رضَى الله تعالى عنه في ذلك حين يُحسُّ الرحمةَ بقلبه [5] .

---

(1) إلزام الناصب ص ٢٠٢ .
(2) البحار ج ٥١ ص ١٥٠ مع تفصيل ، وكذلك في منتخب الأثر ص ٢٣٩ .
(3) المهدي ص ٢٢١ عن عقد الدرر .
(4) الصف ـ ٨ ، والخبر في الكافي م ١ ص ٤٣٢ وإلزام الناصب ص ٣١ عن أمير المؤمنين عليه السلام .
(5) السجدة ـ ٢٩ ، والخبر في منتخب الأثر ص ٤٧٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨١ وبشارة الإسلام ص ٢٧٦ والبحار ج ٥١ ص ٢١٨ آخره عن الباقر عليه السلام وص ١٥٧ بكامله عن الجواد عليه السلام =

قال الإمام الرّضا عليه السلام :

ـ إن الله تبارك وتعالى لَيُصلِح أمرَه في ليلة واحدة ، كما أصلح أمْرَ كَليمهِ موسى إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسولٌ ، نبيٌّ . . [1] (وقد رُوي عن العسكريّ عليه السلام مثله . . ثم قال عليه السلام :)

ـ هو صاحبُ الغيبة ، فإذا خرج أشرقت الأرضُ بنور ربِّها . مثَله كمثَل الساعة لا تأتيكم إلاَّ بَغتة [2] . (وكفى بهذا التحذير نذيراً لنا وللناس . . ثم جاء عنه عليه السلام في تأويل رواه عنه صاحبُه أبو بكير :)

ـ ﴿ولَهُ أسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰواتِ والأرضِ طَوْعاً وَكَرهاً﴾ [3] ، قال : أُنزلت في القائم عليه السلام إذا خرجَ في أهلِ الرِّدَّة والكفّار في شرق الأرض وغربها ، فعرض عليهم الإسلامَ ، فمن أسلمَ طَوعاً أمَرَه بالصلاة والزكاة وما يُؤمَرُ به المسلم ويجب لله عليه ، ومن لم يُسلم ضَرَبَ عُنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحدٌ إلاّ وحَّدَ الله . قال : جُعلتُ فداك ، إنَّ الخلقَ أكثر من ذلك . فقال : إن الله إذا أراد قلَّل الكثير وكثَّر القليل[3] . (وفي هذا الحديث إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ حروباً مُفْنِيةً تسبق ظهور القائم عليه السلام فتقلِّل الكثير من المُنكِرين ، في حين أن حركته المباركة ودعوته إلى الحق تكثِّران القليلَ الذي كان معه من المؤمنين بمن يؤمن معهم ويَنضوي تحت لوائهم[3] . . وقال عليه السلام مكرِّراً المعنى الذي قاله آباؤه الميامين :)

يخرج ، جبرائيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وشُعَيب بن صالح على مقدِّمته [4] . . (وقال أخيراً في هذا الموضوع :)

وكذلك في إلزام الناصب ص ٦٨ وص ٢٧ عن الصادق عليه السلام ومثلُه في الإمام المهدي ص ٥٠ .

(١) إلزام الناصب ص ٦٨ ومنتخب الأثر ص ٤٣٤ قريب منه عن الباقر عليه السلام وفي البحار ج ٥١ ص ١٥٦ عن الجواد عليه السلام وكذلك في إعلام الورى ص ٤٠٨ .

(٢) منتخب الأثر ص ١٤٩ نقلاً عن الصواعق .

(٣) آل عمران ـ ٨٣ ، والخبر في منتخب الأثر ص ٤٧١ وص ٢٩٣ بلفظ آخر وفي البحار ج ٥٢ ص ٢٣٨ وص ٣٤٠ وص ٣٤٥ وبشارة الإسلام ص ٢٣٠ والإمام المهدي ص ٣٥ .

(٤) بشارة الإسلام ص ٩ .

ـ يطهِّر الله به الأرضَ من أهل الكُفر والجُحود ! . وتُطوَى له الأرض ، ويذلّ كل صعب [1] ! .

قال الإمام العَسكري ﷺ :

ـ كأني أنظر إلى الأعلام الْبِيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة [2] ! ! !

(وكان ﷺ قد خاطبه مرةً وهو على عتَبة يفاعه ، قائلاً له :)

ـ . . . وكأنَّك يا بُنَيَّ ، بتأييد نصر الله وقد آن ـ أي حين يكون قد آن ، وجاء وقتُه ـ وبتيسير الفَرَج وعلُو الكعب وقد حان ، وبالرايات الصُّفر والأعلام الْبِيض تخفق على أثناء أعطافك ما بين الحطيم وزمزم ! . وكأنَّك بترادُف الْبَيْعَة ، وتصادُف الوليّ ، يتناظَم عليك الدّر في مثاني العُقود وتصافُقِ الأكُفّ على جَنَبات الحَجَر الأَسود تلوذ بِفِناك ، من مَلأٍ برأهم الله في طهارة الولادة ونفاسة التربة ، مقدَّسةٌ قلوبُهم من دَنَس النفاق ، مهذَّبةٌ أفئدتهم من رجس الشِّقاق ، ليِّنةٌ عرائكُهم للدين ، خشِنةٌ ضرائبُهم على المعتدين ، واضحةٌ بالقبول وجوهُهم ، نَضِرَةٌ بالفضل عيونُهم ، يَدينون بدين الحق وأهله . فإذا اشتدّت أركانهم ، وتَقوَّمت أعمدتهم ، قدمتْ بمكانفتهم طبقاتُ الأمم إلى مبايعتك ، في ظِلال دوحةٍ بَسَقت غصونُها على حافات بُحيرة الطبريَّة ـ طبريَّة ـ فعندها يتلألأ صُبْحُ الحق ، وينجلي ظلامُ الباطل ، ويَقصم الله بك الطغيان ، ويُعيد معالم الإيمان . فيظهر بك أقسام الأفاق ، ويُظهر بك السلامَ للرفاق! . يودُّ الطفلُ في المهد لو استطاع إليك نهوضاً ! . ونواشطُ الوحش لو وَجد نحوك مَجازاً ! . تهتزّ بك أطرافُ الدنيا بهجةً ، وتهتزّ بك أعطافُ العزّ نُضْرَةً ، وتستقر بواقي الحق في قرارها ، وتَؤوب شواردُ الدِّين إلى أوكارها . تَتهاطل عليكَ سحائب الظفَر ، ويُخْنَقُ كلُّ عدوٍّ ، ويُنْصَرُ كلُّ وليٍّ ، فلا يبقى على وجه الأرض جبَّارٌ قاسطٌ ، ولا جاحدٌ غامطٌ ، ولا شانيءٌ مُبغضٌ ، ولا معاندٌ كاشحٌ ـ ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدراً ﴾ [3] . .

---

(١) إلزام الناصب ص ٦٨ .

(٢) البحار ج ٥١ ص ١٦٠ ومنتخب الأثر ص ٢٢٧ .

(٣) الطلاق ـ ٣ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٣٥ـ ٣٦ ووفاة العسكري ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(هذه هي لغة الأئمة عليهم السلام ! . فإنهم من معدن النبوّة . . قد دبّوا ودرجوا في موضع الرسالة . . لُغَتُهم لُغةُ جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد . وهم ـ بعدُ ـ من طينته ، وهم : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا [1] ﴾ . . .

فَوَا شَوْقَ أهل الحق لِلأُكُلِ الأخير من هذه الشجرة الميمونة ! . هذه الشجرة الباسقة المباركة التي إن حاول مدحها الإنسان حقٌّ له أن يُبالغ ما شاءت له المبالغة . . ولكنّه يتطلّع فإذا عبقريّته قزمٌ أمام عَظَمتها ، وإذا مِدْحةُ عاديٌّ أمام شموخها ، وإذا ألفاظه التي نَحَتَها بِكْراً ومعانيه التي ابتدعها ابتداعاً، ألفاظٌ عاجزةٌ ومعانٍ قاصرةٌ عن شأوِها ! ! . فقد يجرِّب أن يكتب بالنبيّ أو أهل بيته سِفْراً . . ويُطنب . . ويُفصِّل . . وإذا به لا يزال في التمهيد لفهم معانيهم ، وفي السفح من هَرَم مَجدهم ، وفي ظِلِّ غصنٍ من فروع شجرة نبوّةٍ وإمامة . . كل قول فيها قليل ! ! !

ولا تعجب من بلاغة لُغة الخبر السابق ، ولا من سموّ معناه ومبناه ، فقد قيل إنه وُجِد نَصٌّ بخطِّ الإمام ، العسكريِّ عليه السلام على جلد كتاب ، هو أرْقَى لُغَةً ، وأرفعُ أسلوباً ، وأسمَى بلاغةً ، وهو قولُه :)

ـ قد صَعِدنا ذُرَى الحقائق بأقدام النبوّة والولاية ، ونوّرْنا سبع طرائق بأعلام الفتوّة والهداية ، ونحن لُيوثُ الوغى وغُيوثُ النّدى ! . وفينا السيف والقلمُ في العاجل ، ولواءُ الحمد في الآجل ـ أي أن أتباعهم أهلُ الحمد يكونون تحت راية الحمد يومَ القيامة ـ أسباطُنا خلفاءُ الدين ، وحُلَفاءُ اليقين ، ومصابيحُ الأمم ، ومفاتيحُ الكرَم . . فتكلَّمَ لابسُ حُلَّة الاصطفاء ، لَمّا عهدنا منه الوفاء ، روحُ القدُس في جنان الصاغورة ، ذاق من حدائقنا الباكورة . . شيعتُنا الفئةُ الناجية والفرقةُ الزاكية ، صاروا لنا رِدْءاً وصَوْناً ، وعلى الظَّلَمَة إلْباً وعَوْناً . سيفجُر لهم ينابيعُ الحَيَوان ـ أي سيخرج غائبُهُم ـ بعد لَظَى مجتَمَع النيران ـ أي بعد الفتن والحروب المبيدة ـ لتمام الروضة

---

(1) إبراهيم ـ ٢٤/٢٥ .

والطواسين من السنين [١] .

(وورد : لتمام الَم والطواسين من السنين . . وينابيع الحيوان : مصدر الخير والسعادة . . وفي الحديث ألْغازٌ ترمز إلى تاريخ معيَّن للظهور ، ولكنه صعب الحلّ ، لأن الحروف التي ذكَرَها الإمام عليه‌السلام والتي هي في افتتاحيّات بعض سُوَرِ القرآن ، لها حسابٌ خاصٌ ـ يسمّى : حساب الْجُمَّلِ ، نعرفه ويعرفه الكثيرون من الناس ، وهو هنا يستلزم جمعاً كثيراً واختزالاً كثيراً لبعض الحروف المتكرّرة دون بعضها الآخر ، مما يجعل معرفة حل الرّمز مستعصيةً ، بل مستحيلة ، فيبقى علمها عند الله والراسخين في العلم) .

قالَ الحجَّةُ المنتظر عليه‌السلام :

(قال عليه‌السلام لبعض من حَظِيَ برؤيته الكريمة :)

ـ علامة ظهور أمري كثرة الهرج والمرج والفتن . وآتي مكة فأكون في المسجد الحرام ، فيقول الناس : أنصبوا لنا إماماً . . ويكثر الكلام ، حتى يقول رجلٌ من الناس ينظر في وجهي : يا معشر الناس هذا هو المهديّ ! . انظروا إليه ! .

فيأخذون بيدي ، ويُنَصِّبوني بين الركن والمقام ، فيبايع الناسُ بعد أياسهم منّي [٢] . . (أي بعد أن كانوا يائسين . . وفي الأخبار : أن الذي يُرشد إليه هو جبرائيل عليه‌السلام وإذا كان رجلاً من الناس كما ورد في هذا الخبر ، فإن الرجل قد عرفه ـ لمّا أمر الله بظهوره ـ من صفاته وعلاماته المميّزة التي مرَّ ذكرها ، والتي هي فيه دون غيره من سائر المخلوقات .

ثم كتب لبعض نوّابه أو مواليه في كتاب مُثْبَتٍ في الكتب المعتبرة ، يبيِّن إحدى علامات ظهوره :)

ـ إنه إذا فُقِدَ الصينيُّ ، وَ . . . إلخ . . . (وسترى الحديث بكامله في

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ١٢١ وبشارة الإسلام ص ١٦٨ وإلزام الناصب ص ١٨٩ (وفيه التوقيتُ التقريبي بحساب الجمّل) .
(٢) البحار ج ٥١ ص ٣٢٠ وبشارة الإسلام ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

موضوع : الفتن الأجنبيـة) فأخـرج بين الصّفا والمَرْوة في ثلاثمـائةٍ وثـلاثة عشـر . . فأجيء إلى الكوفة فأهدم مسجدهـا وأبنيه على بنـائه الأول . وأهـدم ما حـوله من بنـاء الجبابرة ، وأحجُ حِجَّةَ الإسـلام ، وأجيء إلى يثـرب . . فينـادي منـادي الفتنـة في السماء : يا سماء انْبِذي ! . ويا أرض خُذي ! . فيومئذٍ لا يبقى على وجـه الأرض إلّا مؤمن قد أخلَص قلبه للإيمان (١) . .

(وقد أُجمل هنـا ، فلم يذكـر خطوات ظهـوره المبارك بـالترتيب ، بـل استأنف الكـلام مرةً بعـد مرةٍ لغـاية مقصـودة . . وقـد أشـرنـا إلى الصينيٌ في مـوضـوع الفتن الأجنبيـة حين ذكْر الحـديث ، ووفّقنا الله تعـالى لتمييز هـويتـه . . . ثم كتب للشيخ المفيد ، رضوان الله عليه ، في موضوع ظهوره ، فقال بعد الْبسملة والتوحيد والتحميد والصلاة على النبيٌ ﷺ :)

ـ من عبد الله المرابِط في سبيله : إلى مُلْهم الحق ودليله :

وبعد : فقد نَظَرْنا مناجاتك ، عصمك الله بالسبب الذي وهب لـك من أوليائـه ، وحرسك من كيد أعدائه . . ويوشكُ أن يكون هبوطنا إلى صَحْصَـحٍ من غير بُعْـدٍ من الدهر ولا تطاولٍ من الزمان . ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال ، فتعرف بذلك مـا تعتمده من الزُلْفة إلينا بالأعمال ، والله موفّقك لذلك برحمته .

ونحنُ نَعهد إليك أيها الوليُّ المخَلصُ المجاهدُ فينا الظالمين ، أيّـدك الله بنصره الذي أيّدَ به السَّلَفَ من أوليائنا الصالحين ، أنّـه من اتّقى ربّه من إخـوانه في الـدِّين ، وخـرج ممّا عليـه إلى مُستَحِقّيه ، كـان آمِناً من الفتنـةِ المُظِلّةِ ـ أي المُهيمنـة ـ ومِحَنِها المُظْلِمَة المُضلّة . ومَن بخلَ منهم بما أعاره الله من نعمته ، على مَن أُمِرَ بِصِلَتِه ، فإنه سيكون خاسراً بذلك لأولاهُ وآخرته (٢) .

(يعني أن من دفع الحقوق الشرعية من ماله الذي جعله الله مستخلَفاً فيه ، ودفع خُمُسَـه إلى المستحقّين من السادة والفقـراء ، أنجاه الله تعـالى من فتن آخر الـزمان ،

---

(١) البحار ج ٥٣ ص ١٠٤ .

(٢) الإرشاد ص د ـ هـ : تجد الكتاب بكامله ، وكـذلك في البحـار ج ٥٣ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ وكذلـك في إلزام الناصب ص ١٣٦ .

ومن فتنةِ الإلحاد في الدين وما تؤدي إليه من الهلاك ومما يُحْرِق ويُغرِق . .)

قال كعبُ الأحبار :

ـ القائم المهديُّ يُبدِّل الأرضَ غيرَ الأرض ، وبه عيسى بن مريم يحتجُّ على نصارى الروم والصين (١) .

إنجيلُ لُوقا : (٢١ : ٢٤ ، ٣٦) .

إحترزوا لأنفسكم ، لئلاَّ تَثقل قلوبُكم في خمَارٍ وسُكْرٍ هموم الدنيا ، فيصادفكم ذلك اليوم بغتةً ، لأنه كالفخّ ، يأتي على جميع الجالسين على وجه الأرض . إسهروا إذاً وتضرَّعوا في كل حين ، لكي تُحْسَبوا أهلاً للنجاة من جميع المزمَع أن يكون ، وتَقِفوا قُدَّام ابن الإنسان .

(فمثل هذه الأحاديث التي صدَرت في فترَتَين تفصلهما مدَّة تتراوح بين ستمئة وثمانمئة سنة ، من رسالتين سماويَّتين : من فم المسيح ﷺ وأفواه النبيّ والأئمة ﷺ ـ أي منذ لفظها المسيح حتى غياب الإمام المنتظَر ﷺ ـ إن مثل هذه الأحاديث لَتُنادي على نفسها بالصدق الذي لا يشوبه شك ، لأنها : من نفس المصدر . . وفي نفس الموضوع . . وبنفس الألفاظ . . وبذات المعاني . . فَلْيتأمَّل أُولو الألباب ! ! . وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ ، وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ . وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ (٢) .

وقد قال الإمام الصادق ﷺ محذِّراً بعد تلاوة هذه الآية الكريمة :)

ـ يومُ الفتح يومَ تُفتح الدُّنيا على القائم ﷺ ولا ينفع أحداً تقرَّب بالإيمان لم يكن قبل ذلك مؤمناً بإمامته ومنتظِراً لخروجه فذاك الذي ينفعُه إيمانُه ، ويُعظِّم الله عزَّ وجلَّ عنده قَدْرَهُ وشأنه . وهو أجرُ المُوالين لأهل البيت ﷺ (٣) .

(فَلْيَختَرِ العاقل . . قبل أن يصير الإيمان غير مقبول ! . ونحن على أبواب الفتح بإذن الله . .)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٢٦ وبشارة الإسلام ص ١٨٩ .

(٢) السجدة ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ، والخبر في منتخب الأثر ص ٤٧٠ .

(٣) السجدة ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ، والخبر في منتخب الأثر ص ٤٧٠ .

١٣ ـ نُزول المَسِيح ﷺ

. . إلى الأرض !

قال رَسُول الله ﷺ :

ـ منّا الذي يصلّي عيسى بنُ مريم خَلْفَه ! [(١)] . (وقال ﷺ :)

ـ لن تَهلك أمّةٌ أنا في أوّلها ، وعيسى بنُ مريم في آخرها ، والمهديُّ في وسطها [(٢)] . (وقال ﷺ أيضاً :)

ـ كيف أنتم إذا نزل عيسى بنُ مريم فيكم وإمامكم منكم [(٣)] ؟ ! ! . (ثم

---

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٤ وص ٢٦٩ ومنتخب الأثر ص ٣١٦ وص ١٠٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٠ وص ١٦٧ والبحار ج ٥١ ص ٨٤ والمهدي ص ٨٨ وص ٢١٨ عن عقد الدرر ، وبشارة الإسلام ص ٩٩ وص ٢٨٨ وص ٢٩٢ والإمام المهدي ص ٩٥ وإلزام الناصب ص ٥٢ نقلاً عن الفصول المهمة وص ٢٥٥ نقلاً عن البيان ، ونور الأبصار ص ٢١ وص ١٧٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٤ .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٥ والبيان ص ٨٨ ومنتخب الأثر ص ١٥٥ والبحار ج ٥١ ص ٨٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ وص ١٣٥ والصواعق المحرقة ص ١٦٤ والملاحم والفتن ص ١٢٦ وبشارة الإسلام ص ٢٨٨ وص ٢٩٣ والمهدي ص ٩١ وإسعاف الراغبين ص ١٥١ والإمام المهدي ص ٧٦ وإلزام الناصب ص ١٠٠ وغاية المرام ص ٦٥٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٤ .

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٩ والبحار ج ٥١ ص ١٠٢ وج ٥٢ ص ٣٨٣ وبشارة الإسلام ص ٢٥٥

قال ﷺ يصف ذلك :)

ـ ينزل عيسى على ثَنِيَّة (أي عَقبة) بالأرض المقدَّسة يقال لها : أُفيق . فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح . فيتأخَّر الإمام ـ أي المهديّ ؏ ـ فيقدِّمه عيسى ويصلّي خَلْفه على شريعة محمَّد ويقول : أنتم أهل بيتٍ لا يتقدَّمكم أحد [1] ! . (ثم وصف نزوله من السماء بحديث أخذنا منه ما يلي :)

ـ . . . فبينا هو كذلك إذ هبط عيسى بنُ مريم بشرقيِّ دمشق . عند المنارة البيضاء ، بين مهرودتَين (أي غيمتَين ملوَّنتَين) واضعاً يديه على أجنحة مَلَكين ، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ ـ أي نزلَ ماءُ عرَقِه ـ وإذا رفعه تحدَّر منه جمانُه كاللؤلؤ ، ولا يجد ريحَ نَفَسِه أحدٌ ـ أي كافرٌ ـ إلاَّ مات . وريحُ نَفَسِه مَدُّ بَصَره ، فيطلبُ الدَّجَّالَ فيُدركه بباب لد فيقتُله [1] . (وقيل عند باب دار المسجد الشرقيِّ في القدس . . وجاء عنه ﷺ بلفظ :)

ـ . . . فيلتفت المهديُّ وقد نزل عيسى عند المنارة البيضاء في القدس ، واضعاً كفَّيه على أجنحة مَلَكَين كأنَّما يقطُر من شعره الماء ، فيقول المهديّ : تقدَّم صَلِّ بالناس فيقول : إنما أُقيمت الصلاة لك . فيُصلّي عيسى خلْفه ويُبايعه ويقول : إنَّما بُعِثْتُ وزيراً ، ولم أُبْعَثْ أميراً [2] ! . (ثم جاء عنه ﷺ قولُه الذي يَعِدُ فيه ببقاء مؤمنين مُتَّبِعين للحق :)

وص ٢٩١ والبيان ص ٧٥ وصحيح البخاري ج ٢ ص ١٥٨ وج ٤ ص ٢٠٥ والإمام المهدي ص ٦٤ وص ٧٢ وص ٢٩٥ و٢٩٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٨ وص ١١٠ وص ١٦٧ وإلزام الناصب ص ٢٥٤ .

(١) ورد الخبران بألفاظ مختلفة وبنفس المعنى في : منتخب الأثر ص ٣١٦ وص ٣١٨ والمهدي ص ١٩٩ وص ٢١٩ عن إسعاف الراغبين والصواعق المحرقة ص ١٦٢ وحقائق الإيمان ص ٢٠٤ وصحيح مسلم ج ١ ص ١٠٧ وص ١٠٨ وج ٨ ص ١٩٧ وص ١٩٨ والبيان ص ٧٥ وص ١٠٣ والبرهان ص ٥١ ونور الأبصار ص ١٦٩ وص ١٧٠ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٧٩ والملاحم والفتن ص ٦٧ وص ٧٧ ، وإلزام الناصب ص ٥٣ بزيادة : وبيده حَربة يَقتل فيها الدَّجَّال ، وص ١٠٠ وص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٩٢ .

(٢) الصواعق المحرقة ص ٩٨ والإمام المهدي ص ٦٩ وص ٣٤٣ بتفصيل ، وإسعاف الراغبين ص ١٣٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٠ وص ١٣٥ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٨ وإلزام الناصب ص ٢٥٥ نقلاً عن البيان ومنتخب الأثر ص ٣١٦ .

ـ لا تزال طائفة من أُمّتي تقاتل على الحق ، حتى ينزل عيسى بنُ مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس . ينزل على المهديّ ، فيقال : تقدمْ يا نبيَّ الله فصلِّ بنا ، فيقول : هذه الأمّة أمراءُ بعضهم على بعض ، تكرمةً من الله لهذه الأمّة [1] . . (ثم جاء عنه ﷺ هذا القَسَم المؤكّد :)

ـ والذي نفسي بيده ، ليُوشكَنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً مُقسِطاً ، وإمام الناس يومئذٍ رجل صالح . فإذا كبّر لصلاة الصبح وتهيّأ للصلاة نزل عيسى بنُ مريم ، فإذا رآه عَرَفه ، فيرجع يمشي القهقري ليتقدَّم عيسى بنُ مريم ، فيضع عيسى يده بين كتفَيه فيقول له : صلِّ ، فإنّما أُقيمت الصلاة لك ، فيُصلّي عيسى وراءه [2] . (وقال ﷺ في مناسبةٍ ثانيةٍ تحدَّث فيها عن الموضوع :)

ـ يكون عيسى بنُ مريم في أمّتي حَكَماً مُقْسِطاً ، يرفع الشحناء والتباغض (بين الملل والأديان طبعاً) ويُفيض المالَ حتى لا يقبله أحد ! . وتُنْزَع حُمَةُ كل دابّة ، وتكون الأرض كفاتور الفضة [3] ! . (ولن نعلّق على ذلك بشيءٍ نخشى أن يفوت القارىءَ الكريم ، لأن تبيانه سيرِد من الكتب السماوية الأخرى ، وعن طريق الأنبياء والأوصياء ، وجميع الأُمَناء على رسالة الحق عبر تاريخ الإنسانية) .

---

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٩ والبحار ج ٥١ ص ٨٥ وج ٥٢ ص ٣٨٢ أوله ، والصواعق المحرقة ص ١٦٢ بلفظ قريب ، وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٨ وص ١١٠ وص ١٣٥ نقلاً عن إسعاف الراغبين وص ١٦٦ وبشارة الإسلام ص ٢٨٨ ونور الأبصار ص ١٧٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٢ وص ١٣٤ نصفه الثاني ، وإلزام الناصب ص ٢٥٥ والبيان ص ٧٦ بلفظ آخر ، وصحيح مسلم ج ١ ص ٩٥ .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٩ والبيان ص ٨٧ بلفظ آخر ، وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٨ أوله ، وصحيح مسلم ج ١ ص ٩٣ ومنتخب الأثر ص ٤٧٩ وص ١٤٦ بلفظ آخر ، والملاحم والفتن ص ٦٦ وص ١٢٤ ـ ١٢٥ والمهدي ص ٢٢٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ٤٧٦ مع زيادة وتفصيل ، وكذلك في بشارة الإسلام ص ٢٥٥ وص ٢٩٥ والإمام المهدي ص ٣٣٩ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٥ وإلزام الناصب ص ١٨٥ .

(٣) الملاحم والفتن ص ٦٦ وص ١٢٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٨ بلفظ آخر ، وص ١٤٦ وبشارة الإسلام ص ٢٧٩ بتفصيل وص ٢٧٨ ما عدا آخره .

قالَ أميرُ المؤمنين عليه السلام :

(قال في خطبة البيان في هذا الموضوع :)

. . . ثم إن المهديَّ يرجع إلى بيت المقدس فيصلّي بالناس أياماً . فإذا كان يوم الجمعة وقد أُقيمت الصلاة ينزل عيسى بنُ مريم في تلك الساعة من السماء وعليه ثوبان أحمران ، كأنّما يقطُر من رأسه الدهن . وهو رجل صَبيحُ المنظَر والوجه ، أشبهُ الخَلق بإبراهيم ، فيأتي المهديُّ ويصافحه ويُبشّره بالنصر ، فعند ذلك يقول له المهديُّ : تقدّمْ يا روحَ الله وصلِّ بالناس ، فيقول عيسى : بل الصلاة لك يا آبن رسول الله . فعند ذلك يؤذّن عيسى ويُصلّي خَلْف المهديّ [١] . .

(وبهذا قطع الإمام جَهيزة كلِ قائلٍ بالنسبة لكون المسيح عليه السلام حيّاً ، بنصّ الآية الكريمة التي هي من كلام الله عزَّ وعلا ، حيث فسّرها التفسير اللّفظيَّ الظاهر الذي لا الْتِواءَ فيه ولا حذلقة ، ضارباً بقول المتفذلكين الذين يقولون : يعني قبل موت شريعته ، عَرْضَ الجِدار . . وسيرى الناس نزوله من السماء كما حكاه رسولُه . وكما حكى رَفْعَه إلى السماء بآيةٍ معجزةٍ سيُنْزِله منها بآيةٍ مُذْهِلةٍ عجيبة ، ليكون آيةً بيّنةً تحمل الناس على التصديق ؛ والإيمان بما يدعو إليه من رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشهد على ذلك المسيحُ نفسُه كما بشّر بمحمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو نفسُه ـ من قَبْل في رسالته . ثم يكون حلالُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم حلالاً إلى يوم القيامة ، وحَرامُه حَراماً إلى يوم القيامة . . يؤكد ذلك رسول الله إلى الناس : عيسى بنُ مريم حالَ نزوله في موجةٍ من رَوح السماء تُثْمِلُ الحاضرين وتَبهر الناظرين ، فتنفذ كلمتُه ـ وهو كلمة الله ألقاها إلى مريم ـ إلى قلوب الناس قبل مسامعهم ، تُعْلِنُ ولاية المهديّ ، وتدمغ باطلَ مناوئيه ! . ونزولُه ـ على يد الله وسلطانه ـ أقلُّ عجباً من نزول الرائد الفضائي على يد الإنسان الذي تخنقه الشَّرقة وتقتله البقّة بلا أدنى ريب !) .

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٢ وجملة من المصادر المذكورة وفي الأرقام الثلاثة السابقة .

قالَ الإمَام البَاقِر ﷺ :

ـ وينزل روح الله عيسى بنُ مريم فيصلّي خلفَه (١) .

(وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْـلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِـهِ ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِم شَهِيداً ﴾ :

ـ إن عيسى ، قبل يوم القيامة ، ينـزل إلى الدُّنيـا ، فلا يَبقى أهـلُ مِلّةٍ ، يهوديٌّ ولا غيره ، إلاَّ مَن آمنَ قبلَ موته . ويُصلّي خلف المهديّ (٢) .

قال الإمَام الصّادق ﷺ :

ـ يعـود القائمُ إلى القـدس ويصلّي بالنـاس إمامـاً ، حتى إذا كـان يـومُ الجمعـة وأُقيمت الصـلاة ، ينزل ـ يَعني عيسى ﷺ ـ ومعـه سبعون ألفـاً من المـلائكـة ، وهـو بعمـامةٍ خضـراء ، متقلّدٌ بسيفٍ ، على فَرَسٍ ، وبيـده حَربَـةٌ ، فإذا نـزل إلى الأرض نادَى مُنادٍ : يا معاشِرَ المسلمين جاء الحقُّ ، وزهَق الباطل (٣) !

(وهذه الأخبارُ الشريفةُ ، بنصوصها المختلفة ، تُبيِّن لنا أشياء :

أولُهـا : أن المسيح ﷺ ينـزل من السماء بعد عبـور القـائم ﷺ بـالقـدس ، ومغادرته لها ، ثم عودته إليها بعد قتل السفيانيّ وجميع أعوانه .

وثانيها : أن الصادق ﷺ ـ على طريقته ـ من بيان كل كبيرة وصغيـرة لشيعته في الفترة الحُرَّة التي قدَّر الله له أن يعيشها لشرح القرآن وبيان السنَّة ، قد بيَّن هنـا توقيتَ النـزول لدى رجـوع صاحب الأمـر ﷺ إلى القدس ثـانيةً ، وأنـه يكـون صَبيحـةَ يـوم جُمعة .

وثـالثُهـا : أنـه لم يَعْـدُ قـولَ أجـداده في وصف كيفيَّـة نـزول المسيـح ﷺ من

---

(١) الإمام المهدي ص ٢٢٦ .

(٢) النسـاء ـ ١٥٤ ، والخبر في البحـار ج ٥٣ ص ٥٠ ـ ٥١ وإلزام النـاصب ص ١٩ وص ٢٣٩ وينـابيـع المـودة ج ٣ ص ٧٧ والإمـام المهـدي ص ٣٨ رُوي عن الإمـام زين العـابـدين ﷺ أيضاً .

(٣) إلزام الناصب ص ٢٢٩ .

السماء ، ولا عَدا قولَ المسيح ﷺ المنصوص في الأناجيل كما سترى بعد صفحات .

ورابعُها : أنه سمّى سلاحه ، ووصفَه ، ووصَفَ لباسَه حين نزوله ، كما وصفه الماضون وكما وصفَ المسيحُ نفسَه في الأناجيل وهو يُنذر أمّته بعودته لمحاكمة المارقين من الدِّين في آخر الزمان ، الأمر الذي لا يَدَع ريباً في الموضوع . . اللّهم إلّا صعود المسيح ﷺ إلى السماء ، ونزوله منها . . فإنه يستوقف أنظارَ بعض المشكّكين الذين نكرّر لهم القول بأن صعوده ، وهبوطه من السماء ـ بقدرة الله ـ أهوَنُ من صعود الإنسان إلى الجوّ بالطائرة ونزوله منه ـ بقدرة الإنسان ـ . . فالله : ﴿ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [1] : أي في الأرض اليابسة ، وفي البحر ـ الماء ـ وفي الجوّ ـ الذي هو بحرٌ من الهواء ـ لا يُستكثَر عليه أن يُطلِع عيسى ﷺ إلى السماء ـ كما حصل ـ وأن يُنزِله منها ـ كما سيحصل ـ بعد أن رأينا إنساناً منّا أطلع مركبةً فضائيةً ـ ذات وزنٍ وفيها رُكّابها ـ إلى القمر ، ثم عالج تحرّكاتها وهي هناك على سطح الكوكب ، ثم أنزلها حين شاء في المكان الذي شاء . . وأطلع بعدها مركبةً ثانيةً إلى المرّيخ ، وثالثةً إلى الزُّهَرَة ، واستفاد من ذلك معلومات قيّمة وهو قابعٌ ـ هنا على الأرض ـ في مختبره يُدير مفاتيحَ ويُحرّك أزراراً ومركبتُه تبعد عنه ملايين الكيلومترات في الآفاق الهائلة اللامتناهية ! ! !) .

إنجيلُ لوقا :

(٢١ : ٢٥ ـ ٢٦) : ـ على الأرض يكون كَربُ أممٍ بِحَيرةٍ . والناسُ يُغشَى عليهم من خوفٍ وانتظارٍ ما يأتي على المسكونة ، لأن قوّة السماوات تتزعزع ! .

(أليس هذا حقّ ؟ ! . أوَ ليست الأرض اليومَ في كَربٍ تكاد تخنقها الأجواء الملبَّدة بأصوات القذائف والصواريخ والمدافع المدمِّرة في ثلاث قارّات من العالم ؟ ! . أم أنّنا لا تُصمّ أسماعنا أسراب الطائرات الحربية المُغيرة ، تقذف الحمَم واللّهَب وتزرع الذعر وتترك وراءها الخراب والدمار ؟ ! . .

---

(١) يونس ـ٢٢ .

بَلَى . . بَلَى والله ! . وإنها ـ كلها ـ لَتمهيدٌ يُهَيِّىءُ أذهاننا لقبول مثل هذه النصوص ، وللإيمان برواية السماء كاملة الفصول ! . وقد قال لهم ـ أي المسيح ﷺ ـ :

ـ (١٩ : ١٣) : ـ تاجروا حتى آتي ! .
(والموعد يا روحَ اللّهِ ٱلصُّبْحُ . . صبحَ الجمعة . . أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيْب ؟ .)

إنجيل يُوحَنَّا :

(٥ : ٢٥ ـ ٢٨) : ـ ألحقَّ الحقَّ أقول لكم : أنه سيأتي ساعةٌ وهي الآن ، حين يَسمع الأمواتُ صوتَ آبن الله ، والسامعون يَحْيَون . . لا تتعجَّبوا من هذا فإنه تأتي ساعة فيها يَسمع جميع الذين في القبور صوتَه ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدَّينونة .

(أي أن الله يبعث بعض الصالحين لنُصرة الحق في آخر الزمان ، والمسيئون يبقَون موتَى إلى يوم القيامة والحساب .

ورُوي عن طُرُقنا مثل هذا الخبر بحقِّ أفرادٍ من الصالحين ستراه في مورده ، وسترى عدمَ الخلاف بين الرسالات السماوية في جميع أخبار آخر الزمان) .

(رؤيا : ص ١٩) : ـ إنفتحت السماوات ، ظهر بجلال مجده ، جالساً على فَرَسٍ أبيض ، وعيناه كَلَهيب نار ، وتَسربَلَ بثوبٍ مغموسٍ بالدم (أي : أحمر) ومن فمه يخرج سيفٌ ماضٍ لكي يضرب به الأمم . وهو سيرعاهم بعَصاً حديد ، وهو يَدوس معصرةَ خَمرِ سُخطِ وغَضبِ الله تعالى القادر على كل شيء ! . (وتُلاحظ الصورةَ ، واللباسَ ، والسلاحَ ، والغَايةَ ، فلا ترى فرقاً عمَّا وَرَدَ في أخبارنا القدسيَّة) .

(١٤ : ٢ ـ ٣) : ـ أنا أمضي (أي حين رَفْعه إلى السماء) لأُعدَّ لكم مكاناً وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً ، آتي أيضاً (أي حين نزوله) وآخذكُم إليَّ ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم ! . (أي أنهم يؤمنون به عند رؤيته ويَدينون بعقيدته ويكونون معه) .

(في رسالته الأولى ٣ : ٢) : ـ إنه إذا ظَهَرَ ، سنكون مثله ، لأننا سنراه كما هو . .

إنجيلُ متّى :

(٢٤ : ٤٤) : ـ كونوا أنتم أيضاً مستعدِّين . لأنه ، في ساعة لا تظنون ، يأتي ابنُ الإنسان ! .

(٢٥ : ٦) : ـ ففي نصف الليل صار صُراخ : هُوَذا العريس مُقبل ! . (وقد رأيت سابقاً أنه ينزل بُعَيد الفجر) .

(٢٤ : ٢٩ ـ ٣١) : ـ وللوقت بعد ضيق تلك الأيام ، تُظلم الشمس ، والقمرُ لا يُعطي ضوءَه ، والنجومُ تسقط من السماء ، وقوّات السماء تتزعزع ، وحينئذٍ تظهر علامةُ ابن الإنسان في السماء . وحينئذٍ تنوح جميعُ قبائل الأرض ، ويُبصرون ابنَ الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوّةٍ ومجدٍ كثير . فيرسِل ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت ، فيجمعون مُختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء السماء إلى أقصائها ! ! ! .

(وأنت ترى أن هذا النّص لم يختلف بشيءٍ عمّا جاء في أخبارنا من كسوف الشمس وخسوف القمر والحروب والدمار ، ونداء جبرائيل ﷺ ، وجَمْع أنصار القائم ﷺ يُخْتَطفون في الهواء . . فتأمّلْ !) .

(٢٤ : ٣٦) : ـ وأما ذلك اليوم ، وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما أحدٌ ، ولا ملائكة السماء ! . (وهذا مصداقٌ لما جاء عندنا ، لأن أمر المسيح ﷺ مرتبط بالظهور المبارك ، فهما بميعاد ، وهما كالساعة ، لا تكون إلاّ بَغْتة ! .)

(٢٥ : ٣١ ـ ٣٢) : ـ متى جاء ابنُ الإنسان في مجده ، وجميع القدِّيسين معه ، فحينئذٍ يجلس على كرسيِّ مجده . ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميِّز بعضَهم من بعض كما يميِّز الراعي الْخِرافَ عن الْجِداء ! .

(ألم يقل نبيُّنا صلوات الله عليه أن المسيح ينزل حَكَماً مُقسِطاً يَرفع الشَّحناء والتباغض ويُفيض المال ؟ ! .)

(٢٨ ـ ٢٠) : ـ ها أنا معكم كل الأيام ، إلى انقضاء الدهر.

هوشع : (٥ : ١٤ ـ ١٥) : ـ لأني لأفرايم كالأسد ، وبيتِ يهوذا كشبل الأسد . فإني أفترس وأمضي وآخذُ ولا مُنقذ ! . أذهبُ ، وأرجع إلى مكاني حتى يجازَوا ويطلبوا وجهي . في ضِيْقهم يبكون عَلَيَّ .

عبرانيين (٩ : ٢٨) : ـ هكذا المسيح أيضاً ، بعدما قُدِّم مرةً لكي يحمل خطايا كثيرين ، سيظهر ثانيةً بلا خَطِيَّة ، لخلاص الذين ينتظرونه .

(١٢ : ١٧): ـ هُوَذا الآن وقتٌ مقبول ، هُوَذا الآن يومُ الخلاص ! . (وهذا نفسُ لفظ نبيِّنا محمَّد ﷺ ، فقد سمَّاه يومَ الخلاص في حديث سَبَق ، فسمَّينا كتابنا هذا كما سمَّياه عليهما الصلاة والسلام) .

رومية (٨ : ١٨) : ـ وآلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُسْتَعْلَنَ فينا . فالمسيحيون يعرفون أن المسيح سيأتي لاحقاً ، ويتوقَّعون مجيئه المفاجيء ، وعلى بَغ تة . (وهذا أيضاً لفظ الرواية الواردة عندنا بذاته) .

(١٥ : ١٢) : ـ قال الرسول بولس في رومية : سيكون أصل يسَّى والقائم ، ليسودَ الأمم . عليه سيكون رجاء الأمم .

(فقد استعمل هذا المقطَع اسمَ (القائم) تصريحاً لا تلميحاً ، ثم نَصَّ على سيادته للأمم لأنه يحقِّق رجاءها . . ولا يختلف ما جاء عن السماء ، على لسان أي رسولٍ جاء . .)

أعمال (١ : ١١) : ـ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء ، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء . . (وليس أوضح من ذلك في التصريح . .)

(١٧ : ٣١) : ـ إن الله أقام يوماً ، هو فيه مُزْمِعٌ أن يَدين المسكونةَ بالعدل ، برجلٍ قد عيَّنه مقدَّماً للجميع . . (وهل هذا الرجل غير الإمام المنتظَر الذي يحقق العدل ويملأ الأرض قِسْطاً ، والذي سمَّاه المقطع السابق (١٥ : ١٢) ـ رومية ؟ ؟ ؟) .

زكريا (٣ : ٤) : ـ يخرج الربُّ ويحارب تلك الأمم ، كما في يوم حربه يوم

القتـال . وتقف قَدَمـاه في ذلك اليـوم على جبـل الـزيتـون الـذي قُـدَّام أورشليم (أي القدس) من الشرق . فينشقُّ جبل الزيتون من وسطه . . (أي أن المسيح ﷺ ينزل في المكان الذي حدَّدته أخبارنا . أما انشقاق الجبـل فربمـا كان معجـزةً للمسيح ﷺ فيجعله الله دكًّا لِيُلفِت الأنظار إلى عظَمَة الحَـدَث ويكون وسيلة إقنـاعٍ لمن يرى رهبة الموقف وهيبة الموكب الإلّهي ! .)

(١٢ : ١٠ - ١٢) : - وأُفيض على بيتِ داود وعلى سكـان أورشليم روح النعمة والتضرُّعـات ، فينظرون إلى الـذي طعنوه ، ويـنوحون عليـه كنائحٍ على وحيدٍ له ، ويكونون في مرارةٍ عليه كمن هو في مرارةٍ على بِكْرِه ، وتنوح الأرض عشائرَ على حِدَتِها . .

كـورنثـوس (١١ : ٢٦) : - فإنكم كلمـا أكلتم هـذا الخبـز ، وشـربتم هـذا الكأس ، تخبزون بموت الربّ إلى أن يجيء .

(١٦ : ٢٢) : مارْ آنْ آتا . معناها : ربُّنا آتٍ ! . وقد كـانت هذه العبـارة هي العبارة المقدَّسة عند المؤمنين بدعوة المسيح ﷺ بل كـانت تحيَّتهم المفضَّلة للتدليـل على اعتقادهم بها فلا يشكّون بعودة المسيح ﷺ .

عـاموس (٤ : ٢) : - تقـول الآية للشعب اليهـوديّ : إستعدّ لِلقـاءِ إلّهك ! . (واليهـود كبقيَّـة المنتـظِرين - من المسلمين والمسيحيين - ينتـظرون مجيءَ المسيـح المخلِّص . .)

(رسالة بـطرس الرسـول الأولى إلى أهل تسـالونيكي :) - (٤ - ١٥) : - فإننا نقول لكم هذا بكلمة الربّ : إننـا نحن الباقين إلى مجيء الـربّ ، لا نسبق الراقـدين (أي الموتى) لأن الربّ نفسه ، بهتافٍ بصـوت رئيس الملائكـة (أي جبرائيـل ﷺ) وبـوق الله ، سـوف ينـزل من السمـاء . والأمـوات في المسيـح سيقـومـون أولاً ، ثم الأحيـاء ، الباقين ، سَنُخْـطَف جميعاً معهم في السُّحُب لمـلاقاة الـربّ في الهواء ! . وهكـذا نكون كـل حينٍ مع الـربّ . . (والخَـطف في السُّحُب وَرد هنـا كمـا ورَدَ في أحـاديث نبيِّنا وأوصيـائـه ﷺ وكـذلـك بَعْثُ بعض الصـالحين . وسيكـون الْخَـطف المذكور بركوب الطائرات أو بمعجزة سماويَّـة يصدِّقهـا من لا يَرجف قلبُـه من ذكْر ربّ

السماء والأرض ! .)

(٥ : ٢) : ـ لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الربّ كَلِصٍّ في الليل . هكذا يجيء . . أما أنتم أيها الأخوة ، فلستم في ظُلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كَلِصّ .

النبيّ حجي (٢ : ٧) : ـ وأزلزل كلَّ الأمم ، ويأتي مُشْتَهَى كلِّ الأمم . (أي أن المنتظَر من كل الأمم يأتي بعد زلازل وحروبٍ تغطّي المعمورَ من الأرض . وهذا هو المرويُّ عندنا سواء بسواء) .

رؤيا (١ : ٧) : ـ هُوَذا يأتي مع السحاب . وستنظره كل عين ، والذي طعنوه .

(وستنظره كل عين : ركِّزت عليها أخبارنا الشريفة أعظم تركيز ، وقد مرَّ القارىء بها . . فما هذا يا قارئي العزيز ؟ ؟ ؟ قد تنبّأت أخبار المسيحية بالتلفزيون أو بالذي ربما كان أعظم منه منذ ألفَي سنة ، كما تنبّأ بذلك الإسلام وأكّده . . . فما هذا التنجيم ؟ ! ! وهل هو تنجيم ؟ ؟ ؟ لا ، وألف لا . فاستمع في النصّ التالي إلى ما هو أعجب في تصوير تدمير الظالمين :)

(٦ : ١٥ ـ ١٧) : ـ ملوكُ الأرض ، والعظماءُ ، والأغنياءُ ، والأمراءُ والأقوياءُ ، وكلُّ عبدٍ وكلُّ حُرٍّ ، أخفَوا أنفسَهم في المَغايِر ، وفي صخور الجبال ، وهم يقولون للجبال والصخور : أسقُطي علينا ، وأخفينا عنْ وجه الجالس على العرش ، وعن غضب الخروف ، لأنه قد جاء يومُ غَضبِه العظيم ، ومن يستطيع الوقوف ؟ ؟ ؟ .

(أليس هذا هو الذي وردَ في أخبارنا التي تصف خوفَ اليهود من سيف صاحب الأمر عليه السلام واختباءَهم في ظل كل شجرةٍ وصخرةٍ ؟ ! . بَلىَ ، وإليك تكذيب الوقّاتين الذي أكّده النبيُّ وأهل بيته صلوات الله عليه وعليهم :)

ـ ولكن ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الأبُ في سلطانه ! .

(وقد قال عبد الله بن سليمان) :

ـ قرأتُ في الإنجيل . . ـ وذكَر أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال : قال تعالى

لعيسى : (أرفعُك إليّ ، ثم أهْبِطُك في آخر الزمان ، لترى من أمة ذلك النبيّ العجائب ، ولتعينهم على اللّعين الدجّال . أهْبِطُك في وقت الصلاة ، لتصلّي معهم . إنهم أمّةٌ مرحومة [١] ! . (وهذا هو الذي نصّت عليه أحاديثنا) .

وما بعد ذلك ؟ ! ! لم يبقَ على المنصِف إلا أن يُذعن . .

فإن عقيدة الانتظار ليست عند الشيعة الاثني عشرية دون غيرهم . .

بل هي عند اليهود المنتظرين لظهور المسيح عليه السلام .

وهي عند النصارى المنتظِرين لجلوس المسيح عليه السلام على عرش العدل في الأرض بنصوص مكرّرة ثلاثمئة مرةً في العهد الجديد فقط ! . ولكنها عندنا عقيدةٌ متكاملةٌ ، ونحن منتظِرون لنزول المسيح عليه السلام ومنتظِرون للقائم بالحق الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلِئتْ ظُلْماً ، كما تؤكّد جميع الكُتب والأخبار السماوية المقدّسة ، وعقيدتنا تشمل العقائد السابقة وتكمّلها كلها . .

ومما لا شك فيه ، أن خروج المهديّ عليه السلام قد أصبح ضرورة إلّهية بعد سيطرة الظلم في الأرض ، رأفةً بالعباد ورحمةً بما بقي من البلاد والسواد . . وكل ما رأيناه يُبشّر بالعهد الميمون : في باحة إيمانٍ رَحبةٍ ، وفي ظلّ شريعةٍ سهلةٍ سَمْحة ، تملأ خَواء الضمائر الفارغة من الله ، وتُحيي مَوات الأفكار التائهة بما تُعانيه من ضَلال ، وتُنير القلوب المظلمة التي عَصَفتْ بها ويلات العُدوان . .

. . . أمّا لماذا سمّينا كتابنا هذا : يومَ الخلاص ، فذلك أن النبيّ صلى الله عليه وآله قد تكرّم بتسمية ذلك اليوم كذلك ، بل تكرّم بتسميته كذلك المسيح عليه السلام من قبل ، كما أن الله تبارك وتعالى قد سمّاه يومَ الفتح . وكذلك سمّاه الإمام الصادق عليه السلام . فتبرّكنا بتسميته : يوم الخلاص ، وبنعته بيوم الفَتح .

وأمّا لماذا يخرج المهديّ عليه السلام من مكة خاصة ، فذلك لأن فيها بيتَ الله الحرام ، ولأن فيها محلّ أَخْذِ مواثيق البشر ، ولأنها بلدٌ حرامٌ ليس فيها سلاح ، ولا يجوز تجريد السلاح فيها . إلى جانب عِصْمتها بالجبال المحيطة بها ، وإلى جانب

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ١٨١ .

كثرة شعابها ومخابئهـا ، ولأنها بلدٌ حـرٌ بعيد عن الحـروب آنئذٍ ، فمهمـا هوجِمَتْ من الخارج يأتيها الهجوم ضعيفاً تُمكِن محاصـرته . مضـافاً إلى أنهـا ـ والمدينـة المنوَّرة ـ مهبط الوحي ، ومحجَّة العالمين ، ومختلَف الملائكة ، ولا مكان مقـدَّساً يليق بـإعلان الثورة المقدَّسة غيرها ، لأن القدس وجميع العواصم العربية تكـون مغطَّاة بـالحروب ، ومكشوفةً لغزوات ماحقةٍ ، فلا يمكن إعلان أيَّة ثورة في أحدها . .

١٤ـ دَوْلَة الحَقّ

. . هكَذا سَمَّاهَا الصَادق عليه السلام :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِيْ الزَّبُوْرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ : أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُوْنَ ﴾[1] .

قال رَسُول اللّه صلى الله عليه وآله :

ـ هذه الأمَّةُ مرحومةٌ . فمنها نبيُّها ، ومنها مهديُّها . بنا فُتِحَ هذا الأمرُ وبنا يُختَم . ولنا مُلْكٌ مُؤَجَّلٌ ، وليس بعدَ مُلْكِنا مُلك ، لأننا أهلُ العاقِبةِ ، والعاقِبةُ للمتَّقين[2] .

(وقد ساله أميرُ المؤمنين عليه السلام مرةً : أَمِنّا ، آلَ محمدٍ ، المهديُّ أم من غيرِنا ؟ . فقال صلى الله عليه وآله :)

ـ لا بَل مِنّا ، يَختم اللّهُ به الدِّين كما فتح بنا . ـ بنا يُنقذون من الفتنة كما أُنقِذوا من الشِّرك . وبنا يؤلِّف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة ، كما أَلَّف بين قلوبهم بعد

(١) الأنبياء ـ ١٠٥ . وقد قال الباقر عليه السلام في مجمع البيان تعقيباً على الآية الكريمة : هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان. وانظر ينابيع المودة ج ٣ ص ٨٠ والإمام المهدي ص ٤٦ وص ٢٦٦ وإلزام الناصب ص ٢٥ عن الصادق عليه السلام .

(٢) الملاحم والفتن ص ٩٥ والصواعق المحرقة ص ٩٧ بلفظ آخر ، والمهدي ص ٩٨ـ ٩٩ ونور الأبصار ص ٢٣١ باختلاف يسير ، وفي مصادر كثيرة متفقة في المعنى متقاربة في اللفظ .

عداوة الشِّرك . وبنا يُصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً ، كما أصبحوا بعد عداوة الشرك إخواناً في دِينهم (١) .

(وقال ﷺ في موردٍ آخر :)

ـ بنا فُتِح الأمر ، وبنا يُخْتَم . وبنا استنقَذَ الله الناس في أول الزمان ، وبنا يكون العدل في آخر الزمان (٢) . .

(وقال الإمامُ الباقر عليه السلام قولاً قريباً من هذا ، حين استحضرَهُ هشام بنُ عبد الملك إلى الشام وتعمَّد توبيخه ، وأمرَ الجالسين معه بالْحَذْوِ حَذْوَهُ ففعلوا . فنهض الإمام أبو جعفرٍ واقفاً وقال لهم بتوبيخٍ :)

ـ أيها الناس : أين تذهبون ، وأين يُراد بكم ؟ ! ! بنا هَدَى الله أولَكم ، وبنا يَختم آخرَكم . . فإن يكن لكم مُلكٌ معجَّل ، فإن لنا مُلْكاً مؤجَّلاً ، وليس بعد مُلكنا مُلك ، لأنَّا أهل العاقبة . يقول الله عزَّ وجلَّ : وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . . فأمر به هشام إلى الحبس ، فافتتن به المساجينُ لِمَا رأوا من دينه وورعه وصدقه وعلْمه وقوَّة حُجَّته ، ولِمَا رأوا من كثرة عبادته وزهده بالدنيا ، فخاف هشام من ذلك ، وأخرجه وردَّه إلى المدينة قبل أن يستوليَ على القلوب (٣) . . ثم جاء عن النبيِّ ﷺ :

ـ المهديُّ يقفو أثري ، لا يُخطىء (٤) . . (وجاء فيه :)

ـ إنَّه مُتَّبِعٌ لا مُبْتَدِع . وإنه مَعصومٌ في حُكمِه يَحْرُم عليه القياسُ مع وجود النُّصوص التي منحه الله تعالى إيَّاها (٥) . (وقال ﷺ :)

---

(١) منتخب الأثر ص ١٥٢ وص ١٨٠ والبيان ص ٨٦ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٩ والبحار ج ٥١ ص ٨٤ وإلزام الناصب ص ٢٥٧ والملاحم والفتن ص ٦٧ وص ١٣٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٦ ونور الأبصار ص ١٧١ وص ٢٣١ والمهدي ص ٧٧ وبشارة الإسلام ص ٢٨٧ .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٣ وص ٢٧٣ وص ٢٧٤ بتفصيل ، والبيان ص ٨٦ بلفظ آخر ، والملاحم والفتن ص ٦٧ وص ١٣٥ وفي البحار ج ٥٢ ص ١٦٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام والمهدي ص ٢٢٦ وص ٢٢٧ عن عقد الدرر .

(٣) الكافي م ١ ص ٤٧١ بتفصيل ، والملاحم والفتن ص ٩٥ ما عدا أوله .

(٤) منتخب الأثر ص ٤٩١ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ والمهدي ص ٢٢٤ والإمام المهدي ص ٢٧١ وص ٣٤٣ وإسعاف الراغبين ص ١٤٥ .

(٥) إسعاف الراغبين ص ١٤٥ .

ـ ويكون عند انقطاعٍ من الزمان وظهورٍ من الفتن رجلٌ يقال له المهديُّ ، يكون عطاؤه هنيئاً (١) .

ـ فحينئذٍ تُظهِرُ الأرضُ له كنوزَها ، وتُبدي بركاتِها ، حتى لا يجد الرجلُ منكم موضعاً لصَدَقتِه ولا لِبِرِّه ، لشمول الغنى جميعَ المؤمنين (٢) . (وقال ﷺ) :

ـ يعمل بسنَّتي ، ويكون عطاؤه هنيئاً ، وينزل بيت المقدِس (٣) .

ـ يقتل أعداء الله حيث ثَقِفَهم ، ويُقيم حدود الله ، ويحكم بحكم الله (٤) .

(وجاء عنه ﷺ أيضاً :)

ـ ثم يكون في آخر أُمَّتي خليفةٌ يحثي المال حَثْياً ، لا يعدُّه عدّاً ، وذلك حين يضرب الإسلام بِجِرَانِه (٥) . . (يعني أنه يعطي الناس بلا حساب بعد توطيد أركان دولته ، فيعمُّ الغنى جميعَ الناس ، ويزول تكالُبهم على الدنيا . ثم قال في حديث آخر) :

ـ تَنعمُ أُمَّتي في دنياه نعيماً لم تَنعم مثله قط ، البِرُّ منهم والفاجر . والمال كدوسٌ ، يأتيه الرجلُ فيحثو له (٦) . (وجاء عن الصادق ؑ بنفس المعنى :)

ـ يقوم الرجلُ فيقول : يا مهديُّ أعطِني . فيقول : خُذْ (٦) . (وقال ﷺ يصف

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٣ وص ١٣٤ وفي مصادر أخرى كثيرة جداً .

(٢) إلزام الناصب ص ١٣٩ وص ٢٢٢ وص ٢٢٣ بلفظ آخر ، وكذلك في مصادر أخرى .

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٢ والبحار ج ٥١ ص ٨٢ بلفظ آخر ، وكذلك في البيان ص ٨٥ وبشارة الإسلام ص ٢٨٥ وص ٢٨٦ وص ٢٩٦ والإمام المهدي ص ١٠٥ .

(٤) بشارة الإسلام ص ٩ والمحجة البيضاء ج ٣ ص ٣٤٠ .

(٥) البيان ص ٨٣ والملاحم والفتن ص ٥٦ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٥ ومصادر أخرى كثيرة .

(٦) البيان ص ٧٣ والملاحم والفتن ص ٥٧ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٣ وص ٢٦٨ وص ٢٧٧ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤١ ومنتخب الأثر ص ٤٧٣ والبحار ج ٥١ ص ٧٦ نصفه الأول وج ٥٢ ص ٣٧٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٧ وص ٩١ وص ١٦٣ نقلاً عن غاية المرام ، والمهدي ص ١٩٩ وإسعاف الراغبين ص ١٣٤ وبشارة الإسلام ص ٢٨٠ وص ٢٩٠ والإمام المهدي ص ٣٠ بلفظ آخر وص ١٠٧ بلفظه ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٦ وص ١٢٧ وص ١٣١ وص ١٣٦ نصفُه الأول وص ٢٥٩ نقلاً عن البيان ومسند أحمد م ٣ ص ٤٨ وإلزام الناصب ص ٥٢ عن الفصول المهمة ص ٢٥٦ نقلاً عن البيان والصواعق المحرقة ص ٩٨ ، والمهدي ص ٢٠٦ .

غنى الناس في عهده الميمون :)

ـ يُفيض فيهم المالَ حتى يَهمَّ الرجلُ بمالِه مَن يَقبلُه منه حتى يتصدّق فيقول الذي يعرِضه عليه : لا أرَبَ لي به [1] . (وجاء عنه ﷺ وعن الصادق عليه السلام :)

ـ يُفيض المال فيضاً ، ويحثو المال حَثْواً ، ولا يعدُّه عدّاً [2] . . (وعنهما أيضاً :)

ـ يقسم المال صِحاحاً (أي بالسويّة والعدل) ويملأ قلوب أمّة محمّدٍ غنىً ، ويَسَعهم عدلُه [3] ! . (وعن الصادق عليه السلام في الموضوع نفسه :)

ـ المهديُّ سَمْحٌ بالمال ، شديدٌ على العمال (أي الموظّفين في دولته) رحيمٌ بالمساكين [4] . . (ثم وصف النبيّ ﷺ غنى الناس في عهده بمناسبةٍ ثانيةٍ فقال :)

ـ يطلب الرجل من يصله بماله ويأخذ زكاتَه فلا يجد أحداً يأخذ ذلك استغناءً بما عند الناس من فضل الله [5] ! .

(وبعدما رأيتَ نقول : ليس في كونه كذلك عَجَب ! . فإنه مرصودٌ لتحقيق العدل الإلٓهي على الأرض مجسَّداً بالإسلام الصحيح . وقد صبرَ نفسه الشريفة على بلاءات قرونٍ وقرون ليكون حُجة الله في الأرض والأمين على العباد . . والعبد الصالح الذي يختاره الله لأمور الناس لا بدّ أن يشرح صدره للحق ، ويودِعَ قلبَه ينابيعَ

---

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ٥٣٠ ومصادر أخرى .

(٢) البيان ص ٨٤ ومنتخب الأثر ص ١٥٩ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٥ والإمام المهدي ص ٢٩٦ .

(٣) منتخب الأثر ص ١٤٧ والصواعق المحرقة ص ١٦٤ والملاحم والفتن ص ٥٧ وص ١٣٦ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦١ وص ٢٦٨ وص ٢٧٣ بألفاظ متقاربة ، وإلزام الناصب ص ٢٥٦ نقلاً عن البيان ، والإمام المهدي ص ٢٦٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٥ نقلاً عن إسعاف الراغبين ، والمهدي ص ٢٢٢ وص ٢٢٥ بلفظ آخر ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٢٨٣ وص ٢٨٤ .

(٤) الملاحم والفتن ص ١٣٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٠ والمهدي ص ٧١ وص ٢٢٦ نقلاً عن عقد الدرر.

(٥) إلزام الناصب ص ٢٣٠ وبشارة الإسلام ص ٢٥٤ .

الحكمة ، ويُلهمه العلْمَ فيجري لسانُه بالحُكم العدل دون أن يَعْيَا بجواب أو يحار في قول الصواب . ولذلك قال الإمامُ الرضا عليه السلام في تعريفِ إمامِ الناس :)

ـ يكون أعلَم الناس ، وأحكمَ الناس ، وأتقى الناس ، وأشجعَ الناس ، وأعبدَ الناس ! . ويَرى مَن خَلْفه كما يَرى مَنْ بين يَديه ، ولا يكون له ظِلّ (١) . (وسترى بيان ما تتعجَّب منه في هذا الخبر عند كلام الباقر عليه السلام عن دولة الحق . . ثم قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ وزراءُ المهديّ من الأعاجم ، ما فيهم عَرَبي ! . يتكلمون العربية ، وهم أخلصُ الوزراء ، وأفضلُ الوزراء (٢) ! . (وقال صلى الله عليه وآله وسلم) :

ـ يأوي إلى المهديّ أمّته كما تأوي النحلُ إلى يَعسوبها . ويسيطر العدل حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول . لا يوقظ نائماً ولا يُهريقُ دماً (٣) . . (وجاء القسم الأخير منه عن الصادق عليه السلام هكذا) :

ـ يُبايَع بين الركن والمقام ، فلا يوقظ نائماً ، ولا يُهريق دَماً (٤) . . (ثم جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) :

ـ يُبايعُ له الناسُ بين الرُّكن والمقام ، ويُيَسِّرُ الله له الدِّين ، ويفتح له الفتوح ، حتى لا يَبقى على وجه الأرض إلاّ مَن يقول : لا إلـه إلاّ الله (٥) . (ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم في وصفِ عدلِه :)

ـ يَبلغ ردُّ المهديِّ المظالمَ حتى ولو كان تحت ضرس إنسانٍ شيءٌ انتزعه حتى

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٠٢ . وج ١ ص١٦٩ .

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٣ وإسعاف الراغبين ص ١٤٤ والإمام المهدي ص ٣٤٤ بلفظ آخر .

(٣) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٣ ومنتخب الأثر ص ٤٧٨ والمهدي ص ٧٨ نصفه الأخير ، والإمام المهدي ص ١٠٧ ـ ١٠٨ نقلاً عن الملاحم والفتن .

(٤) الملاحم والفتن ص ٥١ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٢ والمهدي ص ٢١١ نقلاً عن عقد الدرر .

(٥) بشارة الإسلام ص ٢٥٦ .

يردّه (١) ! . (ورُوي عن الصادق عليه السلام ما يلي) :

ـ ويذهب الزّنى وشُربُ الخمرِ ويذهبُ الرِّبا ، ويُقبلُ الناس على العبادات . وتودّى الأمانات . وتهلكُ الأشرارُ وتبقى الأخيار (٢) . (وقال صلى الله عليه وآله وسلم) .

ـ يفرِّج الله بالمهديِّ عن الأمّة . يملأ قلوب العباد عبادةً ويَسَعهم عَدْله . به يمحق الله الكذِب ويُذهب الزمانَ الْكَلِب ، ويُخرج ذلَّ الرِّق من أعناقكم (٣) . .

(وقال صلى الله عليه وآله وسلم) : يسقيه الله الغيث ، وتُخرِج الأرض نباتاتها ، وتكثُر الماشية ، وتعظُم الأمّة . . ويعيشُ سبعاً أو ثمانياً ، تَنعمُ أمّتي فيه نعمةً لم يَنعموا مثلَها (٤) .

(ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم) : فعند ذلك تفرح الطيور في أوكارها ، والحيتان في بحارها ، وتفيض العيون ، وتنبت الأرض ضِعْفَ أُكلِها (٥) . . (وقال صلى الله عليه وآله وسلم) :

ـ يُحبه ساكن الأرض وساكن السماء . وترسل السماءُ قَطْرها ، وتُخرج الأرض نباتها لا تُمسك منه شيئاً . . يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانياً أو تسعاً ، يتمنّى الأحياءُ الأمواتَ ليَروا العدل والطمأنينة وما صنع الله بأهل الأرض من خيره (٧) ! . (وقال صلى الله عليه وآله وسلم) :

---

(١) منتخب الأثر ص ٣٠٨ والملاحم والفتن ص ٥٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦١ والمهدي ص ٢٣٢ نقلاً عن عقد الدرر .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٧٤ وإلزام الناصب ص ٢٢٨ قريبٌ منه ، وكذلك في الملاحم والفتن ص ٥٤ .

(٣) البحار ج ٥١ ص ٧٥ والملاحم والفتن ص ٥٦ والغيبة للطوسي ص ١١٤ .

(٤) منتخب الأثر ص ٤٧٣ والبحار ج ٥١ ص ١٠٤ قريبٌ منه ، والملاحم والفتن ص ٥٧ والمهدي ص ٢٢٢ بلفظ آخر ، وبشارة الإسلام ص ٢٨٦ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣١ وص ١٣٢ .

(٥) منتخب الأثر ص ٤٧٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٠٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ بلفظ آخر .

(٦) الإمام المهدي ص ٩٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ ومثير الأحزان ص ٢٩٧ وإسعاف الراغبين ص ١٤٠ وبشارة الإسلام ص ٩٩ شيءٌ منه .

(٧) البحار ج ٥١ ص ١٠٤ وفي ص ٧٨ أكثره ، وبشارة الإسلام ص ٢٨ وص ٣١ وص ٢٨٠ وص ٢٨٤ والصواعق المحرقة ص ١٦١ ما عدا آخره ، وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٨ بلفظ مختلف ، والملاحم والفتن ص ٥٥ بلفظ قريب ، وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٢ بلفظ آخر ، وص ٨٧ وص ١٣٥ نقلاً عن إسعاف الراغبين ، وص ١٦٣ نقلاً عن غاية المرام ، والإمام المهدي ص ٦٦ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٧ مبدوءاً بـ : يرضى عنه ساكن الأرض

ـ تَقيء الأرضُ أفلاذ كَبِدها أمثالَ الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء السارقُ فيقول : في مثل هذا قُطِعتْ يدي ! . ويجيء القاتل فيقول : في هذا قَتَلْتُ ! . ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعتُ رَحِمي ! . ثم يَدَعونه فلا يأخذون منه شيئاً[1] . . (وقيل إنّه يقول لهم :)

ـ تعالَوا إلى ما قطعتم فيه الأرحامَ ، وسفكتم فيه الدماءَ ، وركبتم فيه محارمَ الله . فيُعطي شيئاً لم يُعطِهِ أحدٌ كان قبله[2] . (ثم قال ﷺ):

ـ لَيَدْخُلَنَّ هذا الدين ما دخل عليه الليلُ[3] ! . (والليل ـ كما هو معلوم ـ يدخل على الكرة الأرضية بكاملها ، لأنه يتعاقب على جهاتها جميعها مع النهار . . وقد جاء عن الباقر عليه السلام بهذا المعنى حين سئل عن تأويل الآية الكريمة :)

ـ ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِيْنَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُوْنَكُمْ كَافَّةً ﴾[4] ، فقال : لم يجيء تأويل هذه الآية . وإذا قامَ قائمنا بعدي ، يَرَى منه مَن يُدركه ما يكون من تأويل هذه الآية . ولَيَبلغنَّ دينُ محمّدٍ ما بَلغ الليل والنهار حتى لا يكون شِرْكٌ على ظهر الأرض ! . كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَأَصْبَحُوْا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[5] ، وتَعمر الأرض وتصفو ، وتزهو بمهديِّها ، وتجري به أنهارها ، وتعدم الفتن والغارات ، ويكثُر الخير والبَركات[1] ! ! (فأنت ترى باقر العلْم عليه السلام يبيِّن أيضاً أن دين محمّدٍ سيشمل الكرة الأرضية بكاملها ، لأن النهار إذا لفَّ الأرض من جهةٍ ، لَفَّ الليلُ نصفها الآخر من

والسماء ، وص ١٣١ بعضه بزيادة : وينزل بيت المقدس ، وإسعاف الراغبين ص ٣٤ وفي مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨ شيءٌ منه ، والمهدي ص ٢٢١ نقلاً عن عقد الدرر ، وكذلك في ص ٢٢٢ وص ٢٢٥ باختصار .

(١) ينابيع المودة ج ٣ ص ٨٦ والصواعق المحرقة ص ٢٣٥ أولُهُ ، وكذلك في بشارة الإسلام ص ٧١ والمهدي ص ٢٢١ والإمام المهدي ص ٩٧ بعضُه عن ابن عباس .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٣٠ ومصادر كثيرة جداً .

(٣) منتخب الأثر ص ١٦٠ وص ٢٩٤ عن الصادق عليه السلام .

(٤) التوبة ـ ٣٦ ، والأحقاف ـ ٢٥ ، والخبر في ينابيع المودة ج ٣ ص ٧٨ وص ١٣٢ نصفُه الأخير ، والإمام المهدي ص ٤١ـ ٤٢ وإلزام الناصب ص ٢٢ ومنتخب الأثر ص ١٥٧ بلفظ آخر .

(٥) التوبة ـ ٣٦ ، والأحقاف ـ ٢٥ ، والخبر في ينابيع المودة ج ٣ ص ٧٨ وص ١٣٢ نصفُه الأخير ، والإمام المهدي ص ٤١ـ ٤٢ وإلزام الناصب ص ٢٢ ومنتخب الأثر ص ١٥٧ بلفظ آخر .

جهتها الثانية . وهل غير الباقر عليه السلام - في عهده - كان يعرف تعاقُب الليل والنهار على سائر أجزاء الأرض بهذا الشكل ؟ ! ! أجل ، يعرفه هو وأبناؤه ، ويعرفه مِنْ قَبلِه آباؤه وأجدادُه وحدَهم كواقعٍ علميٍّ كشفه الله تعالى لهم دون تجربةٍ وبراهين . .

وقد جاء في وصف توطيد مُلكِه وعدلِه عجَّل الله تعالى فرَجه :)

- ولا يكونُ مُلْكٌ إلاَّ للإسلام ، وتكون الأرض كفاثور الفضّة [1] . (ثم وصف النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم زُهْدَ المهديِّ عليه السلام بالدُّنيا حين قال) :

- يكون من الله على حَذَرٍ ، لا يغترُّ بقرابةٍ ، ولا يضع حجراً على حَجَرٍ ، ولا يَقرع أحداً في ولايته بسوطٍ إلاَّ في حَدّ . يمحو الله به البِدَع كلها ، ويُميت الفتن [2] . .

(وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في حديثٍ ثانٍ) : - يكون في أمّتي المهديُّ ، إن طالَ عمرُه أو قَصُر ملكَ سبعَ سنين ، أو ثمان سنين ، أو تسعَ سنين [3] . (وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً :)

- يَمكث المهديّ فيهم تسعاً وثلاثين سنة . يقول الصغيرُ : يا ليتني كَبرت ! . ويقول الكبيرُ : يا ليتني كنت صغيراً [4] ! . (فيتمنّى الصغيرُ الكِبَرَ ليتذوَّق حلاوَة النعيم في عهده ، ويتمنى الكبيرُ الصِّغر حتى يزدادَ من لذائذ الدنيا وطَيِّباتها الحَلال . . (وورد هذا المعنى عن الصادق عليه السلام بلفظ :)

- يتمنّى في زمنه الصغيرُ أن يكون كبيراً ، والكبيرُ أن يكون صغيراً [5] . .

(ثم جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم) : فيمكثُ في الأرض أربعين سنة [6] . (ثم ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم ما يُلقي الحُجة على سائر البشر في موضوع الولاية) :

---

(١) الملاحم والفتن ص ٦٦ .
(٢) الملاحم والفتن ص ١٠٨ .
(٣) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٧ وإلزام الناصب ص ١٩٢ .
(٤) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٤ والملاحم والفتن ص ٥٦ـ ٥٧ ما عدا أوله .
(٥) الملاحم والفتن ص ٥٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٤ .
(٦) بشارة الإسلام ص ٢٥٥ وإلزام الناصب ص ٢٠٢ .

ـ إني ، وأحدَ عشَر من وُلـدي ، وأنت يـا عليّ ، زرُّ الأرض (يعني جبـالهـا الراسية التي تُمسكها من الزوال) بنـا أوتدَ الله الأرض أن تسيـخ بأهلهـا ! . فإذا ذهب الاثنا عشَر ساخت الأرض بأهلها ولم يُنْظَروا [1] . .

(وذلك حين : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ : يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً [2] ، يَوْمَ زَلْزَلَـةِ السَّاعَة ، إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيْمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَـةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَـرَى النَّاسَ سُكَـارَى وَمَا هُمْ بِسُكَـارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَـدِيْد [3] ، يَـوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْـرَ الأَرْض ، وَالسَّمٰوَاتُ ، وَبَـرَزُوْا لِلَّهِ الْوَاحِـدِ الْقَهَّار [4] ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيْمُ لِمَنْ يَرَى ، يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ، قُلُوْبٌ يَـوْمَئِذٍ وَاجِفَـةٌ ﴾ [5] من هَول المـوقف ، وخوف المـطلع ، وذلّ السؤال ! ! ! ثم جاء عنه ﷺ ما يخفّف الهَلعَ) :

ـ أهلُ بيتي أمانٌ لأهل الأرض ، كما أن النجومَ أمانٌ لأهل السماء [6] .

(والـظاهرُ من مُجمـل الأخبار أن مـدة حُكمه ستكـون قليلة فعـلاً ، ممـا يـطرح مـوضوع التعجُّب والسؤال ، هـل يستطيـع الإمام عليه السلام أن يـوطِّد أركـان دولة الحقّ في الأرض بـطولهـا والعَـرض في هـذا الـوقت القصيـر ، ثم تكـون نمـوذجـاً للعـدل والقسط ؟ ؟ ؟ .

وجوابه : أن الإمام عليه السلام لن يحارِب سوى ثمانية أشهر كما رأيت ، وهو ـ بعدُ ـ قادرٌ على تحقيق ذلك في أقل برهة ممكنة . وقد سبقه جدُّه المصطفى ﷺ إلى أداء

---

(1) الكافي م 1 ص 435 ومنتخب الأثر ص 33 وينـابيع المـودة ج 3 ص 148 بعضُه ، انـظر الغيبة للطوسي ص 92 .
(2) طه ـ 105 .
(3) الحج ـ 1 ـ 2 .
(4) إبراهيم ـ 48 .
(5) النازعات ـ 36 و : 6 ـ 7 ـ 8 .
(6) منتخب الأثر ص 65 وذخائـر العقبى ص 17 والصواعق المحـرقة ص 234 وينـابيع المـودة ج 2 ص 17 وص 148 بلفظ آخر ، والإمام المهـدي ص 29ـ 30 وص 108 : كلها بـألفاظ متقـاربة وبمعنى واحد .

الرسالة بجُملتها وتفصيلها ، ثم أقام أحكام الدين جميعها في غضون ثماني سنوات - أي منذ السنة الثانية للهجرة ، حتى العاشرة منها ، حيث كان لحوقُه بالرفيق الأعلى - فلا عَجَب إذا أعاد الإمام نشر دستور الإسلام ، ثم أقام أحكامه وحقّق العمل به في سنةٍ واحدةٍ بعد استقرار حُكمه ، وبعد حروب دامية مبيدةٍ سبقت عهده ، وتركت الناسَ - كلَّ الناس - أعواناً له على أنفسهم طلباً للراحة والدَّعة والسكينة ، بعد الإفاقة من صَرعه الظلم والويلات ، مضافاً إلى إخلاص عمّاله الأبدال ، وإلى قتل الجشع والاحتكار والضغينة في ظلّ دولةٍ عادلةٍ قيل عنها) :

- وتعكُف الناس على الطاعة والخشوع والديانة [1] .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

- ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي . . . ﴾ [2] آمنين ، لا يخافون أحداً في عبادتي ، ليس عندهم تَقِيَّة : نَزلتْ في القائم ، والذين آمنوا هم الأئمّة [2] . (أما حفيدُه زينُ العابدين عليه السلام فقد بيَّن - أيضاً - الَّذين يعبدون الله آمنين في ظلّ دولة الإيمان ، فقال :)

- هُم واللّهِ محبُّونا أهلَ البيت ، يفعل الله ذلك بهم على يد رجلٍ منّا [3] . (ثم قال أميرُ المؤمنين عليه السلام) :

- هو الشمسُ الطالعةُ من مغربها ، يظهر عند الرُّكن والمقام ، فيطهِّر الأرضَ ويضع ميزانَ العدل فلا يَظلم أحدٌ أحداً [4] . (وقولُه يعني أنه الغائب الذي يرجع بعد غيابه ، كالشمس حين تطلع بعد غيابها . ثم قال عليه السلام) :

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٢ ومنتخب الأثر ص ٤٧٤ بلفظ آخر .

(٢) النور - ٥٥ والخبر في البحار ج ٥١ ص ٥٨ وج ٥٣ ص ٤٧ وبألفاظ مختلفة تؤدي نفس المعنى في : منتخب الأثر ص ١٦١ وص ٢٩٤ ومجمع البحرين ج ٥ ص ٨٥ وإلزام الناصب ص ٢٦ وص ٣٠ وص ٢٣٨ وبشارة الإسلام ص ١٢٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨١ وص ٨٤ .

(٣) الإمام المهدي ص ٤٧ وفي ص ٢٦٧ عن الصادق عليه السلام .

(٤) إلزام الناصب ص ١٨٠ .

ـ ألا إنّ في قائِمِنا أهلَ البيت كفايةً للمستبصرين ، وَعِبْرَةً للمعتبرين ، ومحنةً للمتكبِّرين ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾ : هو ظهورُ قائمنا المغيَّب ، لأنه عذابٌ على الكافرين ، وشفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين [1]. (ثم قال ، وهو يعني المهديَّ عليه السلام) :

ـ لَتعطفَنّ علينا الدنيا بعد شِماسها ، عطفَ الضَّروس على ولدها ! . ثم تلا الآية :

﴿ ونُريدُ أن نَمُنّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ [2] إلخ . . . (وقد عقَّب ابنُ أبي الحديد في كتابه ـ شرح النهج ـ على كلام أمير المؤمنين السابق قائلاً : وإنَّ أصحابنا يقولون : إنّه وعَدَ بإمامٍ يَملك الأرضَ ويستولي على الممالك[2] . . .

وقد كانت الدنيا مع الأئمة عليهم السلام ذات شِماس أيِّ شِماسٍ ! . إذ كانت بَطِرةً عليهم كَبَطَرِ الفرَس إذا كان عَنيداً يمنع ركوبَ ظَهره . . ولكن الإمام عليه السلام أكَّدَ أنها ستعطِف عليهم في آخر الزمان عَطْفَ الناقة السيِّئة الخُلق على وَلَدِها حين تُدركها عاطفةُ الأمومة . . ثم قال عليه السلام في مناسبةٍ ثانية :)

ـ سيأتي الله بقومٍ يحبُّهم ويحبُّونه ، ويملك من هو بينهم غريب ! . يملك بلاد المسلمين بأمان ويصفو له الزمان ، ويُطيعه الشيوخ والفتيان ، وتَعمر الأرض وتَصفو ، وتزهو بمهديِّها . . . وتعدم الفتن ويكثر الخير والبركات [3] ! . (وأيَّةُ غُربةٍ كغربة ذلك الغائب عن قواعده منذ مئات ومئات الأعوام ؟ ! ! وستقرُّ به أعين الفتيان الذين نُلقي عليهم الآن نظرة يأس من العودة إلى حظيرة الدين ، فإذا هم عند خروجه يهرعون لِنُصرته ويحملون سيف النِّقمة بين يدَيه ، ويكونون الأعوان على سحق الظلم وإبادة آثاره . .

وقال فيه عليه السلام في خطبةٍ من خُطَبِه) :

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٩ .

(٢) شرح النهج م ٤ ص ٣٦ وإلزام الناصب ص ٢٣٨ والإمام المهدي ص ٥٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٤ .

(٣) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

ـ . . يَعطِف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى . (أي لا يتّبع هوى النفس فيخالف قواعد الهدى كما يفعل الناس) ويَعطِف الرأيَ على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي ، ويُريهم كيف يكون عدلُ السيرة ، ويُحيي ميّت الكتاب والسنّة [1] ! . (وقال ﷺ في خطبة أخرى) :

ـ يظهر صاحبُ الراية المحمّديّة ، والدولة الأحمديّة ، القائمُ بالسيف والحال ، الصادقُ في المقال ، يمهّد الأرضَ ويُحيي السُّنّةَ والفرض [2] . (ثم قال عن عدله ورأفته بالناس) :

ـ لا يُبقي عبداً مسلماً إلاّ اشتراه وأعتقه ، ولا غارماً إلاّ قضى دَيْنه ، ولا مَظْلَمةً لأحدٍ من الناس إلاّ ردّها . ولا يُقتل عبدٌ إلاّ أدّى ثمنه ، ولا يُقتل قتيلٌ إلاّ قضى عنه دَينه وألْحَقَ عيالَه في العطاء [3] . . (فَلَيَنْزَعَنَّ عن الأرض قُضاة السّوء ، وليَعْزِلَنَّ أُمراءَ الجَور ، ولَيُطَهِّرَنَّ الأرضَ من كل غاشٍّ ، ولَيَعْمَلَنَّ بالعدل ، ولَيَقُومَنَّ بالقسطاس المستقيم إن شاء الله تعالى . . ثم جاء في حديثٍ عن حروبه وانتصاراته) :

ـ . . . حتى لا يَبْقَى قرية (دولة) إلاّ نُوديَ فيها بشهادَة أن لا إلَه إلاّ الله وأن محمّداً رسول الله بُكرةً وعشيّاً [4] . (وورد بلفظه عن الصادق ﷺ ثم جاء عن جدّه) :

ـ ألقائم ينقُض البيت (الكعبة) فلا يَدَع منه إلاّ القواعد . واللّهِ لَيُعَفِّيَنَّ آثار الظالمين بمكة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم . ولَيهدمنَّ مسجد الكوفة ولَيَبْنِيَنّه على بنائه الأول [5] (فالكعبة كانت في عهد إبراهيم ﷺ بطول ٣٠ ذراعاً وعرض ٢٢

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١ ـ ٢٢ ومنتخب الأثر ص ٢٩٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٤ والبحار ج ٥١ ص ١٣٠ والإمام المهدي ص ٨٦ .

(٢) بشارة الإسلام ص ٨٣ والإمام المهدي ص ٨٥ نقلاً عن ينابيع المودة ، وص ٢٧١ ومنتخب الأثر ص ١٥٨ وإلزام الناصب ص ٢١١ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ وإلزام الناصب ص ١٧٦ .

(٤) البحار ج ٥١ ص ٦٠ وبشارة الإسلام ص ٢٦٣ والبيان ص ٩٠ بلفظ آخر ، والإمام المهدي ص ٢٦٤ وص ٢٦٥ ما عدا آخره ، وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٦ وص ٧٨ والمهدي ص ٢٢٨ نقلا عن عقد الدرر .

(٥) البحار ج ٥٣ ص ١١ وص ٨٥ شيء منه والإرشاد ص ٣٤٣ وبشارة الإسلام ص ٧١ نصفه الأخير ، وانظر كتاب «الكعبة» للدكتور محمد مطاوع ففيه بيان أن الكعبة اليوم على غير قواعدها الأصلية .

وجعلها عبد الملك بن مروان ٢٥ ذراعاً بـ ٢٠ تقريباً . . وقال الصادق عليه السلام عند ذكر قواعدها :)

ـ الَّتِيْ هِيَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاس ببَكَّةَ في عهد آدم ، والذي رفعه إبراهيم وإسماعيل منها : إن الذي يُبني بعدهما ، لم يَبْنه نَبيٌّ ولا وصيّ ، ثم يَبْنيه كما يشاء الله . . ولَيَهدمنَّ القصر العتيق [١] . . (ثم جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام :)

ـ طوبَى لمن شهد هدم مسجد الكوفة مع قائم أهل بيتي ! . أولئك خيارُ الأمَّة معَ أبرار الْعِترة [٢] ! . (وقال عليه السلام في حديث عنه) :

ـ ومسكنُه وأهل بيته الرَّحبة التي إنما كانت مسكن نوح ، وهي أرض طيِّبة . . ولا يسكن رجلٌ من آل محمَّدٍ ولا يُقتل إلَّا في أرضٍ طيِّبةٍ زكيَّةٍ ، فهم الأوصياء الطيِّبون [٣] ! . (ثم وصف ازدهار العمران في عهده فقال) :

ـ لَتَصِلَنَّ الكوفَة بالحيرة ، حتى يباعَ الذراعُ فيما بينهما بدنانير . . ولَيُبْنَيَنَّ في الحيرة مسجدٌ له خمسمئة باب ، يصلّي فيه خليفة القائم ، لأن مسجد الكوفة يضيق عليهم [٤] .

(ومن غريب أسرار هذا الحديث الشريف أن الحيرة ـ أي النجف الأشرف ـ قد كادت تتصل بالكوفة وأنا أكتب هذه السطور ، وقد صار ذراع الأرض فيما بينهما يباع بدنانير تزيد سنةً بعد سنة وشهراً بعد شهر ! . وقد صرَّح به أمير المؤمنين عليه السلام يوم كان الدينار عزيزاً نادراً ، ويوم كانت قطعة الأرض الواسعة تساوي دراهم معدودةً وكان الناس فيها من الزاهدين ! . فمن أين لأبي الحسن بهذا القول ! . كلُّنا نعرف . . ولكن بيننا من يعبد الله على حرف ! .

ثم تحدَّث عن عهد وَلده عجَّل الله تعالى فرَجه ، ثانية فقال) :

---

(١) إلزام الناصب ص ٢١٦ ـ ٢١٧ والبحار ج ٥٣ ص ١١ وبشارة الإسلام ص ٢٧١ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٢٠٧ مع تفصيل ، وص ٣٩ نصفه الأخير .
(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٢٥ وإلزام الناصب ص ١٧٦ .
(٤) البحار ج ٥٢ ص ٣٧٤ وبشارة الإسلام ص ٢٤٨ وص ٢٠٦ شيء منه .

ـ كأني بالعجم فساطيطُهم في مسجد الكوفة ، يُعلِّمون القرآن كما أُنـزل [1] .

(ولا يعني قولُ عليٍّ عليه السلام هذا ، أكثرَ من إظهار المصحف الذي جمعه هو نفسُه بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم عرضه على الصحابة فلم يقبلوه كما سترى مكرَّراً . ثم قال عليه السلام متحدِّثاً عن نفس (الموضوع) :

ـ فواللّهِ لكأني انظرُ إليه بين الركن والمقام ، يبايع الناس بأمرٍ جديد ، وكتاب جديد ، وسلطانٍ جديد من السماء [2] .

(والحقيقةُ والواقعُ هما أن كتابَه القرآنُ الكريم . ولكنَّ هذا القرآنَ يكون عند ظهوره المبارك قد صار جديداً ، أي بالياً ـ كما ترى في الصفحة التالية إن شاء الله ـ قد تعطلتْ أحكامُه وأصبح بنظر أهل القرآن كتاباً يستحقُّ التعليقَ على الجدران والوضعَ على الرُّفوف من أجل البركة . والإمامُ المنتظَرُ عجَّل الله تعالى فرَجه هو الذي يُحيي أحكامَه ، ويفرضها على الناس بعد أن هجروه واستعملوه أغانيَ للحزن وعلامةً على الموت ! . وكذلك سلطانُ الإسلام فإنه يكون بالياً رثّاً بعد أن أحلَّ المسلمون القمارَ والسُّكرَ واللِّواطَ والزواجَ المدنيَّ وتحديدَ النّسل دون علّةٍ ، وجوَّزوا لأنفسهم غيرَ ذلك الكثيرَ الكثيرَ من البوائق المُخزِيَة ! . ولهذا قال مكرراً) :

ـ إذا خَرَج يقوم بأمرٍ جديد ، وكتاب جديد ، وسنَّة جديدة ، وقضاءٍ على العرب شديد ! . وليس شأنُه إلاَّ القتل ، لا يستبقي أحداً ولا تأخذه في الله لَومةُ لائم [3] ! .

(وقد روي هذا بلفظه عن الباقرَين عليهما السلام . والقرآن الجديد والسنَّة الجديدة هما القرآن نفسه وسنَّة محمَّد صلى الله عليه وآله ذاتُها . فهما جديدان ـ أي باليان ـ لا يُعْمَلُ بأحكامهما ، وقد انقطع الناس عن الالتزام بأوامرهما ونواهيهما وصارا مهجورَين .

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٧١ وإلزام الناصب ص ١٣٩ وص ٢٢٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ وبشارة الإسلام ص ٢٣٤ نصفُه الأول .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٩٥ وص ١٢١ رُوي عن الصادق عليه السلام ، وفي إلزام الناصب ص ٢٢٣ عن الباقر عليه السلام .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٣٥ وص ١٢٣ عن الباقر عليه السلام وفي البحار ج ١ ، ص ١٣٥ عن الصادق عليه السلام نصفُه الأول ، وج ٥٢ ص ٢٣١ وص ٢٩٢ وص ٣٥٤ وبشارة الإسلام ص ٩٢ وص ١١٠ وص ٢٢٤ وإلزام الناصب ص ١٨٩ وص ٢٠٨ وص ٢٢٩ .

فالجديد هنا بمعنى الدارس البالي ، وبهذا المعنى قال الشاعر العربيّ قديماً :

أَبَى حُبِّي سُلَيْمَى أن يَبِيدا وأمسى حَبْلُها خَلَقاً جَديداً

أي أن حُبّ الشاعر لحبيبته باقٍ رغمَ أن حَبْلَ العلاقة بينهما قد صار بالياً مقطوعاً . أمّا الإمام الصادقُ عليه السلام فقد قال في الموضوع) :

ـ وَاللّهِ لَكَأني أنظُرُ إليه بين الرُّكنِ والمقام يبايعُ الناسَ على كتابٍ جديدٍ على العَرَب شديد ! . ويلٌ لِطُغاةِ العرب من شرٍّ قد اقترب [1] ! .

(ونُلاحظُ أنّهُ ـ كجدِّه ـ لم يَقُل : على المُسلمينَ شديد ، بل استعمل لفظة : العرب ؛ وهو يقصد مُسْلِمي زمانِنا من العرب الذي هَجَروا الدِّين ولم يُقيموا له وزناً ، وتمسّكوا بقوميةٍ عربيةٍ موهومةٍ لم يحفظوها أيضاً ، وتحكّمتْ بهم العصبياتُ الجاهلية . فلا بُدَّ من أن تتحرَّكَ عندهم روحُ العصبيّة الوثنية حين رَدِّ القرآنِ إلى ما أُنزِل ، وحين فرض أحكامه بالقوة والسلطان . ولذلك قال الإمامُ الباقرُ عليه السلام :)

ـ إن صاحب هذا الأمر لو ظهرَ ، لَقِيَ من الناس مثلَ ما لَقِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر [2] ! . (ومن أجل ذلك قال جدُّه أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً) :

ـ كأنّي أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة ، وقد ضربوا الفساطيط ، يعلّمون القرآن كما أُنزل ! . أمَا إنَّ قائمنا إذا قام كسره (أي هدمه) وسوّى قِبلَتَه [3] ! . (وقال أيضاً :)

ـ إذا قامَ قائمُ آل محمدٍ ضربَ فساطيطَ يعلّم القرآن على ما أُنزلَ الله عزَّ وجلَّ ! . فأصعب ما يكون على مَن حَفِظَهُ اليومَ ، لأنه يخالِفُ فيه التأليف [4] . . (وقد رُوي هذا عن الباقر عليه السلام مبدوءاً هكذا :)

ـ وإذا قام قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ضرب فساطيطَ لمن يعلّم الناس القرآن على ما أنزل الله جلَّ جلاله ، فأصعب ما يكون [5] . . إلخ . . . (وفي هذا الخبر تصريح

---

(١) بشارة الإسلام ص ٢٠٥ وإلزام الناصب ص ١٣٧ وص ١٧٩ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٥٩ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٢ .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٧٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٤ وبشارة الإسلام ص ٢٣٣ .

(٤) الإرشاد ص ٣٤٤ عن الباقر عليه السلام ، وبشارة الإسلام ص ٢٣٤ .

(٥) إلزام الناصب ص ٢٢٣ والإرشاد ص ٣٤٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٩ .

بأن القائم عليه السلام يخالف تأليف القرآن الحالي ـ إذا صحَّ سند الحديث ـ فيغيِّر ترتيب السور والآيات بحسب ما أنزلها الله تعالى ، ولا يجيء بنصوصٍ جديدة لا يعرفها المسلمون ولا تعوَّدوا قراءتها بين دفَّتي المصحف الشريف الذي بين أيديهم الآن . ومَسيرِدُ ما يوضح الأمر أكثر فأكثر ، فقد قال الصادق عليه السلام في الموضوع) :

ـ كأنّي بشيعة عليٍّ في أيديهم المثاني (أي القرآن الكريم) يعلِّمون الناس المستأنَف [1] . (أي أجزاءَ القرآن كما استؤنِف ترتيبُها بحسب النزول . ثم قال الصادق عليه السلام أيضاً :)

ـ كيف أنتم لو ضرب أصحابُ القائم القساطيط في مسجد كوفان ، ثم يُخرِج لهم الْمِثال المستأنَف ؟ ! ! أمرٌ جديدٌ ، على العرب شديد [2] ! . (والمستأنَف هو النموذَج المردود إلى الأصل . ولا بدَّ أن يكون شديداً على العرب من ذوي العصبيَّات الْقَبَلِيَّة فيما لو تضمَّن ذِكْرَ اسمٍ غيرِ أبي لَهَب مثلاً . ولذلك استعمل النبيُّ وأهلُ بيته لفظة : العرب ، ولم يستعملوا لفظة : المسلمين ، لأن ما أنزل الله لا يكون شديداً على مسلم يؤمن به وبرسُلِه وكُتُبه . ثم جاء عن الصادق عليه السلام قولُه الذي يكشف الزوايا الغامضة التي ضَلَلنا حولها في الموضوع :)

ـ إذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عزّ وجلّ على حَدِّه ، وأخرج المُصحف الذي كتبه عليٌّ عليه السلام [3] . (وقال عن ذلك المصحف الشريف :)

ـ أخرجه عليٌّ إلى الناس حين فرَغ منه وكَتَبه ، فقال لهم : هذا كتابُ الله عزّ وجلّ كما أنزله الله على محمّد صلى الله عليه وآله فقد جمعتُه من اللَّوْحَين (أي من الدَّفَّتين اللَّتين تضمَّانه من أوله إلى آخره) فقالوا : هُوَذا عندنا مُصحفٌ جامعٌ فيه القرآن ، لا حاجة لنا فيه ! ! ! فقال : أمَا والله ما تَرونه بعد يومكم هذا أبداً ! ! ! إنما كان عَلَيَّ أن أُخبركم حين جمعتُه لتقرأوه [4] . (وقد ورد الجزء الأول من هذا الخبر عن

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٦٤ والغيبة للنعماني ص ١٧٢ وبشارة الإسلام ص ٢٣٤ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٢٣٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣١٨ وص ٣٦٥ والغيبة للنعماني ص ١٧٢ .
(٣) الكافي م ٢ ص ٦٣٣ .
(٤) الكافي م ٢ ص ٦٣٣ .

الباقر عليه السلام . . ويتضح أن المهديّ عليه السلام لن يَعدوَ في القرآن نسخة جدّهِ أمير المؤمنين عليه السلام التي هي قول الله الذي أنزله على جدّهِ الأعلى صلوات الله عليه مرتّباً حسب النزول . .

ثم ذكر أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً عن عدل ولده المنتظر عجّل الله فَرَجه ، وعن الأمن في دولته فقال :)

ـ يَملك المهديُّ مشارقَ الأرض ومغاربَها ، وترعى الشاةُ والذئبُ في مكانٍ واحد ، ويَلعب الصِّبيانُ بالحيّات والعقارب ولا تَضرُّهم بشيء ، ويذهب الشرُّ ويَبقى الخير (١) .

(وجاء عن ابن عباس بهذا المعنى :) ـ لا يَبقى صاحبُ ملّةٍ إلاّ صارَ إلى الإسلام ، حتى تأمَنَ الشاةُ من الذئب ، والبقرُ من الغنم ، والإنسانُ من الحيّة ، وحتى لا تَقرض الفأرةُ جِراباً ، وذلك عند قيام المهديّ (٢) . (ثم وردَ عن أمير المؤمنين عليه السلام قولُه :)

ـ فَمَن أحيَى أرضاً من المسلمين فَلْيَعمرها ولْيُؤدِّ خراجَها إلى الإمام من أهل بيتي . وله ما أكل منها حتى يظهر القائمُ من أهل بيتي بالسيف ، فيَحويها ويمنعُها ويُخرجهم منها كما حواها رسولُ الله صلى الله عليه وآله ومنَعَها ، إلاّ ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم ، ويترك الأرض في أيديهم (٣) .

قالَ الإمَام الحسَن عليه السلام :

ـ تَصطلح في مُلكه السِّباع ، وتُخرِج الأرض نَبْتها ، وتُنزل السماء بَركتها ، وتظْهَر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقَين (أي الشرق والغرب) فطوبَى لمن أدرك

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٧٤ والزام الناصب ص ١٣٩ وص ١٤٠ وص ٢٠٢ وص ٢٢٧ بلفظ آخر وتفصيل ، وص ٢٢٨ وص ٢٣٩ أيضاً ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٧٢ والمهدي ص ٢٣١ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٢٧٩ .
(٣) الكافي م ١ ص ٤٠٧ والزام الناصب ص ٢١ عن الباقر عليه السلام وص ٢٣٦ .

أيامه ونسمع كلامه (1) ! . (واصطلاحُ السباع وما أشبهه ، يدل على العدل والطمأنينة ، وقد نصَّت عليه كتب اليهودية والمسيحية قبل الإسلام كما سترى قريباً (2) . . ثم قال :)

ـ أسعدُ الناس به أهل الكوفة (3) . (أي في عهده ، لأنها تكون عاصمة الدنيا . .

ثم جاء عن الحسن السِّبط عليه السلام ما يُشير إلى شأن هذه العاصمة في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى :)

ـ لَموضِعُ ٱلرِّجْل في الكوفة أحبُّ إليَّ من دارٍ في المدينة (4) ! .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

(قال في تأويل الآية الكريمة :) ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ الصَّالِحونَ هُم آلُ محمد ، والعابدون هم شيعتُنا (5) . (وقال عليه السلام عن الثورة المباركة والدَّولة المحمَّديَّة :)

ـ كأني بدينكم هذا لا يزال مولِّياً يفحص بدمه ، ثم لا يردّه عليكم إلاَّ رجلٌ منَّا أهلَ البيت ، فيعطيكم في السنة عطاءَين ، ويرزقكم في الشهر رزقَين . وتؤتَون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لَتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنّة

---

(1) البحار ج 52 ص 280 وبشارة الإسلام ص 197 وص 71 عن أمير المؤمنين عليه السلام ومثله في ص 247 ، وكذلك ص 261 ومنتخب الأثر ص 487 وينابيع المودة ج 3 ص 136 بعضه نقلا عن إسعاف الراغبين، والإمام المهدي ص 97 عن ابن عباس ، وفي إلزام الناصب ص 179 ختمه بقوله : طوبى لمن أدرك زمانه ، ولَحِق أوانَه ، وشهِدَ أيّامه ! . .

(2) انظر شيئاً وافياً بالموضوع في ينابيع المودة ج 3 ص 78 .

(3) بشارة الإسلام ص 183 وص 253 وص 278 و279 ومنتخب الأثر ص 488 وإلزام الناصب ص 192 والحاوي للفتاوي ج 2 ص 138 وإسعاف الراغبين ص 142 والبحار ج 52 ص 330 وص 390 وج 53 ص 11 والإمام المهدي ص 74 وص 342 والملاحم والفتن ص 149 وينابيع المودة ج 3 ص 37 وص 62 وص 110 وص 132 و167 .

(4) البحار ج 52 ص 386 وبشارة الإسلام ص 249 .

(5) إلزام الناصب ص 237 .

رسوله ﷺ [1] .

(والدين اليومَ يتخبّط بدمه ويفحص برجلَيه كمن يحتضر ، وقد ولّى أو كاد بعد أن هجر الناس أصوله وفروعه ، وبعد أن كانت المدية التي تَنحره بأيدي المسلمين لا بأيدي أعدائه . . ولن يردَّه إلى الأرض وقوفُ الواعظين وراء مكبّرات الصوت في مجالس الإرشاد ولا تزويقُ الكلام وتَفويف اللفظ ممّن يأمرون بالمعروف ولا يَعملون به ، وينهَون عن المنكر ويرتكبونه ! . وسيفُ القائم ـ وحدَه ـ صار المنتظَر الوحيدَ لردِّ الناس إلى الصراط السويِّ بعد حالة الضياع التي نعيشها والتي قال عنها باقر العلم عليه السلام :)

ـ إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد (أي تسلّط عليهم) فجمع به عقولهم ، وكَمُلَت به أحلامهم ، ثم مدَّ الله في أبصارهم وأسماعهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم حجاب (مانع) يريد يكلّمهم فيسمعون ، وينظرون إليه وهو في مكانه ! [2] .

(فلْيَتفضّل من يتعلّم في المعاهد وحلقات الدرس الجامعية نزراً يسيراً من العلم ، ثم يتسلّح بلقبٍ علْميٍّ أو شهادةٍ مسجّلةٍ يعود بها إلى مجالس الكلام ، فيعقد رجلَيه وينفخ صدره ، ويحكي بعينَيه ويشير بيديه مُدِلاً بعظمته وسعة علمه ـ أقول : ليتفضلْ صاحبُ الألقاب الذي ضبْعه عِلْمُه فيشرح لنا هذا الخبر الذي حكاه الإمام الباقر عليه السلام منذ ألفٍ وثلاثمئة وخمسين سنة ، يُحدِّثنا فيه عن عهد آبنه الذي لا يحول فيه حائل بين الأمير ورعيّته ، فهم «يسمعونه ويرَونه ، وهو في مكانه» ! ! ! وسنطلب من صاحب أعلى الألقاب العلمية في دنيانا اليوم أن يتجرّأ فيحدِّثنا عمّا يجري على الناس بعد أن ينفجر عمود الصبح إن كانوا في الليل ، أو قبل أن يُخيِّم عليهم الظلام إن كانوا في النهار ! ! !

---

(1) الغيبة للنعماني ص ١٢٥ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٢ وص ٣٩٠ بعضه ، وبشارة الإسلام ص ٢٢٩ وص ٢٤٢ وص ٢٤٩ وص ٢٥٣ نصفه الأول ، والإمام المهدي ص ٢٧١ وإلزام الناصب ص ٢٣٠ ما عدا آخره .

(2) بشارة الإسلام ص ٢٥٤ وص ٢٣٩ أوله ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٨ وص ٣٣٦ نصفه الأول ، ومثله في الغيبة للنعماني ص ٤ ، ومنتخب الأثر ص ٤٨٣ وإلزام الناصب ص ١٣٩ بمعناه .

فلا تشرِّق ولا تغرِّب أيها القـارىء العزيـز . . إن هؤلاء قومٌ من عِلْم الله عِلْمهم شئنا أن نعترف بذلك أم أبَيْنا ، دَفَعتهم الغاياتُ عن مراتبهم أم أقرّت لهم بها . .

وهُم ـ بعدُ ـ لا يَعلمونَ الغيبَ ، ولا يُشاركون الله تعالى في عِلْمه . ولذا غضبَ الإمـامُ الصادقُ ﷺ حين قـال له سـدير الصيـرفيُّ : إن قوماً يـزعمـون أنكم آلهـة ، وقال :)

ـ يا سدير . سَمْعي وبَصَري وبشـري ولَحمي ودَمي وشعري من هؤلاء بـريءٌ ، وبَرِيءَ اللّهُ منهم ورسولُـه ! . ما هؤلاء على ديني ولا دين آبـائي ! . واللّهِ لا يَجمعني اللّهُ وإيّاهم يومَ القيامة إلاّ وهو ساخط عليهم ! . نحنُ خُزّانُ عِلْمِ الله ، نحن تراجمـةُ أمرِ الله ، نحن الْحُجّةُ البـالغة على مَن دونَ السمـاء وفوقَ الأرض [1] . . (وقـد قال جدُّهم أميرُ المؤمنين ﷺ مفسّراً لهذه الناحية من مواهب الله ومِنَحِه :)

ـ . . إنّا أُعْطِينا عِلْمَ المنايا والبلايـا ، والتأويـلَ والتنزيـلَ ، وفصلَ الْخِطاب ، وعِلْمَ النّوازل والوقائع ، ولا يَعْزُبُ عنّا شيءٌ [2] . (وكان الصادقُ ﷺ قد قال :)

ـ إن المؤمن في زمـان القائم ، وهـو في المَشـرق ، لَيَـرى أخـاه الـذي هـو في المغرب ، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه في المشرق ! [3] .

(فما أعظمَ هذَين الإمامَين اللّذَين تخطّيا معقولَ زمانهمـا ، وبَرهنـا على معرفـة كل ما كان وكل ما سيكون في مجال كل علْم ! .

ثم كشفـا لنا عن مَـدّ السمع ومَـدّ البصر من أقصى المعمـور إلى أقصاه قبـل أن يكون ذلك بدهرٍ طويل ! . فكأني بهما ، وبسائر الأئمة ﷺ قد وضعـوا أيديَهم على الهـاتف الذي يَنقـل صورة المتكلّم ، وعلى التلكس والتلفـزيون وسـائر أجهـزة العصر الحديث الذي يسبق ظهـور قائمهم المـظفّر ، أو كـادوا يصرّحـون بتوصّـل أجيالنـا إلى ذلك ! . فأين من يَعقل ؟ . وأين من يستمع بكل جوارحه إلى هذه النُّخبة الممتازة عن مخلوقات الله ! ! ! .

---

(١) الكافي م ١ ص ٢٦٩ وص ١٩٢ آخره ، وإلزام الناصب ص ٨ .
(٢) إلزام الناصب ص ٢١٣ وص ٢٤٤ .
(٣) بشارة الإسلام ص ٢٥٤ ومنتخب الأثر ص ٤٨٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٩١ .

هَا الله . . لقد كفى ضياعاً للناس . . وكفى وَضعاً للشيء في غير محلّه ! .

وقد قال الباقر عليه السلام معقّباً على الآية الكريمة) :

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ، أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ ، وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (١) : هذه لآل محمّد إلى آخر الأئمة . والمهديُّ وأصحابُه يملّكهم اللّهُ مشارق الأرض ومغاربها ويُظهر الدين . ويُميت الله عزّ وجلّ به وبأصحابه الْبِدَع والباطل كما أمات السَّفَهَةُ الحقّ ، حتى لا يُرى أَثَرٌ من الظلم والبدع (١) . (ورد عن الصادق عليه السلام ما يُشبهه في اللفظ ويَدور في فَلَكِ معناه . ثم قال الإمامُ الباقرُ عليه السلام :)

ـ إنّها ـ أي الأمّة ـ لم ترعَ حقّ نبيّها . والله لو أخذوا الحقّ عن أهله لَمَا اختلفَ في اللّهِ اثنان (٢) ! .

(وجزى الله الأئمة الأطهار عنّا كلّ خير ، فإنهم كلّما غمطهم الظلَمةُ حقّهم ازدادوا رِفعة . . وكلّما حاول التاريخ « الموضوع » طمسَ حقيقتهم ازدادت تألُّقاً يبهر البصائر قبل الأبصار ! . فهم معالمُ الحقّ وحَمَلَتُهُ ، ورُواة حديثهم أُمناء الدين ونَقَلَتُهُ ، لأنهم أوصلوا لنا كلّ شيء . ـ كلّ شيء ـ دون أن يعرفوا تعليلَه الميسورَ ودون أن يشكّوا في شيء لم يعرفوا تعليلَه . . ثم قال الباقر عليه السلام في حديث سبق أوّله في موضوع : يوم الخلاص أثناء الزحف المبارك :)

ـ . . فإذا كانت الجُمُعة الثانية ـ من دخوله إلى الكوفة ـ قال الناس : يا ابن رسول الله : الصلاة خَلْفك تضاهي الصلاة خَلْف رسول الله ، والمسجد لا يَسعنا . فيقول : أنا مرتادٌ لكم . . فيخرج إلى الغَريّ ـ النجف الأشرف ـ ويصلّي هناك ـ في رحاب جدّه أمير المؤمنين ـ ويأمر أن يُخطّ مسجدٌ له ألف باب ، يَسَع الناس ، على أصيص (أي بناءٍ محكَم) . . ويأمر فيُحفر خَلْفَ القبر الحسينيّ نهرٌ يجري إلى الغَريّين حتى يَنْبِذ بالنجف . ويعمل على فوهته قناطرَ وأرْحاء (مطاحن) في السبيل (الطريق العامة) . وكأني بالعجوز على رأسها مِكْتَلٌ فيه بُرٌّ (قمح) حتى تطحنه بلا

---

(١) الحج ـ ٤١ ، والخبر في البحار ج ٥١ ص ٤٧ وإلزام الناصب ص ٢٥ وص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٠ والإمام المهدي ص ٤٦ وص ٢٦٦ وص ٢٧٢ .

(٢) إلزام الناصب ص ٢٩ .

كِراء . ثم تتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء [1] ! . (ورد عن الصادق عليه السلام بلفظه ، ثم قال أبوه :)

ـ إذا قام مهديُّنا أهلَ البيت ، قَسَم بالسويَّة وعدلَ بالرعيَّة (وفصل في القضية) . فمن أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله [2] ! . (وقال :)

ـ إذا قام القائم سار إلى الكوفة وهدم بها أربعة مساجد ، ولم يَبْقَ مسجد على وجه الأرض له شُرَفٌ إلَّا هدَمها وجعلها جَمَّاء [3] . (وقال عليه السلام :)

ـ يحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل ، وبين أهل الزبور بالزَّبور ، وبين أهل القرآن بالقرآن ، ويُجمع إليه أموالُ الدنيا من بطن الأرض وظهرها ، فيقول للناس : تعالَوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام ، وسفكتم فيه الدم الحرام ، وركبتم فيه ما حرَّم الله عزَّ وجلَّ ، فيُعطي شيئاً لم يُعطِه أحدٌ كان قبله ، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً ، كما مُلِئَتْ ظُلماً وجَوْراً وشرّاً [4] . . . (ولا تعجب من ذلك فقد قال أميرُ المؤمنين عليه السلام :)

ـ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الوِسادَةُ لَحَكَمْتُ بين أهل القرآن بالقرآن حتى يُزْهِر إلى الله ، ولَحكمتُ بين أهل التوراة بالتوراة ، حتى يُزهرَ إلى الله ، ولَحكمتُ بين أهل الإنجيل

---

(١) بشارة الإسلام ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ وإعلام الورى ص ٤٣٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ باختصار ، وص ٧٨ قال الباقر عليه السلام : وتخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد . وإلزام الناصب ص ٢٢٢ وص ٢٣٠ بلفظ آخر ، والإرشاد ص ٣٤١ وص ٣٤٢ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣١ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٢٤ وبشارة الإسلام ص ٢٤٢ وص ٢٩٧ ما عدا آخره ، ومنتخب الأثر ص ٣١٠ والبحار ج ٥١ ص ٢٩ وج ٥٢ ص ٣٥١ وإلزام الناصب ص ٥٥ والمهدي ص ٩٥ وص ٢٢٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٣٧ وص ٦٢ وص ١٣٢ والإمام المهدي ص ٢٧١ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٢٣٥ وإلزام الناصب ص ٢٢٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥١ وص ٣٩٠ نصفه الأخير ، وإعلام الورى ص ٤٣٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٠٨ بلفظ آخر .

(٤) البحار ج ٥١ ص ٢٩ وج ٥٢ ص ٣٥١ وص ٣٩٠ نصفُه الأخير ، ومنتخب الأثر ص ٣١٠ أوله ، وبشارة الإسلام ص ٢٤٢ وص ٢٥٤ نصفه الأوسط ، والإمام المهدي ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ما عدا أوله ، والغيبة للنعماني ص ١٢٤ وإلزام الناصب ص ٥٥ وص ١٤٢ وص ٢٢٣ وص ٢٣٠ ما عدا أوله .

بالإنجيل حتى يزهرَ إلى الله ، ولَحَكَمْتُ بين أهل الزَّبور بالزَّبور حتى يُزهرَ إلى الله [1] !.

(ثم نعود فنُذكِّر القارىء بأنَّ حُكمهم لكل أهل كتابٍ بكتابهم لا يَعني إقرارَ أهل الكتاب على أديانهم ومذاهبهم . ولكنه يحاجُهم بكُتبهم ويَحُجُّهم ويثبت لهم أنَّ الدِّين عند الله الإسلامُ الذي بَشَّرت به جميع الكتب السماوية ، ثم يَعفو عمَّن يؤمن ، ويَقتل من يُصِرُّ على الكُفر والعِناد حتى من أفراد وجماعات الأمة الإسلامية والمُدَّعين بأنهم أهل القرآن الكريم كما صرَّح الإمامُ الباقر عليه السلام في هذا الحديث . ثم قال يصف أئمة الهدى عليهم السلام :)

- إنَّا لَنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق [2] . (وقال :)

- إذا قام القائمُ عَرَضَ الإيمانَ على كلِّ ناصبٍ ، فإن دخل فيه بحقيقةٍ وإلاَّ ضَرَبَ عُنقه [3] . (وإن أمير المؤمنين عليه السلام قد فسَّر لنا معرفتهم للناس بحقيقة الكُفر والإيمان إذ قال :)

- ألسماواتُ والأرضُ عند الإمام ، كَيَدِهِ من راحَتِهِ ، يعرف ظاهرَها من باطنها ، ويَعلم برَّها من فاجرها [4] (ثم جاء عن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام ، قولُهما :)

- إن الدنيا لَتُمثَّل للإمام مثل فلقة الجوز ، فلا يعزب عنه منها شيء . وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدُكم من فوق مائدته ما يشاء [5] .

(ثم قال الباقرُ عليه السلام عن المهديِّ عليه السلام خاصةً :) إن العلْم بكتاب الله عزَّ وجلَّ وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم لَيَنْبُت في قلب مهديِّنا كما يَنْبُت الزرع على أحسنِ نباته [6] . . (ولا عَجَبَ في ذلك ، فهو مُحَدَّثٌ مفهَّم . . بل لو عاش واحدٌ عاديٌّ منَّا مثل عُمره الطويل

---

(١) إلزام الناصب ص ٧ وشرح النهج م ٣ ص ١٤٨ .
(٢) الكافي م ١ ص ٤٣٨ .
(٣) بشارة الإسلام ص ٢٣٩ وص ٢٦١ .
(٤) إلزام الناصب ص ١١ .
(٥) الاختصاص ص ٢١٧ .
(٦) منتخب الأثر ص ٣٠٩ والبحار ج ٦٢ ص ٣١٧ - ٣١٨ .

يستفيد من تجاربه ، ويدرس ويتعلّم ويجتهد ، لَنَبَتَ العلم في قلبه وأزهر وأثمر واستوى على السُّوق ! . ثم قال عليه السلام :)

ـ يدعو الناس إلى كتاب الله وسنّة نبيّه والولاية لعلي بن أبي طالب والبراءة من عدوه [1] . (عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وآله المتواتر الذي روته كافةُ الفِرَق الإسلامية بالطُّرق الصحيحة . . ثم قال متحدثاً عن عدله سلامُ الله عليه :)

ـ إذا ظهرَ القائم ودخل الكوفة ، يردّ السواد إلى أهله [2] . (والسواد هو القرى والأرياف التي اغتُصِبت حول الكوفة وفي غيرها من بقاع الأرض . . وقد قال له أحد أصحابه يوماً : إن أصحابنا بالكوفة جماعة كثيرة ، فلو أمرتهم لأطاعوك واتّبعوك ، فأجابه الإمام بما يشرح به لفظة الصاحب قائلاً :)

ـ يجيءُ أحدُهم إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجتَه ؟ . فقال : لا . قال : هم بدمائهم أبخل ! . ثم قال : إن الناس في هُدنة تناكحُهُم وتوارثهم ، وتُقيم عليهم الحدود ، وتؤدّي أماناتهم ، حتى إذا قام القائم جاءت المزامَلَة ، ويأتي الرجل إلى كيس أخيه فيأخذ حاجته ، لا يمنعه [3] . . (وقد ورد عن الصادق عليه السلام بلفظه . . والمزامَلَة هي المرافَقة الحقّة والصُّحبة الأكيدة . . ثم وصف هيمنتَه على الحُكم في أرجاء المعمور فقال :)

ـ كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقَين (أي الشرق والغرب) ليس شيءٌ إلاّ وهو مُطيعٌ لهم يطلب رضاهُم : من سِباع الأرض وسِباع الطير ، تطلب رضاهم في كل شيء حتى تَفخر الأرضُ على الأرض وتقول : مَرَّ بِيَ اليومَ رجلٌ من أصحاب القائم ! [4] . (ومَا أدراك أن يكون قد حمَّل لفظة : السِّباع ، أكثر من معنىً ، فقصد بها ـ إلى جانب المعنى المعروف ـ سِباعَ المحاربين بالوسائل الأرضيَّة والجوّية ، وأراد بفخر الأرض فخرَ أهلها بحذف المضاف ! ؟ . وقال عليه السلام :)

---

(١) إلزام الناصب ص ١٧٧ .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ٣٩٠ وبشارة الإسلام ص ٢٥٣ .
(٣) البحار ج ٥٢ ص ٣٧٢ والاختصاص ص ٢٤ .
(٤) البحار ج ٥٢ ص ٣٢٧ وبشارة الإسلام ص ٢٤١ وإلزام الناصب ص ١٤٠ .

أشهر ، والسَّنة كعشرة من سنيّكم [1] . . (ثم قال موضّحاً بعضَ جوانب سيطرته على الدولة :)

ـ إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر ، رفع الله تعالى له كلَّ مُنخفِض من الأرض ، وخفَض كلَّ مُرتفِع ، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته . فأيُّكم لو كانت في راحته شَعرةٌ لم يُبصرها [2] ؟ ! ! . (وفي هذا بيانٌ صريحٌ للأسلوب الذي يسيطر به الإمام على أرجاء دولته ، ويمسك بواسطته زمام أمورها .

ولا يَدهشَنَّ أحدٌ لِخَفْض المرتفع ورَفع المنخفِض بعد أن مرَّ بوسائل الاطِّلاع على الأعمال عند الإمام وعَرَف شيئاً عن عمود النور المذكور ، وخصوصاً إذا كان لديه شيءٌ عن الناظور القَلَّاب الذي يستعمله الجنديُّ العاديُّ ، فكيف بمن يرى أمامه ـ دائماً ـ شاشة عَرْض تنعكس عليها أعمال الخلائق في أنحاء المعمور ؟ ! ! وسترى تفصيلاً آخر لهذا الموضوع إن شاء الله . . ونلاحظ أن الإمام الصادق عليه السلام قد تكلّم كثيراً حول موضوع الفلَك . وسئل يوماً : كيف تَطول السّنون ؟ ! ! فقال :)

ـ يأمر الله تعالى الفلَك باللبوث وقلّة الحركة ، فتطول الأيام لذلك والسُّنون . فقيل له : إنهم يقولون : إن الفلَك إذا تغيَّر فسد . فقال : ذلك قولُ الزنادقة (أي زنادقة العِلْم بالمحسوس) أما المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك . وقد شقَّ الله تعالى القمر لنبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم وردَّ الشمس من قبله ليوشع بن نون ، وأخبَرَ بطول القيامة وأنه : كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [3] .

(أمَّا أنا فإنّني حين أتعجَّب من ذلك أقول لنفسي : لم لا أتعجَّب من الشمس التي خلقها الله منذ ملايين السنين كُتلةً ناريَّةً ملتهبةً لم يَزِد اشتعالُها ، ولا خَبَتْ

---

(1) الغيبة للطوسي ص ٢٨٣ والإرشاد ص ٣٤٤ والكافي م ٣ ص ٣٦٨ أوله ، وإعلام الورى ص ٤٣٢ ما عدا أوله ، ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٣٣٣ وص ٣٣٩ وص ٣٧٤ والمهدي ص ١٩٨ بلفظ آخر ، ومثله في إلزام الناصب ص ٢٢٣ وبشارة الإسلام ص ٢٥٨ وص ٢٣٥ عن الباقر عليه السلام ما عدا آخره ، وكلها بألفاظ مختلفة .

(2) البحار ج ٥٢ ص ٣٢٨ وبشارة الإسلام ص ٢٤٣ .

(3) الحج ـ ٤٧ ، والخبر في الإرشاد ص ٣٤٣ وإعلام الوري ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٩ وبشارة الإسلام ص ١٩٥ وص ٢٣٥ وإلزام الناصب ص ٢٢٣ .

حرارتُها ، ولا نعرف أين يذهب ما يحترق منهـا ، وكيف يتجدَّد مـا تفجَّر وانْـدَثَر ، ولا كيف تحافظ على بقائها كما هي منـذ بَرأهـا الله على هذه الصفـة ، إلى أن يجيءَ قولُ اللّهِ عـزَّ من قائـل : ﴿ فَإِذَا بَـرِقَ ٱلْبَصَرُ ، وَخَسَفَ ٱلْقَمَـرُ ، وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَـرُ ، يَقُولُ ٱلإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرّ ﴾ (١) ؟ ؟ .

وكما أنه لا مفرَّ من الموت والبعث والحساب وإن كذَّبْنا بذلك ، فإنـه لا مفرَّ من التصديق لِمَا جاء في هذه الأخبار المقدَّسة التي لا يأتيها الباطـل من بين يدَيهـا ولا من خلفها . .

أما موضوع مدّة بقاء دولة الحقّ فقد اختلفت في تعيينها الأخبار من طُرق الـوضع مرةً ، ومن طُرُق التحـريف أخرى ، ومن مـلاحظات مـدة الفتوحـات حيناً ، ومـلاحظة حُكمه المستقرّ حيناً آخر ، ولكنهـا ـ على كـل حـال ـ مـدة قصيـرة بـالنسبـة لعُمـره الطويل . وقد قال النبيُّ ﷺ عن أيام دولته في حديث شريف :)

ـ . . . وتُشرق الأرضُ بنور ربها ، ويَبلغ سلطانهُ المشرقَ والمغربَ (٢) .

(وقد قال المعلّى بن خنيس للإمام الصادق عليه السلام : جُعِلتُ فداك ، ذكـرتُ مُلْكَ بني فلانٍ وما هم فيه من النعيم فقلتُ : لو كان هذا إليكم لَعِشْنا معكم . فقال له :)

ـ هيهات يا معلّى ! . أمَـا والله لو كـان ذاك ، ما كـان إلاّ سياسـة الليل وسيـاحة النهـار ، ولُبْس الخشِن وأكْل الجَشِب ، فـزُوِيَ ذلك عنّـا . فهـل رأيتَ ظُـلامـةً قطُّ صَيَّرها الله نعمةً إلاّ هذه (٣) ؟ ! ! .

(وواضح أن الغُنم للإمام وأصحابه في دولة الباطل ، يكون غُرْمُـهُ على القائمين عليها من الظَّلَمَة ! . ثم سئل يوماً عن تفسير :)

---

(١) القيامة ـ ٧/ ٨/ ٩/ ١٠ .
(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٧ .
(٣) الكافي م ١ ص ٤١٠ والغيبة للنعماني ص ١٥٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٩ وص ٣٤٠ بلفظ آخر .

ـ إذا قام القائمُ بعث في أقاليم الأرض ، في كُلِّ إقليمٍ رجلاً ـ حاكماً ـ ثم يقول له : عهدُكَ في كفِّك ، فإذا وردَ عليك ما لا تَفهمُه ولا تعرف القضاءَ فيه ، فانظُر إلى كفِّك واعملْ بما فيها [١] . (وورد بلفظه عن الإمام الصادق عليه السلام .

ويجب ـ هنا خاصةً ـ ملاحظة هذه الكناية البديعة عن العهد في الكَفِّ حين الحَيرة في إصدار الحكم ! . ففي الكفّ يكون دستور الدولة يتصفّحه الحاكم ، وفي الكَفّ الهاتف واللاسلكي وغيرهما من الوسائل التي تمكّن الواليَ من الإتصال بسيّده يستنبىء عمّا يُشكل عليه أو يجهله ، ولم يَعْنِ الإمامُ أن كل شيءٍ سيكون مكتوباً في الكَفّ ، بل بما يقع في الكَفّ من كتاب الله وسنة الرسول إلى جانب ما ذكرناه من وسائل الإتصال الفَوريّ . .

هذا ولن يفوتنا التنبيهُ إلى أن حُكّام الأرض الذين يختارهم صاحب الأمر عليه السلام سيكونون علماء الأرض وفقهاءها الذين يحكمون بحكم الله عزّ وجلّ ولا يجهلونه . فإن الحكومة المَدَنيّة لا تختار إلى منصب الحُكم إلاّ من كان يُتقن دستورها وكافة قوانينها ، فأحرِ بحكومة العدل الإلَهيّ أن تكون خير حكومة في اختيار الأكفاء للحُكم ، وفي الإلتزام بما لا يرقى إليه نقدٌ بأدنى مفهومٍ كلمةِ النقد .

فلا شيءَ من عمل الحاكم إلاّ ويستدعي العمل باليدَين والكفَّين . وذلك بمعنى ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله :)

ـ وَاللّهِ إنّي لأَعْلَمُ كتاب الله من أوّله إلى آخره ، كأنّه في كفّي . فيه خَبَرُ السماء وخَبَرُ الأرض ، وخَبَرُ ما كان وما هو كائن . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ونزّلنا عليك الكِتابَ تِبْيانًا لِكُلِّ شيءٍ ﴾ [٢] . (أي القرآن . وهذا أوضحُ مثلٍ عمّا يكون في اليدِ وفي الكفّ ، بل لعلّ أوضح منه قوله أيضاً :)

ـ واللّهِ إني لأعلمُ ما في السماوات وما في الأرض ، وما في الجنّة وما في

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٧٢ وإلزام الناصب ص ٢٢٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٥ وبشارة الإسلام ص ٧١ بلفظ آخر وبمعناه .

(٢) النحل ـ ٨٩ ، والخبر في الكافي م ١ ص ٢٢٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٤٩ بتفصيل واضح ، وإلزام الناصب ص ٦ عن الإمام الصادق عليه السلام بنصوص متعدّدة .

النار ، وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة . أعلمُه من كتاب الله ، أَنظُرُ إليه هكذا ـ ثم بسطَ كفَّيه ـ ثم تلا الآية الكريمة السابقة [1] .

(وهذا يعني ـ ببساطة ـ أن الأئمة عليهم السلام يفهمون الْقرآنَ ظاهِرَهُ وباطِنَهُ ، لا أنَّهم يَعلمون غيب السماوات والأرض ، في حين أننا لا نفهم منه ـ نحنُ إلَّا الشيءَ القليل . فلا يَنبغي أن نتعجَّب من معرفة الإمام لِما في السماء والأرض ، وما في الجنَّة والنار ، وما كان وما سيكون ، لأننا نحن ـ بالذات ـ نعرف الكثيرَ الكثيرَ من ذلك بعد أن أَعلَمنا اللَّهُ تعالى ذلك في كتابه ، نعرفه إجمالاً من القرآن ومن تعريف رسول الله صلى الله عليه وآله في تعاليمه وأخباره الشريفة ، فكيف بمن هو مثلُ أئمة الهُدى وحُجج الله على الخَلق ؟ ! .

فالجدير بمن يختاره صاحب الأمر والنَّهي ، حاكماً في حكومة العدل ، أن يكون ذا مرتبةٍ عاليةٍ وطولِ باعٍ في الْفُتْيا ومعرفة الحلال والحرام وسائر الأحكام ، قبل أن يحتاج إلى مزاولة عملِ الكَفِّ الذي ذكَره الإمام عليه السلام بالنسبة للشُّبُهات ومُشكلات المسائل . .

ثم جاء عن الباقر عليه السلام :)

ـ إن القائم يملك ثلاثمئة وتسع سنين ، كما لَبِثَ أهلُ الكَهف في كهفهم . . ويَقتل الناس حتى لا يبقى في الأرض إلَّا دينُ محمَّد صلى الله عليه وآله [2] . (والمُدَّة تتعلَّق واقعاً بمبلغ صحة سند الخَبر ، لأنه رُوي عنه أيضاً :) ـ يملك سبعين سنة [3] . .

---

(١) إلزام الناصب ص ٦ وفيه أحاديث بمعناه تختلف في النَّص ، وفي ص ٧ عن الإمام الصادق عليه السلام .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٨١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٩١ وص ٢٩٨ وص ٣٩٠ وج ٥٣ ص ١٠١ وبشارة الإسلام ص ٧١ بلفظ قريب ، وص ١٩٦ وص ٢٥٣ والمهدي ص ٢٢٠ نقلاً عن إسعاف الراغبين ، وص ١٦٣ : يملك أربع سنين . ومثله في ص ٢٣٤ ومثله في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٥ والغيبة للطوسي ص ٢٨٣ باختلاف يسير ، وكذلك في ينابيع المودة ج ٣ ص ٦٢ .

(٣) الإرشاد ص ٣٤٥ ومنتخب الأثر ص ١٤٣ وإعلام الورى ص ٤٣٢ والملاحم والفتن ص ٥٦ وص ٦٢ وص ٦٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٣ نقلاً عن غاية المرام والمهدي ص ٢٣٣ .

(وروي أيضاً :) ـ يملك سبعاً وعَشراً ، والسَّنة من سنيِّه تكون مقدار عشر سنين [1] .

(ثم ورد عن الصادق عليه السلام بهذا الموضوع :) ـ يَمكث على ذلك سبع سنين . تَطول له الأيام والليالي حتى تكون السنةُ من سنيِّه عشر سنين من سنيِّكم هذه ، فيكون سنيُّ مُلكه سبعين سنة من سنيِّكم هذه ، ثم يفعل الله ما يشاء [2] .

(فكأنَّ مدة السَّبع توازي مدة سبعين لما فيها من العدل والنعيم وهدوء البال والإطمئنان إلى الدنيا والآخرة معاً . . فلا تكالُبَ على الدنيا ، ولا منافسة إلا في الطاعة ، الأمر الذي يُريح الضمير ويُرضي النفس ! . على أن الأئمة عليهم السلام علَّلوا ذلك بخارقة طبيعية ميَّز الله تعالى بها عهدَ المهديِّ الميمون ، وهي تَلَبُّث الفلَك في حركته ، وقرَّبوا ذلك إلى الذهن بما أخبر الله عزَّ وعلا عن طول يوم القيامة كما سترى في كلام الصادق عليه السلام بعد قليل . . ثم جاء عن الباقر عليه السلام في مدة حُكمه أيضاً :)

ـ يملك القائم تسع عشرةَ سنةً وأشهراً [3] . (وهو القريب من الصواب كما مرَّ معنا ، وإن لم يُمكن الجزم به . . ثم قال عليه السلام :)

ـ أبطَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله ما كان في الجاهليَّة ، واستقبلَ الناس بالعدل ، وكذلك القائم [4] . (وقال بنفس المعنى :)

---

(1) بشارة الإسلام ص ١٩٤ وص ١٩٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٩١ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٠ وص ١٣٦ نقلاً عن إسعاف الراغبين .

(2) الإرشاد ص ٣٤٢ وص ٣٤٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٧ وص ٣٨٦ والمهدي ص ١٩٨ وص ٢٣٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٧ وبشارة الإسلام ص ١٩٤ وص ١٩٥ وص ٢٣٥ وص ٢٤٩ وص ٢٧٨ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٨ نصفه الأول ، وإلزام الناصب ص ١٩٠ وص ٢٢٣ والبيان ص ٧٣ بلفظ آخر ، ومثله في منتخب الأثر ص ٤٨٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٧ ما عدا آخره ، والغيبة للطوسي ص ٢٨٣ مضمونُه .

(3) الغيبة للنعماني ص ١٨٠ ـ ١٨١ وبشارة الإسلام ص ١٩٥ وص ١٩٦ والغيبة للطوسي ص ٢٨٥ والبيان ص ٩٤: يملك عشر سنين ، وإعلام الورى ص ٤٣٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٩٨ وص ٢٩٩ عن الصادق عليه السلام ، وج ٥٣ ص ١٠٠ وإلزام الناصب ص ٢٤٥ والإرشاد ص ٣٤٥ .

(4) البحار ج ٥٢ ص ٣٨٢ .

ـ يُبطِلُ ما كان في الهدنة مما كان في أيدي الناس ، ويستقبل بهم العدل [١] . (لأنه يُلغي المُلكيات الباطلة شرعاً ، وجميعَ ما كان يتداوله الناسُ بغير حقٍّ أثناء الفترة الواقعة بين عهده الميمون وعهد جدِّه رسول الله ﷺ . ثم قال مُجمِلاً وصف ازدهار عهده :) ـ فلا يبقى في الأرض خرابٌ إلا وعُمِر [٢] .

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

ـ لا يَبقَى موضعُ قَدَم إلاَّ وطِئَهُ وأقامَ فيه الدِّينَ الواجبَ لله [٣] . (وقال في تأويل الآية الكريمة :)

ـ إعْلَموا أنَّ الله يُحيي الأرضَ بعدَ موتها : كُفْر أهلها ، فيُحييها اللَّهُ بالقائم [٤] . (وقال الإمامُ الباقرُ عليه السلام من قبلِه في تأويلها :)

ـ يُحييها بالقائم عليه السلام فيَعدِل فيها ، فيُحيي الأرضَ بعد موتها بالظُّلم [٥] . (وقال ابنُ عباس في هذا الموضوع : يَعني يُصلح الأرضَ بقائم آل محمد ، مِنْ بَعْدِ مَوْتِها : يَعني من بعد جَور مملكتها ، قد بَيَّنّا لكُم الآياتِ : بقائم آل محمد ، لَعلَّكم تَعقلون[٥] . . ثم جاء عن الإمام الصّادق عليه السلام :)

ـ لا يَدَع بدعةً إلاَّ أزالها ، ولا سُنَّة إلاَّ أقامها [٦] . (وقد ذُكرت دورُ العباسيين مرةً في مجلسه فقال أحد أصحابه : خرَّبها الله بأيدينا . (فقال عليه السلام له :)

ـ لا تقلْ هكذا ، بل يكون مساكنُ القائم وأصحابه . أما سمعت الله يقول : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [٧] ؟ . (ثم قال في مناسبة ثانية :)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٨١ .
(٢) الإمام المهدي ص ٩٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ ومثير الأحزان ص ٢٩٧ وإسعاف الراغبين ص ١٤٠ وبشارة الإسلام ص ٩٩ شيء منه .
(٣) إلزام الناصب ص ٢١٨ وبشارة الإسلام ص ٩٩ عن الباقر عليه السلام .
(٤) إلزام الناصب ص ٢٤٢ .
(٥) الإمام المهدي ص ٥٧ـ ٥٨ والغيبة للطوسي ص ١٢٠ .
(٦) إلزام الناصب ص ٢٢٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٢ وبشارة الإسلام ص ٢٣٥ والإمام المهدي ص ٢٧٣ والمهدي ص ١٩٨ وص ٢٣٠ وص ٢٣١ عن عقد الدرر .
(٧) إبراهيم ـ ٤٥ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٣٤٧ وإلزام الناصب ص ٢٣ . .

- فإذا انقضى مُلكهم ، أتاح الله لأمّة محمّدٍ برجلٍ منّا أهلَ البيت ، يسير بالتُّقى ويعمل بالهدى ، ولا يأخذ في حُكمه آلرُّشى [1] . . (وقال ﷺ :)

- إذا قام صاحب السيف ، جاء بأمرٍ غير الذي كان ! . (ذاك أنه يمحو البدَع والتحريف في التنزيل والسنّة . . وجاء عنه بلفظ :)

- كلُّنا قائمٌ بأمر الله واحداً بعد واحد ، حتى يجيءَ صاحب السيف ، فإذا جاء صاحب السيفِ جاء بأمرٍ غير الذي كان [2] ! . (ذاك أنّه يَردُّ الناسَ إلى الحق . . وجاء عنه أيضاً بلفظ :)

- إذا قام القائم ﷺ جاء بأمرٍ جديد ، كما دعا رسولُ الله ﷺ في بَدءِ الإسلام إلى أمرٍ جديد [3] . .

(هذا ، وقد عرضنا للموضع سابقاً وقلنا فيه ما قيل ، والناس يرَون الأمر جديداً لبُعد الشُّقة بينهم وبين أحكام الدين . . فلن يجيءَ إلّا بما جاءَ به محمّدُ بن عبد الله ﷺ من عند ربّه ، وليس الإمام نبيّاً ذا رسالة ، بل هو أمينٌ على الرسالة يُحيي منها ما آنمحَى وانْدثر وترك الناسُ العمل به . . ثم قال يصف مَن يؤمن ومَن يكفر بذلك :)

- إذا خرجَ القائم ، خرجَ من هذا الأمر من كان يرى أنه من أهله ، ودخلَ فيه شِبْهُ عَبَدَةِ الشمس والقمر [4] ! . (ولن يخرج منه إلّا من كان يرى نفسه على شيءٍ من الدين كفُقهاء السوء الملَقلِقين بألسنتهم في مواعظهم الكاذبة ، وسيدخل فيه كثيرٌ من عَبَدَةِ الأوثان أو من المُلحدين أو من الضالّين عن الحقّ ، يؤمنون على يده ، ويهتدون بهدَى الله . . وقال :)

- إن قائمنا إذا قام ، أشرقت الأرض بنور ربِّها ، واستغنى الناس [5] (إلى أن

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٦٩ وبشارة الإسلام ص ١٤١ .
(٢) الكافي م ١ ص ٥٣٦ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٢ والغيبة للطوسي ص ٢٨٣ .
(٣) الإرشاد ص ٣٤٣ والغيبة للنعماني ص ١٢٣ مفصّلاً ، ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٢٩٢ وص ٣٣٨ وبشارة الإسلام ص ٢٣٣ وإلزام الناصب ص ٢٢٣ .
(٤) الغيبة للنعماني ص ١٧١ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٤ وبشارة الإسلام ص ٢٣٣ .
(٥) بشارة الإسلام ص ٢٠٦ وإلزام الناصب ص ١٣٩ وص ٢٢٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٩٧ بلفظ آخر .

قال :) وتتصل بيوتُ الكوفة بنهر كربلاء والحيرة ، حتى يخرج الرجل على بغلةٍ سَفْواء يريدُ الجُمعة - أي صلاةَ الجمعة - فلا يُدركها[1] . (وجاء عنه بنفس المعنى :)

- فتستَبْشِرُ الأرضُ بالعدلِ ، وتُعطي السماءُ قَطْرَها ، والشجرُ ثمرَها ، والأرضُ نباتَها وتتزيّن لأهلها[2] . (وقال متحدثاً عن عدله :)

- إذا قام حكمَ بالعدل ، وارتفع في أيامه الجَور ، وأمِنَتِ السُّبل ، وأخرجت الأرض بركاتها ، وردَّ كلَّ حقٍّ إلى أهله . ولم يبْقَ أهلُ دِيْنٍ حتى يُظهِروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان[3] . (أي بالولاية . ثم جاء أيضاً في وصف عهد دولته :)

- تزيد المياه في دولته ، وتُمَدُّ الأنهار ، وتُضاعِفُ الأرضُ أُكُلَها لا تدَّخر شيئاً . وتذهب الشحناء من قلوب العباد ، ويذهب الشر ويبقى الخير[4] . (وقال أمير المؤمنين عليه السلام :)

- تأمن السُّبل حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدَمَيها إلاّ على النبات ، وعلى رأسها زينتُها ، لا يُهيجها سبعٌ ولا تخافه[5] . (ثم قال الصادق عليه السلام :)

- وحتى تَخرج العجوزُ الضعيفةُ من المشرق تُريد المغربَ فلا يُنهِيهَا أحد[6] .

(وقال أيضاً :) - يُطفىء به الفتنة الصمَّاء ، وتأمن الأرض ، حتى أن المرأة لَتحجّ في خَمس نسوةٍ ما معهنّ رجُل ، لا يتّقِينَ إلاّ الله[7] ! .

(١) بشارة الإسلام ص ٢٠٦ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٧١ .
(٣) الإرشاد ص ٣٤٣ ومنتخب الأثر ص ٣٠٨ وإعلام الورى ص ٤٣٢ وإلزام الناصب ص ١٣٩ وص ٢٢٢ وص ٢٢٣ وص ٣٣٠ بلفظ آخر ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٨ وبشارة الإسلام ص ٧١ وص ٢٣٤ وص ٢٣٠ شيءٌ منه ، ومثله في الملاحم والفتن ص ٥٥ والإمام المهدي ص ٢٦٥ وص ٢٧٢ .
(٤) منتخب الأثر ص ٤٧٢ أوله ، والمهدي ص ٢٢١ نقلاً عن عقد الدرر ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ وإلزام الناصب ص ٢٢٨ آخره ، ومسند أحمد ج ٣ ص ٥٣٠ .
(٥) منتخب الأثر ص ٤٧٤ والبحار ج ٥٢ ص ٣١٦ .
(٦) بشارة الإسلام ص ٢٣٠ وإلزام الناصب ص ١٣٩ بلفظ آخر .
(٧) الملاحم والفتن ص ٥٥ وبشارة الإسلام ص ١٨٥ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٣ .

(وقال عليه السلام :) - المهديُّ محبوبٌ في الخلائق ، يُطفىء الله به الفتنة الصمّاء ! [(١)] .

(وعنه عليه السلام :) - أول ما يبتدىء عدلُ المهديِّ أن ينادَى في جميع العالم : ألاَ من كان له عند شيعتنا دَيْنٌ فَلْيَذكره . حتى يردُّ الثومةَ والخردَلَة ، فضلاً عن القناطير المقنطَرة من الذهب والفضة والأملاك فيوفّيه إياه ! [(٢)] . (وقال :)

- إذا قام قائمنا اضمحلّت القطائع ، فلا قطائع ! ! ! [(٣)] . (فهو لا يُعطي شيئاً بالباطل يستثمره الإقطاعيُّ ويستثمر اليدَ العاملة فيه . . ثم قال) :

- موسَّعٌ على شيعتنا أن يُنفقوا مما في أيديهم بالمعروف . فإذا قام قائمنا حرَّم على كل ذي كَنْزٍ كَنْزَه ، حتى يأتوا به ويستعين به [(٤)] . . (وقد سبقه جدُّه أمير المؤمنين عليه السلام إلى القول في حديث القطائع التي تُعطى للمقرَّبين من الحكّام :)

- . . . ما كان في أيدي سواهم فإن كَسْبهم من الأرض حرامٌ عليهم ، حتى يقوم قائمنا فيأخذ الأرض ويُخرجهم منها صَغِرَة ! [(٥)] . (وقال الإمام الباقر عليه السلام في الموضوع :)

- ما كان في أيدي شيعتنا يقاطعهم على ما في أيديهم ، ويترك الأرض في أيديهم [(٦)] . (ثم وصف الإمام الصادق عليه السلام غِنَى الناس في دولة المهديِّ عليه السلام فقال :)

- يأمر منادياً فيقول : من كان له في المال حاجةٌ فَلْيَقم ! فما يقوم من الناس إلاّ رجلٌ واحد ، فيقول : أنا . فيقول القائم : إئْتِ السادنَ فقل له : إن المهديَّ يأمرك أن تعطيَني مالاً . فيقول السادن : أحْثُ ، ويحثو له في ثوبه حَثْواً ، حتى إذا جعله في

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٨٥ .
(٢) البحار ج ٥٣ ص ٣٤ وإلزام الناصب ص ٢٢٠ .
(٣) بشارة الإسلام ص ٢٤٦ .
(٤) الكافي م ٣ ص ٦١ وإلزام الناصب ص ٢٢ .
(٥) بشارة الإسلام ص ٢٥٣ بلفظ قريب .
(٦) إلزام الناصب ص ٢١ .

جِجْره وأبرزَه ندم وقال : كنتُ أجشع أمّةِ محمّدٍ نفساً ! ! ! أوَعجز عنّي ما وسعهم ؟ ! ! ثم يردُّ المال إلى الخازن فلا يُقبل منه ، ويقول المهديّ : إنّا لا نأخذ شيئاً أعطيناه [1] . . (ثم قال عن عدله الذي يتناول دقائق الأمور :)

- أوّل ما يُظهر القائمُ العدلَ أن ينادي مناديه : أن يسلّم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجرَ الأسودَ والطواف ! [2] . (فتصوّر هذه الاهتمامات بشؤون الله وشؤون الناس ، حيث يقدّم من يؤدّي حِجّةَ الإسلام الواجبة على من يَحج استحباباً وتقرّباً إلى الله تعالى ! . وجاء عنه في تفسير قوله الذي سبق منذ قليل :)

- يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم . يَهدم ما كان قبلَه ، كما هدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الجاهلية ، ويستأنف الإسلام جديداً بعد أن يهدم ما كان قبلَه [3] . (وقد رُوي هذا عن الباقر عليه السلام بلفظه . وقال الصادق عليه السلام :)

- دَمانِ في الإسلام حلالٌ من الله عزّ وجلّ ، لا يقضي أحدٌ فيهما بحُكم الله حتى يبعث الله قائمنا أهل البيت . فإذا بَعثه الله حَكَمَ فيهما بحُكم الله لا يريد بيّنة : الزّاني المُحصِنُ يَرجُمُه ، ومانعُ الزكاة يضرب عُنقه [4] ! . (وقال :)

- إذا حَكَمَ قائمُ آل محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، حكمَ بين الناس بحُكم داود ، فلا يحتاج إلى بيّنةٍ ، فيُلهمه الله تعالى فيحكم بعلْمه ، ويخبر كلَّ قومٍ بما استبطنوه ، ويَعرف وليّه من عدوّه بالتّوسّم . قال الله تعالى :

﴿ إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِيْنَ ، وَإِنَّهَا لَبِسَبِيْلٍ مُقِيْمٍ ﴾ [5] . .

---

(1) منتخب الأثر ص ١٤٧ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٧٣ والبيان ص ٨٤ والإمام المهدي ص ٦٢ وص ١١٠ نقلاً عن مسند أحمد ج ٣ ص ٣٧ وإلزام الناصب ص ٢٥٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥ وص ١٥٣ باختصار ونور الأبصار ص ١٧٠ والصواعق المحرقة ص ١٦٤ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم والفتن ص ٥٧ وص ١٢٤ وص ١٣٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٥ نقلاً عن إسعاف الراغبين .

(2) البحار ج ٥٢ ص ٣٧٤ وإلزام الناصب ص ٢٢٣ .

(3) الغيبة للنعماني ص ١٢١ وص ١٢٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٢ والمهدي ص ٢٣١ ومنتخب الأثر ص ٣٠٥ وبشارة الإسلام ص ٢٧٧ بلفظ آخر .

(4) بشارة الإسلام ص ٢٦٠ والبحار ج ٥٢ ص ٣٧١ وص ٣٢٥ ما عدا أوله .

(5) الحِجر - ٧٥ - ٧٦ ، والخبر في الإرشاد ص ٣٤٤ وص ٣٤٥ وإلزام الناصب ص ٥٧ وص ١٤٠

(والمتوسِّمون هم الأئمة عليهم السلام بحسب ما في أيدينا من الأخبار . والحُكم بالعلْم ليس عجيباً حين إحراز العلْم . ولكن العجيب هو أن نضطرَّ إلى الدفاع عن أئمتنا أمام مُفْتَرين لا يُبدون أيَّ عجبٍ حين يَرَون القضاة يحكمون بغير علْم ، ودون يَقينٍ ، وبغير ما تقوم عليه البيِّنة إذا كانت الرِّشوة لائقة ! ! ! يتعجَّبون من أئمتنا ولا يتعجَّبون من هؤلاء المتجرِّئين على الحقّ المتاجرين به . . ثم قال أخيراً :)

ـ يأمر منادياً فينادي : هذا هو المهديُّ يقضي بقضاء داود وسليمان ، لا يَسأل بيِّنة (١) . (فمن الطبيعيّ جداً أن الحاكم إذا قطع بأمرٍ وتَيقَّن منه وجزم به ، يحكم بحسب يقينه ولا يُسأل عن إجحافٍ بل لو سئل لم يُعجزْه إيراد الحيثيات لأنه يقول : سمعتُ ، وعرفتُ الصدق ، فجزمت . . فكيف بالإمام الذي لا يقول : سمعت ، بل يقول : رأيت ؟ ! ! وأنت ـ أيها القارىء ـ تعلَم أن فرقاً كبيراً بين من يَسمع ، ومن يَرى . فقد قيل إنَّ الفرق بين الحق والباطل أربع أصابع ـ أي مقدار ما بين العين والأذن ـ فالحق ما رأيته بَعينك ، والباطل ما سمعته بأذنك ! . فالإمام عليه السلام يرى بالتوسُّم الذي أشارت إليه الأخبار المتواترة ، وليس شيئاً أدعى من ذلك إلى العلْم والجَزْم . . هذا وقد قال الإمامُ الباقرُ عليه السلام :)

ـ الله أعزُّ وأجلُّ وأكرمُ من أن يَفرضَ طاعةَ عبدٍ يَحجُب عنه عِلْمَ سمائه وأرضه (٢) . . (وقال الإمامُ الصادق عليه السلام :)

إذا خرج القائم ، لم يقُم بين يديه أحدٌ من خلْق الرحمن إلَّا عرفه : صالحٌ هو أم طالح ! . ألَا وفيهِ آيةٌ للمتوسِّمين ، وهي السبيل المُقيم (٣) . (أي الطَريقة المُقيمة لكل مُعْوَجّ . . وقال عليه السلام :)

ـ بَينا الرجلُ على راس القائم يأمرُ وينهى ، إذْ أمَرَ بضرب عُنُقِه . فلا يَبقَى أحدٌ

وإعلام الورى ص ٤٣٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣١٩ أوله ، وص ٣٢٠ وص ٣٣٩ وبشارة الإسلام ص ٢٣٨ وص ٢٧٤ شيء منه .

(١) بشارة الإسلام ص ٢٠٤ وص ٢٥٩ .

(٢) الكافي م ١ ص ٢٦٢ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٣٢٥ وص ٣٨٩ وبشارة الإسلام ص ٢٥٢ وص ٢٦٠ والاختصاص ص ٣٠٣ .

بين الخافقَين إلاّ خافَه [1] . . (وذلك أن الإمام الباقر عليه السلام قال بتأكيد في حديث مرّ سابقاً :)

ـ . . . (والإمامُ) يرى مَن خَلْفه كما يرى مَن أمامه [2] . (وورد عن الصادق عليه السلام ما هو أعجبُ ، وذلك قولُه :)

ـ . . . يَبعثُ إلى رجل لا يعلم الناس له ذَنْباً فيقتلُه ! . حتى أن أحداً يتكلَّم في بيته فيخاف أن يشهد عليه الجِدار ! [3] . (وكل ذلك ليس عجيباً في حقّ هذه الصفوة من الخَلق ، فقد ورد عن أكثر من واحد منهم في أحاديث تناولوا فيها مِنَحَ الله تعالى لهم ، قولهم :)

ـ ألاَ إن الإمام لَيَسمعُ من بَطن أمّهِ ، فإذا وُلِد خُطَّ بين كتفَيه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ، لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَهُوَ ٱلسَّمِيْعُ ٱلْعلِيْمُ ﴾ . فإذا صار الأمر إليه (أي الولاية على الناس بعدَ أبيه) جعل الله له عموداً من نور ، يُبصر به ما يعمل أهل كل بلدة ! [4] . (وهذه شاشة تلفزيون طبيعية سماوية خلقها الله له ، تدور على نفسها كالأسطوان العظيم ، جعلها الله تعالى لهذه الغاية كما يجعل الحاكم الساهر على مملكته سجلاّتٍ للقُضاة والرؤساء والقُوّاد بين يدَيه ليطّلع على أعمالهم في كل يوم . . وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام قولُه في هذا المعنى :)

ـ . . ويُنْصَبُ له عمودٌ من نورٍ ، من الأرض إلى السماء ، يرى فيه أعمال العباد [5] . (وذلك مصداقُ الآية الكريمة :)

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوْا ، فَسَيَرى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُوْلُهُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ ﴾ : اي الأئمة عليهم السلام

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٢٦ والبحار ج ٥٢ ص ٣٥٥ .
(٢) الكافي م ١ ص ٣٨٨ .
(٣) بشارة الإسلام ص ٢٥٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٩٠ .
(٤) الأنعام ـ ١١٥ والخبر في الكافي م ١ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ مع تفصيلات كثيرة وص ٣٨٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٢٥ بزيادة : ينظر فيه الخلائق وأعمالَهم وسرائرهم ، ومثير الأحزان ص ٢٩٧ بمعناه ، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٦٩ .
(٥) إلزام الناصب ص ١٠ .

واحداً بعد واحد ، يَرَونِ أعمالَ الأولياء والأعـداء ! [1] . (وما زال الإنسـان قادراً على ذلك ـ وقد صنع الآلة الْمُرِيَةَ ـ فلا يَعجز عنهـا خالقُ الإنسـان ، الذي مَنَحَ القائمَ عليه السلام هذه الْمِنحة فجعله يَرَى العمل ، ويعرف المذنب فيأتي به من بيتـه فيضرب عُنقـه وإن كان ذَنْبه قد خَفِيَ على الناس . . وإذا لم يكن هذا كذلك ، فَمَنْ هم المؤمنون الـذين يرون أعمالنا بِنَصِّ القرآن ؟ ! ! ليس ثمةَ أحدٌ غيرهم . لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام :)

ـ ليس يغيب عنّا مؤمنٌ في شرق الأرض ولا في غربها [2] . (ذلك أن الله تعالى منحَهم ما لم يمنح غيرهم من الخلق . .

وقد روى أبو حمزة ـ نصيرٌ ، خـادم الإمام العسكـريّ عليه السلام ـ أنَّه كثيـراً ما سمـع العسكريَّ يكلِّم غلمانَهُ بلُغاتهم وفيهم تُركٌ ورومٌ وصقالبة ، فيتعجَّب من ذلك ويقول :

هذا ـ أي العسكريّ ـ وُلِدَ بالمدينة ولم يَظهر على أحدٍ حتى تُوفِّيَ أبوه ، ولا رآه أحدٌ ، فكيف يَحدُث هذا ؟ ! . وحين خطرَ له هذا الخاطرُ أقبل عليه العسكـري عليه السلام وقال :)

ـ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أبـانَ حُجَّته من سـائر خَلقـه . وأعطاه معـرفة كـلِّ شيء . فهو يَعـرف اللُّغات والأنسـابَ والحـوادث . ولـولا ذلـك لم يكن بين الحُجـة والمحجـوج فَرْق [3] . . (أمَّا الإمام الرِّضا عليه السلام فقال :)

ـ الإمام يُسأل فيُجيب ، وإن سُكِتَ عنه ابتدأ . ويُخبر ما في غدٍ ، ويكلِّم الناس بكـلِّ لسـان . (ثم جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في تأويل :)

---

(١) التوبة ـ ١٠٥ ، والخبر في الكافي م ١ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ بتفصيل ، وإلزام الناصب ص ١٠ .

(٢) إلزام الناصب ص ٦ .

(٣) الإرشـاد ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ وانظر إلـزام الناصب ص ٦ حيثُ سُمِعَ الإمـام الصـادق عليه السلام يُـرَتِّـل سجوداً بالعبرانية كان يتلوه إلياس النبي عليه السلام، وانظر الصفحة ١٠٥ من الكتـاب نفسه حيث كـان الإمام العسكري عليه السلام يخاطب طفلَه الحُجَّة القائم عجَّلَ الله تعالى فرَجه بلغةٍ لم يفهمهـا جليسُه وصاحبه عليّ بن ابراهيم بن مهزيار ، وكان المهديّ عليه السلام يُجيبه بنفس اللُّغة . وانظر الاختصـاص ص ٢٩٢ حيث كـان الإمام الكـاظم عليه السلام يقرأ الإنجيـل كالمسيـح عليه السلام بلُغتـه ، وأن الإمـام الباقر عليه السلام سُمع يقرأ أدعية إيليا بالعبرانية ، ومناقب آل أبي طالب ص ٥٢٩ .

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ (١) : ـ الملكُ لله اليومَ ، وقبلَ اليوم ، وبعد اليوم ، ولكنْ إذا قام القائم لم يُعْبَدْ إلاّ الله عزّ وجلّ (٢) . (فيكون ـ يومئذٍ ـ قد هيمن دستور الله على مملكته من أطرافها . . ثم قال أيضاً :)

ـ يرتفع المذاهب ، فلا يبقى إلاّ الدين الخالص (٢) . . (وجاء عنه كبقية آبائه عليهم السلام :)

ـ المهديُّ إذا خرج يفرحُ به جميعُ المسلمين : خاصَّتُهم وعامَّتُهم (٣) . (أي شيعتُه وغيرُهم من المسلمين . . ثم قال مصوِّراً فرحَ الكائنات :)

ـ يرضى عن خلافته أهل الأرض ، وأهل السماء والطير في الجوّ (٤) . .

(وقال :) يُفرِّق المهديُّ أصحابه في جميع البلدان ، ويأمرهم بالعدل والإحسان ، ويجعلهم حُكّاماً في الأقاليم ، ويأمرهم بعمران المدن (٥) . . (وقال مكرِّراً :)

ـ يبعث إلى أُمرائه بسائر الأمصار بالعدل بين الناس (٦) . . (وقد بالغت الأخبار في عدله المثاليِّ المنتظَر ، حتى أن الصادق عليه السلام قال :)

ـ يُلْعِقُ المساكينَ الزُّبد ! . وفي أيام دولته تطيب الدنيا وأهلها (٧) . .

(ومن المؤكَّد أنه لن يبقى في دولته مساكين بالمعنى الذي نفهمُه ، ولا

---

(١) الحج ـ ٥٦ ، والخبر ، في منتخب الأثر ص ٤٧١ وإلزام الناصب ص ٢٦ والبيان ص ٨٤ بلفظ آخر .

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ٦٢ والمهدي ص ٢٢٩ وبشارة الإسلام ص ٢٩٧ وص ٩٩ عن الباقر عليه السلام بلفظ آخر .

(٣) الإمام المهدي ص ٣٤٣ نقلاً عن إسعاف الراغبين ص ١٤٣ وإلزام الناصب ص ١٩٢ .

(٤) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٥٩ وص ٢٦١ والبيان ص ٨٤ مع زيادة ، والصواعق المحرقة ص ١٦٢ والملاحم والفتن ص ٥٥ والمهدي ص ٢٢١ وبشارة الإسلام ص ٢٨٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٧ وص ١٦٠ وص ١٦١ والإمام المهدي ص ١٠٩ وص ١٦٩ بلفظ آخر .

(٥) الإمام المهدي ص ٢٧١ عن أمير المؤمنين عليه السلام .

(٦) إلزام الناصب ص ٢٠٢ وص ٢٢٨ والمهدي ص ٢٣١ نقلاً عن عقد الدرر .

(٧) المهدي ص ٢٦٦ نقلاً عن عقد الدرر .

محتاجون أصلاً . وقد يقع هذا مع العَجَزة والمُقعَدين ، أي الملازمين للمساكن لا يَخرجون لطلب العيش كغيرهم . وما من لفظة استعملها النبيُّ ﷺ والأئمة ﷺ إلاّ وهي تعني شيئاً معيَّناً بالدِّقَّة التَّامة . . ولَتذهبنَّ في دولة الحق الشحناءُ والتحاسدُ ، لأنه يخلِّص الناس من العبوديَّة لغير الله تعالى ، فينمحي أثَرُ العداوة والحَسَد ، وينقطع دابرُ الأثَرَة والتعصُّب . . ثم قال مُقسماً :)

ـ فَوَالله لَيرفع عن الملل والأديان الاختلافَ ، ويكون الدين كله واحداً كما قال جلَّ ذكْره : ﴿ إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (١) : (فالدين هو الإسلام بالفطرة ، أي التسليم بالوحدانية ، وبالقدرة والاستطالة والأزلية . وقد صرَّح القرآن الكريم بأن دين الأنبياء جميعاً هو الإسلام منذ البدء ، فمن قوله في القرآن الكريم :

ـ ﴿ مِلَّةَ أَبِيْكُمْ إِبْرَاهِيْمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ ﴾ (٢) ، إلى قوله في قصة إبراهيم وإسماعيل :

ـ ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ (٣) ، إلى قوله في قصة فرعون : ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ : آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِيْ آمَنَتْ بِهِ بَنُوْ إِسْرَائِيْلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ﴾ (٤) ، إلى قصة سليمان وبلقيس :

ـ ﴿ وَأْتُوني مُسْلِمِيْنَ ﴾ (٥) ، وقولها :

ـ ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ (٦) ، وقول عيسى ﷺ : ـ ﴿ مَنْ أَنْصَارِيْ إِلَى اللّهِ ؟ . قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللّهِ ، آمَنَّا بِاللّهِ ، وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ ﴾ (٧) ، وقوله عزّ وجلّ :

ـ ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِيْ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ (٨) ، وقوله على لسان محمّد ﷺ :

---

(١) آل عمران ـ ١٩ ، والخبر في بشارة الإسلام ص ٢٦٥ والإمام المهدي ص ٢٦٦ .

(٢) الحج ـ ٧٨ انظر بشارة الإسلام ص ٢٦٦ .

(٣) البقرة ـ ١٢٨ .

(٤) يونس ـ ٩٠ .

(٥ ـ ٦) النمل ـ ٣١ و٤٤ .

(٧) آل عمران ـ ٥٢ .

(٨) آل عمران ـ ٨٢ .

- ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [1] ، وقوله في قصة لوط عليه السلام :

- ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [2] ، وقوله تعالى مكرّراً يأمر المسلمين بالقول هذه المرّة :

- ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [3] ، وقوله تعالى أخيراً :

- ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ . . . إلى قوله على لسان بَنيه : ﴿ إِلَٰهاً وَاحِداً ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [4] . هذا هو الدين عند الله ! . . إنه الإسلام ، أي التسليم لله والاعتراف به مهما سمّيناه في أعرافنا الأرضية . .

وقد دخل شيخٌ طاعنٌ في السنّ على الإمام الصادق عليه السلام يوماً وقال : عقّني ولَدي وجَفاني . فقال له :)

- أَوَما علمتَ أن للحقّ دولةً ، وللباطل دولة ، وكلاهما ذليلٌ في دولة صاحبه ؟ ! . (يعني الحق والباطل) . فمن أصابته دولة الباطل اقْتُصَّ منه في دولة الحق [5] . (وقال لأحد أصحابه يوماً إذ تشرّف بالدخول عليه :)

- ما لمن خالَفَنا في دولتنا من نصيب ! . إن الله قد أحلّ لنا دماءهم عند قيام قائمنا . فاليومَ محرَّمٌ علينا وعليكم ذلك فلا يغرّنّك أحد ! . إذا قام قائمنا انتقم لِلّه ولرسوله ولنا أجمعين [6] . . (وقال :)

- كأنّي أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهليه وعياله . كان فيه منزل إدريس ، وكان منزل إبراهيم خليل الرحمٰن ، وما بعث الله نبيّاً إلّا وقد صلّى فيه .

---

(١) آل عمران - ٨٤ .

(٢) الذاريات - ٣٦ .

(٣) البقرة - ١٣٦ .

(٤) البقرة - ١٣٣ ، والخبر بكامله في البحار ج ٥٣ ص٤ - ٥ وبشارة الإسلام ص ٢٦٦ .

(٥) من هذا الحديث أخذنا عنوان الموضوع . والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٧٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٥ وإلزام الناصب ص ٢١٥ .

(٦) البحار ج ٥٢ ص ٣٧٦ وص ٣٨١ وبشارة الإسلام ص ٢٥٧ .

وفيه مسكن الخضر ، والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله ﷺ وما من مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إلاّ وقلبه يحنُّ إليه . وما من يومٍ ولا ليلةٍ إلاّ والملائكة يأوون إلى هذا المسجد يعبدون الله فيه [1] ! .

(ونلاحظ أن أئمتنا عليهم السلام كثيراً ما يبدأون كلامهم بعبارة : كأني أرى ، أو : كأني أنظر ، يريدون بذلك التدليل على ثقتهم بما يقولون لأنه مكتوب عندهم معهود إليهم به . . فهم على بيِّنة من أمرهم ، مؤمنون بما جاء عن رسول الله ﷺ عن الله تعالى . مضافاً إلى أن الشريط المصوَّر لما كان ولما سيكون مهيّأً لديهم ، مبسوطٌ لرؤيتهم ، بكشفٍ من الله الذي يُطْلِعُ أولياءه المخلَصين على كثير من أسرار ما قدَّر في سابق علْمه ، ليكون ذلك الكشفُ برهانَ أُمَنائه على ولاية الناس ، وشاهِدَهم على المرتبة التي رتَّبهم الله فيها . وقد حكى القرآن الكريم عن تصرُّفات الخضر عليه السلام في خَرْق السفينة ، وقَتْل الغلام ، وبناء الْجدار ، شيئاً من هذا الكشف الذي فسَّره الخضر لموسى عليه السلام لِيُرِيَهُ الحكمةَ في ما يمنحه الله تعالى لأوليائه المنتَجَبين . . وفي يوم من الأيام ، صلّى الصادق عليه السلام رَكعتَين في مكانٍ بظهر الكوفة وقال لأَبانَ بن تغلب ، صاحِبه الذي كان معه :)

- (هذا) موضعُ منزل القائم عليه السلام [2] ! . (وقال :)

- دارُ ملكه الكوفة ، ومجلسُ حُكمه جامعُها . وبيتُ سكَنه ، وبيتُ ماله ، ومقْسَم غنائم المسلمين : مسجدُ السهلة . وموضعُ خَلَواته : الذكَواتُ الْبيض من الغريَّين [3] . (أي النجف الأشرف التي يجعلها محل خَلَواته في رحاب جدِّه أمير المؤمنين عليه السلام . . وقد ذكر الصادق عليه السلام مسجد السهلة بين أصحابه يوماً فقال :)

أَمَا إنه منزل صاحبنا إذا قَدِم بأهله [4] . . (وقد ركَّز الصادق عليه السلام كثيراً على الكوفة إذ قال عنها أيضاً :)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣١٧ وص ٣٧٦ وبشارة الإسلام ص ٢٥٧ .

(٢) الكافي م ٤ ص ٥٧٦ .

(٣) إلزام الناصب ص ٢١٧ وص ١٩٠ باختصار والبحار ج ٥٣ ص ١١ وبشارة الإسلام ص ٢٧٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ أوله .

(٤) الإرشاد ص ٣٤٢ والغيبة للطوسي ص ٢٨٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣١ وإلزام الناصب ص ٢٢٢ .

ـ من كان له دارٌ بالكوفة فليتمسَّك بها [1] ! . (ثم حكى عن ازدهارها في عهد دولة الحق ، فقال :)

ـ لا يَبقى مؤمنٌ إلاّ كان بها وحواليها . وليَبلُغنَّ مجالةُ الفرَس منها ألفي درهم ! . ولَيُصَيِّرَنَّ الكوفة أربعة وخمسين ميلاً ! . ولَيَوَدَّنَّ أكثرُ الناس أنه اشترى شبراً من أرض السبيع بشبرٍ من ذهب . ولَتُجاوِزَنَّ قصورها قصورَ كربلاء ، ولَيُصَيِّرَنَّ كربلاءَ مَعقلاً ومقاماً تختلف فيه الملائكة والمؤمنون ، ولَيكونَنَّ لها شأنٌ من الشأن ! ! ! [2] .

(قال الصادق عليه السلام هذا الكلام في أشدّ أزمنة الضِّيق على شيعته وعلى جميع أهل الحقّ ! . فكيف عرف اتّساع الكوفة ؟ . وكيف عِلم ارتفاع سعر الأرض في أرض السبيع ؟ ! . ومن أين له ولآبائه وأبنائه بهذا العلْم المؤكَّدِ المجزومِ به ؟ ؟ ؟ . إن هذه الأسئلة لم تَعُدْ من المطروحات المعقَّدة التي تصعُب الإجابة عليها بعد ما مرَّ . ولكنَّ العاقل لا يتمكّن من مجاوزتها دون تفكُّرٍ وتبصُّر على كل حال ، ليوازن بين الحقّ ، وبين غير الحقّ . .

وقد سئل الصادق عليه السلام يوماً عن المساجد المظلَّلة : أتُكره الصلاة فيها ؟ . فقال :)

ـ نعم ، ولكن لا تضرُّكم الصلاة فيها . ولو قد كان العدل ، لَرأيتم كيف يصنع في ذلك ! . إذا نزل القائم في الكوفة أمر بهدم المساجد الأربعة : (الكوفة ، والسهلة ، وصَعصعة ، وزيد) حتى يبلغ أساسها ويُصيِّرها عريشاً كعريش موسى . وتكون المساجد كلها جَمّاءَ لا شُرَفَ لها ، كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله . ويوسِّع الطريق الأعظم (أي الطرقات العامة) ويهدم كل مسجدٍ على الطريق ، ويكسر كل جناح (أي شُرْفة) ويسدُّ كل كُوَّة (أي نافذة) إلى الطريق . . (لأنها تهتك سِتْر بيوت الجيران) ويهدم كل جناحٍ وكنيفٍ وميزابٍ إلى الطريق ! . ويأمر الله الفلَكَ في زمانه فيُبطيء دورانه حتى يكون اليوم في أيامه كعشرة من أيامكم ، والشهر كعشرة

---

(1) إلزام الناصب ص ٢١٧ وبشارة الإسلام ص ٢٤٩ نقلاً عن البحار .

(2) البحار ج ٥٣ ص ١١ـ ١٢ وبشارة الإسلام ص ٢٤٩ وص ٢٧٢ وإلزام الناصب ص ٢٣٠ بلفظ آخر .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ [1] ، فقال :

ـ يستوفي نصيبه من دولتهم الأئمةُ عليهم السلام . ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِيْ الآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ ﴾ : ليس له في دولة الحقّ مع القائم نصيب [1] .

(وقال عن دولة القائم عليه السلام أخيراً :)

ـ دولتُه آخرُ الدول وخيرُ الدوَل . تَعقُّب جميع الملوك ، بحيث لم يبقَ أهل بيتٍ لهم دولةٌ إلاّ ملكوا قبله ، لئلاّ يقولوا إذا رأوا سيرتَه : إذا مَلَكْنا سرنا بسيرة هؤلاء . وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾ [2] . (ورد هذا بلفظه عن الباقر عليه السلام ورُوي أن ابنه الصادق عليه السلام قال :)

لِكُلِّ أُناسٍ دولةٌ يَرْقبونها ... ودَولتُنا في آخر الدهر تَظهرُ [3]

(وقال عليه السلام أيضاً :)

ـ ليس بعد دولة القائم عليه السلام لأحدٍ دولة [4] ! . (وقال عليه السلام :)

ـ بين وفاة القائم عليه السلام وبين القيامة أربعون يوماً [5] ! . (وقيل عن تلك الفترة السيّئة :)

ـ . . وأُغلِق بابُ التوبة فلم يَكُ يَنفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبلُ أو

---

(1) الشورى ـ ٢٠ ، والخبر في إلزام الناصب ص ٢٨ـ ٢٩ مكرراً ، وفي الكافي م ١ ص ٤٣٦ .
(2) الأعراف ـ ١٢٨ ، والقصص ـ ٨٣ ، والخبر في الإرشاد ص ٣٤٤ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٣٦ ومنتخب الأثر ص ٣٠٨ والإمام المهدي ص ٢٦٧ وص ٢٦٨ عن الإمام الباقر عليه السلام وعنه عليه السلام ومثله في إلزام الناصب ص ٢٢٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٢ .
(3) البحار ج ٥١ ص ١٤٣ والإمام المهدي ص ٢٧٧ ومنتخب الأثر ص ١٦٩ وإلزام الناصب ص ١٤٠ .
(4) الإرشاد ص ٣٤٥ .
(5) الإرشاد ص ٣٤٥ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٢ والبحار ج ٥٢ ص ١٤٥ بزيادة : يكون فيها الهرج .

كسبتْ في إيمانها خيراً . فأولئك شِرار من خَلق الله [1] . (ثم جاء عنه ﷺ بالموضوع نفسه :)

ـ انتهاءُ مُلكه من أشراط الساعة ، إذ جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ : أي إنذارٌ بها ، وإشارةٌ إليها [2] . (ورُوي عن الباقر ﷺ قوله :)

ـ ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ : هو المهديُّ ، يكون في آخر الزمان . وبعد خروجه يكون قيامُ الساعة وإماراتُها ودلالاتُها وقيامُها [3] . (وجاء عن الصادق ﷺ أخيراً :)

فإذا تَمَّ الأمر أتى الحُجةَ الموتُ ، فقتلته امرأةٌ من بني تميمٍ اسمُها سعيدة (بل هي شقية) لها لحيةٌ وسبالٌ (أي شارباًن) مثل الرجال ، بِجُرْنٍ من صخر تقذفه به من فوق سطح وهو متجاوزٌ في الطريق [4] . . (وقال ﷺ :)

ـ ثم يرسل الله ريحاً باردة من قِبَلِ الشام (أي غربيَّة) فلا يبقى أحدٌ في قلبه مثقال حبَّة من خير أو إيمانٍ إلاّ قبضه الله ، فيبقى شِرارٌ في خفَّة الطير وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفاً ولا ينكِرون منكَراً [5] . .

(فسبحانَ الله الذي يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يَفعل ، وهم يُسألون . .)

قال الإمام الرِّضا ﷺ :

ـ لو قد قام القائم لَحَكم بثلاثٍ لم يحكم بها أحدٌ قبله : يقتل الشيخ الزانيَ ، ويقتل مانعَ الزكاة ، ويورِّث الأخَ أخاه في الأظِلَّة [6] ! . (يعني أنه يورِّث الأخ ولو كان في عالَم الأجِنَّة ، لا يزال حَمْلاً ينتظره أهله وذَووه جَنيناً لم يُبصِر النور ، دِقَّةً في

---

(١) البحار ج ٥٣ ص ١٤٧ في الهامش .

(٢) الزخرف ـ ٦١ ، والخبر في ينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ وفي الصواعق المحرقة ص ١٦٠ : هذه الآية نزلت في المهدي ، ومثله في إسعاف الراغبين ص ١٥٦ .

(٣) منتخب الأثر ص ١٤٩ وإلزام الناصب ص ٨٥ ونور الأبصار ص ١٦٩ .

(٤) إلزام الناصب ص ١٩٠ .

(٥) الصواعق المحرقة ص ١٥٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٧٢ بلفظ قريب وص ١٧٣ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٢ وص ٢٠١ ما عدا آخره .

(٦) البحار ج ٥٢ ص ٣٠٩ وبشارة الإسلام ص ٢٤٦ وإلزام الناصب ص ١٤٠ .

تطبيق الحُكم الشرعي . وقد رُويَ هذا الخبر عن الصادق ﷺ بلفظه) .

قالَ الإمام الهَادي ﷺ :

ـ هو الذي يَجمع الكَلِمَ ويُتمُّ النِّعَم ، ويُحق الله به الحقَّ ويُزهق الباطل . وهو مهديُكمُ المنتظَر . ثم قرأ : بَقِيَّةُ الله خيرٌ لكم ، وقال : هو واللّهِ بقيَّةُ الله [1] ! .

قال الإمَام العَسكري ﷺ :

ـ إذا خرج القائم ، أمرَ بهدم المنائر ـ أي المآذن ـ والمقاصير التي في المساجد . ومعنى هذا أنها مُحْدَثَةٌ مُبتَدَعةٌ لم يَبْنِها نَبِيٌّ ولا حُجَّة [2] . (ورُوي عن الإمام الباقر ﷺ بلفظه . . . وهذه أشياء وردت من طُرق الغير بشأن دولة الحق والإيمان في آخر الزمان :)

أشعيا :

ـ (٢ : ٤) : ـ فيقضي بين الأمم ، ويُنصِف شعوبَ كثيرين . فيطبّعون سيوفَهم سِكَكاً ورماحَهم مناجلَ . لا ترفع أمّةٌ على أمّةٍ سيفاً .

ـ (١١ : ٦ ـ ٨) : ـ فيسكن الذئب مع الخروف ، ويُربَط النِّمر مع الْجَدي ، والبقرة والدُّبَّة ترعيان ، تربض أولادهما معاً . والأسد كالبقر يأكل تبناً ، ويلعب الرضيع على سرب الصِّلْ ، ويمدُّ الفَطيم يده على جُحر الأفعوان ! .

ـ (١١ : ٩) : لا يسوؤن ولا يفسدون في كل جبلٍ قدسيّ ، لأن الأرض تمتلىء من معرفة الربّ كما تغطّي المياه البحر ! .

ـ (٣٢ : ١٦ ـ ١٨) : فيسكن في البرِّيَّة الحقّ ، والعدل في البستان يقيم ، ويكون صنع العدل سلاحاً ، وعمل العدل سكوناً وطمأنينة إلى الأبد . ويسكن شعبي في مساكن مطمئنة وفي محلاّت أمينة . .

ـ (٦٥ : ٢٠ ـ ٢٥) : لا يكون بعدُ هناك طفلُ أيام ، ولا شيخٌ لم يُكمل أيامه ! . (أي لا تكون فتنٌ ولا حروب يُقتَلُ فيها الأبرياء من الصغار والكبار) لا

(١) إلزام الناصب ص ٥٧ .
(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٣ .

يتّبعون باطلاً ، ولا يلدون للرُّعب ، لأنهم نسلُ مباركي الرّبّ وذرّيّتهم معهم . الذئب والحَمَل يرعيان معاً ، والأسد يأكل التبن كالبقر ، أما الحيّة فالتراب طعامها .

(ويكفي أنهم لا يتّبعون باطلاً ، وأنهم لا يَلدون أبناءهم لمُقاساة الرُّعب والأهوال) .

دانيال :

- (١٢ : ٣٥ - ٤٤ - ٤٥) : جاء أنه يقرض ممالك الأرض بِرُمّتها ، ويقيم مملكةً سماويّةً لا تنقرض ، وتملأ الأرض كلها . (كأخبارنا القدسيّة تماماً ، ولكنها تنقرض بقيام الساعة) .

إنجيلُ متّى :

- (١٩ : ٢٧ - ٢٩) : فقال لهم يسوع : ألحق أقول لكم : إنكم أنتم الذين تَبعتموني في التجديد ، متى جلس آبن الإنسان على كرسيّ مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على آثني عشر كرسيّاً ، تُدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر . وكل من ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو امّاً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي ، يأخذ مئة ضِعْفٍ ويرث الحياة الأبديّة .

كورنثوس الأولى :

- (٤ : ٥) : إذاً لا تحكموا في شيءٍ قبل الوقت ، حتى يأتي الربّ الذي سينير خفايا الظلام ويُظْهِر آراء القلوب ، وحينئذٍ يكون المدح لكل واحدٍ من الله .

ثيموثادس الثانية :

- (٤ : ٧ - ٨) : جاهدتُ الجهاد الحسَن ، أكملتُ السعيَ ، حفظتُ الإيمان ، وأخيراً وُضِعَ لي إكليلُ البرّ الذي يَهَبه لي ذلك اليوم الربُّ الديّان العادل . وليس لي فقط ، بل لجميع الذين يُحبُّون ظهوره أيضاً .

الرؤيا :

- (٣ : ١١) : ها أنا آتي سريعاً . تمسّكْ بما عندك ، لئلاّ يأخذ أحدٌ إكليلَك ! .

١٥ ـ العَلاَمَات

﴿ يَمْحُوْ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (١) .

تمهيد :

العلامات تَتَوالَى تِباعاً . .

ونحن نعيش عِدَّةً منها ، كما عاش أسلافُنا بعضها . .

ولكن : من العلامات ما هو محتوم ، ومنها ما هو مشروط . ومنها العامّ ، ومنها الخاصّ ، ومنها المجمَل ، ومنها المفصَّل . كما أن منها البعيد عن موعد الظهور ، ومنها القريب منه بل المقارِن له . ولا يميِّزها إلاَّ العارفون بها وإن رآها سائر الناس . وقد تتوقف أبرز علامة منها على علَّة من العلل فإن تأخَّر شرطُها تأخرتْ إلى أن يقضيَ الله أمراً كان مفعولاً . .

أما الأخبار التي نقلَت لنا العلامات : فمنها ما يُفْصِح أو يُلْمِح ، ومنها ما يُكَنِّي أو يصرِّح ، ومنها ما يَرمز وما يُلْغِز . . وأكثرُها يبقى معجزاً مجهولاً إلى أن يُفسِّرها الواقع الذي تحدَّثتْ عنه الأخبار ، فنرى أنها قد عَنَتْ وعيَّنت ذلك الواقع بذاته كما شرحنا الكثير منها فيما يلي . .

---

(١) الرعد ـ ٣٩ .

والروَايات الدالة على العلامات ليست خرافات ! . ولا كـان إلقاؤهـا إلينا رجمـاً بـالغَيب . . ولا هي تنبُّؤات يتحقَّق بعضها ولا يتحقَّق البعض الآخر . . بل مصـدرُها الـوحيُ ـ قَبِلَهُ مُنْكِرو الـوَحي أو رفضوه ـ وصـل إلينا بـطُرُقٍ مختلفةٍ تجتمـع كلها عنـد رسول الله ﷺ الذي نَقَلها عن جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى ! .

أجـل ، لن نبحث في خرافـات . . بل نعـرض لأخبـارٍ صـادقـة مؤكَّـدة ، تقـع مـوصوفـاتُها مـرحلةً مرحلةً ، الأمـر الذي يبـرهن ـ أولَ ما يبـرهن ـ على صدقهـا برغم تعجُّب المتعجّبين واستهجـان المتنكّـرين لكـل مـا هـو من السمـاء ! . ففي حـدوثهـا ـ واحدةً بعد واحدة ـ حُجةٌ تَدمغ باطل المُبـطلين وتدفـع شُبهاتهم . . وقـد تحقق منهـا الكثيرُ ، ووقع في عصرنا ـ بالذات ـ منهـا عددٌ كبيـر سيميِّزه القـارىء عندمـا نشير إليـه ويقـع نظره عليه فيعلم أنه منهـا . . وسيقـع البـاقي لا محالـة كما تـطلع الشمس بعـد مَغيبها بساعـات معدودة لا محالة ! . وستبهتُ العـلاماتُ العُـظمى التي تَحدث قُبيـل الخروج كلَّ مكابر ، وما علينا وعلى الناس ، إذا أردنا الإقتناع ، إلاَّ أن نتتبَّعها لنلاحظ أن القائم عليه السلام يَظهر حتماً جزماً على رأس آخر علامـة من العلامـات الْخَمس العُظْمى التي ذَكَرَها أمير المؤمنين وولداه الصادقان عليهما السلام حين قالوا :

ـ من المحتوم الذي لا بُدَّ منه أن يكون قبل القائم : خروجُ السفيـانيّ ، وخَسفٌ بالبيداء ، وقتلُ النفس الزكيَّة ، والمنادي من السماء ، وخروجُ اليمـانيّ ! ! ! (١) والتي عبَّروا عنها بقولهم المؤكَّد أيضاً :

ـ النـداء من المحتـوم ، والسفيـانيُّ من المحتـوم ، وقتـل النفس الـزكيَّـة من المحتوم ، وكفٌّ يطلع من السمـاء من المحتوم (٢) ! . والتي عبَّـر عنها الصادق عليه السلام باختصار يُريح المتتبِّع :

ـ خَمْسٌ قبل قيام القائم من العلامات :

---

(١) الإرشاد ص ٣٣٦ ومنتخب الأثر ص ٤٥٥ وص ٤٣٩ بلفظ آخر ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٠٦ وإلزام الناصب ص ١٨١ .

(٢) إعلام الورى ص ٤٢٦ والإرشاد ص ٣٣٦ وص ٣٣٨ ومنتخب الأثر ص ٤٥٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٠٦ .

الصيحة ، واليمانيُّ ، والخَسفُ بالبيداء ، وخروجُ السفيانيّ ، وقتل النفس الزكيّة (١) .

فهذه العلامات الْخَمس هي بشائر الخير التي تحصل متتالية في غضون أشهرٍ معدودةٍ ولا تدع شكّاً لشاكٍّ ، إذ يعقُبها الفَرَج الأكيد . .

أما بقيّة العلامات فلا تحصل دفعةً واحدةً ، ولا في سنة واحدة ولا في عصرٍ واحد ، وإن كانت ـ بمجموعها ـ أدلةً واضحةً على عصر الخروج . فلا محيص بعدها ، ولا ريبَ فيما يترتب عليها ، حتّى أن حدوث بعض العلامات الكبرى التي أشرنا إليها ، يمكّننا من تحديد اليوم والشهر والمكان . . وقد قال الإمام الصادق عليه السلام بجزمٍ يقطع على الناس كل اعتراض :

ـ إنَّ الله عزَّ ذِكْره لا يعجّل لعجلة العباد ! . وَلأزالةُ جبلٍ من موضعه أيسرُ من زوال مُلْكٍ لم يَنقضِ أَجَلُه (٢) ! . (فلا بُدَّ للمماليك من استيفاء آجالها ، ولا بُدَّ لكل مَن كَتَبَ اللّهُ له الحُكم أن يَحكم . .)

وها إنني صنّفت العلامات للقارىء قَدر الإمكان ، ووحّدت مواضيعها فجمعتُ أكثر ما ورد في كل منها ، لِتَنماز كل واحدةٍ عن غيرها مما يشابهها ، ولئلا يتشتّت فكر القارىء عند تحديد كل علامة ، فصارت العلامة المعنيّة لا تتحمّل التأويل والاختلاط مع غيرها . . وبذلك أزلْتُ الإبهام ما استطعت ، بعد أن بذلت الجهد المجهد في سبيل تنقيَتها من التشويش . .

ولكنّني قبل أن أشرع في تفصيل الحديث عنها أُلفت نظر القارىء إلى أن الأمر الواضح الذي تطمئن إليه النفوس ـ عند المصدِّقين والمكذِّبين ـ هو أن المهديّ عليه السلام إذا ظَهَر ، عُرِفَ بذاته وصفاته فخبطَ الأرض بعرضها وطولها ، وشغل فكرَ الناس

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٤ وص ٢٠٩ وص ٣٠٤ وإعلام الورى ص ٤٢٦ وبشارة الإسلام ص ١٤٠ والإرشاد ص ٣٣٦ ومنتخب الأثر ص ٤٥٢ وص ٤٥٣ وص ٤٣٩ بلفظ آخر ، وص ٤٥٨ رُوِيَ عن الإمام الحسين عليه السلام .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٦٦ في الحاشية ، وبشارة الإسلام ص ١٣٩ ـ ١٤٠ وص ٧٤ باختصار ، ونهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٢٦ نصفُه الأول وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

مقيمين ومسافرين ، متيقّظين ونائمين ، رجالاً ونساءً ، شيوخاً وشباباً ، أسودَهم وأبيضهم ، عربيَّهم وأعجميّهم ! ! ! بحيث لا يأبهُ الناس لأيّ مدَّع للمهدوية قبله مهما تعدَّد المدَّعون . بل ما من أحدٍ نهضٍ بدعوى المهدويَّة حتى أيامنا هذه إلاّ قُتل بسيفه الذي شهَره فما أحسَّ الناس بظهوره ولا اضطرب أحدٌ لجزّ رَقبته لأنه كاذبٌ مكذّب . .

فأمرُ إمامنا أبْيَنُ من الشمس ، يدخل صوتُ دعوته كل فؤاد في كل زاوية من زوايا الدنيا ، وتهزُّ صرختُه ضمائر الناس دَنَوا أم نأَوا ، لأنها إنذارٌ بمجيء الحق الذي يلج القلوبَ دون استئذان ، وينادي على نفسه بالصدق ، فيُعرف المهديُّ عليه السلام بذاته حقّاً وحقيقة . . . وأُقدّم بين يَدَي كلامي أيضاً بعض ما قاله جدُّه أمير المؤمنين عليه السلام منذ أربعة عشر قرناً ، لترى ريح السماء في قوله حيث قال :

ـ يخرج إذا خفَّت الحقائق ، ولحق اللاحق ، وثقُلت الظهور ، وتتابعت الأمور ، واختلفت العرب ، واشتدّ الطلب ، وذهب العفاف . . وَ . . وَ . . . واستحوَذ الشيطان ، وحكمتِ النسوان ، وفَدحتِ الحوادث ، ونفثتِ النوافث ، وهجم الواثب ، وعبس العبوس ، وأجلب الناموس (وقيل : وجمس الجاموس) ويفتحون العراق ، ويُجمجمون الشقاق بدمٍ يُراق [1] . . (وورد هكذا :)

ـ إذا زَهق الزاهق ، وحقَّت الحقائق ، ولحق اللاحق ، وتقلّبت الظهور ، وتقاربت الأمور ، وحُجب المنشور . فيفضحون الحرائر ، ويتملّكون الجزائر ، ويهدمون الحصون ، ويفتحون العراق ، ويُظهرون الشقاق بدمٍ يُراق ، فعند ذلك ترقّبوا خروج صاحب الزمان [2] ! .

يقرأ الإنسان هذا السَّجع فيقول : إنني حاضرٌ لأن أنسج سجعاً مثله من اليوم حتى قيام الساعة ! . ذاك أنه يظنّه كلاماً جرَّته القافية وجرَت به قريحة ابن أبي طالب

---

(١) بشارة الإسلام ص ٧٤ وإلزام الناصب ص ١٩٤ بتفصيل واف، ومثله في ص ٢٠٣ وص ٢٠٤ وص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٩٤ بتفصيل أكثر ، ومثله ص ٢٠٣ وص ٢٠٩ ـ ٢١٠ وبشارة الإسلام ص ٧٤.

وأخذت فصاحته فيه مداها ! ! !

لا ، لا . . فلكل كلمة من هذا القول مدلولها الذي لا يقوم مقامه أي مصداق عليها . . فالقائم ﷺ يخرج ـ بحسب قول جدّه ـ :)

ـ إذا خفّت الحقائق : وقد خفّت . فما من حقيقة يقول بها عاقلٌ فيؤبَهُ لها أو يُعتنَى بها . . بل لا يسلَم قائلها من الهزء به وبها ، أو من مقابلة حقيقته بمغالطات ومماحكات وشكوك تَضيع بينها كلمتُه وتُصبح قرينة تلك المغالطات التافهة ، وتُنسى مع ما يُنسى . .

ـ ولحق اللاّحِق : وضاع الناس في التقليد والمُحاكاة والمتابعة على الهوى والضلال ، فصدَق في الناس قول النبيِّ ﷺ حيث قال :)

ـ حتى لو دخلَ أحدُكم في جُحر ضَبٍّ لَدَخلتم فيه [(١)] ! .

فلم يَبقَ امرؤٌ إلاّ الْتحق بحزبٍ أو بمنظَّمة ، أو انضوى تحت راية فئة من الناس وقلَّد غيره بلا رويَّة : فحين أطال واحدٌ شَعره طوَّل الشباب كلُّهم شعورَهم ، وحين لبس (الْكاوْ ـ بُويْ) لبسه الشباب والبنات ، وحين نزعت واحدة جِبَاءَها خرجت النِّسوة عاريات ، وحين أطلق واحدٌ لِحيَتَه رأيت اللِّحَى تسدُّ منافذ الطُّرقات ، ورأيت الشعور منفوشة محشوَّةً بالغبار . . فَهُم هيبِّيون : أي لا مبالون ولا مسؤولون ! ! !

ـ وثَقُلت الظهور : صار شرُّ مَركَب ذوات الظهور من الحمير والبغال والخيل والإبل ، لأنها ثقيلة الخُطى بطيئة السير لا تتلاءم مع عصر السرعة الألِكْتْرُونيّ الذي نحياه . . وحين قال : وتقلَّبت الظهور : عَنَى وقوع الخلاف بين المسلمين ، والعرب ، والناس كافةً ، وحصول الفتن ، وقد حصل ذلك كلّه كما نعلم ! .

ـ وتتابعت الأمور (أو تقاربت) : وتتابُعُها وتقاربها ملموسان حتى في مجال الثورات والإنقلابات والفتن والمفاجآت . فقد جاء في الأخبار المقدسة :

ـ تَوَقَّعوا آياتٍ كَنَظْمِ الخَرَز [(٢)] . ! .

---

(١) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧١ والملاحم والفتن ص ١٠٧ و١٣٢ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٥٧ والبحار ج ٥٣ ص ١٢٧ .

(٢) الملاحم والفتن ص ١٠٢ وغيره كما ترى بعد قليل .

وقـد تقاربت الأمـور وسهُل الـوصول إلى الغـايات ، وتيسُّـر الإتصال وانعـدمت المستحيلات على الإنسان العصريّ .

ـ واختلفت العرب : وقد اختلفوا فيما بينهم حتى صحَّ أن نقول : لم يتَّفقـوا إلاّ على عـدم الـوِفـاق الـذي أخـذ يتعمّق بينهم يـومـاً بعـد يـوم ! . فنسـأل الله الألفـةَ والمِنعة . .

ـ واشتدَّ الطلَب : فما من عاقـلٍ إلاّ ويتمنّى في قرارة نفسـه قيام مُصلحٍ عـادلٍ يخلّص الإنسـانية من عـذابهـا المُحيق بهـا ، ولا من مؤمنٍ إلاّ ويحلُم بـظهـور القـائم المنتظَر الذي يبدِّل الظلم بـالعدل ، بـل ما من منكِـر إلاّ وهو يجتهـد في سبيل تحقيق المبدأ الذي يعتنقه على أساس أنَّ فيه خيرَه وخيرَ سائر الناس .

ـ . . وذهب العَفـاف ! . ولعل أميـر المؤمنين عليه السلام يقصد عفـاف الشُّـرفـاء من أسـلاف الناس . . لأننـا ـ في هذه الأيـام ـ نقرأ عن عفـاف الماضين ، ونتـرحُّم على أصحابه . . بل إن بعضنا لَيَعدُّهم من السُّخَفاء ، لأن العفيف اليـوم هو ذلـك القاصـر الرجعيُّ الذي يحمل عقليَّةً عتيقةً بين أناسٍ تحرَّروا من الأعراف الدينية والخُلقية ! .

ـ واستحوذ الشيطان : وقد فَعَل ! . وأخذ حقَّه منّا كامـلاً . . وألقى حبائله على الكلّ . . ومن لم يكن في حظيرته فَلْيرمِهِ بحَجَـر ، ولْيرشقْـهُ بِلَعنة ! ! ! اللّهم إلاّ من عصمَه الله . .

وحكَمت النسـوان : أين ؟ ؟ ؟ في الـرئـاسـات ؟ . أم في المكـاتب ؟ . أم في المحاكم ؟ . أم في الدور والقصور ؟ ! . هنا أم في سـائر أنحـاء المعمور ؟ ؟ ؟ إنهنَّ يَحكُمن في كـل مجـال . . بعـد أن ذهبت الغَيـرة من صـدور الـرجـال ! . وبعـد أن سيـطرت عبـوديّـة الجنس . . فهنَّ : مَلِكـات . . ورئيسـات وزارات في الشـرق والغـرب . . ونـائبـات . . نـائبـات في المجـالس . . وعضـوات في اللّجـان ، وسكرتيرات وفي السكرتيريا أميرات . . وحاكماتٌ بأيديهنَّ وأرجلهنَّ . . وبائعات . . وبيّاعات ! .

ـ (وقـد) فَـدَحت الحـوادث : وحلّت بـأنـواعهـا في مختلف أقـاليم الأرض ، وبأفدح ما يكون من الحال ، حتى لا ترى جـزءاً من الأرض هادئ الحـال والبال ، لا

على صعيد الأفراد ، ولا على صعيد المجتمعات والأمم والدول كما نرى بالتتبُّع والاستقراء . .

ـ ونفثت النوافث : فجلّت عظَمةُ ربِّك الذي وهَبَك وميَّزك بهباته يا أمير المؤمنين ! . وجلَّ سموُّ فكرك يا من لم يَخْفَ على فكره الثاقب مثلُ الطائرات النفَّاثة . فذكَرها جزماً ولو كنَّى عنها بفعلها . وها هي ذي ـ تحت سمعنا وبصرنا ـ تنفث من حولنا وحوالينا ، وفي سائر أنحاء الأرض ، وتحمل في جوفها النار ووسائل الخراب والدمار . . فعجَّل الله تعالى فَرَجَ وَلَدِكَ الذي يخلِّص الناس من غاراتها وهجماتها ! .

ـ وهجم الواثب : وقد هجم ، ويهجم كل واثبٍ وكل مغيرٍ في طائرته المدمِّرة : من رجال الكومندوس إلى المظلِّيين إلى غيرهم ممن يهاجمون كل بُقعة من بلادنا وكل ناحية من نواحي الأرض ، لتُمطِر القذائف وتنشر الذعر ، وتخلِّف الموت والدمار والخراب ! . .

ـ وعبَس العبوس : فاكفهرَّ في أيامنا جوُّ الكرة الأرضية من أركانها . . وأظلمَ فلا ترى فيه ضاحكاً من أعماق قلبه ، ولا متبسِّماً تنمُّ بسمتُه عن نفسٍ مرتاحة ! . بل ما من إذاعةٍ إلاَّ ويجلجل صوتها ـ صباحَ مساءَ ـ بما يؤلم ويعتصر القلب ويهزُّ الأعصاب ! .

ـ وأجلبَ الناموس : وصار أمينُ السرِّ أول خائنٍ للرئيس ، وأعدى أعداء المرء أقرب المقرَّبين منه ، وأعظم مهوِّشٍ على الإنسان من يتَّخذه خلاًّ وخليلاً ! .

أما إذا لاحظنا : جَمَسَ الجاموس ـ بسبب الرواية الثانية ـ فإن ذلك يعني تكلُّم الجامد ، كإجلاب المذياع والتلفزيون والتلكس وغيرها ممَّا يؤدِّي دور الكلام ولا روح فيه كالآلات المسجِّلة ، والمحرِّكات الهادرة وجميع باعثات الصوت من الجوامد . .

فأمير المؤمنين غير سجَّاع . . وما هو بشاعرٍ ولا ينبغي له . . بل هو ربيبُ الوحي ، وصِنْوُ الرسول ، وبابُ مدينة عِلْمه . . وقد ورد عنه ما لا يقلُّ غرابة في وضوحه عمَّا سبق إذ قال في خطبة البيان سجعاً أيضاً ـ لمن يريد أن يفهم سجع أمير المؤمنين ـ :

ـ . . . وأنجد العيصُ ، وأراع القَنيصُ ، وكَثُرَ القميص [1] ! ! !

ويقرأ ذلك الإنسان ، فلا يتعجّب ممن يهزأ . . أليس كذلك ؟ .

لا . . بل يهزأ ممن يتعجّب ، ويتعجّب ممن يهزأ . . فأبو الحسن لا يُلقي كلاماً على عواهنه ، إذ وعد بخروج حفيده :

ـ إذا أنجد العيص [2] : فيبست الأشجار لانشغال الناس بالفتن عن العناية بها ، ولقلّة المطر فصارت الأرض نجداً ، مظهرُها كمظهر الرِّمال البَلقع ! . وقد أوشك ذلك أن يقع لأسبابٍ كثيرةٍ غير التي ذكرناها . وسيتمُّ ذلك بالحَرق والتدمير . . الذّرّي ! .

ـ وإذا أراع القَنيص : وقد أخاف القنّاص الناس وأرعبهم ! . وقد أتَت فتنُ آخر الزمان بهذا النموذج من القنص الذي لا يعفُّ عن كبير ولا صغير ، ولا رجل ولا امرأة ، ولا قريب ولا بعيد . . وقد عانينا منه في لبنان أموراً يندَى منها جَبينُ الإنسانية خجلاً لو كان قد بقيَ في الناس إنسانية ! . فقد قنص القنّاصُ ـ في لبنان مثلاً ـ قنصَ أخاه ، وخالَه ، وجارتَه ، وبنتَ عمّه . . وقبض على كل (رأس) جِعالةً محترمة ! ! !

ـ وكَثُرَ القميص : أي التواثب والذُّعر والنُّفور ! . ومن منّا لم يهرب في بيته من زاوية إلى زاوية خوف الرصاص الطائش ، أو لم يحمل عيالَه وأطفالَه من الداخل إلى الخارج ، ومن بلدٍ إلى بلد ، ومن مكان إلى مكان . . بل مَن مِن اللبنانيين ـ خاصةً ـ نام ملء عينيه ليلة واحدة منذ سبع سنواتٍ كاملةٍ تكاد تعقبُها سنةٌ ثامنةٌ والعياذُ بالله ! .

ثم جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام سجعٌ ثالث بمثابة وحيٍ من الوحي إذ قال :

ـ إذا صاح الناقوس [3] : أي إذا جلجل صوت جبرائيل عليه السلام حين النداء من السماء . . كما سيأتي .

ـ وكبس الكابوس : أي وقعَ الخَسفُ بجيش السفيانيّ كما سترى . .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٩٤ وص ٢٠٤ بتفصيل ، وص ٢٠٩ ـ ٢١٠ وص ٢١٣ بلفظ : إذا صاح الناقوس ، وكبس الكابوس ، وتكلّم الجاموس ، فعند ذلك عجائبٌ وأيُّ عجائب ! . .

(٢) إلزام الناصب ص ٢٠٤ وص ٢١٣ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٧٣ وإلزام الناصب ص ١٩٤ وص ٢٠٤ بتفصيل أكثر ، ومثله في ص ٢٠٩ .

ـ وإذا أثار النارَ قيصرُ : أي جعل نار الحرب تندلع بما يرتكبه رئيسٌ غَرْبِيٌّ من تصرُّفات تثير فِتَناً متلاحقة تُشعِل حرباً لا مناصَ منها . . فالغربيون والشرقيون ـ وهم المرموز إليهم بلفظة : قيصر ـ عطّلوا جميع مصالحهم واشتغلوا بناحيتين لا ثالثة لهما :

أولُهما : صناعة السلاح : على مختلف المستويات والفعاليّات ، وبيعه أو توزيعه هِبَاتٍ ومَبَرّاتٍ لعُملائهم من أجل راحة أرواح أجدادهم ! .

والثانية : إثارة الشعوب والفئات بعضها على بعض ! . ففي كل بلاد فتنة لصالحهم الخاصّ لا لصالح البلاد ، وفي كل منطقة ثورة ذات عنوان خاص ، وفي كل مكان نار مضطرمة ، ودمارٌ وموت زؤام . . إلى أن تهبّ الريحُ العكسية التي تُضرم اللّهب في أوطانهم كما أضرموه في أوطان غيرهم بحول الله وقوّته ومشيئته .

ثم جاء عنه قولٌ عجيبٌ في بابه لِمَا فيه من غيبيّات نذكر منه ما يلي :

ـ ولذلك علامات . . . وكشفُ الهيكل ، وخفقُ راياتٍ ثلاثٍ حول المسجد الأكبر تهتزّ ، يُشْبُهْنَ بالمهديّ . . وقتْلٌ سريعٌ وموتٌ ذريعٌ ، إلخ [1] . . .

فمن أطلعه على واقع أمرٍ نُعاصِرُه ونراه اليوم ، فحدَّثنا عمّا يكون بعد ألفٍ وأربعمئة سنة ؟ ! !

فالهيكل : هو هيكل النبيّ سليمان ﷺ الذي كاا معبداً عجيباً في عهده ، يقوم في مدينة القدس على ثلاثمئة وستين عموداً من المرمر الثمين النادر ، فيه من النقوش والأحجار الكريمة ما يأخذ بالألباب . . أرضه مبلّطة بالبلّور الشفّاف الذي كانت المياه تجري من تحته ، حيثُ حَسِبَته بلقيس ملكة سبأ بُحيرةً من المياه حين دخلت على سليمان ﷺ فكشفت على ساقيها لتَعبر الماء فنبّهها السَّدَنة إلى أنه بلاط يجري من تحته الماء . .

هذا إلى عجائب كانت فيه تبهر الأبصار ، يكفي أن نذكر منها عرش

---

(١) بشارة الإسلام ص ٥٨ وص ٦٧ بزيادة : القاتلُ والمقتولُ في النار ، ومثله في ص ٦٨ والزيادة في ص ٧٣ ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٧٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٧٣ وج ٥٣ ص ٨٢ بلفظ مختلف ، والمهدي ص ١٩٧ .

سليمان ﷺ الذي كان يحمله تمثالُ أسدٍ يبسط يدَه التي يضع سليمان ﷺ عليها قَدَمه ليجلس ، فيتحرَّك العرش ويقترب منه حتى يقعد فيعود إلى مكانه بحركة آلية دقيقة مُدهشة ، إلى غير ذلك من دقيق الصُّنع في الزخرفة وغريب الفن الذي يتجلّى في عمارة ذلك الهيكل العجيب .

وفي أيامنا هذه يحاول اليهود كشفه . . وهو يقع على مساحة يدخل منها قسمٌ تحت المسجد الأقصى المبارك ، وقسمٌ تحت كنيسة القيامة . والرايات الثلاث ستهتزّ حول هذا المسجد حين يفتح العربُ القدس بعد أن يكون اليهود قد كشفوا معالم الهيكل الذي تعمل آلاتهم الحافرة على كشفه وأنا أكتب هذه السطور ، وليس ذلك ببعيد إن شاء الله تعالى .

أما أن الرايات تُشَبَّه بالمهديّ فلأن حامليها يدَّعون أنهم على الحق في محاربة اليهود ، مع أنهم لا يقيمون صلاة ولا يقيمون حدًّا من حدود ما أنزل الله ، بل يحاربون بالعصبيَّة العنصَريَّة دون غيرها . .

ـ وقتلٌ سريعٌ ، وموتٌ ذريع ـ". يشير إلى القتل بالرصاص ذي السرعة الفائقة وبالصواريخ والقذائف وجميع وسائل الحرب التي تُفني المئات والألوف دفعة واحدة . .

وإليك العلامات مُعنْونَةً بعناوين مفردة ، ليستطيع القارىءُ أن يُلمّ بكل واحدة منها مميَّزة بعضُها عن بعض . . .

١٦ ـ أهل آخِرِ الزّمَان . .

بَين يَدَيِ الموضوع :

قبل إيراد ما جاء في وصف أهل آخر الزمان أقول :

من المفروض بنا ـ ونحن رافعو لواء العلم القائم على الإيمان بالمحسوس ، وأهل العبقريات التي حقَّقت المستحيلات في هذا العصر ، وأنجزت المعجزات المدهشة ـ من المفروض بنا أن نؤمن بالمحسوس ، ونصدِّق بما مرَّت به الإنسانية عَبْرَ العصور ، أمّةً بعد أمّةٍ ، في مظاهر سرَّائها وضرَّائها . . فإننا ـ فيما نَعلم ـ لا نعرف أمّة تمادت في غيِّها إلاّ حاقتْ بها كارثة أرضية أو سماوية أدَّت بها إلى الدمار ! . لا نأخذ ذلك من الرُّسُل ولا من طُرُق السماء فحسب ، بل من أسفار التاريخ التي وضعها الناس للناس ، والتي نقلت قَصَصَ كوارث أممٍ اندرَست حضاراتُها ، وأممٍ انطمست آثارها ، وأممٍ أخرى ابتلعها العدم في خوارقَ مُرعبة ، حين تنكَّرَت للخُلُق وهزئت بالدين ، فاندثرت تحت وطأة حرب أو وباء أو خسف ! . فلماذا نبقى نكذِب على أنفسنا ونخدعها ؟ ! .

ولماذا لا نعترف بأن منطق الحكمة المتركِّز في عقلنا الباطنيِّ يقول :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [1] ؟ ! .

---

(١) المؤمنون ـ ١١٥ .

ومَن منّا لا يجول في ذهنه هذا الاستفهام : نحن من أين أتينا ؟ . ولماذا كُنّا ؟ . وإلى أين نصير ؟ ! . أهيَ حياة غايتها الأكل والشرب واللّهو ، وتمثيل دورٍ تافهٍ على مسرحٍ حُرٍّ من مسارح الحياة ، ثم يتعاقب ليلٌ ونهارٌ يؤدّيان بالمرء إلى الموت فالعدم . . فالنسيان ؟ ! !

لا ، بل إن العقل المستنير ـ القائم على الإيمان بالحقائق ـ لا يقبل هذا ، ولا يقتنع بأنه (خُلِقَ عَبَثاً) ! . فينبغي له أن لا يتمرّد على سُنن الطبيعة ، وأن يُعيد النظر في سلوكه ، ويتأمّل في الغاية من وجوده ، ويُقدّر لمصيره ومصير مجتمعه خيراً مما هو عليه ، كيلا يكون مساهماً في دفع الإنسانية نحو هاويةٍ ليس لها قرار ، بعد أن عرف أن (الطبيعة) أبَتْ أن تَسكت عمّن يتنكّر لِسُنَنِها ، وعلّمتنا أنها تنتقم ممن يُدنّس نواميسها ! . فكيف بمن يُدنّس نواميس السماء ؟ ! !

وليكن معلوماً أننا في زمانٍ نحن موعودون به ، ومنتظِرون لحلوله . . وقد حلّ بكل ما يواكبه من تَرَفٍ رخيص ! ! ! .

والعيب الأكبر هو أن نرتضيَ كونَنا أهل ذلك الزمان الذي تُلازمه ظواهر طبيعية ستدكُّ الأرض وتُطبّق السماء . . ثم نُهيّءُ لهذه الظواهر بملء اختيارنا ، ونبذل جميع طاقاتنا ، تماماً كمن يرى أتون النار الملتهب ويرمي نفسه فيه ! ! !

أجل إنه لَزمانٌ منتَظَر تناول وصْفَه نبيُّنا وأوصياؤه عليهم السلام حين كانوا يغرسون الإنسانية المُثلَى في نفوس أفراد الأمّة الإسلامية ، وحين كانوا يُؤثّلون العقيدة في قلوبهم ، ويؤصّلونهم على الإيمان الذي يكفل سعادة الإنسان في الدارَين . .

فاستمعْ إلى وصفهم ، واعجبْ من دقّة تصويرهم لما نحن عليه في الصفحات التالية المُثقلَة بالعلم اللّدنيّ وبالحقائق الغريبة التي حَكَوا عنها منذئذٍ ! .

قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وآله :

ـ لا يأتي عليكم زمانٌ إلاّ الذي بعدَه شرٌّ منه (١) ! .

(وإذا استقرأنا الأزمنةَ التي مرّت على المسلمين منذ عهده الكريم حتى اليوم ،

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٩ .

نجد الشرَّ قد ذرَّ قرنُه منذ لحوقه ﷺ بالرفيق الأعلى ، بل من قُبيلِ دَفنِه ، ثم راح يتزايد عاماً فعاماً ، وحقبةً بعدَ حقبة . . ثم نجدُ أن زمانَنا قد أصبح من أشدِّ الأزمنةِ شرّاً ، إذ بلغتْ سائرُ الشرورِ ذِرْوَتَها في أيامنا هذه ، وصدق فينا القولُ الشريف المأثورُ عنه ﷺ يوم قال : إنكم في زمان مَن ترك عُشر ما أُمر به هلَك ، وسيأتي زمانٌ مَن عَمِلَ بِعُشر ما أُمِر به نجا .

فهل نحنُ نَعمل بعُشْر ما أُمِرنا به لنصبح من الناجين ؟ . لا . . ولكننا اخترنا طريق من لا يعمل ، وقَبِلنا بلقلقة لسان ليس وراءها شيء . . وهاكَ ما وصفَنا به منذ ألف وأربعمئة سنة حيث قال ﷺ :)

ـ يأتي على الناس زمانٌ هَمُّهم بُطُونُهم ، وشرفُهم متاعُهم ، وَقِبْلَتُهم نساؤهم ، ودينُهم دراهمُهم ودنانيرُهم . أولئك شرُّ الخَلْق ، لا خَلاقَ لهم عند الله [1] .

(إي والله ، إن شرفنا اليوم المتاع ، والدرهم عندنا صَنم ! . بل كل ما عناه هذا الحديث الشريف صنمٌ نعبده ونضحّي من أجله ! . ورُوي عنه ﷺ أيضاً :)

ـ سيأتي على الناس زمانٌ ، يُخَيَّر فيه الرجُلُ بين العجز والفجور . فمن أدرك ذلك الزمان فَلْيَخْتَرِ العجز على الفجور [2] . . (ونحن لا عاجز ولا مُتعاجز بيننا عن إتيان الفجور . . بل العجز للجبناء عن ممارسته في شتّى ميادين الحياة . . وإليك ما هو أدْهَى من قوله ﷺ :)

ـ لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف ، ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكَر ، أو لَيُسلِّطنَّ الله عليكم شِرارَكم ، فيدعو خِيارُكم فلا يُستجاب لهم [3] . (وقد صار ذلك كذلك : فلا نأمر بذاك ، ولا نَهَينا عن هذا ، والشِرار مسلَّطون علينا بما كسبت إيدينا ، وما ربّك بظلّام للعبيد ! . ثم وعدَ بالمعاملة بالربا المتفشّي بيننا فقال ﷺ :)

ـ وعندهَا يَظهر الرِّبا ، ويَتعاملون بالرُّشى ، ويوضَعُ الدِّين وتُرفَعُ الدُّنيا [4] .

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٣٨ .
(٢) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٣٧٢ .
(٣) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ وبشارة الإسلام ص ٢٧ بعضُه .
(٤) بشارة الإسلام ص ٢٦ .

(ثم قال ﷺ :) ـ لَيَأتِيَنَّ على الناس زمانٌ ، لا يبقى أحدٌ إلاّ أكل الربا ، فإن لم يأكله أصابه غُباره [1] . .

(أفَلَسنا كذلك عُلَماء وسُوقَة ؟ ! بلَى والغبـار يغطّي عيـون المُنكِرين . . ولكنِ استمعْ إلى أي شيء يؤدّي ذلك بحسب قوله ﷺ :)

ـ ما من قوم يَظهر فيهم الرِّبا ، إلاّ أُخِذوا بالسَّنَـة (أي الغفلة عن الحق) وما من قوم يظهَر فيهم الرُّشَى إلاّ أُخِذوا بالرُّعب [2] ! . (والْغَفْلَةُ تعمر قلوبنا ، والرُّعب يُحيق بسائر الناس في مختلف أقطار الدنيا . . ثم صوَّر بعض مظاهر حياتنا بقوله ﷺ :)

ـ يكون أسعدَ الناس بالدنيا لُكَعُ آبن لُكَع ، لا يؤمن بـالله ورسولـه [3] . . (لأنه يتبع هواه . . وأيُّ لُكَع فينا غير سعيد ؟ ! . وأيُّ حُرٍّ فينا ينام هادىء البال ؟ ! . ولكنه وعَدَ بما لا تُحمَد عُقباه من جرّاء ذلك حين قال ﷺ :)

ـ يذهب الصالحون أسلافاً : الأول فالأول ، حتى لا يَبقى إلاّ حُثالة كَحُثالَة التّمر والشعيـر ، لا يُبالي الله بهم [4] ! . (أجـل ، ولو بـالَى الله تعالى بنـا لَرَفَـع عنّا بعض الوَيلات التي تقضّ مضاجع الناس . . ثم جاء عنه ﷺ :)

ـ سيـأتي على أُمّتي زمانٌ ، تخبُثُ فيـه سرائـرهـم ، وتحسُن علانيتُهم طمعـاً في الدنيا ، لا يُـريدون مـا عند الله عـزّ وجلّ . يكـون أمرهـم ريـاءً لا يُخالـطه خوف (أي خوف من الله) يعُمُّهم الله بعقاب ، فيدعونه دعاءَ الغريق فلا يُستجاب لهم [5] ! .

(ثم قال ﷺ) : أولُ ما يُرفع من هذه الأمّة الحيـاءُ والأمانـة [6] . . (وسلامٌ على الحيـاء والأمانـة يوم كـانـا حيَّين ! . وأسفـاً عليهمـا وقـد ارتفعـا والحمدُ لله ! . وقال ﷺ :)

---

(١) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٠٠ .
(٢) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٥٧ وإلزام الناصب ص ١٨٢ شيء منه .
(٣) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٠٠ وص ٥١٧ وص ٧٧ بلفظ آخر .
(٤) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٦٤٦ .
(٥) منتخب الأثر ص ٤٢٦ والبحار ج ٥٢ ص ١٩٠ وبشارة الإسلام ص ٧٥ .
(٦) نهج الفصاحة ج ١ ص ١٩٧ والإمام المهدي ص ٢١٩ شيء منه .

ـ إذا ظهرت الفاحشةُ كانت الرَّجفة ، وإذا جار الحُكّام قلَّ المطر ، وإذا غُدِرَ بأهل الذِّمّة ظهر العدوّ (١) . . (أي انتصر عدوُّ المسلمين عليهم . . وروي عنه ﷺ قولُه الذي يَصف به مُروقَنا من الدِّين :)

ـ يُصبح الرجل مؤمناً ويُمسي كافراً ، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً ! . يبيع أحدُكم دِينَه بعَرضٍ من الدنيا قليل (٢) . . (وورد عن الصادق عليه السلام بلفظ :)

ـ بين يَدَي الساعة (أي ساعة الظُّهور) فِتَنٌ كَقِطَع الليل المُظلِم ، يُصبح الرجُل منكم مؤمناً ويُمسي كافراً ، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً . يبيع أقوامٌ دينهم بعَرض الدنيا ! . (وكأنهما يتكلّمان عن أهل عصرنا وارتداد شبابنا وشابّاتنا عن الدين ، وعن مروق هذه الأجيال التي تَعتنق مبدأً وتترك غيرَه ، وتدخل في حزبٍ وتخرج من آخر ، وتنساق مع هذا الخطّ مرّةً ومع ذاك ثانيةً بحيث تُصبح على حال وتُمسي على حال وبالعكس ! . وجاء مثلُه عن الباقر عليه السلام بلفظ :)

ـ يُصبح أحدُهم وهو يرى أنه على شريعةٍ من أمرنا (أي على طريقتنا) ويُمسي وقد خرَج منها . ويُمسي على شريعةٍ من أمرنا ، ويُصبح وقد خَرج منها (٣) . (وورد عن الإمام الجواد عليه السلام هكذا :)

ـ وقبل ذلك فتنةُ شرٌّ : يُمسي الرجُل مؤمناً ويُصبح كافراً ، ويُصبح مؤمناً ويُمسي كافراً . فمن أدرك ذلك الزمان فَلْيَتّقِ الله وليكن من أحلاس بيته (٤) (أي لِيَلْزم بيتَه لا يفارقه لئلا يقع فيما وقع الناس فيه من فِتَن . . وورد عن الصادق عليه السلام مثل هذا التوجيه والتحذير بقوله :)

ـ إذا كان ذلك فكونوا أحلاس بيوتكم حتى يظهر الطاهر بنُ المطهَّر ، ذو الغَيبة الشريدُ الطريد . إن الفتنة على من أثارها . إنهم لا يريدونكم بحاجةٍ إلا أتاهم الله

---

(١) نهج الفصاحة ج ١ ص ٤٢ .

(٢) نهج الفصاحة ج ١ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ وج ٢ ص ٥١٠ .

(٣) الغيبة للطوسي ص ٢٠٦ والبحار ج ٥٢ ص ١٠١ والغيبة للنعماني ص ١١٠ وإلزام الناصب ص ٧٩ وص ٨٠ .

(٤) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٩ ومنتخب الأثر ص ٤٣٧ .

بشاغلٍ لأمرٍ يَعرِض لهم [١] . . (وتكرّر هذا المعنى في قولٍ ثانٍ له) :

كُفّوا ألسنتكم والْزَموا بيوتكم ، فإنه لا يصيبكم أمرٌ تُخَصُّون به أبداً [٢] . (ثم يُكمل النبيّ ﷺ قائلاً) :

إن القوم سيُفتَنون بأموالهم ويَمنُّون بدينهم على ربّهم ويتمنّون رحمتَه ويأمنون سطوتَه . ويستحلّون حرامَه بالشُبهات الكاذبة والأهواء الساهية . فيستحلّون الخمر بالنبيذ ، والسُّحت بالهديّة ، والربا بالبيع [٣] .

(وهذا هو الذي مُنِينا به . فمعبودُنا المال ، والذي يذكُر اللّهَ يمنُّ على اللّهِ وعلى الخَلْق بصلاته وإيمانه ! . بل أصبحنا كما قال ﷺ أيضاً) :

ـ إذا كثُر الجورُ والفساد ، وظهر المنكر ، وأُمرت أمّتي به ، ونُهي عن المعروف ، ويُنكِرون الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر [٤] .

(وكما قال ﷺ :) ـ إذا صار الناس سمّاعين للكذب ، أكّالين للسُّحت ، يستحلّون الرِّبا والخمر والمقالات والطرب والمعازف [٥] . (تماماً كالحال التي نحن فيها من المناقشات وطرح الأفكار في حلقات اللّهو والغِناء ! . ثم رُوي عنه ﷺ قوله :)

ـ إذا تَوَاخَى الناس على الفجور ، وتهاجروا على الدِّين ، وتحابُّوا على الكَذِب ، وتباغضوا على الصدق . . فإن كان ذلك كان الولد غيظاً (أي مُؤذِياً مغضِباً عاقّاً) والمطر قيظاً (يعني في الصيف وفي غير أوانه) وتفيض اللِّئام فيضاً (تزداد) وتغيض الكِرام غيضاً . (أي تقلّ وتنزل قيمتها . . وهذا كلّه من واقع حياتنا التي يُتِمّ وصفها بقوله ﷺ :)

---

(١) الغيبة للطوسي ص ١٠٣ والبحار ج ٥٢ ص ١٣٨ والإمام المهدي ص ٩٦ .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٣٩ .
(٣) الإمام المهدي ص ١٥٨ .
(٤) إلزام الناصب ص ٦٤ وص ١٨٢ .
(٥) بشارة الإسلام ص ٧٥ وص ٧٦ وص ٧٧ شيءٌ منه ، وإلزام الناصب ص ١٩٥ وص ١٨٢ آخره .

ـ وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً ، وسلاطينه سباعاً ، وأوساطه أُكّالاً ، وفقراؤه أمواتاً [1] . .

ـ وغارَ الصدق ، وفاضَ الكذب ، واسْتُعمِلت المودّةُ باللسان ، وتشاجر الناس بالقلوب ، وصار الفسوق نسباً ، والعفاف عجباً ، ولُبِسَ الإسلامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مقلوباً [2] ! .

(ومَنْ مِن المسلمين لم يَلْبَس إسلامَهُ مقلوباً في عصرنا هذا ؟ ! . قاضيهم الشرعيُّ الذي يتقمّص وظيفة رسول الله في الحُكْم والْفُتيا ، ويقضي بالرشوة ولا يتورّع عن نزع العمامة إذا أُتيحت له مائدة شراب ؟ ! ! أم فقيهُهم الذي يسهر أمام التلفزيون ، ويتهجّد أمام عارضات الأزياء ، ويُسبّح الله أمام مفاتن ربّات الجمال ، ويتعبّد أمام الراقصات اللواتي ـ شِبْهَ عاريات ـ يَبْرَعْنَ في التعبير عن أحاسيسهنَّ الملتهبة ! . أم مُتديِّنُهم الذي يُماري في صلاته ، وغنيُّهم الذي لا يشبع من حرمان الْجَوْعَى ، وفقيرُهم الذي يكاد ينفجر من الحقد على حاكِميه ؟ . مَنْ مِنَ المسلمين نذكره ، ولا نجد أنه قد لبِسَ الإسلام لُبْسَ الْفَرو مقلوباً يا رسولَ الله ؟ ! ! . ثم هل هذا كل شيء ؟ ! . لا . فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قد وعد بنتائج وخيمة لهذه التجاوزات الدينيّة ، وحذّر مما ابتُلينا به ، إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ إذا انتُهكت المحارمُ ، واكتُسبت المآثِمُ ، وسُلِّطَ الأشرارُ على الأخيار ، ويفشو الكذب ، ويَتباهَون باللِّباس [3] . (وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً :)

ـ إذا كثُر الزنا بعدي ، كثُرَ موت الفجأة . وإذا طُفِّف الْمِكْيال والميزان أخذهم الله بالسنين (أي الجَدب) والنقص . وإذا مَنعوا الزكاة مَنعت الأرض بركاتِها من الزرع والثمار والمعادن كلِّها . وإذا جارَ الحُكّام ، تعاونوا على الظلم والعدوان . وإذا

---

(1) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام ومنتخب الأثر ص ٤٣٧ عن الباقر عليه السلام وبشارة الإسلام ص ٢٥ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصفه الأخير ، وص ٧٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٢ وص ١٩٥ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم في نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥١٩ قسمٌ منه . .

(2) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٠٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام ومنتخب الأثر ص ٤٣٧ .

(3) إلزام الناصب ص ١٨٢ .

نقضوا العهد سلَّط الله عليهم عدوَّهم . وإذا قطعوا الأرحام جُعِلَت الأموالُ في أيدي الأشرار [1] ، (حتى أموال البترول التي يمكن أن تطرِّز الدول العربية بالذهب ، فإنها في مصارف الأعداء يصرفونها على عمالهم في مصانعهم ويُصدِّرونها أسلحة لنا يقتل بها بعضنا بعضاً ونحن ساهون عن تتمة قوله ﷺ : وإذا لم يأمروا بالمعروف وينهَوا عن المنكَر ، ولم يتَّبعوا الأخيار من أهل بيتي ، سلَّط الله عليهم شِرارهم . (وقد سلَّط الله علينا شِرارنا وشِرار أعدائنا نكالاً من عنده تعالى ! . ثم ظهرت فينا مزايا مقبوحة قال ﷺ عنها :)

- . . ورأيت العقوق قد ظَهَر ، واستُخِفَّ بالوالدَين [2] . . (وقال :)

- . . ويُعَيِّرونه - أي الرجلَ - بِضِيق المعيشة ، ويكلِّفونه ما لا يُطيق ، حتى يوردوه مواردَ الهَلَكة [3] .

(وقال ﷺ :) يَجفو الرجلُ والدَيه ويَبَرُّ صديقَه [4] .

- يفتري الولدُ على أبيه ويدعو على والدَيه ، ويفرح بموتهما [5] .

- يحسد الرجلُ أخاه ، ويسبُّ أباه ، ويتعامل الشركاءُ بالخيانة [6] ! . (ونحن كذلك وفينا ذلك كلُّه مهما نزَّهنا أنفسنا ! . ثم قال ﷺ :)

- إذا قطعوا الأرحام ، ومَنُّوا بالطعام ، وإذا ذهبتْ رحمةُ الأكابر ، وقلَّ حياء الأصاغر [7] ! . (ثم قال ﷺ :)

---

(١) تحف العقول ص ٤٣ وبشارة الإسلام ص ١٣٢ وص ٢٥ بلفظ آخر .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٣٤ بتفصيل ، ومنتخب الأثر ص ٤٣١ عن الصادق عليه السلام ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ .

(٣) منتخب الأثر ص ٤٣٧ .

(٤) إلزام الناصب ص ١٨٢ .

(٥) منتخب الأثر ص ٤٣١ وبشارة الإسلام ص ١٣٤ وإلزام الناصب ص ١٨٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ بلفظ مختلف .

(٦) إلزام الناصب ص ١٨١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٣ وبشارة الإسلام ص ٢٣ .

(٧) البحار ج ٥٢ ص ٦٣ وص ٢٥٦ وص ٢٦٣ وفي المهدي ص ١٩٩ بلفظ قريب ، ومثله في بشارة الإسلام ص ١٣٢ وص ٢٣ وفي الإمام المهدي ص ٢١٩ شيءٌ منه ، وإلزام الناصب ص ١٨١ وص ١٨٣ وص ١٨٤ بلفظ آخر .

ـ يكون هلاك الرجل على يدَي أبَوَيه ، فإن لم يكن لـه أبَوَان فعلَى يَـدَي زوجته وولده . فإن لم يكن له زوجة وولَـد فعلَى يَدَي قـرابته وجيـرانه (١) . (ثم ذكَـر هرْجـاً ومرجاً يكون بين الناس ، فقال :)

ـ إذا استُعلِنَ الفُجور وقولُ البُهتان والإثمُ والطغيان . . وأُكرِمَ الأشرار (٢) .

(وقـال :) إذا دبَّ الكِبْـر في القلوب دبيبَ السُّـمّ في الأبـدان ، وظـهـرت الجرائم ، وهُوِّنت العظائم (٣) . . (ثم لم يَنْسَ عُنْجُهِيّتنا الفارغة ، فقال ﷺ :)

ـ إذا مَشتْ أُمّتي المُـطِيطا ، وخـدَمَتهم أبنـاءُ فـارس والـروم (٤) . . (والأمّـة الإسلامية تمشي اليوم في الأرض مَرحاً ، ويخدمهـا الشرق والغـرب بشرطَين بسيـطَين هما :

ـ أن تبيعهم دِينَها بِدُنياهم وتعتنق مبادئَهم .

ـ وأن تسلِّطهم على منابـع بتـرولهـا وعلى عـائـدات ذلـك البتـرول فتَنْعَمَ بهـا مصارفهم .

ـ إنهم في خدمة الأمة الإسلاميـة على هذا الأسـاس والأمة تَمشي المُـطَيْطا ! . ولكنهـا لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبـال طولاً ، بـل سينقضُّ عليهـا أعـداؤهـا ـ من شـرقيِّين وغربيِّين ـ وستَنتَفِض عليهـا الآفاق من شعـوبها وغيـر شعـوبهـا ، وهـي سـادرة ساهمة ! ! ! ثم قال عنّا وكأنه يعيش بيننا :)

ـ يكثُر فيهم المال ، ويُعظَّم أصحابُ المال (٥) . . (فقد كثُـرَ وأغْرَقْنـا أوروبا ، وَغطَّينا أمريكا بالمال . . وهم ، ونحن نُعظِّم أصحاب المال ونزدري كلَّ مَن يدعو إلى الله سبحانه وإلى سبيل الرشاد ! . ثم جاء عنه ﷺ في بيان مـا يسبق موعـد الظهـور المبارك :)

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٣٧ والكشكول ص ٥٨٠ .

(٢) الإمام المهدي ص ٢١٩ ومثير الأحزان ص ٢٩٨ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٨١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٤ وبشارة الإسلام ص ٢٣ .

(٤) معاني الأخبار ص ٣٠١ بزيادة : وكان بأسهم بينهم والزام الناصب ص ٢١ .

(٥) انـظر البحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ وبشـارة الإسلام ص ٣٢ وص ١٣٤ بلفظ قـريب ، ومثله في إلـزام الناصب ص ١٨٢ .

ـ يكـون ذلـك إذا عـظّمتم أغنيـاءكُم ، وأهَنتُم فقـراءكُم . . ورايت الخَلْق في المجالس لا يُتابِعون إلّا الأغنياء [1] . (ثم قال ﷺ مُحذِّراً من الويلات :)

ـ إذا سـادَ القبيلة فاسِقُهم ، وكـان زعيمُ القومِ أرذَلَهُم ، وأُكْـرِمَ الـرجُـلُ مخـافـةَ شرِّه ، وظهرت الْقَينَاتُ والمعازف . (وهذه قد أصبحت خُبزنا اليوميّ) . . ولعنَ آخر الأمّة أوّلَها . فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء ، وزلزلةً ، ومسخاً ، وقذفاً ، وآياتٍ تتـابَعُ كنظامٍ بالٍ قُطِعَ سِلكُه فتتابَع [2] . (وسترى تعليقاً على كـل ما مـرَّ في هذا الحـديث في مَوردٍ آتٍ إن شاء الله تعالى . . وقال ﷺ :)

ـ يتجاهر الناس بالمنكـرات . . فيُنفَق المال للغنـاء [3] . . (وقال ﷺ كمَن يرَى حالَ زماننا ويطّلع على فسادنا :)

ـ لَيَشربَنَّ اناسٌ من أمّتي الخمرَ ، يسمّونها بغير آسمها . ويُضربُ على رؤوسهم بالمعازف [4] . (نعم ، فالمَواخيرُ ، وملاهي السُّكر والرَّقص ، وأكنانُ الليلِ لِـوَطاويطِ الـظّلام ، صاخبـةٌ كلُّها ، يُضـربُ فيها بـالطّبـول والمزامير ، وتُشرب فيهـا الـويسكي والشّمبانيا وغيرها من أنواع المُسكِرات التي دُعيَتْ بغير أسماء الخمر ؛ وهي كلّها خيـر شـاهدٍ على أنّ الفَسَقَـةَ من أمّته ﷺ هم بيننـا ، لأنه كـأنّه قـد تكلّم عن أهل زمـاننا بالذات . . ثم قال ﷺ :)

ـ يَظهر القِمار ، ويُباعُ الشراب ظاهراً ليس له مـانع [5] . . (نعم ، والآن يبيعـه أكثرُ المسلمين من مختلَفِ الطوائف ، ولبعضٍ من يَحملون الهويّةَ الشيعيّـة نصيبٌ وافرٌ

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨٤ عن الصادق عليه السلام ، وبشارة الإسلام ص ١٣٤ .
(٢) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ وص ٢٦٣ بعضـه ، وتحف العقول ص ٣١ وبشـارة الإسلام ص ٢٢ وص ٢٦ بعضه ، وص ٤٤ وص ١٣٣ .
(٣) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٦٤ وبشـارة الإسلام ص ٢٣ بلفظ آخـر ، وص ١٣٢ عن الصادق عليه السلام بتفصيل ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٣ .
(٤) مسند أحمد ج ٢ ص ٤١٨ .
(٥) منتخب الأثـر ص ٤٣٠ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشـارة الإسلام ص ١٣٢ إلى ص ١٣٥ مـع تفصيل ، ومثلُه في إلزام الناصب ص ١٨٣ .

من ذلـك ! ! ! وقـال ﷺ أيضـاً :) ـ . . ومن أكـل أمـوال اليتـامى يـحمـد بصلاحه [1] .

(وفصَّـل ﷺ في قولٍ آخَـر ، هو :) ـ تُقسَم أموال ذَوي القُربَى بـالـزُّور ، ويُتقـامرَ عليهـا ، وتُشرب بهـا الخمور [2] . . (وهي أموال الخُمس : أي سهمُ ذَوي القُـربى ، لمن أراد الإيضاح . . وإنهـا لكذلـك عند بعض الأفـراد ، ولربَّمـا عمَّ ذلك فطَمَّ ! . ثم تبرَّأ النبيُّ ﷺ ممَّن يتعاطَى المُسكرات ، فقال :)

ـ لَيَأتِيَنَّ على الناس زمانٌ ، يَستحلُّون الخمر ، عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين [3] .

(ثم أكمل الصورة البشِعة التي نحن عليها الآن قائلاً :)

ـ يأتي على الناس زمانٌ هم ذئاب . فمن لم يكن ذئباً أكَلَته الذئاب [4] . (وهـو ـ يقيناً ـ لا يدعو لأن نكون ذئاباً ، ولكن يذكُر الحالَ التي نكون عليها ، فلسان حالنا : أن مَنْ لم يكن ذئباً أكَلَته الذئاب ! . ثم أكمل ﷺ :)

ـ إذا لَبِس الناسُ جلودَ الضأن على قلوب الـذئاب ، وقلوبهم أَنْتَنُ مِنَ الجِيفَ ، وأمرُّ من الصبر [5] . (ومـا أبرىء نفسي من ذلـك ، ولا أبرىء الكثيـرين منه في هـذا الزمان . . ثم جاء عنه ﷺ مُنتهياً بلفظ :)

ـ كلامُهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الحنظل ! . مـا من يوم إلاَّ يقـول اللّهُ تعـالى : ﴿ أمِنّي تَغتَرُّون ، أمْ عَلَيَّ تَتَجـرَّاون ؟ أفَحَسِبتُم أنَّما خلقنـاكُم عَبَثاً وأنكم إلينـا لا تُرجَعُـون ؟ ! ﴾[6] . (ثم أشارَ إلى عـلامةٍ بـارزةٍ تحدُثُ في آخـر الـزمـان ، فقال ﷺ :)

---

(1) بشارة الإسلام ص ١٣٥ وإلزام الناصب ص ١٨٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٠ .
(2) منتخب الأثر ص ٤٣١ عن الصادق عليه السلام ، ومثلُه في البحـار ج ٥٢ ص ٢٥٩ وبشـارة الإسـلام ص ١٣٤ بتفصيل . والإمام المهدي ص ٢١٩ ما عدا آخره .
(3) انظر بشارة الإسلام ص ٧٦.
(4) تحف العقول ص ٤٤ .
(5) إلزام الناصب ص ١٨٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٤ بلفظ آخر .
(6) المؤمنون ـ ١١٦ ـ والخبر في إلزام الناصب ص ١٨٢ .

ـ إذا كَثُرَ الطَّلاقُ ، ولا يُقامُ حَدّ[1] ! . (وقد تعطَّلت الحدودُ بعد دولة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكوفة . ثم كَثُرَ الطلاقُ اليومَ ونُودِيَ به منذ أكثر من رُبع قرن ، حتى عند الطوائف غير الإسلامية التي كانت تُحرِّمُه . بل صارت المرأة تُطلِّق زوجَها في كثيرٍ من الأحيان وكثيرٍ من البلدان . . ثم تحدَّث صلى الله عليه وآله وسلم عن وقاحة الناس فقال :)

ـ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كان قبلكم شِبْراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ ، لو أن أحدَكم دخل في جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخلتم فيه ، وحتى أن أحدكُم لو جامع امرأتَه في الطريق لَفَعَلتموه[2] . (ولقد ابتُلينا بذلك وكثُر التقليد ، ولم يبقَ علينا إلاّ تطبيق آخر عادةٍ قبيحة ! . ثمن وعد بما بدأت تباشيرُه في أوروبّا ، وانتقلت عَدْواه إلى شرقنا الإسلاميّ ، في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ ورأيتَ الناسَ يَتسافدون كما تتسافدُ البهائم ، لا يُنكر أحدٌ مُنكَراً تَخوُّفاً من الناس[3] ! .

(والتَّسافُد كالبهائم هو اليوم من مظاهر حضارتنا الحديثة ومن دلائل الرُّقيّ ! . فاللُّواط والسِّحاق تُمارسه الأجيال ـ ذكوراً وإناثاً ـ في بلاد الأمم الراقية ، وفي شرقنا المُسْلِم ، لأن حضارتنا المستورَدة يَنْدَى منها جبينُ مَنْ عنده ذرَّة من الحياء أو فيه عِرْق ينبض بالمروءة خجلاً ! . مع أن الحصان الأصيل يأبَى أن ينزوَ على أُمِّه ! . والجَمَلُ لا يَشيل على الناقة أمامَ الناس ! . فلم نُقلِّدْ في حضارتنا المتحررة ـ إذاً ـ إلاّ ما هو أحطُّ من الحصانِ والجَمل من الحيوانات الحقيرة ، والناسُ ينزو بعضهم على بعضٍ دون نكيرٍ كما نرى حولنا وحوالَينا . .

وهكذا فقد حكَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن البلايا التي تحلّ في الأرض ، ووعد

---

(١) إلزام الناصب ١٨٢ ومنتخب الأثر ٤٣٣ وبشارة الإسلام ص ٢٦ والمهدي ص ١٩٩ ونـو الإبصار ١٧٢ .

(٢) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧١ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٥٧ ما عدا آخره ، ومثله في الملاحم والفتن ص ٧٧ وص ١٠٧ وص ١٣٢ والبحار ج ٥٣ ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ وبشارة الإسلام ص ١٣٢ وص ١٣٤ مع تفصيل في المصدرين ، ومثل ذلك في منتخب الأثر ص ٤٣١ وإلزام الناصب ص ١٨٤ .

المارقين بسوء المصيرِ وحذّرنا من الوضع المُخزي الذي نُعانيه ، إذ بدأ الله تعالى يأخذ شريعتَهُ من أهل الأرض على أيدي غوغاء من الذين لا يعرفون معروفاً ولا يُنكِرون مُنكَراً كما قال ﷺ ، وقد مَرجتِ العهود وغشيتِ الناسَ غَواشٍ وحَواشٍ ، فانتشرَ القتلُ ، وحلَّ التدمير ، وارتفع صوتُ التفجير في كل مكانٍ ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللّهِ العَليِّ العظيم ! .

فامرؤٌ حَجيجُ نفسِه بعد كلام رسول الله ﷺ ! ! !) .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ يُصبح الآمِرُ بالمعروف ذليلاً ، والفاسق فيما لا يحب الله محموداً [١] .

ـ . . ولا يزداد الأمر إلّا شدّةً ، ولا الدنيا إلّا إدباراً [٢] . (وقال عليه السلام :)

ـ لَيأتِيَنّ على الناس زمانٌ ، يُظَرَّفُ فيه الفاجر ، ويُقرَّب فيه الماجِن ، ويَضْعُف فيه المُنصِف [٣] . . (وورد بلفظ :)

ـ يأتي على الناس زمانٌ لا يُقرَّب فيه إلّا الماحل ، ولا يُظرَّف فيه إلّا الفاجر ، ولا يُضعَّف إلّا المُنصِف ، يَعدُّون الصَدَقَة فيه غُرماً ، وصلَةَ الرجم مَنّاً ، والعبادةَ استطالةً على الناس . فعند ذلك يكون السلطانُ (أي الحُكم) بمشورة النساء ، وإمارة الصبيان، وتدبير الخِصيان [٤] (أي المُقرَّبين من الحُكّام بل من نساء الحُكّام ! . وقد بيَّن توقيتَ ذلك فقال عليه السلام :)

ـ . . (وذلك إذا) قُبِلَت شهادة الزُور ، ورُدَّت شهادة العدل ، واستخفَّ الناس

---

(١) منتخب الأثر ص ٢٩٢ وص٤٢٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ وص ٢٦٤ بلفظ قريب ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٢٣ وص ١٣٢ بتفصيل .
(٢) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٢٨ .
(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٦٥ .
(٤) بشارة الإسلام ص ٦٦ وص ٧٦ شيءٌ منه وص ٢٥ أكثره ، ومنتخب الأثر ص ٤٣٧ وص ٢٣٥ شيءٌ منه ، والغيبة للنعماني ص ١٤٨ بلفظ آخر . والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٥ وص ٢٧٨ والمهدي ص ١٩٩ بعضه .

بالدماء ، وارتُكِبَ الزنا ، وَأُكِلَ الرِّبا ، واتُّقِيَ الأشرارُ مخافةَ أَلسِنتهم [1] . . (ثم بالغ في استهتار الناس ، فقال ﷺ :)

ـ علامةُ ذلك إذا أماتَ الناسُ الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، واستحلُّوا الكذِب ، وأكلوا الرِّبا ، وأخذوا الرُّشَى ، وشيَّدوا البُنيان ، وباعوا الدِّينَ بالدُّنيا . واستعملوا السفهاء ، وشاوَروا النساء ، وقطعوا الأرحام ، واتَّبعوا الأهواء ، واستخفُّوا بالدماء . وظهرت شهاداتُ الزُّور ، واستُعمل الفجور وقولُ البُهتان والإثم والطغيان [2] .

(ثم قال ﷺ أيضاً :) ـ وتَعامَلُوا بالرِّبا ، وتَظاهَروا بالزِّنَى . . واستحلُّوا الكذِب ، واتَّبعوا الهوَى [3] ! . (شأنَ أهلِ زمانِنا بلا زيادةٍ ولا نُقصان . وقال ﷺ :)

ـ إذا رأيت كلَّ عامٍ يحدُث فيه من الشرِّ والبدعة أكثر مما كان [4] . . (ثم قال :)

ـ بين يدَي القائم سنينُ خدَّاعة ، يُكذَّب فيها الصادق ، ويُصدَّق فيها الكاذِب ، ويُقرَّب فيها الماحل ، وينطق الرُّويبضة [5] . (أي الذي لا شأن له بين الناس . وقد ورد بلفظه عن الباقر ﷺ . . أفلا يكذَّب الصادق اليوم ؟ ! . أم يتكلَّم في الشؤون العامة غير الرويبضة ؟ ! . لا . . فإن الرويبضات من الناس يُمسكون بزمام جميع الأمور ، والعاقل يَفِرُّ بكرامته وينجو بنفسه ، ويترك الحبل على الغارب لِمَا يرى من

(1) انظر إعلام الورى ص ٤٣١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ ومنتخب الأثر ص ٤٢٨ بلفظ آخر ، وبشارة الإسلام ص ٤٤ وص ٧٦ وص ٩٩ ـ ١٠٠ والمهدي ص ١٩٩ أكثره ، وص ٢١٩ والبحار ج ٥٢ ص ١٩٢ ونور الأبصار ص ١٧٢ ومثير الأحزان ص ٢٩٨ وإلزام الناصب ص ١٨٠ بلفظ آخر ، والإمام المهدي ص ٢٢٧ وص ٢١٩ أكثره .

(2) إلزام الناصب ص ١٨٠ .

(3) المهدي ص ١٩٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ٤٤ والإمام المهدي ص ٢١٩ وإلزام الناصب ص ١٨١ كلها بألفاظ متقاربة .

(4) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ ومنتخب الأثر ص ٤٣١ وإلزام الناصب ص ١٨٤ وبشارة الإسلام ص ١٣٤ .

(5) الغيبة للنعماني ص ١٤٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤٥ وإلزام الناصب ص ٢٣ وص ١٧٦ وبشارة الإسلام ص ٢٧ وص ٥٠ ومنتخب الأثر ص ٤٣٢ والماحلُ : هو المكّار .

امتهان الكرامات ، والإستهانة بذوي العقل والفكر ! . ثم يكمل أبو الحسن عليه السلام الوصف وكأنه لا يقصد غيرنا :)

- إذا أخذ الباطل مآخذه ، وركب الجهلُ مراكبه ، وهدر فَنيقُ الباطل بعد كُظوم ، وتآخَى الناس على الفجور ، وتهاجروا على الدِّين ، وتحابُّوا على الكذب ، وتباغضوا على الصدق [1] . . (فلم يكن فَنيق الباطل مكظوماً إلاَّ في مدى أربع سنوات من دولتك يا أبا الحسن في الكوفة يوم كنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقيم قرآنَهُ وسنّته ، ثم عَقِبَها التآخي على الباطل ، وركب جهلُ الناس مراكبه منذ عهد دولة الحق الأولى ! ! ! ثم قال عليه السلام :)

- إذا كان أهل ذلك الزمان ذئاباً وسلاطينه سباعاً ، وأوساطه أُكّالاً ، وفقراؤه أمواتاً [2] .

(وقال عليه السلام :) - يَستحلُّ الفتيانُ المغانيَ وشُرب الْخَمر [3] .

- . . ويفتخرون بشرب الخمور ، ويضربون في المساجد بالعيدان والمزامير ، فلا يُنكِرُ عليهم أحد . أولادُ العلوج يكونون في ذلك الزمان الأكابر ، ويرعَى القومَ سُفهاؤهم [4] . (فالمسجد الأقصى اليوم ملعب لِلْهوِ وضرب المزامير ، وأولاد العلوج هناك هم همُ المتسلّطون . فالمزاميرُ غير بعيدة اليوم عن ثاني الحَرَمَين والقِبلَتَين ، ولا عن بقيَّة المساجد المشرَّفة ؟ . وقد تحقّق ما قلته يا مولاي ، ثم تحقّق قولك :)

ورأيتَ السلطانَ يَحتكِر الطعام [5] . (أي القمح ، تَحتكره الحكومات وتُصادره ، وهيَ اليومَ تفعل ذلك وتوزِّعه على المطاحن وتبيعه للأفرانِ والناسُ يأكلون خبزاً عَفِناً ! . ثم أتمّ أمير المؤمنين عليه السلام صورة آخر الزمان بقوله :)

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٩ ومنتخب الأثر ص ٤٣٧ .
(٢) انظر بشارة الإسلام ص ٧٦- ٧٧ وإلزام الناصب ص ١٩٥ .
(٣) إلزام الناصب ص ١٩٥ .
(٤) إلزام الناصب ص ١٨٤ .
(٥) منتخب الأثر ص ٤٢٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ وص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٣٢ مع تفصيل ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٣ وص ١٨٤ .

ـ والفقيرُ بينهم ذليلٌ حقيـر ، والمؤمنُ ضعيفٌ صغير (مـظلوم) والعالِمُ عنـدهم وضيع ، والفاسق عندهم مُكرَّم ، والظالم عندهم مُعَـظَّم ، والضعيفُ عندهم هـالك ، والقويُّ عندهم مالك (١)

ـ ويَبطل حدودُ ما أنزل الله في كتابه على نبيِّه محمد ﷺ ويقال : رأى فلانٌ ، وزعم فـلان ، ويُتَّخذ الآراءُ والقيـاس ، ويُنبذ الآثـار ـ أي تُترَك سُنَّة النبيِّ ﷺ وقـد تُـركت وجُعل القـرآن وراء الظهـور ـ فعند ذلـك تُشـرب الخمـور وتُسمَّى بغيـر اسمهـا ويُضرب عليها بالْعَرْطَبَة ـ أي الطنابير ـ والْكُوبَة ـ أي النَّرد ، والكؤوس تُضرب ببعضها ـ والقينات والمعازف ، وتُتَّخذ آنية الذهب والفضة (٢) . . (فبصيرة علي ؑ قد نفذت عبر العصور ورأى الإستهتار الذي نحن فيـه ، فوصف مـوائدَ القصف وحلبـاتِ الرقص والغنـاء والْتِقاءَ الكؤوس على مـوائد الشـراب في مواخيـر الفسق والفجور التي عمـرت مدن الدنيا وقراها ! ! ! فكأنّي به قد أُرِيَ ما يكون عليه حالُنـا حتى طلع بهذا الـوصف مـأخوذاً بـالريشـة ليكـون شيعتُـه على بيِّنة من أمـرهم . فقـد تـولى النـاسُ الشـرقَ والغربَ ، وقلَّد هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، وهذا مُنحازٌ إلى هنا ، وذاك مُنحـازٌ إلى هنـاك ، والكلُّ يَنضَـوُون تحت اللّواءين مدَّعين أن الإسـلام قد عجـز عن تـأمين لقمـة العيش للناس ! . ناسين أنّنا نحن الذين عجزنا عن أن نكون مسلمين حقّاً ، وأن نـظام الإسلام لم ينسَ الفقيرَ ، ولا الضعيفَ المسكين ، ولا العاجِز المُقعَد ، بل جعـل لهم خُمسَ مالِ الغنيِّ نصيباً مفروضاً كما فَرضَ الصلاةَ والصيام . فهـل يبقَى مُحتاجٌ بين المسلمين إذا نحن وزَّعْنـا خُمس أموالنـا على ذوي الحاجـات ، بمـا في ذلـك خمس البترول وسائِر المعادن والمكاسب ؟ ! ! ثم قال بالنهاية محذِّراً :)

ـ دخـل الناس في دين الله أفـواجاً ، وسيخـرجون منـه أفواجـاً (٣) . (وورد عن الصادق ؑ مثله بلفظ :)

ـ يخرج الناس من دين الله أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً (٣) .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٩٥ .

(٢) انظر بشارة الإسلام ص ٢٧ وص ٧٦ .

(٣) الملاحم والفتن ص ١٠٨ وص ١٤٤ .

(نعم ، فإن كل منادٍ بمبدأ عقائديٍّ يستطيع اليوم أن يجرَّ إلى حظيرته الأفرادَ والجماعاتِ من المسلمين . . فيتهافتون على المروق من الدِّين والدخول في غيره بسهولة ويُسرٍ . . . اللّهم إلّا الحقَّ فإنَّ الداعيَ إليه تعبانٌ كلَّ زمان لا يُؤْبَهُ له ولا يُعتَنى به . . ونحن نراهن على أن الداعيَ إلى المهديِّ في أيامنا هذه سيكون مثَلُه مثَل نوح عليه السلام في قومه فلا يزيد الناسَ دعاؤه إلّا فراراً ! . ولذلك قال الصادق عليه السلام :)

ـ يخرج بعد أيَاسٍ ، وحتى يقول الناس : لا مهديّ [1] ! . (ثم قال عليه السلام :) يخرج حين ييأس الناس ويسيئون الظن .. . ولكن أين المفرُّ من القدَر لمن أراد أن يفرّ ؟ . ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو أعظم العارفين بأهل آخر الزمان :)

ـ لقد خالط الشيطانُ أبدانهم . . وولَج في دمائهم ! . ويُوَسوِس لهم بالإفْك حتى تَركب الفِتَنُ الأمصار ، ويقول المؤمن المسكين المحبُّ لنا : إني من المستضعفين ! . وخيرُ الناس يومئذٍ من يَلزم نفسَه ، ويختفي في بيته عن مخالطة الناس [2] . .

(فأتمنّى لقارئي أن يكون من خير الناس كما قال أمير المؤمنين عليه السلام) .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ لا يخرج إلّا إذا عضَّ الزمانُ وجفا الإخوانُ ، وظلَم السلطان [3] . (وورد بلفظ :)

ـ أنّى يكون ذلك ولم يعضّ الزمان ؟ . أنّى يكن ذلك ولم يَجْفُ الإخوان ؟ . أنّى يكون ذلك ولم يَظلِم السلطان [4] ؟ ! . (ثم قال عليه السلام :)

ـ إذا ظهرت بَيعة الصبيِّ قام كلُّ ذي صِيْصِيَةٍ بصيصيته [5] . (وقد حمل كل ذي

---

(١) الملاحم والفتن ص ٥٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٢ .
(٢) إلزام الناصب ص ١٩٧ .
(٣) بشارة الإسلام ص ١٨٠ .
(٤) منتخب الأثر ص ٤٤١ .
(٥) البحار ج ٥٢ ص ٢٤٤ وبشارة الإسلام ص ٨٧ وإلزام الناصب ص ١٧٨ .

سلاحِ (صيصية) سلاحَه ، وكثُرت الفِتن وحكَم الصبيان ، وحدَث كلُّ ما ذكر في الحديثين . . وقال كأسلافه الطاهرين عليهم السلام جميعاً :)

- إذا أصبح المؤمنُ ذليلاً ، والمنافقُ عزيزاً ، ويكون المؤمنُ أذلَّ من الأَمَة [1] .

(وقد كان ذلك وحصل ما أخبر به . . ثم قال :)

- لا يخرج إلاَّ بعد فتنة تُستَحل فيها المحارمُ كلُّها ! . ثم تأتيه الخلافةُ وهو قاعدٌ في بيته - أي في بيت الله الحرام - وهو خيرُ أهل الأرض [2] .

(وقد وقعت فِتنٌ كثيرة في الماضي استُحلَّت فيها المحارم . أما الفتن الحاليَّة فتكاد تُستحَلُّ فيها كافة المحارم بلا استثناء ! . ولكنني أعتقد جازماً أن الفتنة التي عناها هي فتنة السفيانيّ التي لا يكون لها نظيرٌ في التاريخ . . . وعلى أثرها يقع الطلب المُلِحّ لحاكمٍ يكون في ظلّه الإطمئنان لدولةٍ حقٍّ يتذوّق الناسُ فيها حلاوةَ الأمن والعدل .) .

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

- يخرج حين تغيُّر البلاد ، وضَعف العباد ، وحين اليأس من الفرَج [3] .

(واليأس يَعمر قلوبَ الكثيرين مع الأسف . . والناس اليومَ كما وصف بقوله :)

- يؤذي الجارُ جارَه ، ليس له مانع [4] . (وقوله :)

- ورأيتُ الجارَ يؤذي جارَه خوفاً من لسانه [5] ! . (ثم قال عليه السلام :)

- تَقسو القلوبُ ، وتمتلىءُ الأرضُ جوراً ، ويكثُر القتلُ حتى تحزنَ ذواتُ الأولاد ، وتفرح العواقر - اللأتي ليس لهنّ أولاد - . فبين يدَي خروجه بَلوى أيّ بَلوى للمقيمين على الباطل ، وهو انتقامٌ من الله تعالى [6] ! (ومن الطبيعيّ أن تحزن ذواتُ

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وص ٢٦٤ وإلزام الناصب ص ١٨١ ما عدا آخره وص ١٨٢ آخره ، ومنتخب الأثر ص ٤٣٤ وبشارة الإسلام ص ٢٣ وص ٢٧ وص ٧٦ وص ٧٧ .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٣٣ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٢٧٨ .

(٤) بشارة الإسلام ص ١٣٢ مع زيادة ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٣ ومنتخب الأثر ص ٢٦٣ .

(٥) إلزام الناصب ص ١٨٣ .

(٦) منتخب الأثر ص ٣٤٨ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ .

الأولاد حين يكثر القتل ، وأن تفرح كل امرأة ليس عندها أولادٌ يتعرَّضون للقتل . . ثم قال ﷺ :)

إذا رأيت الشرَّ ظاهراً لا يُنْهى عنه ويُعذر صاحبُه ، ورأيت الفسقَ قد ظهر ، ورأيت المؤمن صامتاً لا يُقبل قولُه ، ورأيتَ الفاسقَ يَكذِب ولا يُرَدُّ عليه كَذِبُه وفِرْيَتُه (١) . (وقال ﷺ أيضاً :)

ـ يكون صاحب المال أعزَّ من المؤمن ، ويصير المؤمنُ ضعيفاً (لا ينكِر إلاّ بقلبه) والمنافق عزيزاً ، والفقير حقيراً ، والعالم وضيعاً ، والفاسق مُكَرَّماً ، والظالم معظَّماً (٢) . (وقد ورد مثله عن الباقر ﷺ مع اختلافٍ جزئيٍّ في اللفظ . . وقال :)

ـ إذا صار لأهل الزمان وجوهٌ جميلة وضمائر رديئة ، فمن رآهم أعجبوه ، ومن عاملَهم ظلموه (٣) ! . (وَلَيسَ أجمل من وجوهنا ، ولا أحسن من مظاهرنا . . أمّا مَن يُحسِنون الظنَّ بالضمائر فقد أخطأتِ آسْتَهمُ الْحُفْرة ، وستدنِّسهُم قذارة الضمائر إذا وقعوا في التجربة ! . ثم قال سلامُ الله عليه :)

ـ إذا رأيت السكران يُصلّي بالناس ، ولا يُشانُ بالسُّكْر . وإذا سَكِر الإنسانُ أُكْرِم واتُّقِيَ وخِيفَ شرُّه ، وتُرِكَ لا يُعاقَب ، ويُعذَر لِسُكْرِه (٤) . (والسُّكرُ من أقبح ما يُفسّخ الأخلاق ويُفتِّت قوة المجتمع ، ويُدهور الناسَ في المزالق . وليس أصدقَ من وصف الصادق ﷺ للخمر حيث قال :)

ـ الخمرُ رأسُ كلِّ إثمٍ ، ومفتاحُ كلِّ شرّ (٥) . . (بل من المرويِّ عنه عليه السلام : أن الله جعل للشرّ أقفالاً ، وجعل مفاتيحَها الشراب ! . وما عُصِيَ اللّهُ بشيء أشد من شرب المُسكِر . لأنَّ أحدهم يَدَعُ صلاة الفريضة ويَثِبُ على أُمِّه وأُخته وابنته وهو لا يَعقل ! ! ! أجَلْ ، ففي زماننا مُتَّهمون بالنَّزوِ على أُمّهاتهم ، وبمواقعة

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٩ وإلزام الناصب ص ١٨٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ وص ٢٦٤ قريبٌ منه .
(٢) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٦٤ وبشارة الإسلام ص ٧٦ وص ١٣٢ .
(٣) بشارة الإسلام ص ٧٥ وإلزام الناصب ص ١٩٤ .
(٤) إلزام الناصب ص ١٨٤ ومنتخب الأثر ص ٤٣١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٠ وبشارة الإسلام ص ١٣٥ .
(٥) مسند أحمد ج ٢ ص ٤١٨ .

أخَواتهم ، وبمضاجعة بَناتهم تحت وطأة السّكر الذي وصف الصادق عليه السلام كل مبتلٍ به أدقّ وصف ! . ومن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد لَعَنَ في الخَمر عشرةً : غارسَها ، وحارسَها ، وعاصِرَها ، وشارِبَها ، وساقِيَهَا ، وحامِلَها ، والمحمولة إليه ، وبايعَها ، ومشتريَها ، وآكِلَ ثمنها ! . ومع ذلك فهي عروسُ السُّفرة : تراها اليوم على الْخِوانِ في كل مكان ! . ثم وعد بالظهور والفرَج بعد مثلِ هذه الموبقات المخزية ، فقال :)

ـ ورأيتَ الخمرَ يُتداوَى بها وتوصَفُ للمريض ، ويُستشفَى بها [١] . (وقال :)

ـ والخمورُ تُشرَبُ علانيةً ، ويجتمع عليها مَن لا يخاف الله ، ويُدعَى إليها [٢] ! . (عفوَك يا رب ، فإنَّ بعض المُلتزمين لا يزالون يشربونها سرّاً والحمدُ لله ! ! ! ثم قال عليه السلام :)

ـ ورأيت الرجلَ يُمسي نشوان ، ويصبح سكران ، ولا يهتمُّ بما الناسُ فيه [٣] ! . (وحدَّد وقتَ تلك الحالة بقوله عليه السلام :)

ـ يكون ذلك إذا رأيت الناظرَ يتعوَّذ بالله مما يرى المؤمنَ فيه من الاجتهاد ، ورأيت الكافرَ فَرِحاً لما يَرى في المؤمن ، مَرِحاً لما يَرى في الأرض من الفساد ، ورأيت الآمرَ بالمعروف ذليلاً [٤] . (وقد ورد القسم الأخير منه عن الباقر عليه السلام . . ثم قال :)

ـ والسلطانُ يُذلُّ المؤمن للكافر [٥] . (وقال أيضاً :)

ـ (يكون) احتكار السلطان للطعام ، وبَخْس المكيال والميزان والغشّ ، وشُيوع الْمُسكرات ، وشراء الخمور في الأسواق [٦] . (ورد عن الباقر عليه السلام قريبٌ منه . . .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨٤ وبشارة الإسلام ص ١٣٤ وص ٢٥٩ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٢٥ .
(٣) إلزام الناصب ص ١٨٣ ومنتخب الأثر ص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ وتحف العقول ص ٤٣ مع تفصيل ، ومثله في بشارة الإسلام ص ١٣٣ .
(٤) بشارة الإسلام ص ١٣٢ وإلزام الناصب ص ١٨٣ .
(٥) إلزام الناصب ص ١٨٣ ومنتخب الأثر ص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ .
(٦) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ ـ ١٣٤ وإلزام الناصب ص ١٨٣ ـ ١٨٤

ثم قال ؈ في حديث طويل يصف أهل آخر الزمان :)

ـ . . ورأيتَ الفاسق فيما لا يحب الله قوياً محموداً . . ورأيت سبيل الخير منقطعاً ، وسبيل الشر مسلوكاً . . وكان صاحب المال أعزَّ من المؤمن ، وكان الرِّبا ظاهراً لا يُغيَّر . . ورأيت القمارَ قد ظهر ، ورأيت الشراب يُباع ظاهراً ليس له مانع . . ورأيت الشريف يستذلُّه الذي يخاف سلطانه . . ورأيت الهرج قد كثُر . . ورأيتَ الناس مع من غلب . . ورأيت الآياتِ في السماء لا يَفزع لها أحدٌ . . ورأيت الناس قد استَوَوا في ترك الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المُنكرِ ، وتركِ التديُّن . . ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر الله [1] ! . (وقد حصل كلُّ ذلك كما نرى في حاضر أيامنا . . ثم قال ؈ :)

ـ لا يخرجِ حتى تَعمر السِّباخ ، وتَتناكَر المعارف [2] . (والسِّباخ من الأرض هي المهملة التي تقلُّ غلَّتها ، وقد عمرت . أما تناكُرُ المعارف فقد تفشَّى حتى بين أفراد الأسرة الواحدة التي مزَّقتها الحزبيات المختلفة ، ثم تفشَّى بين الجماعات والدول ! . ثم قال ؈ كقول جدِّه ﷺ :)

ـ يكـون هَمُّ الناس بطونُهم وفُروجُهم ، فلا يُبالُون بما أكَلوا ولا بما نكحوا [3] . . (ومَن منَّا اليومَ عنده هَمٌّ غير هَمِّ بَطنِه وفَرجِه ؟ . ثم قال ؈ :)

ـ لا يكون ذلك إلاَّ على رأس شرار الناس [4] ! . (فالْعَجَلَ العَجَلَ يا

بتفصيل فيها جميعاً .

(١) بشارة الإسلام ص ٢٣ وص ٤٤ وص ١٣١ ـ ١٣٢ إلى ص ١٣٥ بتفصيل وافٍ ، ومنتخب الأثر ص ٤٢٨ وص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ١٩٣ وص ٢٥٦ وص ٢٥٩ والإمام المهدي ص ٢١٩ وإلزام الناصب ص ١٨٣ ـ ١٨٤ مع تفصيل .

(٢) إلزام الناصب ص ١٨٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٨ وص ٢٥٨ وبشارة الإسلام ص ٤٧ وص ١٢٣ .

(٣) منتخب الأثر ص ٤٣٢ وبشارة الإسلام ص ١٣٥ بتفصيل ، وكذلك في إلزام الناصب ص ١٨٤ وفي البحار ج ٥٢ ص ٢٦٠ .

(٤) الغيبة للطوسي ص ٢٧٦ تجد الخبر بكامله ، وكذلك في الكافي م ١ ص ٣٣٣ والبحار ج ٥٢ ص ٩٣ وص ١٤٥ وإعلام الورى ص ٤٠٤ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٠٨ قريبٌ منه ، والصواعق المحرقة ص ١٦٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ٩٠ والمهدي ص ٣١ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٤٩ وإسعاف الراغبين ص ١٣٩ وهو في أكثر المصادر مَرْوِيٌّ عن النبي ﷺ .

مولاي . . أم أنك لا تزال تُحسِن الظن وترى أننا لسنا من شِرار الناس ، وأنت أعلم بنا منّا ؟ ! !) .

قال الإمام الرّضا عليه السلام :

ـ إذا اشتدّت الحاجةُ والفاقة ، وأنكَر الناسُ بعضَهم . يأتي الرجلُ أخاه في حاجته ، فيلقاه بغير الوجه الذي كان يلقاه فيه ، ويُكلّمه بغير الكلام الذي كان يُكلّمه [1] ! . (وورد عن الباقر عليه السلام وعن محمد بن الحنفية (رض) ورُوي عنهما أيضا :)

ـ وإذا رأيت الحاجةَ والفاقةَ قد كثُرتا ، وأنكَر بعضُهم بعضاً ، فصار الرجلُ يأتي أخاه فيسأله الحاجة ، فينظر إليه بغير الوجه الذي كان ينظر إليه ، ويُكلّمه بغير اللسان الذي كان يُكلّمه به ، فانتظِروا أمْرَ الله [2] ! . (ونحن من المنتظِرين لأمره عزَّ وجلّ لأننا يصدُق في وصفنا حديث أبي الحسن الرضا وجدّه أبي جعفر عليه السلام . .) .

تيموثاوس الثانية :

(٣ : ١ ـ ٥ :) ـ ولكنِ اعلَم هذا : إنه في الأيام الأخيرة ، ستأتي أزمنةٌ صعبة ، لأن الناس يكونون مُحبّين لأنفسهم ، مُحِبّين للمال ، متعظّمين مستكبرين مجدِّفين ، غير طائعين لوالدَيهم ، غير شاكرين ، دَنِسين بلا حُنُوّ بلا رضى ، ثالبين عديمي النزاهة ، شرسين غير مُحِبّين للصلاح ، خائنين مُتَقحّمين ، متصلّفين مُحِبّين للذّات دون محبّة الله ، لهم صورة التقوى، ولكنهم منكِرون قوّتها .

(. . ونكتفي بعد إيراد هذا الوصف الجامع مِنْ كُتب غيرنا . وننتقل إلى التفصيل . .) .

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٠٤ وص ١٠٨ وص ٣٠٢ بلفظ آخر ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٧٥ والبحار ج ٥٢ ص ١٨٥ .

(٢) انظر الغيبة للنعماني ص ١٥٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٧٠ وبشارة الإسلام ص ١٨٢ .

أ. الرّجَالُ في آخِرِ الزّمَان

قال رَسُول الله ﷺ :

(ليس أجملَ من أن نفتتح هذا الموضوع بقوله ﷺ :)

ـ إذا كنت في عشرين رجلاً أو أقل أو أكثر ، فتصفَّحت وجوههم فلم تَرَ فيهم رجلاً يُهاب في الله ، فاعلَمْ أن الأمر قد قَرُب ! .

(فهاتِ لي رجلاً مُهاباً في الله ، ومُهاباً في الله فقط ، لأنه يأمر بالمعروف ويُنْكِر المُنكَر ، ثم يكون محترَماً مسموعَ الكلمة على هذا الأساس ... إنك لن تجدَه لا حين تتصفَّح وجوه العشرين رجلاً ولا حين تتصفَّح المئات والألوف في مجتمعنا الحاضر ، لأن الهيْبَة للسلاح وفرضُ الاحترام منوطٌ بفم البندقية أو بالمال وكثرة حطام الدنيا ! . وهذا من المؤسف حقّاً ، لأن الرجال هم المسؤولون عن كل انحرافٍ وشرودٍ بين الشُّبّان والشّابَّات ، وهم ـ باستحسانهم لما يجري حولهم ، وبسكوتهم عن مروق أولادهم ، وبسخائهم في تلبية الرغَبات الشاذَّة عند نسائهم ـ قد جَرُّوا الجميع إلى ركوب الرُّعونة التي نعاني مشاكلَها ! . فكل ما في المجتمع من فسادٍ ، تقع تَبِعتُه على عاتق الرجال دون غيرهم ، لأنهم هم القوَّامون على النساء ، وهم المُمْسِكون بِعُرَى تربية الأجيال ، وعليهم وحدَهم الوِزْر والخَسار . .

ولا حاجة إلى القول أن النبيَّ ﷺ حين يصف رجال آخر الزمان ، ينقلُ عن

ربّه تبارك وتعالى ، كما أن أبناءه الميامين كلهم قد نقلوا عنه . . فإذاً ليس أعلَمَ بالخَلق من الخالق الذي سبَقَ في علْمه أن نكون كذلك : مستهترين ، لا مبالين ، غير متحمّلين للمسؤوليات ! . فاستمعْ إلى بقية أوصافنا التي تحدَّث عنها ﷺ قائلاً :)

ـ ما تُرِك بعدي فتنةٌ أضرّ على الرجال من النساء [1] ! . (يعني من تسلُّطهنّ على أزواجهنّ وأخدانهنّ ومن يدور في فلَك رَغباتهنّ من زبائنهن ! . ولذلك قال ﷺ :) ـ هَلَكت الرجالُ حين أطاعت النساء [2] ! .

(وأنا لن أعتذرَ من النساء وأنا أورِد ما قاله الله ورسولُه ، لأن الذكيّات المنصِفات منهنّ يَعْلَمن عِلْمَ اليقين أن الله ورسوله قد عَنَيا ناحيةَ الهوى والغرور أولَ ما عَنَيا ، وقصدًا إطاعةَ الأفينات السفيهات ، وقد حاشيًا منها كرائمَ النساء وذَواتِ الشَّرف والعقل والأصل . . ويتّضح هذا من سياق ما قرن به أولئك النساء حين قال ﷺ :)

ـ ما أخافُ على أُمتي فتنةٌ أخوَفَ من النساء والخمر [3] ! .

(أو حين قال ثانيةً) : ـ أخوفَ ما أخافُ عليكم فتنة السرّاء من قِبَل النساء إذا تسوَّرنَ الذهب ، وأتعبنَ الغنيَّ ، وكلّفنَ الفقير ما لا يجد [4] ! .

(وفتنةُ سرورنا ـ بل غرورنا ـ بالنساء ، وتعبُّدنا للجسد ، وذَوَباننا في الإغراء قد ذهبت بنا كلَّ مذهب ، بل ذهبت بألباب الرجال منّا وأطاحت بحلُومهم فصارت النساءُ ـ بهذا المعنى ـ كلَّ دنيانا ، بل أصنامَنا القابعةَ في محاريب تمجيدنا ، لا احتراماً لهنَّ كرفيقاتِ حياةٍ ، ورفيقاتِ جهادٍ ، ومُربّيات أُسَرٍ كريمة ، بل تمجيداً منّا للفَرْج إذا أفصحْنا التعبير ، وتقديساً لمعاني الحيوانية إذا طَوينا الكَشحَ عن المجاملة والدَّوران ! .

وقد صدق رسول الله ﷺ حين تابع نَعْتَنا بقوله الصريح الذي ينطبق علينا أشدَّ انطباق :)

---

(١) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٣٣ .
(٢) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٦٣٨ .
(٣) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٤٠ .
(٤) نهج الفصاحة ج ١ ص ٦١ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٨ شيءٌ منه .

ـ يُطيع الرجلُ زوجته ، ويَعصي والدَيه ، ويَسعَى في هلاك أخيه ، ويجفو جاره ، ويقطع رَحِمَه ، وترتفع أصواتُ الفُجّار [1] ! . (وحين قال ﷺ أيضاً :)

ـ يكون الرجلُ همُّه بطنُه ، وَقِبلتُه زوجتُه ، ودينُه دراهمُه [2] ! .

(ثم تناول النبيُّ ﷺ مظهراً خاصّاً من مظاهر عصرنا الحديث فقال عن المخنَّثين في آخر الزمان :)

ـ لعنَ اللّهُ الرجلَ يَلبس لِبْسَةَ المرأة ، والمرأة تلبس لِبْسةَ الرجل [3] ! .

(وزاد :) لعنَ الله المخنَّثين من الرجال ، والمترجِّلات من النساء [4] ! . (ثم ورد عنه ﷺ قولُه الذي يصوِّرنا فيه وكأنه يُعاصِرنا في زَمَننا هذا بالخصوص :)

ـ إذا استُعمِلَ السفهاءُ ، وشاوروا النساء [5] ! . (ثم ذهب في تصوير ما نكون عليه مذهباً يُلفت النظر ويَحمل على الجدِّ في حفظ أنفسنا زمانَ السوء ، فقال ﷺ :)

ـ إذا ركب الذكورُ الذكورَ ، والإناثُ الإناثَ ! . [6]

ـ إذا اكتفَى الرجالُ بالرجال ، والنساءُ بالنساء ! . [7] (وذكرَ ﷺ ما هو أشدّ فظاعةً فقال :)

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨١ وص ١٩٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وبشارة الإسلام ص ٢٢ وص ٢٣ بلفظ آخر ، وص ٢٥ بعضه ، وص ٧٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٣ بعضه .

(٢) انظر بشارة الإسلام ص ١٣٢ إلى ص ١٣٥ تجد التفصيل الوافي .

(٣) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ وبشارة الإسلام ص ٢٣ بلفظ قريب .

(٤) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧٤ .

(٥) بشارة الإسلام ص ٤٤ .

(٦) كشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ ومنتخب الأثر ص ٤٣٥ عن الباقر عليه السلام ، والمهدي ص ١٩٩ وص ٢١٩ .

(٧) منتخب الأثر ص ٤٢٥ وإلزام الناصب ص ٦٤ وص ١٨٢ وص ١٩٥ وبشارة الإسلام ص ٥ وص ٢٦ وص ٤٧ وص ٧٦ وص ٩٩ وص ١٣١ إلى ١٣٥ مع تفصيل ، وكذلك في الإمام المهدي ص ٢١٧ وص ٢٢٧ والبحار ج ٥١ ص ٧٠ وج ٥٢ ص ١٩٢ وص ٢٢٨ وص ٢٥٦ وإعلام الورى ص ٤٣٣ .

ـ تُنكـح الأرحـامُ ويُكتفى بهنّ ! ! ! [1] (ثم تحـدّث الصـادقُ ﷺ في هـذا الموضوع بما هو أخزَى فقال :) ـ تُنكحُ البهائم [2] ! ! !

(وقال ﷺ أيضاً :) ـ إذا رأيت الرجل يُعَيَّر على إتيان النساء ! . [3]

(ثم قـال :) ـ إذا صار الغـلامُ يُعطي ما تُعطي المـرأة ! . يُعطي قَفاه لمنِ ابْتَغى [4] ! ! !

(. . فنعوذ بك وحدَك يا رب من ذلك كلّه ! . فقد حلّت هذه الآفاتُ كلُّها في المجتمع الإنسانيّ . . وقد مشت هذه الموبقاتُ كما تمشي النارُ في الهشيم لا يقف في وجهها شيء ! ! ! . وها هـوذا النبيُّ ﷺ يُعدِّد مثل هذه المخازي التي تتفشّى آخرَ الزمان فيقول :)

ـ يَتسمَّن الرجالُ للرجال ، والنساءُ للنساء [5] ! . (وقال ﷺ أيضاً في الموضوع :)

ـ يُزَفُّ الرجالُ للرجال كما تُزَفُّ المرأة لزوجها [6] ! ! !

(وقد حصل هذا كثيراً ، فلا يستعجلنَّ أحدٌ بالإنكار . . إذ أخـذت تباشير هذه الآفة المُخزية تحلّ في العالم . . فقد سجّلت محكمةٌ في الدانمرك زواجاً بين شابَّين ـ رَجُلين ! ـ وتلَتها محاكمُ أخرى في غربيِّ وأواسطِ أوروبا ، وحفلت صُحفُ العالم بتصاريح وافيةٍ عن سعادة العريس مع العريس ! ! ! فأقبح بهذا الخَلق القَذِر الذي إذا تتبَّعنا أقوالَ الرسول الكريم ﷺ فيه ، نرى أن يرتمي في أحضان الْبَهيميَّة بوقاحةٍ

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وص ٢٥٨ وإلزام الناصب ص ١٨٣ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٣٠ وفي جميع مصادر الرقم السابق .

(٣) منتخب الأثر ص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٣١ إلى ص ١٣٥ وأكثر المصادر السابقة في نفس الصفحات .

(٤) انظر إلزام الناصب ص ١٨٣ ومنتخب الأثر ص ٤٢٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٣٢ إلى ١٣٥ .

(٥) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ ومنتخب الأثر ص ٤٢٩ وبشارة الإسلام ص ١٣١ إلى ١٣٥ بتفصيل .

(٦) انظر بشارة الإسلام ص ٧٦ وإلزام الناصب ص ١٢١ وص ١٩٥ .

وتحدٌّ للأخلاق والتقاليد ! . ثم نجد أعجَبَ وأعجبَ ، فقد مُنيَ الناس بأدواءٍ ليس لها دواء ، أشار إليها ﷺ بقوله :)

ـ يَمتشط الرجل كما تَمتشط المرأة لزوجها ، ويُعطي الرجالُ الأموالَ على فروجهم . ويُتَنافَس في الرجُل ويُغار عليه من الرجال ، ويُبذَل في سبيله النفْس والمال[1] ! ! ! (وكل هذا موجود لا نُنكِر وجوده ولا نستنكِره ، ثم يقول ﷺ بنفس الموضوع :)

ـ تُحَلَّى ذكورُ أُمّتي بالذهب ، ويلبسون الحرير والديباج ، ويتّخذون جلود النُّمور . فهناك يكثُر المطر ، ويقلُّ النبات والخير ، وتكثُر الهزّات[2] . . (ويقول أيضاً :)

ـ تكون معيشة الرجل من دُبُره ، ومعيشة المرأة من فَرْجها[3] ! . (وهي ـ اليومَ ـ مهنةُ عددٍ غيرِ قليلٍ من المعاصرين . . ويقول ﷺ في حديث أخذنا منه ما يلي :)

ـ عندها يُغار على الغلام كما يُغار على الجارية (الشابّة) في بيت أهلها[4] . (ثم قال ﷺ متأسفاً لما يكون :)

ـ كأنك بالدنيا لم تكن إذا ضيّعت أُمّتي الصلاة ، واتّبعت الشهوات ، وغَلت الأسعار ، وكثُر اللّواط ، وزُخرِفت جدران الدُّور ـ كما نرى في أحدث كيفيّات التزيين ـ ورُفع بناء القصور ، وركبوا جلود النُّمور ، وأكلوا المأثور ، ولَبسوا الحُبور ، وصارت المباهاة بالمعصية[5] ! ! ! .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨٣ مع تفصيل ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ ومنتخب الأثر ص ٢٩ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ ونشرت مجلة الصيّاد (١٩٥٥ ـ ٥٦) صورة راهب يُزَوِّجُ رَجُلاً بِرَجُل .

(٢) انظر منتخب الأثر ص ٤٣١ وإلزام الناصب ص ١٨٢ وبشارة الإسلام ص ٢٤ وص ٢٦ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ مع تفصيل .

(٤) منتخب الأثر ص ٤٣٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وإلزام الناصب ص ١٨٢ وص ١٩٥ وبشارة الإسلام ص ٢٦ وص ٧٦ وص ١٣٣ مع تفصيل .

(٥) انظر الإمام المهدي ص ٢١٩ ومنتخب الأثر ص ٤٣١ وبشارة الإسلام ص ٢٣ وص ٧٥ وإلزام الناصب ص ١٨١ .

(ونحن نركب جلود النُمور ، ونضعها على الفرش الوثير في بيوتنا وسيّاراتنا ، ونأكل المأثور - المتنجّس - بل نأكل النجس والميتة ، ونلبس الحُبور والحسَن من الثياب ، ولا نستحي بالانتماء إلى جمعيّات اللّواطين التي انتشرت في كلّ مكان ونتباهَى بارتكاب المعاصي ونعدُّ ذلك تحرُّراً وتمدُّناً ! ! ! ولم يَعْدُ ﷺ وَصْفَنا بالريشة وبالدقة العجيبة حين قال :)

- سيأتي بعدي أقوامٌ ، يأكلون طيِّب الطعام وألوانَها ، ويركبون الدوابَّ ، ويتزيَّنون بزينة المرأة لزوجها ، ويتبرَّجون تبرُّج النساء ، وَزِيُّهم مثل زيّ ملوكٍ جبابرة ! . هم منافِقو هذه الأُمّة في آخر الزمان ، شارِبو القهوات - أي المُسكِرات - لاعبون بالكِعاب - أي القِمار - راكبون للشهوات ، تاركون للجماعات ، راقدون عن العتْمات - أي صلوات الصبح والعشاءين - مفرِّطون بالغدَوات - أي متهاونون بِصَلاتَي الظهر والعصر - مَثَلُهم كمثَلِ الدُّفْلَى : زهرتُها حسنةٌ وطعمُها مُرٌّ ! ! ! كلامهم الحكمة ، وأعمالهم داءٌ لا يَقبل الدواء [1] ! ! ! .

(ولن نَعبر بالحديث دون أن نُشيرَ إلى ركوب الدوابِّ الذي مرَّ في أوله . فإن النبيَّ ﷺ لم يَعْنِ الخيل والحَمير والبِغال فقط . فالدوابُّ لغةً : كلُّ ما يَدِبُّ - أي يجري - على أربعٍ : كالحيوانات التي كانت معروفة للركوب أولاً ، وكالسيارات والطائرات وغيرها مما يدبُّ على أربعٍ أو أكثرَ مِنَ العجلاتِ التي تحملها وتسير عليها . والدَّبُّ والدَّبيب هما الجَريُ والسَّريان السريع كجريِ الماء وغيره . .

ثم نُشير أخيراً إلى أن وصف الرجال في أخبار الأئمة ﵈ لا يتعدّى نقلَ ما ورد عن جدِّهم ﷺ . ولذلك لم نكرِّر شيئاً مرَّ ، بل اكتفينا بإيراد شيءٍ خاصٍّ عن جدِّهم الثاني أمير المؤمنين ﵇ فقط . . لأنه إذا هو قال ، فقد قال بابُ مدينة عِلْم رسولِ الله ﷺ أي حاملُ عِلْم ما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة . .)

قالَ أمير المؤمنين ﵇ :

(وصفَ الناسَ في آخر الزمان فكأنه وصفَ أهل القرن العشرين بحديث طويل

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٧ وإلزام الناصب ص ٢١ بلفظ آخر ما عدا آخره .

نأخذ منه ما يلي :)

ـ ويرى الرجلُ من زوجته القبيحَ فلا ينهاها ، ولا يردُّها عنه ، ويأخُذ ما تـأتي من كَدِّ فَرْجِها ومن مُفْسِد خِدْرِها ، حتى لو نكحتْ طولاً وعرضاً لم يَنْهَها ولا يسمع ما وقع ـ أي ما قيل فيها من الكلام القبيح ـ فذاك هو الدَّيوث [1] ! ! ! (ثم قال ﷺ :)

ـ تُزوَّج الإِمْرَأةُ بِـالإِمْرَأة ، وتُـزفُّ كما تُـزفُّ العروسُ إلى زوجهـا [2] ! . (وقال أيضاً :)

ـ فإذا كان ذلك أقبلتْ عليهم فتنٌ لا قِبَلَ لهم بها [3] ! .

(وقد بُلينا بالفتن التي حلّت في ديار الإسلام منذ ثُلث قـرن . . ونحن ساهـون سادِرون نغطُّ في نومٍ عميقٍ لولا قذائف المدافع وصواريخ الطائرات ، وفـوهات النـار التي تُحرق الأخضر واليابس من بقاع الدنيا ! . ثم قال ﷺ في نفس الموضوع :)

ـ إذا رأيت الرجل يأكل من كَسْبِ امرأته من الفُجور ، يعلم ذلك ويُقيم عليه ! . بل يُكْري امرأته وخـادمته وجـاريته ـ يعني : بنتـه ـ ويرضى بـالدنيِّ من طعـامه وشـرابه وملذّاته [4] ! ! ! (وهذه الحالة متـوفّرة عنـد أفرادٍ في عصـرنا تتحدَّث عنهم الصُّحف أحياناً تحت عناوين المجرمين والمـلاحَقين ، وتتحدَّث المجـالسُ عن كثيرين منهم لم تصل إليهم يدُ القانون الرحيم بأمثالهم لأنهم من سادة المجتمع الراقي وسيِّداته ! . ثم قال ﷺ :)

ـ ويُعَيَّر الرجلُ على صَون النساء [5] ! . (وما أكثـر من يُعَيَّر على صَـون زوجته وبناته ! . ثم مـا أكثر السيِّدات والبنات اللواتي لا يُـرِدن الصَّون ولا يَـرغبن في سماع هذه اللفظة البالية ! . وكم وكم من رجلٍ اتُّهِمَ بالتضييق على زوجتـه وبناتـه إذا حاول شيئاً من هذا ، ثم رُمِيَ بـالرجعيَّـة المتحجِّرة والـذهنيَّـة العتيقـة حين حـاول أن يقـول

---

(١) بشارة الإسلام ص ٧٧ وإلزام الناصب ص ١٩٥ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٩٥ وبشارة الإسلام ص ٧٦ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٧٨ .

(٤) إلـزام النـاصب ص ١٨٣ ، ومنتخب الأثر ص ٤٣٠ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشـارة الإسـلام ص ١٣٢ إلى ص ١٣٥ .

(٥) بشارة الإسلام ص ١٣٣ وإلزام الناصب ص ١٨٣ مع تفصيل وافٍ ، في المصدرَيْن .

لواحدةٍ هو مسؤولٌ عنها : أرجو أن تستُري الشيءَ المحرَّم من جسدكِ يا عزيزتي ! . أما إذا قال لها آلْبِسي مِنديلاً على رأسكِ فقد يوصَف بالسُّفه والجنون ! . ثم قال ﷺ عن الرجال :)

- يُنفِق الرجلُ من ماله في غير طاعة الله ، فلا يُنهَى ولا يُؤخذ عليه ، ويَمنع اليسيرَ في طاعة الله [1] ! . (وهذا الداءُ متفشٍّ بين سائر ذَوي اليسار والمال) .

قال الإمام الصّادق ﷺ :

- . . . ورأيتَ الرجلَ إذا مرَّ به يومٌ ولم يكسِب فيه الذنْب العظيم - من فُجورٍ ، أو بَخس مكيالٍ أو ميزانٍ ، أو غِشيانِ حرامٍ أو شربِ مُسكِرٍ - كئيباً حزيناً ، يَحسب أن ذلك اليومَ عليه ضيعةٌ من عُمرِه [2] ! . (وقال ﷺ :)

ورأيتَ الرجلَ معيشتُه من بَخس المكيال والميزان [3] . (وفي المجتمعات الشرقية والغربية كثيرون من هذه الفئة ، قد تقع يَدُ المُستَقصي على عددٍ وافرٍ منهم إذا حاول الإستقصاء بين صفوفِ الباعةِ والتجار . . ولن يفوتني ذكرُ ما قاله الصادق ﷺ في الموضوع أثناء حديث جمع فيه سائرَ المخازي التي مُنِيَ بها مجتمعنا ، وهو :)

- . . ورأيت الفسق قد ظهَر واكتفى الرجالُ بالرجال ، والنساءُ بالنساء . . ورأيت الرجالَ يتسمَّنون للرجال ، والنساءَ للنساء ، ورأيت الرجلَ معيشته من دُبُره ، ومعيشة المرأة من فَرْجها . . وأعطَوا الرجالَ الأموالَ على فُروجهم ، وتُنُوفِسَ في الرجل ، وتَغاير عليه الرجال . . ورأيت الرجلَ يُعَيَّر على إتيان النساء . . ورأيت العقوق قد ظهر ، واستُخِفَّ بالوالدَين وكانا من أسوأ الناسِ حالاً عند الولد . . ورأيت أعلامَ الحق قد دَرَسَتْ - أي بليَتْ - فكُن على حَذَرٍ ، واطلبْ إلى الله النَّجاة ، واعلمْ

---

(1) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ وبشارة الإسلام ص ١٣٢ مع تفصيل ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(2) منتخب الأثر ص ٤٣١ وإلزام الناصب ص ١٨٣ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ - ١٣٤ بتفصيل ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ .

(3) إلزام الناصب ص ١٨٣ .

أن الناسَ في سُخط الله عزّ وجلّ ، وإنما يُمهلهم لأمر يُراد بهم فكن متـرقّباً ، واجتهـد أن يراك الله عزّ وجلّ في خلاف ما هم عليه [1] . .

(وما أقلّ الحذِرين المترقّبين الراغبين في النجاة ! .)

---

(١) البحـارج ٥٢ ص ٢٥٦ إلى ص ٢٦٠ مع تفصيـل ، ومثله في بشـارة الإسـلام ص ١٣١ إلى ص ١٣٥ وكـذلك في منتخب الأثـر ص ٤٢٥ وص ٤٢٩ وص ٤٣٢ وكذلـك في إلـزام النـاصب ص ١٨٣ إلى ص ١٨٤ وفي البحارج ٥١ ص ٧٠ بعضه وكـذلك في المهـدي ص ٢١٧ (ورُوِيَ فيه أن الوَلَد يفرح بأن يُفترى على والدَيه) .

ب ـ النِسَاءُ في آخِرِ الزّمَان

ـ . . والنّساء !

يا نساء زماننا هذا . .

والمفروض أنّ النساءَ هُنّ جوهرةُ عِقد الحياة ، وتمامُ مبناها ، وكمالُ معناها حين يُدركنَ قيمتهنّ ، ويَعرفن واجباتهنّ ، ويَعلمنَ أنه بدونهنّ تتدمَّرُ الأُسرة وينهار المجتمع . . . لأنهنّ حافظاتُ النسل : أقدس ما في الحياة . . ويا وَيلَ الحياة بِرُمَّتها حين يَحدنَ عن جادّة الصواب ! . بل يا وَيلَهنّ وحدهنّ حين يَعتبرهنّ المجتمع مرتَعَ تسليِة ، وَيتّخِذُهُنّ الرجالُ أداةَ لهوٍ ووسيلة للّذة ، فيَنزِلْنَ عن كرامتهنّ ! . ويصير المجتمع الإنسانيُّ أقربَ إلى الحيَوانية المنحطّة ! .

لقد أراد الله المرأة دُرّةً مكنونة ، وجوهرةً مصونة ، فما بالها تَنزِل إلى معتركٍ تجد فيه نفسها مضغة للماضغين ؟ ! !

ألا إنّه حين توضع النساءُ على بساط البحث في موضوعنا هذا ، تُقرأ فاتحةُ الخلاص على المجتمع من أربعة أركانه ! .

فأين هي المرأة التي تهتمُّ بأكثر من البحث عن عابدٍ لجمالها ، أو متسكّعٍ أمام جسدها ، أو طامعٍ بالْعَبَث بمفاتنها ، فتأنس إذا أطرَى حسنها ، وتنتشي إذا راودها عن كرامتها ، وتنهار أمام معسول كلامه إذا قال لها : أنتِ معبودتي ومفتاحُ سعادتي ، لأنكِ

اجمل من وقعتْ عليها عيناي في الكون ! ! !

والنساء . . إذا تميَّعنَ لا يُرجَى منهنَّ خيرٌ للمجتمع ، وخصوصاً إذا نَسينَ أنه لا قوام للمجتمع إلاَّ بِهِنَّ ، لأنهنَّ نصفُه الحلو ، ولا كرامةَ له إلاَّ بكرامتهنَّ ، ولأنهنَّ إذا خَرِبْنَ خَرِب المجتمعُ من أساسه ! ! .

فما هو عُذر نساء اليوم اللواتي لا يُفكِّرنَ إلاَّ بمتعة العيش مرَّة ، وبالإسترجال مرَّة ثانية ، مع أنهنَّ لن يَصِرنَ رجالاً بلبس بنطلونٍ ، ولا بياقة قميص ، ولا بربطة عُنق ؟ ! .

أفَلا يَعرِفنَ أن الرجل لا يحتاج إلى مثل هذا العرض المُبتَذَل ليطلب المرأةَ ويطاردَها ويُلحَّ بطلبها ؟ . إنه هو أيضاً بحاجة ماسة إليها . . ولعله يركع أمام الأنوثة المصونة إذا هي عرفت كيف تحتفظ بسرِّ إغرائه من غير أن تتبذَّل ! . أمّا وقد كشفتْ عن وجهها وقفاها أيضاً ، وعرضت قُبُلَها ودُبُرَها أمام عينَيه ، وجعلت كل شيء في متناول يدَيه ، فقد صارت عاديَّة . . مبتذلةً . . رخيصةً جدّاً ، لأنها نزعَت هالةَ الحياء ، فذهبت هيبةُ السرِّ المَصون الّذي تملكُه ، وتملكُ به قلوب الرجال ! .

وهذه المرحلة التي تجتازها نسوة عصرنا ، لم تفتْ بديهةَ النبيِّ ﷺ ولا بديهةَ آله الأطهار ﵈ بل عَرضوا لها ، وتعرَّضوا لِمَا لها من أخطار على الأفراد والجماعات . . فأَصغِ لما قالوا في النساء والبنات ، وأفراد الأجيال المنحرِفة . . وألقِ إليّ بكل حواسِّك ووعيِك . .

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ كيف بكم إذا فسدت نساؤكم ، وفسق شُبّانكم ، ولم تأمروا بالمعروف ، بل أمرتم بالمنكَر ونهيتم عن المعروف ، وإذا رأيتم المعروفَ منكَراً ، والمنكرَ معروفاً ؟ ! فقيل له : ويكون ذلك يا رسولَ الله ؟ . فقال : نعم ، وشرٌّ من ذلك[1] ! . (ثم قال عن نساء العصر الذي يجب أن ننتَظِرَ فيه يوم الخلاص بظهور المهديِّ ﵇ :)

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٦ وإلزام الناصب ص ١٨٠ وص ١٨٢ باختلاف يسير ، وتحف العقول ص ٤١ وبشارة الإسلام ص ٢٠ بلفظ قريب ، ومثلُه في ص ٢٥ وص ٤٤ .

ـ إذا شاركت النساء أزواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا [1] . . (والنساءُ اليومَ تاجراتٌ يشاركنَ أزواجهنّ ، وتاجراتٌ وحدَهنّ ، وتاجراتٌ بكلّ شيء ! . ثم قال ﷺ :)

ـ يتشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال [2] . . (فلولا بعض مُميِّزات الأنثى كبروز ثدييها في صدرها مثلاً لَحَسِبتَها وهي بلباس الشباب شاباً ! . ثم قال ثائراً لكرامة النساء والرجال في آنٍ ، وغاضباً للتمرُّد على السُّنن :)

ـ لعنَ الله المتشبهاتِ من النساء بالرجال ، والمتشبِّهين من الرجال بالنساء [3] ! . (لأن هؤلاء وهؤلاء قد حادوا عن سنن طبائعهم ، وغيَّروا خَلْق الله وساروا مع غرائزهم . . ثم وعد بقرب الفَرَج إذا كان ذلك ، فقال ﷺ :)

ـ إذا تزيَّنت النساء بثياب الرجال ، وسُلِبَ عنهنّ قِناع الحياء [4] ! ! ! (وقد اجتزنا مرحلة الزيّ ، وقرأنا الفاتحة لِقناع الحياء الذي صار يُعَدُّ لباس الجُبناء والمتأخّرين فكرياً وحضارياً . . ولكن هل نَثبت أمام قوله ﷺ حين قال وهو يتأمّل هذه الظاهرة المُخزية :)

ـ لعن الله الرَّجُلة من النساء [5] ! ! ! (أَوَلا يُصيب هذا اللَّعن رَجُلاتٍ كثيراتٍ أيها البنطلون النسائي المُفسِّرُ لما تحته ؟ ! وأيتها الْجَزمة الصفيقة ؟ ! وأيها الحزامُ العريض المشدودُ على الخصر بقوّةٍ وعُسرٍ حتى يُبرزَ الردفين إبرازاً تاماً ؟ ! بَلَى . . إنه يُصيب عدداً وافراً . . ولكن استمعْ إلى محاذير هذه الأزياء في قول نبيِّنا العظيم ﷺ الذي رُوِيَ عنه إذ قال : إذا ظهرت القلانس المشتركة ظهر الزنا . . والقلانسُ هي هذه اللَّبابيد التي يلبسها الرجال والنساء على السواء . ومن أعلام النبوّة

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٨ وإلزام الناصب ص ١٨٢ والإمام المهدي ص ٢١٩ .
(٢) منتخب الأثر ص ٢٩٢ والمحجة البيضاء ج ٣ ص ٣٤٢ وإعلام الورى ص ٤٣٣ والمهدي ص ١٩٩ ومثير الأحزان ص ٢٩٨ وإلزام الناصب ص ١٨٠ وإلزام الناصب ص ٢٦ وص ٤٤ وص ٩٩ والإمام المهدي ص ٢١٩ وص ٢٢٧ .
(٣) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧٤ .
(٤) إلزام الناصب ص ١٨١ وص ١٨٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ وبشارة الإسلام ص ٢٣ .
(٥) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧٤ .

أن يتكلّم الرسولُ الأعظمُ عن زيٍّ مشترَكٍ يرافقه تفشّي الزنا ، حصل لُبْسُه بعد قوله بألف وأربعمئة سنة ، ثم طبّقنا نحن مفهومَ الحديث بِشِقَّيْه : القلانس المشتركة والزنا ! . ثم استمعْ إليه حين وصف نساءَ اليوم بما رُوي عنه إذ قال : إذا رأيتم اللاّتي على رؤوسهنَّ مثل أسْنِمة البُعر ، فاعلموا أنه لا تُقبل لهنَّ صلاة ! . والذي هو كأسْنِمَة الجِمال ، هو ذلك الشّعر المضفور كالطرابيش المائلة قليلاً إلى الوراء ، وهو تلك اللّبابيد التي تلبسها النّسوة في عصرنا هذا ملفوفةً كعمائم الرجال ! . إنها كأسْنِمة الجِمال سواء بسواء ! . فبأيّ نظرٍ ثاقبٍ لمحَ النبيُّ ﷺ هذا الزيّ الذي يفصله عنه حينٌ من الدهر ؟ ؟ ؟ وها هُوَذا النبيُّ ﷺ يكمل الصورة ، فيقول :)

ـ سيكون في آخر أمّتي رجالٌ ، يركب نساؤهم على سروجٍ كأشباه الرجال . يركبون على المَيَاثر حتى يأتوا أبواب المساجد ، نساؤهم كاسياتٌ عارياتٌ ، على رؤوسهنَّ كأسْنِمة البُخْتِ العِجاف ، لا يَجِدْنَ ريحَ الجنّة ! . فالعنوهنَّ فإنّهنَّ ملعونات [1] : (والمَيَاثِر هي المقاعد الوثيرة الناعمة ، كمقاعد السيّارة التي تقودها كثيراتٌ من النساء ويَركبنَ مَياثِرَها الناعمة التي تهتزُّ تحت الراكب فيُحسّ بالراحة والدّعة ، والتي يَركبها الكثيرون ويقصدون أبواب المساجد مع عائلاتهم المتهتّكة ، ليشاركوا في إقامة الشعائر الدينية من مواسم الأعياد والأحزان ، وكأن الشعائر الدينية لا تتم إلاّ باصطحاب الزوجة والبنات متبرّجاتٍ يَلْبَسْنَ الشفّاف فتبدو الواحدة منهنَّ عارية وهي كاسية ، على أرآئك تَمُورُ بهنَّ مَوراً ! ! !

وقد يتجلّى ذلك في ركوب الخيل أيضاً ، فقد صارت هذه الرياضةُ الرياضةَ المُفضّلة عند نساء الطبقة الأرستقراطية اللّوَاتي يَظهرنَ صباحَ مساءَ على ظهور الخيل قبل أن نُفيق لصلاة الصبح ، وبعد أن ننتهي من صلاة العتمة ! . وهنَّ أشدُّ حرصاً على مواعيدهنَّ منّا على مواعيد صلواتنا ! . وقد قال النبيُّ ﷺ بشأن هؤلاء :)

ـ إذا ركبتْ ذوات الفُروج السُّروج ، فعليهنَّ من أُمتي لعنةُ الله [2] ! . (فهل

---

(١) انظر صحيح مسلم ج ٦ ص ١٦٨ وهو في مصادر أخرى بلفظ قريب .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٣٣ والبحار ج ٥٢ ص ١٩١ وإعلام الورى ص ٤٣٣ بلفظ آخر ، والمهدي ص ١٩٩ ما عدا آخره ، وبشارة الإسلام ص ٢٦ وص ٤٤ وص ٧٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام وص ٩٩ عن الباقر عليه السلام ، ومثير الأحزان ص ٢٩٨ ونور الأبصار ص ١٧١ والإمام المهدي

سمعتنَّ يا عزيزاتي السائقات والراكبات ؟ . وكفى بهذه الدفعة نقداً من فم سيّد الخَلْق لِعَاليات سُروج الخيل ! ! ! وقد قال ﷺ أيضاً :)

ـ لا تقوم الساعة حتى تظهر ثيابٌ تلبسها نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ ، وتعلو التُّحوتُ الوعولَ[1] ، (أي يعلو سفلةُ الناس على الأشراف ، وتَلْبس النساءُ هذه الثيابَ من النايلون الذي يَشِفُّ عمّا تحته ولا يستر عيباً ولا يَدَعُ حُسْناً خافياً ، ولا قبيحاً مستوراً . . وكأنه ﷺ كان يعاصرنا حين قال : وتصير النساء كالْبَهْم ! . أي طائشاتٍ كأولاد البقر والْمَعز والضأن . بمعنى أنهنّ لا يَسمعنَ النصيحة ولا يرتدعنَ عمّا هنَّ فيه ، ولا يأبهنَ بحلالٍ ولا بحرام . . ثم قال ﷺ :)

ـ يُرفع العلْم ، ويَظهر الجهل ، ويُشرب الخمر ، ويفشو الزنا ، ويقلّ الرجال حتى أن الخمسين امرأة فيهنّ رجلٌ واحد[2] ! . (ولا يكون ذلك إلّا بعد الحروب الْمُفنية التي تسبق موعد الظهور المبارك ، وسنتكلم عنها قريباً . . ثم ذَكر ﷺ طامّةً ليس لها لامّةٌ حيث قال : وحتى تَمُرَّ المرأة بالقوم ، فيقوم إليها بعضهم فيرفع ذيلَها كما يرفع بذَنَب النُّعجة ! . وباستعمال كلمة : النُّعجة ، في هذا الخَبر يُصوِّر النبيُّ ﷺ هدوءَ المرأة وعدَم اضطرابها لما يُراد بها إذا رُفِعَ ذيلُها ! ! ! وهذه الظاهرةُ صارت بطريق التنفيذ ما زالت النار في الهشيم . . ففي آخر الزمان إنَّ الرجل لَيَغشى المرأة على قارعة الطريق ـ كما وردَ في أخبار النبيِّ ﷺ وأهل بيته ﷺ ـ وقد يقول له أمْثَلُهم : لوِ اعتزلتم عن الطريق ! . وكم تُعجبني حَمِيَّةُ أمْثَلِهم هذا فإنه لا يزال يحمل بعضَ الْغَيرة والمروءة المؤدَّبة الهادئة في صدره . وهذه الظاهرة قد أخذت طريقها في بعض بلاد أوروبا ، ونخشى أن يُصدِّروها لنا بضاعَةً مُزْجاة ، فيتهافت عليها حَمَلَةُ هوية الإسلام والعياذ بالله ! . ثم جاء عنه ﷺ في وصف حالة الناس الحاضرة :)

ص ٢١٩ ما عدا آخره ، ومثله في ص ٢٢٧ ، ومثلُه في إلزام الناصب ص ١٩٥ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ مجملاً .

(١) انظر منتخب الأثر ص ٤٢٦ .

(٢) نهج الفصاحة ج ١ ص ١٨٤ وبشارة الإسلام ص ٢٥ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٥٨ ومنتخب الأثر ص ٤٢٥ بلفظ آخر ، والإمام المهدي ص ٢١٧ أوله .

ـ . . وإذا رأيت المرأة تُصانِع زوجَها على نكاح الرجال ! . ورأيت خير بيتٍ يساعد النساء على فسقهنّ [1] ! ! ! (والمصانعة بين الزوجَين صارت موجودة ، وخصوصاً عند أصحاب القصور العاجيَّة والبيوتات ـ الكريمة والأُسر الراقية ـ ! ! ! وحياة التملُّق بين الزوجَين العصريَّين هي من مميِّزات حضارتنا . . وأغربُ ما في هذه الظاهرة المُتفشّية اليومَ أن المرأة تعرف ما الرجلُ عليه من وراء مصانعته لها ، كما أن الرجلَ يعلم يقيناً ما في نيَّة امرأته من وراء مصانعتها وتملُّقها له ، ولكنهما ينامان أمينَين مأمونَين ! ! ! .

ثم قال ﷺ كمن يلاحظ جَريان الأمور منذئذ :)

ـ وكان الزنا تُمْتَدَح به النساءُ ، والليلُ لا يُستخفَى به من الجرأة على الله [2] ! .

(أجل فإننا لا نَستخفي بليلٍ ولا نتستَّر بنهار ! . بل نجاهر بالمعصية ونتباهَى بها ! . وسيدةُ المجتمع الفذَّة هي أبرعُ النساء بالإستحواذ على قلوب أكبر عددٍ ممكنٍ من الرجال . . تتباهَى بذلك وتُحدِّث به صُوَيْحباتها في المجالس وأمكنة الإستقبال ! .

ثم أشار ﷺ إلى علامات هي بيننا ، فقال :)

ـ إذا رفعوا البُنيان وشاوروا النسوان ، ويكثُر الاختلاط [3] . . (والبُنيان اليومَ يناطح السحاب في كلِّ مكان ، ومشاورةُ النساء دهورت أوضاعَ كل إنسان ، والاختلاط سائدٌ في البيوت والشوارع والمدارس ودور اللهو والأسواق . . ثم رُوي عنه ﷺ : أنها تُوطَأُ حريمُهم ، ويجورون في حكمهم ، وتُدير أمورهم النساء ! . (وهذا من التحرُّر . . ولا أعرف ، ولم يُعرِّفني أحدٌ كيف تنزل المرأةُ إلى مجال العمل ـ كلِّ عمل ـ وتفارق بَيتَها بَياضَ النهار وشيئاً من سواد الليل ، ثم ترجع إليه وهي هي لم يَلْمِزها لسانٌ ، ولم تخدشها نظرةُ عين ، وما مسَّها من سوء ؟ ! ! حفظ الله مهجة

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٣١ إلى ص ١٣٥ بتفصيل ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وإلزام الناصب ص ١٨٣ ـ ١٨٤ بتفصيل ، وبشارة الإسلام ص ١٣٥ ومنتخب الأثر ص ٤٢٩ أوله .

(٣) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٦٣ والمهدي ص ١٩٩ وإلزام الناصب ص ١٨١ وبشارة الإسلام ص ٢٣ وص ٤٤ وص ٧٧ والإمام المهدي ص ٢١٩ .

الزّوج الشريف ، أو الأب الحُر ، أو الأخ الذي ينام على فراشه هانئاً . . قريرَ العين بخصانتها الفذّة ! .

ثم قال يصف بعض أحطّ مظاهـر مجتمعنا المتحـرّرِ من عبودية الدين والتقاليد المتمرّغ في عبودية الجسد والشهوة :)

ـ إذا رأيت المرأة تقهر زوجها ، وتعمل ما لا يشتهي ، وتُنفق عليه من كَسْبها فيرضَى بالدنيء من الطعام والشراب [1] ! . (ونَقل لنا صورة ما نقع فيه إذا وصلنا إلى مثل هذه الحالة ، ـ وقد وصلنا ـ فقال ﷺ :)

ـ عندها إماراتُ النساء ، ومشاورةُ الإماء ، وقعودُ الصِّبيان على المنابر والتباهي باللباس [2] . . (وقد قال الصادق ؏ في هذا الموضوع :)

ـ يحكم الدولةَ الخِصْيانُ والنسوانُ (أي زوجاتُ الحكّام وأخدانُهنّ الذين يصاحِبْنَهم ويرضَين عليهم لأنهم يُرضونهنّ) ! . وتكون إمارة الصبيان والغلمان [3] . (وهؤلاء هم المُتحكّمون في الأمور العامّة . ثم قال ؏ أيضاً جازماً ومُقسِماً :)

ـ إذا كانت إمارةُ الصبيان ، فواللّهِ لَتكوننّ ! . (وردّدَها ثلاثاً) [4] .

(فَواللّهِ العزيز الجبّار : إن يمينَكَ لَتقطع الظُّهر يا رسولَ الله ! . فكيف إذا جئتَ بها مؤكّدة مُلَمْلَمَةً منوّنة ؟ ؟ ؟ لقد حصل ما أقسمت عليه . . وتطبّقت إمارة الشبّان ، وحكَم الصبيان ، وترأست النسوانُ عدداً كبيراً من الدول الكبرى والصغرى . . ووقع العالَم في شرورٍ حَذَّتْهُ عنها فصعّر خدّه عن قولك وولّى مُستكبراً كأن لم يسمعْ . . وهو ـ كلّه ـ اليومَ في طامّةٍ ليس لها لأمّة ، سمّاها حفيدُك الصادق ؏ كذلك في قوله حين قال :)

ـ يا لَها من طامّةٍ إذا حَكَمت في الدولة الخصيانُ والنسوانُ والسودان (أي خاصّةُ

---

(1) منتخب الأثر ص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ بلفظ قريب ، وبشارة الإسلام ص ١٣٣ إلى ص ١٣٥ بتفصيل ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٣ .
(2) بشارة الإسلام ص ٢٥ وإلزام الناصب ص ١٨٢ .
(3) إلزام الناصب ص ١٧٨ وبشارة الإسلام ص ٧٦ بلفظ آخر ، وكذلك في ص ٨١ .
(4) الملاحم والفتن ص ٧٠ .

النساء وخَدَمهنّ) وأحدثَ الإمارةَ الشبّان والصبيان ! . وخرِب جامع الكوفة من العمران ، وانعقد الجِسْران (وقد انعقدا في بغداد وهما معروفان !) . فذلك الوقت زوال مُلك بني العباس ، وظهور قائمنا أهلَ البيت [1] . . (ثم قال النبيُّ ﷺ عن حُكم النسوان :)

ـ لن يُفلِح قومٌ ولّوا أمرَهم امرأة [2] ! . (وقد ترأَسَتْ نسوةٌ كثيراتٌ حكوماتِ دولٍ كبرى وصغرى كعهود الجاهلية الأولى التي كانت تعبُد الجنس . . ثم ترأست إسرائيل امرأةٌ ـ غولدا ميئير ـ طيلة سنوات ، وأظهرت مكراً شغَل العالَمَ بلا طائل . الأمر الذي دلَّ على أن جميع الدول التي أدارت شؤونها النساء ، لم يرَ العالم من فلاحها شيئاً ، بل رأى ـ على العكس ـ أنها تقوقعت على نفسها ، وقبعت في زوايا حدودها ، لم تَنل من ذلك خيراً . . وصدق فيها القولُ الشريف المأثورُ عنه ﷺ حين قال) :

ـ لا يُقدِّس اللّهُ أمةً قادتهم امرأة [3] ! .

(. . . ثم قال النبيُّ ﷺ قولته المشهورة التي تُؤْيِسُ العاقلَ وتترك ذا اللُّب مشدوهاً ذَعِراً ، وهي من أواخر ما حدَّث به :)

ـ سألتُ أخي جبرائيل : أتنزِلَ بَعدي إلى الدنيا ؟ . قال : نعم ، أنزل عشر مرّات وأرفع جواهِرَ الأرض ! . قلتُ : وما تَرفع ؟ . قال :

في المرَّة الأولى أرفع البرَكة من الأرض ،
وفي الثانية أرفع الشفقة من قلوب العباد ،
وفي الثالثة أرفع الحَياء من النساء ،
وفي الرابعة أرفع العدل من أُولي الأمر ،
وفي الخامسة أرفع المحبَّة من قلوب الخلائق ،

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٦٤ وإلزام الناصب ص ١٧٨ .
(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٥ وتحف العقول ص ٣٠ : لن يُفلح قومٌ أسندوا أمرهم إلى امرأة . وتجدُه في مصادر أخرى .
(٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٥ وتحف العقول ص ٣٠ .

وفي السادسة أرفع الصبر من الفقراء ،
وفي السابعة أرفع السُّخاوة من الأغنياء ،
وفي الثامنة أرفع العلْم من العلماء ،
وفي التاسعة أرفع القرآن من المصاحف ومن قلوب القرّاء ،
وفي العاشرة أرفع الإيمان من قلوب أهل الإيمان . . نعوذُ بالله من ذلك الزمان ! ! !

ونحن إذا تتبَّعنا هذه المراحل ، نجد أن نَزلات جبرائيل عليه السلام قد توالت ، وأنه قد نزل النزلة التاسعة ! ! ! فلا بَرَكَةَ في الأرض . . ولا شفقَةَ في القلوب ولا حياءَ في النساء . . ولا غَيرَةَ في الرجال . . ولا عدلَ ، ولا محبَّة ، ولا صبر ، ولا سخاوَةَ ، ولا عَلْم دينيّاً بالمعنى الذي عرفه به آباؤنا وأجدادُنا ، ولا قرآنَ إلاَّ الحروف المسطَّرة بين دفَّتي المصاحف ، وإلاَّ الغناء والترتيل المُلحَّن ، فهو بلا أحكام وكأنَّه لم يكن دستورَ الدين في سالف الأيام .

. . . أمَّا الإيمان الذي في قلوبنا ، فلا يكفي للاطمئنان إلى وجود الإيمان ! ! !

وأخشى أن يكون أمينُ الله على وحيه ، قد نزلَ ـ سلام الله عليه ـ نزلَته العاشرة . . . ورفعَ . . وارتفع . . فارتفع معه كلُّ معنىً من سموّ الإنسان بين مخلوقات الله الدنيا !) .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

(أكثر ما ورد عنه ، مرّ معنا في كلام النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بلفظه ـ كما قلنا سابقاً ـ ولذلك نكتفي بإيراد قوله عليه السلام) :

ـ تكون النسوةُ كاشفاتٍ عارياتٍ متبرِّجات ، من الدِّين خارجات ، وإلى الفتَن مائلات ، وإلى الشهوات واللّذات مسرعات ، للمحرَّمات مستحلاّت ، وفي جهنَّم خالدات [1] ! .

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٦ وفي مصادر أخرى كثيرة .

(وكلُّ ما ذكرته يا مولاي قد تحقَّق ، دون أن نستثنيَ شيئاً . . والموعدُ ـ للأكثرية الساحقة ـ على جسر جهنَّم لاستلام صَكِّ الخلود فيها ، حيث يُدَعُّ المكذِّبون إلى النار دَعّاً . . ولكنَّ هذه الأكثرية لن تُصدِّق قولك ولو حشوت أدمغتها بقول الحق . . ولن تؤمن بالله حتى تكون مع عذاب الله وَجهاً لوجه ! ! ! فيقالُ لها بتوبيخٍ لا شفقة فيه ، كما قيل لفرعون : ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ [1] ؟ ! ! .

وإني أُذكِّر كلَّ أخٍ لي في الإنسانية أن يربأ بنفسه عن مزالق الطريق الشائك الذي يسلكه المكذِّبون الذين : ﴿ إِذَا أُلْقُوْا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِيْنَ ﴾ مصفَّدين باغلالٍ من نار ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوْراً ﴾ ! . فيأتيهم نداءُ الحق في يوم الحق : ﴿ لاَ تَدْعُوْا الْيَوْمَ ثُبُوْراً وَاحِداً ، وَادْعُوْا ثُبُوْراً كَثِيراً ﴾ [2] ! . ثم قال ﷺ في حديث طويل :)

ـ . . . وذلك إذا تسلَّطت النساء ، وسلُطن الإماء ، وأُمِّرت الصِّبيان [3] . .

(ثم قال ﷺ :) ـ إذا غلبت النساء على المُلك ، وغلَبن كل امرىءٍ ، فلا يُؤتَى إلاَّ ما لَهُنَّ فيه هوى [4] ! . (وهذا هو داؤنا العياء . . . وفي شَفرتَي ذي الفقار بكفِّ ولدك القائم المنتظر ﷺ الدواء . . ليس إلاَّ . .) .

قال الإمام الصَّادق ﷺ :

(رُوي عنه في حديث طويل في هذا الموضوع قولُه ﷺ :)

ـ . . . ورأيت النساء يتزوَّجن بالنساء ، ورأيت معيشة المرأة من كَدِّ فَرْجها ! . ورأيت النساء يتَّخذن المجالسَ كما يتَّخذها الرجال [5] . . (وها هنَّ يَغرقنَ في السِّحاق . . ويعقدنَ الاجتماعات ، ولهنَّ قُرصٌ في كل عرس . . إلاَّ بما يتعلَّق ببُيوتهنَّ وتربية أولادهنَّ والسهر على تنظيم أُسَرِهنَّ ، فإنهنَّ مشغولاتٌ عن ذلك

---

(1) يونس ـ ٩١ .
(2) الفرقان ـ ١٣ و١٤ .
(3) انظر بشارة الإسلام ص ٤١ وص ٤٤ وص ٧٦ وغيره من المصادر الكثيرة .
(4) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ وبشارة الإسلام ص ١٣٤ عن الصادق ﷺ ، وإلزام الناصب ص ١٨٤ كذلك .
(5) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ وإلزام الناصب ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ومنتخب الأثر ص ٤٢٩ وبشارة الإسلام ص ٧٦ وص ١٣١ ـ ١٣٥ بتفصيل .

بواجباتهنّ (الاجتماعية) . . بل رُوي عنه ﷺ ما هو أدهَى وأمَرُّ حين قال) :

ـ إذا رأيتَ النسـاءَ يَبذلن أنفسهنَّ لأهـلِ الكُفـر ! ! ! (وهـو يقصـد النسـاء المسلمـات خـاصـةً . فبينَ هؤلاء ثُلّة غيـر قليلة من الجـاهـلات ، ومن المثقفـات العصريّات المتحرِّرات ، يَتباهَين بـذلك ويَتبـارَينَ به ، ويفتخـرنَ ببـراعتهنَّ في أَسْرِ قلوب علوجٍ من الأجـانب عن بـلادهنَّ وعن دينهنَّ ، ويُلقينَ بـأنفسهنَّ في أحضـانهم مختاراتٍ ، يُدلِّلنَ بذلك على تحرُّرهنَّ من التقاليد القديمة . .

ثم رُوي أنه قال ﷺ في مناسبةٍ تحدَّث فيها عن طهران :)

ـ . . . تُصبح طهران قصورُها كقصـور الجنّـة ، ونسـوانُهـا كـالحُـور الْعِين ، يتلبَّسنَ بلبـاس الكفّـار ، ويَتـزيَّينَ بـزيِّ الجبـابـرة . يـركبنَ السـروج ، ولا يتمكَّنَّ لأزواجهنَّ ! . ولا تكفي مكـاسب الأزواج لهنَّ ! . فِرُّوا منهـا إلى قُلَّة الجبـال ومن الجُحر إلى الجُحر كالثعلب بأشباله[1] !!! .

(وكأني بالإمـام ﷺ لم يُسَمِّ طهران خـاصّةً إلاَّ لأنهـا مدينـةٌ عَلِمَ أنها ستكـون شيعيَـةً ، وإن كان قـد رمزَ بهـا إلى كل مدينة يظهـر فيهـا السُّفـور والفُجور في آخر الزمان . ثم أمرَ شيعته والمؤمنين البـاقين بالفـرار منها ، ليَسلَمـوا من موبقـات المدنيّـة الماديَّة الحاضرة ، وليحتفظوا بالبقيَّة الباقية لهم من العقيدة الدينيَّة . . وقال في حديثٍ آخر طويلٍ عن أهل آخر الزمان :)

ـ . . . وخيـر بيتٍ من يساعـد النسـاء على فسقهن[2] . (وذلـك عند كـرائم الأسَر وبين سيِّدات المجتمع المتمدِّن ! ! !) . . ورأيت الرجلَ يأكل من كَسْب امرأته من الفجور ، يعلم ذلك ويقيم عليه ، ورأيت المرأة تقهـر زوجها وتعمـل ما لا يشتهي وتُنفِق على زوجها ! . ورأيت الرجل يُكري امرأته وجاريتَه ويرضَى بالدنيءِ من الطعام والشراب ! .

(ونكرر إلفات النـظر إلى أن جميع مـا ذكرنـاه عن النبيِّ ﷺ من أقوال تحت هـذا العنـوان ، قـد ورَد مثله أو مـا يُشبهـه عن أبنـائـه المعصـومين ولم نُـورِدْه خـوف التكرار . .) .

---

(١) إلـزام النـاصب ص ١٨٣ ومنتخب الأثـر ص ٤٣٠ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٥٨ وبشـارة الإسـلام ص ١٣٢ إلى ص ١٣٥ وفيها كلّها تفصيل وافٍ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص٢٥٧ وبشارة الإسلام ص١٣١ إلى ص١٣٥ بتفصيل ، ومصـادر كثيـرة غيرهما .

جـ. العِلمْ وَالفُقهاء . .
. . وَالحُكّام وَالأمَراء

قال رَسُول الله ﷺ :

ـ صِنْفَانِ من النَّاس إذا صلَحا صلَح الناس ، وإذا فسدا فَسَدَ النـاس : العلماء ، والأُمـراء[1] ! . (وَمن أصدقُ منـه ـ بعد الله تعـالى ـ إذا قال ؟ . فقـد فسـدَ الصِّنفـان وفسدَ سائرُ الناس ، وصدقَ قوله ﷺ أيضاً :)

ـ شِرَارُ العلماءِ الذين يأتونَ الأمراءَ ، وخيارُ الأمراءِ الّـذين يأتـون العلماء[2] . .

(وكان ﷺ قد سئل : (أيُّ الناس شرّ ؟ . فقال :) العلماءُ إذا فسَدوا[3] .

(أوَلَيس كـذلك ؟ . بَلَى ، لأن وظيفـة النبيِّ ووظيفة أوصيـائـه ﷺ لم تكـونـا استطلاعَ غيبٍ وقراءةَ كفٍّ ، ولا معـرفةَ طـوالعٍ وتنجيمـاً . . بل هي أسمَى من ذلـك وأجـلُّ شأنـاً . فقد كـانوا يتكلّمـون في المغيَّبات بمنـاسبـاتٍ تقتضي الـرِّفق بـالأُمّـة ، وتوضيحَ طريق هداية الناس ، يُلهمهم الله ذلك رأفة بعباده وحرصـاً على سعادتهم في الدارَين . وما كانوا يَعرضون لشيءٍ من هذا إلاّ جواباً على سؤال ، أو ترسيخـاً لعقيدةٍ تشدُّ قلوبَ المؤمنين بهم وبرسالة السماء . .

---

(١) نهـج الفصاحـة ج ٢ ص ٣٩٣ والمحجة البيضـاء ج ١ ص ١٥ : الأمراء والفُقهـاء ، وكذلـك في تحف العقول ص ٤٢ .

(٢) المحجة البيضاء ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) تحف العقول ص ٣١ .

فلا يستحوذنّ علينا شيطان الوهم فيصوّر لنا النبيَّ ، أو وصيه ، متربّعاً كلَّ صباح على باب داره يقرأ مزاميره على كل جليسٍ أو عابر سبيلٍ ، يتصيَّد الناسَ من هنا ومن هناك . . لا ، فإن أحداً منهم لم يَدخل عليه أحدٌ إلاّ بإذن ، ولم يحدِّث بما ليس ضرورياً ، ولا قال إلاّ ما هو مأمور به ، لِيُلقيَ الضوءَ أمام من أراد أن يكون على هدىً من ربّه وبصيرةٍ من إيمانه . وقد دأبوا على تأثيل عقيدة تُبرمج حياةَ الأفراد والجماعات ، وتُنظِّم شؤونَ المعاش والمعاد ، وأعطَوا كاملَ وقتهم لإتمام واجبهم المحتَّم من الله بالرغم مما تحمّلوا من الأذى والنِّفاق ! .

ولولا أننا لَمسْنا صِدْقَ ما قالوا في كل موضوع ، حتى لَكأنَّهم كانوا يَرون الأحداث ويعيشونها ، لَكُنّا نستهزىءُ بقولهم ونَقِفُ منهم في صفِّ المُعانِدين . ولكنّنا رأيناهم يتحدّثون عنّا كمن يحيا معنا ، فيصِفون مظاهرَ حياتنا بدقَّةٍ مدهشةٍ تجعل الإنسان يعجب منها لِمَا يفصلهم عنّا من زمانٍ ومكان ، فآمنّا بصدقِ ما جاؤوا به ، واعتقدْنا بأنه صادرٌ عن ربِّهم ، وأنه ليس تنجيماً من منجِّمين ، ولا قراءةَ ضميرٍ من مشعوِذين ! .

وها إنَّ نبيَّنا صلى الله عليه وآله يُلقي كلمته إلى العالَمين عبر الأمصار والأعصار، يَصف بها أهلَ الفُتيا من علماء أُمّته في آخر الزمان ، وأهلَ الأمر والنهي في الحُكم ، فتكون كلمةَ حقٍّ لا يحتمل جدلاً ولا مناقشة ، لأن صلاحَ الناس بصلاح الحاكم في حياتهم الدنيا ، وصلاحهم بصلاح العالِم في حياتهم الأخرى بلا نزاع . . وقد كان الله تعالى يُطلعه على مثل هذه الأمور ، فينقلها إلينا كما قدّرها ربُّه ، فيأتي نقلُها مأخوذاً بريشةٍ تُوضح المعالم وتُبرز الظِّلال والأنوار . . وقد كرَّر هذا المعنى في جملة أحاديث ، وفي جملة مناسبات ، ليُجنِّب أُمّته مفاتنَ الحياة ومزالقَها . . وقد قال صلى الله عليه وآله مرّةً :)

ـ أخافُ على أمتي أئمّةً مُضلّين [1] . . (يعني قادة الأمة وسادتها من أهل الدنيا والدين . . ثم قال صلى الله عليه وآله :)

ـ ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاءٌ شديدٌ من سلطانهم لم يُسمع ببلاءٍ أشدَّ منه ، حتى تَضيق عليهم الأرض الرَّحبة ، وحتى لا يجدَ الرجلُ منهم ملجأً يلتجىءُ إليه من

(1) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧٢ .

الظلم ! . فيبعث الله رجلاً من عترتي [1] . . (ولكنّه بشّر الناس بالخير حين يُمنَون بهذا البلاء ، وجعل هذه الحالة علامةً على قُرب الفَرَج الذي ربطَه بعلاماتٍ كثيرة عدَّدها ، فقال ﷺ :)

ـ إذا قلَّ علماؤكم ، وذهبَ قرَّاؤكم ، وقطعتم زكاتكم ، وأظهرتم مُنكراتكم ، وعلَت أصواتكم في مساجدكم ، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم والعِلْم تحت أقدامكم ، والكذب حديثكم والغيبة فاكهتكم ، والحرام غنيمتكم ، ولا يرحم كبيرُكم صغيرَكم ، ولا يوقِّر صغيرُكم كبيرُكم ، فعند ذلك تنزل اللعنةُ عليكم ويُجعل بأسُكم بينكم [2] .

(فهل مساجدنا إلاَّ للحفلات وصداح مكبِّرات الصوت ؟ . وهل الدنيا بزخرفها إلا صَنَمنا ومعبودنا الذي نرفعه فوق الرؤوس ؟ . وهل العلم الدينيُّ إلاَّ من وراء ظهورنا ؟ . وهل العِلْم الزمنيُّ إلاَّ تحت أقدامِ الأسلحة الفتَّاكة والآلات المدمِّرة ؟ ! . وهل نتقلَّب إلاَّ في الحرام ؟ ! .

﴿ فَخَلَفَ من بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾ [3] . وغيُّ الدُّنيا الذي نحياهُ اليومَ يمكن أن نُدخله تحت ألف معنىً ، ولكنَّ غيَّ الآخرة يُدخلنا مداخلَ سوءٍ لا تنتهي آياتُه ، ولا تمضي شُرُوره ، ولا تنقضي حَسَراتُه ، ولا تَنفدُ دُهورُه ، لأنه الخلودُ في النار ! .

ونلاحظ ـ بصراحةٍ ـ أن العلماء قد قلُّوا وقلّوا ، وأن القُرَّاء الذين عَناهم الحديث القدسيُّ لا وجود لهم ، لأنه لم يقصد المُغنِّين ولا المتلاعبين بترتيل القرآن الكريم ، بل عَنَى حافظِيهِ ومُتقِني أحكامه ومُقيمي أوامره ونواهيه . أما هذه الأسطوانات التي تُباع للطرب من قُرَّاء عصرنا الحاضر ، فهي غناءٌ يُغْني الهُواة عن أصوات القيان وأهل اللَّهو ! . ثم قال ﷺ بنفس الموضوع :)

ـ إذا تقارب الزمان (يعني قُرْبَ الفرَج) انتقى الموتُ خيارَ أُمتي كما ينتقي

---

(1) بشارة الإسلام ص ٢٨ وص٣١ والإمام المهدي ص ٦٦ وص ١٠٨ وص ١٠٩ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٥ باختلاف يسير ، والمهدي ص ٢٠٦ نقلاً عن إسعاف الراغبين .

(2) إلزام الناصب ص ١٨٠ وص ١٨١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٣ وبشارة الإسلام ص ٢٣ والإمام المهدي ص ٢١٧ .

(3) مريم ـ ٥٩ .

أحدُكم خيارَ الرُّطَب من الطَّبَق[١] ! . (وقال يُحذِّرُ ويُنذِر بما يَعقُب ذلك :)

- إذا كانت أُمراؤكم شِـرارَكم ، وأغنياؤكم بخـلاءَكم ، وأموركم إلى نسـائكم ، فبطنُ الأرض خيرٌ من ظهـرها[٢] ! . (يُشير بذلـك إلى كثرة مـا تُعانيـه الإنسانيـة من الفوضى والفتن بعد حدوث ما أشار إليه . . ثم قال ﷺ :)

- يصبح زعيمُ القَوم أرذلهم[٣] ! . (أي أحقرَهم . كأنه يُشخِّص عِلل المجتمع تشخيص النطاسيِّ البارع . . ثم قال ﷺ :)

- إذا أُسنِـد الأمـر إلى غيـر أهله (أي الحُكم في الـدِّين أو الحُكم في الـدنيـا) فـانتظروا السـاعة[٤] ! . (يعني سـاعة الـظهور والخـلاص . . ثم قـال ﷺ مُنـذِراً بالظاهرة العالميَّة التي غطَّت المعمورة من أقصاها إلى أقصاها :)

- أن الله إذا غضب على أُمـة لم يَنـزل بهـا عـذابُ خسفٍ ولا مسـخٍ ، غَلَتْ أسعارها ، وتُحبَس عنها أمطارُها ، ويَلي عليها شِرارُها[٥] ! (فمن الـواضح أن مـوجة الغلاء عالميَّة ، وارتفاع الأسعار آخذٌ بـالتزايـد يومـاً عن يوم بشكـل يُثير العجبَ ويُعْيي ولاة الأمر . . أما الأمطار وولاية الأشرار فنسأل فيهما لُطفَ الله ورحمته إذا دَهَمانا . . ثم جاء عنه ﷺ في موضوع مخاوفه على أُمته الإسلامية :)

- إني أخافُ على أُمتي بعدي أعمالاً ثلاثـة : زَلَّةَ عـالِم ، وحُكْمَ جائـرٍ ، وهوىً مُتَّبعاً[٦] ! .

(والأعمال الثلاثة تكاد تكون موجودة ، والحمد لله الـذي لا يُحمد على مكـروهٍ سواه . . بل إنَّه قال ﷺ :)

---

(١) نهج الفصاحة ج ١ ص ٣٦ .
(٢) نهج الفصاحة ج ١ ص ٤٥ .
(٣) إلزام الناصب ص ١٨٠ وبشارة الإسلام ص ٢٢ والإمام المهدي ص ٢١٩ .
(٤) إلزام الناصب ص ١٧٨ .
(٥) نهج الفصاحة ج ١ ص ١٣٥ وبشارة الإسلام ص ١٢٦ آخرَه . وتحف العقول ص ٤٢ : وسلَّط عليها شِرَارها .
(٦) نهج الفصاحة ج ١ ص ١٩٤ .

ـ ستكون عليكم أئمة (أي حُكّام) يملكون عليكم أرزاقكم ، يحدّثونكم فيكذبونكم ، لا يرضون منكم حتى تُحسّنوا قبيحَهم ، وتصدّقوا كذبهم [1] . . (وقالَ ﷺ :)

ـ سيأتي على أمتي زمانٌ يكثُر الفقراء ، ويقلُّ العلماء ، ويُقْبَض العلْم (أي يُرفَع) ويكثُر الهرج (أي القتل) . . ثم يأتي بعد ذلك زمانٌ يَقرأ القرآن رجالٌ لا يُجاوِزَ تَراقيَهم[1] ! . (كما نقرأه اليومَ بلا تأملٍ ولا تدبُّرٍ ، ولا طمعٍ بالرحمة ولا خوفٍ من النقمة والعذاب . . ثم قال ﷺ عن القضاة والمتربِّعين على أرائك الحُكم وعن غيرهم :)

ـ إذا أبغض المسلمون علماءَهم ، وأظهروا عمارةَ أسواقهم ، وتناكحوا على جمع الدراهم ، رماهُم الله بأربع خصال :

بالقحط من الزمان ، وجوْر السلطان ، والخيانة من وُلاة الحُكّام ، والصولة من العدو[2] ! .

(وقد فعلنا ذلك كلّه . . وصولاتُ العدوّ وجولاته دمّرت ربوع بلادنا وشرّدت الناس ومزّقتهم كلَّ ممزَّق ، ونحن ـ المسلمين ـ لا حول لنا ولا طول سوى الشكوى وجلجلة الإذاعات . . وقد قال الباقر عليه السلام عن القضاة خاصة :)

ـ مَن أفتى الناسَ بغير عِلْمٍ ولا هُدى من الله ، لعَنته ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العَذاب ، ولَحِقَه وِزْرُ مَن عَمِلَ بفُتياه[3] ! . (بل قال جدُّه رسولُ الله ﷺ :)

ـ لسانُ القاضي بين جمرتَين من نارٍ حتى يَقضيَ بين الناس . فإمّا إلى الجنة ، وإمّا إلى النّار[4] ! . . (ومن المرويّ أنّه ﷺ قال : شِرَارُ أمّتي مَن يَلِي القضاء ، إن اشْتَبَهَ لم يُشاوِر ، وإن أصابَ بَطِرَ ، وإن غَضِبَ عَنُف . . وكاتبُ السوءِ كالعامل

---

(١) انظر بهذا المعنى وبألفاظ مختلفة : صحيح مسلم ج ٨ ص ٥٨ وبشارة الإسلام ص ٢٣ وص ١٣٣ عن الصادق عليه السلام ، والإمام المهدي ص ٢١٧ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٢ .
(٢) انظر مصادر الرقم السابق .
(٣) الوسائل م ١٨ ح ١ ص ٩ .
(٤) الوسائل م ١٨ ح ٣ ص ١٥٧ .

به ! . ثم قال يحذّر المسلمين خاصّة :)

- لست أخاف على أمتي غوغاء تقتلهم ، ولا عدوّاً يجتاحهم . ولكني أخاف على أمتي أئمةً مُضلّين إن أطاعوهم فتنوهم ، وإن عصَوهم قتلوهم [1] ! .

(ومن المرويّ أنه ﷺ قال : لكلّ شيءٍ آفةٌ تُفسده ، وآفةُ هذا الدّين ولاةُ السوء ! . وأنه ﷺ قال : ويلٌ لأمّتي من عُلَماء السوء ! . وهو يَعني حُكَماء المنابر الذين يقولون ما لا يفعلون . . والأئمة عليهم السلام قد رَوَوا أنه قال ﷺ :)

- سيكون بعدي أئمة يعطون الحكمة على منابرهم ، فإذا نزلوا نُزِعتْ عنهم ! . وأجسادُهم شرٌّ من الْجِيَف [2] ! (ثم رَوَوا أنه قال ﷺ عن طَلَبة العلم الديني في آخر الزمان :)

- يتفقّه أقوامٌ لغير الله ، وطلباً للدُّنيا والرئاسة . ويُوجِّه القرآنُ على الأهواء . ويصير الدِّين بالرأي [3] . (كما هي حالُنا اليوم ، فلا تسمع من المُبتدئين بطلب العلم الدينيِّ إلاّ من يقول : رأيي كذا ، رأيي كذا . . وعقلاً كذا ؟ . في مقابل رأي الله ورأي رسوله ! . (ثم قال ﷺ :)

- ما تُعُلِّمَ العلمُ رياءً وسُمعةً يُراد به الدُّنيا ، إلاّ نزع اللّهُ بَركَتَه وضيّق عليه معيشَتَهُ ووكلَهُ إلى نفسه . ومَن وَكلَهُ الله إلى نفسه فقد هَلَكَ [4] ! . (وقال أيضاً :)

- مَن تعلّم العلمَ ولم يعمل بما فيه ، حشرهُ الله يوم القيامة أعمى ، ومن تعلّم العلم يُريد به الدُّنيا وآثَرَ عليه حُبَّ الدُّنيا وزينتَها ، استوجَبَ سُخطَ الله وكان في الدَّرك

---

(١) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٤٧٢ وإلزام الناصب ص ١٩٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام بنهاية : مَن عصاهم قتلوه . ومَن أطاعهم احبُّوه .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٣٢ وص ١٣٥ وإلزام الناصب ص ١٩٥ عن أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام .

(٣) منتخب الأثر ص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ٢٦ وص ٤٤ وص ١٣٤ وإلزام الناصب ص ١٨٢ وص ١٨٣ عن أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام .

(٤) ينحصر كلام النبي ﷺ هنا بالعلم الإلهي الذي يقوم عليه الدِّين ، لا العلم الزمني الذي تقوم عليه الحياة . فهذا الأخير قد حثَّ عليه رسولُ الله ﷺ حثّاً شديداً ، وأمرَنا بطلب العلم في كل مجال من المهد إلى اللحد ، وأن نطلب العلمَ ولو في الصين . والخبر في إلزام الناصب ص ١٨٦ .

الأسفل من النار [1] ! . . (وقال ﷺ :)

- لا تتعلّموا العلْم لتُباهوا به العلماء ولتُماروا بـه السُّفهاء ، ولتصـرفوا بـه وجوه النـاس إليكم . فمن فعلَ ذلـك فهو في النـار [2] ! . (ثم توعَّـد علماء السُّـوء بداهيـة دهماء سيكون شرُّها مستطيراً حين قال :) .

- يكون في أُمتي فَزعةٌ ، فتصير الناسُ إلى علمائهم فإذا هم قِرَدَةٌ وخنـازير ، قـد عُوقِبوا بنظير ما فعلوا من تغيير الحق عن جهتـه ، وتحريف الكـلام عن مواضعـه ! ! ! مَسَخَ الله صوَرهم وغيَّر خِلْقتهم كما بـدَّلوا الحق بـاطلاً [3] . (وهـذه المرحلة الشـائنةُ ستكون . . وقد صرَّح بها من يعرف ما كان وما سيكون . .

وسيُصيب ذلك مَنْ جعلَ الـدنيا فـوق رأسه مصعِّـراً خدَّه عن قـول رسولٍ كـريم ﴿ ذي قوَّةٍ عِنْدَ ذِيْ الْعَرْشِ مَكِين ﴾ [4] . . . ذمَّ فقهاءَ السوءِ في آخرِ الـزمان واعتَبَـرَ علمـاءَهم شـرارَ خلْق الله على الأرض ، لأنهم - كمـا وصَفَهم - إن نـالـوا منصِباً لا يشبعـون من الرِّشَى ، وإن خُـذِلوا عَبَـدوا على الـريـاء ، فهم قُـطَّاعُ طُـرق المؤمنين ، والدُّعاةُ إلى نِحْلَةِ المُلحدين ! . ثم قال ﷺ متبرِّئاً من فقهاء السوء :)

- علماؤهم خَوَنة فَجَرة ! . أشرارُ خلْقِ الله هم وأتباعهم ومن يأتيهم ويأخـذ منهم ويحبُّهم ويجالسهم ويشاورهم ! ! ! فقهـاؤهم خَوَنـة يدَّعـون أنهم على سُنَّتي ومنهاجي وشرائعي . . إنهم منّي بُراء ، وأنا منهم بَريء [5] ! ! ! (وقال ﷺ :)

- يكـون في آخر الـزمان أُمـراء ظَلَمَة ، ووزراء فسقـة ، وعُرفـاءُ ظلَمة ، وأُمَنـاءُ خَوَنَة [6] ! .

---

(1) إلزام الناصب ص ١٨٦ وبشارة الإسلام ص ١٣٤ بلفظ آخر عن الإمام الصادق عليه السلام .
(2) المحجة البيضاء ج ١ ص ١٢٥ والاختصاص ص ٢٥١ .
(3) انظر بشارة الإسلام ص ١٧٦ .
(4) التكوير - ٢٠ .
(5) إلزام الناصب ص ١٨٥ .
(6) منتخب الأثـر ص ٤٣٢ والبحـار ج ٥٢ ص ١٩٣ والـغيبـة للنـعمـانـي ص ١٣٠ عن أمـيـر المؤمنين عليه السلام ، والإمـام المهـدي ص ٢١٩ بلفظ قـريب ، وإلزام النـاصب ص ١٨٢ نصفَـه الأول . .

(وورد هذا الخبر بلفظٍ آخر يكمل صورةَ ذوي الحَل والعَقد في آخر الزمان ، قال ﷺ فيه :)

ـ إذا صار الأمراءُ فَجَرة ، والوزراءُ كَذَبة ، والأمناءُ خَوَنة ، والأعوانُ ظَلَمة ، وذَوُو الرئاسة فَسَقة [1] . . (أي عند ذلك يكون فَرج آل محمد ﷺ وفرج الناس . . ولا تَعجب فقد بدأ يُدْرَسُ الإسلامُ كما يُدرَس وَشْيُ الثوب حتى ما يُدْرَى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نُسكٌ ولا صدقَة ! . ـ كما قال ﷺ ـ وكثر خطباء المنابر ، وركنَ العلماءُ إلى الوُلاةِ فأحلُّوا لهم وحرَّموا عليهم الحلال ، فأفتوهم بما يشتهون ، لأنهم تعلَّموا العلم ليجلبوا به الدَّراهم والدنانير ! . مع أنه ﷺ قد شجَّع المؤمنين عبرَ العصور ، وأوضح لهم الطريق المستقيم ، إذ من المرويِّ أنه ﷺ قال : ألا إنَّ رحَى الإسلام دائرةٌ ، فدُوروا مع الكتاب (القرآن) حيث دار . . ألا إنَّ الكتابَ والسلطانَ سيفترقان فلا تُفارِقوا الكتاب . . ألا إنَّهُ سيكون عليكم أُمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم ، فإن عصيتموهم قتلوكم ، وإن أطعتموهم أضلُّوكم . . فاصنعوا كما صنع أصحاب عيسى بن مريم : نُشِروا بالمناشير وحُمِلوا على الخُشُب ـ أي صُلبوا ـ . . موتٌ في طاعة الله خيرٌ من حياةٍ في معصية الله ! . ثم قال ﷺ قولةَ متألِّم لظُلم أهل بيته الأبرار :)

ـ إذا رأيتَ أقربَ الناس من الوُلاة من يُمتدَح بشتْم أهلِ البيت ، ومن يحبُّهم يزوَّرُ ولا تُقبل شهادتُه [2] ! ! ! (ومن الوصف الوارد عنه ﷺ لأهل آخر الزمان قولُه : أُمراؤهم يكونون على الجَور ، وعلماؤهم على الطمع ، وعُبَّادُهم على الرياء ، وتُجارُهم على أكل الربا ، ونساؤهم على زينة الدنيا ، وغلمانُهم في التزويج ! ! ! لا يعرفون علماءَهم إلاَّ بثوب حسن ، ولا يعرفون القرآن إلاَّ بصوتٍ حسن ، ولا يعبدون

---

(1) البحار ج ٥١ ص ٧٠ وج ٥٢ ص ٢٢٨ وفي ص ٢٧٨ بلفظ آخر ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٥ وص ٢٥ وص ٤٤ ومنتخب الأثر ص ٤٢٥ وص ٤٣٥ والإمام المهدي ص ٢١٧ وإلزام الناصب ص ١٨٠ وص ٦٤ بلفظ آخر ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٢٥ ونور الأبصار ص ١٧٢ .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ إلى ١٣٥ بتفصيل ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٣ .

اللّهَ إلاّ شهرَ رمضان . فإذا كان كـذلك سلّط الله عليهم سلطانـاً لا عِلْمَ له ولا حِلْمَ ولا رَحِمَ له ! .

فإذا وصفتُ لك أهل زماننا بدقّة العالِم الأديب النّقيد ، لا أستطيـع أن أزيد على هذا حرفاً ، ولا أن أُنقص منه حرفاً . . وإذا كان هذا القول من التنبُّؤ ، فلماذا لم يَقُلْه غير النبيّ ﷺ ؟. ثم قال صلواتُ الله وسلامه عليه :)

ـ ثم يأتي بعد ذلك زمان ، حتى لا يُرى فيه إلاّ سلطانٌ جـائر ، أو غنيٌّ بخيـل ، أو عالمٌ راغبٌ في المال ، أو فقيـرٌ كذّاب ، أو شيـخٌ فاجـر ، أو صبيٌّ وقح ، أو امـرأةٌ رَعناء [1] ! ! !

(وهـذه هي بضـاعـةُ عصـرنـا المُـزجـاةُ في أسـواق مـدنيّتنـا الحـاضـرة . . ثم قال ﷺ :)

ـ السـاعةُ ـ أي ساعة الظهور المبارك تكون عند خُبثِ الأمراء ، ومداهنةِ القُرّاء ، ونفاقِ العلماء ! . وإذا صدَّقتْ أُمتي بالنجـوم ، وكذَّبت بـالقَدَر . وذلـك حين يتَّخذون الكـذِبَ ظُرفـاً ، والأمانـةَ مَغنماً ، والـزكاةَ مغرماً . والفـاحشةَ إبـاحةً ، والعبـادةَ تكبُّراً واستطالةً على الناس . . وحينئذٍ يفتح الله عليهم فتنةً غبراءَ مُظلمة ، فيَتيهون فيهـا كما تاهت اليهود [2] ! .

(وقد ابتلانا اللّهُ بالفتنـة الغبراء التي ضـلَّ العرب فيهـا ضلالاً بعيـداً ، وخسروا ـ بموقفهم منها ـ سُمعَتهم وكرامَتهم ودينَهم . . وأوطانُهم كلُّها مهدَّدة بالخراب في كل مكان ! .

ثم نـوَّه النبيّ ﷺ بالعلمـاء الذين ثبَّتهم الله بـالقول الثـابت من عـنـده ، ورثى لحالهم قبل ظهور المهديّ ﷺ فقـال : يأتي على النـاس زمانٌ يُقتَـل فيه العلمـاء كما تُقتـل اللصوص ! . فيـا ليت العلماء يتحـامقون في ذلـك الزمـان ! . لأنهم ـ بذلـك ـ يدفعون عن أنفسهم القتل والأخذ بـالتُّهم إذا لَزِمـوا بيوتهم وأظهـروا البسـاطـة وتجاهلوا الأحداث . .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨١ وص ١٨٢ وبشارة الإسلام ص ٢٢ ـ ٢٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٣ .
(٢) بـالفـاظ مختلفـة في إلـزام النـاصب ص ١٨١ وبشـارة الإسـلام ص ٢٢ وص ٧٦ والمهـدي ص ١٩٩ .

وقد حدَث أن اغتيلَ علماء كثيرون في لبنان وفي العراق وفي إيران أثناء السنوات الثلاث الأخيرة . فكأنَّ الناس قد فَرغوا من مشاكلهم على الأرض ، وتفرَّغوا لحرب الله تبارك وتعالى في عرشِه ، وحربِ الدُّعاة إليه ، كأنَّهم لا يرتضونه ربّاً ، ولا يرضَون بالدُّعاة إليه بين ظهرانيهم ! . ولكن رسول الله ﷺ لم يُغْفِل وصْفَ ما آلَ إليه أمرُنا إذ قال ﷺ يَعِدُنا بذلك :)

ـ إنَّ الله تعالى لا يَنزع العِلْمَ بعدَ أن أعطاكُموه انتزاعاً وإنما يَنزعه بقبضِ العلماء ـ أي موتهم ـ فتبقى ناسٌ جهّال ، يُستفتَون فَيُفْتُون برأيهم فَيَضِلُّون ويُضِلُّون [1] . . (وقانا الله جميعاً من أن نَضِلَّ أو نُضِلَّ ! .

ولا أدري كيف يكون حالُ العلْم بعد ذهاب المحقِّقين والمدقِّقين من العلماء الذين كانوا يقضون الأيامَ والليالِيَ في الدرس والتحصيل والبحث والتمحيص ، فتركوا لنا هذا التراث الضخمَ الذي بدأت تتراكم عليه طبقات الغُبار ، وأخذ يبلَى في أدراج المكتبات ، وأوشك أن تذهب به رياحُ المرُوق من الدِّين فيطويه النسيان ! . ثم قال ﷺ كأنه يَختتم ويحذِّر :)

ـ لأنا من غير الدجّال أخْوَفُ عليكم من الدَّجال ! ! ! فقيل : وما ذاك ! ؟ فقال : أئمَّةٌ مُضِلُّون [2] ! . (فهلّا قرأ هذا الحديثَ أئمةُ هذا العصر ، ليتجنَّبوا الضلالَ والإضْلال ؟ !)

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

(رُوي أنه قال في ساعة تأمُّلٍ وشكوى مما تصير إليه أمورُ الإسلام : قَصم ظهري رَجُلان : عالِمٌ متهتِّك ، وجاهلٌ متنسِّك ! . هذا يُفتي ويُغيِّر دين الله بتهتُّكه ، وهذا يُضِلُّ الناسَ بتنسُّكه ! . وأنه عليه السلام قال في وصف ما تَؤول إليه حالة الدِّين :)

ـ . . . وتبطُل الأحكام ، ويَحبط الاسلام ، وتظهر دولةُ الأشرار ، ويحلُّ الظلم بكل الأمصار [3] ! . (وكل ذلك يا مولاي قد صار . وقد ظهرت دولة الأشرار ،

---

(١) نور الأبصار ص ٣٥ وتحف العقول ص ٢٣ .

(٢) المحجة البيضاء ج ١ ص ١٢٥ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٩٥ وبشارة الإسلام ص ٧٦ وص ٢٦ بلفظ قريب .

تُـرعِب المسلمين ليلَ نهـار في سائـر الأقـطار ! . والمسلمـون ذاهبـون على طِيَّتهم لا يفكّـرون بدين ، ولا يؤمنـون بربّ العـالمين ، بل إنَّ منهم مَن يُسـاعدون على تـرسيخ استقرار تلك الدولة الشّريـرة ولا يخجلون من ربّهم ولا من دينهم ، ولا من شُعوبهم ، ولا من أنفسهم ، وهم يدّعون الإسلام . . مع أنهم يُناصرون الكُفر ويَصحُّ فيهم قـولُ النبيّ ﷺ :)

ـ فأولئك يُدعَون في مَلكوتِ السماواتِ الأرجاس الأنجاس [١] ! .

(ولكنّه ، ما هَمُّ المسلمين شيءٌ من ذلك ! . فإنهم يتراكضون وراء هذا الدينار الذي شاءت إرادة الله أن يكون مستديراً يجري راكضاً أمامهم وهم يتـراكضون وراءه لا هَمَّ لهم سوى البطون والفُروج ! . فصدَق فيهم ما قُلتَه بجزم حين قلت :)

ـ إنـه لا يـزال عـدلُ الله مبسـوطـاً على هـذه الأمّـة ، مـا لم يَمِـلْ قـرّاؤهم إلى أمرائهم ، وما لم يَزَل أبرارُهم ينهى فُجّارهم . فإن لم يفعلوا ثم استقرّوا فقالوا : لا إلّه إلّا الله ، قال الله في عرشه : كَذَبتم ، لستم بها صادقين [٢] ! !

(ثم قـال ﷺ عن علامـات قُرب الفـرج :) ـ إذا قلَّ الفقهـاء الهادون ، وكثُـر فقهاء الضلالة والخوَنة ، وإذا كثُر الشعراء [٣] . .

(وقال الصادق ﷺ في الموضوع :) ـ ورأيتَ الحرامَ يحلَّل ، ورأيتَ الحلال يُحرَّم [٤] ! .

(وقـال أيضـاً :) ـ وتَميـلُ الفقهـاءُ إلى الكـذِب ، وتميـلُ العلمـاءُ إلى الرِّيب [٥] ! .

(ثم قال ﷺ :) ـ . . . وفقهاؤهم يُفتون بما يشتهون ، وقُضاتهم يقـولون مـا لا يَعلمون ، وأكثرهم بالزور يشهدون ! . مَن كان عنده دراهم كان موقَّراً مرفوعاً ، وإن

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٣٤ وبشارة الإسلام ص ٢٧ وص ٤٤ .
(٢) الغيبة للنعماني ص ١٣١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٨ وبشارة الإسلام ص ٤٧ .
(٣) منتخب الأثر ص ٤٢٥ والبحار ج ٥١ ص ٧٠ وبشارة الإسلام ص ٥ .
(٤) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وبشارة الإسلام ص ٢٣ .
(٥) إلزام الناصب ص ٢٠٧ .

كان مُقِلّاً فهو عندهم موضوع [1] ! . (أي مهمل ، وهذه هي مقاييس الاحترام في أيامنا بلا مبالغة وبلا جدل . . ثم قال يوماً بغضبٍ وهو يذكر أهل الفتوى بغير ما أنزل الله :)

ـ إذا خرج القائم ينتقمُ من أهل الفتوى بما لا يعلمون . فتعساً لهم ولأتباعهم ! . أوَ كان الدين ناقصاً فتَمّموه ، أم كان به عِوَجٌ فقوّموه ، أم هَمَّ الناسُ بالخلاف فأطاعوه ، أم أمَرهم بالصواب فعصَوه ، أم هَمَّ المختارُ فيما أُوحِيَ إليه فذكّروه ، أم الدِّين لم يكتمل على عهده فكمّلوه ، أم جاء نبيٌّ بعده فاتّبعوه [2] ! ! !

فما أبلَغ هذا القول ، وما أقوى هذه الحُجة ، وما أفصح هذا البيان من أمير الفصاحة والبلاغة ! . ولكن هل من ملتفت إلى هذه المعاني السامية ، هل من مستمعٍ لهذا القول الذي يَدمغُ البِدَع وَيَمحق الاختراع على الله والافتراءَ على الرسول ؟ ! . لا ، وقد جاء عنه ﷺ أيضاً :)

ـ إذا وقع الموت في الفقهاء ، ووضعت أُمة محمد الصلاة [3] ! . (وقد وضعتْها . . وأنزلَتْها عن عاتقها ، ورفستْها بالأقدام وألغتْها من حساب المسؤوليات مع أنها عمودُ الدِّين ، إن قُبِلَت قُبِلَ ما سواها ، وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها ! . وهي في تقويم أهل هذا العصر ، من عمل الرجعيِّين المتزمِّتين البُسَطاء البُله ! . وقد أصاب العلمَ الدِّينيَّ ما توقَّعه له أبو الحَسَن يوم قال : يأرَز العلم ـ أي ينقبض وينطوي على نفسه ـ إذا لم يوجد له حَمَلةٌ يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ـ أي أهل البيت ﷺ ـ ويصدُقون عليهم فيه . . ثم جاء عنه ﷺ :)

ـ يكون ـ أي ظهور القائم ﷺ ـ إذا رُفِع العِلْم ، وظهر الجهل ، وكثُر القُرّاء ، وقلَّ العلماء [4] ! . (ثم حكى عن الغاية التي يصير إليها طَلَبة العلْم الدينيّ في آخر الزمان ، فقال سلامُ الله عليه :)

---

(١) بشارة الإسلام ص ٧٧ وإلزام الناصب ص ١٩٥ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٠٨ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٩٤ وبشارة الإسلام ص ٧٥ وص ٧٦ وفي ص ١٣٣ بتفصيل عن الصادق ﷺ ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ وص ٢٦٠ والإمام المهدي ص ٢١٩ آخرُه .

(٤) إلزام الناصب ص ٦٤ .

ـ يتفقّه الناسُ لغير الدِّين ، ويتعلّمون لغير العلم ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة [1] ! . (ولن أتردَّد في القول ، إن دَيدن الكثيرين من طَلَبة العلم الدينيِّ اليومَ هو هذا ، وإذا كتمتُ ذلك أكون منافقاً على نفسي وعلى الواقع الذي نحن فيه . . ثم وعد أميرُ المؤمنين عليه‌السلام بنتائج نصل إليها من جرَّاء جهلنا بالدين ، فقال :)

ـ لا يقوم ـ أي صاحب الأمر عليه‌السلام ـ حتى لا يُقْسَم ميراثٌ ، ولا يُفْرح بغنيمة [2] . . (وبين مدَّعي حملِ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر نسبةٌ عاليةٌ لا تعرف تقسيم الأسهم في التركات بحسب قواعد المواريث الشرعية ، بل منهم من يجهل مقدار الأسهم لكل وريث ! . أما عدمُ الفرح بالغنائم فيكون من المخاوف المُحيقة بالناس لكثرة الفتن والثورات . .)

قال الإمام الصّادق عليه‌السلام :

ـ تخلو الكوفة من المؤمنين ويأرز العلْم عنها كما تأرَز الحيَّة في جُحرها ، ثم يظهر في بلدةٍ يقال لها : قُمّ ، وأهلُها قائمون مقام الحُجة [3] . . (فما أعظم أن يتكلَّم إمامنا عن ظهور العلم الدينيّ في بلدة قُمّ المجهولة المكان في ذلك الزمان ، حيث كان أهلُها عَبَدَةَ أوثان ونيران ، ثم تكون هذه البلدة بعد حديثه بألف ومئتي سنة مدينةَ علْمِ الشيعة ومركزَ فُضلائها ، ويكون المتخرِّجون منها حُجَجَ الله ومراجعَ الطائفة في أطراف الأرض ! . وقد عرضنا لذكر قُمّ سابقاً ، وبيَّنا كيف مدحها النبيُّ وأوصياؤه عليهم‌السلام قبل أن تكون معروفة ، وقبل أن يظهر الإسلام في إيران بزمان وزمان . . . ثم أوضحنا أن هذه الصفوة من الخَلق قد أُوتيت العلْم من لدن خبير عليم ، ولم نعرِّج على ذكرها الآن إلّا لأن حديث الصادق عليه‌السلام عنها يحتوي تصريحاً بذهاب العلم قبل قيام القائم عليه‌السلام من الكوفة والنجف الأشرف بسبب ظُلم السلطان

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ بلفظ آخر ، وبشارة الإسلام ص ٤٤ بزيادة : وآثروا عمل الدنيا على الآخرة ، والإمام المهدي ص ٢١٩ بلفظ قريب ، وبشارة الإسلام ص ١٣٤ عن الصادق عليه‌السلام .

(٢) الإمام المهدي ص ١٧٨ وإلزام الناصب ص ١٧٨ وفي صحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٧ (لا تقوم الساعة حتى . .) .

(٣) انظر بشارة الإسلام ص ٨٧ مع اختلاف يسير في اللفظ .

وتشريد علماء الدِّين وقتلهم وطردهم . . وبالمناسبة نذكر أنه قد ورد بشأن قُمّ أيضاً ما يلي :)

ـ يخرج رجلٌ من قُمّ يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قومٌ كُزبُر الحديد لا تزلزلهم الحوادث ، ولا يملّون ولا يَجبنون ، وعلى الله يتوكّلون ، والعاقبة للمتّقين [1] . . (ولا يبعد أن يَصدق هذا القولُ على المرجع الكبير آية الله الخُمينيّ ، كأوّلِ واحدٍ تزعّم ثورةَ إيران التي زلزلت عرش الشاه ونادت بترسيخ أركان دولة إسلامية تحكم بالقرآن والسنّة . . أو قد يَعقب صرختَهُ هذه صرخَةُ رجلٍ آخر من قُمّ لا يُساوِم ولا يهادِن ، وينادي بدعوة إسلامية قوامُها القرآنُ والسنّةُ الشريفة ، تدعو إلى الحُكم بمذهب أهل البيت عليهم السلام ، بحيث لا دستور إلّا ما شَرع الله ، ولا حُكم إلّا لِلّه ! . والله هو العالِم على كل حال . .

وقد جاء عنه في آثار غَيبة القائم الطويلة قوله عليه السلام :)

ـ والقضاة يقضون بخلافِ ما أمرَ الله [2] ! .

(وقوله :) ـ ورأيتَ الوُلاةَ يأتمنون الخوَنة للطمع [3] ! .

(وقوله عليه السلام :) ورأيتَ طالبَ الحلال يُذَمُّ ويعيَّر ، وطالبَ الحرام يُمدَح ويُعظَّم [4] ! . (ثم رُوي أنه قال : أما إنَّ إمارتكم لا تكون إلا لأولاد البغايا ـ والعياذ بالله ـ فهؤلاء لا يَرحمون ! .)

قال الإمام الرِّضا عليه السلام :

ـ إذا رُفع العلم من بين أَظْهُرِكم ، فتوقَّعوا الفرَج من تحت أقدامكم [5] ـ أي فجأة ـ . (وقال عليه السلام بالنسبة لعلامات الفرَج :)

---

(1) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٤٦ مادة : قمَمَ .
(2) إلزام الناصب ص ١٨٤ .
(3) انظر الرقم السابق .
(4) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ .
(5) البحار ج ٥١ ص ١٥٥ والكافي م ١ ص ٣٤١ والغيبة للنعماني ص ٩٨ وبشارة الإسلام ص ٥ وص ٣١ بعضه ، وص١٦٧ عن الإمام الهادي عليه السلام .

ـ ويسبق ذلك خروج أثني عشر رجلاً من آل أبي طالب ، كلهم يدّعي الإمامة لنفسه [1] .

(وقد وردَ مثلُه عن الهادي ﷺ . . وسيكون الفرَج قريباً بإذن الله بعد أن طُوِيَت مرحلة العلم فانقبض وفشا الجهل ، ولم يبقَ من العلماء إلاّ أفرادٌ في زوايا متنائية في أقاصي المعمور ، إذا قالوا لا يُسمَع قولهُم ، وإذا أمروا لا يأتمر أحد بامرهم . . وها نحن ننتظر الفرَج بعد أن تحقَّقت صُغريات العلامات وبدأت كُبرياتها تلوح في الأفق المنظور كأمثال ثورة إيران التي هي فاتحةُ خيرٍ قد يؤدي إلى حدوث العلامات الخَمس المميَّزة كظهور راية الخراساني التي تُدفع إلى القائم سهَّل اللهُ مَخْرَجه . .)

---

(١) الغيبة للطوسي ص ٢٦٧ وإعلام الورى ص ٤٢٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٠٩ والمهدي ص ١٩٥ نقلاً عن الفصول المهمة ، وصحيح البخاري ج ٩ ص ٤٨ بعضه ، والغيبة للنعماني ص ٩٨ وبشارة الإسلام ص ٥ وص ٣١ بعضه ، وص ١٦٧ نصفه الأول عن الهادي ﷺ .

د ـ الدينُ . .
وَالقُرآن

. . وهذان المهجوران . . الغريبان ! . لهما حديثٌ ، أي حديث ، في آخر الزمان ! .

إنهما منفيّان . . طريدان ! .

هما في الناس ، ولَيْسا في الناس ! . ومعهم ، ولَيْسا معهم كما قال رسول الله ﷺ . .

فالدِّين . . هذا الغريبُ اليومَ في الأرض ! .

والقرآن . . ذلك الكتابُ المهجور . . الَّذي علاه الغُبار ! .

والمساجدُ . . تلك الأنديةُ المزخرفةُ للحفلات ومكبِرات الصوت ومنابر الواعظين ! .

هذه كلُّها عليها السلام يومَ كانت : ديناً . . وقرآناً . . ومساجدَ للناس ! . وستستمع إلى أقوالٍ عنها تولَّاها أهلُ القول الفصل ، وصدرت عن مَعينها في الحقيقة والأصل ، مغموسة بعقيدةِ قائِلها ، معمَّدة بإيمان مُنشئها ، فكانت الكلمةَ المؤثِّرة الأثيرة ، لأنَّ مَن حكاها لنا كان مؤمناً بها مبدءاً ورسالةً وتعاليمَ وسلوكاً ! .

أجل . . ستستمع إلى كلماتٍ في محلها . . لأن قائليها أهلٌ في محلّ . . وليس غيرُهم أهلاً لها . .

قال رَسُول الله ﷺ :

(جاء عنه ﷺ في الحديث عن أهل هذا العصر) :

ـ ويوضَعُ الدِّينُ ، وتُرفَعُ الدُّنيا [1] ! . (وذلك أنه كما قال ﷺ :)

ـ تجتمع الأجسادُ ، والقلوبُ مختلفة . ودينُ أحدِهم لَعْقَةٌ على لسانه ! ! ! (ثم قال ﷺ يُثبِّت قلوب البقية من المؤمنين في آخر الزمان :)

ـ إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبَى لِلغُرَباء [2] ! . (وقال وكأنّه كان في جوٍّ من التأثر والرثاء والمرارة :)

يأتي على أُمتي زمانٌ ، الصابرُ منهم على دِينه كالقابض على الجمر [3] ! . (ثم قال ﷺ بحسرةٍ لما يُصيب دعوته :)

ـ يأتي على أُمتي زمانٌ ، لا يبقى من القرآن إلاَّ رسمُه ، ولا من الإسلام إلا اسمُه . يسمُّون به وهم أبعدُ الناس عنه . مساجدُهم عامرةٌ وهي خرابٌ من الهدى ! . فقهاء ذلك الزمان شرُّ فقهاءٍ تحت السماء ، منهم خرجت الفتنة ، وإليهم تعود [4] ! . (ورُوي عنه ﷺ هكذا :)

ـ . . ويأتي على أُمتي زمانٌ ، لا يبقى مع الإسلام إلاَّ اسمُه ، ولا من القرآن إلاَّ رسمُه . فحينئذٍ يأذن الله تعالى بالخروج ، فَيُظهِرُ الله الإسلام به ويجدِّدُه . طوبى لمن أحبَّه وتَبِعه ، والويلُ لمن أبغضه وخالفه [5] ! . (ورد عن أمير المؤمنين ؈ بلفظه حتى كلمة : رسمه . .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨١ .

(٢) نهج الفصاحة ج ١ ص ١٢٢ والملاحم والفتن ص ٨٤ والبحار ج ٥٢ ص ١٩١ وإلزام الناصب ص ١٨٥ وصحيح مسلم ج ١ ص ٩٠ .

(٣) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٦٤٥ وإلزام الناصب ص ١٨٥ والغيبة للنعماني ص ١٧٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٤ بلفظ آخر .

(٤) منتخب الأثر ص ٤٢٧ بتمامه والبحار ج ٥٢ ص ١٩٠ وص ٢٦٤ بعضه ، وإلزام الناصب ص ١٤٠ وص ٢١ نصفه الأول .

(٥) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٠ .

ثم قال ﷺ منذراً بشرٍّ عظيم :)

ـ يأتي على الناس زمانٌ ، لا يَسلم لِذي دينٍ دينُه إلاّ من هربَ من شاهقٍ إلى شاهقٍ ، ومن جُحرٍ إلى جحر كالثعلب بأشبالِهِ ! . فإذا كان ذلك لم تُنَلِ المعيشةُ إلاّ بسُخط الله ! . فإذا كان ذلك كان هلاكُ الرجل على يدَي زوجته وولده ، فإذا لم يكن له زوجة ولا ولد ، كان هلاكُه على يَدي أبَوَيه ، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يَدي قراباته والجيران ! . يعيّرونه بضيْق العيش فيورِد نفسه الموارد التي تهلك بها نفسه [1] . . (وقال ﷺ إنها تكون :)

ـ إضاعَةُ الصلوات ، واتّباعُ الشهوات ، والمَيْلُ إلى الأهواء [2] ! . (ثم قال عن أداء فريضة الحج في آخر الزمان :)

ـ يحجُّ أغنياءُ أُمتي للنزهة ، ويحج أواسطُها للتجارة ، ويحجُّ فقراؤها للرياء والسُّمعة [3] . . (وروي عنه ﷺ هكذا :)

ـ يكون حجُّ الملوك نُزهة ، وحجُّ الأغنياء تجارة ، وحجُّ الفقراء مسألة [4] .

(ويتعجَّب من قوله هذا حُجّاجِ بيتِ الله الحرام في أيامنا هذه ! ! ! أليس كذلك ! ؟ بلَى . . ولكنْ . . لا ، فإنه لا ينطق عن الهوى . . إن هو إلاّ وحيٌ يوحَى . . فقد ضبطت دوائرُ الجمارك اللبنانية منذ ثلاثة أعوام سبعة عشر تلفزيوناً ، وخمسة وثلاثين مذياعاً ومسجِّلة ، إلى جانب سِلَعٍ كثيرة العدد يحملها أربعة معرَّفين للحُجاج ! . أعني أربعة مرشدين لعوامِّ الحُجّاج تاجروا بالحجّاج ، وتاجروا بالسِّلع ، وطلبوا ربح الدُّنيا عن طريق الحج . .

هذا في لبنان ـ البلد الصغير ـ حيث لا تُفَتَّش حمولة الحُجّاج احتراماً لهم . . فكيف بآلاف المُعَرِّفين ؟ ! ! وكيف بمئات آلاف الآمِّين للبيت من مختلَف الأقطار

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٣٧ والكشكول ص ٥٨٠ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٨٢ .

(٣) منتخب الأثر ص ٤٣٤ وإلزام الناصب ص ١٨٢ وص ١٩٥ وبشارة الإسلام ص ٢٦ وص ٧٦ بلفظ آخر .

(٤) جامع الأخبار ص ٨١ وبشارة الإسلام ص ٧٦ وإلزام الناصب ص ١٩٥ .

الإسلامية ؟ ! ! ثم ما شأن الحاجّ العاديّ ، إذا كان هذا شأن المعرّف المرشد لشعائر الحج ومناسكه ؟ ! ! ثم جاء عن الصادق عليه السلام في حديثٍ مفصَّلٍ :)

ـ إذا ظهرت المعازف في الحرمَين وعُمل فيهما بما لا يُحب الله ، لا يمنع من ذلك مانع ولا يَحول دون ذلك العمل القبيح [1] ! . (وقد حصل ذلك دون استهجان لموسيقى وغناء المذياع والتلفزيون اللّذين يستمع إليهما القاصي والداني والمقيمون والزائرون . .

ثم تناول طرَفاً من أطراف حياتنا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ الْغُرباء في الدنيا أربعة : قرآنٌ في جوف ظالم ، ومسجدٌ في نادي قومٍ لا يصلّى فيه ، ومُصحفٌ في بيتٍ لا يُقرأ فيه ، ورجلٌ صالحٌ مع قوم سوءٍ ! .
(وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ يمرُّ الرجل بالمسجد فلا يصلّي فيه ركعَتين [2] ! . (ثم وصف جوامِعَنا ونواديَ حفلاتنا فقال :)

ـ ما ساء عملُ قومٍ إلاّ زخرفوا مساجدهم [3] ! . (ثم تعمّق فوصف ما نحن عليه في قرارة نفوسنا ، بقوله صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ إذا استخفُّوا بالقرآن ، وكانت مساجدهم معمورةً بالأذان ، وقلوبهم خاليةً من الإيمان ، وبلغَ المؤمنُ عندهم كلَّ هَوان [4] . (وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ وحُلِّيتِ المصاحفُ ، وزُخرِفتِ المساجدُ ، وطُوِّلتِ المنائر [5] ! . (كمصاحِفِنا المعلّقة على الجدران للزّينة ، وكمساجدنا المزخرفة ، وكمآذِننا التي تناطح السحاب

---

(١) انظر إلزام الناصب ص ١٨٤ ومنتخب الأثر ص ٤٢٩ وما يليها ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ وبشارة الإسلام ص ١٣٤ وما بعدها .
(٢) الملاحم والفتن ص ١٣١ .
(٣) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٤٦ وفي بشارة الإسلام ص ٥ آخره : وكثُر الجَوْرُ والفساد ، وقريبٌ منه في ص ٢٦ وص ٤٤ وص ١٣٣ والإمام المهدي ص ١٢١ وص ٢١٧ ومنتخب الأثر ص ٤٢٥ .
(٤) إلزام الناصب ص ١٨١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٤ وبشارة الإسلام ص ٢٣ .
(٥) إلزام الناصب ص ٦٤ وص ١٨٠ وص ١٨٢ وص ١٨٣ وص ١٩٥ ومنتخب الأثر ص ٤٢٥ وكثير من المصادر .

ويُصاحُ مِنْ عليها : حيٌّ على الصلاة . . ولا من مُجيب ! ! ! وقد جاء عنه ﷺ :)

ـ يُتخذ القرآن مزاميرَ ، ويوضع على ألحان الأغاني ، يُقرأ بلا خَشية [١] ! .

(نعم ، إنه ليس أجمل من ترتيله على ألحان الأغاني وترجيع الصوت فيه بنظر أهل زماننا ، حيث تأخذهم النشوة على إيقاعه ويترنَّحون على أنغامه ، فلا يقع في السمع عند تلاوة آياته إلّا كلمات : الله ، الله يا شيخ ! ! ! صلُّوا على النبيّ ! ! ! ثم جاء عنه ﷺ في نفس الموضوع :

ـ سيجيء من بعدي أقوام يرجِّعون القرآن ترجيع الغِناء والنَّوح والرهبانية ، لا يجوز تراقيَهم ! . قلوبهم مفتونةٌ ، وقلوب من يُعجبه شأنهم [٢] . . (إيْ والله إننا لَنتغنَّى بالقرآن ، ثم نضعُه بدَل المناحة عن الموتى ! . وقد صارت تلاوة القرآن علامةً على وجود وفاةٍ ، أو ذكرى أُسبوعٍ فقيدٍ ! . فعفوَك عفوَك اللّهم من إنزال القرآن هذه المنزلة المهينة . . ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام بالموضوع :)

ـ لا يَظهر القائمُ حتى يكونَ أمرُ الصبيان . وتضيعُ حقوقُ الرحمان . ويُتغنّى بالقرآن [٣] ! . (وقال النبيُّ ﷺ مُنذِراً :)

ـ بادِروا بالموت سِتّاً : إمارةَ السفهاء ، وكثرةَ الشُّرَط ، والاستخفافَ بالدم ، وقطيعةَ الرحِم ، ونشئاً يتخذون القرآن مزامير ، يقدِّمون الرجُلَ ليس بأفقههم ولا بأفضلهم ، يغنِّيهم غناءً [٤] . . (وورد عنه بلفظه مبدوءاً بـ : بادِروا بالأعمال ستّاً . . . وقد أثبتنا الأول لأنه إنذار بالويلات الأرضية والسماوية التي تجعل الموت رخيصاً لكثرته كما نلاحظ في عصرنا . . ثم جاء عنه ﷺ في العلامات :)

ـ إذا رأيت الحقّ مات وذهب أهله ، ورأيت القرآن قد خَلِقَ (أي بَلِيَ) وأُحدِث

---

(١) انظر بشارة الإسلام ص ٢٦ .

(٢) الكافي م ٢ ص ٦١٤ والكشكول ص ٢٣٥ عن الصادق عليه السلام ، ونور الأبصار ص ٣٤ وبشارة الإسلام ص ٤١ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وإلزام الناصب ص ١٨٢ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٧٨ .

(٤) نهج الفصاحة ج ١ ص ٢١٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ بعضه عن الصادق عليه السلام ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٤٤ .

ما ليس فيه ، ووُجِّه على الأهواء [1] . . (وقد أُحدِث ما ليس فيه ، ووُجِّه على الأهواء ، لأن بعض قُرّاء عصرنا يزيد في الآيات لإتمام النَغَم ، ويترنَّم ترنُّم المُطرب بمثل قوله : الله أكبرُ ، ولِلّهِ الحمد . . ثم يُسقط بسم الله الرحمٰن الرحيم ويفعل الأفاعيل لِيُقيم السامعين ويُقعدهم بالصوت الجميل والترجيع المُسكِر ! ! ! وقد ورد مثل هذا الحديث القدسيّ عن الصادق عليه السلام بلفظ :)

ـ إذا رأيت الحق قد مات وذهب أهله ، ورأيت الجور قد شمل البلاد ، ورأيت القرآن قد خَلِقَ وأُحدث فيه ما ليس فيه ، وَوُجِّه على الأهواء ، ورأيت الدين قد انكفأ كما ينكفىء الماء في الإناء ، ورأيت الشرُّ ظاهراً لا يُنهى عنه ويُعذر أصحابه [2] . . . (ثم وصف صلى الله عليه وآله وسلم مرحلةً من مراحل المروق من الدين لا تتعدَّانا حين قال :)

ـ ورأيت المنابرَ يُؤمَرُ عليها بالتقوى ، ولا يعمل القائلُ بما يأمر [3] .

(وهذا قولٌ يُدينِنا بشهادة منابِرنا علينا ، فإنَّ دَيدَنَنا اليومَ أن نأمرَ بالمعروف ونتركه ، وأن نَنهى عن المنكر ونفعله ونقع فيه ! . ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ يُكْفَر بالله جهرة . . وتؤخَّر الصلوات ، وتُشرب القهوات ـ أي الخمور ـ وتُشتم الآباء والأُمهات[3] ! . (وهذا كله من خُبزنا الذي تقتات قلوبُنا به . . بل سبُّ الخالق ـ والعياذ بالله منه ـ لا غرابة فيه ولا استنكار له ! ! ! ومثله ما جاء في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ ليس فيه شيءٌ أخفَى من الحق ، ولا أُظهر من الباطل ، ولا أكثَر من الكذِب على الله ورسوله ! . وليس عند أهل ذلك الزمان سِلعةٌ أَبْوَرَ من الكتاب ـ القرآن ـ إذا تُلِيَ حق تلاوته ، ولا أَنفقَ منه إذا حُرِّف عن

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨٣ ومنتخب الأثر ص ٤٢٨ وبشارة الإسلام ص ١٣١ وص ٧٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ وص ٢٥٨ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٦٠ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٧٥ وص ٢٣ بعضه ، وإلزام الناصب ص ١٨١ وص ١٩٤ والملاحم والفتن ص ٦٢ أوله ، ومثله في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٧ .

مواضعه ؟ ! . ولا في البلاد شيء أنكرَ من المعروف ولا أعرفَ من المنكَر [1] .

(فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن أوصيائه عليهم السلام أن القرآن يُستحب أن يُتلى ترتيلاً لا ترجيعَ فيه ، وأن تكون اللّهجة فيه أقرب إلى الحُزْن والخشوع . ولو قُرِئ اليومَ كذلك لرَأيناه أبْوَرَ ما يكون أمام تنغيم اللاّهين ، وترجيع المتغنّين به . . والقرآن معنا في هذا العصر ، أوراقاً مطبوعة ، وصفحاتٍ مذهّبةً ، وجلداً أنيقاً ، وليس معنا دستوراً وأحكاماً ودليلَ هدىً وترغيبٍ وترهيبٍ ، وصراطَ حق ! . ومثله أهلُه الذين هم ناسٌ في الناس بأبدانهم ، ومع الناس في شبَهِهم بهم ، ولكنهم ليسوا معهم في عملهم ولا في سلوكهم . . ثم وصفنا صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :)

ـ إذا بقي الدين بينكم لَغطاً بألسنتكم [2] ! . (ويكاد يكون كما قال . وقال صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ إذا قست القلوب ، وجمدت العيون وثقُل الذكْرُ عليهم [3] . . (وقد جمدت العيون ـ كلُّ العيون ـ عن أن تدمع من خشية الله ، وثقُل القرآن على الناس لانشغالهم بما يُشبع جشَعهم إلى الدنيا ، ولأنه يأمرهم بما لا يريدون ، وينهاهم عمّا يرغبون فيه ويبذلون المال والنفْس والنّفيس بسبيله . . وقد رُوي عنه هذا الخبر هكذا :)

ـ . . ورأيت القرآن قد ثقُل على الناس استماعه ، وخفَّ على الناس استماع الباطل [4] . (وكيف لا يكون ذلك كذلك وقراءة القرآن أصبحت تدلُّ أولَ ما تدلّ على وجود جنازة أو ذكرى ميِّت ؟ ! . بينما يكون استماع الباطل خفيفاً على الإنسان بما فيه من تسلية ولهو . . . ثم قال أخيراً :)

ـ ورأيتَ الناسَ قد استوَوا في تركِ الأمر بالمعروف والنّهيِ عن المنكَر ، وتَركِ

---

(١) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٦ و٢٠٣ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٦٣ وإلزام الناصب ص ١٨١ وبشارة الإسلام ص ٦ وص ٢٣ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٨٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ عن الصادق عليه السلام ، وقد رُوِيَ مبدوءاً بـ : إذا رأيت قلوب الناس قد قست . . .

(٤) منتخب الأثر ص ٤٣٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٨ وإلزام الناصب ص ١٨٣ وبشارة الإسلام ص ١٣٣ مع تفصيل .

التديُّنِ به . (وقلّة الوَرعِ من قِبَلِ العالِمِ والجاهل [1] ! .)

قالَ أمير المؤمنين ﷺ :

(روي أنه ﷺ وصفَ أهل آخر الزمان بقوله :) مساجِدهم يومئذٍ عامرةٌ من البُنى ، خرابٌ من الهدى . سُكّانها وعُمّارها شرُّ أهل الأرض ، منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوي الخطيئة ، يردُّون من شذَّ عنها فيها ، ويسوقون من تأخر عنها إليها ! . يقول الله تعالى : فَبِي حَلَفْتُ لأبعثنَّ على أولئك فتنةً أتركُ الحليم فيها حيران ! .

فنعوذ بالله وحده من قَسَمٍ أقسمه اللّهُ تعالى بنفسه ! . وها إن الفتن التي نعيشها في الشرق ، ويعيشها العالَم بأسره ، تكاد تذهب بالألباب . . فكيف إذا اشتدَّت عما هي عليه ، وبلغت الحدَّ الذي أقسم عليه تعالى ! . ثم وصف مرحلةً من مراحل المروق من الدِّين لا تتعدَّانا حين قال سلامُ الله عليه :)

ـ إذا ضيَّعت أمَّة محمدٍ الصَّلوات ، واتَّبعوا الشهوات ، ورُفعت الصلاةُ من المساجد بالخصومات ، وجعلوا المساجدَ مجالسَ للطُّغاة ، فتصير الوجوهُ وجوهَ الآدميين ، والقلوب قلوب الشياطين [2] . (ثم قال ﷺ في الموضوع ، متحدثاً عن علامات قُرب الفَرج :)

ـ إذا كثُر الجور والفساد ، وظهر المنكَر وأمر الناسُ به ، ونَهوا عن المعروف ، وكثُر القتل واستخفَّ الناس بالدماء [3] ! . (وكل ذلك موجود ، كثير الوجود . . ومثله قوله ﷺ :)

ـ إذا استحلُّوا الكذِب ، واتَّبعوا الأهواء . . واستُعلن الفجورُ وقولُ البهتان . . وصُدِّق الكاذبُ واؤتُمِنَ الخائن . . وشهد الشاهدُ من غير أن يُستشهدَ ، وشهد الآخرُ

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ عن الصادق ﷺ وبشارة الإسلام ص ٥ مع : وظهرَ المُنكَرُ وأمروا به ، ونَهوا عن المعروف ، وص ٢٣ بلفظ آخر، وص ١٣٤ عن الصادق ﷺ .

(٢) بشارة الإسلام ص ٢٣ وص ٧٥ وص ٧٧ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ وص ٢٦٤ وإلزام الناصب ص ١٨١ نصفه الأخير ، وص ١٨٢ وص ١٩٤ ونور الأبصار ص ١٧٢ باختلاف يسير .

(٣) انظر البحار ج ٥٢ ص ١٩٣ وص ٢٥٨ وبشارة الإسلام ص ٢٥ وص ٧٦ والإمام المهدي ص ٢١٧ وص ٢١٩ بعضه .

قضاءً لِذمامٍ بغير حق عرَفه . فعند ذلك الْوَحا الْوَحا [1] ! . . (وقوله ﷺ :)

ـ . . . حتى لا يَقتفي النـاس أثَرَ نبيٍّ ، ولا يعتقـدون بعمـل وَصيٍّ ، ولا يؤمنـون بغَيب ، ولا يعفُـون عن عيب [2] ! . (فإنـك إن حدثـت أجيـال الإنسانيـة الطالعـة عن وحـدانيَّة الله عـزَّ وجـلَّ ، أو عن نبُـوة محمـد ﷺ أو عن الـوحي وغيـره ، ﴿ لَـوَّوْا رُؤُوسَهُمْ ، وَرَأَيْتَهُمْ يَصُـدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِـرُونَ ﴾ [3] ، وقلَبـوا شفاهم وسلقـوك بألْسنـةٍ حِـدادٍ ، ثم : ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ واسْتَغْشَـوْا ثِيَابَهُمْ ، وَأَصَـرُّوا وَاسْتَكْبَـرُوا اسْتِكْبَـاراً ﴾ [4] ! ! ! أمّـا إذا حـدَّثتهم عن وصيٍّ ، وعن وصيٍّ غـائب بـالخصـوص ، وغـائبٍ منـذ ألفٍ ومئـة وخمسين سنـة على الأخصّ ، فـإنهم يُجَنّـون أو يـرمـونـك بالجنون ! ! ! ثم قال عن آخر الزمان :)

ـ تَـظهر المـلاهي ، ويُمَرُّ بهـا فلا يجتـرئ أحدٌ على مَنْعهـا [5] . . (ووَاللّهِ لو تعرَّض أحدُنا لمنع مَلْهى عـرضٍ أفلامٍ أو ملهى قصفٍ ورقصٍ وسُكـر ، لَسَمع مـا لا يُـرضيه من العقـلاء والجهال . . وقـد ذكـر النبيُّ ﷺ مـا هـو أبلغُ في العجَب حين قال :) ـ فلا تَرى إلاّ ذاماً لله [6] ! ! !

(وذَمُّ الله نسمعه يوميـاً . . بل نـسمـع سبَّه وشتْمـه من ألْسِنَةٍ سيـأكلها البِلَى ! . وسيُحصي الله عليها الكلمة والنأمةَ والخاطرةَ والنفَس ! . وسيعلم المُجاهرون بـذمِّ الله أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبون حين يقعون بين يدَي ربٍّ قادرٍ قـاهر لا يَعجـل لعجَلة العباد ، بـل يأخذهم إليه واحداً واحداً ثم يقول لهم مقرِّعاً ومـوبّخاً : ﴿ وَلَقَـدْ جِئْتُمُونَـا فُرَادَى كَمَـا خَلَقْنَـاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ . . . وَمَـا نَـرَى مَعَكُمْ شُفَعـاءَكُم ﴾ [7] ، يـوم يَتـوفَّى كـلُّ إنسـانٍ وحده . . ويحاسَبُه وحده . . هناك ، في ذلك البيت المظلم تحت أطباق الثرى ، إذ

---

(١) الإمام المهدي ص ٢١٩ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٦٢ .
(٣) المنافقون ـ ٥ .
(٤) نوح ـ ٧ .
(٥) منتخب الأثـر ص ٤٣٠ عن الصادق ﷺ ، وبشـارة الإسلام ص ٦٢ وص ١٣٣ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٥٨ .
(٦) إلزام الناصب ص ١٨٢ وبشارة الإسلام ص ١٧٥ .
(٧) الأنعام ـ ٩٤ .

يُقعده الملَكان فريداً ، منقطعاً عن الأهل . . والخلّان . . والشُّفعاء والمدافعين : كتابُه بين يَدَيه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً . وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً . . وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ [1] أيها العُصاة المستهزئون بعد أن قهركم بالموت ، وبعد أن قال لكل واحدٍ منكم من قبل : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُوْلُ ، وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً ، وَنَرِثُهُ مَا يَقُوْلُ ، وَيَأْتِيْنَا فَرْداً ﴾ [2] .

فَلْيذمّ مَن شاء كما شاء . . وما هي إلاَّ سنواتٌ ، أو أشهرٌ أو أيام ، ثم يكون بَوارُ المتكبّرين هناك . . تحت الأرض ، في تلك الحَفيرة الدافئة ! ! ! ثم قال ﷺ :)

ـ إذا رأيت الحَرمَين يُعمل فيهما بما لا يرضى الله . . ورأيت بيت الله (الكعبة) قد عُطِّل ويُؤمَر بتركه . ورأيت طلب الحج والجهاد لغير الله [3] ! . (ثم تحدَّث عن علامة خاصة فقال ﷺ :)

ـ يكون خرابُ كنائس اليهود في بلاد المشركين [4] . . (وقد حصل ذلك في أنحاء ألمانيا وجاراتها ، وربما حدث مثله في أميركا وجميع البلاد التي تزجُّها الصهيونية في تغذية الثورات في أنحاء الدنيا ، وقد تجرُّها إلى حربٍ عالمية تجعلها تعيد النظر في موقفها من مصانعةِ الصهيونية فتدمِّر كل شيءٍ يتعلق باليهود . . ثم قال عن الدِّين قُبيل موعد الظهور :)

ـ هيهات ، هيهات ! . يخرج (أي صاحب الأمر ﷺ) إذا خرجتم عن دينكم ، كما تخرج المرأة عن وِرْكَيْها لِبَعْلِها [5] ! . . (والمرأة ـ كما هو معلوم ـ تخرج عن وِرْكَيْها لبَعلها ابتغاءَ لذَّةٍ تمارسها ، ورغبةً في اختلاس لحظاتٍ سحريّةٍ

---

(1) آل عمران ـ ٣٠ .
(2) مريم ـ ٧٩/٨٠ .
(3) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ ما عدا آخره ، وص ٢٥٩ وإلزام الناصب ص ١٨٣ آخره ، وبشارة الإسلام ص ١٣٢ وص ١٣٤ .
(4) انظر بشارة الإسلام ص ١٣٢ ـ ١٣٤ بتفصيل .
(5) الملاحم والفتن ص ١١٨ والإمام المهدي ص ٨١ .

مُمتِعةٍ تعيشها ، ولكنَّ الناس يتركون دينهم ـ بنفس عزيمة المرأة من الرضى والاختيار ـ راغبين عنه إلى لا شيءَ سواه . . بلا لذَّةٍ ولا استمتاع ، بل ذهاباً مع الشيطان وفي سبيل معصية الرحمان ! . ثم رُوِيَ أنه قال ﷺ :) إذا درجَ الدارجون ، وقَلَّ المؤمنون ، وذهب المُجلِبونَ) : أي رافعو الصوت بالنكير على مرتكبي المعاصي . وقد استعمل أمير المؤمنين ﷺ لفظة : الدارج ، التي هي من ألفاظ عصرنا المميَّزة التي عاشت بعده بألف وثلاثمئة وخمسين سنة . فنحن مع الدارج . . ونساؤنا وشبابنا وأطفالنا مع الدارج في جميع مجالات العيش والسلوك . . ثم نفذت بصيرتُه إلى ما هو أبعد من هذا ، وألصقُ بحياتنا من اللفظة والكلام ، فقال ﷺ :)

ـ . . وضُيِّعت الصلوات ، وعُوصِرت السماوات ، فحينئذٍ تكون السنة كالشهر ، والشهر كالأسبوع ، والأسبوع كاليوم ، واليوم كالساعة[1] ! . (فقد عُوصِرت السماوات : ونحن الآن نساير تقدُّم العلم ، ونعيش عصراً فضائيّاً أصبحت فيه الكواكب بمتناوَل أيدينا ، وعَصْرَ سرعةٍ بعضُ وسائله الطائرةُ التي تفوق سرعتُها سرعةَ الصوت ، والصاروخُ الذي يخجل الإنسان أن يذكر رقم سرعته في الساعة لأنها لا تكاد تُصدَّق ، والأقمارُ الصناعية الدائرة كالأفلاك حول الأرض . . فكيف تكون معاصرة السماوات إذا لم تكن كذلك ؟ ؟ ؟

نعم ، وقد أصبحنا نقطع مسيرة اليوم في ساعة بالسيارة ، ومسيرة الشهر في ساعة بالطائرة ، ومسيرة السنة في أقلّ وأقلّ من ساعة في الصاروخ الذي يحمل المراكب الفضائية . . ولم يَبق من وزن للوقت في زماننا ، لأننا لا نحسُّ بالمشقّات ، بل نتمكَّن أن نقبل دعوة للغداء في فرنسا ولو كنّا صباحاً في لبنان ، ولا نرفض حضور زفافٍ يجري مساءً في طهران ولو كنا ظُهراً في بريطانيا . .

فجلَّت بديهتُك يا أبا الحسن . . يا من هو باب مدينة علْم النبيّ الذي علَّمه من علْم الله ! .

ثم قال أمير المؤمنين ﷺ مهوِّناً الأمرَ على مَن عنده بقيَّة من دِين :)

ـ لَتَملأَنَّ الأرضُ ظُلماً وجَوراً ، حتى لا يقول أحدٌ : الله ، إلاَّ مُستخفياً . ثم

---

(١) إلزام الناصب ص ١٩٤ وبشارة الإسلام ص ٧٥.

يأتي اللّهُ بقومٍ صالحين يَملأونها قسطاً وعدلاً [1] .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

يقلُّ الورع ، ويكثر الطمع ، ويُرى المؤمنُ صامتاً لا يُقبل قوله ، والكاذبُ يكذِب ولا يُرَدُّ عليه كذبه ، والفاسقُ يُمتدَح بالفسق لا يُرَدُّ عليه قوله [2] . . (فقد جمع الباقر عليه السلام من مزايا عصرنا فأوعى في كلمات قليلة تَصْطَمُّ آذاننا عن سماعها بَلْهَ نفاذها إلى قلوبنا . .

وقد رُوي أنه عليه السلام قال :)

ـ يتغيَّر أهل الزمان حتى يُعبدوا الأوثان ، ويُبْتَلى المؤمنون ، وتُولد الشكوكُ في القلوب ، وتُخلع رِبْقَةُ الدين من الأعناق ! . وهذا هو الذي كان . . ومن لَم يُظْهِرْ وثنه فَوثنُه في قلبه يوجِّه سلوكَه وإن كان لا يبدو للعَيان . فوثنيَّة العقيدة ، ووثنيَّة الجنس ، ووثنيَّة الأولاد ، ووثنيَّة المال ووثنيَّات غيرُها وغيرُها لا يُحصيها عدٌّ ولا حسبان نتمرَّغ فيها غير راهبين . .) .

قال الإمام الصادق عليه السلام :

ـ ورأيتَ أصحاب الأديان يُحتقرون ، ويُحتقَرُ مَن يُحبُّهم [3] . (والتعليق على هذا لا يزيدُ واقعَ المتديِّنين إيضاحاً ، فهم اليومَ محتقرون يستحقُّون الشفقة . . ثم قال عليه السلام :)

ـ ورأيتَ الحدودَ قد عُطِّلت ، وعُمل فيها بالأهواء [4] . (وقال في حديثٍ طويل :)

ـ . . . ورأيت المؤمن محزوناً محتَقراً ذليلاً ، ورأيت البِدَع والزنا قد ظهر ،

---

(1) منتخب الأثر ص ٤٨٤ وبشارة الإسلام ص ٤١ وصحيح مسلم ج ١ ص ٩١ باختلاف يسير ، والإمام المهدي ص ١١ ـ ١٢ .

(2) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٥٦ وبشارة الإسلام ص ٢٣ وص ١٣٢ ـ ١٣٥ بتفصيل ، وإلزام الناصب ص ١٨١ .

(3) بشارة الإسلام ص ١٣٢ .

(4) إلزام الناصب ص ١٨٣ .

ورأيتَ الناس يقتدون بشاهد الزور ، ورأيت الحرام يحلَّل ، ورأيت الحلال يحرَّم ، ورأيت الدين بالرأي ، وعُطِّل الكتاب وأحكامه ، ورأيت الليل لا يُسْتَحْيى به من الجرأة على الله ، ورأيت المؤمن لا يستطيع أن ينكر إلاّ بقلبه ، ورأيت العظيم من المال يُنْفق في سخط الله عزَّ وجلّ ، ورأيت الوُلاة يقرِّبون أهل الكفر ويباعدون أهل الخير ، ورأيت الوُلاة يرتشون في الحُكم ، ورأيت الولاية قِبالةً لمن زاد [1] . . . (وعدَّد عشَراتٍ وعشَراتِ المُوبِقاتِ التي نرتكبها ، والتي ترى أكثرها موزَّعاً بين أقواله في مواضيع هذا الكتاب . ثم قال ﷺ :)

- ورأيتَ المساجدَ محتشيةً بمن لا يخاف الله ، يجتمعونَ فيها للغيبةِ وأكلِ لحوم أهل الحق ، ويتواصفون فيها الشرابَ المُسكِر [2] . (وقال ﷺ :)

- أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ! . يموت قلبُ المرء كما يموت بدنُه [3] . . (وقد خلَت القلوب من خشية الله ، حتى أن الله يُسَبُّ جهرةً فلا نرفع نكيراً ، ويُعصَى فلا يُطمَع بثواب ولا يُخاف من عقاب ، إذ تحجَّرت العواطف ، وماتت القلوب . . وأنكرنا وجودَ الله ، لأننا لا نراه ! ! ! لا نراه متصدِّياً لمُروقنا ، ولا واقفاً في طريق نزَواتنا ، ناسين أنه أعدَّ للحسابِ يوماً عسيراً تذهلُ فيه كلُّ مُرضعةٍ عمَّا أرضعتْ . . لا يضيع فيه عملُ صالح ، ولا عفوَ فيه عن جاحدٍ مارق ! . ثم قال ﷺ :)

- إذا علَت أصواتُ الفُسَّاق واستُمع منهم [4] ! . (والعاقلُ منّا كلُّه سمعٌ وإصغاءٌ وإذعانٌ لقول الفسّاق شاء أم أبى . . نفعل ذلك امتثالاً لقول سيدنا الصادق ﷺ الذي أمَرنا بالسكوت إذا :)

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٣٢ إلى ص ١٣٥ بتفصيل ، ومثلُه في منتخب الأثر ص ٤٢٩ وإلزام الناصب ص ١٨٣ - ١٨٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٧ وص ٢٥٨ وص ٢٧٥ وص ٢٦٠ وص ٢٦٤ بعضه ، ووردت فيه زيادة : رأيت أهل الباطل قد استعملوا على أهل الحق .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ وبشارة الإسلام ص ١٣٥ وص ٢٥٩ وإلزام الناصب ص ١٨٤ ومنتخب الأثر ص ٤٣١ .

(٣) ينابيع المودة ج ٣ ص ٦٤ والمخلاة ص ٣١ .

(٤) منتخب الأثر ص ٤٢٩ والإمام المهدي ص ٢١٩ .

ـ . . رأيتَ رياحَ المنافقين وأهلِ النفاق رائحة ـ أي ناشطة ـ ورياح أهـل الحق لا تَحَرَّكَ [1] . . (فالحق بيننا اليومَ دعوى المُفلسين وسلاحُ الضعفاء ، وقد وصلنا إلى العهد الذي ذكره بقوله :)

ـ يصير الأذانُ بالأجرة ، والصلاة بالأجرة [2] . (وقوله :)

ـ والمنابرُ يُؤمَـر عليها بـالتقوى ، ولا يعمـل القائـلُ بما يـأمر [3] ! . . (وواقـعُ الحـال في أيـامنـا يُغني عن المقـال ويُـريحنـا من التعليق وكثـرة الكـلام ، إذ إننـا في المرحلة التي قال فيها عليه السلام :)

ـ إذا كثُرت الغِواية ، وقلَّتِ الهدايـة [4] . . (وها قـد بلغت كلُّ منهمـا غايـةَ ما قال ، وصار التديُّن كقوله أيضاً :)

ـ ورأيت طلب الحج والجهاد لغير الله ، والمصلِّي يصلِّي ليراهُ الناس [5] . (أمَّا مَنْ لا يصلِّي أبداً فيشملُه قولُه عليه السلام :)

ـ يرتدُّ أكثرُهم ، ويخلعون رِبقةَ الإسلام من أعناقهم . . (وإنها لرِدَّةُ هذا الجيل التي لا يقف بوجهها غيرُ سيف حفيده عجَّل الله فرَجه . . .) .

قالَ الحجَّةُ المنتظر عليه السلام :

(وكان يخاطب إبراهيم بن مهزيار رضوان الله عليه :)

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٣١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٩ وبشارة الإسلام ص ١٣٤ مع تفصيل ، ومثلُه في إلزام الناصب ص ١٨٤ .

(٢) منتخب الأثـر ص ٤٣١ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٥٩ وبشـارة الإسـلام ص ١٣٤ وإلـزام النـاصب ص ١٨٤ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٦٠ وإلزام الناصب ص ١٨٤ وبشارة الإسلام ص ١٣٥ .

(٤) بشارة الإسلام ص ١٤٩ وتمامُ الخبر في موضوع يوم الخلاص ، والإمام المهدي ص ٢٢٩ .

(٥) البحـار ج ٥٢ ص ٢٥٨ وإلـزام النـاصب ص ١٨٣ وص ١٨٤ ومنتخب الأثر ص ٤٣٠ وبشـارة الإسلام ص ١٣٣ مع تفصيل .

- إذا جِيل بينكم وبين سبيل الكعبة[1] . . (وورد عنه ﷺ بلفظ :)

- إذا جِيل بينكم وبين الكعبة بأقوامٍ لا خَلاق لهم ، واللّهُ ورسولُه منهم بُراء [2] ! .

(وقد حدث هذا في بعض الدول الإسلامية ، وربما حدث في غيرها من لَدن قومٍ لا خلاق لهم وهم كثيرون فيما بيننا . .)

تسالونيكي الثانية :

-(٢ : ٣ - ١١) : لا يخدعنَّكم أحدٌ على طريقةٍ ما ، لأنه لا يأتي (أي المسيح ﷺ) إن لم يأتِ الارتدادُ أولاً ، ويَستعلن إنسانُ الخطيئة ابن الهلاك (أي يتجاهر الفاسق بفسقه) حتى يصدِّقوا الكذّاب . .

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ١٢ ومنتخب الأثر ص ٣٦٤ وبشارة الإسلام ص ١٧٢ وص ١٧٣ وإلزام الناصب ص ١٠٨ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٤٥ وبشارة الإسلام ص ١٧٢ .

١٧ ـ الآياتُ وَالخَوارِق

أ ـ الصَّواعِق . . . . وَالقحط وَالخراب :

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ الأيـات كخرزاتٍ منـظومـاتٍ في سلك ، فـانقـطع السلكُ ، يتبـع بعضُهـا بعضاً [١] ! .

(ولمجرد إلقاء نظرة نرى ـ اليوم بالـذات ـ أن الأحداث تَتـابعُ بشكـل عجيب ، وتتلاحق كما وصف تمـامـاً ، حتى لكـأن عِقـد النـظام العـالميِّ قـد انقـطع سلكُـه ، وانفـرطت حبَّاتـه ، فقامت الفتن والثـورات التي وعدَنـا بهـا في كـل مكـان من أرجـاء المعمور ، لا تنتظر ثورةٌ منها انتهـاءَ الثورة التي سبقتهـا ، ولا يمنع اشتعـالُ ثورةٍ قيـامَ ثـورة . . والعالَم علي بـركان متفجِّـر ، أشعلتْ فتيلَه فتنـةُ اليهـود في الشـرق الأوسط فتفجـرتْ منـه فـوهـاتٌ في كـل مكـان حتى سـدَّت منـافـذ الأمن والهـدوء في سـائـر الأقطار ! . ومثلها سيكون أيضاً تتابع الآيـات القادمـة من خسفٍ وقذفٍ ومسـخٍ ، إلى أن يُدَوِّي النداءُ من السماء ! ! ! ثم قال ﷺ :)

ـ إن عُمـرانَ بيت المقدس ، خـرابُ يثرب . وخـراب يثرب خـروج الملحمة . وخروج الملحمة فتحُ القسطنطينية . وفتح القسطنطينية خروج الدجَّال [٢] . .

---

(١) بشارة الإسلام ص ٣٣ والملاحم والفتن ص ١٠٢ بلفظ آخر .

(٢) انظر البيان والتبيين ج ٣ ص ٣٢ ومصادر أخرى .

(وقد بدأ عُمران بيت المقدس قبيل أن أكتب هذه السطور ، إذ أخذ اليهود بتهويد القدس بعد احتلالها ، والعملُ لذلك قائمٌ على قدَمٍ وساق ، حتى أنه تعدَّوا على حرمة المسجد الأقصى أكثرَ من مرَّة ، وعلى قداسة كنيسة القيامة أيضاً . وسيلي ذلك خرابُ يثرب على يد الجيش السفياني ، ثم يبدأ الزحف المقدس في الثورة المباركة على يد القائم عليه السلام وتكون ملحمة الظالمين وبَوار الجبَّارين في بلدة قرقيسيا ومنطقة طبريَّة ، ويتلو ذلك فتح جيش الهدى للقسطنطينية كما جاء في الخبر بلا ريب إن شاء الله تعالى . . ثم عدَّدَ الظواهرَ غيرَ الطبيعية ، التي لا يألفها الناس عادة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم :) تكثر البواسير ، وموت الفجأة ، والجذام [1] .

- توقَّعوا آياتٍ متوالياتٍ كنظام الْخَرَز ، وأولُ الآيات الصواعق [2] . (ومن المرويِّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قولُه : تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ، حتى يأتي الرجل فيقول : من صعق قِبَلَكُمُ الغَداة ؟ . فيقولون : فلان . (فهل أوضح من هذه العلامة لآخر الزمان واقتراب ساعة الظهور ؟ . فإنَّ الصَّعق نراه فيما حولنا ، إما بموت الفجأة الذي انتشر حتى صار يقع في الشباب أُولي الفتوَّة ، وإما بِالذُّبْحة الصَّدرية وجُلْطة الدم والسكتة القلبيَّة وما أشبهها ، فقد تفشَّت هذه الظاهرة فأرعبت الناس ، وصار بعضُنا يحدِّث بعضاً عن حدوثها عند فلان وبمنزل فلان . أمَّا الموتُ بالصواعق المحرِقة من القذائف المختلفة التي تنزل على البيوت الآهلة بالسكان فتقتل الناس بلا شفقةٍ ولا رحمة في مختلف أرجاء المعمور ، وفي بلادنا وغيرها ، على أيدي أبناء هذا الجيل من القُساة الجُفاة ! . وقال صلى الله عليه وآله وسلم :)

- وإذا تركتم السنَّة ظهرت الْبِدعة ، وارتقِبوا عند ذلك ريحاً حمراء ، أو خَسفاً أو مَسخاً ، أو ظهورَ العدوِّ عليكم ثم لا تُنصرون [3] . (وقد ذكرنا له حديثاً بهذا المعنى أوسع وأشمل في موضوع أهل آخر الزمان . . وقد تُركت السُّنَّة ، وكثرت الْبدع ، وتفشَّى أكل الرِّبا أضعافاً مضاعفةً ، وظهر الزِّنَى في البيوت والملاهي والجامعات

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٦٩ وبشارة الإسلام ص ٢٤ وإلزام الناصب ص ١٧٨ .
(٢) الملاحم والفتن ص ١٠٢ .
(٣) بشارة الإسلام ص ٢٢ .

الثقافية والنوادي على اختلافها ، وظهر العدوُّ على الأمة الإسلامية في سائر مناطقها ودُوَلها !) .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

- بين يدي القائم موتٌ أحمرُ ، وموتٌ أبيض ، وجرادٌ في حينه وجرادٌ في غير حينه كألوان الدم ! . فأما الموت الأحمر فالسيف ، وأما الموت الأبيض فالطاعون [1] . .

(وقد كثرت إراقة الدم في كل مكان ، ولا بدَّ أن يتلوَ ذلك حربٌ عالمية تُدمّر كل شيءٍ ، ثم يكون الطاعون بعدها ويفنى ثُلُثا العالَم كما سترى ، فلا ينجو بعدهما إلّا من وقاه الله . . وقال عليه السلام بنفس المعنى :)

- وجرادٌ يظهر في أوانه وفي غير أوانه ، حتى يأتي على الزرع والغلّات . وقلّة رَيع ما يزرعه الإنسان [2] (وورد بلفظ :)

- جوعٌ أغبر ، وموتٌ أحمر [3] . . (ثم قال عليه السلام :)

- ولذلك آياتٌ : أولهنَّ إحصار الكوفة بالرَّصد والخندق [4] . (وورد في بعض خُطَبِه بلفظ :)

- . . وإنَّ لخروجه لَعلاماتٍ عشراً : أولُها تخريق الزوايا في سِكَكِ الكوفة ، وتعطيلُ المساجد ، وانقطاع الحاجّ ، وخسفٌ وقذفٌ بخراسان ، وطلوعُ الكوكب المذنَّب ، واقترانُ النجوم ، وهرجٌ ومرجٌ وقتلٌ ونَهْب ! . ومن العلامة إلى العلامة عجب ! . فإذا تمّت العلامات قام قائمُنا قائمُ الحق . . طوبى لأهل ولايتي الذي

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٤٨ وإعلام الورى ص ٤٢٧ والغيبة للطوسي ص ٢٦٧ والمهدي ص ١٨٨ وص ١٩٧ نقلاً عن الفصول المهمة ، وبشارة الإسلام ص ٥٠ـ ٥١ وص ٨٠ وص ١٢٣ بلفظ آخر . وص ١٥٦ عن الصادق عليه السلام ، وص ١٧٦ ومثله في إلزام الناصب ص ١٨٤ وص ١٨٥ والإمام المهدي ص ٢١٨ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٨٥ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٧٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٠ .

(٤) إلزام الناصب ص ١٧٦ وبشارة الإسلام ص ٥٨ وص ٢٧٣ .

يُقتَلون فِيَّ ، ويُطْرَدون من أجلي ! . هم خُزَّان الله في أرضه لا يفزعون يوم الفزع الأكبر ! . [1]

(وقد تكرر الخسف في خراسان في الآونة الأخيرة ، وأودى بحياة عشرات الألوف ، ووَقانا الله شرّ القذف من السماء ، وشر القذف من الأرض ، بالآلات الحربية التي لا تقل خطراً عن غيرها في التدمير . . ولكنْ . . نُلفت نظر القراء إلى أن كل علامة ذكرها في هذا الحديث لا بدّ أن تكون مميَّزةً معروفةً حين حدوثها كخسف خراسان مثلاً ، وكالّذين يعذَّبون ويشرَّدون في الآفاق لمجرَّد دعوتهم الناسَ إلى الحق ، وبسبب عملهم الديني ومجاهرتهم بطلب العدل ! .

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام بعض ظواهر الخراب في الأرض فقال :)

ـ وأما الزوراء فتَخرب من الوقائع والفتن ، وأما واسط فيطغَى عليها الماء ، وآذربيجان يَهلك أهلُها بالطاعون ، وأما الموصل فيَهلك أهلُها من الجوع والغلاء . . وأما حلب فتَخرب من الصواعق ، وتَخرب دمشق من شدة القتل . . وأما بيت المقدس فإنّه محفوظٌ لأن فيه آثار الأنبياء [2] . (وأكثر ما يُلفت النظر في هذا الخبر هو الهلاكُ بالصواعق الذي سيكون بصواعقٍ قذائف مُحرِقة إن لم يكن بصواعق سماوية . . والزوراءُ ـ بغدادُ ـ اليومَ كأنها على موعدٍ قريبٍ مع الفتن التي ذَكرها ، وواسطُ تحت رحمة نهر دجلة في كل آن ، وطاعونُ آذربيجان رهنٌ بأمر الله تعالى ، كما أنَّ جوع الموصل منتظرٌ في مثل هذه الفتن الطامية التي تهدِّد دمشق وحلب وغيرهما من بلدان الشرق الأوسط المجاورة لدولة الأشرار التي نصبتْها أميركا شوكة في عين المسلمين والعرب ! .)

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

(قال في الآية الكريمة : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذابِ الأَكْبَرِ ﴾ :

---

(1) إلزام الناصب ص ٢٧ وص ١٧٦ بعضه ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٨ وص ٢٧٣ بلفظ مختلف ، ومثله في ج ٥٣ ص ٨٢ وبشارة الإسلام ص ٥٨ أوله ، وص ٦٠ شيء منه ، وص ٦٧ وص ٧٣ وص ٢٧٣ والإمام المهدي ص ٢٢١ ما عدا آخره : ٢٢١ .

(2) إلزام الناصب ص ٢٠٣ .

ـ إن العذاب الأدنى هو القَحط والجدبُ وغلاءُ السعر قبيلَ خروج القائم بالسيف ! . والعذابُ الأكبرُ : المهديُّ بالسيف في آخر الزمان [1] .

(وقال ﷺ :) ومن آيات ظهوره أن يتقارب الزمان [2] . . (وها إن الوقت يمضي سريعاً فلا يشعر الإنسان به لكثرة مسؤوليات الحياة وتعقُّد مشاكلها ، ولانْغِماسه في هموم الدنيا وشؤونها من جهة ، ثم تتقارب معه المسافات كما بيَّنا سابقاً بشيء من التفصيل ، فصار الإنسان يتناول طعام الفطور في لندن وطعام الغَداء في الجوّ وطعام العشاء في اليابان في يوم واحد من جهة ثانية . فتقاربَ الزمان وصار الإنسان يقطع في بياض النهار ما كان يقطعه في ستة أشهرٍ من المسافة . . ثم قال ﷺ :)

ـ وأولُ الآياتِ الصواعقُ ، ثم الريحُ الصفراءُ ، ثم ريحٌ دائم ، وصوتٌ من السماء يموت به خلقٌ كثير [3] . .

(ويلفت النظَر في هذا الخبر الصوتُ الذي نخشى أن يكون هذهِ إلّهية مُميتة ، فيجيء ضِغثاً على إبالةٍ مع هذا الصوت المدوِّي في الدنيا يقذف سُكّان بعض مناطق الأرض بالمتفجّرات والمحرِقات والمدمِّرات ! ! ! ثم تحدث عن ظواهرَ خاصةٍ أخرى فقال ﷺ :)

ـ يجفُّ ماء بحيرة طبريا ، ويتوقف النخيل عن الثمر ، وتنضُب عينُ زعر الواقعة في الجانب القبليِّ من الشام [4] . (وقال بنفس الموضوع :)

ـ يكون جفاف الأنهار . . ويقعُ القحط والغلاء ثلاث سنين [5] .

(وسيكون أولَ ما نرى من هذه الأمور جفافُ ماء بحيرة طبرية كما أوضحنا في غير هذا المكان ، لأن اليهود يستنفدون أكبر كميَّةٍ ممكِنةٍ من مياهها يومياً لاستخراج

---

(١) منتخب الأثر ص ٣٠٣ والبحار ج ٥١ ص ٥٩ بلفظ قريب ، ومثله في ج ٥٣ ص ٥٦ وبشارة الإسلام ص ٥٧ شيء عن القحط .
(٢) انظر مسند أحمد م ٢ ص ٥٣٠ .
(٣) الملاحم والفتن ص ١٠٢ .
(٤) بشارة الإسلام ص ١٩١ وإلزام الناصب ص ٢٦١ بلفظ آخر .
(٥) انظر بشارة الإسلام ص ٥٧ وص ١٩١ .

البوطاس وبقية المعادن الذائبة فيها . . ثم تحدث ثانية عن جفاف الأنهار الذي ينبّه الفكر فقال) :

ـ لا يُخرج أهلَ مصر من مصرهم عدوٌّ لهم ، ولكن يُخرجهم نيلُهم هذا . يغور فلا تبقى منه قطرةٌ ، حتى يكون فيه الْكُثبان من الرمل [1] ! . (وسيكون غور هذا النهر العظيم ـ النيل ـ إمّا بآيةٍ سماوية ، أو برَمْي قذائف ذرّية أو هيدروجينيّة في منابعه الأصلية ومجاريه الرئيسية ، فتختفي مياهه أو تنحرف مجاريه عن مصر فتَظهر كثبان الرمل محلّ مائه . . وقد جاء عن النبيّ ﷺ في ذلك :)

ـ وخرابُ مصر من جفاف النيل [2] . . (ولا بدّ أنّ ذلك كائن في المستقبل القريب . . ثم قال الصادقُ ؑ :)

ـ وعند ذلك اختلاف السنين ، وإمارةٌ من أول النهار، وقتلٌ وخَلْعٌ في آخر النهار [3] . . (واختلاف السنين نراه في مظاهر الخِصب والْجَدب ، وفي مجال تغيُّر الأحوال ، والتطورات السياسية غيرِ المنتظرة ، كالانقلابات العسكرية التي تتابع انقلاباً بعد انقلاب ، بل انقلاباً على انقلاب قد لا يدوم أياماً ، وسيكون ذلك في أول النهار وفي آخره ما زالت الحالة على ما هي عليه . . ثم قال ؑ في هذا المعنى :)

ـ يذهب ملك السنين ، ويصير ملك الشهور والأيام . فقيل : هل يطول ذلك ؟ فقال : لا . . [4]

(ورد بلفظه عن النبي ﷺ ثم جاء عن الصادق ؑ في العلامات :)
ـ ويَنبثق الفراتُ حتى يدْخل أزقّةَ الكوفة . . وعقدُ الجسر مما يَلي الكَرخ بمدينة بغداد [5] .

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٤٦ .
(٢) بشارة الإسلام ص ٢٨ .
(٣) بشارة الإسلام ص ١٥٠ والبحار ج ٥٢ ص ١١٢ .
(٤) الغيبة للطوسي ص ٢٧١ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٠ وبشارة الإسلام ص ١٢٣ والإمام المهدي ص ٢٣٠ .
(٥) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ والإمام المهدي ص ٢٣٤ وإلزام الناصب ص ١٨٥ والمهدي ص ١٩٦ والإرشاد ص ٣٣٦ ما عدا آخره ، والملاحم والفتن ص ١٦٤ والبحار ج ٥٣ ص ٨٥ وبشارة الإسلام ص ١٧٦ وص ١٩٢ وغيرها من المصادر .

(وبَثق الفرات لا بدَّ أن يكون فيضاناً غيرَ مألوف . والجسرُ المشار إليه قد انعقد كما مرَّ بك في هذا الكتاب ، ومع الوقت يتمُّ تحقيق ما بقي . . وقال في مناسبة ثانية عن فيضان الفرات الذي يكون ملازماً لسنة الظهور :)

ـ عامَ الفتح ينبثق الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة [1] . (ثم قال ﷺ في موضوع الماء والخِصب :)

ـ إن قدَّام القائم لَسَنةً غَيْداقةً كثيرةُ المطر ، تَفسُد فيها الثمار والتمر في النخل ، فلا تشكُّوا في ذلك . . [2] (وقال ثانية :)

ـ السنةُ التي يقوم فيها المهديُّ تُمطر أربعاً وعشرين مطرةً يُرَى أثرُها وبَركتُها [3] . (ورُوي هذا الحديث عن غيره من الأئمة ﷺ . ثم قال محدِّداً وقت هذه الأمطار :)

ـ تُختَتم العلامات بأربعٍ وعشرين مطرةً ، يُحيي الله بها الأرض بعد موتها ، إحداها في جمادى الآخرة ، والثانية مدة عشرة أيام في رجب يُرَى أثرُها وتُعرف بَركتها . وهذا مصداق الآية الكريمة : ﴿ إعلَمُوا أنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها ﴾ . . [4] (ثم فصَّل ذلك في حديثٍ آخر قائلاً :)

---

(١) الإرشاد ص ٣٤٠ والغيبة للطوسي ص ٢٧٤ وإعلام الورى ص ٤٢٩ والمهدي ص ١٩٤ نقلاً عن الفصول المهمة ، وإلزام الناصب ص ١٧٨ وص ١٨٥ وبشارة الإسلام ص ١٢٥ وص ١٧٥ والإمام المهدي ص ٢٣٤ .

(٢) الإرشاد ص ٣٤٠ والغيبة للطوسي ص ٣٧٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٤ وإعلام الورى ص ٤٢٨ وإلزام الناصب ص ١٨٤ .

(٣) الإرشاد ص ٣٣٩ والمحجة البيضاء ج ١ ص ٣٤٣ ومنتخب الأثر ص ٤٤٢ والغيبة للطوسي ص ٢٦٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٢ وإعلام الورى ص ٤٢٩ والمهدي ص ١٩٧ نقلاً عن الفصول المهمة ، وإلزام الناصب ص ١٨٤ وبشارة الإسلام ص ١٢٥ وص ٧٧ شيءٌ منه ، والإمام المهدي ص ٢٢٨ وص ٢٣٢ .

(٤) الحديد ـ ١٧ ، وانظر الملاحم والفتن ص ١٦٤ وبشارة الإسلام ص ١٧٦ نقلاً عن الإرشاد ، والإمام المهدي ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ وإلزام الناصب ص ١٨٥ ما عدا آخره ، وفي البحار ج ٥١ ص ٥٣ قال بعد الآية الكريمة : يعني يُصْلِح الأرضَ بقائم آل محمدٍ ﴿ من بعد موتها ﴾ : من بعد جَور أهل مملكتها ، ﴿ قد بيَّنا لكم الآيات ﴾ : بقائم آل محمدٍ ، ﴿ لعلَّكم تعقلون ﴾ .

ـ إذا آن قيامُه مُطر الناس جمادى الآخرة ، وعشرة أيامٍ من رجب (أي أربعين يوماً) مطراً لم ترَ الخلائقُ مثلَه ، فيُنبِت اللّهُ لحومَ المؤمنين وأبدانَهم في قبورهم . وكأني أنظر إليهم مقبِلين من قِبَلِ جُهَينة يَنفضون شعورَهم من التراب ! .[1]

(وأنا أنقل هذا الخبر من الأخبار التي كنّا نظنها خرافةً ونرى حدوثها مستحيلاً . ولا غروَ ، فإن الله تبارك وتعالى ـ ذاته ـ لا يزال خرافة في أذهان القاصرين من الجهَلة ، وسيُبرهن الخبرُ على صدقه يوم يراه الناس رأيَ العين ، فقد رُوي مثلُه في سائر الأديان السماوية كما ترى في محل آخر من هذا الكتاب نقلاً عن المسيحيّة بالذات . . ثم قال عليه السلام وكأنّه يختم مظاهر الخراب في كل مكان :)

ـ ورأيتَ الخرابَ قد أُديلَ من العمران[2] ! ! !

(والخرابُ قد ظهر في جميع البلدان ، وسائر الأوطان ، كما نَرى ونَسمع ونُشاهد في العيان . .)

قالَ الإمام الهَادي عليه السلام :

ـ هم ينتظرون الفرَج إذا ظهر الماءُ على وجه الأرض .[3]

(يقصد بذلك طوفان الكوفة ، وفيضان الفرات الذي يعقب طوفان الدم الذي يُغرِق الكرة الأرضية . .)

---

(١) الإرشاد ص ٣٤٢ وإعلام الورى ص ٤٣٢ والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٧ وج ٥٣ من ص ٩٠ وإلزام الناصب ص ١٨٨ وبشارة الإسلام ص ١٩٤ وص ٢٣٥ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٨٣ .

(٣) الاختصاص ص ١٠٢ .

ب ـ النارُ والريح ، وَالقَذف :

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ يكـون نـارٌ ودخـانٌ في المَشْـرِق أربعين ليـلة [1] . (والمشـرق بلسـان النبيِّ ﷺ : هـو جميع البـلاد التي تقع شـرقيَّ الحجاز دون غيـره . وقـال ﷺ موضحاً :)

ـ يوشك أن تخـرج نار حَسيـل (وهي وادٍ من أودية الحجـاز) تُضيء بها أعنـاقَ الإبـل بِبُصْرَى [2] (قـرب الشـام . . ثم قـال ﷺ لأحد أصحـابه من سكـان منطقـة حبس ِ حَسيل في الحجاز وكأنه يُخاطب الفرد الإنسـانيّ عبرَ الأجيال :)

ـ أخـرجْ أهلَك منها ، فـإنه يـوشك أن يخـرج منها نـارٌ تُضيء لها أعنـاقُ الإبـل بِبُصْرى [3] . .

(وهـذا من الأدلة القـاطعة على أن النبيَّ ﷺ وأوصيـاءه ﵈ حين نقلوا لنـا هـذه الأحاديث كـانوا محـدِّثين بها ، وأنهم لم يتكلَّمـوا هُجْـراً في لحـظةٍ من لحـظات

---

(١) الملاحم والفتن ص ٧١ وص ١٦٤ بلفظ آخر .

(٢) انظر صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٠ ، والملاحم والفتن ص ٧٠ وص ١٢٦ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ جميعُها بألفاظ متفاوتة .

(٣) الملاحم والفتن ص ١٣٠ .

حياتهم . وكأنَّ كل واحدٍ منهم قد أخبَر أن النار التي تخرج من الحجاز وتبقى ملتهبةً هذا الوقت الطويل ، هي نار بترولٍ ملتهبٍ يجري في الوادي بعد تفجير آباره عن عَمدٍ أو عن غير عَمدٍ . . فقد قال الصادق ﵇ بصراحة :)

ـ لا تقوم الساعةُ حتى تسيل وادٍ من أودية الحجاز بالنار [١] ! . (ومن البديهي أن النار لا تسيل سيلاناً في الوادي إلاّ إذا كان الجسم المُلتهِبُ سائلاً كما هو الواقع . . فقد جاء عنه ﵇ أيضاً :)

ـ تُبعث نار على أهل المشرق فتحشُرهم إلى المَغرب ، تَبيت معهم حيث باتوا ، وتَقيل معهم حيث قالوا ، يكون لهم منها ما سقط وتخلَّف ، وتسوقهم سَوْقَ الجَمَل الكَسير [٢] ! . .

(أفلا تَرى أنها نار بترول يَبيت مع الناس نورُ لَهَبِها إذا اندلَعت وتفجَّرت آبارُها حيث باتوا وهم في هَربهم من شرق الحجاز إلى غربه ؟ ! . بَلى ، وإن كان يَحتمل الفكرُ ـ في هذا الخبر بالذات ـ أن تعني نارَ إسرائيل التي ذاق العرب وَهجها ، والتي ساقتهم سَوقَ الجَمَل الكسير ، ودفعتهم إلى الترامي في أحضان الغرب والشرق ، وهي تجثم على أرضهم ! . أو يَحتمل نارَ حروب الصين المنتظَرة التي إذا اندلَعت أتت على الأخضر واليابس ، فتسوق العبادَ وتخرب البلاد . . فكلُّها نيرانٌ نحن موعودون بها ، ولكنَّ الإمام زين العابدين ﵇ قد أوضح أن هذه النار بتروليَّة المَصدَر مئة بالمئة إذ قال :)

ـ إذا ملأ نجفَكم السيلُ والمطر ، وظهرت النارُ بالحجاز في الأحجار والمَدَر ، وملكت بغداد التُتر ، فتوقَّعوا ظهور القائم المنتَظَر [٣] (ورُوي عن الإمام الصادق ﵇ بلفظ :)

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٣٠ .
(٢) انظر الملاحم والفتن ص ٧١ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٩ ونور الأبصار ص ٣٤ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ جميعُها بألفاظ مختلفة .
(٣) الملاحم والفتن ص ١٦٤ وبشارة الإسلام ص ٨٧ وإلزام الناصب ص ١٧٨ والإمام المهدي ص ٢٢٢ .

ـ إذا وقعت النار في حجازكم ، وجرى الماء بنجفكم ، فتوقّعوا ظُهوره (١) .

(فهل يشتعل الْمَدَر ، أي قِطَعُ الطين ؟ . أم هل تشتعل الأحجار ؟ . لا يكن ذلك إلاّ إذا انغمسَت هذه وتلك بالبترول وكانت مشبعة به فتصير قابلة للاحتراق . . فَتصوَّر زين العابدين عليه السلام يحكي عن تراب ومَدَرٍ وأحجار قابلة للاشتعال قبل اكتشاف البترول في الحجاز بأربعة عشر قرناً ، واحكُمْ حينئذٍ على طبيعة مصدر مثلِ هذه الأخبار المقدَّسة ! .)

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ يُزْجَرُ الناسُ قبل قيام القائم عن معاصيهم بنارٍ تظهر في السماء ، وبحُمرة تجلِّل آفاقها ، وخسف ببغداد ، وخسف بالبصرة ، ودماء تسفك فيها وخراب دورها وفناء يقع في أهلها ، وشُمول أهل العراق خوف لا يكون معه قرار (٢) ! . (وخوف العراق المُشارُ إليه قد بدت طلائعه منذ بدء حروبه مع الجمهورية الإسلامية في إيران ، وسيشتد ويقوى حتى يبلغ القمة في أيام مجزرة السفياني . . ثم جاء عن الحُجَّة الغائب عجَّل الله تعالى فرجه في خطابه لإبراهيم بن مهزيار في موضوع النار :)

ـ وظهرت الحُمرةُ في السماء ثلاثاً ، فيها أعمدةٌ كأعمدة اللُّجَين تتلألأ نوراً (٣) .

(وتجد تتمة الحديث لاحقاً في موضع الخراسانيّ . وهو هنا يتحدَّث عن كارثة بغداد على يد جيش السفيانيّ ، وعن حرق بغداد وتفجير خزّانات بترولها غالباً . . ثم جاء عن الحُجة عليه السلام أيضاً في جملة رسالةٍ فيها علامات جاءت بلفظ : إذا ظهرت الحمرة في السماء ثلاثاً فيها أعمدة كأعمدة اللُّجَين يتلألأ نوراً ! . (مشيراً إلى نار بغداد في أقرب احتمال . .)

---

(١) إلزام الناصب ص ١٧٨ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٨٤ والإرشاد ص ٣٤٠ وإعلام الورى ص ٤٢٩ والإمام المهدي ص ٢٢٩ ومنتخب الأثر ص ٤٤٢ .

(٣) البحار ج ٤٥ وبشارة الإسلام ص ١٧٢ والمهدي ص ١٩٦ .

قالَ الإمَام الحسَين عليه السلام :

ـ إذا رأيتم ناراً في المشرق ثلاثةَ أيام ٍ أو سبعة ، فتوقَّعوا فرَج آل ِ محمدٍ إن شاء الله [1] . (ونحنُ نتطلَّع إلى اندلاع تلك النار التي تكون البشارةَ بفرَج آل ِ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفَرج العالَمين) .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ إذا رأيتم ناراً في المشرق يشبه الْهُرْدِيَّ العظيم (أي الشيء العظيم الملوَّن بالأصفر المائل إلى الْحُمرة) يراها أهلِ الأرض ، تَقعُ ثلاثةَ أيام أو سبعةَ أيام ، فتوقَّعوا فرَج آل محمَّد [2] . .

(وهذه هي نار بترول الحجاز وغير الحجاز من أمكنة منابع البترول التي تكلَّمنا عنها بلا أدنَى رَيب . وقد تكون رؤيتُها على شاشة التلفزيون غالباً لمن كان بعيداً عن منطقتها لتتسنَّى الرؤيةُ لأهل الأرض ، وقد تكون بسائر وسائل الإعلام كالجرائد والصحف وغيرها . . ولم يبخل الإمام عليه السلام بعلْمه ، بل نشرَه على الناس تصريحاً لا تلميحاً ليكونوا على بيِّنة من أمرهم ! . ومن شاء فَلْيؤمن ومن شاء فَلْيَكفر ، فإننا بصدد تبيان هذه العلامات ، وفضلُ النبيِّ وآله صلى الله عليه وآله على الناس غنيٌّ عن كل تبيان ، لأن وظيفتهم كانت ملخَّصة بإخراج الناس من ظُلمة الجهل إلى نور الإيمان . دون مَنٍّ ودون طلبِ أجرٍ من الناس . .)

قال الإمام الصادق عليه السلام :

ـ إذا رأيتم علامةً في السماء . ناراً عظيمة من قِبَل ِ المَشرِق تَطلع لياليَ ، فعندها فَرج الناس ، وهي قدَّام القائم بقليل [3] . . (وقال عليه السلام :)

---

(١) الإمام المهدي ص ٢٢٢ وص ٢٢٣ بلفظ : ونار تَظهر بالمشرق طولاً ، وتبقى في الجوّ إلخ . . . ومثله في المحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٣٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٠ وبشارة الإسلام ص ٨٥ وص ٩١ وص ١٧٥ وإلزام الناصب ص ١٨٥ وص ١٨٨ والمهدي ص ١٨٦ (رُوِيَ عن الحسين عليه السلام) وص ١٩٦ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٤٠ وبشارة الإسلام ص ١٢٢ ومنتخب الأثر ص ٤٤٤ (رُوِيَ عن الحسين عليه السلام) وكذلك في الإمام المهدي ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ وإلزام الناصب ص ١٨٨ .

ـ وحُمرةٌ تَظهر في السماء ، وتَلتبسُ في آفـاقها[1] . . (وهي تعني حمـرةَ النَّار البترولية المتقدم ذكرها بحسب الظاهر ، وتكون حين تفجُّـر الأبار وانـدلاع النيران . . أما لفظُ : المشرق ، أو لفظُ : القِبلة ، في الأخبار الشريفـة ، فهو يعني مكـاناً واحـداً باعتبار مكان صدور الخبر ، فمرةً يكـون صدُورُه في مكـة فيقال : من المشـرق ، ومرة يكون في العراق فيقال : من القبلة . . ثم رُوي عنه ﷺ أيضاً :)

ـ عَمودُ نارٍ يطلع من قِبَلِ المَشرِق في السماء ، يراها أهـلُ الأرض ، فمن أدرك ذلك فَلْيُعِدَّ لأهله طعام سنة[2] ! . (فما أعظم ثقة الأئمة ﷺ بـأنفسهم ، وما أشـدَّ إيمـانهم بما يقـولون ! . وخصـوصاً حين يقـولون في أكثـر الأحيان : يـرى ذلك أهـلُ الأرض ! . فهـل يرى أهـلُ الأرض ـ سائـرُ أهلِ الأرض ـ إلاّ بـواسـطة الآلات البـاثّـة والآلات الـلاّقطة التي لم يفكّـر فيها الإنسـان إلاّ بعدَ عصـرهم بعشـرة قـرونٍ وأكثـر . مضافاً إلى أنهم يأمرون الناس بعد مثـل هذه العـلامة بـالاستعداد لمؤنـة سنةٍ من كثـرة الفتن والحروب التي ربطوا بينهـا وبين هذه الـظواهر كـأنهم يعاصـرونها ويقـدِّرون مدَّة بقائها ! . هذا وإن أباه الباقر ﷺ قد قال بهذا المعنى :)

ـ آيةُ الحوادث في رمضان : علامةٌ في السماء من بعدها اختلاف الناس . فـإذا أدركتها فأكْثِر من الطعام . . (أي استعدَّ للمؤنة لمستقبلٍ يشمل فترةَ مـا بينِ النداءِ من السمـاء واختلافِ النـاس الَّذي يَنجمُ عن ذلـك ، وفترةِ حـروب العرب فيمـا بينهم مع السفيانيّ . وأنا ـ شخصياً ـ أخشى على من نَسيَ أو تناسَى وصيَّةَ إمامنـا ﷺ أن يموت فريسةَ الجوع في تلك الفترة ! . ولكنّني أعود فأجزم بأنَّ أمرهم قد انكشف للنـاس في آخر الزمان ، وقد عَلِمَ الناسُ أنهم من غير طينـة البشر وأنـه لا بدَّ من الإمتثـال لأمرهم المتلخِّص في مصلحة معاش الناس ومعادهم ! .)

---

(١) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ .

(٢) الملاحم والفتن ص ٣٦ وص ١٣١ .

ج ـ الشمسُ، وَالقمَرُ، والنجومُ:

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

(وردَ عنــه ﷺ في معـرض حـديث لـه عن بغـداد :) ـ إذا عُقِـدَ الجِسـرُ بـأرضها ، وطلعت النجـومُ ذات آلذّوائب من الْمَشـرِق . هنالـك يُقتـل على جسـرهـا كتـائب [1] ! . (وقد انعقـد الجسر الْمُعَلّقُ في زمـاننا ، وهـو جسر مميَّـز عن غيره من جسـور بغـداد . وستُقتــل الكتـائب عليـه في أيـام السفيـانيّ . . ويُمكن أن يكـون النبي ﷺ قـد كنّى بالنجـوم ذات الذوائب عن الـطائرات الحـربيَّة التي تتـرك وراءها خطوطَ الدخان كالذوائب المتلاعبـة المتلوّية في الهـواء . أو يمكن أن يكون قـد قصد النجمَ الْمذنَّبَ الْمُشارَ إليـه في غير هـذا الحديث ، والأولُ أقـربُ إلى المعقول . بـل النوعان معقولان فقد حـدَّث أبناؤه الـطاهرون عن المـذنَّب الذي يكـون من العلامـات الدالّة على الحروب وقرب الفَرج كما رأينا ونرى . .)

قالَ الإمام البَاقِر ؑ :

ـ شارَتـان بين يَـدي هـذا الأمـر : خسـوفُ القمـر بخَمسٍ ، وكسـوفُ الشمس بخمسـةَ عشَر . لم يكن ذلـك منـذ هبط آدم إلى الأرض . فعنـد ذلـك يَسقط حسـابُ

---

(١) المـلاحم والفتن ص ١٦٢ وص ١٦٤ بلفظ آخـر ، والمحجـة البيضـاء ج ٤ ص ٣٤٣ وبشـارة الإسلام ص ٦٠ .

المنجّمين [١] . (وورد بلفظ :) .

- إن لمهديِّنا لآيتَين لم يكونا منذ خلقَ الله السموات والأرض : ينخسف القمرُ لأول ليلةٍ في رمضان ، وتنكسفُ الشمسُ في النِّصف منه . ولم يكونا منذ خلَق الله السماوات والأرض [١] . (وهاتان الآيتان تكونان عكس المألوف منذ بزوغ فجر الإنسانية على الأرض . فسينخسف القمر في الليلة الخامسة ، وتنكسف الشمس يومَ الخامس عشر من الشهر القمريّ . . ثم رُوي بلفظ :)

- آيتان تكونان قبل قيام القائم ، لم يكونا منذ هبط آدم عليه السلام على الأرض : تنكسفُ الشمسُ في النِّصف من رمضان ، والقمرُ في آخره [٢] . (أما عن الإمام الصادق عليه السلام فورد بلفظ :)

وكسوفُ الشمس في النصف من رمضان ، وخسوف القمر في آخر الشهر ، على خِلاف العادات [٣] . . (وخسوف القمر في أول ليلة من الشهر ، أو في آخر ليلة منه ، لا يمكن مشاهدتُه ، ولذا نعتقد أنّ تعيين اليوم في الروايتين إمّا أنه جاء محرَّفاً من كثرة النقل أو من الرُّواة الذين وقعوا في بعض الأوهام ، أو أنه يقع الخسوف فعلاً في ذلك الوقت ولا نراه نحن في بلادنا ، وقد يراه من يقابله من سكان الكرة الأرضية من جهة حدوثه . وهي آية من آيات الله تعالى على كل حال . . وجاء عنه عليه السلام أيضاً :

- تنكسف الشمسُ لخمسٍ مَضينَ من شهر رمضان قبل قيام القائم عليه السلام [٤] .

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٧ وبشارة الإسلام ص ٩١ وص ٩٦ باختلاف يسير وص ٩٧ وص ١١٦ وص ١٨٥ والغيبة للنعماني ص ١٤٥ وإعلام الورى ص ٤٢٩ باختلاف يسير ، ومثله في المهدي ص ١٨٧ وص ١٩٦ نقلاً عن الفصول المهمة ، ومنتخب الأثر ص ٤٤٠ والإرشاد ص ٣٣٩ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ بلفظ آخر ، وكذلك في الغيبة للطوسي ص ٢٧٠ وإسعاف الراغبين ص ١٤٦ باختلاف يسير أيضاً .

(٢) الإمام المهدي ص ٢٢٧ نقلاً عن البحار ، وهو مذكور في مصادر كثيرة .

(٣) إلزام الناصب ص ١٨٥ والغيبة للنعماني ص ١٤٤ وفي منتخب الأثر ص ٤٤١ بلفظ آخر .

(٤) بشارة الإسلام ص ٩٦ وص ١٧٧ ومنتخب الأثر ص ٤٤١ .

(وجاء أيضاً :) ـ علامةُ خروج المهديِّ كسوفُ الشمس في رمضان في ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة منه (٢) . (أي بين هاتَين اللَّيلتين : يوم الرابع عشر . والمألوف أن ينخسف القمر في هذا الوقت من الشهر القمريِّ ، وأن تنكسف الشمس في آخره . . ثم جاء عن الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى :)

ـ ﴿ خاشِعَةً أبصارُهُم ، تَرْهَقُهم ذِلَّة ، ذَلِكَ اليَومُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ ﴾ :

قال : يَعني يومَ خروج القائم عليه السلام (٢) . (وقال سلامُ الله عليه في تأويل :)

ـ ﴿ إنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً ، فَظَلَّتْ أعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِيْنَ ﴾ :

سيفعل الله ذلك بهم : رُكودُ الشمس من الزوال إلى وقت العصر حتى يلاحظَ الناسُ ذلك . وظهورُ رجلٍ ووجهٍ في عين الشمس ـ وجهِ وصَدْرِ إنسان ـ يُعْرَفُ بحسَبه ونَسَبه . وذلك في زمان السفيانيِّ ، وعندها يكون بوارُه وبوارُ قومه (٣) ! . (وقال ابن عباس في تأويلها :)

ـ هذه نزلت فينا وفي بني أميَّة . يكون لنا عليهم دولة ، فتذل أعناقهم لنا بعد صعوبةٍ وهوانٍ بعد عزّ(٤) . (وهذه العلامة من أبرز العلامات دلالةً على السفيانيِّ لأنها تقع في عهده ، وهي من أقْرَبِهَا إلى موعد ظهور القائم عليه السلام أيضاً . ولعل رُكودَ الشمس بمقدار الوقت الكائن بين الظهر والعصر ، يكون وقوفاً للشمس محسوساً يساوي هذه الفترة ، بحيث يلاحظ الناسُ هذا الركودَ كآيةٍ عجيبةٍ من الله تبارك وتعالى . وهي فترةٌ قليلةٌ تُقَدَّر بساعات ، ولكن الناس يُحِسُّون بها لزيادة طول النهار فجأةً من جهة ، ولأن حرارتها تنصبُّ على الأرض أكثر من المألوف فيشعرون بالفارق شعوراً ملموساً من جهة ثانية . ومن غريب المصادفات أن بعض الفلكيين من علماء

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ وبشارة الإسلام ص ١٢٩ بلفظ آخر .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٢٠ وبشارة الإسلام ص ١٢٩ بلفظ آخر .

(٣) الشعراء ـ ٤ ، والخبر في الإرشاد ص ٣٣٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٠ وص ٢٢١ وص ٢٨٤ وج ٥٣ ص ١٠٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٤ وبشارة الإسلام ص ٩٤ـ ٩٥ وص ١٧٦ ما عدا الآية الكريمة ، وإعلام الورى ص ٤٢٨ والملاحم والفتن ص ١٦٤ باختلاف يسير ، والإمام المهدي ص ٢٣٤ وإلزام الناصب ص ١٨٥ ما عدا آخره ، والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ .

(٤) البحار ج ٥٣ ص ١٠٩ وإلزام الناصب ص ٢٣٨ ومصادر كثيرة غيرها .

روسيا قد تنبأ حاليًا بأن الشمس ستتعرَّض لمفاجأة غريبة فتطلُع من الغرب بعد مضيّ خمس سنوات كما برهنَتْ له حساباته ومعلوماته . أي أن تلك المفاجأة كان ينبغي أن تكونَ في السنة : ١٩٨٢ ! ! . والعُهدة على من نقل هذا الخبر من الصُّحفيين . . وسترى شيئاً في موضوع طلوع الشمس من المغرب في أخبارنا القدسية . . أمَّا قول ابن عباس فإنَّه لا يَعني دولة العباسيين ، بل دولة الحق في آخر الزمان ، ولا ينبغي صرفه عن حقيقته . وأمَّا الوجه والصدر اللّذان يظهران في عين الشمس ، فهما غالباً وجهُ المسيح عليه السلام وصدرُه حين يَنزل من السماء فَيُعْرَفُ بحسَبه ونَسَبه ولا يشك به شاكٌّ بعد ذلك ، بدليل التنويه بالحسَب والنسَب هنا بصورة خاصَّة ، لأن المسيح عليه السلام آبنُ أمٍّ ولا أبَ له . . وستجد في كلام الصادق عليه السلام - قريباً - تفصيلاً وافياً لهذا الموضوع . .)

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

- وكفٌّ يطلع من السماء من المحتوم [1] . (وقال عليه السلام أيضاً :)

- ووجهٌ وصدرٌ يظهران للناس في عين الشمس [2] . (وليست اليدُ تلك القوّةَ الهائلةَ التي برَّزت في عالم الدفع فرفعت المركبةَ الفضائيةَ بواسطة الصاروخ إلى القمر بحسب رأيي ، ولا يَدَ رائد الفضاء التي رآها جميعُ أهل الأرض على شاشة التلفزيون وهي تعالج تربة القمر لتنقلَ شيئاً منها إلى سكان الأرض لدرسها في المختبرات ، بل ستكون آيةً من آيات الله تبارك وتعالى لم تَحْدُثْ إلى الآن ، ونحن بانتظارها . . وقد رُوي عنه ما يُشير إلى أنها آيةٌ ربَّانية حين قال عليه السلام :)

- إمارةُ ذلك اليوم أن كفّاً من السماء مدلّاة ينظر إليها الناس [3] .

(وحين قال الإمام الرضا عليه السلام :) يظهر كفٌّ من السماء تُشير : - هذا ،

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٣٣ .
(٢) الملاحم والفتن ص ١٦٤ .
(٣) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥١ ومنتخب الأثر ص ٤٤١ بلفظ آخر ، ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٢٣٣ .

هذا ! !(١) . (فلا بدَّ أن تكون آيةً بحيث تُشير الكفُّ إلى جهة ظهور القائم عليه السلام . . ثم حدَّدت بعض الأخبار موعدَ ظهور هذا الكفِّ أثناءَ اندلاع الفتن العامة التي تخبط العرب بعضَهم ببعض قُبيلَ ظهور القائم عليه السلام أي بعد النداء باسْمِه ، وبعد خروج السفيانيِّ بأشهر معدودة . . ثم جاء عن الصادق عليه السلام قولُه :)

ـ يظهر المهديُّ بعد غَيبةٍ ، مع طلوع النجم الأحمر ، وخراب الريِّ (منطقة بالعراق) وخسف الزوراء(٢) . (أي بغداد . ثم جاءَ عنه عليه السلام أيضاً :)

طلوعُ الكوكب المذنَّب يُفْزِع العرب ! . وهو نجمٌ بالمَشرق يُضيءُ كما يُضيءُ القمر ، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طَرَفاه . وتَظهر حمرةٌ في السماء ، وتنتشر في آفاقها(٤) . . (وفزعُ العرب لا يكون من النجم بحدِّ ذاته ، ولكنَّ طلوعه يرافق مرحلة خوفٍ ورُعبٍ بين العرب في مختلف أقطارهم بسبب الحروب . . ورُوي عنه عليه السلام هذا الخبر كما يلي :)

ـ يطلع نجمٌ من المشرق ، له ذَنَبٌ يُضيء(٤) . (ورُويَ عنه عليه السلام هكذا :)

ـ طلوعُ الكوكب المذنَّب(٥) . (وسترى في هذا المعنى كلاماً لأمير المؤمنين عليه السلام في موضوع : الزلازل . ثم جاء عن الصادق عليه السلام أخيراً :)

ـ تنكسف الشمس بعد ٱلصَّيحة في رمضان ، وقبل النداء . يكون ٱلرُّوم يومئذٍ قرب ساحل البحر ، عند كهف الْفِتْيَة ، فيبعث الله الْفِتْيَة من كهفهم مع كلبهم(٦) . (وهذا الخبر يدل على موعد كسوف الشمس الخارق للعادة بالتحديد ، ثم يدل على

---

(١) انظر الغيبة للنعماني ص ١٣٣ .
(٢) بشارة الإسلام ص ١٨٩ وإلزام الناصب ص ١٨٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٦ عن كعب الأحبار .
(٣) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٢٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ والملاحم والفتن ص ٣٤ وص ٣٦ وإلزام الناصب ص ١٨٢ والمهدي ص ١٩٦ نقلاً عن الفصول المهمة ، وبشارة الإسلام ص ٢٥ وص ١٧٥ والإمام المهدي ص ٢٣٢ وص ٢٣٣ جميعُها بألفاظ مختلفة ومتقاربة .
(٤) انظر الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦١ والمهدي ص ١٨٦ .
(٥) الملاحم والفتن ص ١١١ .
(٦) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٧٥ وج ٥٣ ص ٨٥ وبشارة الإسلام ص ٥٩ وص ٦٩ وص ٧٠ وإلزام الناصب ص ١٧٧ وص ١٨٠ .

أن القائم ﷺ يظهر وكثيرٌ من اليهود لا يزالون في فلسطين على سواحل البحر في عكا وما يليها كما أسلفنا ، لأن الكهف يقع في تلك المنطقة . ولن يبعث الله الفِتْية بعد موتهم ورُقودهم حواليّ ستة آلاف سنة ، إلاَّ بمعجزة تحصل على يد القائم بالحق عجّل الله تعالى فَرجه . . وقد مرَّ الخبرُ بنصِّه الكامل في موضوع يوم الخلاص في آخر كلام الإمام الصادق ﷺ .)

قال الإمام الرّضا ﷺ :

- قبل ذلك يومٌ بَوُوح [1] . (أي شديد الْحَرّ . . وورد بلفظ :)

- قبل هذا الأمر قتلٌ بَيوح . قيل : وما البيوح ؟ . قال : دائم لا يفتُر [1] . (أي : لا يهدأ . وبيوح : تشير إلى أن في ذلك القتل استباحة للدماء بحيث لا يفكّر القَتَلَة بالحرام والحلال ولا بأيّ أمر دينيّ . ولذلك استعمل الإمام ﷺ صيغة المبالغة .)

قالَ الحجّة المنتظر ﷺ :

- . . واجتمع الشمسُ والقمرُ ، واستدارت بهما الكواكبُ والنجوم [2] . . (وجمعُ الشمسِ والقمرِ يكون إبّان الخسوف أو الكسوف ، وسيكون هذا الجمعُ الخاصُّ حين تنكسف الشمس وينخسف القمر في غير موعدهما المعتاد كما رأيت في كلام الإمام الباقر ﷺ سابقاً . ولم يَعْنِ كلامُه غيرَ هذَين الخسوفِ والكسوفِ اللّذَين يكونان في آخر الزمان . . أما استدارةُ الفلك فتدور في فلك هذا المعنى بالذات ، وتعني تَحرُّكَ النظام الشمسيِّ بشكلٍ يحقِّق جَمْعَ الشمس والقمر - ولو بحسب الرؤية من الأرض - إذا لم يكن ذلك إشارة إلى الاستدارة التي قلنا عنها سابقاً في الكلام عن تقريب البعيد .

على أنه لا غرابةَ في جمعِ الشمس والقمر في لغة النبيِّ والأئمة صلواتُ الله وسلامُه عليهم ، لأنها وليدة لُغة القرآن الكريم الذي قال الله تبارك وتعالى فيه :

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٤٤ والبحار ج ٥٢ ص ١٨٢ وص ٢٤٢ وبشارة الإسلام ص ١٦٢ .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٧٣ وإلزام الناصب ص ١٠٨ .

﴿ وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَر ﴾ [1] . مضافاً إلى أن حسابَ الفلكيِّين أثبت أن النجومَ السيارة ستجتمع في هذا العام على نَسَقٍ واحدٍ قُبالةَ الشمس ، واجتماعُها بهذا الشكل نادرٌ يُنذِر بويلاتٍ أرضيَّةٍ كثيرة . . وقد قال ابنُ عباس (رض) :)

لا يَخرج القائمُ حتى تُطلِعَ الشمسُ آية [2] . . (وقد تكون الآية كسوفَ الشمس في غير أوانه ، أو لَبْثَ الشمسِ في الأفق ـ كما مرَّ ـ أو أنَّها الصَّدرُ والوَجهُ اللذان يظهران في عين الشمس ، أو طلوع الشمس من المغرب [3] ، أو هي غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم . .)

إنجيلُ متّى :

ـ (٢٤ : ٢٩ ـ ٣٠) : للوقت بعد ضيق تلك الأيام تُظلم الشمس ، والقمر لا يُعطي نورَه (وهذان هما الكسوف والخسوف اللَّذان تكلَّمنا عنهما سابقاً ، ويكونان في غير وقتهما المعتاد) والنجومُ تسقط من السماء ، (وهو القذف الذي ورد في أخبارنا) وقُوَّات السموات تتزعزع (وهذه الأشيار ترمز للقذائف ولزعزعة الآفاق بالحروب الصاروخية ، وقد تعني آيات سماويةً) وحينئذٍ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء (أي نزول المسيح عليه السلام) وحينئذٍ تنوح جميعُ قبائل أهل الأرض ويُبْصِرُ ابنُ الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوَّةٍ ومجدٍ كثير . (وقد نصَّت أخبارنا القدسية على ذلك بحرفه ، فإن نزول المسيح عليه السلام سيكون بين غَيمَتَين بمجدٍ وعظمةٍ بين صفوف الملائكة ، كما ترى في مكان آخر من هذا الكتاب . أمَّا نَوْحُ القبائلِ فيكون بعد المعارك المُبيدة ، وبعد معركة قرقيسيا التي ترى ذِكْرَها ، والتي يهلك فيها خلْق كثير . وهذه الصورة لنزول المسيح عليه السلام هي نفس الصورة الواردة عن أئمتنا الأطهار بذاتها ، وسيُعْرَف هذا النازل على الغيوم يومئذٍ بحسَبه ونَسَبه كما قلنا . .)

---

(١) القيامة ـ ٩ .

(٢) منتخب الأثر ص ٤٤٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٧ والمهدي ص ١٨٦ وبشارة الإسلام ص ١٧٨ وص ١٨٥ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٦ والملاحم والفتن ص ٦٢ وص ١٣٧ والإمام المهدي ص ٢٣٢ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٨٥ وجملة مصادر أخرى .

د ـ الزلازل وَالخسف

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ . . . . وتكثُر الزلازل [1] . (قالها في حديث طويل ، ثم قال ﷺ في مناسبة ثانية :)

ـ . . . . ثم رجفةٌ بالشام يهلَك فيها مئةُ ألف يجعلُها اللّهُ رحمةً للمؤمنين وعذاباً على الكافرين [2] . (رُوي بلفظه عن الباقر ﵇ وروي عن أمير المؤمنين ﵇ بلفظ : (أكثر من مئة ألف) ستراه في موضوع المغربيِّ . وقد تكون هذه الرَّجفة زلزالاً طبيعياً ، أو هزّة حربٍ وقذف ، وستتناول المنطقة التي كانت تسمَّى ببلاد الشام وهي لا تَعني دمشق وضواحيَها بصورة خاصة كما ذكَرنا مكرَّراً . ثم قال ، وكأنه يصف الحالة التي تكون عليها الدنيا بعد الحرب العالمية الذرِّية :)

ـ وخرابُ التُّرك من الصواعق [3] ! . (فهل كان رسول الله ﷺ ينظر إلى الصواريخ الموجَّهة والقذائف الذرِّية والهيدروجينية حين قالها ؟ ! . أجلْ ، لا بدَّ أن تُدمِّر هذه الآلاتُ الهدَّامةُ قارَّتين من بلاد التُّرك ـ أي الغربيين ، والحربُ على مَنْ أثارها ـ هذا ، مضافاً إلى أن الصواعقَ السماوية ربما ساعدت الصواعقَ الأرضية التي تصنعها الدول الكبرى للمواجهة فيما بينها ولإفناء قسم كبير من البشر معها . ورُويَ أنه ﷺ لما ذكر الخسفَ والرَّجفَ تحدَّث عن إرسالِ الشياطين المخلَّبة للناس ! . وتخليبُ الناسِ وترويعُهم بإرسال الشُّواظ من النار ، صرنا نألفُه من راجمات الصواريخ والقذائف المحرقة . أوَلا نرى مع النبيِّ ﷺ أن قُوَّاد الطائرات الهجوميَّة المقاتِلة هم اليومَ الشياطينُ المخلَّبة التي تَصرع اللُّب وتَذهب بالعقول بما

---

(1) بشارة الإسلام ص ٣٢ وكثيرٌ من المصادر .

(2) الغيبة للطوسي ص ٢٧٧ والملاحم والفتن ص ٥٣ بلفظ آخر .

(3) بشارة الإسلام ص ٢٨ وجملة مصادر أخرى ذكرت الخبر .

تُحدِثه من رُعب وترويع حين تُلقي على الأرض آلاف الأطنان من المتفجِّرات في اللّحظة الواحدة ، دون أن تفكِّر بالرحمة أو بالشفقة أو بأبسط المعاني التي ترفع الإنسان عن منزلة الوحوش الضارية ، كما جرى في هيروشيما وناكازاكي ، وكما يجري في غيرهما اليوم ، وكلّ يوم على مرأى ومسمع من الأمم المتحدة التي أقامت نفسها ميزان عدل بين الناس فكانت ألعوبةً بأيدي الدول الكبرى ؟ ! ! . ربما كانت هذه ، أو كانت تلك . . وقد وعدَ النبيُّ ﷺ بذلك وبأكثر ، فقال :)

ـ سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومَسخ [١] . (وجاء مثله عن أمير المؤمنين ؑ . ثم قال النبيُّ ﷺ :)

ـ يكون عند ذلك ثلاثةُ خسوف : خسفٌ بالمَشرق ، وخَسفٌ بالمَغرب ، وخَسفٌ بجزيرة العرب [٢] . (والخسف بجزيرة العرب هو آخر الخسوف ، لأنه الخسف بالجيش السفيانيّ . وقد بيَّن ذلك قوله ﷺ :)

ـ يَعوذ عائذٌ بالبيت (أي يلتجئ القائمُ ؑ إلى الكعبة) يُبعَث إليه جيشٌ (أي جيش السفيانيّ) حتى إذا كانوا بالبيداء (قُرب المدينة المنوَّرة) خُسِفَ بهم [٣] . (وقال ﷺ في حديثٍ آخر :)

ـ جيشٌ يجيءُ من قِبَلِ العراق (لأن السفيانيّ يكون غازياً للعراق) في طلب رجل من أهل المدينة (يعني الحُجة المنتظَر) يمنعه الله منهم . فإذا عَلَوُا البيداء من ذي الحُليفة خُسِفَ بهم فلا يُدرِك أعلاهم أسفَلهم ، ولا يُدرِك أسفلُهم أعلاهم إلى يوم القيامة [٤] . (أما القذف الأرضي فنعيشه كلَّ يومٍ صواريخَ ومتفجِّراتٍ تتساقط على

---

(١) نهج الفصاحة ج ٢ ص ٢٧٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٤٦ وفي الملاحم والفتن ص ١٠٢ تفصيل لبعض هذه الظواهر .

(٢) البحار ج ٥١ ص ٧٠ وج ٥٢ ص ٢٧٨ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٩ وإلزام الناصب ص ٦٤ وص ١٨٥ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ ومنتخب الأثر ص ٤٢٥ وبشارة الإسلام ص ٥ وص ١٤ باختلاف يسير ، وص ١٧٥ والإمام المهدي ص ٢١٧ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ١٨٦ والإرشاد ص ٣٣٦ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ مجملاً ، والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ بلفظ آخر ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨ وص ١٦٧ والصواعق المحرقة ص ١٦٣ والمهدي ص ١٩٣ والإمام المهدي ص ٥٢ وص ٧٣ .

(٤)) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٨ والملاحم والفتن ص ٦١ باختلاف يسير ، ومصادر كثيرة غيرهما .

الأبرياء ، وتُحدث الهدمَ والخَسْفَ والدَّمار . . فأعاذنا الله من الخَسف السماويِّ ، بل أعاذنا مما هو أعظمُ منه وهو المَسْخُ الذي لم نُعِرْه الأهمية اللائقة إلى الآن ! ! ! ونحن ننتَظِر لهذا العـالم المُقيم على البـاطـل كوارثَ لا يعلم مبلغَهـا إلاّ الله ، لأن أحداً من الناس لا يريد أن يَرعَوي . .)

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ . . وخسفٌ بالبيداء»[1] (وقد بيّنه بقوله عليه السلام :)

ـ جيش البيـداء يُؤخَـذون من تحت أقـدامهم ![2] . (ثم قـال في تفسيـر قـولـه تعـالى :) ـ ﴿ سَنُـريهِمْ آيـاتِنَـا في الآفَـاقِ ، وَفي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّـهُ الْحَقُّ ﴾[3] . نُريهم في أنفسهم المَسْخ ، ونُريهم في الآفاق انْتِقـاضَ الآفاق عليهم ، فَيرون قدرَةَ الله تعـالى في أنفسهم وفي الآفاق ! . وأمـا قولـه : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أنه الحق ﴾ : يعني بذلك خروج القائم فهو الحقُّ من الله عزَّ وجـلَّ ، يراه الخَلق ولا بـدَّ منه ! .[3] . (وانْتِقاضُ الآفاق الذي وعـد به الإمام عليه السلام أسوأ من هـذا الذي يَنْقُض الآفاق العربيَّةَ والإسلاميةَ من مدمِّرات إسرائيـل وقذائف النَـابَالم والصـواريخ المُحـرِقة والمتفجِّرات التي تتسـاقط على العباد ، لأنه سيكون أشدُّ من ذلـك كلِّه حين يرسـل الله تعـالى كِسَفاً من السمـاء على الجـاحـدين والمُنكِـرين الـذين يَعبـدون شيـاطين الإنس وشياطين الجنّ ! . ثم قال عليه السلام :)

ـ وخَسـفٌ في الحلّة والبصرة ، وقتلُ كثيرين[4] ! . (وبوادرُ ذلـك بدأت ظـروفُه التي حدَّدتها الأخبار الشريفة) .

---

(1) الإمام المهدي ص ٢٢٧ وإلزام الناصب ص ١٨٥ نقلاً عن كشف الغمة .

(2) البحار ج ٥٢ ص ٨٦ رُوي في نفس الصفحة عن الإمامين : الحسن السبط وزين العابـدين عليهما السلام ، وبشارة الإسلام ص ٢١ وص ١٥٧ عن الإمام الكاظم عليه السلام باختصار .

(3) فصّلت ـ ٥٣ ، والخبر في الغيبـة للنعمـاني ص ١٤٣ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٢١ وص ٢٤١ وص ٣٠٣ وج ٥١ ص ٦٢ رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام ، وبشارة الإسلام ص ١١١ وص ١١٦ وص ١٣٧ وص ١٧٦ وإلزام الناصب ص ٢٨ وص ١٧٨ والإرشـاد ص ٣٣٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٢ والإمام المهدي ص ٥٣ .

(4) منتخب الأثر ص ٤٢٥ وإعلام الورى ص ٤٢٩ والملاحم والفتن ص ١٠٢ وبشـارة الإسـلام ص ٧١ جميعُها بألفاظ مختلفة .

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

(في معرض حديث له عن الزوراء - أي بغداد - قال عليه السلام :)

- . . إرتفاع ريحٍ سوداء أولَ النهار ، وزلـزلةٌ ، حتى ينخسف كثيـرٌ منها [1] .

(ولهذه الظاهرة تفسيرٌ مفصَّل تراه في غير هذا المكان ممَّا يـأتي من بحث حالـة بغداد في عهد السفياني) .

---

(1) إلزام الناصب ص ١٨٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ والملاحم والفتن ص ١٦٤ والمهدي ص ١٩٥ نقلاً عن الفصول المهمة .

هـ ـ المسخ وَالقَذف

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ لَيَبِيتَنَّ قومٌ من هذه الأُمة على طعامٍ وشرابٍ وَلَهْوٍ ، ويُصبحون وقد مُسِخوا قِرَدَةً وخنازير [1] ! . (ورُوِيَ أنَّه ﷺ قال في معرض كلامه عن فقهاء السوء في آخر الزمان :)

ـ والذي بَعثني بالحقِّ لَيَخسفنَّ بهم ويمسخهم قردةً وخنازير [2] ! . (فهل بقي شكٌّ ، بعد هذه اليمين المؤكَّدة من فمِ سيِّد الخلق ، بأنَّ المسخَ واقعٌ في بعض أفراد أمَّته في آخر الزمان ؟ ! . لا ، لا . وها هوذا يُبيِّنُ الذين يقع فيهم المسخُ والقذفُ بقوله ﷺ :)

ـ يكون في هذه الأُمة خسفٌ وقذفٌ في مُتَّخِذي القَيْنات وشاربي الخمور . . بينا هم في شرابٍ وخمرٍ ، وضربِ معازِف ، حتى يرسلَ الله عليهم فيَغدون قِرَدَةً وخنازير [3] ! . (وقد جاء عنه ﷺ بشأن منطقة إسلامية خاصَّةٍ ، قولُه :)

---

(1) بشارة الإسلام ص ١٧٦ نقلاً عن الإرشاد .

(2) إلزام الناصب ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(3) انظر بشارة الإسلام ص ١٧٦ والإرشاد ص ٣٣٨ وإعلام الورى ص ٤٢٨ وغيرها من المصادر .

ـ ممّا يُمَصّرون مصرٌ يقال له : البصرة . فإن أنت وردتها فإيّاك ومِقْصَفها وسوقَها وبابَ سلطانها . فإنها سيكون فيها خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ ! . آيةُ ذلك أن يموت العدل ، ويفشو فيها الجَور وشهادة الزُّور ، ويكثر الزنا . (وقد استعمل النبيُّ ﷺ لفظ : مِقْصَف ، مصرّحاً بالمطاعم التي تُضع المسكر على موائدها . . ثم جاء عنه ﷺ أيضاً :)

ـ لم يَجْرِ في بني إسرائيل شيءٌ إلاّ يكون في أُمتي مثله ، حتى الخسف والمسخ والقذف[1] ! . (وقانا الله من هذه الظاهرة التي يتجلّى فيها غضبُ الله على المُفسدين في الأرض من الناس ! .)

قال الإمام الصّادق ؏ :

ـ تَهيج ريحُ الزوراء . يُنْكِرها الناس ، فَيَفزعون إلى علمائهم فيجدونهم قد مُسِخوا قِرَدَةً وخنازير ، تَسْوَدُّ وجوهُهم ، وتَزْرَقُّ عيونهم[2] ! ! ! (فنعوذ بالله وحده من شرِّ ذلك اليوم الذي ينزل فيه مثل هذا الغضب الذي قال عنه أيضاً في تفسير الآية الكريمة :)

ـ ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأكْبَرِ ﴾[3] : أيُّ خزيٍ أشدُّ من أن يكون الرجلُ في بيته وأصحابه ، وعلى خِوانِهِ وسطَ عياله ـ أي جالساً إلى طاولة السفرة يتناول الطعام ـ إذ شَقَّ أهلُه الجيوبَ عليه وصرخوا ، فيقول الناس : ما هذا ؟ فيقال : مُسِخَ فلانٌ الساعةَ ! . وقد سأله صاحبُه أبو بصير رضوان الله عليه : يكون هذا قبل قيام القائم أو بعده ؟ فقال : لا ، قَبل . .[3] .

(ولو مُسِخَ الجاهلُ لَهانَ الأمر ، ولكنْ ما أصعبَ أن يُمْسَخَ العالِمُ يا علماءَ السُّوء ! .) .

---

(١) البحار ج ٥٣ ص ١٣١ .
(٢) الملاحم والفتن ص ١١٧ .
(٣) السجدة ـ ٢١ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٤٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ وإلزام الناصب ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

قال الإمَام الكاظِم عليه السلام :

ـ تكثر الفتنُ في آفاقِ الأرض ، والمَسْخُ في أعداء الحق [1] . (والفتن اليوم تُغطي الأرضَ المسكونةَ من أطرافها ، وهي على ازدياد ، وقد ذاقت منها بلادُنا الحظَّ الأوفر . ثم جاء عنهم صلوات الله عليهم :)

ـ . . ومَسْخٌ لقومٍ من أهلِ البِدَع حتى يصيروا قردةً وخنازير [2] ! .

(١) الإرشاد ص ٣٣٨ وإعلام الورى ص ٤٢٨ .
(٢) إلزام الناصب ص ١٨٥ والإمام المهدي ص ٢٣٤ .

و ـ الصيحة

. . والنداء :

(وردت نصوصٌ مختلفةٌ للنداء ، وتواتَر هذا النّصّ :)

ـ ألا أيُّها الناس : إنَّ اللّهَ قد قطع مدة الجبَّارين والمنافقين وأتباعهم ، وَوَلَّيَكُم خيرُ أمة محمد ﷺ فالْحَقوه بمكة ، فإنه المهديّ [1] .

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ يظهر في السماء آيةٌ لِلَيلَتَين تَخلوان من شهر رمضان [2] .

ـ وينادي منادٍ من السماء : إنَّ أميركم فلان ، وذلك هو المهديّ [3] . (والنداء يكون بصوت جبرائيل الأمين ﵇ . والآيةُ السماويةُ قد تكون الكفُّ التي تتدلَّى ـ كما مرَّ معنا ـ . ونحن نقول لمن لا يتحمَّلُ ذهنُه هذا القول الكريم ، أو تَعجز عقيدتُه عن استيعابِ حدوثِ هذه الصرخة السماوية المدوِّية ـ نقول له : إن صوت إذاعة القائم بالحق عجَّل الله فرَجه لن يكون أضعف من صوت إذاعاتِ غيرِه من البشر ! . وسيبثُّ

---

(١) الإرشاد ص ٣٣٦ وص ٣٣٨ والملاحم والفتن ص ١١٥ وص ١١٩ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ والاختصاص ص ٢٠٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٠٤ ومنتخب الأثر ص ٤٩٩ والمهدي ص ٩٠ وبشارة الإسلام ص ١٧٧ ، وبعضها باختلافٍ يسير .

(٢) الملاحم والفتن ص ٣٥ .

(٣) بشارة الإسلام ص ١٧٧ .

من مكّة المكرّمةِ نداءاتٍ كثيرةً مثل هـذا النداء ، سيسمعُهـا الإنسانُ ـ كـلُّ إنسان على الأرض ـ راضياً عنها كان أو غير راضٍ بإذن الله تبارك وتعـالى . . ثم جاء عنـه ﷺ في الموضوع) :

ـ سيكـون في رمضان صوتٌ ، وفي شـوال مَعمعـةٌ ، وفي ذي الْحِجـة تَحـاربُ القبائلِ . وعلامتُه أن يُنهب الحاجّ ، وتكون ملحمةُ مِنى وتكثُر فيهـا القتلى وتسيل فيهـا الدماء ، حتى تسيل دماؤهـم على الجمرة [1] .

(أي حين رَمْيِ الْجِمـارِ في منًى ، أثناء أداء فـريضة الحـج . وستمرُّ بتـوضيحٍ وتفصيلٍ لهذا الحدَث في الآتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، في موضوع الفتن العامة في كلام رسول الله ﷺ ، وفي كلام الإمام الصادق عليه السلام) .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ أما سمعتم قولَ الله عـزَّ وجلّ في القـرآن الكريم : ﴿ إِنْ نَشَـأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِن ٱلسَّمَاءِ آيَةً ﴾ : آيةً تُخرجُ الفتاةَ من خِدْرهـا ، وتوقظُ النـائم ، وتُفزِعُ اليقـظان [2] ! .

(وورد عن الإمام الصادق عليه السلام مثله بزيادة :)

ـ فلا يبقى يومئذٍ في الأرض أحدٌ إلاّ خضعَ وذلّت رقبتُه لها [3] .

(ثم جاء عن الباقر عليه السلام في الموضوع :)

ـ يُنادى من السماء أول النهار : ألاَ إنَّ الحقَّ مع عليٍّ وشيعته ، ثم ينادي إبليسُ في آخـر النهـار من الأرض : ألاَ إنَّ الحقَّ مـع فـلانٍ وشيعتـه ، فعنـد ذلـك يـرتـاب

---

(1) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦١ وبشـارة الإسلام ص ٣٤ بلفظ آخـر ، والملاحم والفتن ص ٣٣ وص ٣٦ بلفظ قريب ، وص ١١٤ نصفُه الأول .

(2) الشعـراء ـ ٤ ، والخبـر في الغيبـة للنعمـاني ص ١٣٣ والبحـارج ٥٢ ص ٢٢٩ وص ٢٣٤ وص ٣٠٤ ومنتخب الأثر ص ٢٢٠ رُوِيَ التأويـل عن الإمام الـرضا عليه السلام ، وينـابيع المـودة ج ٣ ص ١٠٩ بلفظ آخر ، وبشارة الإسلام ص ٤٩ القسمُ الأخيرُ منه ، ومثله في ص ١٢٠ عن الإمام الصادق عليه السلام ، وص ١٦١ عن الإمام الرضا عليه السلام ، والإمام المهدي ص ٤٥ وص ٢٢٠ وإلـزام الناصب ص ١٧٧ .

(3) الإمام المهدي ص ٤٨ ومصادر أخرى .

المُبْطِلون . (وتلك نخوةُ الشيطان ! .)[1] (ثم قال أميرُ المؤمنين عليه السلام :)

ـ إذا نادَى منادٍ من السماء : إنَّ الحقَّ في آل محمد ، فعند ذلك يظهر المهديُّ على أفواه الناس ، ويُشربون حبَّه ، ولا يكون لهم ذِكْرٌ غيرِه[2] . (وجاء عن الصادق عليه السلام :)

ـ إذا نادَى المنادي باسم المهديِّ من السماء ، يَظهرُ اسمُه على أفواه الناس ، ويُسَرُّون فلا يكون لهم ذِكْرُ غيره[2] . (وعنه عليه السلام في حديث آخر :)

ينادي منادٍ من السماء : يا أهلَ الحقِّ اجتمعوا ، فيصيرون في صعيد واحد . ثم ينادَى مرةً أخرى : يا أهل الباطل اجتمِعوا ، فَيصيرون في صعيدٍ واحد[3] . . (ثم قال عليه السلام :)

ـ . . ثم لا يستقيم أمر الناس على شيءٍ ، ولا يكون لهم جماعة ، حتى ينادِيَ منادٍ من السماء : عليكم بفلانٍ ، وتَطلع كفٌّ تُشير[4] . (وهذه من الآيات العجيبة التي لا بدَّ أنها واقعة . . ثم جاء عنه عليه السلام :)

ـ ينادي منادٍ في شهر رمضان عند الفجر ، من ناحية المشرق : يا أهلَ الهدى اجتمِعوا ، وينادي منادٍ من قِبَلِ المغرب ، بعد مغيب الشمس : يا أهل الباطل اجتمِعوا[5] . . (والنداء الثاني ، لا يكون قطعاً بلفظ : يا أهل الباطل صراحةً ، بل

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٥٧ وإعلام الورى ص ٤٢٦ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥١ وبشارة الإسلام ص ٨٨ و ٩٢ وص ٩٦ وص ١٢٦ وص ١٢٩ وص ١٣٨ و ٤١٠ رُوِيَ عن الصادق عليه السلام ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٩٠ والملاحم والفتن ص ٤٨ وص ٤٩ وإلزام الناصب ص ١٩٨ باختلافٍ يسير فيما بينها .

(٢) منتخب الأثر ص ١٦٣ وص ٤٤٣ وبشارة الإسلام ص ١٨٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ والإمام المهدي ص ٢٢١ وص ٦٩ نصفُه الأول ، والملاحم والفتن ص ٤٧ والمهدي ص ٩٥ وص ٩٦ ونور الأبصار ص ١٧٢ بلفظ آخر ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٠ وإلزام الناصب ص ٢٥٧ نقلاً عن البيان .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٧٤ والإمام المهدي ص ٣٥.

(٤) الملاحم والفتن ص ٤٨ وص ٤٩ وبشارة الإسلام ص ٧٩ ما عدا آخره .

(٥) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٤ وص ٢٧٥ وص ٣٦٥ بعضه ، وج ٥٣ ص ٨٤ وبشارة الإسلام ص ٥٩ وص ٧٠ والغيبة للنعماني ص ١٧١ أوله ، وإلزام الناصب ص ١٥٦ وص ١٧٦ وص ١٧٧ .

يكون نداءً يَعتني أهلَ الباطل ، ولا يعتني به إلاّ أهلُ الباطل دون غيرهم ، بحيث ينادى بذكْرِ أسماءٍ وعائلاتٍ ونعوت ، أو قبائل أو مبادىء أو حزبيّات . . وهذا ما رمز إليه الإمام عليه السلام . . ثم ورد عنه أخيراً :)

- ينزل جبرائيل يومئذٍ على صخرة بيت الْمَقدِس ، فيصيحُ في أهل الدنيا : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ [1] . . (هذه الصيحة غير النداء . وقد عبَّر عنها سائر الأئمة عليهم السلام بالصيحة تمييزاً لها عن النداء) .

قالَ الإمَام الحسَين عليه السلام :

- ينادي منادٍ باسم المهديّ ، فيسمع مَنْ بالمَشرق ومَن بالمغرب [2] ! . (فلم تُلْهِ الحسينَ الشهيد عليه السلام همومُ حياته ولا معركة كربلاء وما سبقها ولا ما واكبها عن أن يوضح الطريق لشيعته ويحدِّث أجيالنا الحاضرة التي صارت تصدِّق بإمكانية استماع أهل المَشرق والمغرب في آنٍ واحد ، كأنه يعلم أننا قد أَلِفْنا المذياع الذي تم اكتشافه بعد اثني عشر قرناً من عهده . . فجزاه الله خير الجزاء بما جاهد في سبيل الإبقاء على عقيدتنا ، وبما أنار من طريقنا ، وبما عَجم من عودِنا طمعاً في أن نكون على هدًى من ربّنا . .) .

قال الإمام زين العَابدين عليه السلام :

- وَاللّهِ إن ذلك في كتاب الله لَبيّنٌ حيث يقول : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ . فلا يبقى في الأرض أحدٌ إلاّ خضع وذلَّت رقبته لها . ويثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق ، وهو النداء الأول . ويرتاب الذين في قلوبهم مرضٌ حين النداء الثاني [3] .

(1) الإسراء - ٨١ ، والخبر في بشارة الإسلام ص ٢٢٠ وإلزام الناصب ص ١٩٩ .

(2) المهدي ص ١٨٦ وبشارة الإسلام ص ٨٥ وص ٩١ - ٩٢ عن الباقر عليه السلام ، وص ١٧٩ والإمام المهدي ص ٢٢٢ والغيبة للنعماني ص ١٣٤ عن الباقر عليه السلام أيضاً ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٣٠ .

(3) قَ - ٤١ و٤٢ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٩٢ عن الإمام الصادق عليه السلام ، ومثلُه في الغيبة للنعماني ص ١٣٨ بلفظ قريب ، والإمام المهدي ص ٥٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ بلفظ آخر ، ومنتخب الأثر ص ٢٢٠ قرأها الإمام الرضا عليه السلام ، وقال : أي خروج ولدي القائم المهدي . .

(هذا حق . . ولكنْ من أين لنا بمن يعرف الحقَّ ويُؤمن به ثم يبلغ إيمانه بـه أن يُقسم يميناً على ذلك ولا يـرتاب قلبُـه في ما جـاء عن ربِّه ؟ ! . ولقـد علّق على هذه الآيـة الكريمة حفيدُه الصادق عليه السلام بقوله :)

ـ فيؤمن أهـلُ الأرض إذا سمعوا الصـوت من السماء : ألاَ إنَّ الحقَّ في عليٍّ بن أبي طالب وشيعته ! . فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهـواء حتى يتوارى عن أهـل الأرض فينادي : ألاَ إنَّ الحق في فلان [1] . .

(ومَن مِن المسلمين لم يقـرأ هذه الآيـة ؟ ! . لكنّه لا يلتفت ملتفتٌ إلى النداء من مكـان قريب ، ولا إلى الصيحـة ولا إلى يوم الخـروج ، لأن الـذهن ينصـرف إلى مظهرٍ من مظاهر الآخرة يوم البعث . .

أجل ، نحن نقرأها آناء الليل وأطراف النهار ، ولكن أين منّا تأويلُ الأئمة ـ وهم عِدْلُ القرآن ـ وأين منّا إيضاحهم للكثير الكثير بالكلام القليـل ؟ ! إنه لم يتسنّ لغيـرهم فهمُ ظاهر القرآن وباطنـه ! . فاسمـع واعجب كيف أوّلَ الصادق عليه السلام هـذه الآية . إذ قال في مرة ثانية :)

ـ ينادي منادٍ باسمِ القائم واسمِ أبيه عليه السلام . يَسمعون صـوتاً لا مِنْ ذي ولا ذي هو ! ! ! لكنهم يسمعون صوتاً ما قاله إنسٌ ولا جانٌّ : بايِعوا فلاناً بـاسْمِه ، لا مِنْ ذي ولا ذي هو [2] ! ! !

(فقد صوَّر لنا صوتاً يتردَّد في الآفاق ، لا هو من فـوق ولا من تحتُ ! . ولا هو من الأمام ولا من الوَراء ! . ولا هو من اليمين ولا الشِّمال ! . ولا هو صوت إنسان ولا هـو صوت جـانّ ! . يأتي من كـلِّ ناحيـة ، ويملأ الخـافقَين فيلفُّ الأرض ومَن فيها ، بلهجـة لا من هذه المحـطة ولا تلك ، ولا من هذه الـدولة ولا من غيـرها ، ولا بهـذه اللغـة دون سواهـا ، بل هـو على هذا الشكـل العجيب ، وبسـائر اللغات . . وللكـلِّ الكلِّ على الإطلاق ! .

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٦ وص ٣٠ بلفظ آخر ، وص ١٨٤ وص ٢٤٢ .
(٢) انظر ينابيع المودة ج ٣ ص ٨٤ والمـلاحم والفتن ص ٢١ وص ٦٤ وبشارة الإسـلام ص ٩٩ عن الإمام الباقر عليه السلام .

فهل غير الصادق ﷺ يستطيع أن يصوِّر هذا التصوير ، بمثل هذه الألفاظ الفريدة من نوعها ، وبهذه الأفكار المبتدَعة التي ينرمز إليها منذ أكثر من ألف ومئتي سنة ، يقولها باطمئنان المؤمن ، الأمين من حدوثها ، كأنه هو المخطِّطُ لها والمنفِّذ ؟ ! . عقُم الدهر عن محمدٍ آخر يلد مثل الصادق صادقاً آخر ! . وستقرأ له إيضاحاتٍ عجيبةً في هذه المواضيع إن شاء الله . .)

قالَ الإمَام البَاقِر ﷺ :

ـ وجاءت صيحةٌ من السماء بأنَّ الحقَّ فيه ـ أي في عليٍّ ﷺ ـ وفي شيعته فعند ذلك خروجُ قائمنا [١] . (ثم قال ﷺ :)

ـ يختلف أهل الشرق وأهل الغرب ، نعم وأهل القبلة (يعني المسلمين أيضاً ، لأن أكثر الناس من غير المسلمين) وَيَلْقَى الناس جهداً شديداً مما يمرُّ بهم من الخوف . فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي منادٍ من السماء . فإذا نادَى فَالنَّفْرَ آلنَّفْر [٢] ! . (فللَّه مهجة مَن بقرَ العلم بقراً ومن انفتحت له حُجُبُ الغيب فاطَّلع على ما نحن فيه من خلاف شرقيٍّ ـ غربيٍّ ، ينزلق فيه المسلمون أيضاً ، لأنهم يَنتمون إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء ، ذلك الخلاف الذي نَذوق مرارته أثناء كتابة هذه السطور . . وقد نبَّهنا الإمامُ إلى أن النداء سيكون عقب الاختلاف ، ثم دعا البقيَّة الباقية من المؤمنين إلى آلنَّفر لِنُصرة القائم بالحق عجَّل الله فرَجه . . ثم قال يحدِّد الوقتَ كسلَفِه وكَخَلَفِه ﷺ :)

ـ الصيحةُ لا تكون إلاَّ في شهر رمضان ، لأن شهرَ رمضان شهرُ الله ، وهي صيحة جبرائيل إلى الحق [٣] ! . (ثم قال ثانية :)

---

(١) الإمام المهدي ص ٢٢٧ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٣٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٥ والإرشاد ص ٣٣٧ والملاحم والفتن ص ١١٤ بعضه ، وبشارة الإسلام ص ٩٥ بتفصيل جاء فيه :
ثم يتملَّك بنو العباس فلا يزالون في عنوانٍ من المُلك ، وغَضارةٍ من العيش ، حتى يختلفوا فيما بينهم ، فإذا اختلفوا ذهب مُلكهم .إلخ . . .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٣٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٠ وبشارة الإسلام ص ٩٢.

الصيحةُ في شهر رمضان في ليلة الجمعة ، ليلة ثلاثٍ وعشرين ، فلا تَشُكُّوا في ذلك واسمَعوا وأطيعوا . وفي آخر النهار صوتُ إبليس اللّعين ينادي : ألاَ إن فلاناً قُتل مظلوماً يشكّك الناس ويَفْتِنُهم ! . فكم في ذلك اليوم من شاكٍّ متحيّرٍ قد هوَى في النار ! . وعلامة ذلك أن جبرائيل عليه السلام ينادي باسْمِ القائم واسْم أبيه عليه السلام ، حتى تَسْعَد العذراءُ في خدرها فتحرِّض أباها وأخاها على الخروج [1] . (وورد عن ابنه الصادق عليه السلام بهذا المعنى قولُه :)

- يكون النداء ليلة الجمعة لثلاثٍ وعشرين من شهر رمضان ، أولَ النهار بعد صلاة الصبح : ألاَ إن الحق في فلانٍ بن فلانٍ وشيعته ، توقِظ النائم ، وتُقعد القائم أو تُخرجه إلى صحن داره . لأنها تُفْزِع اليقظان ، وتُخرِج العواتكَ من خُدورهنَّ ، فتحرِّض العذارءُ أباها وأخاها على الخروج [2] . (والعواتكُ هنَّ كريماتُ النساء الصافياتُ الإيمان ، وورد عنه شَبيهٌ به تطالعه في كلامه العجيب التالي قريباً . ثم جاء عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم والباقر والصادق عليهما السلام :)

- كأنّي بهم أسَرَّ ما يكونون وقد نُودوا نداءً يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُب ! . [3] (وسماع الصوت عن بعد وعن قرب سهل يسير ، لأن محطات الْبَثّ تقرع أسماع الناس ليلَ نهار . ونحن نرى الأقزام يتكلمون اليوم وراء مكبِّرات الصوت فيظنون أنهم قد صاروا عمالقةَ كلام ! ! ! والعجيب هو أمر هؤلاء الأئمة الذين حَكَوْا منذُ مِئاتِ السِّنين ، عن أشياء نحياها نحن ونتقلَّب فيها ، وكأنهم شاركوا الناس عصورهم وقاسموهم معايِشَهم ! . إنهم وأيمُ الحقِّ فوق إدراك المُدركين منّا ، فأوْلَى

---

(1) البحار ج ٥٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ ومنتخب الأثر ص ٤٤٩ والغيبة للنعماني ص ١٣٤ والغيبة للطوسي ص ٢٧٤ قريبٌ منه ، وكذلك في بشارة الإسلام ص ٩٢ وص ١١٩ أوله وص ١٦٦ عن الإمام الجواد عليه السلام ، ومثلُه في ينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ .

(2) الغيبة للنعماني ص ١٣٤ وص ١٥٦ وبشارة الإسلام ص ١٥٦ عن الإمام الصّادق عليه السلام ، وص ١٠٠ شيء منه ، والملاحم والفتن ص ١١٧ بلفظ آخر ، ومنتخب الأثر ص ٤٥٣ نصفه الأول .

(3) الغيبة للنعماني ص ٩٤ والغيبة للطوسي ص ٢٠٨ ومنتخب الأثر ص ٤٢٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٩ وبشارة الإسلام ص ١٦٠ وص ١٦٤ وإعلام الورى ص ٤٠٨ وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الباقرَين عليهما السلام .

لِلْذِين يِهرِفون بما لا يَعرِفون من المتحذلقين والجهلاء ثم أوْلَى لهم أن يعقلوا لو كـانوا يعقلون ! ! ! ثم جاء عنه ﵇ في التوجيه وحسن التدريب :)

ـ أسكنوا ما سكنتِ السماء والأرض ، فإنَّ أمرَكم ليس به خفَاء . ألَا إنها آيةٌ من الله عزَّ وجلَّ ليست من الناس ! . ألَا إنها أضوأ من الشمس ، لا تخفَى على بِرٍّ ولا فاجر ! . أتعرفون الصّبح ؟ . فإن الصبح ليس به خفاء [1] . (رُوي عن الصادق ﵇ بلفظه . وتحرُّك السماءِ يكون بالنداء المنبعث منها يومَ يَفتتح جبرائيلُ ﵇ محطتَها الإذاعيةَ التي تعلن الشرارة الأولى للحرب على الباطل . وتحرُّكُ الأرضِ هو يومُ البطشة بالجيش السفيانيِّ كما مرَّ سابقاً . ثم جاء عنه ﵇ أيضاً :)

ـ لا بُدَّ من هذين الصوتَين قبل خروج القائم ﵇ : صوتٍ من السماء ، وهو صوتُ جبرائيل ، وصوتٍ من الأرض ، وهو صوتُ إبليس اللّعين [2] . (ومنادي الأرض سيكون إبليسَ الجنّ فعلاً يروِّج نداءهُ أبالسةُ الناس قطعاً . والصوتُ الأولُ يبشِّر ويُنذِر ، والثاني يثبِّطُ ويكذِّب ! ! .

وبالمناسبة نذكر ما قاله أبو جعفر المنصور ، الخليفةُ العباسيُّ ، يوماً لسيف بن عُميرة :

ـ لا بدَّ من منادٍ ينادي في السماء باسمِ رجلٍ من وُلْدِ أبي طالب . فقال سيف مُستهجناً : يا أميرَ المؤمنين ، وأنت ترى ذلك ؟ . ـ أي تعتقده ؟ . ـ قال : إي والّذي نفسي بيده لسماع أذني له . فقال سيف : لم أسمع هذا الحديث من قبل . فقال المنصور : إنّهُ الحق . فإذا كان ذلك فنحن أول مَن يُجيبهُ ، أمَا إنَّ النداءَ لرجلٍ من بني عمّنا . فسأل سيف : رجلٌ من بَني فاطمةَ ﵍ ؟ . قال المنصور : نعم ، ولولا أنني سمعتُه من أبي جعفرٍ ، محمد ، وحدَّثني به أهلُ الأرض كلُّهم ما قَبِلْتُه منهم . ولكنَّه محمد بن عليّ ﵇ [3] . (أي لولا أن الإمام الباقر ﵇ حدَّثه به لَمَا

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٠٦ وبشارة الإسلام ص ٨٨ بلفظ آخر ، وص ٨٩ ، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٤٢ : ما سكنت السماءُ من النداء والأرضُ من الخسف ، وكذلك في معاني الأخبار ص ٢٦٧ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٣١ .

(٣) الإمام المهدي ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ نقلاً عن الإرشاد ص ٣٨٥ .

صدّقه من غيره بوجهٍ من الوجوه . .) .

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

- إختلافُ بني العباس من المحتوم ، والنداءُ من المحتـوم ، وخروجُ القـائم من المحتوم . . [1] .

(وبَنـو العباس رمزٌ يستعمله الأئمة عليهم السلام جميعـاً للدلالـة على مَن يتـربَّـع على عـرشهم في بغداد يقيناً ، وسيقع هـذا الخلاف دون ريبٍ في يـومٍ قريبٍ من عهـدنـا الحاضِر . . ثم قال عليه السلام :)

- إن القـائم لا يقوم حتى ينـادي منادٍ من السمـاء ، تسمع الفتـاةُ في خِدْرهـا ، ويَسمع أهلُ المشـرق وأهلُ المَغـرب . وفيـه نـزلت الآيـة . . . لَوْ كـانَتِ الصَّيحـةُ خَضَعَتْ لها أعناقُ أعداءِ الله عزّ وجل . . [2] (ثم قال مُوَجِّهاً شيعتـه لئلا يَشتبهـوا في الوقائع :)

- إتَّقـوا اللّهَ ، واسكُنوا مـا سكَنت السماءُ والأرض [3] . (ورد بلفـظه عن الإمام الرضا عليه السلام وفسَّر القولَ ما ختمه به وهو قولهُ : . . ما سكنتِ السماء من النِّداء باسْمِ صاحِبكم ، ومـا سكنت الأرض من الخسـف بـالجيش . ثم جـاء عن الصـادق عليه السلام قولُه :)

- إنها تكون صيحةٌ تَتبعها هَدَّة [4] . (وجاء عنه أيضاً :)

- إنهـا تكون ثـلاثة أصـوات في رجب . الأول : ألاَ لعنـةُ الله على الـظالمين .

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٥٨ والغيبة للنعماني ص ١٣٦ وبشارة الإسـلام ص ١٢٧ وص ١٤٠ والمهدي ص ٢٢٣ أوله وص ٢٢٨ .

(٢) الغيبة للطوسي ص ١١١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٥ وص ٣٠٤ نصفُـه الأخير ، ومنتخب الأثـر ص ٤٥٠ دون آخـره ، ومثلُه في الغيبـة للنعمـاني ص ١٣٤ وبشـارة الإسـلام ص ٩٤ عن الباقر عليه السلام .

(٣) معاني الأخبار ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وبشارة الإسلام ص ٨٩ عن الباقر عليه السلام ، وص ١٢٠ بـاختلاف يسير ، والبحار ج ٥٢ ص ١٨٩ وص ٢٨٩ وص ٣٠٥ وص ١٣٩ عن الباقر عليه السلام أيضاً .

(٤) الملاحم والفتن ص ١١٧ والإمام المهدي ص ٤٨ ـ ٤٩ وبشارة الإسلام ص ١٢٠ بلفظ آخر.

والثاني : أزِفَت الآزفةُ يا معشَر المؤمنين . والثالث : يرَى النـاس بدنـاً بارزاً نحـو عين الشمس ـ مـع قرنهـا ـ ينادي : ألاَ إنَّ اللّهَ قـد بعث فلانـاً بن فـلان . حتى يَنْسِبَـه إلى عليٍّ عليه السلام فيه هلاكُ الظالمين ، فاسْمَعوا له وأَطيعوا . فعند ذلـك يأتي الفـرَجُ ويذهب غيظُ قلوبهم [١] . (وورد عن البـاقـر عليه السلام قـريب منه . وَسَيَبْهَتُ الله المنكِـرين حين حـدوث هذه الآيـات ، وسيتحقّق ما عنتـه الآية الكـريمة : ﴿ إِنْ نَشَـأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً . . ﴾ أمّا البَدنُ في عين الشمس فهو معجزةٌ ربـانيّة ، ولا عجبَ أن يكـون الله تعالى أقدرَ من خَلْقه الذين استطاعوا أن يُرُوا الناسَ إنساناً يتكلم ويتنقل على سطح القمر بمعجزة فذَّةٍ حقّقها عبادُه ! ! ! ثم قال عليه السلام مفصِّلاً ومعيِّناً :)

ـ العامُ الذي فيـه الصيحة ، قبلَه الآيـةُ في رجب . فقيل لـه : وما هي ؟ . قـال وجهٌ يَطلع في القمر ، ويدٌ بارزة ، وتَطلع كفٌّ تُشير . والنداء الذي من السماء يَسمعـه أهلُ الأرض : كلُّ أهل لُغةٍ بلُغتهم [٢] . (ووردَ بهذا المعنى) :

ـ يكون فرقـةٌ واختلافٌ حتى يـطلع كفٌّ من السماء ، وينـادي منادٍ : إنَّ أميـركم فلان [٣] .

(ثم وردَ أيضاً :) ـ ووجهٌ وصَدرٌ يظهران للناس في عين الشمس [٤] .

(ثم رُوي عنه عليه السلام أيضاً :) ـ وينادي منادٍ من السمـاء في أول النهار ، يسمعُـه كل قوم بألسنتهم ـ أي بلُغاتهم ـ : ألاَ إنَّ الحقَّ في عليٍّ وشيعته [٥] . . . . ! .

---

(١) الغيبـة للطوسي ص ٢٦٨ والغيبـة للنعمـاني ص ٩٤ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ وج ٥٣ ص ٩١ وإلزام النـاصب ص ١٧٠ ومنتخب الأثـر ص ٤٢٢ والإمـام المهـدي ص ٢١٦ وبشـارة الإسلام ص ١٦٠ ـ ١٦١ وص ١٦٤ ، وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الإمام الرضـا عليه السلام في بعضها .

(٢) انظر بشارة الإسـلام ص ١٢٠ وص ١٢٧ بلفظ آخر ، والمحجـة البيضـاء ج ٤ ص ٣٤٣ آخـره ، والغيبـة للنعمـاني ص ١٣٣ أولـه ، ومثلُه في البحـار ج ٥٢ ص ٢٣٣ ، ومنتخب الأثـر ص ٤٥٠ والإرشاد ص ٣٣٧ نصفُه الأخير .

(٣) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥١ .

(٤) إلزام الناصب ص ١٨٥ .

(٥) إلزام الناصب ص ١٩٠ والإمام المهدي ص ٢٢٨ .

(وما أكثر الوجوه التي رأيناها ومُعاصرينا في القمر من روّاد الفضاء ! . وما أكثر الأيدي التي شوهِدت تَحفِر سطحه لتحمل لنا من تُرابه وصخوره ؟ ! فلا غـرْوَ أن ننظر يداً وسلطاناً سماوياً بعد أن حقّق العلماءُ من البشر انتصاراتِهم المعروفةَ في غَزْوِ القمر وبقيّـة الكواكب ! . ثم مـا أعظمَ إمـامَنا حين يُعلِن أن الصـوت يَسمعه كـلُّ أهـل لُغـةٍ بلُغتهم ! ! ! فنداء جبرائيل عليه السلام بأمر ربِّه لن يكون أغربَ ممّـا يجري في أروقـة الأمم المتحدة مثلاً ، حيث يضع مندوبُ كلِّ دولة سمّاعةً خاصةً على أذنيه ، فيسمع تـرجمةَ كلِّ خطاب بلغته الخاصة به وهو قابعٌ وراء مِنْضَدتـه في قاعـة الاجتماعـات . . . أفلا يستطيع اللّهُ تعـالى أن يحقّق للناس مثـل مـا حققتْـه الآلـةُ الصمّـاء الْبَكْمـاء على يـد مخلوقين ضُعفاء خَلَقهم هو بنفسه ؟ ؟ ! أم لا يستطيع جبرائيل عليه السلام أن يَصرخ في بوق ذي ثقوب ، فيبث فيه من كلِّ ثُقبٍ بلُغة قومٍ من أصحاب اللُّغات المختلفة ولو بطريقة التسجيـل ؟ ! . بلَى ، إنه لَقـادرٌ وسيرى المتعجّبـون أن عاقبـةَ أمرهم خُسْـرٌ وضلال ، حين يستمعـون إلى صوتٍ ينبعث من بين الأيـدي ومن الْخَلفْ ، وعن اليمين والشمال ومن السمـاء والأرض فيهـز الكيـان ! ! ! ثم روي عنـه وعن البـاقـر عليه السلام بلفظ متقارب :)

ـ إذا سمعوا الصوت أصبحوا كأنّما على رؤوسهم الطير ! . أمّا لو كانت الصيحة خضعتْ لهـا أعناقُ أعـداء الله ! . فإن أشكـلَ عليهم من ذلك شيء ، فـإن الصوت لا يُشْكِلُ عليهم إذا نُودِيَ باسمِه واسمِ أبيه وجدِّه [1] . . (ثم قال عليه السلام في تعيين موعـد النداء صبيحةَ يوم الجمعة في الثالث والعشرين من رمضان :)

ـ فـإذا صلّيتم الفجـر من يـوم الجمعـة المـذكـور ، فـادخُلوا بيـوتكم ، وأغلِقـوا أبوابكم ، وسُدُّوا الْكُوَى ، ودَثِّروا أنفسكم ، وسُـدُّوا آذانكم . فإذا أحسستم بـالصَّيحة فَخِرُّوا سُجّداً وقولوا : سبحانَ ربِّنا الْقُدُّوس ، فإنـه من فعلَ ذلـك نَجا . ومن بـرز لها هلَك [2] .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٧٦ وص ٢٢٦ والغيبة للنعماني ص ١٣٦ وص ١٥٠ و ١٥١ آخره ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ وص ٢٣٩ نصفُه الأخير ، وبشارة الإسلام ص ١٠٣ وص ١٤٠ بعضـه ، وص ١٥٦ وص ١٦٦ نصفُه الأخير عن الإمام الجواد عليه السلام ، وينـابيع المـودة ج ٣ ص ٨١ نصفُه الأول ، والإمام المهدي ص ٢٢٦ .

(٢) الملاحم والفتن ص ٣٣ وص ١١٧ رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله وهو موجود في مصادر أخرى .

(وهذا الخبرُ - إن صحَّ - فإنما يعني التشديدَ والتأكيدَ على انتظار النداء في الوقت المحتوم من جهة ، ويَعني التيقُّظ والانتباهَ لظاهرةٍ تهزُّ الكون فضلاً عن كيانِ كل إنسانٍ بمفرده من جهة ثانية ، إلى جانب ما ينبغي من الشكر الواجب لله تعالى على كل من وفّقه الله سبحانه لبلوغ نعمة إدراك العهد الميمون بظهور القائم المنتظر عليه السلام منذ عصورٍ وعصور . ثم قال عليه السلام مؤكِّداً أن لذلك النداء فزعةً أيَّةَ فزعة :)

- فلا يبقى شيءٌ خلقَ الله فيه الروحَ إلاّ سمع ٱلصَّيحة ، ولا يبقى راقدٌ إلاّ استيقظ ، ولا قائمٌ إلاّ قعد ، ولا قاعدٌ إلاّ قام على رجلَيه فزعاً من ذلك الصوت ، وهو صوت جبرائيل الأمين ! . فرحم اللّهُ مَن سمع ذلك الصوتَ فأجاب [1] . (ورُوي عن الباقر عليه السلام بلفظه . ثم جاء عن الصادق عليه السلام أيضاً :)

- إذا طلعت الشمسُ وأضاءت ، صاح صائحٌ بالخلائق من عين الشمس بلسان عربيٍّ مُبين ، يُسْمِعُ مَنْ في السماوات والأرضين : يا معشر الخلائق ، هذا مهديُّ آل محمد ، ويُسمِّيه باسم جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله ويكنِّيه ويَنسبه . ولا يبقى أُذُنٌ من الخلائق الحيَّة إلاّ سمع ذلك النداء . وتُقْبِل الخلائقُ من البَدوِ والحضَر والبَرِّ والبحر ، يحدِّث بعضُهم بعضاً ، ويَستفهم بعضُهم بعضاً ما سمعوا بآذانهم [2] ! . (ثم وضع لموعدها علامةً خاصةً في قوله :)

- علامتُها أن تكون في سنةٍ كثيرةِ ٱلزَّلازل والبَرد [3] . (وكان قد سأله صاحبُه زرارةُ : النداءُ خاصٌّ أو عامٌّ ؟ . قال : عامٌّ ، يَسمع كلُّ قومٍ بلسانهم . فقال متعجِّباً : فمن يخالف القائمَ عليه السلام وقد نُودِيَ باسمه ؟ ! . فأجابه عليه السلام :)

- لا يَدعهم إبليس حتى ينادِيَ في آخر النهار يشكِّك الناس [4] . (وقيل له : إنا

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٣٠ وص ٢٩٠ ومنتخب الأثر ص ٤٤٨ وص ٤٤٩ والغيبة للطوسي ص ٢٧٤ وبشارة الإسلام ص ١٣٨ وص ١٧٩ وص ٩٢ عن الباقر عليه السلام ، وص ٨٥ عن الحسين عليه السلام ، وكذلك في المهدي ص ١٨٦ ، وكذلك في الإمام المهدي ص ٢٢٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ نصفُه الأول .

(٢) إلزام الناصب ص ٢١٦ والبحار ج ٥٣ ص ٨ وبشارة الإسلام ص ٢٦٩ .

(٣) انظر الملاحم والفتن ص ١١٧ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٥ ومنتخب الأثر ص ٤٣٩ وبشارة الإسلام ص ٩٢ وص ١٢٦ ختامُه : فعند ذلك يرتابُ المُبطلون ، وص ١٢٨ الخبر بتمامه .

لنعجب للقائم كيف يقاتَلُ مع ما يَرون من العجائب : من خَسْف البيداء بالجيش ، ومن النداء الذي يكون من السماء ؟ . فقال عليه السلام :)

ـ إن الشيطان لا يدَعهم حتى ينادِيَ كما نادَى برسول الله صلى الله عليه وآله يومَ الْعَقَبة ! (١) . (وروي عنه عليه السلام أيضاً في بيان كلٍّ من النداءين :)

ـ فإذا دَنَت الشمسُ للمغرب . صاح صائحٌ من مغربها : يا معشرَ الخلائق ، قد ظهر ربُّكم ـ أي صاحبُكم ـ بالوادي اليابس من أرض فلسطين ، فبايِعُوه تهتدوا ، ولا تُخالِفوا عليه (٢) . . (فلا بدّ من هذين الصوتَين ـ في بياض نهارٍ واحد ـ صوت مِن السماء وصوت من الأرض . . وبما أنهما نداءانِ متميِّزانِ يفهمهما كل إنسانٍ بلُغته ، وأن النداء الأول ينوِّه برجلٍ من وُلْد أبي طالبٍ ونَسْل فاطمة عليها السلام فإن ذلك يَقطع كلَّ شُبهةٍ عند العقلاء ، ويُجَنِّبهم كلَّ توهُّم . . وقد سئل الصادق عليه السلام : تكون إذاً صَيحتان ، فمن يؤمن بهذه ، ومن يؤمن بهذه ؟ . فقال :)

ـ يصدِّق بها من كان يؤمن بها من قبل . أي أنه يَعرف الصيحة الصادقة مَن كان سمع بها من قبل أن تكون ، ويصدِّق بها من كان مؤمناً بها قبل أن تكون . ثم تلا الآية الكريمة :

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِيْ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ، أَمَّنْ لاَ يَهِدِيْ إِلاَّ أَنْ يُهْدَى ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ ﴾ (٣) ؟ . وقال : صوت جبرائيل من السماء وصوت إبليس من الأرض فاتَّبِعوا الصوتَ الأول ، وإيّاكم والأخيرَ أن تُفتَنوا به ! . النداءُ حقٌّ إيْ وَاللّهِ ، حتى يَسمعه كلُّ قومٍ بلسانهم (أي بلُغتهم) فلا يبقى شيءٌ خلَق الله فيه الروح إلاّ سمعها (٣) . . (فها هوذا يعود فيكرِّر القول ويُقْسم على المناداة بمختلف اللُّغات

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٤١ ومنتخب الأثر ص ٤٣٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٠٤ وص ٢٩٥ وبشارة الإسلام ص ٨٨ عن الباقر عليه السلام .

(٢) إلزام الناصب ص ٢١٦ .

(٣) يونس ـ ٣٥ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٣٠ وص ٢٤٤ وص ٢٨٧ ما عدا آخره وكذلك في الغيبة للنعماني ص ١٤٦ ، وص ١٤١ وإلزام الناصب ص ١٧٥ وص ٢٢ ما عدا آخره ، ومنتخب الأثر ص ٤٤٩ بعضه ، وص ٤٥٠ والملاحم والفتن ص ١٦٤ وبشارة الإسلام ص ٩٢ وص ١٢٦ وص ١٢٧ آخره ، والإمام المهدي ص ٢٣٤ بلفظ آخر .

بداهة . . فإنه لا بدَّ أن يَرِدَ فيه اسْمُ المهديِّ واسْمُ أبيه . ومهما كانت الحال فإن النِّداء يقطع جَهيزةَ كلِّ خطيب ومتحذلِق ، لصراحته ووضوحه . . وما فتِئَ الأئمة عليهم السلام يوضحون معالِمَ الطريق حتى لا يبقى مجالٌ للريب ، ولينسدَّ باب كل إبهامٍ وإيهامٍ عند سائر الأمم والطوائف ، وعند مختلف الجنسيّات والقوميّات وأصحاب اللُّغات . . فحذارِ أن يلتبس الأمر على ضُعفاء الإيمان ، ممَّا يدور على لسان إبليس الذي يُلقي ـ يومَها ـ آخرَ سهمٍ في جُعبته لِيُضِلَّ الناس ، لأنه يوشك أن يُدْعَى هو وحزبُه وأتباعُه ـ بعد ذلك اليوم ـ إلى العذاب الذي كذَّب به المكذِّبون : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [1] ، في يوم الحساب ! .

ومن ألطفِ وأدَقِّ أحابيلِ إبليسِ اللَّعين مع الناس ، أنه يوسوِس لهم ـ أولَ ما يوسوس ـ بأن يُنكروه ويَنفوا وجودَه مثلاً ، ثم يوحي لهم أن يقولوا : لا إبليسَ موجودٌ ولا شيطان ! . ومَن رآه وتأكَّد مِن وجوده ؟ . ثم يستدرجهم من إنكاره لأنه لا يُرَى ، إلى إنكار وجود الله تعالى لأنه لا يُرَى . . ثم يَلِج الصدور ، ويُعشِّش في القلوب ، ويُوجِّه النفوس كما يشاء ! .

ثم قال عليه السلام منوِّهاً بعظيم وَقْعِ النداء وأهميّته بالنسبة لمن انتظَره عبر العصور :) ـ ولا يبقى مؤمنٌ ميْتٌ إلاّ دخلتْ عليه الفرحةُ في قبره [2] ! .

قال الإمام الرِّضا عليه السلام :

ـ يُنادي منادٍ من السماء يَسمعه جميعُ أهل الأرض ، بالدُّعاء إلى القائم ، فيقول : ألَا إنَّ حُجة الله قد ظهر عند بيت الله ، فاتَّبِعوه فإنَّ الحقَّ معه وفيه [3] .

(ونختتم هذا الموضوع بالحديث المرويِّ عنه عليه السلام وعن جدِّه نبيِّنا العظيم صلى الله عليه وآله حيث قالا :)

---

(١) المطفّفين ـ ٦ .
(٢) الغيبة للنعماني ص ١٦٧ وإلزام الناصب ص ٢٢٧ وعدة مصادر أخرى .
(٣) منتخب الأثر ص ٢٢٠ وإعلام الورى ص ٤٠٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٢٢ وإلزام الناصب ص ٥٣ وبشارة الإسلام ص ١٦١ والإمام المهدي ص ٤٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ وص ١٦٤ والمهدي ص ٢١٠ وص ٢٢٥ نقلاً عن عقد الدرر .

ـ كم من حَـرَّى مؤمنةٍ ، وكم من مؤمنٍ متـأسِّفٍ حيران عنـد فَقْدِه ! . كـأنّي بهم آيَسَ ما كانوا ، ثم نودِيَ بنـداءٍ يُسمَع من البُعـد كما يُسمـع من القُرب ، يكـون رحمةً على المؤمنين وعذاباً على الكـافرين [1] ! . (فبـأبي وأمي ونفسـي أنت وأهلُ بيتـك يا سادةَ الخَلْقِ ودُعاةَ الناس إلى الحق ! .

فكم وكم كابدَ المؤمنون والمؤمناتُ في غيبة أبنك الموحشة ! . وكم جـرَّ اليأس من إدراكِ عهده الكريم إلى همٍّ وغمٍّ وَضِيْق ! ! . وإنَّه لن يكون صوت جبرائيـل ﷺ يومَ النداء أضعفَ من أيّة محطّة إذاعيَّة أرضية ينتقل صوتُهـا عبرَ الأفـاق . . أفلا يـرَى الناس كيف صوَّرتم لنا سُماع النداء ، ووصفتموه بالطريقة التي نألفهـا اليوم ؟ ! . فـلا عجبَ أن يَنتـظرَ البشرُ ـ سـائـرُ البشـرِ في الأرضَ ـ سمـاعَ صـوتِ السمـاءِ على لسـان جبرائيل الأمين ﷺ كما أمَرَه الله تعالى . .

آمنَّا بك يا ربِّ . . وآمنَّا برسولِك الأمينِ على وَحْيك وعزائمِ أمرك !) .

رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي :

(٤ : ١٥) : ـ فإننا نقول لكم هذا بكلمة آلرَّب : إننـا نحن الأحياء البـاقين إلى مجيءِ آلرَّب ، لا نسبق الراقدين ، لأن آلرَّب نفسـه ، بهتافٍ بصـوت رئيس الملائكـة (أي جبـرائيل ﷺ) وبُـوقِ الله ، سـوف يَنْـزِل من السمـاء ، والأمـواتُ في المسيح سيقـومون أولاً ، ثم نحن الأحيـاء الباقين سَنُخْـطَف جميعاً معهم في السُّحُب لمـلاقـاة الرَّب في الهواء ، وهكذا نكون كل حينٍ مع آلرَّب . .

(فأنت أيها القارىء ترى مطابقَةَ النداء من السماء عند سائر الأديان ، بل مطابقةَ صورة سَيْرِ الناس في الجوّ ، والخطفَ في الهواء ، ونـزولَ المسيح من الـسمـاء ، كما رأيت في أخبار أنصار المهدي ﷺ . أما نـزول المسـيح بـالذات فهـو هنا كمـا وصفته أخبارُنا القدسيةُ تماماً ، حيث يَنزل واضعاً يَدَيه على غَيمة بيضاء كمـا مرَّ بـالتفصيل في

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٦٠ وص ١٦٤ ومنتخب الأثر ص ٤٢٢ وص ٤٤٢ والغيبة للطوسي ص ٢٦٨ بعضـه ، ومثله في الغيبـة للنعمـاني ص ٩٤ وإلـزام النـاصب ص ٦٨، والبحـار ج ٥١ ص ١٥٢ وج ٥٢ ص ٢٨٩ بتفصيـل ، وفي إعـلام الـورى ص ٤٠٨ أكثـره عن الصـادق ﷺ ، والإمـام المهدي ص ٢١٦ .

غير هذا المكان من الكتاب . والإنجيل المقدّس لم يَترك ذِكْرَ قيام الموتى وبعثهم من القبور أيضاً ، كما أشرنا إلى ذلك حين وروده في أحاديث أئمتنا عليهم السلام . .)

إنجيلُ متّى :

(٢٤ : ٣١) : ـ فيرسل اللّهُ ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت ، فيَجمعون مختاريه من الأربع آلرِّياح (أي من الجهات الأربع وعلى الريح) من أقصاء السماوات إلى أقصائها .

(وهذا من سنخ ما عرضنا له ـ وسنعرض لجزئه الباقي في مورده ـ بل إنك لَتراه يُضفي الثوبَ الواضح على الصورة التي يجتمع فيها أنصار صاحب الأمر عليه السلام في الجوّ ، والتي أصبحت واضحةَ المعالم والملامح ، متلألئةً ليس فيها أدنى غُموض) .

رؤيا حنّا اللّاهوتي :

(١٤ : ٦ ـ ٨) : ـ ثم رأيتُ ملاكاً آخرَ طائراً في وسط السماء ، معه بشارة أبديّة ، يُبشِّر الساكنين على الأرض ، وكلَّ أُمة ، وكلَّ قبيلة ولسانٍ (أي لغة) وشعب ، قائلاً بصوت عظيم : خافوا اللّهَ وأعطوه مجداً ، لأنه قد جاء ساعةُ دَيْنونَتِه ، واسجُدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه . .

(وإنك لَترى أن الإمام الصادق عليه السلام قد استعمل نفس ألفاظ هذه الرؤيا في حديثه ، مع بُعدِه عن عهد تلك الرؤيا ، وبعُدِها عن عهده ، بل أستغفرُ الله والحقيقة فإنَّ بيده مواريثَ النبُوة وتراثَ السماء ، ولذا حكَى ـ مثلَ الرؤيا ـ أنَّ كلَّ أمّةٍ تسمع النداء بلُغتها ولَهجتها ، فتأمّلْ وحاكمْ ، لِتَحكُمَ ببساطة أن ما جاء من السماء واحدٌ لأن مقدِّره واحدٌ أحد ! .)

١٨ ـ الفِتَنُ العَامة . .

الحروب ، وَالخراب ، وَالدّمار !

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ يَنزل على أُمتي بَلاءٌ لم يُسمَع ببلاءٍ أشدُّ منه ، حتى تضيق بهم الأرضُ الرَّحبة [1] ! . (بل من المرويِّ عنه ﷺ أنه قال : إذا وقع السيف في أُمتي لا يُرفع عنها إلى يوم القيامة ! .

وقد وقع السيف في المسلمين مراراً عبر التاريخ . ولكنه اليومَ قد وقع بشكلٍ مميَّزٍ ملموس بعد تجمع اليهود في فلسطين . فخبط البلاد الإسلامية خبطاً ، وعركَ الأمّة عركاً . ولن يرتفع عنها إلى يوم القيامة ، أي إلى ما بعد ظهور المهديِّ ؈ بالسيف والقوَّة ، لأنه هو الذي يقضي على مؤامرات الصهيونية العالمية ويقتلُ اليهود الذين شتَّتهم الله في أقطار الأرض بعد بَغيهم ومحاربتهم للنبيِّ محمدٍ ﷺ تماماً كما وعد القرآن الكريم . .

فالله تبارك وتعالى قال في كتابه : ﴿ هُوَ الَّذِيْ أَخْرَجَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [2] . أخرجهم على يد محمدٍ ﷺ وبدعوته وكتبَ عليهم ـ في سابق قضائه ـ أن يعودوا إلى أرض الميعاد قبيل يوم القيامة . فبدأت

---

(١) المهدي ص ٢١١ .

(٢) الحشر ـ ١ .

هُجرتهم إلى فلسطين بعد وعد (بلفور) المشؤوم ، وأدّت ـ من ثمّ ـ إلى إعلان مصلحةٍ غربيّة سمّوها كياناً يهودياً ـ صهيونياً ، ودعاها اليهود دولة إسرائيل ، فأدّى ذلك أيضاً إلى خلاف المسلمين الذي افتعلته أساليب الصهيونية العالميّة ، فبدأت الفتن . . وستشتدُّ هذه الفتنُ عمّا هي عليه حتى يقع ما نتحدّث لك عنه في هذا الفصل ، بدليلِ أنّ الخلاف بين المسلمين يزداد عمقه يوماً عن يومٍ ويُنذِر بهبوب عاصفةٍ جارفة بدأت طلائعَها في حرب مصر واليمن ، وفي حرب اليَمَنَين حين انقسامهما ، وفي حرب العراق وإيران وستنتهي بفتن بينهم لا تنقضي إلاّ بخلاص الإنسانيّة من عذابها الطويل على يد مخلّصها المنتظَر سلام الله عليه . . وكان نبيُّنا العظيم ﷺ قد وعدَ بهذا الخلاف في قوله :)

ـ سألتُ الله لأمتي ثلاثاً . فأعطاني اثنتَين وردَّ عليَّ واحدة . سألته أن لا يُسلّط عليهم عدوّاً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يُهلكهم غَرَقاً فأعطانيها ، وسألته أن لا يَجعلَ بأسَهُم بينَهم فردَّها على ظاهرها[1] . . (وقد ظهر وقوع بأسهم بينهم منذ الآن ، أجارنا الله مما هم فيه وبلّغنا خيرَه . فإنه من أشراط قُرْبِ الفرَج . . كما أنه ﷺ قال :)

ـ يكون قومٌ في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الطيور ، لا يَريحون ريح الجنّة ! . (وخَضْبُ السواد هو قتلُ أكثر الناس ، وبَقْرُ بطون النساء وبطون غيرهنّ كما تُبْقَرُ حواصلُ الطيور ! . ويكون كلُّ عملهم هذا لغير وجه الله . ولذلك لا يشمّون رائحة الجنّة[1] . ثم جاء عنه ﷺ أيضاً :)

ـ . . بلاءٌ يُصيب هذه الأمّة حتى لا يجد الرجلُ ملجأً يلجأ إليه من الظُّلم . ثم لا يزداد الأمرُ إلاّ شدّةً ، ولا الدُّنيا إلاّ إدباراً ، ولا الناس إلاّ شُحّاً . . ولا تقومُ الساعةُ إلاّ على شِرار الخَلْق[2] . . . (فنحن الآن في لبنان وفي كثيرٍ من الأقطار لا نجد ملجأً من الفتن ، ونرى الواحد منّا يحمل عياله وأولاده مرةً إلى هنا ، ومرةً إلى هناك ،

---

(١) انظر صحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٢ بلفظ قريب ، وغيره من المصادر .
(٢) انظر ينابيع المودة ج ٣ ص ٩٠ والمهدي ص ١٨٩ وإسعاف الراغبين ص ١٣٤ وص ١٣٩ وإلزام الناصب ص ٢٥٤ نقلاً عن البيان . في بعضها الخبر ، وفي بعضها الآخر أوله أو آخره .

وهو حائرٌ خائف في كل حال ، ومَنْ تحدَّث بشيء لا يرضاه غيرُه قد يوقِعه لسانُه في التهلكة . . ثم رُوي عنه ﷺ أيضاً :)

ـ تكون فتنةٌ بعدها فتنة : الأولى في الآخرة كثمرة السَّوط يتبعها ذُباب السيف . . ثم يكون بعد ذلك فتنةٌ تُستحلّ فيها المحارم كلُّها . ثم تأتي الخلافةُ خيرَ أهل الأرض وهو قاعدٌ في بيته (١) . (أي في بيت الله تعالى بمكة المكرَّمة . وذاك هو المهديُّ المنتظَر ﷺ الذي يظهر أثناء فتنة السفياني التي تُستحَلُّ فيها المحارم كلُّها كما ستطالع في موضوع : السفيانيّ وثمرةُ السَّوط ـ أي الكرباج ـ هي العُقدة التي في طرَفه ثم قال ﷺ :)

ـ ويومئذٍ يكون اختلافٌ كثيرٌ في الأرض وفتنٌ . ويُصبح الزمانُ مُكْلِحاً مُفصحاً ، يشتد فيه البَلاء وينقطع فيه الرجاء . . (وقال ﷺ يصف عهود استقلال العرب بعد استعمار بلادهم ، ويذكر الفوضى التي يصيرون إليها :)

ـ ثم تخلع العرب أعِنّتها ، وتملك البلاد ، وتَخرج عن سلطان العجَم (٢) . . (وقد خلعت العرب أعِنّتها بعد استقلال دويلاتها التي كانت مستعمرة للأجانب ، وهي تعيش اليوم في فوضى قد تؤدّي بها إلى انهيار في كياناتها بدت تباشيرُه في مختلف الأصقاع العربيَّة . . ثم قال ﷺ مركِّزاً على الفتنة الأخيرة :)

ـ ستكون فتنةٌ لا يَهدأ منها جانبٌ إلّا جاش فيها جانب ، حتى ينادي منادٍ من السماء : إن أميركم فلان (٣) . (وهي فتنة اليهود التي تُثير الحربَ فيُطفئها الله ، ثم تعود إليها ثم تهدأ ، وستابر على ذلك إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً . . ثم قال ﷺ في مناسبة ثانية :)

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٦ .

(٢) المهدي ص ١٩٦ وبشارة الإسلام ص ١٧٥ والإمام المهدي ص ٢٣٣ وإلزام الناصب ص ١٨٥ .

(٣) منتخب الأثر ص ٤٥١ والملاحم والفتن ص ٣٨ وص ٤٨ باختلاف يسير ، وبشارة الإسلام ص ١٧٧ نصفه الأخير مع تفصيل ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٨ وص ١٥٠ باختلاف يسير .

ـ تكون فتنةٌ ثم تكون جماعة ، ثم تكون فتنةٌ ثم تكون جماعة . ثم فتنةٌ تَعْوَجُّ فيها عقولُ الرجال حتى لا يكاد يُرى رجلٌ عاقل [1] ! ! ! (وهذه نكاد نقع فيها ، ونستعيذ بالله وحده منها ، فإنها الأخيرة . . ثم رُوي عنه إكمالٌ للصورة البشعة التي نحياها في قوله ﷺ :)

ـ بين ذلك ثَبَجٌ أعوج ، ليسوا منّي ولا أنا منهم [2] ! . (والثبجُ هو معظم الناس ، ونستجير بالله من كل أعوج أرعن لا يريد أن يتعرّف إلى ربٍّ ولا يريد أن يدخل في خير ! . ثم حذّر المسلمين بقوله ﷺ :)

ـ وَيح هذه الأمة من ملوكٍ جبابرةٍ كيف يَقتلون ويُخيفون المطيعين (أي المطيعين لله الصامتين) إلّا مَنْ أظهر طاعتهم . فالمؤمن التقيُّ يُصانِعهم بلسانه ويَفِرُّ منهم بقلبه . فإذا أراد الله عزَّ وجلّ أن يُعيد الإسلامَ عزيزاً قَصَمَ كلَّ جبّارٍ عنيدٍ . وهو القادر على ما يشاء ، لِيُصْلح الأُمة بعد فسادها [3] . . (وهذا هو الذي يحصل من ظلم جبابرةِ الملوك ، ومن انهيارِ عروشهم بأبسط حال . . ثم قال ﷺ :)

ـ لَتأتينّكم بعدي أربعُ فتنٍ : الأولى تُستحلُّ فيها الدماء ، والثانيةُ تُستحلُّ فيها الدماء والأموال ، والثالثة تُستحلُّ فيها الدماء والأموال والفُروج ، والرابعةُ صمّاء عمياء مُطْبِقة تَمور مَوْرَ السفينة في البحر ، حتى لا يَجِد أحدٌ من الناس ملجأً ، تطير بالشام ، وتَغْشى العراق ، وتَخبط الجزيرةَ يدَها ورِجْلَها ، يَعْرُكُ الأنامَ البلاءُ فيها عَرْكَ الأديم ، لا يستطيع أحدٌ أن يقول فيها : مَهْ ، مَهْ ! ! ! لا ترقعونها من ناحيةٍ إلّا انفتقتْ من

---

(1) غاية المرام ص ٦٧٩ والملاحم والفتن ص ٨٥ نصفُه الأخير ، والإمام المهدي ص ٢٩٧ في الهامش ، وينابيع المودة الطبعة القديمة ص ٤٨٩ .

(2) منتخب الأثر ص ١٥٦ والغيبة للطوسي ص ١١٤ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٤ والبحار ج ٥١ ص ٧٥ نصفُه الأول . وغاية المرام ص ٦٨٨ .

(3) البحار ج ٥١ ص ٨٣ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٣ وبشارة الإسلام ص ٢٨ـ ٢٩ وص ٣٥ وص ٢٨٦ ومنتخب الأثر ص ١٤٩ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ وص ١٦٦ والمهدي ص ٢٣٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٣ والإمام المهدي ص ٦٩ وغاية المرام ص ٧٠٠ ما عدا آخره .

ناحيةٍ أخرى[1] . . (ومِمَّا لا شك فيه أنّنا على أُهْبة الْوُلوج في الفتنة الرابعة بعد أن أَلِفْنا استحلال الدماء والأموال والْفُروج . . والعربُ اليومَ في محنةٍ من أعظم المحن التاريخيَّة ، إذ يوشك أن تطير الفتنة المنوَّه عنها ببلاد الشام وقد غشيتِ العراق منذ حربها مع إيران ، ولن تهدأ فيها حتى تَخبطَ الجزيرة ببعضها فَتمور الأرضُ العربيَّة مَوْراً وتصطبغ الأرض بالدماء لكثرة ما يقع من قتلٍ يجرُّ إلى دماءٍ أُغزرَ يَسفحها السفيانيُّ بعصبيته . . ثم قال ﷺ عن هذه الفتن ذاتِها :)

ـ يكون في أُمتي أربعُ فتن : فالأولى يُصيبهم فيها بلاءٌ حتى يقول المؤمن : هذه مُهْلِكتي . والثانيةُ حتى يقولَ المؤمن : هذه مُهْلِكتي . والثالثةُ كلَّما قيل انقطعتْ تمادت الفتنة . (وهي جزماً فتنة اليهود في الشرق الأوسط) . والرابعةُ تصيبهم إذا كانت الأُمة مع هذا مرةً ومع هذا مرةً بلا إمام ولا جامع[1] . . (كما نحن اليومَ بعد انفراط عقد الجامعة العربية ، وبعد انحياز بعض العرب إلى الشرق ، وبعضهم إلى الغرب . . وقد رُوي عنه تحديدٌ للفتنة الرابعة بثمانية عشر عاماً نحن نحياها ونعدُّها سنةً فسنة[2] . . فكأنه ﷺ يعايش معاناتنا لمظاهر تلك الفتنة لأننا مع الغرب مرةً ومع الشرق أخرى ، مُتَّفِقون فيما بيننا مرةً ومُختلِفون ثانية ، بلا قاسمٍ مشتَرَكٍ يجمع كلمتنا ويوحِّد بين أهدافنا . . بل كأنَّه معنا يقاسي ما نقاسيه من جرائم آعوجَّت فيها عقول الرجال إذ يقول :)

ـ لا يقتلكم الْكُفَّار ، ولكن يَقتلُ الجارُ جارَه ويَقتل الأخ أخاه وابنَ عمِّه ! . فقال له بعض أصحابه : وهل معهم عقول ؟ ! ! ! قال : تُنْزَعُ عقولُ أكثر أهل ذلك الزمان ، ويَخْلفُ لهم هباءٌ من الناس ، يَحْسَب أكثرهم أنه على شيء[3] . . (والخلَف هو بعض أفراد هذه الأجيال المتراكضة وراء المبادىء المختلفة ظنّاً منها أنها تصلح لحياتها ، وزعماً بأنها على شيء هادفٍ ، حتى إذا جاءها الظمآن لم يجدها شيئاً . . فهل أجمل من تشبيه الأجيال المنحرفة بالهباء ، أي الغبار الذي تحمله الريحُ

---

(1) الملاحم والفتن ص ١٧ .
(2) بشارة الإسلام ص ٣١ .
(3) الملاحم والفتن ص ١٢٨ وص ١٨ .

ولا يكاد يُرى بالعَين المجرَّدة لخفة عقولها وخياليَّة أحلامها ؟! ورُوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في جملة حديث له ، كما رُوي عن ابنه الصادق عليه السلام أيضاً :)

ـ . . . فإذا قتل الخليفةُ في العراق الرجلَ المربوع القامة ، الكثُّ اللِّحية ، البرَّاق الثنايا ، فويلٌ للعراق من أتباعه المُرَّاق[1] . (فإذا قتل الخليفةُ أي الحاكم في العراق ذلك الرجلَ الجليل الذي وصفه الخبُر ، تثور ثائرةُ أتباع ذلك الحاكم الظالم ، ويفعلون الأفاعيل لأنه وصفهم بالمُرَّاق من الذين قد خلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم ، ونُزعت الرحمةُ من قلوبهم ، فويل للعراق منهم ، لأنهم يُوردون أهله مواردَ الهلكة . . ثم ذكر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله :)

ـ ستكون فتنةٌ تَستنطِف العربَ ، قتلاها في النار . اللسانُ فيها أشدُّ من قتلِ السيف ! (وورد بلفظ : القاتِل والمقتولُ في النار[2] . . وفتنة عصرنا هذه تستنطِف العرب ، وتستنزِف قواهم وثرواتهم ، وتلطِّخ سُمعتهم وترميهم بالعار ، وتَزُجُّهم في أتون نارها الملتهب ! . وهل قَتْلاهم فيما بينهم شهداءُ قضيَّة ووطنية كما يزعمون ؟ ـ . ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث من أعلام نبوَّته ، نشعر بتحقُّقه في أيامنا خاصة :)

ـ لا يخرج (أي القائم عليه السلام) حتى لا يَبقى ، قَيْلٌ ولا ابنُ إلاّ هلَك[3] ! . (والقِيْلُ هو الحاكمُ والملِك ، وقد كادت المُلكية تنتهي في أقطار الأرض ، وانهارت في عصرنا مُلكيّات عديدة كان آخرها امبراطورية الشاه محمد رضا بهلوي المنيعة الجبَّارة في إيران ، زَلزلَتْها صرخة مدوِّيةٌ من الشعب اجتثَّتها من جُذورها . . وقال صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا ينطق عن هوىً :)

ـ كيف أنتم إذا مرَج الدينُ (أي أصبح لهواً ولعباً) وظهرت الرَّغبةُ ، وحُرق

---

(1) بشارة الإسلام ص ٢٩ وص ١٨٤ بتفصيل ، وفي مصادر أخرى .
(2) البحار ج ٥٣ ص ٨٢ وبشارة الإسلام ص ٦٨ وغيرهما من المصادر .
(3) الملاحم والفتن ص ٤٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٠ وسواهما .

البيتُ العتيق (الكعبة) وشَرُفَ الْبُنيان (ارتفع) واختلف الإخْوان [1] . (أي العرب كعرب ، والمسلمون كمسلمين أو الأخوان : الأخ مع أخيه يختلفان بالمبادىء ! ! ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :)

- لا يخرج القائم حتى يخرجَ اثْنا عشَر من بني هاشمٍ كلُّهم يدعو لنفسه [2] . (ورُوي عن الصادق عليه السلام مثله . . وقال صلى الله عليه وآله وسلم :)

- يَطلع قَرْنُ الْجَور بعدي ، فلا يَطلع من قَرْنِ الْجَور شيءٌ إلاّ مات من العدل مثله ، حتى يولدوا لا يَعرفون إلا الْجَور ولا يعملون إلاّ به . ثم إن الله تبارك وتعالى يعطف على خَلْقه فيأمر قَرْنَ العدل أن يُطْلِع رأسه (أي عند الظهور المبارك) فلا يَطلع من قرن العدل شيءٌ إلاّ مات من الْجَور مثْله ، حتى يولدَ قومٌ لا يعرفون إلاّ العدل ، ولا يعملون إلاّ به [3] . (وذلك في عهد دولة الحق والإيمان والعدل . . ثم زاد النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في وضع النقاط على الحروف موضِحاً أكثَر فأكثر :)

- أُحذِّركم سبعَ فتنٍ تكون بعدي : فتنةٌ تُقبل من المدينة ، وفتنةٌ بمكة ، وفتنةٌ تُقبل من الْيَمن ، وفتنةٌ تُقبل من الشام ، وفتنةٌ تُقبل من المَشرق ، وفتنةٌ تُقبل من المَغرب ، وفتنةٌ من بَطن الشام وهي فتنةُ السفيانيّ [4] . (وتعليلها الواضح من الأخبار أن فتنةَ المدينة هي مجزرتُها على يد جيش السفيانيّ ، أمَّا فتنةُ مكّة فقد حصلت مع منافقٍ ادَّعى المهدويَّة الكاذبة وقُتلَ هو ومَن مثلوا هذا الدَّور المصطنع معه وستَتْبعها مذبحة مِنى أثناء أداء فريضة الحجّ ، وفتنةُ الْيَمن هي هذا الخلافُ بين اليمنَين وسيتلوه خروجُ اليمانيِّ براية الهدى ، وفتنةُ الشام (أي البلاد الشامية) هي فتنةُ العرب واليهود ، وفتنةُ المشرق هي ثورة إيران التي ربما استمرَّت شدة وهدوءاً حتى خروج

---

(١) انظر بشارة الإسلام ص ١٨٠ وغيره من المصادر التي عرضت للفتن .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٢١ وص ١٧٥ ـ ١٧٦ والغيبة للطوسي ص ٢٦٧ عن الصادق عليه السلام ، ومثلُه في إعلام الورى ص ٤٢٦ وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٠٩ وإلزام الناصب ص ١٨٤ وص ١٨٥ والمهدي ص ١٩٥ نقلاً عن الفصول المهمة .

(٣) انظر البحار ج ٥١ ص ٦٨ والملاحم والفتن ص ١٣٢ وص ١٣٣ وبشارة الإسلام ص ١٩ـ ٢٠ والإمام المهدي ص ١٠٤ وهو فيها بألفاظ مختلفة أو متّفقة .

(٤) الملاحم والفتن ص ١٦ وإلزام الناصب ص ٧٦ والمهدي ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

الخراسانيّ ، وفتنةُ المَغرب هي فتنـة المصريّ والمغـربيّ ، والفتنة الأخيـرة صرّح بهـا رسول الله ﷺ . ثم قال محذِّراً :)

ـ لا تَرجعوا بعدي كُفّاراً يضـرب بعضُكم رقابَ بعض [1] . (فـرجعنا أشـدّ كفراً من الكفّار فيما بيننا . ثم بيّن لنا نتائج التفرّق بقوله ﷺ :)

ـ لا يزال هذا الأمر فيكم وأنتم وُلاتُه ما لم تُحْدِثـوا . فإذا فعلتم سلّط الله عليكم شِرارَ خَلقه فالْتَحوكم كمـا يُلتَحَى القضيب [2] ! . (فصدقتَ أيهـا الصادقُ الأمين قبـل أن يختارك الله لرسالته . فإننا قد جِذْنـا عن سُنّتك وجـوهر مِلّتـك ، واعتنقنا مبـادىء غيرك ، فتسلّط علينا أعداؤنا وانتزعوا من أُمتك قُوّتهـا ومِنْعَتها كمـا تُنتَزَع قِشْـرَةُ الغصن من الشجر . وسنزيد القارىء من قولك الشريف حيث تقول :)

ـ يبعث اللّهُ عليكم شَرَّ خَلقه فَيُلحـونكم كما يُلْحَى القضيب [2] . (والنـارُ الآن في الهشيم ، والمدية في يد الجزار ، ولا حـول ولا قوة إلاّ بـالله العليّ العظيم ! . ثم قال ﷺ :)

ـ لا يَخرج المهديُّ حتى يخرج الرجـل بالجـارية الحسنـاء الجميلة ويقـول : مَن يشتـري هذه بـوزنها طعـاماً [3] ؟ ! . (يشير بذلـك إلى كثرة الحـروب وفناء الـرجـال والمجاعة وشدّة الحال ! . ثم رُوي عنه ﷺ قوله في الموضوع :)

ـ يميّز الله أولياءَه وأصفيـاءَه ، حتى تَطْهـر الأرضُ من المنافقين والضـالّين وأبناءِ الضالّين ، وحتى تلتقيَ بالرجل يومئذٍ خمسون امرأةً هذه تقول : يـا عبد الله اشْتـرِني ، وهذه تقول : يا عبد الله آوني [4] ! . (بعد الحروب الطاحنة والمجـاعات التي يهلك فيها الرجال من المنافقين وتبقى الصَّفوةُ من الناس . ثم عرض في إحدى خُطَبه إلى بَرْمجَة الأحداث التي تتوالى قُبيل موعد الظهور شهراً فشهراً فقال ﷺ :)

---

(1) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٨ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٥٠ وإلزام النـاصب ص ١٨٦ ومصـادر كثيرة غيرها .

(2) البحار ج ٥٢ ص ٢٢٥ والملاحم والفتن ص ١٠٤ ـ ١٠٥ وص ١٦٧ .

(3) الملاحم والفتن ص ٤٧ وغيره من المصادر التي تحدّثت عن الفتن في آخر الزمان .

(4) بشارة الإسلام ص ٢٢ والملاحم والفتن ص ١٣٠ وص ٢٣١ .

ـ تكون آيةٌ في رمضان ، ثم تظهر عصابةٌ في شوّال ، ثم تكون مَعمعةٌ في ذي القعدة ، ثم يُسْلَب الحاجُّ في ذي الحِجة ، ثم تُنْتَهك المحارمُ في المحرَّم ، ثم يكون الضرب في صفر . ثم تتنازع القبائلُ في شهر ربيع ، ثم العجبُ العجبُ بين جمادى ورجب ! . ثم ناقةٌ مقبَّبةٌ خفيفةٌ خيرٌ من دَسْكَرةٍ تَغُلُّ مئةَ ألف [1] ! . (وقد مرَّ مثله في موضوع يوم الخلاص مع اختلافٍ جزئي . . ونلاحظ أن النبيَّ ﷺ قد دعا بعد هذه البرمجة إلى الهَرب من وجه الأحداث لتجنُّب أخطارها ، وإلى تَرْك الأرزاق والممتلكات والإقتناع بالناقة الخفيفة . . وهو يعني الناقةَ ويَرْمُز بها إلى غيرها من كل مركب ذي قُبَّةٍ وخفَّةِ جَرْيٍ ، ويدعو إلى الهروب على ما هو سريع السير يُظلِّل الراكبَ ويَحمل أسباب المأكل والملبس للمسافر ، كالسيارة وما شابهها من وسائل السفر المألوفة التي تحمل الإنسان وأمتعته الضرورية عند مثل هذه الضرورة القصوى . .

ولا يخفى أن آية رمضان هي النداء ، وعصابة شوال هي السفيانيّ ، ومعمعة ذي القعدة هي معركة قرقيسيا ومذبحة بغداد ، وسلْب الحاجِّ يكون في مجزرة مِنى ، وانتهاك المحارم هو هتكُ ستر المدينة المنوَّرة ومذبحةُ بغداد والكوفة والنجف الأشرف على يد السفياني . والضربُ في صفر يكون أثناء رواج اسمِ القائم ؑ . وتنازُعُ القبائل هو اختلافُ الناس في أمرِه وبدءُ معركة الهدى الساحقة ! . وقد ورد عن أمير المؤمنين ؑ في هذا الموضوع قولُه :)

ـ ألعجبُ كلُّ العجبِ بين جمادى ورجب [2] ! . (حيث تتكتَّل الجيوش ، وتُنْشَر سيرةُ الأموات السابقين وتُثارُ النَّعراتُ الطائفيةُ بدافع القَبَليّات الجاهلية . ثم تكون حروب السفيانيّ المطيحة بالرؤوس . . وقد رُوي عن النبيّ ﷺ ما يلي :)

ـ خير أولادكم بعد أربعٍ وخمسين ومئة البنات ، وخير نسائكم بعد تسعٍ وستين العواقر ، وسنة ثمانٍ وستين ومئة تَقاضَ دَيْنَك ، وسنة تسعٍ وستين ومئة اقبِضْ دَيْنَك . وسنة تسعين الهرج والقتل [3] ! .

---

(1) الملاحم والفتن ص ٣٥ وص ٣٣ وص ٥٠ بلفظ مختلف وص ١١٤ نصفُه الأول ، وكذلك في ص ١١٧ ومنتخب الأثر ص ٤٥١ بلفظ آخر ، وقد رُوِيَ عن الصادق ؑ قريبٌ منه واستعمل لفظ : ناقة خفيفة ، أي سريعة الجري .

(2) الملاحم والفتن ص ١٣٠ وص ١٣١ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٩٣ وجُملة مصادر غيرها .

(3) الملاحم والفتن ص ١٢٨ .

(وهذه السنوات غير واضحة الدلالة ، حتى إذا اعتبرنا أنها تقع بعد الألف الأول من الهجرة ، أو أنها ستقع بعد الألف الثاني من التاريخ الميلاديّ . . ولعل كثرةَ تناقُلِ الخبر وكثرة نسخهِ حوَّرَتاه بعض التحوير وبدَّلتا بعض ألفاظه . . ثم قال ﷺ محَذِّراً من السير في الضلال :)

ـ إنها ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي ، من تَشَرَّفَ لها (أي تعرَّض) تستشرفه ، فمن وجد فيها ملجأً أو معاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ . . فإذا وقعتْ فمن كان له إبلٌ فَلْيَلْحق بإبِلِه ، ومن كان له غَنَمٌ فَلْيَلحق بغَنمِه ، ومن كان له أرضٌ فَلْيَلحق بأرضه ، ومن لم يكن له شيءٌ فَلْيَعْمِدْ إلى سيفه فيكسره بحَجر ، ثم لِيَنْجُ إذا استطاع النَّجاة [1] . . (وقال ﷺ مركِّزاً على هذا الموضوع بالذات :)

ـ يوشك أن يكون خيرُ مال المسلم غَنَماً يتبع بها شَعَفَ الجبال (أعلاها) ومواقع القَطْرِ (مساقط المطر) يَفِرُّ بدِينه من الفتن [2] . (ثم قال ﷺ مكرِّراً النُّصح لنا في الهرَب من الفتن :)

ـ ناقةٌ مقتَّبةٌ خيرٌ من دَسكرةٍ تَغلُّ مئةَ ألف [3] ! . (وجاء بلفظ :)

ـ الراحلةُ بِقُتُبها ينجو عليها المؤمنُ ، خيرٌ مِنْ دسْكرة تَغُلُّ مئةَ ألف [1] ! .

(فهل أدقُّ وصفاً للراحلة في أيامنا من هذا الوصف ؟ ! ! وهل الراحلة بقُبَّتها غير ما يُرحل عليه من وسائل السفرِ التي تحوي داخل قُبَّتها عيالَنا وأطفالَنا ، وتحمل فوق قُبّتها غذاءنا وثيابنا ؟ ! ! أم هلِ الناقة المقتَّبةُ غيرُ وسيلةٍ مهيَّأةٍ للسفر المفاجىء ، معدَّةٌ دائماً وعليها قَتَبُها ؟ ! . ولقد استعمل مرةً ثانيةً لَفْظَ : الراحلة ، ليكنِّيَ بها عن وسيلة السفر ، وليصرف أذهانَنا عن الْجِمال والخيل والْبِغال والحمير التي لا تحمل قباباً على ظهورها . أللهم إلاّ إذا فُقِدَ البترول وصار الحمار بألف سيارة . . ثم زاد في تخويفنا

---

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٦٨ وص ١٦٩ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٥١ نصفُه الأول ، ومصادر اخرى .

(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٣ .

(٣) الملاحم والفتن ص ١٣٠ .

من عواقب الفتن فقال ﷺ :)

- إعتزل الفتن كلّها ، ولو أنْ تعضّ بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموتُ وأنت على ذلك [1] . (قالها حِفاظاً على سلامة ديننا ولئلا نَخسر آخرتَنا حين نلوّث أيدينا بجرائم تلك الفتن . . ولذلك حقّ له ﷺ أن يختم أحاديث الفتن بقوله :)

- لَيَأتينّ على الناس زمانٌ ، يأتي الرجلُ القبرَ فيقول : يا ليتني مكانَ هذا من شدّة ما يَرى من البلاء [2] ! . (وقال ﷺ :)

- تكون فتنةٌ يهلك فيها الناس ، لا يستقيم أمرُهم على أحدٍ حتى ينادي منادٍ من السماء : عليكم بفلانٍ بن فلان [3] . . (ولكنه أمّن أولياءه بقوله ﷺ :)

- أمَا تَرْضَوْن أنّ أعداءكم يَقتل بعضُهم بعضاً وأنتم آمِنون في بيوتكم [4] ؟ ! !

(ثم كرّر هذا القولَ سِبطاه الباقران ﷺ بعده في جملة أحاديث ومناسبات ورُوي عنه ﷺ أيضاً :)

- تجيءُ فتنةٌ غبراءُ مظلمة ، ثم تتبع الفتنُ بعضها بعضاً ، حتى يخرج رجلٌ من أهل بيتي يقال له : المهديّ . فإن أدركتَهُ فكُنْ معه وكُنْ من المهتدين [5] .

(وأخيراً . . باح النبيُّ ﷺ بسرٍّ من الأسرار التي علّمهُ إيّاها الله تعالى ، هو من أكبر دلائل نبوّته وأعلام رسالته السماوية حين قال وهو يتحدث عن فتن آخر الزمان :)

- ثم يكون النَّفْثُ والنُّفاثُ (أو النُّفّاث) [6] ! . (والنَّفْثُ إن كان إظهار الْغِلّ

---

(١) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٢ وغيره من المصادر التي ذكرت الفتن .

(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ والملاحم والفتن ص ١٨ وص ٩٨ ومسند أحمد م ٢ ص ٥٣٠ ونهج الفصاحة ج ٢ ص ٥٢٠ قريب منه ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٣٢ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٢ .

(٣) الملاحم والفتن ص ١١٤ .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ٣٣٥ والغيبة للنعماني ص ١٦١ وبشارة الإسلام ص ٢٤٠ وجُملة مصادر غيرها .

(٥)) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٨ وغيره من المصادر .

(٦) إعلام الورى ص ٣٦٤ .

من الصدور ، فهو متفشٍّ بين الدُّول والأفراد ، وإذا كان نَفَثَ الطائرات وغيرها فهو ما تغصُّ به آفاق الدنيا . . وحقٌّ للدنيا ومَن فيها أن يضيقوا بفهم أسرارِ محمدٍ وأهل بيته صلوات الله عليهم ، فإن عِلْمَهم من عِلْمِ الله عزَّ وعلا . .)

قال أمير المؤمنين ﷺ :

ـ إنَّ من السنينَ سنواتٍ جوادع ، تُجْدَع فيها عطارفةٌ وهراقلة ! . (أي يُقْضى فيها على الملوك وجبابرة الْحُكَّام ، كما يحصل في عهدنا حيث تتدكدك التيجان واحداً إثر واحد . . ثم قال ﷺ :)

ـ بين يدَي القائم موتٌ أحمرُ ، وموتٌ أبيض . . ثم يكون بعد ذلك أحداثٌ تشيبُ فيها النواصي ، ويُسَيَّر الصُّمُّ الصِّلاب [1] ! . (والموت الأحمر بالسيف ، والموت الأبيض بالطاعون كما فسَّره لنا . ولكن العجيب في كلام سيد الأوصياء ، هو في هذه الكناية البليغة بالصمِّ الصِّلاب عن وسائل الحرب الموجودة في عصرنا حين نُسيِّرها دباباتٍ ومصفحاتٍ وقاذفاتِ حمم من الطائرات الجويَّة والمدرَّعات الأرضيَّة على اختلاف أنواعها . وهي صُمٌّ صُلبةٌ من الحديد والفولاذ ! . أفرأيت إلى أفصح من هذه الكناية وأقوى من هذا التعبير الذي يتناول ذلك كلَّه ، ثم يتناول الأقمار الاصطناعيَّة وتَسْييرَها أيضاً ؟ وعن الإمام الجواد ﷺ بلفظ :)

ـ ويُسَيَّلُ الصمُّ الصِّلاب . (وهي الصمُّ الصِّلابُ البريَّة والجويَّة والبحريَّة التي اخترع الإنسان مدافعَ مضادةً لها تُذيب قاذفاتُها حديدَها وتُسيِّلها . والتسيير والتسييل مُدهشان حين يرمزُ لهما الأئمة قبل وجودهما بأجيال وأجيال ! ! ! ثم قال أمير المؤمنين ﷺ بصدد مُلْكِ أعدائه الدنيويِّ :)

ـ ألَا ولو ذاب ما في أيديهم (أي اضمحلَّ وانتهى) لقد دَنا التمحيصُ للجزاء ، وكُشِفَ الْغِطاء ، وانقضت المدة ، وأزِفَ الموعدُ وبدا لكم النجمُ من قِبَلِ الْمشرق ،

---

(١) البحار ج ٥١ ص ١٥٧ وج ٥٢ ص ٢١١ والغيبة للنعماني ص ٩٨ وبشارة الإسلام ص ٥٠ـ ٥١ وص ٨٤ وص ١٦٤ ومنتخب الأثر ص ٤٤١ وإعلام الورى ص ٤٢٧ .

وأشْرَفَ لكم قمرُكم كملءِ شَهره ، وكَلَيْلَةِ تَمّه [1] ! (وكشف الغِطاء يعني ظهور جميع العـلامـات بحيث يستحيـل بعـدهـا التـأويـل والتضليـل . والقـمـر هنـا هـو المهديُّ عليه السلام . . . ثم قال عليه السلام في موضوع الفتن :)

- إن وراءكم فتنـاً مُظلمـةً منكسفةً ، لا ينجـو فيها إلّا المؤمنُ النُّوْمة [2] . (أي الساكتُ في الفتنة بحيث لا يبدو منه شيء . . ثم قال عليه السلام :)

- واعجبـاً كلَّ العجب ، بين جمـادى ورجب ! . من جمع شتـات (أي تجمُّع العنصريـات والـطوائف والحـزبيّـات) وحَصْدِ نبـات (أي قتـل) وأصـواتٍ بعـد أصـوات [3] . (كمُهـاتَـرات الإذاعـات وويـلاتِ الثكـالى وغيـرهـا من بث الآلام والشكوى ، وقال عليه السلام أيضاً :)

- جعـل الله فِي هذه الأمـة خمس فتن ، فتنة عـامَّة ، ثم فتنـة عـامَّـة ، ثم فتنـة عامَّة ، ثم فتنة خاصَّة . ثم يجيءُ فتنةٌ سوداء مظلمة تصير الناسُ فيها كـالبهائم [4] ! . (ولعله يقصد بالفتن العامة ما يقع بين المسلمين العـرَب أو بين العرَب وإسـرائيل . . أمـا الفتنة الخـاصة فتكـون بين العـرب أنفسهم . وأمـا الفتـنة السـوداء المـظلمـة فهي اختـلاف سيوف المسلمين فيمـا بينَهم وقد بـدأت كما ذكـرنا سـابقاً ، بشكـل عنيف ، وستبلُغ الذُروةَ يومَ يظهر السفيانيُّ ويرتمي النـاس في أتون ثورة عصبيَّة مُحْـرِقةٍ مُغْـرِقة ، وبعصبية تشبه عصبيَّة البهائم ! .

وقال سلامُ الله عليه متحدثاً عن بعض الأحداث في خطبة البيان :)

- إذا ظهـرت بخراسـان الزلازل ، ونـزلت بهمدان النـوازل ، فـرجفت الأراجف بالعراق . وشملَ الشـامَ الخـلاف ، واختلفت أهلُ اليمن على المُلك [5] . . (وقـد

---

(١) بشارة الإسلام ص ٦٣ـ ٦٤ وغيره .

(٢) بشارة الإسلام ص ٥٠ ومنتخب الأثر ص ٤٣٥ والغيبة للطوسي ص ٢٧٩ بلفظ آخـر ، ومثله في الملاحم والفتن ص ٣٩ .

(٣) انـظر البحـار ج ٥٣ ص ٥٩ والمـلاحم والفتن ص ١١٨ أولـه ، وينـابيـع المـودة ج ٣ ص ١٩٣ باختلاف يسير ، وبشارة الإسلام ص ٦٨ وص ١٦٣ عن الإمام الرضا عليه السلام، أوله .

(٤) الملاحم والفتن ص ١٢٩ وص ١٨ آخره .

(٥) إلزام الناصب ص ٢٠٤ مع تفصيل وافٍ .

حدثت الزلازل في هذه السنة ، ونزلت بهمدان النوازل أثناء حربِ إيران والعـراق ـ أي في هــذه الأيـام ونحن نكتب هــذه السـطور ـ واختلف أهــلُ اليمن على المُلك حتى صـارت اليمنُ دولتَين . والخلاف يشمـل جميع بلدان الشـام . أمَّا العـراق فقد بـدأت ترجف فيها الأراجيف وأحاطت بها المَخاوف كما لم يَعُدْ خافياً . . ثم قال ﷺ :)

ـ إنّي مـا ادَّعيتُ ، ولا تكلَّمتُ زوراً ، ولا أُنبِّئكـم إلاّ بـمـا عـلَّمنـي رسولُ الله ﷺ [1] . . (وحاشا هذه الشجرة المباركـة أن تدَّعي أو تـزوِّرَ أو تقول إلاّ ما قال الله تعالى ! . ثم قال في تفسير الآية الكريمة :)

ـ ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوْهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوْهَا ﴾ [2] : تخرب سمرقند ، وجاج ، وخوارزم ، والبصـرة ، وبلخ من الغرَق ، والهنـدُ من تبُّت ، وتبُّت من الصين ، وكَرمـان وبعض الشـام بسنـابـك الخيـل والقتـل ، واليمن من الجراد والسلطان ، وسجستان وبعض الشام بالزنج ، وشامان بالطاعون ، ومَرْو بالرمل ، وهراة بالحيَّات ، ومصر من انقطاع النيل ، وآذربيجان بسنابك الخيـل والصواعق ، وبُخـارى بالغرَق والجوع ، وبغداد يصير عاليْهـا سافلَهـا [3] . (وسيجعل الغـزوُ السفيانيُّ عـاليَ بغدادَ سافِلَها في القريب المنظور واللّهُ أعلم . . وقد جاء عن النبيِّ ﷺ في موضوع الخراب :)

ـ إن خراب البصرة من العراق ، وخراب مصـر من جفاف النيـل ، وخراب مكـة من الحبشة ، وخراب المدينة من السيل ، وخراب الصين من الجـراد ، وخراب الأبلة من الحصار ، وخراب فارس من الصعاليـك من الديلم ، وخـراب الديلم من الأرمن ، وخراب الأرمن من الخزَر ، وخراب الخزَر من التُـرك ، وخراب التُـرك من الصواعق ، وخـراب السند من الهنـد ، وخـراب الهنـد من الصين ، وخـراب الصين من الـرمـل ، وخـراب الحبشة من الـرجفة ، وخـراب الزوراء من السفيـاني ، وخراب الـرَّوحـاء من الخسف ، وخراب العراق من القحط [4] ! .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٩٧ .

(٢) الإسراء ـ ٨٥ ، والخبر في بشارة الإسلام ص ٤٣ وغيره .

(٣) الإسراء ـ ٨٥ ، والخبر في بشارة الإسلام ص ٤٣ وغيره .

(٤) بشارة الإسلام ص ٢٨ وص ٤١ خراب البصرة .

(ويلاحَظ أن خراب التُّرك ـ أي الغربيين والشرقيين ـ يكون في آخر الزمان بالصواعق ، يعني بالصواريخ الموجَّهة وأمثالها من المُحرِقات والمُغرِقات . . ثم بيَّن أميرُ المؤمنين عليه السلام بعض العلامات بقوله :)

إذا هُدم مسجد بُراثا [1] . (الواقع في ضاحية بغداد ، وهو من أقدس المساجد . . وجاء عنه عليه السلام أيضاً :)

ـ حجُّوا قبل أن لا تحجُّوا . فكأني أنظر إلى حَبشيٍّ اصمعَ أقرَع بيده مِعْوَلٌ يَهدمها حجَراً حَجراً [2] . (يعني الكعبة أعزَّها الله . وجاء عن الصادق عليه السلام بهذا الموضوع :)

ـ كأنيّ بأصفرِ القدمَين أحمشِ الساقَين على الرُّكن اليمانيِّ يمنع الناس من الطواف حتى يتذعَّروا منه ! . ثم يبعث الله رجلاً مِنّي فيقتله قتلَ عادٍ وثمود وفرعون ذي الأوتاد [3] ! . (ورُوي عنه بلفظ :)

ـ يُخربها ذو السويقتَين من الحبشة وهو أصلعُ أقرع [4] . . (والظاهر أن ذلك يكون بُعَيد مذبحة مِنَى الأنفة الذكر ، وقد يكون هادمُ الكعبة من اليساريِّين من أهل اليمن الجنوبية . . وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في نتائج الفتن المُبيدة :)

ـ لا يقوم ـ أي المهديّ ـ حتى يُقتَل الثلثُ ، ويموت الثلثُ ، ويبقى الثلث [5] ! . (ورُوي عن الباقر عليه السلام قريب منه هذا لفظه :)

ـ لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثُلُثا الناس ! . فقال أصحابه : ومن يبقى ؟ فقال : أمَا تَرضون أن تكونوا من الثُّلث الباقي [6] ؟ ! (وقال أمير المؤمنين عليه السلام :)

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٠٦ وبشارة الإسلام ص ٥٧ قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا يهدمه إلا كافر .
(٢) الملاحم والفتن ص ١٣١ وص ٧٨ بلفظ قريب ، وص ١٠٦ بمعناه ، والمخلاة ص ٣١ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٨ بعضه .
(٣) انظر البحار ج ٥١ ص ١٤٩ مع زيادة ، و الملاحم والفتن ص ٧٨ نصفُه الأول .
(٤) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٣ والملاحم والفتن ص ٧٨ بألفاظ متقاربة .
(٥) منتخب الأثر ص ٤٥٣ والملاحم والفتن ص ٤٦ وبشارة الإسلام ص ٨٠ بلفظ آخر ، وص ١٧٥ . .
(٦) البحار ج ٥٢ ص ١١٣ وص ٢٠٧ ومنتخب الأثر ص ٤٥٢ وبشارة الإسلام ص ١٢٣ ورويَ عن الصادقَين عليهما السلام ، وإلزام الناصب ص ١٨١ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ . .

ـ يكثر سفكُ الدماء ، ويُقتل من كل تسعةٍ سبعةٌ أو من كل سبعةٍ خمسة . فيقول الجاهل : مالنا في آل محمدٍ حاجة [1] . (وذلك لا يكون إلّا حين اشتداد الفتن والحروب العامة ، وتنكيل السفيانيّ ومطلع الزحف المبارك . . وقال عليه السلام في حديث ذكر فيه الفتن الجارفة :)

ـ يخرج ستُّون كذّاباً كلُّهم يدَّعي النبوّة ، ويزعم أنه رسول الله ! . وَيخرج العبيدُ على طاعة ساداتهم ويَقتلون مَواليهم [2] . (وقد شَهِدْنا كَذَبَةً ومارقين ، وعاصَرْنا حقداً مضطرماً على الموالي من العبيد أقام العبيدَ عمالقة كلام على أشلاء سادتهم وقادتهم . . ثم جاء عنه عليه السلام في خطبة البيان الحافلة بالتلميح والتصريح متكلّماً عن الفتن أيضاً :)

ـ . . فعند ذلك تخرج العجم على العرب ، ويملكون البصرة . . ألَا يا ويلَ البصرة مما يحلُّ بها من الطاعون ومن الفتن يتبع بعضُها بعضاً ! . ألَا يا وَيلَ لفلسطين وما يحلُّ بها من الفتن التي لا تُطاق ! . ألَا يا ويلَ لأهل الدُّنيا وما يحلُّ بها من الفتن في ذلك الزمان وجميع البلدان : الغرب والشرق والجنوب والشمال ! . ألَا وإنه تركب الناسُ بعضهم على بعض ، وتتواثبُ عليهم الحروبُ الدائمةُ ، وذلك بما قدَّمت أيديهم ، وما ربُّك بظلّامٍ للعبيد [3] . (فتأملْ أيها القارىء المعاصر . واحكُمْ على مثل هذه الأخبار العجيبة التي قد يعجز عن وصفها من عاشها ورآها . . وفلسطينُ وما حولَها ، وما يعانيه العالم من فتنٍ شديدة خيرُ شاهد على صدقها . .)

---

(١) انظر منتخب الأثر ص ٤٤١ وص ٤٥٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٠٧ والملاحم والفتن ص ٦٢ بعضه ، وفي مصادر أخرى كثيرة .

(٢) المهدي ص ١٩٥ وص ١٩٧ نقلاً عن الفصول المهمة ، وبشارة الإسلام ص ١٠ باختلاف يسير ، وص ١٧ وص ٢٩ : لا تقوم الساعة =ساعة ظهور المبارك ـ حتى يخرج نحو من ستين كذاباً كلهم يقول : أنا نبي ، وإلزام الناصب ص ١٨٥ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٩٦ وص ١٩٧ .

قالَ الإمَام الحسَين عليه السلام :

ـ إنَّما هو كنظام الْخَرز ، يَتبع بعضُه بعضاً[1] . (فهو يُشَبِّهُ تتابعَ العلامات وتتابُع الفتن بعِقد الْخَرز الذي إذا انقطع خيطه تَنفرط حبَّاته واحدةً بعد واحدة . وكأنَّه ما قصد إلا عهدَنا الذي بدأت الثورات تندلع فيه واحدةً إثْرَ واحدة حتى لَترى الدنيا على بركان في كلِّ ناحيةٍ من نواحي المعمور ! .)

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ لا يقوم القائم إلاَّ على خوفٍ شديدٍ وزلازلَ وفتنةٍ وبلاءٍ يُصيب الناس ، وطاعونٍ قبل ذلك . ثم سيفٌ قاطعٌ بين العرب ، واختلافٌ بين الناس وتَشَتُّتٌ في دينهم وتغيُّرٌ في حالهم ، حتى يتمنَّى الْمُتَمَنّي الموت صباحاً ومساءً من عظيم ما يَرى من كَلَبِ الناس وأكْلِ بعضِهم بعضاً[2] . . (وورد عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الموضوع :)

ـ أُبَشِّركم بالمهديّ ، يُبعث في أُمتي على اختلافٍ من الناس وزلازل[3] ! .

(وها قد قامت قيامة الفتن التي بدأت بتشتيت الفلسطينيين من أرضهم وديارهم أول ما بدأت ، ثم انتهت بمشتَّتين ولاجئين في لبنان وأفريقيا وشرقي آسيا وفي كثير من مناطق الأرض . . وها إن تشتُّت الدِّين ظاهرٌ في كلِّ مكانٍ بلا استثناء ، والكَلَبُ والبلاء يُقلِقان الناس كلَّ الناس . . ثم قال عليه السلام في تأويل الآية الكريمة :)

---

(١) بشارة الإسلام ص ٨٦ والغيبة للنعماني ص ١٣٩ عن الإمام الصادق عليه السلام ، ومثله في البحار ج ٥٢ ص ٢٣٥ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٢٣ وص ١٣٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣١ وص ٣٤٨ ومنتخب الأثر ص ٤٣٤ وإلزام الناصب ص ١٨٨ وص ٢٢٧ والمهدي ص ١٨٩ ما عدا آخره ، وبشارة الإسلام ص ٩٢ وص ١٠٩ ـ ١١٠ وص ١١٥ والإمام المهدي ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(٣) البحار ج ٥١ ص ٧٤ وج ٥٢ ص ٣٤٨ ومنتخب الأثر ص ١٤٧ والغيبة للطوسي ص ١١١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٧٣ والبيان ص ٨٤ والملاحم والفتن ص ١٣٤ وص ١٣٦ وبشارة الإسلام ص ١٨ وص ٣٢ وص ٢٨٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٤ والإمام المهدي ص ٦٢ نقلاً عن الإرشاد ، وص ١٠٢ وص ٢٦٩ ومسند أحمد م ٣ ص ٣٧ والمهدي ص ١٨٧ وص ٢٢٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٥ وإسعاف الراغبين ص ١٥١ ونور الأبصار ص ٢٣٠ .

ـ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً (أي ليلاً) أَوْ نَهَاراً ، مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [1] ؟ فهذا عذابٌ يَنزل في آخر الزمان على فَسَقَةِ أهل القِبلة ، وهم يَجحدون نزول العذاب عليهم[1] . . (وقد بدأ نزول العذاب على المسلمين خاصةً ، بعد أن ابتعدوا عن حظيرة الدين وتمسَّكوا بالعنصرية التي فرَّقتهم بدل أن تجمعَهم ، فكادوا يضيعون ، وضاع دينهم أو كاد . ثم قال عليه السلام بمناسبة هدم مسجد براثا في العراق :)

ـ . . فإذا فعلوا ذلك مُنِعُوا من الحجِّ ثلاثَ سنين . واحترقت خُضَرُهم وسلَّط الله عليهم رجلاً من أهل السَّفح لا يدخل بلداً إلاّ أهلكَه وأهلكَ أهلَه [2] .

(والرجلُ من أهل السفح لا بدَّ أن يكون من إيران أو من أكرادِ الشمالِ ، أي من البلاد الجبَليَّة . . وقد رُوِيَ المنعُ عن الحج عن الحُجَّة عجَّل الله تعالى فرَجه ، ومرَّ حديثٌ عن أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المعنى في موضوع : الآيات . وقد جاء عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسُه قولُه :)

ـ يُمنع الحج من العراق ثلاث سنين [3] . . (ثم حثَّ الصادق عليه السلام الناسَ على الحج قبل منعه بعد علامات ذكَرها كما مرَّ ، وقال الباقر عليه السلام :)

ـ توقَّوا دولةَ بني العباس ، فإن لهم في شيعتنا لَذعات ، وفي آخر دولتهم علامات أمضى من الحريق الملتهب [4] ! . (واللَّذعات والعلامات لا تخفَى على العارفين حين حدوثها . . وقد حدثَ في أيامنا قتلُ علماءٍ أعلام من شيعة العراق ، وقتل زعماء وضُبَّاطٍ كبارٍ ، وإخافةٌ وتشريد عائلاتٍ بأسرها لأنها شيعيَّةٌ فقط ! ! ! ثم نختتم إنذاراتهِ بقوله عليه السلام :)

ـ كأني بجرائدَ شتَّى ، تُدعَى بأسماء شتَّى ، لا أرى لهم رشداً ولا لِدينهم صيانة . كلَّما مالوا إلى جانبٍ انهدم منهم جانبٌ آخر . يعارضهم رجلٌ طبريّ [5] . .

---

(1) يونس ـ ٥٠ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ١٨٥ وإلزام الناصب ص ٢٢ وص ١٧٥ وغيرهما .
(2) البحار ج ٥٢ ص ٢١٨ .
(3) بشارة الإسلام ص ٥٧ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٨ عن أمير المؤمنين عليه السلام .
(4) إعلام الورى ص ٤٢٧ وبشارة الإسلام ص ١١٤ .
(5) بشارة الإسلام ص ١٧٧ وغيره .

(والجرائد هي مفارزُ الجيوش ، وطوائفُ المسلّحين من مختلف المنظّمات التي نراها في كلّ مكانٍ من الأرض ، إلى جانب كتائب الأحزاب العقائدية على اختلافها . وقد أكّدَ لنا باقِرُ العِلْم أن هذه الجرائد - على كثرتها واختلافها - سيعترضها ويتصدّى لها الطّبَريُّ - أي السفيانيُّ الذي يخرج من شرقيٍّ بحيرة طبريّة - ولن تنتهيَ هذه الغوغاء التي نحياها في بلاد الشام إلا بظهوره . .)

قال الإمام الصّادق عليه السلام :

- كلُّ رايةٍ تُرفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوتٌ يُعبد من دون الله عزَّ وجلَّ [1] . . (وقال عليه السلام بنفس الموضوع :)

- كلُّ بيعةٍ قبل ظُهور القائم فبيعة كُفرٍ ونفاقٍ وخديعة [2] . (ثم قال عليه السلام :)

- مَن يضمنْ لي موتَ عبد الله أضمنْ له القائم . إذا مات عبدُ الله لم يجتمع الناسُ بعده على أحد ، ولم يَتناهَ هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله [3] . (وصاحبنا هو سيدنا المهديّ عليه السلام . فإنه بعد موت واحد اسمه عبد الله - كملك الأردن السابق مثلاً - قد انفرط عقدٌ كان يتسمّى بالدول الإسلامية ، ونشأ خلاف لا يزال يستحكم بعد التمسك بالعنصرية العربية ، فكثُرت الانقلاباتُ والفتن . فقُبَيل موت عبد الله هذا قامت دولة إسرائيل ، وكلّما قويَ أمرُها زدنا تفرقاً وضَعفاً ، وكثُر شِقاقنا . وسوف لا يتناهى الأمر إلا بالفرَج الذي تبدو تباشيره في الآفاق . . بل لا مانع من أن يكون عبدُ الله المذكور في الحديث غيرَ عبد الله الذي ضربناه مثلاً في تعليقنا ، فقد ورد ذكر عبد الله هنا وفي معارك الشمال ومعركة قرقيسيا وغيرها قُبيل الفرَج والله وحدَه هو العالم . . ورُوي أنه عليه السلام :)

- سُئل : متى فرَج شيعتكم ؟ . فقال : إذا اختلف وُلْد العباس ووهَى سلطانُهم

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ١٤٣ والغيبة للنعماني ص ٥٦ وغيرهما .

(٢) بشارة الإسلام ص ٢٦٨ .

(٣) الغيبة للطوسي ص ٢٧١ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٠ وبشارة الإسلام ص ١٢٢ - ١٢٣ وص ١٩٢ شيءٌ منه ، والإمام المهدي ص ٢٣٠ .

وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم ، وخلعت العرب أعِنّتها ، ورفع كل ذي صِيْصِيَةٍ صِيْصِيَتَه . وظهر الشاميُّ ، وأقبل اليمانيُّ ، وتحرك الحسنيُّ ، بخرج صاحب هذا الأمر [1] . . (والشاميُّ هو السفيانيّ ، والحسنيُّ هو الخراساني كما حققناه في مكانه ، والصِّيْصِيَة هو ذلك السلاح الذي يرفعه كل ذي سلاح كما نرى الآن . . ثم جاء عنه عليه السلام في حديث طويل مرّ أوله في موضوع : لماذا غاب :)

ـ . . . . ولَتُرفعَنَّ اثنتا عشرة رايةً مشتَبهةً لا يُدرَى أيٌّ من أيّ ! . فقال بعض أصحابه : ما نصنع ؟ . فقال ، وقد نظر إلى شمسٍ داخلةٍ في الصُّفة : ترى هذه الشمس ؟ . وَاللّهِ لأمرُنا أبْيَنُ من هذه الشمس [2] ! (ثم قال عليه السلام عن مجزرة مِنًى) :

ـ بينا الناسُ وقوفٌ في عرفات إذ أتاهم راكبٌ على ناقلة ذِعْلِبَةٍ ، يُخبرُهم بموت خليفةٍ ، يكون عند موته فرَج آل محمد وفرَج الناس جميعاً [3] ! . (وقد استعمل الصادق عليه السلام لفظتين جديدتَين على الذهن : لفظة : ناقلة ، ولم يستعمل : ناقة أو راحلة ، أو دابّة . ثم وصَفها بلفظةِ : ذِعْلِبَة ، أي شديدة السرعة ليدلَّ على أنها وسيلة ركوب يستعملها أمثالُ سُعاة البريد ، كالدرّاجة الناريّة والسيارة الصغيرة وغيرها مما نستعمله الآن ولم يكن مستعملاً في أيّامه . فالصادق عليه السلام يأتي دائماً بالجديد في مواضيع إيضاحه ، وإن كان جدُّه أمير المؤمنين عليه السلام قد استعمل الرُّمز نفسه وذكَر اسْمَه لدلالته على السُّرعة الفائقة وزاد إيضاحاً في وصفه حيث قال) :

ـ هيهات الغضَب ! . موتاتٌ فيهنَّ موتات (أي في مِنًى) وراكبُ الذِّعْلِبة ! . مختلفٌ جوفُها بِوَضِيْنها ، يُخبرهم بخبرٍ فيَقتلونه ، ثم الغضَب بعد ذلك [4] ! ! ! (فانظر إلى هذا الوصف لِلذّعلبة ، وكيف أن جوفها مختلف بِوَضِيْنها . . يصف بذلك

---

(١) الغيبة للطوسي ص ١٤٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤١ وص ٣٠١ وبشارة الإسلام ص ١٣٨ ـ ١٣٩ والمهدي ص ١٩٦ بعضه .
(٢) الغيبة للنعماني ص ٧٧ ومنتخب الأثر ص ٢٥٨ وص ٤٣٩ والغيبة للطوسي ص ٢٠٥ والكافي م ١ ص ٣٣٦ والبحار ج ٥١ ص ١٤٧ وج ٥٢ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ وإلزام الناصب ص ٨٠ وص ١٨٩ وبشارة الإسلام ص ١٥١ وص ١٥٤ .
(٣) الغيبة للنعماني ص ١٤٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤٢ وبشارة الإسلام ص ٤٢ وص ١٢٢ .
(٤) الغيبة للنعماني ص ١٤٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤٠ وبشارة الإسلام ص ٤٢ .

محرِّك الآلات الحديدية السيّارة بكثرة قِطَعِه وتشابُك آلاته ودقة صُنْعه . فالناقة لا يختلف جوفُها بِوَضِيْنها ، في حين أن السيارة وما أشبهها كذلك ، فنحن نجلس بِوَضِيْنها ـ أي بالْبِطان : الداخلِ المنسوجِ الذي يُشَدُّ به الْفَرْشُ الناعمُ الجميل ، بقُرب المحرِّك الذي يَنْفِثُ ناراً ، بحيث كأنَّ الْفَرش والمحرِّك يكادان يختلطان . . فأشهدُ أن الأئمة كانوا ينظرون من وراء الحُجب إلى ما نحن فيه بتقدير من الله العزيز ، بدليلِ هذه الإيضاحات العجيبة ، وبدليلِ أنَّ أحداً من البشر لم يتكلم بمثل ما تكلّموا في هذا الموضوعِ أو في غيره . . فطوبَى لمن أخذ بأمرهم وتولّاهم وصدَّقهم ، لأن تصديقهم نجاةٌ في الدنيا والآخرة . . ثم يوضح الصادق عليه السلام خروج القائم عليه السلام بعلامات فارقة هامة ، فيصفُ معركةَ منًى بقوله عليه السلام) :

ـ يحج الناس معاً ، ويَعْرَفون (أي يقفون بعرفات) معاً على غير إمامٍ . فبينا هم نُزولٌ بِمِنًى يأخذهم مثل الْكَلَبِ ، فتثور القبائل فيما بينها حتى تسيلَ العقبةُ بالدماء ، فيفزَعون ، ويلوذون بالكعبة وإذا بالمهديِّ مُلصِقٌ وجهَه بها يبكي ودموعه تسيل . فيقولون : هَلُمَّ ولْنُبايِكَ ، فيقول : وَيْحَكُم ، كم من عهدٍ قد نقضتُموه ، وكم من دمٍ قد سفكتُموه ، فيُبايَعُ كُرْهاً [1] . . (وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مثلُه مع اختلاف في بعض الألفاظ ، ثم ختمه بقوله :)

ـ . . فإن أدركتموه فبايعوه ، فإنه المهديُّ في الأرض ، والمهديُّ في السماء [2] . . (ثم لا ينسى الصادق عليه السلام كيفية توجيهنا إلى أنواعٍ من الحماية لاتّقاء تلك الفتن المبيدة ، فقال :)

ـ ثم تَنقضُ الفتن حتى لا يقول أحدٌ : لا إله إلّا الله [3] ، يصلّي المرءُ ليراه الناس ! . فعليكم بأطراف البلاد ، وسواحل البحار ، ومواطىءِ الأودية ، والهرَبَ الهرب ! . (أو ليس من الغريب الغريب أن يختارَ لنا الصادقُ عليه السلام منذ ثلاثة عشر قرناً

---

(١) الملاحم والفتن ص ٥٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٢ وفي ص ١٣٦ ـ ١٣٧ شيءٌ منه ، وفي مصادر أخرى عرضت لوصف المعركة في منى . (وقد ورد بلفظ : فيفزعون إلى خيرهم ، ويلوذون إلخ . .) .

(٢) الملاحم والفتن ص ٥٠ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٢ .

(٣) الملاحم والفتن ص ٦٤ وغيره من المصادر .

كلّ مكانٍ قليلِ التأثر بالقذائف ، بعيدٍ عن خطر المدمِّر منها والمُحرِق وباعثِ الحرارة التي تقضي على الحياة ، كالقذيفة الذرِّية وما أشبهها ؟ ! ! إنه يختار أطراف البلاد وسواحل البحار والابتعاد عن الأماكن الآهلة بالسكان ، لأنها قلّما تُهاجَم بحسب الأعراف الحربيّة . مضافاً إلى الفرار من الفتن التي تعصف بالجماهير والهرب من كل مكانٍ يُطمَع فيه . . وقد سئل ﷺ عن الناس حين غيبة القائم ﷺ ، وعن فزع أوليائه وخوفهم ، فأمَّن من أوليائه أهل قرى جبل عامل دون غيرها ، فقال :)

ـ بلدةٌ بالشام . فقيل : إن أعمال الشام متَّسعة . فقال : بلدةٌ بأعمال الشقيف (أرنون) [٢] وبيوتٌ وربوعٌ تُعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال . قيل هؤلاء شيعتكم ؟ . فقال : هؤلاء شيعتنا حقّاً ، وهم أنصارُنا وإخوانُنا ، والمُواسُون لغريبنا ، والحافظون لِسِرِّنا ، وَاللَّيِّنَةُ قلوبُهم لنا ، والقاسيةُ قلوبُهم على أعدائنا . وهم كسُكَّان السفينة في حال غيبتنا . تَمحل البلادُ دون بلادهم ، ولا يصابون بالصواعق . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعرفون اللّهَ حقَّ معرفتهِ ، ويُساوون بين إخوانهم . أولئك المحرُومون ، المغفور لحيِّهم وميِّتهم ، وَذَكَرهم وأُنثاهم ، ولأَسْوَدِهِم وأبيضِهم ، وحُرِّهم وعَبْدِهم . وإنَّ فيهم رجالاً ينتظرون ، والله يحب المنتظرين [١] . . (فالبلاد التي وصفها الصادق ﷺ هي جبل عامل من لبنان الجنوبيّ ، التي يحدُّها ما يلي :

الخطُّ الممتد من قلعة الشقيف ـ أرنون ـ إلى غربيّ بنت جبيل كحدٍّ شرقيّ .

وساحلُ البحر الأبيض المتوسط من صور إلى الزهراني غرباً .

والخطُّ الممتدُّ من جنوبيِّ صور إلى قرب بنت جبيل جنوباً .

ثم الخطُّ الممتدُّ من النبطية إلى الزهراني شمالاً . . ولا يشمل التحديدُ الجبالَ العالية من بنت جبيل حتى مرجعيون والنبطية شرقاً إذ لم يجعلها الإمام ﷺ ضمن النقطة التي أمَّنها . وقد بشر الإمامُ ﷺ سكانَ جبل عامل بالنَّجاة ممَّا ذُكر في الحديث . فالحمد لله الذي جعلنا من أهل هذه المنطقة ، ونسأله تعالى أن يثبِّتنا

---

(١) وردت في الخبر : أرتون . واللَّفظة محرَّفة من كثرة النقل ، فهي : أرنون : البلدة التي فيها قلعة شقيف أرنون المشهورة التي تنسب إليها بلاد الشقيف في لبنان الجنوبي . وهي شرقي النبطية على بعد بضعة كيلومترات والخبر في أمل الآمل ص ١٥ .

بالقول الثابت وأن يعجّل فرَجَ وليّنا وفرَجِ المؤمنين في أقطار الأرض ، فلا أمان إلاّ ببَركة وجوده وكريم ظهوره . . وقد يظنُّ ظانٌّ أن ما يعانيه أهلُ هذه المنطقة الآن من اعتداءات إسرائيل واليهود هو تكذيبٌ لهذا الحديث . . ولهذا الظانّ نقول : انتظرْ حتى ينفجر بركانُ الثورات ـ ثورات آخِر الزمان العاتية ـ تَرَ أن الدنيا تعيشُ في جحيم معارك هائلة ، وتجد أن منطقة جبل عامل ستكون غيرَ مطموع بها ، وتجد أنها في ذلك الوقت بألفِ خير إن شاء الله تعالى . . وقولُ الأئمة قولٌ منزَّلٌ من عند الله ، والأيام تُحقّقه وتُبرهن على صدقه ، وتجعل المكذِّبين به يقفون مشدوهين تَدمغُهم الحُجة على يَدِ « المحرومين » الذين ذَكَرَهُم الصادق عليه السلام ثم قال :)

إذا رأيتَ الفتنة بالشام ـ أي في البلاد الشاميّة عامّةً ـ فالموت الموت حتى يتحرك بنو الأصفر ـ أي اليهود ـ فيسيرون إلى بلاد العرب ، فتكون بينهم الوقائع [1] . (ونحن اليومَ في بلاد الشام ـ وفي لبنان بالذات ـ نحيا أجواء هذه الوقائع المرعبة . والقذائفُ المدمِّرةُ المُحْرِقة تنهمرُ على جنوب لبنان كالمطر وأنا أكتب هذه السطور. والغاراتُ مستمرّة ، والحربُ تكاد تندلع بين لحظةٍ ولحظة . والوقائعُ الكبرى قد تكررت أربع مرات . وإنَّ خامستَها لَتتخايلُ في الأُفق المنظور . . فالخبرُ الشريفُ يتحقّق خطوةً فخطوة ، ونحن ننتظر هزيمة اليهود يومَ يقومون بحربهم الجديدة الخامسة المنتظَرة بالرغم مما يَحشدون لها من جنودٍ وما يكدِّسون لها من سلاحٍ وأعتدة . . ثم رُوي أنه عليه السلام قال :)

ـ تُظلُّكم فتنةٌ كقِطَع الليل المُظلم ، لا يبقى بيتٌ من بيوت المسلمين بين المشرق والمغرب إلاّ دخلَتْه ، لا يخلُص منها إلاّ من استظلَّ بظلِّ أفنانٍ (أي أغصانِ شجر) فيما بينه وبين البحر . فالأسلمُ للناسِ من تلك الفتنة مَوطىءُ التِّلال والسِّيْفُ (أي ساحل البحر) والأنجى الساحلُ والحجاز [2] . (وهذا حثٌّ آخرُ على الاقتراب من التلال وسواحل البحر والاختباء في ظل الأشجار كما ترى . . ثم قال عليه السلام في حديث آخر مستقل :)

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٠٧ .

(٢) الملاحم والفتن ص ٣٨ وبشارة الإسلام ص ١٠٩ آخرُه عن الإمام الباقر عليه السلام .

ـ أنْجَى النـاسِ من فتنة الصَّيْلم أهـلُ الساحـل وأهلُ الحجـاز [1] . (وعبَّـر عن تلك الفتن بالصيْلم لأنها تُصلي الناسَ ناراً بقذائف النابـالم الْمُحرقـة ، أو بما هـو أشد منها الْتِهاباً كخزّانات الحريق المتفجّـر التي ترميهـا الطائـرات الْمُغيرة . . هـذا ، وقد أظلَّتنـا فتنةُ دولـة إسرائيـل فدخـل الرعبُ منهـا إلى كل بيتٍ من بيـوت المسلمين فيما حولها ، وأدخلت إلى بيوت الآخرين أفكاراً أجنبيةً مستـوردةً من الشرق ومن الغـرب ، فكثُر التحزب وكثُرتِ التنظيمـات . . هذا إذا لم يكن الصـادق عليه السلام قد أشـار إلى فتنة أكبر منها تكون فيها القذائف الذرِّية التي يقلُّ انتشارُ حرارتها وغبارها الذريُّ في الأودية ومواطىءِ الجبال والسـواحل البحـريَّة . . فمـا هذا التـوجيه العجيب من الأئمـة عليهم السلام للأمة الإسلامية التي لو أخذت بتعاليمهم القدسيَّة لَفَازت في معاشها ومعـادها ؟ ! ! ثم جاء عنه عليه السلام :)

ـ لا بدَّ أن يكون قدَّام القائم سنةٌ يجوع فيها الناس ، ويُصيبهم خـوفٌ شديـدٌ من القتـل ، ونقصٌ من الأمـوال والأنفس والثمـرات ، فـإنَّ ذلـك في كتـاب الله لَبَيِّنٌ : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ [2] . . . إلـخ . . . (وقـد ورد مثلُه عن البـاقـر عليه السلام وفسَّـره بقوله :)

ـ ألجوع خاصٌ وعامّ : فأما الخاصُّ من الجوع فبالكوفة يخصُّ الله بـه أعداء آل محمد فيُهلِكُهم ، وأما العامُّ فبالشام ، يُصيبهم خوفٌ وجـوعٌ ما أصـابهم به قط . وأمـا الجوع فقبل قيام القائم ، وأما الخوف فبعـد قيام القـائم عليه السلام [3] . (ويتضح من هـذا أن ذلك يكون قُبيلَ وأثناءَ الفتنة السفيانيَّة وبعدَهـا . . ثم يُكمل الصـادق عليه السلام تصويـرَ تلك الكوارث بقوله :)

ـ لا يكون هذا الأمر ، حتى يذهب تسعةُ أعشار النـاس [4] ! . (ولا خلاف بين

---

(1) الملاحم والفتن ص ٣٨ وبشارة الإسلام ص ١٠٩ آخره عن الإمام الباقر عليه السلام .

(2) الغيبـة للنعماني ص ١٣٢ وص ١٣٣ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٢٩ وبشارة الإسـلام ص ١١٨ وإلزام الناصب ص ١٨ .

(3) البحـار ج ٥٢ ص ٢٢٩ وبشارة الإسـلام ص ٩١ وإلـزام النـاصب ص ١٨ والغيبـة للنعمـاني ص ١٣٣ .

(4) الغيبة للنعماني ص ١٤٦ وإلزام الناصب ص ١٧٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤٤ وبشـارة الإسـلام ص ١٢٦ .

هذه الأخبار المتشابهة من حيث التقدير النِّسبيّ لعدد الباقين بعد الحروب والأمراض ، فقد لا يستتبُّ الأمر للقائم عليه السلام إلا بعد ذهاب تسعة أعشار الناس . أي بعد الحروب العالمية المُبيدة ، وبعد حروب جميع الثائرين وحرب صاحب الزمان عليه السلام) .

قالَ الحجَّةُ المنتظر عليه السلام :

(كتب للشيخ المفيد قدَّس الله سِرَّه كتاباً طويلاً عرضْنا لشيءٍ منه ، ونذكر للقارىء الجُملةَ التي اختصر له بها جميع الأحداث كما يلي :)

ـ للأخِ السديد ، والوليِّ الرشيد ، الشيخِ المفيد :

ـ . . فَقِفْ أمدَّكَ اللّهُ بِعَونه على أعدائه المارقين من دينه على ما نذكره ، واعملْ في تأديته إلى من تسكن إليه (أي تطمئنّ) .

نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسَب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت الدنيا للفاسقين ، فإنّا يُحيط علْمُنا بأنبائكم ولا يَعزُب عنا شيءٌ من أخباركم ، ومعرفتُنا بالزُّلل الذي أصابكم ، قد جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون ، إنَّا غير مُهمِلين لِمُراعاتكم ولا ناسين لِذِكْركم . ولولا ذلك لَنزل بكم البلاء ، وَاصْطَلمكم الأعداء ، فاتّقوا الله جلَّ جلالُه وظاهِرونا على انتياشِكم من فتنةٍ قد أنافت عليكم ، يَهلك فيها من حُمَّ أجلُه ، ويُحمَى عليه من أدرك أملَه . وهي إمارةٌ لأزوف حَرَكتنا (أي لقرب قيامنا) ومباثَتِكم بأمرِنا ونَهْيِنا والله مُتِمُّ نورِه ولو كَرِه المشركون .

إعتصِمُوا بالتقيَّةِ من شَبِّ نار الجاهلية يَحْشُشُهَا عُصَبٌ أمويّة (أي : يُوْقِدُها ويُضرِمُها) تهرول بها فرقةٌ مهديّة (أي تسوقها رايَتَا : اليمانيّ والخراسانيّ) أنا زعيم من لم يَرْمِ منها المواطنَ الْخَفِيَّة ، وسلكَ في الطَّعن منها السبيل الْمَرْضية .

إذا حلَّ جمادى الأولى من سنتكم هذه (أي السنة التي تقع فيها الأحداث) فاعتبروا بما يحدُث فيه ، واستيقِظوا من رقدتكم لما يكون من الّذي يليه (أي انتبهوا لما يقع في جمادى الأولى وجمادى الثانية) ستظهر لكم من السماء آية جليَّة (نداء جبرائيل عليه السلام) ومن الأرض مثلُها بالسَّويَّة (نداء إبليس) ويحدُثُ في أرض المَشرِق

ما يُحزِن ويُقلِق (كثورة إيران الطويلة الأمد التي تؤذي الإمام الغائب عليه السلام لأن الشيعة يقتتلون فيما بينهم) ويغلب على العراق طوائف عن الإسلام مُـرّاق ، يضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق . (أي أنّ الله عزّ وجلّ يبتلي أهل العراق بعد مروق أجيالهم من الدِّين بمن يقتل وينكّل بأحراره وسادته وقادته ، ثم يرميهم بالفاقة والمجاعة) .

ثم تنفرج الغُمّة من بعده ببوار طاغوتِ الأشرار (أي المرَقَةِ من الدِّين فيه ، ومَن يَرأسهم) يُسَرُّ بهلاكه المتّقون الأخيار ، ويتفق لمريدي الحج من الآفاق ما يأملونه على توفير غلَبةٍ منهم واتّفاق ، ولنا في تيسير حجِّهم على الاختيار منهم والوفاق ، شأنٌ يظهر على نظام واتّساق ، فلْيَعمل كلُّ امرىء منهم ما يقـرِّب من محبَّتنا ، وَلِيتجنَّبْ ما يُدنيه من كراهِيَتنا وسُخطِنا ، فإن أمْرَنـا بَغتةً فجأة ، حين لا تَنفعه تـوبةٌ ولا يُنْجيه من عقابنا ندَمٌ على حَوبة ! . والله يُلهمك الرشدَ ، ويُلْطِف لكم بالتوفيق ، برحمته [1] . .

(فقد استعرض في هذا الكتاب الشريف المختصرَ أهم المراحل التي يمرُّ بها شيعتُه حتى يوم البَيعة وظهور الأمر بالفرَج المظفَّر . .) .

إنجيلُ لُوقا :

(١١ : ٢٥ ـ ٢٦) : ـ بكَربٍ وحَيرةٍ ، والناس يُغْشى عليهم من خوفٍ وانتظارِ ما يأتي المسكونة ! . (أي ما يأتي الأرض المسكونة من أنواع الفتن وأشكال البلايا والمخاوف . .) .

زكريا : (١٣ : ٨ ـ ٩) :ـ ويكون في كلِ أرض ـ يقول الرّب ـ أنَّ ثُلُثين منهما يُقطعان ويموتان والثُّلث يبقى فيها ، وأُدخل الثُّلُث في النار (وهي نار الحرب) وأُمحِّصهم كَمَحْص الفضة ، وأَمتحنهم امتحانَ الذهب . (وهؤلاء هم المؤمنون الباقون الذين يكونون كالكحل في العين بعد أن يدخلوا نيران الفتن . ومن الواضح أن ألفاظ هذه الأخبار ، هي ذات ألفاظ الأخبار التي وردت عن نبيِّنا صلى الله عليه وآله وسلم وعن أوصيائه الأبرار عليهم السلام) .

---

(١) انظر الرسالة الشريفة في الإرشاد ص ج ـ د والبحار ج ٥٣ ص ١٧٥ ـ ١٧٦ وإلزام الناصب ص ١٣٦ والإمام المهدي ص ٢٦٣ لم يذكر آخرَها اختصاراً في النقل ، وهي موجودة في مصادر أخرى .

١٩ ـ الفِتَن الأجنَبية

الأعاجم : تُرك ، روم ، صِينيُّون ، . . إلخ . .

التُّرك : أوروبيُّون وآسيَويُّون من أقصى الشرق ، واميركيُّون . .

الروم : اليهود قطعاً ، وبعض سكان شواطىء المتوسِّط الشمالية . .

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ يوشك أن تتداعَى عليكم الأُمم تداعيَ الأَكَلَةِ على قَصْعتها وأنتم كثيرٌ ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاء السيل . . ولَيَنزعنَّ الله من صدور عدوِّكُم الْمَهابة منكم ، ولَيَقذفَنَّ في قلوبكم الوَهْن ، من حُبّ الدنيا وكراهيَة الموت (١) ! .

(ولا أرى أوضح من ظاهرة تداعيْ الأُمم على المسلمين في هذه الأيام طمعاً ببترولهم وخيرات بلادهم وكنوزها ، وهم مئاتُ الملايين التي مزَّقتها الأهواء . فقد وقعوا في أيدي الغرب وأيدي الشرق ، وهم كالزَّبد الذي يذهب جُفاءً ، تتقاذفهم إرادةُ هؤلاء وإرادةُ هؤلاء رغم كثرتهم ورغم غناهم ، ثم يأكلون فَيْئَهم ويبثُّون روحَ الخلاف بينهم ، والمسلمون سادرون في ظلمات جهل المصير ، كأنَّهم لا يَعنيهم من الأمر شيء ! . ثم قال ﷺ :)

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٢٩ وص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

- إذا رأيتم أولَ التُّرك بالجزيرة فقاتِلوهم حتى تَهزموهم ، أو يكفيكم الله مؤونَتهم . فإنهم يفضحون الحَرم ، وهو علامةُ خروج أهل المغرب ، وانتقاض مُلكهم يومئذ [1] . .

(ونذكِّر القارىء أن التُّرك في الأخبار هم من نسل القبيلة المنسوبة إلى تُرك ابن يافث بن نوح ، ومنهم سكان منغوليا والبنجاب وآسية الوسطى وتُركستان وسيبيريا وقزوين وأفغانستان والهند وبعض جمهوريات الاتحاد السوفياتيّ . وليس أجرأ من هؤلاء على فَضْح الحرَم ، فإنهم بصميم عقائدهم المختلفة لا يُقيمون وزناً للجنس ولاَ لأصالة النَّسل ولاَ لإحترامِ النُّطفة ، ويُنكِرون وجود الله ويَعيشون في تحرُّرٍ يقترب من شيوعيَّة الجنس العامَّة ويندفع نحو الحيوانيَّة البهيميَّة شيئاً فشيئاً . وقد نزلوا الجزيرة بمبادئهم وبأسلحتهم التي يشترونها بها حين نشتريها منهم . .

وقد تَعني لفظة : تُرك ، في معناها الواسع غيرَهم من المستعمرين الغربيِّين الذين باعدوا بيننا وبين ديننا لمَّا حكَموا بلادَنا وحمَلوا إلينا أفاوِيْه بلادهم العَفِنة التي تسدُّ الأناف ! . فهذه اللَّفظة تعني هؤلاء مرةً ، وأولئك مرةً أخرى كما سيتَّضح لك من وصفهم في الأخبار القدسيَّة . .

أمَّا الفضحُ فيعني فضحَ الحرَم المقدَّس المعيَّن - المعرَّفُ بالألف واللام العهدية - . ويَصدق هذا - حينئذٍ - على اليهود الذين فضَحوا الجامعَ الأقصى ، أحدَ القبلَتين وثانيَ الحرَمين . وقد قال ﷺ يحذِّرنا من الشرقيِّين ومن الغربيِّين في آنٍ :)

- إذا أقبلَتْ فتنةٌ من المَشرق ، وفتنةٌ من المغرب ، وَالْتَقَوا ، فبطنُ الأرض يومئذٍ خيرٌ من ظهرها . فإن لم تجدوا إلاَّ جُحْرَ عقرب فادخُلوا فيه ، فإنه يكون شرٌّ طويل [2] ! . (وبطن الأرض خيرٌ من ظهرها : تعني شدَّة الخوف وتمنِّيَ الموت ، ولكنها ترمي أكثر ما ترمي هنا إلى ذلك المعنى الرفيع الذي قصدتْ منه الأخبارُ كلَّما ذُكِرتْ فيها (بطنُ الأرض) الهروبَ إلى الملاجىء التي يجب الاستعدادُ لها وحفرُها

---

(1) الملاحم والفتن ص ٣٣ .
(2) الملاحم والفتن ص ٣٠ وص ٣١ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص١٦٢ مع تفصيل في أوله .

اتّقـاءً للغارات الجـويّة وخـطر القـذائف والمتفجّـرات ، ذهـابـاً من القـذيفـة العـاديّـة والصواريخ إلى القذائف الذّريّة وما هو من سِنْخها . . فـالنبيُّ ﷺ وأهلُ بيتـه ؈ ما زالوا يحثّونا على اللُّجـوء إلى بطن الأرض أو الصعـود إلى الأعالي حيث لا تفعـل القذائف المحرِقة المستعملة في الحروب . . . هذه هي البرمَجَة الحكيمة الناصحة ، التي تـراهـا هنـا وفي مـوضـوع المغـربيِّ وغيـره ، فتـرى العجب العُجـاب في حُسْن التوجيه ! .

فَلْيَعِش المسلمون في بطن الأرض ـ بـالموت ـ كـراماً محـافظين على عقيـدتهم ناجين بها من فِتَنِ الارتداد ، أو على ظهر الأرض أذلَّةً لاجئين من بُقعةٍ إلى بقعـة ـ كما همُ الآن ـ غُـربـاءَ في أوطانهم ، أحيـاءً تـافهين بعـد أن ٱلتقتْ فتنـةُ المغـرب بفتنـة المشـرق ، هذه مـع حُلَفائهـا من يهودٍ ومستعمـرين ، وهـذه مـع حُلَفـائهـا من أعـوانٍ ومؤيِّدين ، يَخْضِمون ـ جميعاً ـ مقدّراتنا ويُبَعثِرون ثرواتنا ، ويَستنفـدون طاقـاتنا بـإيقاع الْخِلاف فيما بيننا ! ! ! وقد استعاذ النبيُّ ﷺ ممّا نحن فيه وقال :)

ـ أعـوذ بالله من فتنـة المشرق ثم من فتنـة المغرب ! . مـا من أهلِ ذِمَّتكم قـومٌ أشـدّ عليكم في تلك البلايـا من أهلِ الشـرقيّة (أي الفتنـة الشرقيـة) أصحـاب الملح والْعَسـول (أي المنفعة) . إن المـرأة من نسـائهم لَتَـطْعن المـرأةَ من نسـاء المسلمين وتقول : أَعطوا الجزية [1] ! ! ! . (وأهـل ذمَّتنا اليـومَ هم الحلفاء الـذين نسلِّم إليهم زمام أمورنا فيأكلون صِلاتِنا ويسبُّـون صَلاتَنـا ، ونحن وراء أبواقهم الجـوفاء ! ! ! . ثم جاء عنه ﷺ في الفتَن :)

ـ لَتَـأْمُرُنَّ بـالمعروف ولَتَنْهَنَّ عن المنكَـر ، أو لَيَبْعَثَنَّ الله عليكم العجم (أي كل من هم غيـرُ العـرب) فَلَيَضـرِبُنَّ أعنـاقكم ، ولَيـأكُلُنَّ فَيْئَكُمْ ، ولَيَكـونُنَّ أُسْـداً لا يفرُّون [2] . . (ولقد كان منّا التفـريط ، وحلَّ بنـا ما وعَـدَنا بـه . ثم جاء عنـه ﷺ أيضاً :)

ـ يُسْـرِع التُّرك على الفـرات . فكأني بـدوابِّهم المعصفَرات يَصطفِفْنَ على نهر

(1) الملاحم والفتن ص ٣٠ وص ٢٩ أوله .

(2) الملاحم والفتن ص ٣٠ .

الفرات (١) ! . (والدوابُ هي ما يدبُّ على أربع كما فصَّلْنا سابقاً . وفيه إشارة إلى الدَّبابات والمصفَّحات المموَّهة باللون الأصفر القريب من ذلك اللون ومما يكثر وجوده في الجيوش . وليس في الدنيا كلِّها ـ شرقِها وغربِها ـ دوابٌ من الحيوانات معصفَرات تكفي لتجهيز جيش واحد بكامله . ولم يقْصد النبيُّ ﷺ إلاّ النوعَ الذي ذكرناه من الدوابِّ التي تسير على عجلات . . وهذا الحديث ، وما يَليه من الأحاديث القدسية ، من أعلام النبوَّة الدالة على صدق الوحي الذي يحدِّث عن المستقبل مثلما يحدِّث عن الحاضر والماضي . . ومثلُه قولُه ﷺ :) .

ـ كأنيّ بالتُّرك على بَراذين مخذَّمة الآذان ، حتى يَربطوها بشطِّ الفرات (١) ! .
(فأين للتُّرك وغيرهم من سكان الدنيا بعددٍ هائلٍ من البراذين المخذَّمةَ الآذان التي تكفي لحمل جيش عَرَمْرم ؟ ؟ ؟ أما الدبَّابات والمصفحات وجميع الناقلات الحربية فهي مخذَّمة الآذان ـ أي مقطَّعةٌ آذانُها : ليس لها آذان ـ . وهذا هو الذي عناه رسول الله ﷺ ورمزَ إليه ، ثم ضمَّن وصفَها معنى الْخَذْمِ في السير ـ أي السُّرعة ـ حتى تُربط بشط الفرات من ناحيتَي سوريا والعراق على السواء . . وقد تكرَّر ذِكْرُ التُّرك في أحاديثه القدسية كثيراً ، فمن ذلك قوله ﷺ :)

ـ لَيردَنَّ التُّركُ الجزيرةَ ، حتى تُسقى خيلُهم (أي ما يركبونه فيَتخايلُ بهم) من الفرات . فيبعث الله عليهم الطاعون فيقتُلهم فلا ينجو منهم إلاَّ رجلٌ واحد . ويبعث اللَّهُ عليهم ثلجاً فيها صِرٌّ وريحٌ وجليدٌ فإذا هم خامِدون . فيرجع المسلمون إلى أصحابهم فيقولون : إن الله قد أهلكهم وكفاكم شرَّهم (٢) . . (وهذا يكون في موقعة قَرْقيسيا التي ترى تفصيلاً عنها ، أو في أعقابها بحسب الظاهر . . ثم قولُه ﷺ الأكثرُ إيضاحاً وتفصيلاً :)

ـ للتُّرك خَرْجتان : خرجةٌ لا يُنَهْنِهُهُم دون الفرات شيءٌ دون القطيعة . أصحاب مَلاحِيهم وفرسانُ الناس يومئذٍ قيسٌ وغيلان ، فتستأصلهم . . لا تُرْكَ بعدَها (٣) ! . (ولا يَبعد أنه ﷺ يُشير إلى تسلُّط التُّرك عندنا ، وإلى أن ضَرْب منشآتهم

(١) الملاحم والفتن ص ٦٤ وص ٧٢ قريبٌ منه .
(٢) الملاحم والفتن ص ٣٢ وص ٧٢ وص ٦٩ أوله .
(٣)) الملاحم والفتن ص ٧٢ وص ٧٣ وص ٣٢ بلفظ آخر .

ومصالحهم في البلاد العربية سيكون على يد قيس وغيلان ، ملمّحاً إلى انتصارٍ يكون لمصرَ وجاراتها ـ قيس وغيلان ـ في المعركة العربية ضدَّ اليهود بالرغم من وصول رُعبهم إلى شواطىء الفرات الغربيّة . . وفي قوله ﷺ : لا تُركَ بعدها ، إشارةٌ إلى حربٍ عالميّةٍ تَضرب الشرقَ بالغرب وتدمِّر روسيا وسيبيريا وغربيَّ وشرقيَّ أوروبّا ، وكاملَ قارّتَي أميركا وأُوقيانيا وقسماً من غربيِّ وجنوبيِّ أفريقيا . لأن جميع هذه المناطق لم يَرِدْ لها ذِكْرٌ في حروب القائم ﷺ ولا في دولة الحق ، مما يدل على أنها ستكون قد صارت إلى الفناء وانعدام الحياة فيها بسبب القذائف الذريّة والهيدروجينيّة والصواريخ النَّوويّة الموجَّهة ، وجميع وسائل الحرب الستراتيجية العابرة من قارّةٍ إلى قارة . . ثم جاء عنه ﷺ حديث يُلقي ضوءاً على هذا الأمر ، هو :)

ـ للتُّرك خَرْجَتان : خَرْجةٌ فيها خراب آذربيجان (وقد حصلت في أيامنا وأول سِنيِّ وَعْينا ، وتسلُّط الروس فيها على المسلمين وغيَّروا كثيراً من معالم المنطقة وأنظمتها) وخَرْجةٌ يخرجون في الجزيرة يُخيفون ذواتِ الْحِجال (أي النساء) فينصرُ الله المسلمين . فيهم ذِبْحُ الله الأعظم [1] ! . (وهذه الْخَرْجة قد بدت طلائعُها ، وستنتهي بالفرَج العاجل إن شاء الله تعالى ، وسيكون فيها ذِبْحُ الله الأعظمُ في مأدُبة الله للوحش والطير في موقعة قَرْقيسيا ومَلْحمتها . . ثم جاء عنه ﷺ في وصف حالنا ومآلِنا :)

ـ ستؤخَذ أُمتي أَخْذَ الأمم قبلَها : شِبْراً بشبرٍ وذراعاً بذراع . حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لاتَّبَعْتموهم . (وورَد عنه ﷺ بلفظ :)

ـ لَتَتَّبِعُنَّ سنَنَ من كان قبلكم حَذْوَ النَّعل بالنَّعل ، باعاً فباعاً ، وذراعاً فذراعاً ، وشبراً فشبراً ، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لَدَخلتموه معهم [2] ! . (فبلاد المسلمين تؤخَذ اليوم شِبراً شِبراً ، وذراعاً فذراعاً ، كما نرى في الجولان ، وفي الضفة الغربية ، والتوسُّع مستمر فترةً بعد فترة ، ونحن نضيِّع الوقت بالكلام ، وأعداؤنا يَطْوون الوقت بالمماطلات ، ولن ينفعنا في غفلَتنا هذه أن نَفِرَّ من هنا ونلجأ إلى هناك أذلّةً

---

(١) الملاحم والفتن ص ٣٢ وص ٦٩ وص ٧٢ وص ٧٤ .
(٢) البحار ج ٥٣ ص ١٤٠ وص ١٤١ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٥٧ ومصادر أخرى .

صاغرين ، ندخل ملاجىء الوقاية ، كما يدخل الضبُّ في جُحره ، خوفاً من قاذفات متفجّراتهم ونيرانهم . هذا على صعيد المفهوم الضيّق للخبر القدسيّ . أما على صعيد المفهوم الأوسع فإنّ البلاد التي تسكنها أمة محمدٍ ﷺ تُستعمَر بأوسع معاني الاستعمار في كلِ مكان ، ومُعتنِقو الدِّين الإسلاميّ ـ بالهوية ـ هم الممهِّدون والمساعدون والمقلِّدون للمستعمرين ! . ثم جاء عنه ﷺ :)

ـ إذا استثارت عليكم الرومُ والتُّرك وجُهِّزت الجيوش . ثم يتخالف التُّركُ والروم ، وتكثُر الحروب [1] . . (وقد استثار علينا التُّرك ـ أي الأعاجمُ ـ من شرقيِّين وغربيِّين . مع الروم ـ أي اليهود ـ كما ترى في شرح اللفظة الدقيق بعد بضع صفحاتٍ من هذا الكتاب . وجيوشُ الجميع الآن مجهَّزةٌ تنتظر شرارة كلِّ فتنة لتهجمَ بأساطيلها من ها هنا وها هنا وخصوصاً بعد ثورة إيران المباركة التي تدعو إلى الحقّ والدِّين وطردِ المستعمرين الذين يُثيرون فِتَناً وثوراتٍ في كل مكانٍ ليبقى العربُ والبترولُ العربيُّ تحت رحمتهم وفي قبضة يدهم .

ونحن الآن ننتظِر الخلاف الذي يقع بين اليهود وسائر حلفائهم كما تحدَّثَ هذا الخبر الشريف ، وكما تحدَّث غيره . وقد أشرنا إلى قُربِ كسرِ شوكةِ الصهيونيةِ المتمرِّدةِ إبَّان حربٍ قادمةٍ مسعورةٍ تشيب فيها الأطفال في غير هذا المكان . وكلُّ ما قاله نبيُّنا ﷺ فهو من الكائن المحتوم . .

أما اليهود ، فإنما يعيشون في كيانهم الصهيوني في فلسطين بدعم أميركا وغيرها ممَّن يحاربون الإسلام والمسلمين . وهم مفتقرون لهذا الدعم ، ولن يستغنوا عن مثله أبداً ما بقي يهوديٌّ على وجه الأرض مصداقاً لما جاء في قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ، وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ، إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ [2] . . (فالنصارى فوق اليهود إلى يوم وقوع الاختلاف الذي أشار إليه الخبر السابق ، والذي أخذت تباشيرُه تَبرز إلى الوجود من قِبَلِ بعض الدول الكبرى المنصفة ، وسيجيء يومٌ لا يبقى فيه

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ وبشارة الإسلام ص ١٧٦ والغيبة للطوسي ص ٢٧٨ .
(٢) آل عمران ـ ٥٥/٥٦ .

لليهود عاذِرٌ ولا ناصرٌ لأنهم يتّبعون خطّةً عدوانيّة ظالمةً ، ثم يفعل الله تعالى بهم ما قاله في الآية التالية :)

ـ ﴿ فَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ـ أي اليهود ـ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيْداً فِيْ الدُّنْيَا ـ على يد المسلمين وصاحب الأمر ، وأعذّبهم على بغيهم في الدنيا وَالآخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِيْنَ ﴾ [1] . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى أكثر من مرّةٍ ، كمثل قوله تعالى عنهم :

ـ ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوْا ، إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ، وَبَاؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ [1] ! . فحَبْلُ الله جاءَهم من مُروقنا من الدِّين فقوّاهم علينا ليؤدِّبنا على الْمُروق . وحبلُ الناس هو ما نراه من مساعدة الولايات المتحدة وغيرها . . وسيأتي يومٌ تُغْمِضُ فيه طَرْفَك وتفتحُه على الاختلاف وانقطاع الْحَبْلَين معاً ، فلا يبقى لهم ناصرٌ بإذن الله . ثم قال في موضوع الفتن :)

ـ بين يدَي الساعة ـ ساعة قيام القائم ـ فتحُ بيت المقدس ، وموتان فيكم كَقَصِّ الغنَم ، وإفاضةُ المال ، وفتنةٌ لا يبقى بيت من العرب إلّا دخلتْه . وهذه فتنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر (أي اليهود كما ترى في تفسير هذه اللّفظة) ثم يَغْدُرونكم فيأتونكم تحت ثمانين غايةً ، تحت كلِّ غايةٍ آثنتا عشَر ألفاً . (وورد بلفظ :) ثم يغزونكم ، وبلفظ : راية بَدل غاية [2] . . . وهذه هي الفتنة الإسرائيلية التي دخلت جميع بيوت العرب على كثرتهم الكاثرة . والغايةُ : هي الرايةُ لغةً ، وهي أيضاً : الطير الْمُرفرِف بجناحَيهِ الطويلَين . فإذا كانت كذلك كَنَّتْ عن الطائرات المقاتلة ، وليس في اللفظة تحريف ولا تصحيف . . والطائرات التي تؤلِّف الغطاء الجوّيّ للجيش الإسرائيليّ الذي بلَغ قرابة المليون نسمة ـ كما نصّ الحديث الشريف ـ مع تجنيد النساء والرجال هي (الغاية) التي ينضوي تحتها جيش اليهود ـ

---

(1) آل عمران ـ ١١٢ .

(2) انظر بشارة الإسلام ص ٣٥ وإلزام الناصب ص ٢٢٥ ومصادر غيرهما .

الضخم الذي سيخسرُ معركةً قادمةً له ، وستفتح القُدس بإذن الله قبل قيام القائم عليه السلام . وقد جاء هذا الخبرُ الشريفُ بلفظ آخر ، هو :)

ـ أُعْدُدْ سِتًّا بين يدَي الساعة : مَوتي ، ثم فتحُ بيت المقدس ، ثم موتان يأخذان فيكم كَقِصاص الغنَم . . . ثم فتنةٌ لا يبقى بيتٌ من العرب إلاّ دخلَتْه . ثم هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدُرون فيأتونكم تحت ثمانين غايةً . . إلخ[٢] . . .

(والهدنة تستمرُّ بيننا وبين اليهود كما ترى ، تماماً كما ذَكر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فلا حربَ ولا سِلْم . والفتنة في كلِّ بيتٍ من بيوتنا . . وسيجيءُ ذِكْر الهُدنة قريباً مع تفصيلها . ثم جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ والذي نفسي بيده ، لَيَلِيَنَّ أُمتي قومٌ ، إذا تكلّموا قتلوهم ، وإن سكتوا استَباحوهم . لَيستأثِرُنَّ بِفَيْئِهم ، ولَيَطَأُنَّ حُرمَتَهم ، ولَيَسفكُنَّ دماءَهم ، ولَيَملأُنَّ قلوبَهم دَغَلاً ورُعباً ، فلا تراهم إلاّ خائفين وَجِلين مرعوبين ! . عندها يجيءُ قومٌ من المشرق وقومٌ من المغرب يَلُون أُمتي . (وقد كان ذلك ، فالمسلمون مملوكون للشرق وللغرب) فالويلُ لضُعفاء أُمتي منهم ، والويل لهم من الله ، لا يرحمون صغيراً ولا يوقّرون كبيراً ، ولا يتجافون عن شيء . جُثَثهم جثثُ الآدميِّين ، وقلوبهم قلوب الشياطين[١] . (فصلوات الله على أكرم الخلق الذي لا ينطق عن الهوى ولا يحدِّث إلا بوحيٍ يوحَى ! . لقد وَلِيَ أُمته القومُ ، واستباحوا الأعراض ، ونهبوا الأموال ، وحكموا البلاد والعباد ، كما وعدَ بدون زيادة أو نقصان . . ثم رُوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن الباقر عليه السلام في الموضوع :)

ـ تَنزل التُّركُ الجزيرةَ ، وتَنزل الرومُ فلسطين[٢] . . (وهذا هو الذي حدث في زماننا بتمامه وقد أشرنا إلى نزولِ هؤلاء بفلسطين ، ونزولِ أُولئك في الجزيرة العربية حتى جنوبها ، وفي الجزيرة في شمالي سوريا ، ثم رُوي أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم مرةً لبعض أصحابه :)

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٣٣ وبشارة الإسلام ص ٢٥ـ ٢٦ .

(٢) الاختصاص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وإلزام الناصب ص ١٨٢ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ والمهدي ص ١٩٦ وص ١٩٧ وبشارة الإسلام ص ١٠٢ بلفظ آخر عن الإمام الباقر عليه السلام ، وص ١٧٥ وص ١٧٧ .

ـ هـل سمعتم بمدينةٍ جانبٌ منهـا في البحر ؟ . قـالوا : نعم . . قـال لا تقـوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق ـ أي اليهود ـ [1] . (والمدينةُ في خبرٍ شـريفٍ عكّا وفي خبرٍ آخر أيلة ، أي إيـلات : الثغر الإسـرائيلي الـواقـع على البحـر الأحمر . وقد حصل ما قاله بالضبط . فإن حربَي السويس : الأولى والثانية قـد اشترك فيها هذا العدد من بني إسحاق . .

وبهذه المناسبة نورد تعليقاً لنا على الآيات الكريمة التالية التي تصف حال اليهود عبر تاريخٍ يمتد آلاف السنين ، ليرى القارىء الكريم كيف يتحقق قول الله عزّ وجلّ ، وكيف يتحقق قولُ رُسله صلَواتُ الله عليهم . قال عزّ من قائل :)

ـ ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِيْ إِسْرَائِيلَ فِيْ الْكِتَابِ ﴾ : أي حَتَمنا على اليهود فيما سجّلناه في كتـاب القضـاء : ﴿ لَتُفْسِـدُنَّ فِيْ الْأَرْضِ مَـرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيْـراً ﴾ : بحيث تطغَون مرّتين طغياناً كبيراً ، ولا يتحمّـل الناس ظُلمكم في حـال تفوُّقكم العسكـريّ . ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْـدُ أُوْلاهُمَا ﴾ : أي أُولى المـرَّتين من فسادكم ﴿ بَعَثْـنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَـا أُولِيْ بَأْسٍ شَدِيْـدٍ ﴾ : أقوى منكم ولهم بـطشٌ وقوّة ، ﴿ فَجَـاسُوْا خِـلَالَ الدِّيَـار ﴾ : ودخلوا بيوتكم وهدموا بلادَكم وقتلوكم وقَهَـروكم وأَسَروكم وخـذلوكم خـذلاناً أبـديّاً ، وفـرَّقوكم من الخـوف في أقاصي المعمـور آلاف السنين ، ﴿ وَكَانَ وَعْـداً مَفْعُولاً ﴾ : سبق القضـاء فيه ولا بـدَّ منه . وهـذا هو الـذي حصل لليهـود في أيـام بُخْتُنَصَّـرَ حيث غزاهم وقتل منهم ثلاثمئة ألفٍ وأسر مئةً وعشرين ألفاً ، وهـدم الهيكلَ ونهبَ كثيـراً من نفائسه ونفائسهم وتُحَفهم . . وكان الوعدُ المفعول الذي كتبه الله على يد ذلك الغازي الذي أدَّبهم به . .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـا لَكُمُ الْكَـرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ : بعـد تلك الآلاف من السنين ـ وثم : تفيـد الترتيبَ والتراخي ـ فحصل ذلك في عصرنا إذ أَخـذوا أرضَ فلسطين ، وانتصـروا على مَن كـان فيها من المسلمين ، بمساعدة المستعمـرين ومسـاعـدة أذنـابهم من العُمـلاء والمستأجَرين ، ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيْراً ﴾ [2] ! أكثَر تجنيداً واستعداداً للحـرب ، كما

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٧ وغيره من المصادر .
(٢) الإسراء ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ .

هي حال إسرائيل اليوم إذ جعلت كل ما يـأتيها من المسـاعدات الأميـركية والجمعيـات الصهيونية العالمية مرصوداً لتجنيد مواطنيهـا وتسليحهم ، وطغتْ حتى ملَّت دولُ العالم طغيانَها وعُـدوانَها ، فلم يَبق لهـا ناصـرٌ إلاَّ أميركـا التي لا بد أن تَقتـل كلَّ يهـوديٍّ في بلادها آخرَ الأمر ، لأنهـا تُحِسُّ بأنَّهم سببُ تخـريبها وزَجِّهـا في حروبٍ خـاسرة ! ! !

﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ : وقد شـاء الله وسكنوا فلسـطين منذ ثُلُث قرنٍ حسبما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ : أي آخرتكم وإبادتكم أثنـاء المرَّة الثانية ، ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ [1] : فجمعناكم من أطراف الدنيا بحسب طريقتكم من تهجير اليهود إلى فلسطين وتجميعهم في الأرض المقدسة لتكون نهـايتهم فيها كمـا قال الله تبارك وتعالى ، وليضربَهم صاحبُ الأمر عليه السلام وأنصارُه بعد مناوشاتهم المستمرَّة مـع العـرب ، فيقضي السيفُ المنتـظَر على آخـر يهـوديٍّ . . ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ ، يعني الضربـة الآخرة لكم حينَ قيـام القائم عليه السلام وأصحـابه ، ﴿ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ ﴾ : أي يجعلونها سـوداء مُصـابـةً بـالسـوء والخسـران من شـدَّة خـذلانكم وفشلِكم ، ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ﴾ : يعني المسجـد الأقصى في القـدس ، ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ : حين دخله الغُزاة القدماء فاتحين ، وحين دخله دين محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ [2] : فيَهدمون ويُدمِّرون كل شيءٍ علَوه وداسته أقدامُهم برّاً وجوّاً ، ممَّا بَنيتُم أيامَ طُغيانكم .

وقـد توهَّم أكثـر المفسِّرين فـاعتبروا أن المـرة الثانيـة لإبـادة اليهـود هي دخـول بُخْتَنَصَّرَ المذكور ، مع أن سَرْدَ الآيات الكريمة لا ينطبقُ على ضربته لهم ، فقد وصف القرآن الكريم مراحل التمهيد لهذه البطشة كما أشرنا . وحكايةُ الحال مـذكورةٌ في أول سـورة الإسْراء ، بحيث ترى تسلسل المـراحـل خـطوةً خـطوةً . ولكن بعـد أن ينتهيَ الكلامُ ويُستأنف ، تَستـطردُ الآياتُ في ذكـر بعض الأحوال والأحكـام ، ثم لا يعتّم أن يجيء ذِكْرُ النهاية في آخر السورة نفسها ، حيث يورِد تعالى ذِكْرَه تفصيلَ الضربة الثانية ويَعِدُ بتجميعِ اليهود : ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ . .

---

(١) الإسراء ـ ١٠٤ .

(٢) الإسراء ـ ٧ .

فهو يخاطبهم ويُنذرهم بشيءٍ سيحصل لهم في مستقبل حياتهم لا في صدر الإسلام كما توهَّم المتوهِّمون . والوعيدُ المتكرِّرُ في الآيات يدل على وقوع أمرٍ سيَحدث لهم فيما يُسْتقبَلُ ، أي بعدَ ظهورِ الإسلام لا قبلَه ، ولم يأتِ بشكل الإخبارِ والتحدُّثِ عن موقعة (بُخْتَنَصَّر) ولا فتوحات الإسلام للمناطق اليهودية في سالف الأيام . . فعلى مَن أراد أن ينظر في أول السورة بتأمُّل ، أن يَقلب صفحات قليلةً فيرى في نهايتها نهايةَ مطافهم الذي يسلكون فيه طُرق العدوان التي أمرتهم بهما التوراة التي بين أيديهم حين قالت لهم :

ـ أقْتُلوا لهلاكِ الآخرين ، ولا تُعْفوا الشيخَ والشابَّ والعذراءَ والطفلَ والنساءَ[١] ! ! ! وهذا هو الذي يفعلونه بالذات منذ وقوع معركة دير ياسين حتى يومهم هذا . فقد قَتلوا الشابَّ والشيخَ والمرأةَ والطفل ، واعتدَوا على العذارى ، ونكَّلوا وهَدموا ودمَّروا ثم لاحَقوا سكّان فلسطين الأصليين بطائراتهم وقذائفهم المحرِقة ، مصمِّمين على إبادة شعبٍ بكامله دون أن تخطر في بالهم الشفقةُ أو الرحمة . . ولكن النبيَّ ﷺ يَعِدُنا بالفتح المبارك بعد هذه البلايا التي ذكَرها ، ويقول :)

ـ يَستخدم المشركون المسلمين ويبيعونهم في الأمصار ، ولا يتحاشى لذلك برٌّ ولا فاجر[٢] ! . . (ونحن هكذا مباعون ، وعملاء مأجورون) ولا يزال ذلك البلاء على أهلِ ذلك الزمان حتى إذا يئسوا وقَنطوا وأساؤوا الظن ألّا يُفرَّج عنهم ، إذ بعث اللّهُ رجلاً من أطايب عِتْرتي وأبرار ذُرّيتي ، عدلاً مباركاً زكيّاً ، لا يغادِرُ مثقالَ ذرَّة ، يُعِزُّ اللّهُ به الدِّينَ والقرآنَ والإسلامَ وأهلَه ، ويُذِلُّ به الشِّركَ وأهلَه ، يكونُ من الله على حَذرٍ (أي لا يخالف أمرَه بل يعمل بأحكامه) لا يغتَرّ بقرابة ، ولا يضع حجراً على حجر ، ولا يَقرع أحداً في ولايته بسَوطٍ إلاّ في حَدٍّ . يمحو الله به البِدَع كلَّها ، ويُميت الفتن كلَّها . يَفتح الله به بابَ حقٍّ ، ويُغلِق به باب كلِّ باطل ، يردُّ به سَبْيَ المسلمين حيث كانوا[٣] ! . (ذاك هو صاحب الأمر عليه السلام الذي يُرجِع كل نازح إلى

---

(١) سفر حزقيال ـ ٩ : ٦ .

(٢) الملاحم والفتن ص ١٠٨ (والمسلمون مباعون وعملاء مأجورون في الشرقين الأدنى والأقصى ، وفي أفريقيا ، بل في كل مكان يحلّه المسلمون) .

وطنه في دولة العدل . . وكثيراً ما وعد رسولُ الله ﷺ المسلمين بهذه الهزائم ، وحدَّثهم بذينك الهروب واللجوء كما مرّ . . فقد وقع ما وعدَ به الذِّكر الحكيم ، ونصَّت عليه أحاديثُ سيد المرسَلين ، وتمت غلَبةُ الروم (1) على قسم من بلاد الشام . . ثم ورد عنه ﷺ في الموضوع :)

ـ يكون اختلافُ صنفَين من العجم في لفظة كلمة (عدل) وسفكُ دماء كثيرة فيما بينهم ، وقتل ألوف الألوف ، إذ تقتتلُ الفئتان مقتلةً عظيمة ، وَدعْوَتُهما واحدة (2) . . (نعم ، الدعوة واحدة عند المعسكرين : الشرقيّ والغربيّ ، تتلخص في الوقوف بوجه الدعوة إلى الهدى ودين المصطفى ، واختلافهما وقعَ في كلمة (عدل) التي فهمها كلُّ منهما بمفهومه الخاصّ ، وسيجرّ اختلافهما إلى كارثةٍ تمحقُ الجنسَ البشريَّ أكثرَه ، وتدَع بعض القارات قاعاً صَفصفاً ! . فتبارك خالقُ هذا النبيِّ الأميِّ الذي أخرجنا من ظُلمات الجهل إلى نور الإيمان ، وعبَّد لنا الطريقَ وأوضح السبيل ، وتكلَّم عن مثل كلمة (العدل) منذ أربعة عشر قرناً ، تلك الكلمة التي أظهرتِ العالَم بأسره مُدارياً مواربِاً مراوِغاً يَخسأُ أن يقول لليهود : تعدَّيتم على أرض شعبٍ آمن وشرَّدتموه من بلاده ، وما زلتم مُمعِنين في إبادته ! ! ! والكثيرون من حَمَلَه هويةَ الإسلام يتردَّدون في تصديق دعوته واتباع تعاليمه ! . ثم تكلم عن أشياء تعيشها أمتُه وتعانيها ، كقوله ﷺ :)

---

(1) لفظة الروم تعني اليهود الذين نزلوا بفلسطين في عصرنا ، وتصفهم بعض الأخبار ببني الأصفر ، لأنهم أولاد الأصفر بن روم بن عيصون بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام . فبنو الأصفر هم الروم ذاتهم . وقد كان أبوهم الأول أصفر اللون (الإختصاص للشيخ المفيد ـ 176) وقيل : أصفر أو صوفر بن عيسى بن إسحاق ، إلخ . . وكان يعيش في رومية فكُني بالرُّوميّ ، وبها بقي نسلُه وتفرَّق منها ، فبنو الأصفر هم الرُّوم أنفسهم بدليل قول عديّ بن زيد العباديُّ المتوفَّى سنة 590 م الذي قال :

وبَنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الـ ـأرض لم يَبقَ منهُمُ مذكُورُ

أي ملوك المال في الأرض . فهُم الروم، وأولاد الأصفر الذي نسبناه هنا ، والله العالم . (انظر تاريخ سنيِّ ملوك الأرض ص 60 وغيره) .

(2) تجده عن النبي ﷺ وعن بعض الأئمة عليهم السلام في إلزام الناصب ص 22 وص 185 و 188 وبشارة الإسلام ص 5 وص 31 وص 32 وص 35 وص 176 وص 188 والمحجة البيضاء ج 4 ص 343 وصحيح مسلم ج 8 ص 170 آخره ، والملاحم والفتن ص 164 أوله ، والإمام المهدي ص 235 ومسند أحمد م 2 ص 530 .

ـ سيكون بعدي فتنٌ ، منهـا فتنة الإجْـلاء ، يكون فيهـا هرَبٌ وضـرْب ، ثم من بعدها فتنٌ أشد منها ، ثم فتنـةٌ كلما قيـل انقطعتْ تمـادتْ حتى لا يبقى بيتٌ إلاّ دخلتْه وسِلْمٌ إلاّ صكَّته حتى يخرجَ رجلٌ من عترتي ، ألفتنةُ الرابعةُ ثمانيـةَ عشر عـاماً [١] . .

(فهو كما سبق وقلنا ـ يحدِّثنا عن فتنة وجـود إسرائيـل في بلاد المشـرق ، وعن ضرب سكان فلسطين بالقساوة التي رأيناها ، وعن إجـلائهم عن أرضهم ـ فتنة الإجـلاء ـ . . وقد عَقِبتها فتنٌ كثيرة أثارتها الصهيونية فيما بيننـا كيلا نتكتَّـلَ ضدَّهـا ، ووصلتْ ويلاتُ هذه الفتن إلى كل بيت ، وإلى كل بيت في لبنان خاصةً ، وفي بلاد العرب عـامة . . فما هو بقول شاعـر ولا ساحـر ولا منجِّم تروِّجـه الصحف ووسائـل الإعلام . . ونحن نعيش اليوم الفتنة الرابعة التي وعـدنا بهـا ـ يقيناً ـ والتي بـدأت سنة سبـع وستّين وربّما انتهت في سنة خمسٍ وثمانين بإذن الله تعالى ، ومن كان له أُذنـان فليسمعْ . . ولقـد قال ﷺ عنها أيضاً :)

ـ بينكم وبين الروم أربعُ هُدَنٍ : يومُ الرابعة على يدِ رجلٍ من أهل هِرَقل ، يدوم سبع سنين . ثم يكون إمام الناس المهديّ [٢] .

(وقد كانت الهـدنة الـرابعة بين العـرب المسلمين وبين يهود إسـرائيل على يـد رئيس الولايات المتحدة ووزير خارجيتها الذي زَرَعَ الآفاق في مفاوضاته المكّوكيَّـة بين أميركا وإسرائيل ومصر عشرات المرات . فإذا دامت سبـع سنين فهي هي ، لأنها تمَّت على يد رجل من رؤساء الغرب . . وستندلع الحرب بين العرب وإسـرائيل في نهـايتها جزماً ، ثم تتمهَّد الأمور للفرَج بإذن الله . .

هـذا إذا لم أكن قد تـوهَّمت في تعيين بدء تـاريخ الهـدنة الـرابعة التي نحن في ظِلِّهـا ، وما أحسَبُني مخـطئاً البتـة . لأنهـا إذا لم تكن الهـدنـة تعني إيقـاف الحـرب السـاخنة ، كان معناهـا ـ بلا شـكّ ـ ذلك المـولود المسـخ في كَمْبْ دايْفيد ، أي هـذا

---

(١) تجده بألفاظٍ متَّفقة ، أو متقاربة ، أو مختلفة نوعاً ، في الملاحم والفتن ص ١٨ وبشـارة الإسلام ص ٣١ وص ٣٥ ومنتخب الأثـر ص ٤٤٢ والمهدي ص ١٨٩ والإمـام المهـدي ص ١٠٧ وص ٢١٦ بلفظ : فتنٌ لا خلاصَ منها وكذلك في ص ١١٦ .

(٢) تجده بنصوص متفقة ومختلفة بـاللفظ في كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ وص ٢٧٧ والبيـان ص ٩٥ وبشارة الإسلام ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ وص ٢٩٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٦ وإلزام الناصب ص ٥٢ نقلاً عن الفصول المهمة ، وص ٢٥٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٨ وص ١٦٢ نقلاً عن غاية المرام .

الصلحُ الصوريُّ المنفردُ بين مصر وإسرائيل ، الذي وضع رئيسُ الولايات المتحدة كارْتِر كلَّ ثِقله فيه ليُحقِّقه ، والذي خَلِفَهُ فيه الرئيس ريغان وجاء أكثرَ حماساً من سلفه لدولة إسرائيل ، وليكون هُدنةً بما في كلمة الهدنة من معنى ، ولتتنفَّس أميركا وإسرائيل ، ولتفكِّرا بمكيدةٍ أخرى تبدِّدان بها شمل العرب . . . ولكن الله جلّ وعزّ قال لداود ﷺ : يا عَبدي : تُريد وأُريد ، ولا يكون إلاّ ما أُريد . .

وقد تكرَّر ورود مثل هذه الرواية عنه ﷺ إذ (قال :)

ـ بينكم وبين الروم سبعُ سنين . فقيل : يا رسول الله من إمامُ الناس يومئذٍ ؟ . قال : المهديُّ من ولْدي [1] . (وبناءً على هذا ، قد يحصل الفرَج بعد توقيع اتِّفاقية كَمْبْ دايْفيد بسبع سنوات مثلاً . وهذا يتفق مع ما أُشير إليه سابقاً ، واللّهُ العالِم . . ثم قال ﷺ عن اليهود :)

ـ يكيد الروم لأهل الشام ، ويجمعون لم جمعاً عظيماً ، وتكون مقتلةً عظيمة يوم الفتح [2] . (أي يوم فتح فلسطين ودخول بيت المقدس . ثم قال ﷺ :)

ـ يوشك لأهل الشام أن لا يُجْبَى إليهم دينارٌ ولا مُدٌّ ، وذلك من قِبَلِ الروم [2] . (أي بسبب الفوضى التي تنشرها إسرائيل في بلاد الشرق الأوسط فتشغل بالَ سكان المنطقة وتُلهيها عن أمورها وشؤون مواردها الطبيعية التي تغذِّي الدخْلَ القوميّ ، وسكان المنطقة يعيشون اليوم ـ فعلاً ـ بالْهِبات والمساعدات . والمواردُ الطبيعية معطَّلةٌ حوالي دولة إسرائيل . . ثم قال ﷺ عن اليهود أيضاً :)

ـ عدوٌ يجمعون لأهل الشام، يجمع لهم أهل الإسلام . فقيل له : الروم تَعني ؟ قال نعم ، ثم قال : ويكون عند ذلكم القتال رِدَّةٌ شديدة [3] . (وقد كان الجمع من الطرفَين . وكان القتال . . وكانت الرِّدَّة عند أكثر الشباب المسلمين وأجيال

---

(1) تجده بنصوص متفقة ومختلفة اللفظ في كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ وص ٢٧٧ والبيان ص ٩٥ وبشارة الإسلام ٢٨٢ ـ ٢٨٣ وص ٢٩٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٣٦ والزام الناصب ص ٥٢ نقلاً عن الفصول المهمة وص ٢٥٦ وينابيع المودّة ج ٣ ص ١٠٨ وص ١٦٢ نقلاً عن غاية المرام .

(2) انظر كشف الغمة ج ٣ ص ٢٧٢ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٧ وص ١٨٥ والبيان ص ٨٣ والملاحم والفتن ص ٧٥ وص ١١٠ وبشارة الإسلام ص ٢٩٢ وإلزام الناصب ص ٥٢ وص ٢٥٦ وغيرها من المصادر التي ذكرت الفتن في آخر الزمان .

(3) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٧ وإلزام الناصب ص ١٧٨ وغيرهما من المصادر .

المعاصرين شديدةً ـ مع الأسف ـ كما قال خاتم المرسَلين . . وقد رُوي عنه ﷺ أيضاً :)

ـ ملاحمُ الناس خَمسٌ : قد مضت اثْنتان ، وثلاثٌ في هذه الأمة . ملحمة التُرك ، وملحمة الروم ، وملحمة الدجّال [1] . . (وستكون ملحمة التُرك في قرقيسيا . وبعدها تكون ملحمة الروم وملحمة السفيانيِّ على يد القائم المنتظَر ﷺ . . ومن الواضح أن جيشَ المهديِّ ﷺ هو الذي يهاجم يهود فلسطين من الحجاز ، بالعِدَّة من أنصاره وبأهل مكة الذين نغبطهم ونهنّئهم على مبايعته في الأيام الأولى للدعوة إذ يخرج منها بعشرة آلاف مقاتل ـ يُهاجمهم هكذا بدليل هذا الحديث الشريف الذي يُصرِّح بأن رُوْقَةَ الإسلام ـ أي خيار المسلمين ـ هم الذين يقتلونهم ويتجاوزونهم حتى يفتحوا القسطنطينية ، وبدليل ما جاء في القرآن الكريم في سورة الروم التي اختصرت أمور اليهود من مَبدئها إلى منتهاها بآياتٍ قصيراتٍ بيِّنات قال اللّهُ تعالى فيها :)

ـ ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِيْ أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ : على أيدي النبيِّ ﷺ والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، أيام الدعوة الإسلامية ـ ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُوْنَ ﴾ [2] : كما حدثَ ، فقد كانت لهم كرَّةٌ على الإسلام والمسلمين . وقد استعمروا بلادهم ، وتحكَّموا في رقابهم ! . . . بل ما زالوا يتحكَّمون ويحكمون كمستعمرين ومُتغلِّبين . وقد أتاحوا ـ بعد مئات السنين ـ أن يُحْيُوا الفكرةَ الصهيونية ، وأن يُمكِّنوا اليهودَ من التجمُّع والتكتُّل والتسلُّح . . وها هم يعودون إلى أرض فلسطين : أدنى الأرض ، وينتصرون ويُقيمون كياناً لهم ، ﴿ فِيْ بِضْعِ سِنِيْنَ ﴾ : لا تنقصُ عن أربعينَ سنةً ولا تزيدُ على الثمانين ، ﴿ لِلّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ : حين يُغلب الرومُ على أمرِهم ويَدحرهم المسلمون ، وحين يردُّهم الله إلى الشرق ليؤدِّب بهم المسلمين التاركين لِدِينهم ، إلى أن يمتشق الحُجَّةُ القائمُ ﷺ حُسامَ النِّقمة ، ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُوْنَ بِنَصْرِ اللهِ ﴾ [2] : بعد دَحْرِهم وتدمير آثارهم وآثار

---

(١) الملاحم والفتن ص ٦٩ .

(٢) الروم ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ، وفي مجمع البحرين ج ١ ص ١٤٨ : أدنى الأرض هي أطراف الشام ، أي أدنى أرض العرب إلى أرض الروم وأرض فارس .

أعوانهم ومساعديهم من العرب والأجانب ، ثم يكون مآلُ الحُكم إلى الله تعالى وإلى وليِّهِ العدلِ الذي يُقيم العدل إن شاءَ الله تعالى . . وقد قال الإمامُ الصادقُ عليه السلام بعد تلاوة هذه الآية الكريمةِ :)

ـ ﴿ ويَومَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ الله ﴾ : عند قيامِ القائم عليه السلام [1] . . (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معركة إنهاءِ وجودِ اليهود :)

سوف تَرون جبالاً تزول قبل حق الصَّيحة . لا تقوم الساعة حتى يدلَّ الحجرُ على اليهوديِّ فيقول الحجرُ : يا عبدَ اللّهِ هذا ما تبتغي . (والساعة هي موعد الظهور الذي يُرعب اليهود أكثر ما يُرعب ، فيفِرُّ واجِدُهم من الزحف المبارك ويُحاول أن يختبىء فيتصوَّر الحجرَ ينطق ويدلُّ المسلمَ عليه فيخرج مرعوباً متحيِّراً ، فيقع في شَباة السيوف . ثم ما أدراك أن يُنطِق اللّهُ الحجرَ ببركة قائد ذلك الجيش المظفَّر الذي ادُّخره اللّهُ تعالى للنِّقمة من أعداء الحق من سائر العالمين . . ورُوي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال مُبَشِّراً ومُنذِراً :)

ـ سألت لأمتي أن لا يُسلِّط عليهم عدوّاً من غيرهم فأعطانيها . (وفيه إنذارٌ لليهود بأن لا تقوم لم دولةٌ آمنةٌ مطمئنةٌ مستقرَّةٌ بمعنى الدولة الصحيح ، وبشارةٌ لنا تدلُّ على أنهم لن يتسلَّطوا على أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولن يتحكَّموا بها وبخيرات بلادها مهما راودتهم بذلك الأحلام . . وإذا كان الأمر كذلك ، فهو علامةٌ على قرب الفرَج إن شاء الله . . ثم أعطى علامةً أخيرةً لقُرب الفرَج بقوله صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ إن القائم لا يظهر حتى تملك الكفارُ الأنهر الخمسة : سيحون ، وجيحون ، والفرات ، ودجلة ، والنيل ، فَلَيَنصرنَّ اللّهُ أهلَ بيته على الضلال ، فلا تُرفَع له راية إلى يوم القيامة [2] . . (والأنهر الخمسة المذكورة قد ملَكها الكفارُ من المستعمِرين فعلاً ، ولا تزال لهم يدُ سيطرةٍ عليها ، هذا من هنا وذاك من هناك ، حتى أن الصين تخطَّت سورَها وخرجتْ من عُزلتها وبدأت تغازلُ مصر وغيرَها من الدول العربية

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٧ وغيره .

(٢) إلزام الناصب ص ١٧٨ والملاحم والفتن ص ١٦٣ ـ ١٦٤ باختلاف يسير . سيحون نهرٌ في تركيا ، وجيحون ينبع من الهند ويصب في روسيّا .

الإسلامية وتقدِّم الْهِباتِ والهدايا والمساعدات . وكان رسولُ الله ﷺ قد وعد بانتشار يأجوج ومأجوج ، مُعلناً عن خروج أهل الصين من وراء سور بلادهم كما حدث حين اندلَعت حرب طاحنةٌ بين الصين وفيتنام بسبب كمبوديا وبسبب مطامع أخرى يريد الصينيون تحقيقها ، فخرجوا من حدود بلادهم لأول مرَّةٍ وهاجموا جارتَهم . . وفي الخبر الشريف إشارةٌ إلى عددهم الهائل بدليل استعمال لفظة : ينتشر ، فإن الصين وحدَها وصلَ عددُ نفوس سكانها إلى المليار نسمة تقريباً . وقد قال الله تعالى عنها في كتابه العزيز : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُوْنَ ﴾ (١) . وقد فُتحت فعلاً ، وهم يتحرَّكون مِن كلِّ حدبٍ وصوب ، ويخرجون من وراء سورِهم ليدْخُلوا هنا وهناك ، بل زحفت فكرتُهم وغزت الكثيرين من شبابنا ، والوقت صار مهيّئاً لأن يكون مصداقاً لقوله ﷺ :)

ـ يوشك أن يُطْوَى ملْكُ العرب . يَطويه بنو قنطورا ، قومٌ عِراضُ الوجوه ، فُطْسُ الأنوف ، صغارُ الأعين ، كأنَّ وجوههم الْمَجانُّ المطرَّقة ، ينتعلون الشَّعر . ينزلون قرية قريبة من أرض العرب ، بل هي مِن أرض العرب يقال لها : جبانة اللون ، فيقاتلهم العرب قتالاً شديداً ، فيقول التُّرك : إدفعوا إلينا إخوانَنا من العجم ولا نقاتلكم ، فيقول العرب للمَوالي : الْحَقوا بإخوانكم ، فيقول المَوالي : وَيْحَكُم ، إلى الكُفر بعد الإسلام ؟ ! . ثم تقاتلهم المَوالي قتالاً شديداً ، فيهزمهم الله حتى لا يبقى منهم مُخبر . ويجيءُ المَوالي بالغنائم ، فيقول العرب للمَوالي : أَعطونا مما غنِمتم ، فيقولون : لا نُعطيكم وقد خذلتمونا (٢) .

(وبنو قنطورا ، حسب ما جاء في أقرب الموارد والقاموس المحيط هم التُّرك ، وقيل السودان خطأً . وقيل إنَّ قنطوراء كانت جاريةً لإبراهيم الخليل ؑ من نسلها التُّرك . وقال صاحب منتهى الأرب : بنو قنطورة طائفة من الإفرنج يعني الأندلس ، وهو خطأ واضح بحسب صفاتهم الواردة في الخبر ، فقنطوراء هي الجارية المذكورة التي ولدت التُّرك الشرقيين الذين منهم الصينيون وجيرانُهم ، إذ أين الأندلس من

---

(١) الأنبياء ـ ٩٦ .

(٢) الملاحم والفتن ص ١٤٠ ـ ١٤١ وفي الصفحات : ٤٦ و٧٩ و٧٠ بعضُه ، ونور الأبصار ص ٢٩ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٤ ومسند أحمد م ٢ ص ٥٣٠ شيءٌ منه .

امتلاك سيحون وجيحون والفرات ودجلة وغيرها من مواقع الشرق ؟ ! ! وهؤلاء عِراض الوجوه ، فُطْس الأنوف ، صغارُ الأعين تماماً كما وصفهم الحديث الشريف ، وكأن وجوههم في صُفرتها المائلة إلى الحُمرة مَجانٌ مطرَّقة أي تِراسٌ من نُحاس عالجَها النحَّاس بمطرقته حتى صارت تُشبه تلك الوجوه الصفراء الجافَّة الخالية من خشية اللهِ تعالى . وقد حذَّر النبيُّ ﷺ منهم مرةً فقال محدِّثاً عمَّا قدَّره الله في سابق علْمه :)

ـ يوشك بنو قنطورا أن يُخرجوا بكُم من أرض العراق ! ! ! [١] (فلربما هرب من هَولهم بعضُ سكان المدن ، وفرُّوا من البصرة وغيرها من الأرياف حين دخولهم إلى أرض العراق . ثم رُوي عنه هذا التكرار :)

ـ يوشِكُ بَنو قنطورا بن كنكر يَخرجون فيسوقون أهل خراسان سوقاً عنيفاً حتى يُورِدوا خيولَهم نهرَ الأُبلة (البصرة) [٢] . (وفي الكلام تصحيف ، إذ لعلَّه قال : ثم يدخل بنو قنطورا من كِنْكَر ، أي من بين همدان وكرَمان شاه على الطريق العامة المعروفة ، فهناك مكان يُدعى كينكوَر ويسمَّى قصر اللصوص . وقد وردَ عنه ﷺ قولٌ فيه دلالةٌ ثانيةٌ على أنهم من الشرق :)

ـ لَيَسوقُنَّ بنو قنطورا المسلمين ، ولَتُربَطنَّ خيولُهم بنخل خوخا قرب مسجد الكوفة ، ولَيَشربُنَّ من فُرَضِ الفرات (أي من مشارعه) ولَيَسوقُنَّ أهل العراق ، قادمين من خراسان وسجستان سَوقاً عنيداً ، فهم شِرارٌ سُلبت الرحمةُ من قلوبهم ، فيَقتلون ويأسرون بين الحيرة والكوفة [٣] . (وقد تصل نارهم وآثارهم إلى الشام ومدنها ، فإلى لبنان ففلسطين فسائر شواطىء البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ! . إذ خوَّف ﷺ من هذا المدّ فقال :)

ـ تأتي فتنةٌ تُدعى الحالقة ، تَحلق الدِّين ، يَهلَك فيها صريحُ العرب ، وصالحُ المَوالي ، وأصحاب الكفر ، والفقهاء ، وتنجلي عن أقل من القليل [٤] ! . (والظاهر

---

(١) الملاحم والفتن ص ٧٤ .

(٢) الملاحم والفتن ص ٧٢ .

(٣) انظر الملاحم والفتن ص ٦٩ وص ٧٣ وص ١٠٣ وص ٤٦ شيءٌ منه ، وغيره من المصادر التي عرضت لحروب أهل الصين في آخر الزمان .

(٤) الملاحم والفتن ص ٢٩ وغيره .

أن الحالقة هي فتنة بَني قنطوراء التي قد ترافق الحرب العالمية الثالثة وقد تأتي في نهايتها . . والحالقةُ هي التي تُهلك ولا تَدَع شيئاً وتظلم وتقطع الرحِم . على أن الفتنة بمبادئهم اليسارية قد عمّت وطمّت ، وفي غزوِ المبادىء تَوْرِيةٌ دقيقةٌ حمّلت اللفظة معنَيين : حلْقِ الدين ، وحلْقِ الشّعر ، فقد كان حلْقُ الرأس دليلاً على أن الشابَّ الذي يفعله مُنْتَمٍ إلى مبادئهم تقليداً (لِمَا وْتْسي تُونْغ) زعيم تلك الحركة ! . صدَق الله ، وصدَق رسوله الذي وصفها بالحالِقة التي تحلق الدِّين وتحلق الشّعر . . وتُعَرِّي من الأخلاق ! . ثم قال ﷺ ثانيةً :)

ـ إذا سمعتم بناسٍ يأتون من قِبَلِ المشرِق ، أُولي دَهاء ، يَعجب الناس من زيِّهم ، فقد أظلّتكم الساعة [1] . (أي ساعة الظهور ، وهذا يُقوِّي اعتقادَنا بأن دخولهم يأتي مع الحرب العالمية المستقبَلة أو بأعقابها ، إذ يكون بعد ذلك فَرج الناس . . وقد وصفهم الرسول الأعظم ﷺ أيضاً بقوله :)

ـ يَنصبون راياتٍ أولها نصرٌ ، وآخرها كُفر ! . يَتبعهم حُثالةُ العرب وسَفَلَةُ المَوالي (أي غير العرب) والعبيدُ الأُبّاق ، رَقَوا من الآفاق ، سيماهم السوادُ ، ودينُهم الشّرك ، وأكثرهم الخداع [2] . (وورد عنه ﷺ وصفُهم في الحديث التالي :)

ـ يسوق أُمتي قومٌ عِراض الوجوه ، صغارُ الأعين ، كأنّ وجوههم الجُحَف ، حتى يُلحِقوهم بجزيرة العرب ، ثلاثَ مرات . أما السائقة الأولى فينجو من هرب منهم ، وأما الثانية فيهلك بعضٌ وينجو بعض ، وأما الثالثة فيُصطَلَمون كلُّهم ، من بقي منهم على يد التُرك . . قيل : يا رسولَ الله ، من هم ؟ . قال : التُرك . أمَا والذي نفسي بيده لَتربَطَنّ خيولُهم إلى سواري مسجد المسلمين [3] . . (والاصطلام المذكور في الحديث هو القتل في نار الحرب أو في نار القذائف الذرِّية والصواريخ الموجَّهة . والجُحَف : تموُّجات الرمل بعد أن يُصيبه السيل ، فوجوهُهم صفراء مخدَّدة

---

(١) الملاحم والفتن ص ٢٨ وسواه .

(٢) الملاحم والفتن ص ٢٨ـ ٢٩ مع تفصيل .

(٣) الملاحم والفتن ص ٤٦ أوله ، وص ٧٣ ـ ٧٤ وص ١٠٣ ومسند أحمد م ٢ ص ٥٣٠ بلفظ آخر .

مثالَ تلك الجُحَف . ثم حذّرنا يومَ الهرب منهم بقوله ﷺ :)

ـ . . فيفترقون ثلاثَ فِرَق : فرقةٌ تمكُث ، وفرقةٌ تلحق بآبائها منابت الشِّيحِ والقيصوم ، وفرقةٌ تَلحق بالشام وهي خيرُ الْفِرَق (١) . . (ويكون ذلك من ناحية الكويت والبصرة وبقية بلاد المسلمين في الجهة الشرقية من الشرق الأوسط ، بدليل ما جاء عنه ﷺ في قوله الدالِّ على زحفهم الواسع :)

ـ يأتي بنو قنطورا البصرة ، حتى ينزلوا بنهر دجلة فيفترق الناس ثلاث فرق : فرقةٌ تلحق بأصلها (أي بالعرب المقيمين جنوبيَّ البصرة) وفرقةٌ تأخذ على نفسها وتكفُر ، وفرقة يجعلون ذراريهم وراء ظهورهم (أي يقاتلون دفاعاً عن نسائهم وأطفالهم) فيقاتِلون ، فقتلاهم شهداء ، يفتح الله على أنفسهم ، ويَلحقون بالشام . . وإمارةُ ذلك إذا طبَّقت الأرضَ إمارةُ السُّفهاء (٢) . (وقد تأمَّر السفهاء على كل عاقل . . فالفرقة الأولى تهرب منهم ، والثانية تنحاز إليهم وتتبعهم ، والثالثة تقاتلهم . والحديث يدل على قرب هجومهم في عصرنا لتوفُّر الإمارات . . وقد جاء وصفٌ لقسوتهم وشراستهم في حديثٍ آخر ، هو :)

ـ للمسلمين عدوٌّ ، وجوهُهم كالجُحَف ، وعيونهم كالوَزَغ ، لهم وقعةٌ بين دجلة والفرات ، حتى يكون الْجَوْزُ (أي العُبور) أولَ النهار بمئة دينارٍ إلى الشام ، ثم يزيد آخر النهار (٣) ! ! . (فصلّى اللّهُ على الرسول الأمين الذي كشف لأمته كلَّ مُبهم ، لتكون على بيِّنة من أمرِها لو كانت تسمع كلامَهُ ، وتعي بُرهانَهُ ، وتسترشد فُرقانَه ! ! !)

قالَ أمير المؤمنين ؑ :

ـ إذا انسابَ عليكم التُّرك ، ومات خليفتُكم الذي يَجمع الأموال ، ويُستخلَفُ من بعده رجلٌ ضعيفٌ يُخلع بعد سنتَين من بَيعتِه (٤) .

---

(١) الملاحم والفتن ص ٧٣ .

(٢) انظر بشارة الإسلام ص ٢٩ـ ٣٠ والملاحم والفتن ص ٧٣ وص ١٠٣ و ١٤٠ .

(٣) انظر الملاحم والفتن ص ٧٣ وغيره من المصادر .

(٤) الملاحم والفتن ص ٤٧ وبشارة الإسلام ص ١٨٣ والإمام المهدي ص ٩٦ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(وقد أنْساب علينا الأجانب كما تنساب الأفعى في الهشيم منذ خَمدت الحرب العالمية الأولى وانتهت الخلافة الإسلامية الصوريَّة في استامبول ، وأخذت تتبعثر أموال البلاد الإسلامية هنا وهناك وتصب في خزائن الغربيين والشرقيين ولم يبقَ للمسلمين أيُّ خليفةٍ تُجْبَى باسْمِه الأموال . . ثم ذكر اليهود في معرض تمزيق الدولة الإسلامية فقال عليه السلام :)

ـ . . فيأخذ الرومُ ما أخِذَ منها وتزداد ، وتأخذ التُّرك ما أُخذ منها . (وهذا الذي حصل ، فقد ذهبت دولُ الصِّرب وألْبانيا وإسبانيا وكثيرٌ من دول أفريقيا . ثم أخذ اليهودُ أيضاً أكثرَ من فلسطين في زمانا ، فاحتلُّوا قسماً من أطراف مصر وقسماً من الأردن وقسماً من الأراضي السورية . . وعلى من يُطالع أخبار النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهلِ بيته أن يطَّلع عليها ويأخذها كما هي ـ إذا خلَت من الدسِّ ـ فإنها وحيٌ من الوحيِ نزل من ربِّ العالمين على خاتم الأنبياء والمرسَلين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير الآية التي خاطب اللَّهُ تعالى بها اليهودَ في مقام التبكيت : ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ ، متعرضاً للفتن الشرقيَّة والغربية :)

ـ تشغَر بذيلها فتنةٌ شرقيةٌ تطأ بِخِطامها بعد موتها وحياتها ، وتشُبُّ في الحطَب الْجَزْل في غربيِّ الأرض ، رافعةً ذيلَها تدعو يا ويلَها لِرحلة [1] ! . (فالفكرة الصهيونية اليوم تطأ بخِطامها بعد موتها آلاف السنين ، ثم حياتها بعد ذلك الوقت الطويل ، تشُب نارها في غربيِّ البلاد العربية بما تُثير إسرائيل من قلاقل وثوراتٍ كالنار في الحطَب الجَزل : الغليظ اليابس ، كما وصف عليه السلام . . ثم ما زالت إسرائيل رافعةً ذيلَها كبرياء وعجرفةً تدعو بالويل والثبور المُصطنَع لِتُثير عواطفَ الدولة الأميركية مدَّعيةً أن العرب سيُلقون بها في البحر ، ولتستدرَّ بذلك شفقة العالم عن طريق دعايتها ، وعن طريق الدعوة الصهيونية التي رجعت لتتحكَّم في أميركا ومن لفَّ لفَّها في سبيل إقامة دولةٍ عنصريةٍ لن يَكتبَ اللَّهُ تعالى لها البقاءَ ما زالت تمارس العدوان السافر ، وما زالت

---

(١) الإسراء ـ ٦ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٧٢ وص ٢٠٨ قريبٌ منه ، وج ٥٣ ص ٨٢ وبشارة الإسلام ص ٥٨ وص ٦٨ والغيبة للطوسي ص ٢٧٧ بلفظ قريب .

تشغر بذيلها ، وتُثير حرباً بعد حرب ، وتُدمِّر بلا شفقة ! ! ! ولكنْ : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ (١) ، كما قال تبارك وتعالى . . والتجربةُ أصدق برهانٍ على صدق ما قال . . . ثم قال ﷺ عن أهل الصين :)

ـ ويلٌ للعرب من مخالفة الأتراك ، وويلٌ لأمة محمدٍ إذا تحمَّل أهلُها البلدان ، وعَبَر بنو قنطوراء سيحان (أي نهر سيحان) وشربوا ماء دجلة ، وهمُّوا بقصد البصرة والأبلة . وأيم الله لَتَغْرَقَنَّ بلدتُكم (أي البصرة) حتى كأني أنظر إلى جامعها كجُؤْجُؤِ سفينةٍ أو نعامةٍ جاثمة ! (وتحمَّل أهلها البلدان : أي تحمَّلوا وطأةَ أهلِ البلدان من الغزاة . . ثم قال ﷺ كأنه يتمم الصورة ويوضحها :)

ـ إذا قتل ملوكَ بني العباس أصحابُ الرَّمْيِ عن الأقواس بوجوه كالتِّراس (٢) ! . (فبحسب الظاهر لا بدَّ من غَلَبة الصين على العراق وما جاورها في يومٍ ما ، لِمَا سمعتَ وتسمع ، بدليل الوجوه التي هي كالتِّراس . أمَّا الرَّمْيُ عن الأقواس اليومَ فهو غيرُه بالأمس ، لأنه يجيء من راجمات الصواريخ البريَّة والبحريَّة والجويَّة ، ومن مُطلِقات القذائف والصواريخ عابرةِ القارّات وجميعِ ما شابَهَها . . ثم وصفَ تلك الأيام الشديدة فقال ﷺ :)

ـ كأني أراهم (أي أهل الصين) قوماً وجوهُهم المَجانُّ المطرَّقة ، يلبسون السَّرَق والدِّيباج ، ويَعتقِبون الخيل العِتاق ، ويكون هناك استجرارُ قتلٍ ، ويكون المُفْلِت أقلَّ من المأسور . . وليس هو بعلمِ غيب . ذلك عِلْمٌ علَّمه اللَّهُ لِنبيِّه فعلَّمنيه ودعا لي بأن يعيَه صدري وتَضطمَّ عليه جوانحي (٣) . . (فإذا قلنا : صدَق . . نستعمل كلمة رخيصةً تقال لغيره ولغير أبنائه الميامين . . فهؤلاء هم الأمناءُ على الرسالة ، القائمون على أمرِ الدين وأمر المسلمين . . وبدل ذلك نقول : جزاهم الله خيرَ ما جزَى وليّاً عن مَواليه ، إذ لم يتركوا كبيرةً ولا صغيرةً إلاَّ بيَّنوها لنا . . فأين الواعون لِعلْمِهم الجمّ ولِمَا تضطمُّ عليه جوانحهم الأمينةُ المأمونةُ على الوحي ، الناصحةُ للأمة ؟ ! . . ثم قال ﷺ :)

---

(١) المائدة ـ ٦٤ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٥ وبشارة الإسلام ص ٤١ وص ٢١٣ وغيرهما من المصادر الكثيرة .

(٣) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٩٣ .

ـ إذا افترق بنو قنطوراء على اختلافٍ ، وآلَ بهم الوجلُ إلى المصافّ ، امتُحِنوا بالرَّجْفِ وانكشف للأنام على مضمرهم [1] . . (وهذه بشارة بنهاية أمرهم السيئة من حيث يبدأ أمرهم ، لأنهم ظَلَمَة غاشمون يضمرون السُّوء للإسلام . وقد بدأ اختلافهم ببدء حروب الصين مع الفيتنام كما قلنا سابقاً . . ثم قال عليه السلام يصفهم :)

ـ ثم يظهر قومٌ صغارٌ لا يُؤْبَهُ لهم ، قلوبهم كزُبر الحديد أصحاب الدولة ، لا يَفون بعهدٍ ولا ميثاق ، يدَّعون الحقَّ وليسوا من أهله . أسماؤهم الْكُنَى ، ونَسَبُهم الْقُرَى ، شعورهم مُرْخاةٌ كشعور النساء حتى يختلفوا فيما بينهم ، ثم يؤتي الله الحقَّ من يشاء [2] . (يعني صاحبَ الأمر عليه السلام . . ثم أكملَ بابُ مدينة العلْم ، وما أكثر ما عنده من علمٍ ـ وقد قال عن نفسه : لا تشكُّوا في قولي هذا ، فإني ما ادَّعيت ولا تكلَّمتُ زوراً ، ولا أُنبِّئكم إلاَّ بما علَّمني رسول الله [3] ـ فقال عليه السلام :)

ـ وأين المفرُّ عند ظهور الْعِلْج شَلعين الميل الكالح ، ومعهم الْكَرْكَدَنُ والفيلُ . ويثبِّطون الظهور ، ويُفزِعون الثغور . وسيُحيط ببلاد الإرَم في أحد الأشهر الْحُرم أشدُّ العذاب من بني حام . ثم يأمُر الْعِلْج أن يُخرب بيت المقدس ، فإذا أذعنَ لأوامره ، وسار بعسكره ، وأهالَ بهم الزمانُ في الرَّملة ، وشملهم الشمال بالذلَّة ، فيهلكون عن آخرهم هلَعاً [4] ! . .

(والعِلْج شلعين اسْمٌ رمزيٌّ لرجلٍ منهم متغطرسٍ كالح الوجه تبرز أسنانه الأمامية ، والكركدنُ والفيل يرمزان إلى مدرَّعاتهم من الدبابات وغيرها ، وربما كانا رمزاً لجيشهم بمعنى الكلمة الصحيح ، وبلاد الإرَم هي بلاد الشام كما فسَّرتها الأخبار . أما بنو حام فأفارقة ومغاربة ومصريون ربما يغزون فلسطين مع مَن يغزونها أثناء الزحف العام ، وينتزعون القدس من اليهود ويتجاوزونها إلى دمشق . . كما ترى في الفصول التالية . . ثم يقول عليه السلام عن موعد الظهور :)

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٤ .

(٢) كتاب البلدان ص ٣٦٥ .

(٣) الملاحم والفتن ص ٢٨ .

(٤) إلزام الناصب ص ٢٠٥ .

ـ يخرج إذا تلاحمت الشِّداد . . ووبَلَ الرُّذاذ ، وعجَّت الفلاة . . وظهرت الأفاطسُ وفُخْمُ الملابس . فيكدحون الجزائر ، ويملكون السرائر ، ويهتكون الحرائر ، ويجيئون كيسان [1] ويخربون خراسان ، فَيَهْدِمُون الحصون ، ويُخرِجون المَصون ، ويفتحون العراق ويثيرون النفاق بدمٍ يُراق[1] ! . (ولا تتلاحم الشِّداد إلاَّ إذا اشتبكت حُشود الدبابات والمصفحات وجميع الأعتدة الحربية الثقيلة الهائلة التي تقذف براكينَ الحمم ! . . ولا ينزل الرُّذاذ كالمطر من الجوِّ إلاَّ إذا انطلقت قذائف البطّاريات الأرضية ، تُشاركها رمايةُ الخزّانات المتفجِّرة والقذائف المدمِّرة من أسراب الأساطيل الجوِّيّة ، فتتساقط كالمطر الرُّذاذ ! . ولا تعجُّ الفلاة إلا بهدير تلك المدرَّعات ؛ وهذه القذائف يوم يظهر أفاطسُ الصين بلباسهم الفاحم ، ويُجعجع الولاةُ ، وتقوم الأرضُ وتقعد احتجاجاً على خروجهم ، كما جرى في العالم وفي أَرْوقَةِ الأمم المتحدة من الاحتجاج على هجوم الصين على فيتنام واحتلال قسم كبير من أراضيها ، وكالاحتجاج والنكير على روسيًّا . حين دخلت أفغانستان . . ثم قال ﷺ :)

ـ سيُحيط بالزوراء ـ بغداد ـ علجٌ من بني قنطوراء ، بأشرارٍ قد سُلِبت الرحمةُ من قلوبهم ، فيذبحون الأبناء ويستحلُّون النساء . . ويلٌ للزوراء من بني قنطورا ! . لَكَأَني أُشاهد دماء الْفُروج بدماء أصحاب السُّروج ؟ ! . وتُحرق نارُهم الشامَ ، فواهاً لحلَب من حصارهم . . ويَهدمون حصون الشامات ولا يبقى إلاَّ دمشق ونواحيها ، وتُراق الدماء بمشارفها وأعاليها . . ثم يدخلون بعلبك بالأمان ، وتحل البلايا في أنحاء لبنان . فكم من قتيلٍ في الْقَفر ، وكم من أسيرٍ ذليل بجانب النهر ! ! ! فهناك تسمع الإعوال وتَصحب الأهوال . . فإذا أتاهمُ الحينُ الأوجر ، وثبَ عليهم العدوُّ الأقطر ، وهو رابعُ العلوج المنقَّر . . فيسوقهم سَوْقَ الْهِجان ، ويُنكِّص شياطينَهم في أرض

---

(١) أهل كيسان : أهل الغدر كما ورد في الأخبار القدسية دون زيادة إيضاح . ولعله يقصد أفغانستان أو غيرها مما يقع بطريق خراسان ، والخبر في إلزام الناصب ص ١٩٤ بتفصيل ، ومثله في ص ٢٠٤ وص ٢٠٩ ـ ٢١٠ وبشارة الإسلام ص ٨١ ما عدا أوله . ومن أجل لفظة كيسان انظر مجمع البحرين ج ٤ ص ١٠١ والكافي م ٢ ص ٢٢٣ في الحاشية . (وورد فيه : وجعجعت الْوُلاة . .) .

كنعان ـ فلسطين ـ ويَقتـل جيوشَهم الْعَصَفُ ، ويحـلُّ بجمعهم التلف ! . ثم يـظهـر الجريءُ الهالكُ من البصرة بشرذمةِ عربٍ من بَني عمرة (عميرة) يَقدمُهم إلى الشام ، فيبايعه على الخديعة الأرغش ـ وقيل الأرقش وقيل الأبقـع ـ وسيصحبه في المسيـر إلى غُوطتِه ـ أي إلى الشام ـ فما أسرع ما يُسْلِمه بعد ورطتِه . . ثم يأمـر الجريءُ أن يـروم العراق ، فدركُه الهلاكُ بالأنبار ، ويحلُّ بأهله التَلَف[1] . . (ثم يتمُّ :)

د وأكثرُ العلاماتِ بنو قنطورا ، ومُلْكُهم العراقَ وأطرافَ الشام[2] . (وقال :)

ـ فكـأني أنظر إلى الأرغش قـد هلك ، وولده الْحَـدَث الأبرص وقـد ملَك ، فلا تطُول مدُّتُه أكثر من ساعة . ويُقتل مدرِّب الجميـل الأحمر ، بعـد أن يسجن الأسمر ، عند وصول رُسل المغاربة إليه ومثولهم بين يدَيه . . فعندهـا يخرج من المغـرب (أي موعد ظهور المغربيّ) أُناسٌ على شُهب الخيول بالمزامير والأعلام والطبول ، فيملكون البـلاد ، ويقتلون العباد . ثم يخرج من السجن غُـلام يُفني عـددهم ويـأسـر جُـنَدهم ويهزمهم (ويردُّهم) إلى البيت المقـدس ، ويرجـع منصوراً مؤيَّـداً محبوراً . ثم يعـود المغربيُّ إلى مصر وقد نقص نيلُها ويبست أشجارها وعدمت ثمارها[3] .

(والرموز في هـذه الخطبـة لا تُحصى : فمنها : الجنين الأوجـر ـ يعني الشابّ الطعَّان المُخيف ، ومنها : العدو الأقطر : أي الجافّ الْغضوب كالمنقِّـر . والعَصَف الـذي يحل بجيـوشهم هو الحـربُ التي تعصف بهم فتأخـذهم كـالريـح القـاصفـة . والأرغشُ لعله المرقَّش الثياب أي الأبقع أو المشاغب على كلِّ حال . وصاحبُ الرايـة المحمَّديةَ هو القائم بالقسط ﷺ وسيفه الجالُ هو الذي يُغادر غمده ليجول في رقـاب الظالمين ! .

وأمـا شُهب الخيول التي ورد ذكـرها كثيـراً في الأخبـار ، فهي لا تعني المفهـومَ اللَّفظيَّ ، لأنه لا يتيسَّر لجيش جرَّار يفتح مصر على سعتهـا ويعبُر فلسـطين ويصل إلى

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٦ وورد بلفظ الجنين الأوجر ص ٢١١ بتفصيل ، وبشـارة الإسلام ص ٥٦-٥٧ حيث تجد شيئاً هاماً عن وصف نكبة بغداد في آخر الزمان .

(٢) إلزام الناصب ص ٢١٣ .

(٣) إلزام الناصب ص ٢١١ بتفصيل ، وص ٢٠٤ أوله ، وبشارة الإسلام ص ٨٣ ثلثه الأخير .

عامّة بلاد الشام على شُهُب الخيول في زمن كادتِ الخيول أن تنعدم فيه بشتى ألوانها فضلاً عن الشُّهب منها ! . ولكن العبارة تُكنّي بالخيول والشُّهب وتَعني المدرَّعات والآلات الحربيَّة المتخايلة في سيرها السريع ، المُموَّهة باللون الأشهب بلا أدنى ريب . فالنبيُّ وآله صلواتُ الله عليهم أخذوا جميع هذه الأشياء بريشة الدقة العجيبة ، وكنُّوا عنها بأفصح بيان لتتصيَّدها الأفكارُ المتيقِّظة التي لا تجمد على النَّص الْحَرفيّ . .

وأما الغلام الذي يخرج من السجن ويُفني عددَهم ويرجع منصوراً محبوراً فلربما كان شعيب بن صالح الذي يُسلِّم الراية إلى المهديّ عليه السلام والله أعلَم بالمقصود . . وفي الخطبة علامات معروفة كقتل مدرِّب الجمبل ، وسجن الأسمر ، وغير ذلك وغير ذلك ، مما تحقَّق ويتحقَّق تِباعاً ويُعرف حين حدوثه) .

قال الإمام الصادق عليه السلام :

(رُوي أنه عليه السلام قال :) كيف حال الأشخاص الذين يُباشرون الكفَّار ، ويتردَّدونهم ويجالسونهم ، ويتكلَّمون بلُغاتهم ، ويُكثِّرون سوادهم ، ويكونون سبباً لازدياد شوكتهم ! ! (فهو يتعجَّب ممن يكيدون للمسلمين وهم من الطوائف الإسلامية . . أي من الطوابير الخامسة من المسلمين الذين يتودَّدون للكفَّار ويكونون عملاء لليهود وغيرهم من الأجانب ، يعملون لمصلحتهم ومبادئهم ، ويتكلَّمون بلُغاتهم وينشرون مبادئهم ويكونون سبباً لازدياد شوكتهم . . ثم قال عن اليهود في تأويل الآية الكريمة :)

- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ (١) : هم الروم كانوا ظاهروا بُخْتَنَصَّرَ على خراب بيت المقدس . ﴿ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ (١) : فليس في الأرض روميٌّ يدخلهُ إلّا وهو خائف أن تُضرب عُنُقه ، أو قد أُخيفَ بأداء الجزية . ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ : أما خزيُهم في الدنيا فإنه إذا قام المهديُّ وفُتحت القسطنطينيةُ قتَلَهم ، فذلك الخزيُ ،

---

(١) البقرة - ١١٤ ، والخبر في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٣ نقلاً عن ابن جرير الطبري في تفسيره .

﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرةِ عَذَابٌ عَظِيْم ﴾ . (وفي هذا الحديث الشريف دليلٌ واضح وبرهان قاطع على أن الروم هم اليهود كما قدَّمنا في تفسير اللفظة ، مضافاً إلى أن كل خبرٍ صحيح عن الرُّوم ينعت اليهود بأوصافهم . . فكيف عرف الصادق ﷺ أنَّ ما من يهوديٍّ يدخل بيت المقدِس إلاَّ وهو خائف ؟ . وكيف جزم هذا الجزم ؟ . وهل دخل إلى القدس في عهد دولة إسرائيل ورأى كلَّ يهوديٍّ مرعوباً قلِقاً على نفسه وماله وعياله ؟ ! ذُرِّية بعضها من بعض . . تَعْلَم . . وتُعَلِّم ! . وتعطي للإنسانية عبرَ العصور . . عِلْماً يدخل الآذانَ دون استئذان ، لعذوبة اللفظ وسموِّ المعنى ، وصِدْق المدلول ! . وقد قال الصادق ذلك لأنه آمن بما في كتاب الله . .

هذا ، وإن اليهود اليوم يحتلُّون بيت المقدس ، وقد حاولوا حرق المسجد الأقصى وتخريبه للكشف عن هيكلهم كما أسلفنا ، وقد حالوا بين المسلمين وبين ممارسة طقوسهم الدينيَّة فيه ، ثم أطلقوا النارَ على المصلِّين وقَتلوا وجَرحوا ، ومنعوا مساجدَ الله أن يُذكر فيها اسمُه وسعَوا في خرابها . . وهم خائفون كما قال الله عزّ وجلّ . . ولن تكون لهم دولةٌ آمنةٌ صدَّقَ الناسُ بذلك أم كذَّبوا . . ثم جاء عنه ﷺ في وصف أهل الكُفر :)

ـ تُقاتلون قوماً ذُلْفَ الأُنوف ، صغارَ الأعين (٢) ! . (أفلا تراه يضع يدك على الصينيين وجيرانهم من ذَوِي الأُنوف العريضة والعيون الصغيرة كالخرَز ، كما قال آباؤه وأبناؤه ﷺ ؟ ! . إنه كسلَفِه وكخلَفِه لا ينطقون إلاَّ بالحق الأبلج ! . وسيَظهر بنو قنطورا ، وتملك العباد ، وتُخرب البلاد ، ويقتلون بني الأصفر ، ويملكون الزوراء ، وتذهب بيضة الإسلام ، وتضمحل الأديان كلها في الدنيا كافَّة ، فيظهر الخائف ﷺ وتبتدىء دولتُه . . وقد اضمحلَّت الأديان من صدور المسلمين والمسيحيين واليهود ، وأصبحت العقائد الثلاثُ عصبياتٍ فقط ، ومظاهرَ دون جوهر ! . فعجَّل الله دولة الخائف المترقِّب المُرتقَب ، الذي حدَّث آباؤه منذ ألف ومئات السنين عن معاركَ يَنتصر فيها هذا ويَنهزم ذاك ، فكانت كما حدَّثوا ! . فمن مِن البشَرِ يستطيع أن يتنبَّأ ويجزمَ بمثل ذلك ؟ ! .

---

(٢) مسند أحمد م ٢ ص ٥٣٠ .

ثم جعلَ الإمامُ الصادقُ عليه السلام شيعتَه على موعدٍ محتَّمٍ مع الفَرج إذ قال مُختصراً العلاماتِ كلَّها :)

ـ ألفَـرَجُ كلُّه هـلاكُ الفـلانيِّ من بَني العبـاس [1] ! . (ويَصعُب تعيينُ هـذا الفلانيِّ . ولكنه لا بـدَّ أن يكون واحـداً ممن يتربَّعـون على عرشهم في بغـداد ، يفعل الأفـاعيلَ ، ويُكثِـر من الظُّلمِ والقتـلِ والتنكيل ، ويتمتَّـعُ بميزاتٍ خـاصـةٍ ، ويتَّصف بخصوصياتٍ تُجيز الإيماء إليه ، فيُعرفُ ويُميَّز دون ريب . .)

قالَ الحجَّةُ المنتظر عليه السلام :

(كتبَ لابن مهزيار رضوانُ الله عليه ، في علامةٍ صرَّح بها ، بعد أن ألمحَ إليهـا آباؤه عليهم السلام :)

ـ إنه إذا فُقِدَ الصينيُّ ، وتحرَّكَ المغربيُّ ، وسـار العبَّاسيُّ ، وبـويع السفيـانيُّ ، أُذِنَ لوليِّ الله . . إلخ [2] . . . .

(والصينيّ هذا ، الذي عرَّفه القائمُ عليه السلام بالألف والـلاَّم ـ أل : العَهدية ـ لا بدَّ أن يكون ذا ميزةٍ خاصةٍ ، وشهـرةٍ عالميَّـة مرمـوقة ، ممن أبـرزوا اسْمَ الصين الحديثـة بمبادئها الجديدة أمثال تْشَانْغ كايْ شِـكْ ، وماوْتسي تـونْغ وغيـرهما ، فعـرَّفه بلفـظة : الصيني . . وما أجدُ أكثر انطبـاقاً لهـا على ماوْتسي تـونْغ الـذي غزا أفكـار الشبيبة في الشرق وهزَّ موتُه العالَم منذ سَبْـعِ سنواتٍ خلَتْ . . فَفقْـدُه من العلامـات . . ثم ذُكِر أنه قال لابن مهزيار حين رآه :)

ـ يا آبن مهزيار ، ألا أُنبِّئك ؟ ! . إنـه إذا قعدَ الصينيُّ (أي إذا حكم . وأعتقـد أنَّهـا محرَّفـة عن فُقـد لكثـرة التنقـل) وتحـرَّكَ المغـربيُّ ، وسـار النعمـانيُّ ، وتـربَّـع السفيـانيُّ ، يؤذَنُ لوَليِّ الله ، فـأخـرُج بين الصفـا والمـروة في ثـلاثمئةٍ وثـلاثـة عشـر رجلاً [3] . . (وأنت ترى في هذه الرواية بعض تحريفـات النقل كمثـل: فُقد بـدل :

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٣٧ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٤ وص ٢٣٥ وبشارة الإسلام ص ١٢٠ .
(٢) البحار ج ٥٣ ص ١٠٤ .
(٣) بشارة الإسلام ص ١٧٤ والبحار ج ٥٣ ص ١٠٤ باختلاف يسير .

قعد ، وكمثل : النعمانيّ بدل : اليمانيّ . . ونحن بانتظار ما يلي فَقْدَ الصينيِّ مما وعد به الإمام المنتظَر سهّل الله مخرَجه الميمون . .)

إنجيل متّى : (مخاطباً اليهود :)

- (٢٣ : ٣٨) : هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً ! . (يعني بذلك هيكل النبيّ سليمان ﷺ وبيتُ المقدس ، وقد كان ذلك على يد بختنَصّر .)

- (٢٤ : ٣٢ - ٣٣) : فمن شجرة التين (أي الأمة اليهودية) تعلّموا المثَل : متى صار غصنُها رَخْصاً وأخرجت أغصانَها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضاً ، متى رأيتم ذلك كلّه فاعلَموا أنه على الأبواب . . (وهذا إعلان فصيح بأن الدولة اليهودية لن يكون لها رسوخ على وجه الأرض ، وأنها - بحالتها الحاضرة - دليلٌ على قرب الفرَج ، وقد صارت أغصانها رخصةً أو كادت ، وها هي ذي تُخرجها مرةً من هذه الحدود ، ومرةً من تلك . . وفرصةُ مجيءِ الصيف قرُبت ، وسيُصارُ إلى تَذْرِيَةِ رمادها إن شاء الله تعالى) .

زكريا : (١٤ : ١ - ٢) :

هُوَذَا يومٌ للربّ يأتي . فيُقسم سلَبُكِ في وسطِكِ . وأجمع كلَّ الأمم على أورشليم القدس للمحاربة ، فتؤخذ المدينة ، وتُنهب البيوت ، وتُفضَح النساء ، ويخرُج نصف المدينة إلى السَّبْيِ ، وبقيّة السَّبْي لا تقطع من المدينة . (وهذا مصداق لما سبق وقلناه بشأن غزو القدس السابق وغزوها الثاني القريب لتخليص بيت المقدِس في يوم الربِّ المشار إليه) .

- (١٤ : ١٢) : وهذه الضربة التي يَضرب بها الربُّ كلَّ الشعوب الذين تجنّدوا على أورشليم ،لحمُهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم ، وعيونُهم تذوب في أوقاتها ، ولسانُهم يذوب في فمهم . (ومثل هذا الذوبان إمّا أن يكون معنوياً وإمّا أن يكون بحرب ذرّية تحدّث عنها السّيد المسيح ﷺ منذ ألفي سنة وتحدّث عنها النبيُّ ﷺ بعده بحوالَي ستة قرون . . ثم أكملَ الإصحاح :).

- أجمعُ كلَّ الأمم وأُنزِلهم إلى وادي يهوشافاط ، وأُحاكمُهم هناك على شَعبي

وميراثي إسرائيل الذين بدّدوهم بين الأمم وقسّموا أراضيَّ ، وألقَوا قُرعةً على شَعبي وأعطَوا الصبيَّ بزانية ، وباعوا البنت بخمرٍ ليشربوا . . (ووادي يهوشافاط هو الذي يُدعَى وادي قدرون قرب القُدس ، وهذه من أعلام نبوّة المسيح ﷺ الذي يتحدث بما جرى لليهود من بعده كأنه يراه خطوةً خطوةً . . ثم يكمل في : ٣ : ١٢) .

ـ تنهض وتصعد الأمم إلى وادي يهوشافاط ، لأني هناك أجلس (أي المسيح ﷺ عند نزوله من السماء) لأحاكم جميعَ الأمم في كلّ ناحية .

رؤيا : (عدد : ١٦) :

(يعيِّن فيها ساحة الحرب بذاتها في آخر الزمان لمحاكمة إسرائيل فيقول في : (٢٠ : ٧ ـ ١٠) فجمعَهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية : هرمجدُّون ! . (فتأمّل ! .)

حزقيال : (عدد : ١٧) :

ـ يُحَلُّ الشيطانُ من سجنه ، ويَخرج لِيُضلَّ الأمم الذين في أربع زوايا الأرض ، يأجوج ومأجوج يجمعهم للحرب ، الذين عددهُم مثلُ رمل البحر (وهم الصينيون) فصعدوا على عرض الأرض ، وأحاطوا بمعسكر القدّيسين وبالمدينة المحبوبة ، فنزلت نارٌ من السماء وأكلتهم ! . (والمدينة هي القدس ، وهل النار التي ذكَرها غير القذائف المُحرِقة التي تتساقط من الجوّ ؟ ! ! ربما كانت هي ، أو ربما كانت ناراً سماوية . . فتبارك الله الذي كل ما جاء من عنده واحدٌ على لسان سائر رُسُله وأنبيائه . ثم يتابع :)

ـ قُلْ لطائرٍ كلِّ جناح ، وكلِّ وحوش البَر : اجتمِعوا وتعالَوا احتشِدوا إلى ذبيحتي التي أنا ذابحُها لكم . ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل ، لتأكلوا لحماً وتشربوا دماً . (ثم يخبر أن الناس يظلُّون سبعة أشهر يسحبون جُثثَ القتلَى ويدفنونها ، ويتابع :)

ـ حَيٌّ أنا يقول السيدُ الرَّب . إني ، بيدٍ قوية ، وبذراع ممدودة ، وبِسُخط مسكوبٍ ، أملك عليكم وأُخرجكم من بين الشعوب ، وأُجمعكم من الأراضي التي تفرّقتم فيها وأُحاكمكم هناك وجهاً لوجه . . (وهذا هو الذي جاء في نص القرآن

الكريم في الآيات التي ذكرنا : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ ، لنُحاكمَكم على بَغْيِكُمْ بين الشعوب . . ثم قال :)

- (٣٩ : ١ - ٢٤) : ها أنذا عليك يا جوج ريش روش ماثك وتوبال ، وأردُّكِ وأقودكِ وأُصعدكِ أقاصيَ الشمال ، وآتي بك على جبال إسرائيل ، فتسقط على جبال إسرائيل ، أنتِ وكلُّ جيشكِ والشعوبُ الذين معك . . (وهذا عين ما رُوي عندنا عن سطوة الصين في آخر الزمان ، وعن خروجها من وراء السور بهدف أن تستعمر المعمور، ثم يكون نصيبها التدمير والهلاك) .

بطرس الثانية :

- (٣ : ٧ - ١٠) : وأما السموات والأرض الكائنة الآن ، فهي مخزونةٌ بتلك الكلمة عينها ، محفوظةٌ إلى يوم الدِّين وهلاك الناس الفجار . سيأتي كلِصٍّ في الليل يومُ الرَّب الذي فيه تزول السموات بضجيجٍ ، وتَنجلي العناصرُ محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها .

(فهل يريد الناس أن تجيءُ أخبار سماوية بأوضح من هذا البيان ؟ . إنها تَنطق بحروب جويَّة صاروخيَّة نوويَّة ، وبمصانع تَحترق وأرض تتدمَّر وتَخرب وتَنعدم فيها الحياة قبل حصول ذلك بألفي عام ! ! ! ولفظة (الضجيج) في هذا الخبر تصوِّر لنا معارك الطائرات المقاتلة ، وانجلاءَ الجوّ عن عناصرَ محترقةٍ بفعل القذائف وغيرها مما يُحرق الأرض . . وهل احتراق الأرض بغير تفجير البترول فيلتهب الحجرُ والشجرُ والمدَرُ كما جاء عن النبيِّ ﷺ وأوصيائه ؟ ! ألَا إنه قد جاء الحق . . ونسأل الله أن يُزهق الباطل بسيف القائم بالحقّ ! .)

الثائرونَ . .
.. والرايَاتُ

أ ـ الأصهَب . .
. . . والأبقع

(جاء عن النبيِّ ﷺ وأهل بيته ﵈ ـ مجموعاً ـ في هذا الموضوع :)

ـ إذا هلك علجٌ بـالشام . . فـإذا قـام العلجُ الأصهب وعَسُـرَ عليه القلب ، لم يَلبث حتى يُقتل . فهناك المُلْكُ إلى التُرك . . ويحلُّ بالشام الغلاء ، وتكثر الوقائـع ، وتقـومُ الحربُ على قـدَمٍ وسـاق[1] ! . (والقلبُ في هـذه الـروايـة هـو : دمشق التي يَهلك فيها العلجُ المذكور حين يَعجز اليهودُ عن الاستيلاء عليها ويُقتل قـائدُهم فيهـا أو أثنـاء معركتهـا . ثم يكون المُلكُ الـظاهريُّ لـلأجـانب الـذين تـرزح الـدولُ العـربيـةُ والإسلاميةُ تحت نير سيطرتهم ، وتقـع فريسـةَ ظُلمهم وتَحكُّمهم ! . ثم جاء عن أميـر المؤمنين ﵇ :)

ـ فـإن كـان كـذلـك، أقبلتْ عليهم فتنٌ لا قِبَـلَ لهم بهـا ! . ألَا وإنَّ أوَّلهـا الهجَريُّ ، والعطْرفيُّ ، والرُّقطيُّ ، وآخرها الـسفياني والـشامي . [2] (والظاهرُ من هـذا

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٤ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٩٥ والمهدي ص ١٩٤ وبشارة الإسلام ص ٧٨ بلفظ مختلف .

الخبر أن الهَجريّ هو اليمانيُّ الذي ترى شيئاً مفصَّلاً عنه قريباً . وأنَّ الرقطيَّ : أي مبقَّع الثياب ، هو الأبقع . أمّا العطرفيُّ فلا يدلُّ على ثائرٍ إلاّ رمزاً ، ولا يتيح لنا الدلالةَ عليه بجزم . وقد ورد بلفظ : القطرفي . . ثم جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في الموضوع :)

ـ وإنَّ أهلَ الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات : السفياني ، والأصهب ، والأبقع (١) . . (وفي هذا دليلٌ واضحٌ يُثبت مُقاربة ظهور هؤلاء الثائرين ليوم الفرَج . لأن اسمَ السفيانيّ لا يَدور على ألسِنَةِ الناس أكثر من أربعة عشر شهراً ، هي مدة بقائه على وجه الأرض بعد بروز اسمه ، بلا زيادة ولا نقصان .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام أن ظهور الأبقع يكون في مصر أولاً ، بعد ظهور النجم المذنَّب وانكساف الشمس وانخساف القمر . وهذه الآيات مقارِبةٌ للظهور المبارك ومقارنةٌ للعهد الميمون إذ رُويَ عنهم صلوات الله عليهم أن العلجَ الأصهب لا يقوم إلاّ حين اشتداد الفتن وكثرة الوقائع . . وقد جاء عن الباقر عليه السلام تحذيرٌ خاصٌّ قال فيه :)

ـ إتَّقِ شرَّ الأصهب الأبرص ! . فقيل : وما الأصهب ؟ . قال الأبقع . فقيل وما الأبقع ؟ . فقال الأبرص . . واتَّقِ السفيانيّ ، واتَّقِ الشُّذَّاذَ من آل محمد ! . (٢) (ويلاحَظ أن هذا الخبر قد جعل الأصهب والأبقع واحداً ، مع أنهما اثنان . وقد حصل ذلك من تعاقب ألْسِنَة النقلَة وكثرة النُّسخ . فمضمون الخبر تحذيرٌ من حُشود الأصهب الأبرص ، ومن حشود السفياني ، وحشود الشُّذاذ من آل محمد الذين يتهوَّسون ويدَّعون دعاوَى كاذبة . وهو ـ بالتالي ـ أمرٌ لنا بأن نتجنَّبَ هذه الحشود ولا ننحازَ إلى واحدٍ منها . . وقد أشار الرضا عليه السلام على الشيعة بالحَذَر في ذلك الزمان ، قائلاً :)

ـ من علاماته أن يكون خراب الشام حين ٱلْتِقَاءِ الرايات الثلاث فيها : الأبقع ،

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢١٢ وص ٢٢٢ وص ٢٢٧ والإرشاد ص ٣٣٨ والمهدي ص ١٩٦ وص ١٩٧ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٣٦٩ والمهدي ص ١٩٨ وبشارة الإسلام ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

والأصهب ، والسفيانيّ . . [1] (وقد بدأ خراب بلاد الشام ذهاباً من فلسطين ولبنان إلى قسمٍ من الأردنّ وجزءٍ يسيرٍ من الجَوْلان ، ويكون الْتِقاء هذه الرايات الثلاث في جولةٍ نهائية تكشف الأمرَ بوضوح ،لأنّ راية الأصهب يُمكن أن تكون قد برزت للوجود ، وبقي علينا تمييز راية الأبقع ، ثم خروج السفيانيّ الذي تتمُّ بظهوره أدلةُ الوعد الحق . .

ثم جاء عن الإمام الرضا عليه السلام في أصحاب الرايات التي تختلف في بلادنا ـ بلاد الشام ـ قولُه لأحد أصحابه حين حَدَّثَتْهُ نفسُه أن الإمام عليه السلام هو القائمُ بأمر الله ، ففاجأهُ الإمامُ مبتدئاً ومُتعجّباً مما يجري في خاطره ويَدور في فكرِه ، قبل أن يتفوَّه صاحبه بالكلام ، فقال عليه السلام :)

ـ قبلَ هذا الأمر (أي يوم الخلاص على يد حُجَّةِ الله في أرضه) : السفيانيُّ ، واليمانيُّ ، والمروانيُّ ، وشُعيب بنُ صالح ، فكيف يقول هذا ، هذا ؟ ! ! [2] (أي كيف يقول هذا الجليسُ ، هذا القولَ الدَّالَ على جَهلِه بصفات القائم عليه السلام ؟ . وقد كان من عادة الأئمة جميعهم عليهم السلام ، أن يبدأوا الناسَ بالتحدُّث إليهم عن مسائلهم التي يُضمرونها قبل أن يَبوحَ الناسُ بها ، كما هو ثابتٌ في كُتب السِّيَر ، وكما مرَّ بنا في هذا الكتاب أحياناً . . فمَن عَذيرُ الناسِ حين يُنكِرون قولَ أئمةٍ يَعرفون ما يُريد الناسُ أن يقولوه ، ويُجيبون قبل أن يُسْألُوا ، مُطمئنِّين إلى تَوَسُّمِهم الَّذي حباهُم الله تعالى به ؟ ! . أم كيف يُفلسِفُ الناسُ انصرافَهم عن دُعاة الحقّ حين يَقفون يومَ الحقّ بين يَديَ الحقّ سبحانه وتعالى ؟ ! .

هذا ، والمروانيُّ يَرمزُ إلى المصريِّ أو المغربيِّ ظنّاً ، وقد يعني الأبقع غالباً . . ثم رُوي عنهم عليهم السلام :)

ـ فأول أرض تَخرج (أي تثور وتحارب) أرضُ الشام : يختلفون عند ذلك على

---

(1) الغيبة للنعماني ص ١٣٣ وإعلام الورى ص ٤٢٨ وإلزام الناصب ص ١٨٤ وص ١٨٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٧ وبشارة الإسلام ص ٩٤ وص ١٧٥ وص ١٧٧ وص ١٩٢ نصفُه الأول ، والإمام المهدي ص ٢٣٣ بلفظٍ آخر .

(2) الغيبة للنعماني ص ١٣٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٣ وبشارة الإسلام ص ١٥٩ ومنتخب الأثر ص ٤٤١ : وكف تقول : هذا ، هذا . .

ثلاث رايات : رايـة الأصهب ، ورايـة الأبقـع ، ورايـة السفيـانيّ . فيلتقي السفيـانيُّ بالأبقع فيقتتلون ويَقتلُه السـفيانيُّ ومَن معه ، ويَقتل الأصهب . . . [1] (والحالـة اليومَ مهيّأةٌ لذلك ، والوضع المتفجّر الـذي نحياه يُنـذِر بانـدلاع حربٍ عـربيةٍ - إسـرائيلية ، تتلوها - توّاً - حربٌ عالمية ، فحربٌ عربيةٌ - عربيةٌ هي هذه التي نصَّ عليها الحديث .

فمَنْ مُخبِرٌ إذاً دولة إسرائيل أن سوريا التي تـراها ضعيفـة مستكينةً أمَـامَها ، بـل لُقمـةً سائغـةً لا تحتاج إلى أكثـر من جولـة خاطفـةٍ يقوم بهـا جيش الدفـاع الإسرائيلي فتستقرُّ قواعـده على ضفَّة نهـر الفرات - من مُخبـرُها أن سـوريا هـذه لن تَسحقَها دولـةُ إسرائيل ولن تُدَمِّرَ بُنيَانَها وتَنقضَّ عليها آفاقها ؟ ! . ثم جاء أيضاً :)

- إذا دارت رحَى بَني العباس ، وربطَ أصحابُ الرايات خيولَهم بزيتـون الشام ، يُهلك اللّهُ لهم الأصهب ويقتُله وعـامَّـةَ أهـلِ بيتـه على أيـديهم . . ويجلـس ابنُ آكلةِ الأكباد على منبر دمشق [2] . (أي يستولي عليها السفيـانيُّ بعد الحـروب التي تقع في العراق) .

---

(1) الغيبـة للنعماني ص ١٤٩ والبحـار ج ٥٢ ص ٢٣٧ وبشارة الإسـلام ص ١٠٢ والإمـام المهـدي ص ٢٢٤ .
(2) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤١ .

ب ـ المَغربي . .
. . والمصريّ

(روي أنَّ النبيَّ ﷺ قال : إذا رأيتَ الخلافةَ قد نـزلت إلى الأرض المقدّسة فقد دَنَت الزلازلُ والبلايا العِظام ! . والسّاعة يومئذٍ أقربُ من الناس من يدي هـذه إلى راسي ! .

والخلافةُ التي عَناها هـذا الخبر الشـريف هي خلافةُ السفيانيِّ قطعاً وجزماً . والأرض المقدَّسة هي أرض فلسطين . والبلايا العِظام سترافق ذلك العهد من بُدُوِّه إلى دُنُوِّه . والساعة هي ساعة الفرَج بلا ريب ، لا ساعةَ القيامة والحساب . . وفي هـذا دليل قاطع على فتح فلسطين وأخذ قسم كبيرٍ منهـا من اليهـود عُنوةً قُبيل ظهور القائم ؑ كاحتلال الضِّفة الغربية والقدس ، وحجز اليهـود في مِحْوَر عكّا ـ حيفا ، إلى أن يَقتلَ صاحبُ الأمر آخرَ يهـوديٍّ منهم لا يعتنق الإسلام . وستكتمل البلايا العِظام بإبادة جميع أعداء الله بسيف الحق ـ سيفِ نقمة الله الذي يأخذ أخْذَ عزيزٍ مقتدر ! . ثم جاء عنهم ؑ :)

ـ علامةُ خروج المهديِّ ألويةٌ تُقبِل من المغرب ، عليها رجلٌ أعرجُ من كندة . [1] (وجاء أيضاً :)

ـ من علاماتِه ـ أي المهديّ ـ نَفْرُ أهلِ المغرب إلى مصر . وتلك إمارةُ

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٤ .

السفياني [1] . (وهذا النَّفَرُ منتظرٌ يوماً ما . وقد حاولت ليبيا - وهي إحدى دول المغرب - تنظيم مسيرةٍ شعبيةٍ هائلة أمّت مصر منذ سنواتٍ لتدخلها سِلْماً وتُحقق الوحدة بين البلدين ، فلعبت السياستان : الداخليةُ والخارجيةُ لُعبتيهما ففشلت المحاولة . وسيكون نَفَرٌ آخر مدرَّعٌ بالسلاح يهاجم مصر ويَعْبُرها ويتجاوز حدودَها الشرقية ويشارك في الحروب على أرض بلاد الشام كما دلّت على ذلك الأخبار ، وكما أشار إليه الصادق عليه السلام بقوله :)

- قبل القائم تتحرك حربٌ وقيس [2] . (وحربٌ : هم بنو أميّة كما لا يخفَى ، أي السفيانيّ . وقيسٌ : هم المغاربة بظاهر الكلام لأن مقرَّ قيسٍ في شماليّ أفريقيا . والدليلُ ما نلمسه من خلاف ظاهر بين الدول العربية ، وما روي عنهم عليهم السلام في هذا الموضوع حيث قالوا :)

- دخولُ رايات قيسٍ والعرب إلى مصر . [3] (إشارةٌ إلى أهل المغرب الذين هم عربُ أفريقيا . ولولا أنهم همُ المقصودون لَمَا ركّز الحديث الشريف على لفظة : والعرب ، لأن أهل مصر عرب ، فما معنى أن يشير إلى عربٍ يدخلونها لولا ذلك . وقال أمير المؤمنين عليه السلام :)

- علامةُ خروجه - أي السفيانيّ - تختلف ثلاث رايات : رايةٌ من العرب ، فيا ويلَ لمصر وما يحلُّ بها منهم . ورايةٌ من البحرَين ، من جزيرة آرال من أرض فارس . ورايةٌ من الشام ، فتدوم الفتنة بينهم سنة [4] . (ثم يوضح ذلك قولُهم عليهم السلام :)

- وظهورُ المغربيِّ بمصر . أي انتصاره عليها - وتملُّكه الشامات [5] . (فهو

---

(1) بشارة الإسلام ص ١٧٧ وص ١٨٣ والإمام المهدي ص ٢٣٢ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٠ والملاحم والفتن ص ٤٧ بلفظ قريب .
(2) الغيبة للنعماني ص ١٤٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤٥ وبشارة الإسلام ص ١٢٧ .
(3) إلزام الناصب ص ١٨٥ والإرشاد ص ٣٤٠ وبشارة الإسلام ص ١٧٥ والمحجّة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٠ والمهدي ص ١٩٦ نقلاً عن الفصول المهمة ، والإمام المهدي ص ٢٣٤ وص ٩٦ بلفظ قريب .
(4) إلزام الناصب ص ١٩٨ .
(5) المحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ والمهدي ص ١٩٦ نقلاً عن الفصول المهمة ، وإلزام الناصب ص ١٨٥ وبشارة الإسلام ص ١٧٥ والإمام المهدي ص ٢٣٣ وص ٩٦ بلفظ آخر .

حامل رايات قيسٍ الذي ورد فيه عنهم عليه السلام :)

ـ ويَخرج البربر إلى سُرَّةِ الشام[1] ! . (وورد أيضاً :)

ـ علامة وقعة المدينة إذا أقبلَ أميرُ مصر[1] . (ثم ورد بتفصيلٍ أكثر :)

ـ يُقبل الْبَرْبَر بالرايات الصفر ، على البَراذين الْسُّبْرِ ، حتى يَنزلوا مصر . . ويخرج أهل المغرب إلى مصر . فإذا دخلوا فتلك إمارة السفيانيّ ! .[2] (وورد في روايةٍ ثانيةٍ بلفظ : البرْازين الْسُّبْرَ[2] ، وفي رواية ثالثة بلفظ : على البراذين الْبُتْرِ ، ووردتْ روايةٌ أُخرى عن أمير المؤمنين وابنه الباقر عليهما السلام قالا فيها :)

ـ إذا اختلف رمحان بالشام ، لم تَنجَلِ إلاَّ عن آيةٍ من آيات الله تعالى : رَجفةٌ بالشام يهلك فيها أكثر من مئة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين . فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشُّهْبِ الْمَخذوفةِ ، والراياتِ الصُّفرِ تُقبل من المغرب حتى تحلَّ بالشام ، وذلك عند الجزَع الأكبر والموت الأحمر ! . فإذا كان ذلك فانتظِروا خسفاً بقرية من قرى الشام يقال لها : خرشنا . فإذا كان ذلك فانتظِروا ابنَ آكلة الأكباد (أيِ السفيانيّ) بوادي اليابس حتى يستوليَ على منبر دمشق (أي يستولي على حُكمها وإذاعتها) . فإذا كان ذلك فانتظِروا خروجَ المهديِّ عليه السلام .[3]

(وقد اختلف الرُّمحان في بلاد الشام . فبينَ الرُّمح العربيِّ والرُّمحِ اليهوديِّ ومَن يسانده جَولاتٌ وجَولاتٌ وكَرٌّ وفرّ ، كما أنَّ بين رُمْحِ الغربِ اليمينيِّ ورمحِ الشرق اليساريِّ عرضُ زنودٍ في بلاد الشرق وعلى أرض بلادنا بالذات ، وفي بحرنا المتوسط ، وحول بترول العرب بالخصوص . . وهذا من آيات الله تعالى ، بل هو من أعلامِ صدقِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وأهلِ بيته صلوات الله عليهم . فإنه لم يَصدر عن أيِّ أحدٍ من العالَمين شيءٌ بهذه المعاني البتة . ونحن نتحدَّى سائر العالمين أن يتمكَّنوا من تكذيب شيءٍ قالوه ، أو من إيراد غمزٍ واحدٍ في ما رَوَوه عن ربِّهم عزَّ وعلا . أمَّا البربرُ

---

(١) الملاحم والفتن ص ٤٧ .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٨٦ والإمام المهدي ص ٩٦ ـ ٩٧ والغيبة للطوسي ص ٢٧٩ بلفظ قريب .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٦٣ وص ١٦٤ والغيبة لـلطوسي ص ٢٧٧ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٤ وص ٢٣٧ وص ٢٥١ وص ٢٥٣ وبشارة الإسلام ص ٥٥ باختلاف يسير ، وص ١٠٦ ثلثه الأخير .

فهم المغاربة بلا أدنى ريب ، وستكون راياتهم صفراء . وقد فصّل هذا الخبر وما سبقه كثيراً من الأشياء :

منها : أنه لا بد من رجفةٍ في بلاد الشام من جرّاء زلزلةٍ سماوية غالباً ، أو بسبب قُنبلةٍ ذرية تطلقها عدوّة الإنسانية إسرائيل .

ومنها : أن هؤلاء المحاربين سيستعملون وسائل حربٍ حديثة بدليل ذكر البراذين ، والبرّازين ، وعدم ذكر خيولٍ وبغال وحمير وسيوفٍ ورماحٍ كما كان يألف الناس . فمن أين لهذا الجيش اللُّجب بألوفِ البراذين ، والبرذَون لا نجده في مقابل وجود خمسين بغلاً ومئة حصان وألف حمار ؟ ؟ ؟ فَمِنْ أين لذلك الجيش ببراذين في قالبٍ واحدٍ ، وبلونٍ واحدٍ ، وبعَددٍ هائل ؟ ؟ ؟

ومنها : أنها براذينُ متشابهةٌ ، شُهْبٌ ، مخذوفةٌ ! أي بلون واحد وبلا آذان . مصبوبةٌ في قالبٍ واحدٍ ، بُتْرٌ لا أذناب لها ! ! ! سُبْرٌ : تَعقِل وتستكشف ! ! ! بل هي سُبَرٌ : تطير في الجوّ بأجنحةٍ طويلة للغاية ! ! ! فهل هي غيرُ الطائرات والآليّات الحربية كما سنُبيِّن لك ؟ ! .

ومنها أخيراً : أن ذلك يكون بعد الجزَع الأكبر والموت الأحمر ، أي الحرب العالمية المنتظَرة الساحقة الماحقة ، وبعد الأوبئة الفتّاكة .

فما عَنَى نبيُّنا ﷺ وأئمتنا عليهم السلام بذلك ؟ ؟ ؟

أنهم ألعقونا معانيَ كلماتِهم بالمِلعقة الكبرى . . فقالوا : إن من علامات قائمنا المنتظَر عليه السلام ظهورَ هذا الجيش الذي يستعمل وسائل حرب مستحدثَة ، فيها السيارات المموّهةُ باللون الأشهب ، المَخذوفةُ : التي ليس لها آذان ، البُتر : التي لا أذناب لها . وفيها الطائرات ذوات الأجنحة ، السُّبْرُ : التي تُستعمل للاستكشاف ، السُّبَرُ : التي تطير وتُغِيْرُ كالكواسر والجوارح من الطيور ، منقادةٌ بالبَرّازين : الطيّارين المتسابقين في المبارزة والتّقانُص والنِّزال . .

لقد خاطَبونا بِلُغتنا قبل ألف ومئات السنين . . أفَلَا نَفهم لُغَتنا ؟ . بل ، أفلا نَعقل ما قالوا ، ونرى أن قولهم فصلٌ ، وما هو بالْهَزل ؟ ! ! وإليك ما جاء عنهم عليهم السلام أيضاً :)

ـ إذا دخلت الرايات الصُّفْرُ مصرَ فغَلبوا عليها ، وقَعدوا على منبرها (أي اغتصبوا سلطانها) فَلْيَحْفِرْ أهلُ الشام أسراباً لهم في الأرض ، فإنه البلاء ! ! ! (١) وإذا بلغك أنهم نزلوا بالشام ، وهي السُّرَّة ، فإن استطعت أن تلتمس سُلَّماً في السماء أو نَفَقاً في الأرض فافعلْ . فإذا أقبلت الراياتُ السودُ من الْمَشرق (أي رايات جيش الخراسانيّ) والراياتُ الصفر من الْمَغرب ، والْتَقَتْ في سُرَّة الشام ، فهناك البلاء ، وبطنُ الأرض يومئذٍ خيرٌ من ظَهرها ! ! !

(وقد مَرَرْتَ بشرحٍ لمثل هذا الحديث في موضوع : الفتَن الأجنبية من هذا الكتاب ، فتأمَّلْ هذه النصيحة التي لا يزال يُسديها النبيُّ ﷺ وأهلُ بيته ﵈ منذ أحقابٍ وأحقاب ، فيأمرون أهلَ آخرِ الزّمان ـ منذئذٍ ـ بحفر الملاجىءِ في بطن الأرض لِيَنجوا من الغارات الجوِّية ، وباتِّخاذِ السُّلَّم في السماء أي الهروب بالطائرات ـ إن استطاعوا ـ لِيَتَّقوا نوازل البلاء ! . يأمرونهم بذلك مطمئنّين إلى حدوثه كأنَّهم هم الذين قدَّروه للتنفيذ في هذا الحين بالذات ! . فهل هذا نصحٌ صادق ؟ . وهل هو تصوُّرٌ صائب ؟ .

نعم . . ولن ينجو من الكوارث الهائلة إلاّ من استمعَ القولَ فاتَّبع أحسنَه إذا حميَ وطيسٍ معركة سُرَّة الشام ـ أي دمشق ـ يوم التصفية بين الإخوة العرب . ونحن نتحدَّى كلَّ واحدٍ في الإنسانية أن يدَّعيَ ـ ولو تزويراً وافتراءً ـ أن معلِّماً لقَّن النبيَّ ﷺ أو لقَّن واحداً من بيته عليهم السلام حَرْفاً واحداً من عِلْمٍ من العلوم ، أو أنهم تدرَّبوا على يد موجِّهٍ واحدٍ في يوم من الأيام ، أو استشاروا في أمورهم أحداً في قولٍ أو فعلٍ . . بل إليهم ـ وحدَهم ـ كان يرجع الناس . .

فحقٌّ لهم أن يقولوا : نحنُ صنائعُ ربِّنا ، والْخَلْق بَعْدُ صنائعُنا ! (٢) . فإنَّ مَن كان صنيعةً لهم ، مُمْتَثِلاً لأمرهم ، مُتربِّياً على أيديهم وسائراً على منهجهم ، فازَ ونجا . ومَن حادَ عنهم ، وسلك غيرَ طريقهم ، واتَّبع غيرَ طريقتهم ، ضلَّ

---

(١) الملاحم والفتن ص ٧٠ وص ٣٠ ما عدا آخره .

(٢) انظر الغيبة للطوسي ص ١٧٣ وما مرّ بك في كتابنا هذا حول هذا المعنى ، وفي الوسائل م ١٦ ح ٧ ص ١٦١ وفي الكافي م ١ ص ١٨٧ قال : الناس عبيدٌ لنا في الطاعة ، مَوالٍ لنا في الدِّين . فَلْيُبَلِّغ الشاهدُ الغائب . .

وهوَى : . ولكلِّ امرىءٍ شأنُه في الاختيار لنفسه . . ثم رُوي هذا الخبرُ بلفظٍ آخر ، هو :)

ـ إذا بلغَت الراياتُ الصفْر مصرَ ، فاهرب في الأرض جُهْدَك هرباً . وإذا بلغك أنهم نزلوا الشام فهناك البلاء إلخ [١] . . . (يعني أن الهروب من وجه الأحداث يجب أن يَعقب استيلاءَ الجيش المغربيّ على مصر ، وتَوجُّهَهُ إلى بلادنا الشامية ، وأنه لن يتخلَّص أحدٌ من القتل والحرق بالقذائف المختلفة إلاَّ بالإخلاد إلى الملاجىء في بطن الأرض أو بالصعود في سلَّم السماء . . والظاهرُ أن القوى المغربية ستقصد بغداد لتشترك في تخريبها وتخريب العراق أثناء الفتن العامة ، لأنها ستصطدم مع قوًى هائلة أخرى ، وستَكْتَوي بنار معركة قرقيسيا التي حدَّثت عنها ثلاثة كتب سماويَّة ، وثلاثة أنبياءٍ ، وسائر الأوصياء ، وأطلقوا عليها آسْمَ : مَأْدُبة الله للطير والوحش من لحوم جُثث القتلى من الجبَّارين ! .

ثم جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن الصادق عليه السلام في العلامات :)

ـ إذا رُكِزت رايات قيسٍ بمصر ، ورايات كندة بخراسان . . [٢] (هذه تسير غرباً ، وتلك تسير شرقاً . . ثم جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام محذِّراً من رايات كندة :)

ـ إذا دَهَمَكم راياتُ بَني كندة مع عُمَّال من عقبةٍ من الشام [٣] . . (يريد بها الأمويَّة التي تنشأ قبل ظهور القائم عجَّل الله تعالى فرَجه في مكة ويثرب بجيش الهدى . . ثم جاء عنهم عليهم السلام بموضوع المغربيِّ والخراسانيِّ هذَين :)

ـ ورودُ خيلٍ من المغرب حتى تُربَط بِفناء الحيرة (العراق) وتُقبِل نحوها رايات سودٌ من خراسان بعد تركيز رايات كندة فيها . . [٤] (ولفظة : خَيلٍ ، لا تمكِّن أحداً

---

(١) الملاحم والفتن ص ٣٠ وبشارة الإسلام ص ١٠٩ بلفظ آخر .

(٢) الإرشاد ص ٣٤٠ والغيبة للطوسي ص ٢٧٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٤ وإعلام الورى ص ٤٢٩ وبشارة الإسلام ص ١٥٨ وص ١٧٥ والإمام المهدي ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ عن الإمام الرضا عليه السلام ، وص ٢٣٤ وإلزام الناصب ص ١٨٤ وص ١٨٥ .

(٣) إلزام الناصب ص ٢١٣ .

(٤) بشارة الإسلام ص ١٧٥ وإلزام الناصب ص ١٨٥ والمهدي ص ١٩٦ نقلاً عن الفصول المهمة ، والإمام المهدي ص ٢٣٤ .

من التمسُّك بها كأساس لِتجهيز جيشٍ على الخيل والأفراس . . بل هي تَعني في سائر الأخبار القدسية : ما يُتخايَلُ عليه من وسائل السير ، وإلاّ فلماذا لم يَرِد ذِكْرُ بَغلٍ واحدٍ يحمل أثقال الجيوش وأعتدتها ؟ ؟ ؟ إنها لأخبارٌ صدرتْ عمَّن هم أفصحُ مَنْ نَطق بالضاد ، ولن يجد فيها أحدٌ مغمزاً ولا ملمزاً . . أمَّا الرايات السودُ التي تأتي من خراسان ، فهي التي تجيءُ للدفاع عن أهلِ العراق ، وتخرج ثائرةً للحقِّ الضائعِ في خِضَمِّ تلك الفتن ، ثم تنتهي إلى مبايعة القائم ﷺ بالتأكيد . . ثم جاء عن أمير المؤمنين ﷺ في الموضوع :)

- إذا قام أميرُ الأمراء في مصر ، وجُهِّزَت الألوف ، وصُفَّت الصفوف ! . [1]

(وهذه الحُشُود هي الآن في طور الإعداد والاستعداد ، ومصرُ تسعى إلى تسليح جيشها على أرفع مستوى كتسليح الجيش الإيرانيِّ فيما مضى . . والمعارضون لسياسة مصر ساعون ، والشرقيون والغربيون من أعداء العرب لا يمنعون الماعون ، بل يبيعون السلاح ، ويَهَبون ويُغْدِقون ! ! ! ثم رُوي عنهم ﷺ ما يلي :)

- قتلُ أهلِ مصرَ أميرَهم ! . ودخولُ رايات قيسٍ والعرب إلى مصرَ وتركيزُها فيها . . [2] (وقد أوضحنا شرح الجزء الأخير من هذا الخبر سابقاً ، أمَّا قتلُ أمير مصر فقد وقع بقتل الرئيس محمد أنور السادات الذي عناه الخبر دون غيره ، لأنه لم يَقتل أهلُ مصرَ أميراً لهم في ظلِّ الإسلام . . ورُوي أيضاً :)

- يُقتل قبل ظهور القائم مَلِكُ الشام ، ومَلِكُ مصر ، ويُسْبَى أهلُ قبائلٍ من مصر . . [3] (وهذان القتْلان يقعان - ظاهراً - قبل معارك دمشق ، والسَّبْيُ سيمرُّ ذِكْره . ثم جاء عنهم ﷺ :)

- وغلبةُ العبيد على بلاد السادات [4] . . (وأعتقدُ أن المرادَ به هو ذاتُ

---

(١) بشارة الإسلام ص ٤٩ وص ١٧٦ وإلزام الناصب ص ١٧٩ .

(٢) المهدي ص ١٩٦ نقلاً عن الفصول المهمة ، وبشارة الإسلام ص ١٧٥ وص ١٩٢ والإمام المهدي ص ٢٣٣ أوله ، وكذلك في إلزام الناصب ص ١٨٥ .

(٣) الملاحم والفتن ص ٤٠ وص ٤٣ وبشارة الإسلام ص ١٨٥ .

(٤) بشارة الإسلام ص ١٧٦ نقلاً عن الإرشاد ، وإلزام الناصب ص ١٨٥ ، والإمام المهدي ص ٢٣٤ .

قولهم عليهم السلام :)

ـ خروجُ العبيد على ساداتهم ، وقتلُهم مَواليَهم [1] . (أي أنهم يَعنون هذا التمرُّد الذي نَشهده بين السائس والمسوس ، وبين كل عبدٍ ومولاه ، حتى بين الوالد وولده . . ورُوي أيضاً :)

ـ إذا ملك رجلُ الشامَ ، وآخرُ مصرَ ، فاقتتلَ الشاميُّ والمصريُّ ، وسَبى أهلَ الشام قبائل من مصر . وأقبل رجلٌ من المشرق ـ الخراساني ـ براياتٍ سُودٍ صغارٍ قِبَلَ صاحب الشام ، فهو الذي يؤدِّي الطاعةَ للمهديّ[1] . (والشاميُّ هنا : هو السفيانيُّ أو قائدٌ من قوّاد جيشه الذي يوجِّهه إلى العراق بلا أدنَى ريب . . أما هزيمةُ الخراسانيِّ للسفيانيِّ فتكون بعد مذبحة بغداد ومجزرة الكوفة والنجف الأشرف . . وفيما يلي بعضُ التوضيح الذي جاء عنهم عليهم السلام :)

ـ أما صاحب المغرب فيسير ، فَيَقتل الرجال ويَسبي النساء ، ثم يرجع بقيسٍ بعد الْتِقائِهِ بجيش السفيانيِّ في قرقيسيا ، فينزلُ السفيانيُّ في الجزيرة ، ويَسبق اليمانيُّ إليها ، فيحوز السفيانيُّ ما جمعوا . . [2] (وعدَّد أمير المؤمنين عليه السلام بعض التفصيلات بقوله :)

ـ . . وغَلَبَةُ الهند على السند ، وغَلَبَةُ الْقِبْط على أطراف مصر ، وغَلَبَةُ الأندلس على أطراف أفريقيا ، وغَلَبَةُ الحبشة على الْيَمَن ، وغَلَبَةُ التُرك على أطراف خراسان ، وغَلَبَةُ الروم على الشام ، وغَلَبَةُ أهل أرمينية ، وصراخُ صارخٍ بالعراق ، وهَتْكُ الحِجَاب ، وافْتِضَاضُ العذراء ! ! ! . [3] (وكلَّما حكَى عليُّ بن أبي طالب عليه السلام شَغَلَ العقولَ والأفهامَ فاحترزَ الإنسان عن أن يَضِلَّ بوقع السَّجْع ،

---

(١) الملاحم والفتن ص ٤٣ وفي ص ٤٠ جاء : إذا دخل السفيانيُّ أرض مصر أقام فيها أربعة أشهر يقتل ويَسبي أهلها . فيومئذٍ تقوم النائحات : باكية تبكي على استحلال فرجها ، وباكيةٌ تبكي على قتل أولادها ، وباكيةٌ تبكي على ذُلِّها بعد عزِّها ، وباكية تبكي شوقاً إلى قبورها .

(٢) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ والغيبة للطوسي ص ٢٧٨ وبشارة الإسلام ص ١٧٨ وص ١٩٢ بلفظ آخر .

(٣) بشارة الإسلام ص ٤٢ ـ ٤٣ وص ٢٨ عن النبي صلى الله عليه وآله بلفظ آخر وتفصيل ، والملاحم والفتن ص ١٦٤ شيءٌ منه .

وانصرف إلى تفهُّم قولِ مَن لا يقول إلاّ حقّاً ، لأن الحق معه ، يدور كيفما دار . .

فغَلَبة الهند على السند قد حصلت في عصرنا الحاضر . والقُبط ـ هم نصارى مصر والسودان وسائر الحبشة ـ يتمتّعون بامتيازاتٍ في مصر ، ويحكمون جنوبيَّ السودان وسائر الحبشة وقسماً من دولة تْشاد . .

وغَلَبة الأندلس على أطراف أفريقيا حصلت قديماً في الدار البيضاء وغيرها ، وبدأت تتجدّد حديثاً في الصحراء الكبرى على أيدي ثوّار البوليساريُو الذين اخترعهم أعداء المسلمين وابتدعتهم قرائحُهم كما ابتدَعت غيرَهم في مناطق لا تُحصى ! .

وغَلَبة الحبشة على اليَمن بدت تباشيرُها في حرب الحبشة للصومال المُسلم ، يؤازرها حَمَلةُ روح العَدَاءِ للإنسانية والعدل من قَناصي كوبا ومحاربيها الغيورين على العدل في الأرض ! ! !

وغَلَبة التُّرك على أطراف خراسان حصلت قديماً أثناء حرب روسيا لإيران ووصولها إلى مدينة مشهد المشرَّفة ، وضربها الحضرة المقدَّسة لمقام الإمام الرضا عليه السلام . ثم تجدَّدت في أوائل عهد إدراكنا واقتطعت منطقة آذربيجان المحاذية لمنطقة خراسان من الغرب . ولا تزال تراودها نفسها بأكثر من ذلك كما يتجلّى في إثارة الفتن في أفغانستان وفي احتلال أرضها وتولّي الحُكم فيها . .

أما غلَبَة الروم على الشام فعند كلِّ ذي بالٍ خبرُها اليقين ، ولم يَعد أمرُ اليهود في فلسطين خافياً على أحدٍ في أطراف الكرة الأرضية . . وستكون غَلَبة أرمينية على شرقي تركيا ما زالت قد تحرّكت ثائرةُ العصبية الطائفية في كلِّ مكان . . وصراخُ الصارخ في العراق نسمعُ صوتَهُ ليلَ نهارَ ، أصواتَ ثكالى ، واستغاثة نَجدةٍ في حربِ مُسلمٍ مع مسلم ، يُديرها الشرقُ ، ويغذّيها الغرب عداءً للمسلمين وإضعافاً لهم ، يرافقها قتلٌ ورُعبٌ ربّما اتّصلا بمذبحة بغداد أثناء الهجومِ السفيانيِّ المسعور . . وليس ذلك ببعيد ، بل ليس أبلغَ من هذا التعبير للدلالة على الإفصاح بالاستغاثة في الإذاعات وغيرها ، لما ينزل بالبلاد من البلاء والخوف . .

ونكتفي بهذا المقدار من البيان في هذا الموضوع ، فقد اتّضحت أبرزُ معالمه ، وظهرت أكثر خفايا رموزه التي كان يظنّها الطائشون سجعاً في السجع . . وستزيد

وضـوحاً بعـد معالجـة ما يليهـا من مواضيـع الثائـرين لتشابُـكِ الثـورات فيمـا بينهـا ، ولاشتمال الأخبار القدسيَّة على هذا مرةً ، وعلى ذاك مـرةً أخرى ، وعلى الاثنين ـ بـل غيرِهما معهما ـ مرةً ثالثةً . .)

* * *

ج - عوف السّلميّ

(رُوي عن زين العابدين عليه السلام فيه :)

- يكـون قبل خـروجه - أي ظهـور القائم عليه السلام - خـروج رجلٍ يقـال له : عـوف السلميّ ، بـأرض الجـزيـرة . ويكـون مـأواه بكُـويت ، وقتلُه بمسجـد دمشق . . [1] (وورد بلفظ : ومأواه تَكْريت ، وبلفظ : ومأواه كُرِيت ، فجاء الاختلافُ من كثـرة نَقَلَة الحديث ، فمن عرف الكُـويت كتَبها ، ومن عَـرف تَكْريت كَتَبهـا ، ومن عرف جـزيرة كُرِيت كتَبها . . والظاهر أن هذا الرجـل هو الـذي يكون خـرابُ البصرة الجـديدُ على يـده . يدخلهـا من الجنوب ومعـه بعض العرب المسلمين ، ومعـه الزنـج وغيـرُهم من المستعربين المُقيمين في الجزيرة العربية ، ولا يأتـون من أفريقيـا ، وهو غيـر الخراب الذي توهَّمه ابنُ أبي الحديد [2] وغيرُه ممن تَبِعه في وهمه ، حين زعموا أن البصرة قد مرّ خرابُها الموعودُ على يد صاحب الزنـج في القرن الثـالث للهجرة وهـو من علامـات الظهور . فقد حصل ذلك الخرابُ فعلاً ، ولكنه ليس الخراب المقصود في آخر الزمان بـدليل أن الخـراب الأول قد كـان منذ ألفٍ ومئـةٍ وأربعين عامـاً بـالضبط ، ولم يَعقبـه

---

(١) الغيبـة للطوسي ص ٢٧٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٣ والإمـام المهـدي ص ٢٢٢ وبشـارة الإسـلام ص ٨٦ .

(٢) شرح النهج م ٢ ص ٣١٥ إلى ص ٣١٨ .

خُروج القائم ﷺ الذي نصّ عليه الخبر التالي عن النبيّ ﷺ مخاطباً جعفر بنَ أبي طالب ﷺ :)

ـ وخـرابُ البصرة على يـد رجلٍ من ذرّيّتـك ، يتبعه الـزنوج [1] . (فقـد كـان الخـراب الأول أثناء ثـورة صاحب الـزنج في أيـام العبـاسيين ، ولكن لا تنسَ لفـظة : عند ، في أول الخبر التاليٰ إذ يقول : يكون قيام القائم ﷺ عند خـراب البصرة . ثم لا تنسَ أن تراجع تاريخ الشعوب الإسلامية للمستشرق بروكلمان [2] ، ليتّضـح لك أن الخراب الأول غير الخـراب الثاني المنتـظَر قُبيل قيـام القائم ﷺ . . ثم مـا يمنع أن يكون المُخَرِّبُ الأول من ذرّية النبيِّ ﷺ ومن وُلْد زيدٍ بن عليٍّ بن الحسين ﷺ ثم يكـون المخرِّبُ الثاني عوفـاً السلميُّ الذي يُحتمـل أن يكون من ذُرّيـة جعفـر بن أبي طالب ﷺ ، بحيث يمرُّ بـالبصرة فينقُض بُنيـانها ، ويعبُـر العراق ، ويصـلُ إلى الشام ويُقتل في المسجد الأُمَويِّ بدمشق ؟ . فأين هذا من صاحب الزنج الذي ما دخل غيـر البصرة من العراق ، ولا دخـل دمشق ولا داس أرض الشام ؟ ! ! ثم جـاء عنهم ﷺ قولُهم :) ـ وغَلَبَة العبيد على بلاد الشام . . [3] .

(بل جاء عن أمير المؤمنين ﷺ قولُه :) ـ ويحكِ يـا بصرةُ من جيشٍ لا رَهَـجَ (أي لا غُبار) له ولا حسٌّ ! . فَفِتنةٌ يكون فيها خرابُ منازل ، وخرابُ ديـار ، وانتهاكُ أموال ، وسِباءُ نساء ! ! ! ![4]

(وقولُه ﷺ عمّن يقوم بذلك:) ـ كأنّي به قد سـار بالجيش الـذي لا يكون لـه غبارٌ ولا لَجَبٌ ، ولا قَعقعةُ لُجُمٍ ، ولا حَمحمةُ خيلٍ ، يُثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقـدام النّعام . ويـلٌ لِسِكَكِكُمُ العامـرة ، والدُّور المـزخرَفـة التي لها أجنحـة كأجنحـة

---

(١) البحـار ج ٥١ ص ٧٠ وج ٥٢ ص ٢٧٨ وبشارة الإسـلام ص ٥ وص ٤٩ عن خـراب البصـرة ، والإمام المهدي ص ٢١٧ ومنتخب الأثر ص ٤٢٥ وإلزام الناصب ص ٦٤ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ج ٢ ص ٥٥ وما بعدها .

(٣) الملاحم والفتن ص ١٦٤ وبشارة الإسلام ص ١٧٦ بلفظ آخر ، وغيرهما من المصادر .

(٤) انظر بشارة الإسلام ص ٥٧ عن كارثة البصرة ، وغيره من المصادر .

النسور وخراطيم الْفِيَلة ، من أولئك الذين لا يُنْتَدَب قتيلُهم ، ولا يُفتقَد غائبُهم ! . (١) (فليس لذلك الجيش لَجَبٌ : أي صياح ، ولا قعقعةُ لُجُم ، إذ ليس معه خيلٌ ، وأقدامُهم كأقدام النَّعام لخفَّة حركتهم ، وويلٌ للسكَكِ : أي الطرقات ، والدُّور التي يُخربونها ويهدمون شُرُفاتها التي تكون كأجنحة النسور ، والتي لم يكن منها أيام صاحب الزنج السابق شيءٌ لأن البصرة كانت يومئذٍ بيوتاً من اللَّبن وأخصاصاً من القشّ وسعَف النخل وخَشَبِه . . . ثم وصف خرابها وغرقَها بقوله ﷺ مرةً ثانيةً :)

ـ البصرة ! . إنها لأقرب الأرض خراباً ، وأخْبثها تراباً ، وأشدُّها عذاباً ! . وإنَّ لكم يا أهلَ البصرة ، وما حولَكم من القرى ، من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه ! . وإنّي لأعلَم موضع مُنْفَجَرِهِ من قريتكم هذه ! . ثم أمورٌ قبل ذلك تَدهمكم عظيمةٌ أُخفِيَتْ عليكم وعَلِمْناها . . فمنْ خرج عنها عند دُنُوِّ غرقها فبِرحمةٍ من الله سبقت له ، ومن بقيَ فيها غيرَ مربوطٍ بها فبذَنْبِهِ ، وما الله بظلاّمٍ للعبيد ! . (٢) (فأين هذا الخراب الذي يتْبعه فَيَضان ، من خرابٍ سبقه بألف ومئة وأربعين سنة وما كان علامةً على قرب ظهور القائم ﷺ ؟ ؟ ؟ وقد رُوِي عنه ﷺ النَّصُّ الثاني الذي يقطع النزاع ويُبيِّن أن خراب البصرة الأخير يكون بعد عُمرانها كما أوضَحْنا في تحليل الخبر السابق :)

ـ يا أهل البصرة : أخلاقُكم دِقاقٌ ، ودِينُكم نفاقٌ ، وماؤكم زُعاقٌ ! . بلادُكم أنْتَنُ بلادِ اللّهِ تربةً وأبعدُها من السماء ، بها تسعةُ أعشار الشّر ! ! والمُحتبَسُ فيها بِذَنْبه ، والخارجُ منها بعفوِ ربِّه . . كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه وقد طبَّقها الماءُ حتى ما يُرَى فيها إلّا شُرَفُ المسجد كأنه جُؤجُؤُ طيرٍ في لُجَّةِ بحر ! . فإذا هم قد رأوا البصرة قد تحوَّلتْ أخصاصُها دوراً ، وآجامها قصوراً فالهرَبَ الهربَ فإنه لا بصرةَ لكم بعد اليوم ! . (٣) (هذا هو الذي إذا حكَى لاقَ به أن يحكيَ . . لأنه يَعلم . . ويَعرف . . ولأنّ المعرفة ـ كلَّ المعرفة ـ عند باب مدينة عِلْم المصطفى صلواتُ الله عليه . . ونحن ـ مَواليَهُ وَخَدَمُه ـ نتحدّى بما في صدرِه من العِلْم الْجَمِّ علماءَ القديم

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٩ وكتاب البلدان ص ٢٥٧ بعضه .
(٢) انظر الملاحم والفتن ص ١٠٢ وإلزام الناصب ص ٢٤٢ ونهج البلاغة ج ٢ ص ٩ .
(٣) انظر إلزام الناصب ص ٢٤٢ والملاحم والفتن ص ١٠٢ وبشارة الإسلام ص ٧١ وغيرها من المصادر التي ذكرت خراب البصرة في آخر الزمان .

والحديث ، ونُسلِّم بما جاء عن محمد ﷺ وعنه وعن أبنائه تسليماً ، لأنّ قولَهم من قول الله ما شَكُّوا به ولا شكَكْنا به ولا بهم أبداً . .

وهنيئاً لمن كان عنده سمعٌ مرهف ، لا يُصَمُّ عن أحاديثهم عن الله ولا يُخْطَف ، فإن أقوالهم ينبغي أن نتلوَها آياتٍ بَيِّنات ، مُبَيِّناتٍ ، بُكرةً وعشيّاً ، فهي الطريق اللاحِبُ الذي لا يَضِلُّ من سَلكَه . . ثم أكّدوا أخيراً ، أن فرَجهم وفرَج الناس يكون :)

- إذا خَربت البصرة ، وقام أمير الأُمَرَة . . [1] (وصرَّحوا تكراراً بقولهم :)

- وخرابُ البصرة بالزَّنج [2] . . (كما مَرَّ منذ قليل .)

* * *

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٣٦ .

(٢) إلزام الناصب ص ٥٣ .

د ـ اليَماني

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ خُروجُ الثلاثـة : السفيانيّ والخراسانيّ واليمانيّ في سنةٍ واحدةٍ . في شهرٍ واحدٍ ، في يومٍ واحد . وليس فيها ـ أي في راياتهم ـ من رايةٍ أهدَى من راية اليمانيّ ، لأنه يدعو إلى الحق [1] . (ثم بيَّن الإمام الصادق ﵇ جانباً آخر من هويَّة هذا الثائر بقولٍ رُوي عنه ، هو :)

ـ خُروج رجلٍ من وُلْد عمّي زَيد ، باليَمن [2] . . (فسيكون ـ إذاً ـ من نسل خلفاء اليمن السابقين المُنتسبين الى زَيدٍ بن عليٍّ بن الحسين ﵇ وقد جاء عن بعضهم ﵇ :)

ـ يخرج مَلِكٌ في صنعاء اليَمَن آسمُه حسينٌ أو حسن [3] . . (والله العالم على كل حال .)

---

(1) الإرشاد ص ٣٣٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٠ وبشارة الإسلام ص ١٨١ .
(2) نور الأبصار ص ١٧٢ وبشارة الإسلام ص ١٧٥ نقلاً عن الإرشاد .
(3) بشارة الإسلام ص ١٨٧ .

قال الإمَام البَاقِر عليه السلام

- يكون خروج السفيانيِّ من الشام - أي من البلاد الشاميـة - وخروج اليمـانيِّ من اليمن [1] .

(وقال عليه السلام كما قال جدُّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله سابقاً :)

- خُروجُ السفيانيِّ واليمانيِّ والخراسانيِّ في سنةٍ واحدةٍ ، وفي شهرٍ واحدٍ ، وفي يومٍ واحد . ونـظامٌ كنظام الْخَـرَزِ يَتبع بعضُـه بعضاً ، فيكـون البأسُ في كـلِّ وجه ! . ويـلٌ لمن ناواهم ! . ليس في الـرايات أهـدَى من راية اليمـانيِّ ، هي رايةُ هُـدًى لأنه يدعو إلى صاحبكم . فإذا خرج اليمانيُّ حرَّم بيعَ السلاح على كلِّ الناس . . إذا خرج اليمانيُّ فانهضْ إليه فإن رايته راية هُدًى ، ولا يَحِل لمسلمٍ أن يلتويَ عليه ، فمن فعلَ فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق وإلى صراطٍ مستقيم [2] . . (وهكذا نرى أن عهد خروجـه سيكون وقت الثـورات والفتن ، وحين تضطرب الأرض من أطـرافها . . والإمام عليه السلام يدعو إلى اليمانيِّ ويُحذِّر من الانصراف عنه إلى غيره مكرراً . .)

قال الإمام الصَّادق عليه السلام:

(نكـرِّر ذِكْرَ قـوله الـذي سبقَ أن ذكرنـاه في العلامـات المميِّزة الـواضحـة ، إذ قال عليه السلام :)

- خمسٌ - أي خمسُ عـلامات - قبـلَ قيام القـائم عليه السلام : اليمـانيُّ ، والسفيـانيُّ والنـداءُ ، والخسفُ بـالبيـداء ، وقتـلُ النفس الـزكيّـة [3] . (فهي أوضـحُ العـلامـات

---

(1) إلزام النـاصب ص ٦٧ وبشـارة الإسـلام ص ١٠٠ وص ٩٩ بلفظ قـريب ، والإمـام المهـدي ص ٢٢٧ ومثير الأحزان ص ٢٩٨ باختلافٍ يسير .

(2) الغيبـة للنعمـاني ص ١٣٥ والبحـار ج ٥٢ ص ٢١٠ وص ٢٣٢ ومنتخب الأثـر ص ٤٥٦ والغيبـة للطوسي ص ٢٧١ وإعـلام الورى ص ٤٢٩ وإلـزام النـاصب ص ١٨٤ وبشـارة الإسـلام ص ٩٣ وص ١٢١ نصفُه الأول ، ومثله في الإمام المهـدي ص ٢٣٠ ، وقد رُوي في بعضهـا عن الإمام الصادق عليه السلام ، واختلفت ألفاظُ نصوصها نوعاً .

(3) منتخب الأثـر ص ٤٣٩ والغيبـة للطوسي ص ٢٦٧ والإمـام المهـدي ص ٢٢٨ وبشـارة الإسـلام ص ١١٩ وص ١٥٦ والمهدي ص ١٩١ عن الإمام الحسين عليه السلام .

وأقربُها ، إذ لا تنفصل أُولاها عن موعد الفرَج إلاّ بسَنةٍ وشهرَين دون زيادة . . ثم قال عليه السلام :)

ـ يوشك أن تخرج نارٌ باليمن ، تسوق الناسَ إلى الشام [1] . (وهي نارُ حرب ، وحرُّ سيفٍ قاطع يمهِّدان لالتقاء الرايات بالشام ، يسوقان الناس إليها سَوقاً حين يقصدها اليمانيُّ فيُلاقيه الخراسانيُّ للمعونة ، ويلتقيهما عدوُّهما ـ السفيانيُّ ـ وتكون الملحمة التي حكت عنها السماء من حوالي ستة آلاف سنة ، وذكَّر بها رسولٌ من الله إثْرَ رسول . . ثم قال عليه السلام :)

ـ تلتقي في الشام ثلاثُ رايات : رايةُ السفيانيّ ، ورايةُ اليمانيّ ، ورايةُ الخراسانيّ . أهداها رايةُ اليمانيّ لأنه يدعو إلى الحق [2] . (وظاهر المجموع الملخَّص من الأخبار أن هذا الالتقاء يكون بعد خراب مصر وبغداد والشام ، وبعد هزيمة جيش السفيانيّ في العراق على يد الخراسانيّ ، ويحدُث بعد البيعة للقائم عليه السلام في الحجاز ، لأن في جيشَي كلٍّ من اليمانيّ والخراسانيّ أنصاراً للمهديّ عليه السلام . . ثم جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في وصف إحدى هاتَين الرايتين ما يلي :)

ـ فتخرج رايةُ هُدًى من الكوفة ، فتلحق ذلك الجيشَ فيقتلونهم لا يُفلت منهم مُخْبِرٌ ، ويستنقِذون ما في أيديهم من السَّبْيِ والغنائم [3] . (ورايةُ الهدى هي راية الخراسانيّ ، والجيشُ هو جيشُ السفيانيّ يلحق به أصحابُ الراية بعد أن يُخرب الكوفة ويسحقونه . . ثم نختتم الكلام عن اليمانيّ بقوله عليه السلام :)

ـ اليمانيُّ يتولّى عليّاً . اليمانيُّ والسفيانيُّ كفَرَسَي رِهان [4] . (أي أنهما يظهران معاً . .)

---

(١) الملاحم والفتن ص ٧١ والبيان ص ٧٧ بلفظ آخر .
(٢) انظر الغيبة للطوسي ص ٢٧١ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٠ وبشارة الإسلام ص ١٢١ والإمام المهدي ص ٢٣٠ .
(٣) البحار ج ٥٢ ص ١٨٦ وغيره من المصادر .
(٤) الغيبة للنعماني ص ١٦٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ وإلزام الناصب ص ١٨٠ .

هـ - الهاشِميّ
. . والخراسانيّ

١ - الهَاشِمي :

(هو قرشيٌّ ، هاشميٌّ ، حَسَنيّ . يُقتل قُبيل ذبح ٱلنَّفْس الزَّكيَّة في مكة ، وأثناء وجود جيش السفيانيِّ في العراق وأثناء دخول جيش الخراسانيِّ إليها من الحدود الشرقية عن طريق بلدتَي : قصر شيرين وخانقين . . وهو زعيمٌ خطيرٌ ، وسيِّدٌ شريفٌ ذو وجاهة دينيَّة نعتَه بها النبيُّ ﷺ ووصفَه بها أهلُ بيته الأطهار . وقد أطلقْنا عليه آسمَ الهاشميِّ تمييزاً له من الخراسانيِّ الذي هو هاشميٌّ أيضاً ولكنه حُسَيْنيّ ، وبُغيةَ تمييزه للقارىء فلا يشتبه بين الأول الذي يُقتل ، والثاني الذي يُبايع المهديَّ بعد ذلك بشهرٍ أو أكثر . . وإليك ما ورد بشأنه :)

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

- كأنّي بالْحَسَنيِّ والْحُسينيِّ وقد قاداها ، فَيُسَلِّمها الحُسَينيُّ ، فيبايعونه [1] .

(يعني أنهما يقودان راية طلب الحق من الشرق ، أي من إيران ، فيُقتَل الحَسنيُّ ، ويُسلِّم الحسينيُّ الرايةَ للمهديّ ويُبايعه هو وجماعتُه . فالضمير المتَّصل (ـهُ) في : يُبايعونه ، عائدٌ للقائم ؏ ، كما أن الضمير المستتر في الفعل نفسه عائدٌ لجماعة الحسنيّ والحسينيّ . . ثم رُوي عنه ﷺ قولُه في الموضوع :)

---

(١) يمرُّ مصدرها عند ذكر الرواية بتمامها قريباً .

- لا تقوم الساعة (أي ساعة خروج القائم عليه السلام) حتى يملك الناس رجلٌ من المَوالي يُقال له : جهجاه [1] . . (والمَوالي هم المسلمون من غير العرب . وقد قصدَ النبيُّ صلى الله عليه وآله الإيرانيين هنا قطعاً بدليل لفظة : جهجاه ، التي هي : شاهِنْشاه بحقيقتها ، وكان ينبغي أن تُكتَب بالجيم المثلّثة النُّقَط حتى يصحَّ لفظُها القريب من الشّين . وقد مَلَكَ من المَوَالي الشاهِنْشاه (أي مَلِكُ الملوك) حكومةَ إيران وتَسمَّى بها رضا بهلوي - أبو الشاه المعزول : محمد رضا - وكان المعنيَّ بقول رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه بدَّل الكثيرَ من مظاهر الإسلام ، ثم تَبِعه ولدُه المخلوعُ فبدَّل وجهَ إيران المسلم بوجهٍ أوروبيٍّ وأراد مَحْوَ معالم الدِّين . .

وقد تعمَّدتُ وضعَ هذا الحديث القدسيِّ المُشير إلى العلامات هنا في هذا الموضوع ، بسبب عزل (الشاهِنْشاه الأعظم ! .) الذي تَليه ثورة الخراسانيِّ الميمونة إنْ عاجلاً أو آجلاً ، وَلأُباهيَ العالَمَ بأسره بهذا النبيِّ الأُميِّ الذي كلَّما امتدت الأيام ظهرتْ أعلامُ نبوَّتِهِ تتألَّق من جديد ، لأنه سيِّد المُرسَلين وخاتم النبيِّين ، وستستمرُّ رسالتُه إلى يوم الدِّين ، وسيؤمن بها كثيرٌ من المنكِرين بعد ظهور مثل هذه الآيات لذوي الألباب . . . ثم رُوي عنه صلى الله عليه وآله أيضاً :)

- يُقتل عند كنزكم - أي في الكوفة - ثلاثة كلهم ابن خليفة ، ثم لا تصير إلى أحدٍ منهم . ثم تجيء الرايات السود فيقتلونهم قتلاً لم يَقتل قومٌ مثلَه ! . ثم يجيء خليفةُ الله المهديّ [2] . (فالهاشميُّ واحدٌ من القتلى ، أولاد الخلفاء ، لأنه حسنيٌّ . . ورُوي عنه صلى الله عليه وآله مثلُ هذا الحديث باختصار ، هكذا :)

- يُقتَل عند كنزكم ثلاثة ، ثم يجيء خليفةُ الله المهديّ [3] .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

- يخرج رجلٌ من وراء النهر يقال له : الحارث ، على مقدّمته رجلٌ يقال له :

---

(١) مرَّ مصدرها والتعليق عليها في غير هذا المكان ، وانظر صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٤ .

(٢) انظر الرقم (١) في الصفحة التالية .

(٣) البحار ج ٥١ ص ٨٣ وبشارة الإسلام ص ٣٠ وص ٢٨٦ وص ٢٩٠ وص ٢٩٦ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٣ وص ٢٦٧ وص ٢٧٧ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٦ والمهدي ص ٢٠٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ٤٢٧ وإلزام الناصب ص ٢٦٠ والبيان ص ١٠١ وص ٦٧ بلفظ آخر .

المنصور ، يوطّئ ويمكّن لآل محمدٍ كما مكّنت قريشٌ لرسول الله . يجب على كلّ مؤمنٍ نُصرتُه وإجابتُه [1] . . (فهو يخرج من وراء نهر دجلة شرقاً ، أي من بلاد فارس . وإطلاقُ : الحارث عليه لا يدلُّ على اسمٍ أكثرَ مما يدلّ على لقب ، كما أن إطلاق لفظة : المنصور على قائد ثورتِهِ لا تدلُّ على اسمٍ قطعاً ، فهما الحسنيُّ وقائد جيشه شعيبُ بن صالح . . وقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بقتله في العراق أثناء تحدُّثِه عن العلامات القريبة من موعد الفرَج إذ قال :)

ـ وقتلُ رجلٍ هاشميٍّ بظهر الكوفة ، في سبعين من الصالحين . وذَبح النفس الزكيّة بين الرُّكن والمقام [2] . . (وهو ، والسبعون الصالحون ـ في ظنٍّ يقترب من اليقين كثيراً ـ علماءُ يُرْجَع إليهم في مناطقهم ، ولعلّ بعضَهم من قادة الحملة من إيران ، وأكثرهم من النجف الأشرف . . ثم قال عليه السلام عن ذلك الموضوع :)

ـ ويكون قتلُ سبعين من الصالحين ، وعلى راسهم رجلٌ عظيم القَدْر ، يُحرقه (أي السفيانيُّ) ويذرُّ رماده في الهواء بين جلولاء وخانقين ، بعد أن يقتل في الكوفة أربعة آلاف ! (والسيد الجليل هو الهاشميُّ الحسنيُّ كما قدَّمنا ، وبذلك تعرف أن الزحف الإيرانيَّ يدخل العراق من فكَّي البصرة وخانقين بعد فتك السفيانيِّ بأهل البلاد . ثم قال عليه السلام مُقْسِماً كعادته الدالَّة على الإيمان العميق بما يقول ، ومشيراً إلى الجيشِ الثاني الإسلاميِّ الإيرانيِّ . .)

ـ وَٱللّهِ لَكَأنّي أنظر إليهم وإلى فعالهم ، وإلى ما يَلقى الفُجّارُ منهم والأعرابُ الجُفاة . يُسلِّطهم الله عليهم فيقتلونهم على مدينتهم بشاطىء الفرات البريَّة والبحريَّة ، جزاءً بما عملوا ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [3] . (وبهذا يوضح أمير المؤمنين عليه السلام أن هذا الجيش الثاني يدخل العراق عن طريق البصرة ، لأنها هي الطريق البرِّية ـ

---

(1) ينابيع المودة ج ٣ ص ٨٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٦ وغيرهما .

(2) البحار ج ٥٢ ص ٢٢٠ وص ٢٧٣ وج ٥٣ ص ٨٢ والمهدي ص ١٩٦ نقلاً عن الفصول المهمة ، والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ وبشارة الإسلام ص ٥٨ وص ٦٧ والإمام المهدي ص ٢٣٣ .

(3) فصلت ـ ٤٦ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٣٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ وبشارة الإسلام ص ٩٣ وإلزام الناصب ص ١٨٨ .

البحريّة الوحيدة في العراق ، ويُعلن ـ منذُئـذٍ ـ أنه يسحق أهـل البصرة ومن يَليهم من جُفاة العرب الذين حاربوا إمامَ زمانِهم وانحرَفـوا عنه إلى يـوم الدين . . ثم قـال عليه السلام مبيِّناً هذه النقطة بالذات :)

ـ يقـوم قبل السفيـانيّ واحدٌ هـاشميٌّ بِجيـلانَ ، ويُعينه الْمَشـرقيُّ . ويـأتي إلى البصرة فيُخربها ، ويأتي إلى الكـوفة فيَعمـرها . فيعـزم السفيانيّ على قتـاله ويهمُّ مـع عساكره باستئصاله [1] . (فهو الذي يُعلنها صريحةً لا لَبْسَ فيها ، منادياً بدعـوة الحق منذ خروجه من إقليم جِيْلانَ ـ تعريب كيلان ـ في بلاد العجم ، أي من جبال الديلَم ، ثم يدخل العراق من جهة البصرة ويصل إلى الكوفة ، يُعينـه في دعوتـه المشرقيُّ ـ أي الخراساني ـ الـذي يـدخـل العـراق من الشـرق الشمـالي على رأس الجيش الأول ، وأمرُهما صار أقرب إلى الوضوح إن شاء الله تعالى .

فمن علَّم هـذا الأنزعَ البطينَ عليه السلام أن جِيلان المجـوسية في عهـده ستُنبِت هذا الهاشميَّ الثائرَ للحق ؟ . بل من لقَّنه برامج خطواتِه وتحرُّكـاتِهِ ونهـايةَ أمره ، وهو أولُ مؤمن لرسول الله بالإسلام ، وهذا آخـر من يَصرخ من مَفاوِزِ تلك الجبال : وَاإسـلاماه بعد ألفٍ وأربعمئة سنة ؟ ! ! هل غيرُ أخيه وسيِّدِهِ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

لا . . . ولكن أين الفكر الذي يثب إلى غوالي الْكَلِمِ في الحق ، وإلى جواهرِ الحقائق ، ودُرَرِ المعاني ! . بل أين الذهن الوقّاد الذي يَتصيَّد بِكْر المعاني ، ويصعـد إلى أسمى مـراتب فهمِ النبـوَّة والـوصيَّـة ، فـلا يَتيـه في مجـاهـل الأضـاليـل والأباطيل ؟ ! .)

قَال الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ يخرج رجل من مَوالي أهل الكـوفة في ضعفـاء ، فيقتله أمير الجيش السفيـاني بين الحيـرة والكوفـة [2] . (ولا أحسَبُ إلاَّ أنَّ هذا الـرجلَ من الإيـرانيين الذين كـانوا يقطنون الكوفة حين دخول جيش السفياني إليها . وقد استنفر بعض المخلصين لدعوته ففتك به الأعداء . .)

---

(١) إلزام الناصب ص ١٨٨ .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٠٢ وإلزام الناصب ص ١٧٦ وغيرهما .

قال الإمام الصّادق ﷺ :

(وردَ عنه ﷺ في حديث عن علامات قُرب الفرَج :)

ـ . . . . ونارٌ تظهر من آذربيجان (١) . . (وأتجـرأ أن أُفسِّرهـا بنار ثـورة تنبعث ملتهبةً من صدور الآذربيجـانيِّين الذين أُخـذت بلادُهم من إيـران عُنوَةً في أوائـل عهود وَعْينـا . . وهم جيران الـطالقان ، ونـار الوجـد عنـدهم لا تـزال تتـأجّـج في صـدور المؤمنين . . . وسيكون لوثبة شبابهم صدًى أيّ صدى ! . ثم جاء أيضاً في حديثٍ له عن السفيانيّ :)

ـ يبعث بعثاً إلى الكوفة ، فيُصاب أُناسٌ من شيعة آل محمدٍ قتلاً وصلباً . وتُقبل رايةٌ من خراسان حتى تنزل دجلة ، فيخرج رجلٌ من المَـوالي ضعيف (وهو الكـوفيّ) فيُصـاب هو ومن تَبِعـه في ظهـر الكـوفـة (٢) . (وهـذا يعني أنـه يسبق طـلائـع جيش الخراسانيّ في الدخول إلى العراق . وقد وصفـه بكلمة : ضعيف ، مكنّيـاً عن ضعف جيشـه أمام مئـةٍ وثـلاثين ألفـاً من جيش السفيـانيّ . . ثم تحـدّث عن الهـاشميّ مـرةً أُخرى ، فقال ﷺ :)

ـ يخـرج قبل المهـديّ رجلٌ من أهـل بيته في الْمَشـرق ، ويحمـل السيـف على عاتقه ثمانية أشهرٍ ـ وقبل ثمانية عشر شهراً ـ يَقتُـل ويُمثِّل ، ويتـوجّه إلى بيت المقـدس فلا يَبلغُه حتى يموت (٣) . . (وردَ بلفظه عن أمير المؤمنين ﷺ) .

٢ ـ الخراسَانيّ

قَال رَسُولُ الله ﷺ :

ـ تخـرج من المشرِق رايـاتٌ سود ، تُقـاتِل رجـلاً من وُلْدِ أبي سفيـان ، ويؤدُّون الطاعة للمهديّ (٤) . (وقال ﷺ في حديث آخر :)

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٦٤ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٣) الحـاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ وص ١٤٦ عن أميـر المؤمنين ﷺ، والمـلاحم والفتن ص ٥٣ وبشارة الإسلام ص ١٨٤ وص ١٨٥ وفي ص ١٧٧ بعضه بلفظ مختلف .

(٤) الملاحم والفتن ص ٤٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤١ ما عدا آخره .

- . . . ورودُ الرايات السود من خراسان ، حتى تنزل ساحلَ دجلة [1] . (ثم رُوي عنه ﷺ أيضاً :)

- تنزل الراياتُ السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة . فإذا ظهر المهديُّ بعثت إليه بالبيعة [2] . (ورُوي عنه ﷺ أيضاً قولُه :)

- تخرج راياتٌ سودٌ صغارٌ ، تقاتِل رجلاً من آل أبي سفيان ، يردُّون الطاعة للمهديّ . على مقدِّمتهم رجلٌ من بني تميم يقال له : تميمٌ بنُ صالح (والتحريف من كثرة تداول نقلِ اسمِه فهو من بني تميم ولكنّه لا يُدعى تميماً ، ومن هنا جاء الوَهم .) يقتِلُ مع جيش السفياني ثم يهرب إلى بيت المقدس ، ثم يبايعُ المهديَّ ويكون من قُوّاده [3] . (ورُوي عنه ﷺ أيضاً :)

- إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلتْ من خراسان ، فأْتوها ولو حَبْواً على الثلج ، فإن فيها الخليفةَ المهديُّ [4] . (يعني أن فيها دعوةَ الخليفة المهديّ ، وقد حُذف المضاف هنا وأُقيم المضافُ إليه مكانه لأنَّ المهديَّ ؏ يكون حينئذٍ في المدينة المنوّرة . فالراياتُ السود مهدويّةُ الهوَى ، وسينضوي أتباعها تحت راية المهدي بُعَيْد خروجهم بأشهُر . وقد جاء عنه ﷺ في الموضوع :)

- تجيءُ الراياتُ السودُ من قِبَلِ المَشرِق ، كأنَّ قلوبهم زُبَر الحديد . فمن سمع بهم فَلْيَأْتِهم فَلْيُبايعهم [5] . (ثم قال ﷺ :)

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٧٥ وص ١٨٦ بلفظ قريب وص ٩٧ ـ ٩٨ عن الباقر ؏ ، وإلزام الناصب ص ١٨٥ أوله ، والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٢ والإمام المهدي ص ٢٣٣ ما عدا آخره .

(٢) الملاحم والفتن ص ٤٤ وإلزام الناصب ص ١٨٨ والغيبة للطوسي ص ٢٧٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٧ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ والإمام المهدي ص ٢٢٣ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٩ وص ١٤١ وص ١٤٥ وقد رُوي عن الإمام الباقر ؏ في بعضها .

(٣) بشارة الإسلام ص ٢١٢ وص ١٨٤ بلفظ آخر ، والمهدي ص ١٩٠ باختلاف يسير .

(٤) البحار ج ٥١ ص ٨٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٢ وص ٢٦٣ بلفظ آخر ، ومثله في البيان ص ١٧ والصواعق المحرقة ص ١٦٣ والملاحم والفتن ص ٤٢ وبشارة الإسلام ص ٢٨٥ وص ٢٨٦ مع زيادة ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٣ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٨ وص ١٦٦ بلفظ آخر ، والمهدي ص ٢١٢ نقلاً عن عقد الدرر ، وإلزام الناصب ص ١٠٠ .

(٥) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٣ .

ـ تخرجُ راياتٌ من المشرق ، يقودها رجلٌ من تميمٍ يقال له شُعَيب بن صالح (وهذا يدل على الخطأ اللّفظيّ في الخبر السابق .) فيستنقذُ ما في أيديهم من سَبْيِ أهلِ الكوفة ، ويَقْتلُهم [1] . . (ثم جاء عنه ﷺ في تعريف مُهمَّتهم باختصار :)

ـ يخرجُ ناسٌ من الْمَشرِق يوطِّئون للمهديّ [2] . (يقصد بذلك الخراسانيّ وأتباعَه . ثم بشّر بنصرِ هذه الرايات فقال ﷺ :)

ـ تخرج راياتٌ من خراسان سود ، فلا يردُّها شيءٌ حتى تُنصب في إيلياء [3] ! . (أي أنها تنتصر على من يعترضها حتى ترفرف على ربوع القدس التي تسمَّى إيلياء . وإيْل معناها : الله ، فهي : حَرَمُ الله تعالى . ثم قال ﷺ :)

ـ يخرج بقزوين رجلٌ اسمُه اسمُ نبيٍّ يُسرع الناسُ إلى طاعته ، المشركُ والمؤمن . يملأ الجبالَ خوفاً [4] (ثم قال ﷺ يصف مرارة زحْفِ العجم على العراق :)

ـ يوشِكُ أهلُ العراق أن لا يُجْبَى إليهم قفيزٌ ولا درهم ! . فسُئِل : من أين ذلك ؟ . فقال ﷺ : من العجم ، يَمنعون ذلك [5] . (ثم جاء عنه ﷺ في الموضوع :)

ـ يوشك أن تُملأ أيديكم من العجم . ثم يجعلهم الله أُسداً لا يَفرُّون فَيَقتُلون مقاتلتَكم ولا يأكلون فَيْئَكُمْ [6] . (يعني بهؤلاء القومِ : الخراسانيَّ وأعوانَه الذين يقاتِلون السفيانيَّ وحزبَه ، والذين قال عنهم أمير المؤمنين ؑ :)

---

(1) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ .

(2) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٧ ومنتخب الأثر ص ٣٠٤ وبشارة الإسلام ص ٢٩٠ والبيان ص ٦٨ وإلزام الناصب ص ٢٥٣ والصواعق المحرقة ص ١٦٢ والملاحم والفتن ص ٤٣ بلفظ قريب وينابيع المودة ج ٣ ص ٩١ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٧ .

(3) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٧ والملاحم والفتن ص ٤٣ وص ٥٨ بلفظ آخر ، وص ٧٥ آخره .

(4) البحار ج ٥٢ ص ٢١٣ وإلزام الناصب ص ٨١ .

(5) بشارة الإسلام ص ٢٩٢ وإلزام الناصب ص ٥٢ وص ٢٥٦ نقلاً عن البيان ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٥ والملاحم والفتن ص ٧٥ وغاية المرام ص ٧٠٣ .

(6) الملاحم والفتن ص ١١٠ وص ٧٥ بلفظ مختلف ، وكذلك في ص ١٥١ .

ـ لَتضربنّكم الأعاجم على هذا الدِّين عَوْداً ، كما ضَرَبتموهم عليه بدءاً ! . لَيملأنَّ الله أيديَكم من الأعاجم ! . لَيصيرُنَّ أُسداً لا يفرُّون ، فلَيَضربُنَّ أعناقكم ، وَلَيَغلِبُنَّكم على فَيْئكم ! . (ويتَّضح أنهم هم أصحاب الرايات السود التي تغلب على المتعصِّبين لعروبتهم التاركين لإسلامهم ، وتمهِّد لظهور القائم ﷺ وتبايعه عند لقائه . . والدليلُ على صدق هذا الحديث يُؤخذ من الواقع الذي يتجلّى في خلافِ إيران مع الدول العربية التي تقف في وجه جمهورية إسلامية لا تُريد الحُكم إلاّ باسم الإسلام . وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ قولُه :)

ـ يَلقى أهلُ بيتي بلاءً حتى يبعث الله رايةً من الْمَشرق سوداء ، مَن نصرَها نصرَه الله ، ومن خذَلها خذَله الله ، حتى يأتوا رجلاً آسمُه كاسْمي فيوَلُّونه أمْرهم فيؤيِّده الله بنصره . . (إنها راية الخراسانيِّ التي يتقدَّمها شعيبُ بن صالح زاحفاً من إيران على محور : العراق ـ سوريا ـ فلسطين . وقد بيَّن لنا هذا الخبرُ اسمَه ودلَّ أنه يُدعَى محمداً . . ثم جاء عنه ﷺ في حديث آخَر :)

ـ . . . إذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتَى التَّميميِّ ، فإنه يُقبِل من جهة الْمَشرق ، وهو صاحب راية المهديِّ (١) : (والتميميُّ هو شعيب المذكور كما ظهرت هويتُه في أحاديث أخرى ، وبيَّنتْ أن صرخته الأولى تدوِّي من جبال الطالقان بجوار قزوين . . ثم رُوي عنه ﷺ ما يلي :)

ـ ملكُ بني العباس عُسْرٌ لا يُسْرَ فيه . لو اجتمع عليهم التُّركُ والديلمُ والسندُ والهندُ والْبَربر لم يُزيلوه . ولا يزالون يتمرَّغون ويتنعَّمون في غَضارةٍ من مُلكهم حتى يشذَّ عنهم مَواليهم وأصحابُ ألويتهم (إشارة لكثرة الانقلابات التي بدأت منذ منتصف العهد العباسيّ) ويسلِّط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدأ مُلكهم (أي من خراسان حيث برزت الدعوة للعباسيين على يد أبي مسلم الخراسانيّ) لا يمرُّ بمدينةٍ إلاّ فتحها ، ولا تُرفع له (أي ضدَّه) رايةٌ إلاّ مزَّقها ، ولا نعمةٌ إلاّ أزالها ! . الويلُ لمن ناواه ! . فلا يزال كذلك حتى يَظفرَ ويَدفعَ بظَفره إلى رجلٍ من عترتي يقول الحقَّ

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٠ والإمام المهدي ص ٦٤ .

ويعمل به [1] . . (وما هو بكلام مبهَم حتى نجلوَ غوامضَه ، فالخراسانيُّ هو الذي ينظِّف محورَ ثورته من آثار الماضين ويمهد الساحة لخاتم الوصيِّين ، ويزيل آخرَ حُكمٍ ظالمٍ يقوم على أنقاض عرش العباسيين . . وقال قال محمد بنُ الحنفية رضوانُ الله عليه في حديثٍ له عن مُلك العباسيين :)

ـ لا يَعرفون في سُلطانهم شيئاً من الخير . سُلطانُهم عُسْرٌ ليس فيه يُسر . يُدنون فيه البعيدَ ، ويُقصون فيه القريب ، حتى إذا أَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ وعقابَهُ ، صِيْحَ فيهم صَيحةً لم يَبْقَ لهم منادٍ يُسمعهم ، ولا جماعةٌ يَجتمعون إليها [2] . . (ثم قال (رضي الله عنه) مفصِّلاً :)

ـ إنَّ لِبَني العباس مُلكاً مُؤجَّلاً . حتى إذا أَمِنُوا واطْمَأَنُّوا ، وظنُّوا أن مُلكهم لا يزول ، صِيحَ فيهم صَيحةً فلم يَبقَ لهم راعٍ يَجمعهم ، ولا دَاعٍ يُسمعهم ، وذلك قولُ الله عزّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إذا أخذتِ الأرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ، وظَنَّ أَهْلُها أنَّهم قادِرُونَ عَلَيها ، أتاها أمرُنا لَيلاً أو نهاراً ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرون ﴾ . . ثم حلف أن هذه الآية نزلَتْ فيهم [3] . (أي في العباسيين دون غيرهم ثم قال (رضي الله عنه) :)

ـ يملك بنو العباس حتى يَيأسَ الناسُ من الخير . ثم يتشعَّب أمرُهم ، ويكون في الناس شرٌّ طويل ، ويقوم المهديّ [4] . (أمّا أميرُ المؤمنين عليه السلام فقد تحدَّث عن شعيبٍ في معرض كلامٍ له عن السفيانيِّ ، فقال :)

ـ . . . ثم يخرج إليهم فتيانٌ من مَجالهم (أي من جيرانهم القريبين) يقالُ له : صالح . . فتكون الدائرة على أهل الكوفة (أي من جيش السفيانيّ) ثم تنتهي إلى المدينة فَتَقتل الرجال وتُبقر بطون النساء . فإذا حضر ذلك فعليكم بالشواهق

(١) الغيبة للنعماني ص ١٣٢ وبشارة الإسلام ص ٤٧ـ ٤٨ وص ٧٩ وص ١٠٥ ـ ١٠٦ عن الباقر عليه السلام ، وص ١٩٢ بعضه ، والمهدي ص ٢٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٧٠ شيءٌ من أوّله ، والملاحم والفتن ص ٢٩ شيءٌ منه .
(٢) بشارة الإسلام ص ١٨٠ وإلزام الناصب ص ١٧٥ .
(٣) يونس ـ ٢٤ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٧٠ والغيبة للنعماني ص ١٥٠ وبشارة الإسلام ص ١٨٠ وص ١٨٢ وص ٣٠٢ وإلزام الناصب ص ٨٠ .
(٤) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٧٥ وص ١٦٣ رُوي عن غيره قريبٌ منه .

وخَلْف الدروب . وإنما ذلك حَمْلُ امرأة (أي مدة حُكم السفياني الذي يكون تسعة أشهر) . ثم يُقبل الرجل التميميُّ شعيبُ بن صالحٍ - سقى اللّهُ بلادَ شعيب - بالراية السوداء المهديّة بنصر الله ، وكلمتُه حق ، حتى يبايع المهديّ . [1] (وقال النبيُّ ﷺ يخاطب ابن عمّه جعفراً بنَ أبي طالب رضي الله عنه :)

- يا جعفر : ألاَ أبشِّرك ؟ . قال : بَلى يا رسول الله . فقال : إن الذي يدفعها إلى القائم هو من ذُرِّيتك . أتدري من هو ؟ . قال : لا . قال : ذاك الذي وجهُه كالدينار ، وأسنانه كالمنشار ، وسيفة كحريق النار . يدخل الجبلَ ذليلاً ويخرج منه عزيزاً . . [2] (والجبلُ متعيِّنٌ في جبال الطالقان التي تنطلق منها الشرارة الأولى للثورة المباركة . فقد يعتصم هذا الثائر الكبير بالجبل هَرباً من وجه الحاكمين في عهده ، أو قد يَؤمُّ الجبل حاملاً فكرتَهُ وحدَه ، معتقداً صعوبةَ إبرازها إلى حيِّز الوجود ، ثم يرتِّب خُطوات نهضتِه فيلتفُّ حولَه شبابُ الجبل الأشمّ من كنوز الطالقان ويصير لدَيه أعوانٌ في ثورته .

أما كونه من ذرِّية جعفرِ بنِ أبي طالب فيعني - غالباً - أنه من ذرِّيته من جهة الأمّ فقط وإن كان جعفر هاشميّاً ، فإن الخراسانيّ حُسينيٌّ بلا جدال . . ثم جاء عنه ﷺ :)

- يُخربُ جيشُ السفيانيِّ بغدادَ ، ثم ينحدر إلى الكوفة فيُحرقون ما حولها . ثم يَخرجون متوجِّهين إلى الشام معهم السبايا والغنائم . فتخرُج رايةُ هدًى من الكوفة - هي رايةُ الخراساني - فيقتلونهم ، لا يُفلت منهم مُخْبِرٌ ، ويستنقذون ما في أيديهم من السَّبيِ والغنائم [3] . (وجاء أيضاً :)

- إذا بلغ السفيانيُّ الكوفة ، وقتلَ أعوانَ آل محمد ، وقتلَ رجلاً من مُسَمِّيهم ،

---

(1) الملاحم والفتن ص ١١٢ وص ٤١ شيءٌ منه .

(2) الغيبة للنعماني ص ١٣٠ وبشارة الإسلام ص ٩ وإلزام الناصب ص ٥٥ .

(3) انظر إلزام الناصب ص ١٨٨ وبشارة الإسلام ص ٢١ وص ٢٧٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٩ .

خرج المهديُّ على لوائه شعيبُ بنُ صالح [١] . (ثم وردت عنه ﷺ صفاتٌ بالهاشميِّ والخراسانيِّ وحركتهما الميمونة ، تميُّزهما وتميُّز أتباعهما ، بقوله :)

- إنّا أهلُ بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهلَ بيتي سيلقَون من بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً ، حتى يأتيَ قومٌ من المشرق معهم راياتٌ سود ، فيَسألون الخيرَ فلا يُعْطَونه ، فيُقاتِلون فيُنصَرون ، فيُعْطَون ما سألوا فلا يَقبلون حتى يدفعوها (أي الرايات السود والبَيعة) إلى رجلٍ من أهل بيتي فيملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت جَوراً . فمن أدرك ذلك منكم فلْيَأتهم ولو حبْواً على الثلج فإنه المهديُّ . [٢] . (أي : فإنهم بطريقهم إلى المهديِّ لا محالة ، وثَمَّ صاحب الأمر عليه السلام . وقد أصبحنا اليوم ننتظر هؤلاء الذين يطلبون الحق فلا يعطَونه ، ثم إذا اشتد أمرُهم وأعطوه رفضوه ، حتى يثوروا بالباطل فيزهقوه . . ثم يصِلون إلى القائم عليه السلام بعد سنوات قد لا تعادل أصابعَ اليد عدّاً . . وتحدَّث عن هؤلاء مرةً ثانية فجاء حديثه ﷺ بلفظ :)

- . . وسيُصيب أهلَ بيتي قتلٌ وتطريدٌ وتشريدٌ في البلاد ، حتى يُتيحَ الله لنا رايةً من المشرق من يهزُّها هَزَّ ، ومن يشاقُّها يشاقّ ! . ثم يخرج لهم رجلٌ من أهل بيتي اسمُه كاسمي ، وخُلقه كخُلقي ، تثوب إليه أمتي كما تثوب الطيرُ إلى أوكارها . [٣] (يعني بحديثه راية الخراسانيِّ التي من هزَّها هزَّ العالَمَ ومن ناوأها ووقف بوجهها لقيَ المشقةَ والهَوانَ والموت . . حتى تلتقيَ بموئل الأمة وثاني عشر الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين . .)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤١ والملاحم والفتن ص ٤٤ وص ٤٢ نصفُه الأخير ، وص ٤٣ بلفظ آخر ، وبشارة الإسلام ص ١٧٧ .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٢ وص ٢٦٨ والبحار ج ٥١ ص ٨٣ وج ٥٢ ص ٢٤٣ عن الباقر عليه السلام بلفظ قريب ، وبشارة الإسلام ص ٣٤ وص ٢٨٥ والبيان ص ٦٩ ومنتخب الأثر ص ١٥٢ وذخائر العقبى ص ١٧ والإمام المهدي ص ٦٧ وص ٢٩٦ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٢٧ والملاحم والفتن ص ٤٢ وص ١٣٢ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٩ والصواعق المحرقة ص ١٦٢ وكتاب البلدان ص ٣٦٨ والغيبة للنعماني ص ١٤٥ عن الإمام الصادق عليه السلام مع زيادة .

(٣) منتخب الأثر ص ١٧٠ مع زيادة وتفصيل .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :)

(قال عليه السلام في تأويل الآية الكريمة : ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾

ـ إنتظروا الفرجَ من ثلاث : اختلافُ أهل الشام فيما بينهم ، والراياتُ السود من خراسان ، والفزعةُ في شهر رمضان ! . [1] (وأهل الشام هم نحن . والاختلافُ بيننا موجودٌ كما قدَّمنا وقد دمِّر لبنان أو كاد ، وضيِّع فلسطين أو كاد . . ونعوذ بالله مما يُوقِرُ السَّمع إذا عدَّدناه ! . ثم قال عليه السلام :)

ـ إذا وقعت الملاحم ، بعث الله رجلاً من الْمَوالي ، أكرمِ العرب فُرساناً ، وأجودِهم سلاحاً ، يؤيِّد الله بهم الدين . . [2] (والتنويهُ بأنه من الْمَوالي ـ المسلمين من غير العرب ـ أوضحتْهُ عبارة : أكرمِ العرب فُرساناً . فهو عربيٌّ الأصل ، هاشميٌّ أقام أجدادُه في إيران منذ أيام الفتوحات الإسلامية ، فتحدَّر منهم . . وقد رُوي هذا الحديث بلفظه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله . . ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث سبق ذكره في موضوع العلامات :)

ـ وتحركتْ عساكرُ خراسان ، وتَبِعَ شعيبُ بنُ صالحٍ التميميُّ من بطن الطالقان ، وبويع لسيدٍ موسويٍّ (ورد : لسعيد السوسي محرَّفاً) بخوزستان ، وعُقدت الرايةُ لقناة كردان (وورد : لِعَماليقِ كُردان) وتغلَّبت العرب على بلاد الأرمن والسقلاب ، وأذعنَ هرقلُ لبطارقة سُفيان ، إلخ . . [3] (ونحن بانتظار هذه التحرُّكات في كلِّ منطقةٍ ذكرها . وقد اندلعت الثورةُ الآن في مناطق الأكراد ، وهي بين فترة هدوءٍ وسَورة غضب ، والأمورُ كلُّها صارت مهيَّأةً في الأفق المنظور . . (وأتمَّ عليه السلام بقوله :)

---

(١) الزخرف ـ ٦٥ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٣٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٩ وص ٢٣٤ وص ٢٨٥ وص ٣٠٤ والإمام المهدي ص ٤٥ وص ٢٢٠ ومنتخب الأثر ص ٢٢٠ رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام ، وينابيع المودة ج ٣ ص ١٠٩ بلفظٍ قريب ، وبشارة الإسلام ص ٤٠٩ القسمُ الأخير منه ، ومثلُه في ص ١٢٠ وص ١٦١ عن الإمام الرضا عليه السلام أيضاً ، والمهدي ص ٩ .

(٢) بشارة الإسلام ص ٢٩ .

(٣) إلزام الناصب ص ٢١٣ وبشارة الإسلام ص ٧٣ـ ٧٤ وص ٤٩ بلفظ مختلف .

ـ . . . فعندها تتواتر الهدَّات (أي الرعودُ القاصفةُ والأصواتُ السماويةُ المُخيفة) والزلازل ، وتُقبل الرايات من شاطىء جيحون إلى بلاد بابل (العراق) . . ألّا يا ويلَ مدائِنكم وأمصارِكم من طُغاةٍ يَظهرون فيعذِّبونكم إذا قضى من مضى من الجبابرة الذين لم يُحسِنوا سياسية المسلمين ا [1] (ورُوي عنه ﷺ في هوية الخراسانيِّ :)

ـ . . . وخروج رجلٍ من وُلْد الحسين بن عليّ . . (ووردَ بلفظ :)

ـ يَخرج رجلٌ من وُلْدِ الحسين من المشرق ، لَوِ استقبلَتْهُ الجبالُ لَهَدَمها واتَّخذ فيها طريقاً [2] . . (ثم تكرّر هذا المعنى في قوله ﷺ المفصَّل :)

ـ تُقبل راياتٌ من شرقيِّ الأرض غيرُ مُعْلَمة ـ أي غيرُ مميَّزةٍ برموزٍ وثنيَّة ـ ليس بقطنٍ ولا كتّانٍ ولا حريرٍ ، مُختَّمَةٌ في رؤوس القنا بخاتم السيد الأكبر ، يسوقها رجلٌ من آل محمدٍ ـ أي الحسينيّ ـ يوم تَطير بالمشرق يوجد ريحُها بالمغرب كالمسكِ الأذفر . [3] (أي تُعرف غايتها من الدعوة إلى إمام العدل المنتظَر. ومن أعجب العجيب أن أمير المؤمنين ﷺ استعمل لفظة : تَطير ، مشيراً إلى السرعة في الدعاية والإعلام في عصرنا . ووردت بلفظ : يوم تَظهر، أي تنتصر ، وهو يكنّى بالعبارة عن سرعة تنقّل شعاراتها في أنحاء المعمور. . ثم يُتِمُّ بقوله ﷺ :)

ـ يسير الرعبُ أمامها شهراً ـ أي يخاف سطوتها من يبعد عنها مسيرة شهر ـ حتى ينزلوا بالكوفة طالبين بدماء آبائهم . فبينا هم كذلك ـ يعني جماعةَ جيش السفيانيّ أثناء تقطيعه بأهل العراق ـ إذ أقبلت خيلُ اليمانيِّ والخراسانيِّ يَستبقانِ كأنهما فَرَسَا رِهان : شُعْثٌ غبرٌ جُردٌ ، أصلابُ نواصي وأقداح ـ أي صُلبة رؤوسُهم ورماحُهم ـ إذا نظرتَ أحدَهم بِرِجْلِهِ باطنُه ـ أي أنه ينطوي باطنُه على قتْل الأعداء ورَفْسهم ـ فيقولُ : لا خيرَ في مجلسِنا بعد يومنا هذا ، اللّهم إنّا التائبون . . وهمُ الأبدالُ الّذين وصفهم الله

---

(١) إلزام الناصب ص ٢١٣ وص ٢١٤ بعضُه .

(٢) إلزام الناصب ص ٦٤ وص ١٧٧ وبشارة الإسلام ص ٥ وص ١٠٣ والملاحم والفتن ص ٦٨ والإمام المهدي ص ٢١٧ .

(٣) إلزام الناصب ص ٢٥٨ نقلاً عن البيان .

تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِين ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْنَ ﴾ . ونُظراؤهم من آل محمدٍ ، فيسيرون إلى النُّخيلة - أي النجف الأشرف - بأعلامِ هدًى ، وينادي يومئذٍ منادي السماء في شهر رمضان . فيكون مجمعُ الناس كلهم بالفاروق ، فيُقتل يومئذٍ ما بين المشرق والمغرب ثلاثةُ آلافِ ألفٍ - أي ثلاثةُ ملايين - يَقتل بعضُهم بعضاً - في مأدُبة الله - فيومئذٍ تأويل هذه الآية : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيْداً خَامِدِيْنَ ﴾ [1] ، بالسيف ! ! ! (وقد رُوي تفصيلٌ لهذه المعركة بالذات عن الباقر عليه السلام هذا لفظه :)

- . . . فيخرج بالْمَوالي وضعفاء الناس (أي الشيعة الذين يُعتبرون مستضعَفين) فيسيرون إلى النُّخيلة بأعلامِ هدًى فيكون مجمع الناس كلها بالفاروق ، فيُقتل يومئذٍ . . إلى آخر الحديث السابق [1] . (والنُّخيلة والفاروق هما بضواحي النَّجَف الأشرف وسترى تحديدَهما في مكان آخر . ثم جاء عنه عليه السلام في وضعهم الذي يجعل الإنسان على بيِّنة من أمرهم حين خروجهم :)

- ويلٌ لشيعة وُلْد العباس من الحرب التي تَسنحُ بها نَهاوندُ والدِّينور ! . تلك حربُ صعاليكِ شيعة عليٍّ - يهزأ بذلك من أهل العصر الحاضر الذين ينظرون إلى شيعة عليٍّ كصعاليك مستضعَفين - يَقْدُمهم رجلٌ من همدان آسْمُه على آسْمِ النبيِّ صلى الله عليه وآله منعوتٌ موصوفٌ باعتدال الخَلق وحُسن الخُلق ونضارة اللَّون . وفي صوته ضحِكٌ ، وفي أشفاره وطَفٌ ، وفي عُنقه سَطَح . فَرِقُ الشَّعر ، مفلَّج الثنايا ، على فرَسه كبدر التَّمام تَجلَّى عنه الغمام . يسير بعصابةٍ خيرِ عصابةٍ دانت لله بدين الحقّ . تلك الأبطال من العرب يلحقون حرب الكريهة ، والدائرة يومئذٍ على الأعداء . وإن للأعداء يومئذٍ الصَّليم والاستئصال ! . [2] (ولا يمنع أن يكون الخراسانيُّ من همدان أصلاً أو إقامةً ، أو أنه على الأغلب يلتقي بالتميمي في همدان ويقود الثائرين من هناك . . فاسمُه - كما اتَّضح - محمدٌ ، وهو حُسَينيٌّ ، هاشميّ . .

---

(1) البقرة - ٢٢٢ ، والأنبياء - ١٥ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ٢٧٤ وص ٢٧٧ ، وج ٥٣ ص ٨٣ - ٨٤ وإلزام الناصب ص ١٧٧ وبشارة الإسلام ص ٥٩ وص ٧٠ .

(2) الغيبة للنعماني ص ٧٤ وص ٧٥ تجد الخبر بكامله ، والبحار ج ٥٢ ص ٣٧٧ ومثله في بشارة الإسلام ص ٣٨ وإلزام الناصب ص ١٧٩ .

وقد سُئل عن خير المواضعِ حين نزول الفتن وظهور البلاءِ ، فقال ﵇ مُدرِّباً شيعته ومُرشِداً لهم إلى ما يتَّقون به الشرورَ إبَّان اندلاعِ الثَّورات :)

ـ أسلمُ المواضع يومئذٍ أرض الجبل . فإذا اضطربت خراسان ، ووقع الحرب بين أهل جرجان وطبرستان ، وخرجت (أي ثارت) سجستان ، فأسلمُ المواضع يومئذٍ قَصَبَةُ قُمّ (مدينة العلم الدينيّ ومركز مراجع الشيعة في إيران ، وجامعة طلب العلم الديني التي تبعد مئة وأربعين كيلومتراً عن طهران لجهة الجنوب) تلك البلدة التي يَخرج منها أنصارُ خير الناس أباً وأمّاً ، وجَدّاً وجدَّةً ، وعمّاً وعمَّةً ـ أي المهديّ ﵇ ـ تلك التي تسمَّى الزهراء (يعني قُمّ) بها موضعُ قَدَم جبرائيل ، وهو الموضع الذي نبع منه الماء الذي مَن شرب منه أمِنَ من الداء . ومن ذلك الماء عُجِنَ الطِّينُ الذي جُعل منه كهيئة الطير (على يد النبيِّ إبراهيم ﵇) ومنه يغتسل الرضا ، ومن ذلك الماء يخرجُ كبشُ إبراهيم وعصا موسى وخاتم سليمان ! .(1)

(فمن أين اسْتاف يعسوبُ الدين أرْيَ هذا الخبر اليقين ، فَعلِمَ أنَّ آبنَ آبنِ آبنِ آبنِ آبنِ آبنِهِ : عليّاً الرضا ﵇ سيغتسل في قُمّ ، عند أخته المعصومة فاطمة بنت الكاظم ﵇ بعد قرنَين ونصف القرن من الزمن تقريباً ؟ ؟ ؟ وعَلِمَ الاسمَ ودلَّ على الفعل الذي يجري بعد فترةٍ تَفصِلُه عنها أجيالٌ وأجيال ؟ !

ثم لقَّبه بالرضا . . وكان الرِّضا فعلاً ، كما ذكرَ ! .

وكانت قُمّ ، وما يليها من أعمال فارس وثنيَّة يومَ قال ذلك . . ثم أسلم أهلُها . . ثم هامتْ بنتُ الكاظم ﵇ على وجهها بعد وفاة أبيها ونهب بيته ، وأمَّتْ بلاد فارس . . ثم مرضتْ في قُمّ ـ بطريقها إلى مَرْوٍ : مكان إقامة أخيها عليِّ بنِ موسى ، الرضا ﵇ فبقيتْ في قُمّ . .

ثم . . زارها أخوها الرضا ﵇ . . واغتسل عندها . بعد مئتين وأربعين سنة تقريباً من صدور الخبر عن أمير المؤمنين ﵇ ! ! !

---

(1) كتاب البلدان ص ٣٦٤ وبشارة الإسلام ص ٤٩ شيء بمعناه . وفي الملاحم والفتن ص ١١٢ : فعليكم بالشواهق وخَلْفَ الدُّروب .

فما هذا ؟ ! ! ! سحر ؟ ! ! شِعر ؟ ! ! تنبُؤ ؟ ! ! تنجيم وضَرْبٌ بالرَّمل ؟ ! .

لا ، فإن لِلّهِ تعالى يداً في الموضوع . . وهو : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ، فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ [١] . . يُظهِره عليه ، ليكون معجزته التي يبرهن بها على صدق رسالته من عند الله . . والرسولُ . . أستاذُ أوصيائِه دائماً ودليلُهم قبلَ أن يكون دَليلَ الأمَّة .

ثم أمَر ﷺ بالتريثِ والفرار من الفتَن حتى ينجليَ الموقف بقوله :)

ـ إذا رأيتم الراياتِ السودَ فالْزَموا الأرض ، ولا تحرّكُوا أيديَكم ولا أرجلَكم . . ثم يظهر قومٌ صغارٌ لا يؤبه لهم . . [٢] إلخ . . (بقية الحديث مذكورة في موضوع الفتن الأجنبية . . ثم وجّه المؤمنين بالحق نحو راية الحق بقوله ﷺ :)

ـ إنِ اتّبعتُم طالِعَ المشرق سلكَ بكم منهاجَ الرسول ﷺ وتداويتُم من العمى ، وكُفيتم مؤنةَ الطلب (أي اتّبعتم الفئة الموصِلة للإمام المنتظَر ﷺ الذي تطلبونه) ونبذتم الثّقل الفادح من الأعناق . [٣] (بسلوككم الطريق الواضح الذي يزيل العمى حين التفتيش عن المهدي ومكان ظهوره وكيفية الوصول إليه ، لأن طلائع ثورة المشرق تسلك أقصر الطُّرق إليه ، فهي من أنصاره بلا ريب . . ثم أعطى بعض صفات أفراد جيش الخراسانيِّ فقال ﷺ :)

ـ لا بدَّ من رحى تَطحن . فإذا قامتْ على قُطبها ، وثَبتتْ على ساقها (أي اشتعلت الثورات وحميَ وطيسُ الحرب) بعثَ الله عبداً عسفاً (أي عبداً لِلّه شديدَ البأس) خاملاً أصلُه (هو شعيب غير المشهور : يكون النّصرُ معه . أصحابُه الطويلةُ شعورهم ، أصحاب السِّبال (أي أن شعر لِحَاهم وشواربهم طويلٌ لانشغالهم بالحرب) أصحابُ راياتٍ سود ، ويلٌ لمن ناواهم ! ! ! يسلّطهم الله على الأعراب (أي جيش السفيانيِّ ومن تابعه) فيقتلونهم هرجاً هرجاً ! . [٤] (ثم قال ﷺ عنهم

---

(١) الجن ـ ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) الملاحم والفتن ص ٢٨ .

(٣) بشارة الإسلام ص ٦٤ .

(٤) الغيبة للنعماني ص ١٣٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٢ وبشارة الإسلام ص ٩٣ وإلزام الناصب ص ١٨٨ .

في معرض حديثه عن السفيانيّ وفتك جيشه بأهل بغداد :)

ـ يَدخلُ مدينةَ الزُّوراء ، فكم من قتيلٍ وقتيلةٍ ، ومالٍ مُنتَهَبٍ ، وفَرْجٍ مُستَحَلّ ! . رحمَ اللَّهُ من آوى نساءَ بَني هاشم يومئذٍ وهُنَّ حُرمتي . فيَخرج إليهم فتيانٌ من مجالهم ، عليهم رجلٌ يقال له صالح ، فتكون الدائرةُ على أهل الكوفة [1] .
(أي على الجيش الموجود في الكوفة لأن الفتيان وقائدَهم يدخلون الأرضَ عُنوة . . ثم أقسم على ذلك مرّتين قائلاً :)

ـ فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لَيكونَنَّ ذلك . وكأنّي أسمع صهيل خيلهم وطمطمة رجالهم ! . وأيم الله لَيَذوبنَّ ما في أيديهم (يعني السفيانيِّين) بعد العلَق (أي الدم) والتمكُّن في البلاد كما تذوب الألية على النار ! [2] (فليس كثقة إمام المتقين بربِّه ، إذ يحلف : بكأنَّه يسمع هدير سيّاراتهم ووسائل ركوبهم ، ثم يحلف على طمطمة رجالهم : أي نُطْقِهم وحديثِهم يومَها بغير العربية . . ومثلُ إيمانِ أبي ترابٍ ينبغي أن يكون الإيمان ! . ثم قال ﷺ :)

ـ إذا خرجت خيل السفيانيّ إلى الكوفة ، بعث في طلب أهل خراسان (أي حاول أن يراوِد الخراسانيَّ عن ثورته) ويَخرج أهل خراسان في طلب المهديّ . فيلتقي (أي السفيانيُّ) هو والهاشميّ (أي الخراسانيّ) براياتٍ سود ، على مقدمته شعيبُ بنُ صالح ، فيلتقي هو والسفيانيُّ بباب إصطخر ، فيكون بينهم ملحمةٌ عظيمةٌ ، فتظهر (أي تنتصر) الراياتُ السودُ وتهرب خيلِ السفيانيّ . فعند ذلك يتمنّى الناسُ المهديَّ ويطلبونه ، فيخرج من مكة ومعه رايةُ رسول الله بعد أن ييأس الناس من خروجه لِمَا طال عليهم من البلاء . ويقول بعد أن يصلّيَ ركعَتين ويظهر للناس :

أيها الناس : ألحَّ البلاءُ بأمة محمدٍ ﷺ وبأهل بيته خاصةً ، وقد قُهِرنا وبُغِي علينا . . إلخ . . [3] (ممّا رأيته في موضوع : يوم الخلاص . وقد رُوي هذا عن

---

(١) الملاحم والفتن ص ١١٢ وغيره من المصادر .
(٢) بشارة الإسلام ص ٦٣ .
(٣) الملاحم والفتن ص ٥١ وبشارة الإسلام ص ١٨٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤١ ما عدا آخره ، وص ١٤٢ بتفصيل وزيادات وص ١٥٢ .

الباقر عليه السلام بلفظه . . وهو يعني أن جيش الخراسانيّ يدخل الكوفة بعد هذه المعركة في إصطخر : المدينة الإيرانية القريبة من شيراز ، التي كانت المركزَ الدينيَّ في أيام الدّولة الساسانيّة : ثم وصف متابعة الخراسانيين طريقهم ـ وهو يذكر السفيانيّين ـ فقال عليه السلام :)

ـ . . فإذا كثروا فتنافسوا فقَتلوا قتيلَهم ، بعث الله عليهم أقواماً من المشرق ، فقتلَهم بَدداً وأحصاهم عَدداً ! .[1] (وقتيلَهم : لفظة تَعني مَقْتَلتَهم في بغداد والكوفة ، أو أنها تعني ذبح الحسنيِّ الجليل مع أصحابه في خانِقين كما مرَّ في غير هذا المكان . . أما الضمير في : قتلَهم بَدداً وأحصاهم عَدداً ، فهو عائدٌ لِلَفظة الجلالة ، أي : أن الله بعث الخراسانيين وقتلَ . . ثم أكمل وصف مراحل زحفهم فقال عليه السلام :)

ـ يَربط أصحابُ الرايات السود خيلَهم بزيتون الشام ! .[2] (فسيمرُّون بالشام ، ويوقفون وسائلَ نَقْلِهم تحت شجرِها لتأخذ قسطَها من الراحة بعد المعارك العنيفة التي خاضتها ، ولتعبِّىء قوَّتها من جديد لخوض المعارك المستقبَلة مع جاحدي الحق . . وقد رُوي هذا الحديث بلفظه عن الباقرَين الصادقَين عليهما السلام . . ثم رُوي عنه في تفصيل مبايعة الخراسانيين للحُجة المنتظَر عليه السلام قولُه :)

ـ ثم يخرجُ الفتى الصَّبيحُ من نحو الدَّيلم وقزوين ، ينادي بنُصرَة آل محمد ، ويَصيح بصوتٍ فصيح : يا آل محمدٍ أجيبوا الملهوف ! . فتُجيبه كنوزُ الطالقان ، كنوزٌ أيُّ كنوز ! . . ليست من فضّةٍ ولا ذهبٍ ، بل هي رجالٌ كزُبَر الحديد ! . لَكأنّي أنظر إليهم على البراذين الشُّهب بأيديهم الْحِرابُ ، يتعادَون (أي يتراكضون) شوقاً إلى الحرب كما تتعادَى الذئاب ويُقاتِلُون فينتصرون ، أميرُهم رجلٌ من بني تميم يقال له : شعيبُ بن صالح ، يأخذ بسيفه الكبير والصغير ، فيُقتل الحسنيُّ فيهم ، ووجهُه كدائرة القمر ، ولا يزال يقاتل الظَّلَمَة حتى يَرِدَ الكوفةَ فيجعلُها مَعقِلاً له ! . فيتصل بأصحابه خبرُ المهديِّ فيسألونه عنه ويقولون: يا ابنَ رسول الله ، من هو هذا الذي يَنزل بساحتِنا

(١) الملاحم والفتن ص ٢٥ وص ١٤٥ .
(٢) بشارة الإسلام ص ١٨٦ والملاحم والفتن ص ٤٤ بلفظ آخر وتفصيل ، ومثلُه في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤١ .

أصحابُهُ ؟ . فيقول الحسينيُّ الذي وجهه كدائرة القمر : أُخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو ، وماذا يريد ، وهو يعلم أنه المهديّ . . فيخرج وبين يديه أربعةُ آلاف رجل في أعناقهم المصاحف ، وعليهم الْمُسوح (أي أكْسِيَةُ الشَّعر كثياب الرُّهبان) مقلَّدين بسيوفهم ، حتى ينزلَ قُربَ المهديّ فيقول : سائِلوا عن هذا الرجل ، من هو ، وماذا يريد ؟ . فيخرج بعضُ أصحابه إلى عسكر المهديّ فيقولون : من أنتم حيَّاكم الله ، ومن صاحبكم ، وماذا يريد ؟ . فيقولون : هذا المهديُّ ، ونحن أنصاره ، فيقول الحسينيُّ : خَلُّوا بيني وبينه . .

ويخرج إليه المهديُّ ، فَيَقِفان بين العسكرين ، فيقول الحسينيُّ : إن كنت المهديَّ فأين هَراوة رسولِ الله ﷺ وخاتَمُه ، وبُرْدتُه ، ودِرعُه الفاضِلُ ، وعمامتُه السحاب ؟ . فَيُريه إياها . فيقول الحسينيُّ : أسألك أن تَغرسَ هراوة رسول الله في هذا الحجَر الصَّلْد ، وتسألَ اللّهَ أن يُنْبِتَها فيه . (وهو لا يريد إلاّ أن يُرِيَ أصحابه فَضْلَ المهديّ عليه السلام فيُذعنون للمعجزة ويبايعون) فيغرسها فَتَخْضَرُّ وتورِق ، فيقول الحسينيُّ : اَللّهُ أكْبرُ يا ابنَ رسول الله مُدَّ يدَك أُبايعْكَ ، فيبايعه ويبايعه سائرُ العسكر الذي معه (١) .

(وقد سبق النبيُّ ﷺ إلى وصفهم بالكنوز . . ومرحًى لهذه الكنوز المذخورة لإجابةِ دعوة الحق ، وَلِكَشْفِ هذه الغُمَّة عن وجه الأرض بعد أن رزحتْ تحت نير الظُّلم أحقاباً وذاقت من العذاب ألواناً ! . بل عبَّر الأئمةُ عليهم السلام كلُّهم عن أبناء الطالقان بالكنوز ، لأنهم مُدَّخَرون لِنُصرة القائم كما تُدَّخر الكنوز ، منذ برأ اللّهُ تعالى نسماتهم في سابق عِلْمه بهم .

أما هراوة رسول الله فهي عصاه . ودرعه الفاضل هي الدرع التي كانت لا تستوي إلاّ عليه أو على الإمام من أوصيائه بالخصوص . . وقد قيل : إنه يسأله عن فَرس رسول الله اليربوع ، وناقته الْعَضباء ، وبغلته الدلدل ، وحماره الْيَعْفُور ، ونَجيبه

---

(١) انظر البحار ج ٥٣ ص ١٥ ـ ١٦ باختلاف يسير ، وتجده في ص ٣٥ وبشارة الإسلام ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ثُلُثه الأول ، وص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ وإلزام الناصب ص ٢٠١ وص ٢١٨ والملاحم والفتن ص ٤٢ بعضه ، وص ١٢٢ ـ ١٢٣ شيءٌ من آخره .

البُراق . . وهذا بنظرنا من الزيادات ، لأنه إنما يسأله عن الهراوة لإظهار المعجزة التي يقتنع بها أصحابه . . أمَّا البراذينُ فقد أشبعناها شرحاً في ما سبق ، ولا يُمكن أن تكون من حيوانات المنطقة المعدَّة للركوب . .)

* * *

قالَ الإمام الحَسَن ﷺ :)

ـ يَخرجُ بالريِّ رجلٌ رَبعةٌ أسمر ، مولى لبني تميم ، كَوسج ـ خفيف اللِّحية ـ يقال له : شُعيب بن صالح ، في أربعة آلافٍ ، يكون مقدِّمةً للمهديِّ ، لا يَلقاهُ أحدٌ إلاَّ قَتلَه (١) ! .

قالَ الإمَام البَاقِر ﷺ :)

ـ إذا اختلف بنو فلانٍ (أي : بنو العباس) فيما بينهم ، فعند ذلك الفرَج . وليس فرَجكم إلاَّ في اختلافهم . فإذا كان فتوقَّعوا الصيحة في شهر رمضان . وإذا كان ذلك طمع الناس فيهم ، واختلفت الكلمة وكان خروج السفيانيّ ، ويتشتَّت أمرهم ، ويخرج عليهم الخراسانيّ ، هذا من المشرق وهذا من المغرب ، يستبِقان إلى الكوفة كفرَسَي رِهان ، هذا من هنا ، وهذا من هنا ، حتى يكون هلاكُ بني فلان على أيديهما . أمَا إنَّهما لا يُبقيان أحداً ! (٢) . (ثم جاء عنه ﷺ أيضاً في كيفية زوال مُلكهم ما يلي :)

ـ إن ذهاب بَني فلانٍ كقَصْع الفخّار (أي تكسيره) وكرجُل كانت في يده فَخّارةٌ وهو يمشي إذ سقطتْ من يده وهو ساهٍ عنها فانكسرتْ ، فقال حين سقطتْ : هاه ! . شِبْهَ الفزع . فذهابُ مُلكهم هذا أغفل ما كانوا عن ذهابه ! . أَخْذُهم بَغتة ! (٣) . (وقال ﷺ بعد هذا التصوير البديع الفريد في بابه لذهاب المُلك فجأةً :)

---

(١) الملاحم والفتن ص ٤٢ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٩ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٣٥ وص ١٣٧ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ وص ٢٣٤ والإمام المهدي ص ٢٢٣ أوله ، وكذلك في المهدي ص ١٩٦ وبشارة الإسلام ص ٩٢ وص ٩٣ وص ٩٥ .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٣٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٢ وبشارة الإسلام ص ٩٣ وبعضه مكرَّر عن أمير المؤمنين ﷺ في نفس الصفحة .

ـ تخرج راياتٌ سودٌ يقاتل السفيانيَّ فيهم شابٌ من بني هاشم ، وجهُه كدائرة القمر ، في كفه اليُسرى خالٌ ، على مقدمته شعيبُ بنُ صالحٍ التميميُّ الذي قلانسُ جيشِه سودٌ وثيابُهم بِيض . يهزمون السفيانيَّ ويتقدمون إلى الغرب حتى ينزلوا بيت المقدس ، ويهيِّئون للمهديِّ سلطانَه . . ويكون بين خروجه وبين أن يسلِّم الأمر للمهديِّ اثنانِ وسبعون شهراً ! ! ! (1) (أي بين انطلاق الشرارة الأولى لثورته داخل إيران ، وبين بَيعته للمهديِّ ﷺ . . وفي هذا الخبر دلالةٌ على أنه يطرح مبدأ دعوته الثوريَّة قبل بروز اسْمِ السفيانيِّ إلى الوجود بخمس سنواتٍ تقريباً ، لأن السفيانيَّ يخرج قبل المهدي ﷺ بأكثر من سنة ، ثم تبقى الثورةُ تعتمل وتختمر وتكُرُّ وتَفِرُّ داخل حدود البلاد الإيرانيَّة حتى تُطْبِقَ أجواءُ مِحور البلاد الإسلامية بغيوم الفتن الدُّكناء . . ثم قال ﷺ أيضاً :)

ـ كأني بقومٍ قد خَرجوا بالمشرق ، يطلبون الحقَّ فلا يُعْطَوْنَه . فإذا رأوا ذلك وَضعوا سيوفَهم على عواتقهم ، فيُعطَون ما سألوا فلا يَقبلونه حتى يقوموا ـ أي ينهضوا للحرب ـ ولا يدفعونها ـ يعني رايَتهم ـ إلاَّ إلى صاحِبِكم ـ يقصد المهديَّ ﷺ ـ قتلاهم شهداء (2) ! . (ثم رُوي عنه قولُه الذي ما عدا فيه أقوال غير المسلمين ممَّن تحدَّثوا عن بَعْثِ بعض الموتى من القبور في آخر الزمان ، إذ قال ﷺ :)

ـ كأنّي بعبد الله بن شريكٍ العامريِّ ، عليه عمامةٌ سوداءُ ، ذُؤابتاها بين كتفيه ، مُصَعِّداً في لِحْفِ الجبَل بين يدَي قائمنا أهل البيت ، في أربعة آلاف يُكَبِّرون ويكُرُّون (3) ! . (وقد نصَّت الأناجيل على بعثِ الموتى في آخر الزمان لنصر المسيح ﷺ في حروبه . ونحن ندع الحديث بلا تعليق لتفسِّره الأيام . . وقولُ أئمَّتنا من قولِ رسول الله . . من قولِ الله سبحانه وتعالى . . وقد ورد عنهم ﷺ بهذا المعنى :)

---

(1) بشارة الإسلام ص ١٨٥ وص ١٨٤ نصفُه الأول ، والملاحم والفتن ص ٤١ رُوي عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه وص ٤٢ بعضه .
(2) إلزام الناصب ص ١٨٨ .
(3) البحار ج ٥٣ ص ٧٦ .

ـ وأمواتٌ يُنشَرون من القبور حتى يَرجِعوا إلى الدُّنيا فيتعارفون فيها [١] .

قالَ الإمَام الصَّادق عليه السلام :

(في حديث له عن آخر الثورات السابقة للظهور ، قال عليه السلام :)

ـ . . وبيْنا هم كذلك ، إذ تُقبل رايـاتٌ هدًى من خـراسان تـطوي المنازل طيّـاً حثيثاً ، ومعهم نفرٌ من أصحاب القائم عليه السلام . . ثم يخرج رجلٌ من مَـوالي الكوفـة في ضُعفـاء ، فيقتُلُه جيش السفيـانيِّ بين الحيـرة والكـوفـة [٢] . (ثم وصف شُعيبـاً بقوله عليه السلام :)

ـ غلامٌ حدَث السنّ ، أسمرُ أصفر ، خفيفُ اللِّحية كَوْسج (خفيف العارضَين) لا يَلقى أحداً إلاَّ قتله ! . ولو قاتل الجِبال لَهَدَّهَا حتى ينزلَ إيلياء ! . ويكون على لواء المهديّ [٣] . (وبناءً على ذلـك سيحتلُّ هـذا الثائـر العظيم فلسـطين ويدخـل مدينة القدس التي هي إيلياء ، ثم يدخل ميناء إيلات كما ذكرنا في قول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم السـابق بعد أن يكون قد حارب بين يـدَي القائم عليه السلام أشهـراً . . ثم رُوي عنه بـالنسبة لنقـطة انطلاقه قولُه عليه السلام :)

ـ يكون خروج شعيبِ بن صالحٍ من سمرقند [٤] . (فلفظتا : الريّ وسمرقنـد ، لا يمكن الجمع بينهما إلاَّ بمعنى أنه يخرج قرب ضفة نهر أو شاطىء بحرٍ كبحر قزوين مثلاً ، أو أنه يخرج من هنا ، وتطير شهرتُه هناك والله أعلم . . ثم قال عليه السلام :)

ـ فإذا انقضى مُلك بني فلان (أي بني العباس) أتاح الله لآل محمدٍ برجُلٍ منّا أهلَ البيت ، يسير بالتُّقى ، ويعمل بالهُدى ، ولا يـأخذ في حُكمـه الرُّشى . وَاللَّهِ إني

---

(١) الإمام المهدي ص ٢٣٤ ومصادر أخرى كثيرة ، إسلامية وغير إسلامية ذكرتْ أخباراً بهذا المعنى أوردنا بعضها .

(٢) المهدي ص ١٩٤ وبشارة الإسلام ص ٥٥ وص ١٠٢ رُويَ عن الإمام البـاقر عليه السلام ، وص ١٩٢ شيءٌ منه ، والغيبة للنعماني ص ١٤٩ ـ ١٥٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٣) المـلاحم والفتن ص ٤٣ وص ٤٢ أولـه ، وص ٥٨ وص ٦٨ الحـاوي للفتـاوي ج ٢ ص ١٤٢ بلفظ آخر ، والمهدي ص ١٩٠ بعضه .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ٢١٣ وبشارة الإسـلام ص ٨٦ رُويَ عن الإمام زين العـابدين عليه السلام ، وكـذلك في الإمام المهدي ص ٢٢٢ .

لأعرفه باسْمِه واسْم أبيه . . ثم يأتينا ذو الْخِلَلِ والشامتَين العادلُ الحافظ لِمَا استودِع ، يملأها قسطاً وعدلاً [١] . (أي المهديّ عليه السلام صاحبُ الخال على خدِّه . . ثم تحدَّث عن كوارث بغداد في تلك الأيام القاسية فقال عليه السلام :)

ـ يُقتل في الزوراء ثمانون ألفاً ، منهم ثمانون رجلاً من وُلْد فلان ، كلُّهم يصلح للخلافة . يقتلهم أبناء العجم [٢] . (وقال عليه السلام عنها أيضاً :)

ـ يكون إغراق رجلٍ عظيم القَدر من شيعة بني العباس ، عند الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد [٣] . (ثم تمثّل في حديثٍ عنها أثبتناه في غير هذا الموضوع ، بقوله عليه السلام :)

﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ : أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهاراً ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ [٤] ! ! ! (ثم روَى مثل حديث جدِّه صلى الله عليه وسلم وزاد إيضاحاً فقال :)

ـ إذا رأيتم الرايات السودَ تخرج من خراسان فَأْتوها ولو حَبْواً على الثلج . فإن حَمَلَتَها يطلبون الحقَّ فلا يُعطَونه ، فيقاتِلون ويَنْتَصرون فيُعطَون ما سألوا فلا يَقبلون . كأنّي بهم وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم حتى يدفعوا راياتِهم إلى القائم المهديّ . ألاَ إنهم أنصار المهديّ يوطِّئون له سلطانه ! . قلوبهم كزُبر الحديد ! . فإذا رأيتم الرايات السود تجيءُ من قِبَلِ المشرق فأكرِموا الْفُرس فإن دولتنا فيهم ! [٥] . (فأيّ مَبْلَغٍ بلغَ إيمانُ أبي عبد الله عليه السلام بما جاء عن جدِّه صلى الله عليه وسلم حتى اعتقد وجودَ دعوة الحق لدولتهم العادلة في الْفُرس ، بلادِ المجوسية في أيام جدِّه صلى الله عليه وسلم والبلادِ نصفِ الْمُسْلِمةِ في أيامه ؟ ؟ ! وقد رُوي هذا الحديث بلفظه عن الباقر عليه السلام وزاد :)

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٤١ .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٥٣ وإلزام الناصب ص ١٨٨ .

(٣) المهدي ص ١٩٥ نقلاً عن الفصول المهمة .

(٤) يونس ـ ٢٤ ، والخبر في الغيبة للطوسي ص ٢٦٢ والغيبة للنعماني ص ١٥٦ بتفصيل ، وبشارة الإسلام ص ١٠٧ . وذكر في مصادر كثيرة ، وفي الملاحم والفتن ص ٢٧ روي عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٥) يونس ـ ٢٤ ، واالخبر في الغيبة للطوسي ص ٢٦٢ والغيبة للنعماني ص ١٥٦ بتفصيل ، وبشارة الإسلام ص ١٠٧ . وذكر في مصادر كثيرة ، وفي الملاحم والفتن ص ٢٧ روي عن ابن عباس رضي الله عنه .

ـ ولا يـدفعونهـا إلاّ إلى صاحبكم . قتـلاهم شهداءُ ، أمَـا إني لـو أدركتُ ذلـكَ لأبقيتُ نفسي لصاحب الأمر ! .

(فهكذا يكون التصديق . . وهكذا يكون صدقُ القول . .)

قالَ الحجّةُ المنتظَر ﷺ :

(أثبت الرواةُ ـ في حديثٍ له ﷺ مع ابن مهزيار ـ ما يلي :)

ـ . . . ويخرج الشروسيُّ من أرمينيـة وآذربيجان فتبـريز ، يـريد الـريَّ والجبلَ الأسودَ المتلاحمَ بالجبلِ الأحمـر ، لَزِيقِ جبـال الطالقـان . فتكون بينـه وبين الْمَرْوَزيِّ (أي : واحدٍ من سكان مَـرْو : والظاهـر أنه الخـراسانيّ) وقعـة صَيْلَمانيَّـة يشيب فيها الصغير ، ويَهرم فيها الكبير ! . ويظهر القتيـل بينهما (أي القتلى) . فعنـدها فتـوقعوا خروجَه (يعني السفيـانيّ) بالـزوراء بعد أن يبعث إليهـا بجيش مؤلّف من مئة وثـلاثين ألفَ مُقاتِل . فَيقتل على جسرهـا سبعين ألفاً في ثـلاثة أيـام ، فيجري دجلةُ مـاءً أحمرَ بـالدمِ ومن نَتَنِ الأجسـاد ، ويُفتضُّ آثنا عشـر ألفـاً من الأبكـار . ثم يـدخـل الكـوفـة والنجف في وقعةٍ تَذهلُ فيها العقول ! . ويأتي بعـدها الفـرَجُ ويكون بـوارُ الفتن . فلا يلبث بهـا (أي في بغداد) حتى يـوافيَ ماهـان ، ثم يوافي واسط العـراق ، فيُقيم فيها سنـةً أو دونها . ثم يخـرج إلى كوفـان فتكـون بينهم وقعـةٌ في النجف إلى الحيـرة إلى الغريّ . فعندها يكون بـوارُ الفتَنين (أي بظهـور المهدي عجّـل الله فَرَجـه) وعلى الله حَصادُ الباقين [1] . . (والشروسي يخرج من أشروسنه في آذربيجـان ، وهي بلدة تقع بين سيحـون وسمـرقنـد . ويـوضـح بعضَ مبهمـات هـذا الحـديث مـا جـاء عن الصـادقَين ﷺ في قـولهمـا عمَّـا يقـع بعـد حـرب وُلْدِ العبـاس وفتيـان أرمينيـة وآذربيجان :)

ـ وتكون حربُ وُلْدِ العباس مع فتيان أرمينية وآذربيجان ، حيث يخرج الشروسيُّ من أرمينية يريد العراق وإيران ، فتكون بينـه وبين الْمَرْوَزيِّ وقعـةٌ صَيلمانيَّةٌ يُقتل فيهـا

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٤٥ـ ٤٦ وبشارة الإسلام ص ١٧٢ باختـلاف يسير جداً ، وص ٨٥ رُوِيَ عن الحسين ﷺ ما عدا آخره ، ومثله في إلزام الناصب ص ٢٢ .

ألوفٌ وألوف ، كلٌ يقبض على سيفٍ محليٌ ، تخفق عليه راياتٌ سود . تلك هي حربٌ ينتشر فيها الموتُ الأحمرُ والطاعونُ الأكبر[1] !.

وفيما أوردنا بشأن هؤلاء الثلاثة الثائرين من إيران ، كفايةٌ ألقتْ ضوءاً على هويّاتهم وتحركاتهم ، وصار أكثرُ أمرهم واضحاً كالشمس في رابعة النهار . . والحمد لله وحده . .

---

(١) كتاب البلدان ص ٣٢٢ وإلزام الناصب ص ١٨٨ وبشارة الإسلام ص ١٨٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٦ .

و ـ ذبح النّفس الزكيّة . .
. . وَصَلب ابني عمّه .

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ إن المهديَّ لا يخرج حتى تُقتل النفس الزكية . فإذا قُتلت النفس الزكية غضبَ عليهم من في السماء ومن في الأرض ، فأتى الناسُ المهديَّ فزفّوه كما تُزَفُّ العروسُ إلى زوجها ليلة عُرسها ! [1] . (والنفسُ الزكية لقبُ غلامٍ هاشميٍّ من آل محمد ﷺ تكون له زعامة الدعوة إلى الحق في قومه . يأوي إلى المدينة المنوّرة هرباً من طلائع جيش السفيانيِّ في العراق ـ كما ترى قريباً ـ فتطارده الشِرْذمة الثانية التي تكون قد وصلت إلى الحجاز لتقضيَ على دعوة المهديِّ عليه السلام ، وتؤدِّبَ أهل الحجاز بحدِّ السيف فتقتل أهلها ، وتهدم بيوتها ، وتهتك حَرَمَيْها وحُرَمها . .

وإذ يقترب جيش السفياني من المدينة ، يهرب النفسُ الزكيّةُ إلى مكة ، ويرفع صوته فيها بالدعوة لآل محمد . فيثِبُ عليه من يذبحه في الخامس والعشرين من ذي الحِجّة ، الذي يتلوه شهر المحرَّم الذي يظهر فيه القائم عليه السلام يذبحُه ظُلماً وعُدواناً ، بلا جُرمٍ ، بين الرُّكن والمقام ـ أي بين ركن الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام ، وعلى بُعد أمتار من الكعبة أعزَّها الله ! ـ بعد انتهاء موسم الحج بأيام معدودة . . فلا يُمهل اللّهُ

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٥ وبشارة الإسلام ص ١٨٣ والملاحم والفتن ص ١١٣ وص ١٤٨ .

الظالمين بعد قتل النفس الحرام ، في البيت الحرام ، في البلد الحرام ، في الشهر الحرام ، فيظهر القائم عليه السلام بعد هذه الفَعلة الشّنعاء ، التي لم يسبق لها مثيلٌ في تاريخِ بيتٍ جعله الله مَثابةً للناس وأمْناً ، ويكون ظهوره بعدها بخمس عشرة ليلةً لا تزيد دقيقة بإذن الله .

وسببُ قتله على هذا الشكل ـ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ أنه داعيةُ حقٍّ توارَى من وجه الظُّلم ، فأمَّ يثربَ ، ثم هرب منها إلى مكة لِيُلقيَ أولَ كلمةٍ صريحةٍ تستصرخ ضمائر المؤمنين ، ذلك أنَّ :)

ـ القائم عليه السلام يقول لأصحابه : يا قومُ ، إنَّ أهل مكة لا يُريدونني ، ولكنني مُرسِلٌ إليهم لأحتجَّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجَّ عليهم . فيدعو رجلاً فيقول له : امْضِ إلى أهل مكةَ فقلْ : يا أهلَ مكة ، إني رسولُ فلان إليكم ، وهو يقول لكم :

ـ إنَّا أهلُ بيت النبوَّة ، ومعدِن الرسالة والخلافة . ونحن ذُرّيةُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسلالةُ النبيِّين . وإنَّا قد ظُلِمنا واضطُهدنا ، وقُهِرنا وَابْتُزَّ حقُّنا مذ قُبِضَ نبيُّنا إلى وقتنا هذا . . ونحن نستنصركم فانصرونا . . فإذا تكلم بهذا الكلام أَتَوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام ، وهو النفس الزكيَّة [1] .

(وبعد هذا الجُرم التاريخي المَشين ، يُفيق الضميرُ لفادحةٍ لم تكن منذ دَحا اللّهُ الأرض وأوجد الكعبة ، فيطلب الناسُ المهديَّ ليبايعوه تكفيراً للجُرم وتخلُّصاً من الظُّلم . . ولا يكون بين ذبحه وبين ظهور القائم عليه السلام محلُّ ذبحه بالذات ، سوى الفترة الواقعة بين ٢٥ ذي الحجة و١٠ المحرَّم ، أي ١٥ يوماً كما قُلنا . . وتبدأ ـ بإذن الله ـ نهاية مُلْك الظالمين في الأرض ! .

ثم . . يرتفع صوتُ جبرائيل عليه السلام ثانيةً ليهزَّ قلوب سكّان المعمورة من جديد ، وليدعوَ إلى البيعة لِلّه ، بعد ندائه السابق في رمضان الفائت ، حيث هلَعت القلوب وانخلعت الأفئدة . . ويجيء الحق . . وتنتهي مسرحيات التمثيل ـ في عصرنا ـ

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٧ وإلزام الناصب ص ٢٢٦ وبشارة الإسلام ص ٢٢٤ وص ٥٨ آخرُه ، والمهدي ص ١٩٩ بلفظ قريب .

لأبشع صوَر ظلم الإنسان للإنسان . .)

قالَ أمير المؤمنين ﷺ :)

- (من علاماته أنه) المذبوحُ بين الرُّكن والمقام [1] . .

(وقـال ﷺ :) - لا يُـطهِّـر الله الأرضَ من الـظالمين حتى يُسفَـكَ الـدمُ الحرام ! [2] .

(ثم قال ﷺ ثانيةً :) - ألاَ أُخبركم بـآخر مُلك بني فـلان ؟ . (أي بني أُمية) قيل : بَلى . قال : قتلُ نفسٍ حرامٍ ، في يومٍ حرامٍ ، في بلدٍ حرامٍ ، عن قومٍ من قريش . (أي عن زعامة ورئاسة الهاشميين) . والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ، ما لَهم من مُلكٍ بعده غير خمس عشـرة ليلة ! [3] . (ثم قال ﷺ في حـديثٍ طويـلٍ ذكرنـاه في موضوع الخراساني ، وتمامُه في موضوع : يوم الخلاص :)

- حتّى إذا جُهّزت الألوف ، وصُفّت الصفوف ، وقتلَ الكَبْشُ الخروفَ . . هناك يقوم الآخِرُ . ويَثور الثائر ، ويَهلك الكافر ، وينهض اليمانيُّ لمحـاربة السفيـانيّ . ثم يقوم القائمُ المـأمول ، والإمـام المجهولُ لـه الشرفُ والفضـل . يَظهـر بين الرُّكنَين في دريسَين بـاليَين ، يَظهـر على الثقلَين ، ولا يتـركُ في الأرض دَمين [4] . (رُوي القسم الأخير منه عن الصادق ﷺ . وقتلُ الكَبش للخروف : هو قتلُ السفيانيّ للهاشميّ كما مرَّ سابقاً ، وقيامُ الآخِر : يعني هبوبَ النـاس عن بُكْرة أبيهم لـرفض الظلم . وثَـوَران الثائر : اختباطُ الأمة بعضها ببعض . وظهورُه على الثقَلَين : يعني انتصاره على الإنس والجنّ . والـدَّمانِ اللذان لا يتـركهما في الأرض دون اقتصـاصٍ ، هُما : دَمُ الحسين المظلوم ﷺ يثأر له ، ودَمُ النفس الزكية مظلوم آخِر الزمـان . والدّريسـان البـاليـان : هما ثَوبا التقشُّف والزهد اللذان لبسهما استعداداً لمعركة السماء مع الأرض . . معركة النور مع الغرور . . معركة الحق مع الباطل ! .)

---

(١) إلزام الناصب ص ١٧٦ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٤٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٦ وبشارة الإسلام ص ٤٩ .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٤٦ - ١٤٧ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٤ وبشارة الإسلام ص ٤٨ وص ١٠٤ وإلزام الناصب ص ١٧٧ وص ١٧٩ .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ٢٣٦ وبشارة الإسلام ص ٤٩ وإلزام الناصب ص ١٨٨ .

قالَ الإمَام البَاقِر ﷺ :

ـ وقتـلُ غلامٍ من آل محمـدٍ بين الـرُّكن والمقـام ، اسمُـه محمـد بن الحسن ، النفس الزكيّة [1] . (وقال ﷺ :)

ـ لا يزال القوم في فسحةٍ من مُلكهم ، ما لم يُصيبـوا منّا دمـاً حرامـاً (وأوما إلى صدره مشيراً أن الدم هاشميٌ حسينيّ) فإذا أصابوا ذلك الدم ، فبطنُ الأرض خيـرٌ لهم من ظهـرها . فيـومئذٍ لا يكـون لهم في الأرض ناصـرٌ ، ولا في السماء عـاذر ! . وإذا أصابوا منّا الدمَ الحـرام ، سلّط الله عليهم عبداً من عبيـده أعورَ وليس بـأعور ، يكـون استئصالُهم على يده ويد أصحابه [2] . (وكلمةُ : القـوم ، تَعني : الأمويين . والـدم الذي يُصيبونه : هو دم النفس الزكية . والعبدُ الأعور وليس بأعورٍ لا تحدِّد هذه الصفـةُ هويته ولا تـدل عليه بـذاته من بين الثـائرين آنـذاك ، وإن كنّا نميـل إلى أنه شعيبُ بن صالح الكَوسج اللّحية النَّحيل الوجه الأصفر اللون في سُمرةٍ كما وصفوه فإنه ـ ذاك ـ لا تأخذه في الله لَومةُ لائم . . ثم جاء عن الباقر ﷺ ما يـوضح الأمـر ويحفظ الناس في خِضَمِّ أحداث تلك العواصف القواصف ، إذ قال :)

ـ مـا أشكلَ عليكم ، فلم يُشكـل عليكم عهدُ نبيِّ الله ﷺ ورايتُـه وسلاحُـه ، والنفس الزكية من وُلْـدِ الحسينِ [3] . (هذا ، والنفس الـزكية مميَّـز عن غيره من سـائر القتلى في الأرض منذ خلق الله الناس إلى أن يفنى آخرُ الناس ، لأنه يُذبح ذبحاً بـإزاء بيت الله جهرةً ، ولم يُقتل ، ولا يُقتل في الحرَمِ ذبحاً سواه ! . ـ ثم وردَ عنه تحديدٌ لموعد قتل النفس الزكية وأخيه أثناء حديثٍ له عن فتكِ السفيانيِّ بأعـوان آل محمد من أهل الكوفة ، إذ قال ﷺ :)

ـ وعنـد ذلك تقتـل النفس الـزكيـة في مكـة ، وأخـوه في المـدينـة ضَيعـة ! [4]

---

(١) الإمام المهدي ص ٢٢٧ وبشارة الإسلام ص ١٠٠ ومثير الأحزان ص ٢٩٨ .

(٢) انـظر منتخب الأثـر ص ٤٥٥ والبحـار ج ٥٢ ص ٢١٧ وبشـارة الإسـلام ص ١٠٥ وغيـرهـا من المصادر .

(٣) الغيبـة للنعماني ص ١٥١ بتفصيـل ، ومثلُه في البحـار ج ٥٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ وبشـارة الإسـلام ص ١٠٣ بعضه .

(٤) البحـار ج ٥٢ ص ٢٠٨ والغيبة للطوسي ص ٢٧٩ وبشـارة الإسـلام ص ١٧٧ والحـاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥١ .

(فالسفيانيُّ يَقتل كل من تسمَّى بمحمدٍ أو عليّ أو حسنٍ أو حسين . . ثم قال ﷺ يصف كيفية تسيير جيش السفياني إلى الحجاز :)

ـ ثم يكتب السفيانيُّ إلى الذي دخلَ الكوفة بخَيله ، بعدما يَعركها عَرْكَ الأديم (أي يخلط ترابها بدماء قتلاها كما يُعرك الوحل من التراب والماء) يأمره بالمسير إلى الحجاز ، فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش ، فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمئة رجل ، ويَبقر البطونَ ، ويَذبح الولْدان ، ويَقتل أخوَين من قريش : رجلاً وأخته ، يقال لهما : محمدٌ وفاطمة ، ويصلبُهما على باب المسجد بالمدينة . فعند ذلك يهرب المهديُّ والمستنصِرُ من المدينة إلى مكة ، فيبعث بطلبهما وقد لَحِقا بحَرَم الله وأَمْنِه [1] . (وورد عنه ﷺ مثل هذا الحديث كما يلي :)

ـ ويبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً ، ويهرب المهديُّ والمستنصر (أي النفس الزكية لأنه يبدأ كلمته قبل قتله بالاستنصار لآل محمد) ويؤخذ آلُ محمد صغيرُهم وكبيرُهم لا يُترك أحدٌ منهم إلا حُبس . ويخرج الجيش في طلب الرجلَين (أي المهديّ والمستنصر) بالرغم من أنهما في حرَم الله وأَمنه ، وأنه من دخَله كان آمناً . ويفرُّ أهل المدينة في البراري خوفاً وذعراً وطلباً للمهديّ [2] .

قال الإمَام الصّادق ﷺ :

(في جلسة تأمُّلٍ قال ﷺ لأصحابه :)

ـ ما بقي بيننا وبين العرب إلاّ الذَّبح [3] . (وأومأ بيده إلى حلقه . . ثم كأنّي به قد تصفَّح الوجوه فلم يقرأ فيها إلاَّ أن الصورة لا تزال مجهولةً عمّا يكون بين الهاشميين والعرب الذين نَعَتَهم بالعروبة دون الإسلام ـ لأنهم يتسمّون يوم ذلك الذِّبح كذلك ـ فأكمل إيضاح ما بينَهم وبين العرب من ذُهولٍ قائلاً :)

ـ وذبح رجل هاشمي بين الرُّكن والمقام [4] . (وأكَّد سلامُ الله عليه بقوله :)

---

(1) الملاحم والفتن ص ٤٥ وبشارة الإسلام ص ٣٩ باختلاف يسير ، والمستنصر هو النفس الزكية بحسب الظاهر .

(2) انظر الملاحم والفتن ص ٤٥ وص ٤٦ والبحار ج ٥٢ ص ٣٧١ وغيرهما .

(3) الغيبة للنعماني ص ١٢٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٤٩ وإلزام الناصب ص ٢٢٩ .

(4) إلزام الناصب ص ١٨٥ وغيره من المصادر .

ـ لا بدّ من قتْل غلام ٍ بالمدينة ! . فسئل : هل يقتله جيش السفيـانيّ ؟ . قال : لا . ولكن يقتله جيش بني فلان (لعلّه يقصد بني العبـاس) ـ يجيء حتى يـدخـل المـدينة فـلا يرى النـاسُ في أي شيء دخل ، فيـأخـذ الغـلام فيقتله . فإذا قتله بغيـاً وعدواناً وظُلماً لا يُمْهَلون ! . فعند ذلك توقّع ِ الفرَج إن شاء الله [1] . (وهذا الهاشميُّ الذي يُقتل في المدينة هو ابن عمّ النفس الزكيـة وقد قـال الصّادق عليه السلام عنـه مرةً ثـانيةً موضِحاً :)

ـ يُقتـل المظلومُ بيثـرب ، ويُقتلِ ابنُ عمّـه في الحرَم بمكـة [2] . . (فهو يُقتـل بحسب الخبر السابق على يد أحد العراقيين الذي يلحق بـه وبابنِ عمّـه فيقتله ، وتُقتل معه أختٌ له تُدعَى فاطمة ويُصْلَبان كما مرَّ قريباً . . ثم ورد عنه عليه السلام قولُه الجازم :)

ـ وقتلُ النفس الزكيّة من المحتوم [3] . (وقال عليه السلام مفصّلاً :)

ـ . . . . إذا ظهَـرَ الشـاميُّ (أي السفيـانيُّ) وتحـرك الحسنيُّ (أي الهـاشـميُّ) وخـرج صاحب هـذا الأمر من المـدينة إلى مكـة بتُـراث رسـول الله صلى الله عليه وآله حتى ينـزل مكة . . فيطّلع على ذلك بعض مَواليه فيأتي الحسنيُّ فيُخبره الخَبر فيَبْتَدِرُ الحسنيُّ إلى الخروج فيثب عليه أهـلُ مكة فيقتلونـه ويبعثون بـرأسه إلى الشـام ، فيظهـر عند ذلـك صاحبُ هذا الأمرِ فيبايعُه الناس [4] .

(وفي هذه الرواية يظهر التصحيفُ في نسَب النفس الزكيّة الذي قُلنا منذ قليل : إنّـه حسينيٌ لا حسنيّ . والخطأُ المـاديُّ في اللفظة غيـرُ متعمَّد ، ولكنـه جاء من كثـرة النقل والاستنساخ . وبهذا بيّن لنا الإمام الصادق عليه السلام كيفيّة ذَبح ِ هذا السيِّد العـظِيم .

---

(١) الكـافي م ١ ص ٣٣٧ والبحـار ج ٥٢ ص ١٤٧ والغيبـة للنعمـاني ص ٨٦ وبشـارة الإسـلام ص ١١٧ ومنتخب الأثر ص ٥٠١ وإلزام الناصب ص ٨٠ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣٢٤ مجمـلاً ، وإعلام الورى ص ٤٠٦ .
(٢) بشارة الإسلام ص ١٨٧ .
(٣) الإمام المهدي ص ٢٢٨ .
(٤) الغيبة للنعماني ص ١٤٤ وبشارة الإسلام ص ١٣٩ بزيادة : ويَبعث الشاميُّ عند ذلك جيشاً إلى المـدينة ، فيُهلكهم الله عـزّ وجـلّ دونهـا ، والبحـار ج ٥٢ ص ٣٨ وص ٣٠١ وص ٢٤١ نصفـه الأول .

وبيّن هويّة قاتليه في الحرَم ، وأنّ قتْله يكون قُبَيْلَ توجُّه جيش السفيانيّ نحو مكة وحلُول الخسف به . . ثم حدَّد الإمام عليه السلام الفترة التي تَفْصل وقت الظهور عن يوم ذبح النفس الزكية بقوله :)

ـ ليس بين القائم وقتل النفس الزكية سوى خمس عشرة ليلة ! [1] . (ورد عن الباقر عليه السلام بلفظه . . والنفس الزكية ، هذا ، الذي لقّبه النبيُّ صلى الله عليه وآله بهذا اللقَب ، اسْمُه : محمد بن الحسن ـ بحسب بعض الأخبار ـ وهو قرشيٌّ حسينيٌّ ليس في ذلك شك . وسيكون من أهمّ مصاديق أعلام نبوّة محمد صلى الله عليه وآله، لأنه دلّ عليه وسمّاه ونَعَتَه ولقّبه وذكر ما يدعو إليه وما يُصيبه قبل أن يُخْلَق بخمسين جيلاً من الناس . . وقد جاء عنهم عليهم السلام :)

ـ فإذا كان اليومُ الخامسُ والعشرون من ذي الحجة ، يُقتل النفسُ الزكيّةُ بين الرُّكم والمقام ظُلماً . وفي اليوم العاشر من المحرَّم يخرج الحجّةُ عليه السلام [2] . (ولا نأتي بجديد إذا قلنا للقارىء : إنه إذا قُتل غضب على قاتليه أهلُ السماء وأهل الأرض ، لأن هذا العمل هتكٌ لحُرمة النفس وحُرمة البيت وحُرمة الله عزّ شأنه ! . في جريمة لم يسبقها مثيلٌ ولا يلحقها مثيلٌ ، ما بين جريمة هابيل وقابيل وجرائم آخر الزمان ! ! !)

* * *

قالَ الحجّة المنتظَر عليه السلام :

(ورد في بعض رسائله الشريفة التي تفضّل بها على أحد مقرّبيه :)

. . . وآيةُ حركتنا من هذه اللُّوثة (أي هذا الشّر والدّنس في الأرض) حادثةٌ بالحرَم المعظَّم (أي ذبحُ النفس الزكية) من رِجْسٍ منافقٍ مذمَّم ، مستحِلٍّ للدم المحرَّم ! . يَعمد بكيده أهل الإيمان ، ولا يبلُغ غرَضه من الظُّلم لهم والعدوان ، لأننا

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٣٩ وص ٤٥٦ والإرشاد ص ٣٣٩ والغيبة للطوسي ص ٢٧١ والبحار ج ٥٢ ص ٢٠٣ وإعلام الورى ص ٤٢٧ والإمام المهدي ص ٢٣٠ وبشارة الإسلام ص ١٢٨ وص ٩٦ عن الإمام الباقر عليه السلام ، وص ٢١٩ : وقتلُ النفس الزكية من المحتوم .

(٢) إلزام الناصب ص ١٩٠ وغيره من المصادر الكثيرة .

من وراء حِفْظهم بالدعاء الذي لا يُحْجَب عن مَلِك السماء . فَلْيَطمئنْ بذلك من أوليائنا القلوب ، وَلْيَثِقوا بالكفاية منه وإن راعتْهم بُهْمُ الخُطوب ، والعاقبةُ لجميل صُنْعِ الله تكون حميدةً ما اجْتَنبوا الْمَنْهِيَّ عنه من الذنوب [1] . . (ونحن بانتظار علاماتٍ كبرى خمسٍ كما ذكرنا ، كلُّها ممتازةٌ عن غيرها ممَّا يُشابهها وهذه الجريمة النكراء هي إحداها ، وستقطع الشكَّ وتمحو كلَّ توهُّمٍ أو ظنٍّ . . وهي واقعةٌ ـ لا محالة ـ بحسب النُّصوص ، لأنها من المحتوم الذي أُبْرِم في سابق قضاء الله ! .)

ـ فلا بُدَّ من قتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الركن والمقام ! ! ! [2] .

---

(١) الإرشاد ص د ـ هـ تجد الكتاب بكامله ، ومثله في البحار ج ٥٣ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ، ومثله في إلزام الناصب ص ١٣٦ .

(٢) بشارة الإسلام ص ١٠٠ مع تفصيل ، ونور الأبصار ص ١٧٢ .

ز ـ السُّفيانيّ

قالَ رسُولُ الله ﷺ :

ـ سيكـون بعـدي خلفـاء ، ومن بعـد الخُلفـاء أُمـراء ، ومن بعـد الأُمَـراء مُلوك جبابرة ، ثم يخرج رجلٌ من أهل بيتي (١) .

(وهـذا الحـديث ـ ككـلّ حـديث شـريف ثـابت ـ هـو من أعـلام نبـوّة خـاتم المـرسلين ، ومن دلائل مـا أطلعه اللّهُ تعـالى عليـه من الغيب . وإلاّ فكيف عـرف أنّ بعده تَنصيبَ خلفاء ، وتـأميرَ أُمـراء ، وتمليكَ ملوكٍ جبـابرة ؟ . فقـد كان بعـدَه أربعةٌ دُعي كـلُّ واحدٍ منهم خليفـة رسول الله ، هم الخلفـاء الراشـدون ، ثم قَلَبها الأمـويون والعبـاسيون فتلقَّب كـل واحدٍ منهم بـأميـر المؤمنين ، ثم جـاء دور العثمـانيِّين فتلقَّبـوا بالسلاطين ، ودامَ ملكُهم حتى كـدنا نُـدركه إذ زال منـذ عشرات السنين . . وسيكـون خروج المهديّ من أهل بيته ، ذلك الخروج الذي جعل بَدْءَ الوعدِ به مُبتَـدَأً بِـ : ثُمَّ ، كدليلٍ على بُعد المُدَّة ، وطولِ الانتظار وتباعُدِ ما بين العلامـات التي مررتَ بهـا طَيَّ

---

(١) انظر الصواعق المحرقة ص ١٦٤ والملاحم والفتن ص ٢١ والبحار ج ٥٢ ص ٨٤ وغـاية المـرام ص ٧٠٠ وكشف الغمـة ج ٣ ص ٢٦٤ وص ٢٧٧ والبيان ص ٩٩ وإلـزام النـاصب ص ٥٢ نقـلاً عن الفصـول المهمـة ، وص ٢٥٩ والمهـدي ص ١٨٨ وبشـارة الإسـلام ص ٢٨٨ وص ٢٩٥ والحـاوي للفتـاوي ج ٢ ص ١٣٤ وص ١٥٦ وص ١٥٧ ونـور الأبصـار ص ١٧١ (ورد في هـذه المصادر وغيرها بلفظه ، وباختلاف يسير ، وبإنقاص آخره . . .) .

صفحات هذا الكتاب . . ورَوى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال عليه السلام :)

- يقع خروجُه (أي المهدي عليه السلام بعد تدابُر واختلافٍ بين أمراء العرب والعجم (كحال العرب وإيران) لا ينتهي ، إلى أن يصير الأمر إلى رجلٍ من وُلْدِ أبي سفيان [1] . . (وقال أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المعنى :)

- ثم يقع التدابُر والاختلاف بين أمراء العرب والعجم ، فلا يزالون يختلفون إلى أن يصير الأمرُ إلى رجلٍ من وُلْد أبي سفيان [1] . (والتدابُر والاختلاف بين أمراء العرب والعجم هو اليومَ على أشدِّه كما لا يخفى ، فإن أكثر العرب يقفون في وجه الجمهورية الإسلامية ويحاربونها بالسلاح والمال والكلام . . ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :)

- يخرج رجلٌ يقال له : السفيانيّ في عُمق دمشق ، وعامةُ من يَتبعه من كَلْب [2] . فيقتُل حتى يَبقُر بطونَ النساء ، ويَقتل الصِّبيان . فيجتمع لهم قيسٌ (أي المصريون والمغاربة الذين يعارضون بيعَته بحسب هذا النص) فيَقتلها حتى لا يمنع ذنبُ تَلْعَةٍ ، ويخرج رجلٌ من أهل بَيتي في الحرَم ، فيبلغ ذلك السفيانيَّ فيبعث إليهم جُنداً من جُنده . فيسير حتى إذا جاء ببيداء من الأرض خُسِفَ بهم ، فلا ينجو منهم إلاّ المُخبر [2] . (والتَّلْعَة : المرتفِعُ من الأرض أو المنخفِض منها . والمَثلُ يُضرَب لمن يعجز عن حماية نفسه وذِماره . . ثم رُوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في موضوع هزيمة قيسٍ أمام بطش السفيانيّ :)

---

(١) بشارة الإسلام ص ٦٦ رُويَ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، والإمام المهدي ص ٢٢٠ وبشارة الإسلام ص ١٩١ شيءٌ منه وبمعناه ، وورَدَ في مصادر أخرى .

(٢) السفياني من بني أمية وأخواله من قبيلة بني كلب التي كانت في أيام معاوية تعتنق النصرانية . وقد تزوّج منها معاويةُ أمَّ يزيد قاتل الحسين عليه السلام . والسفيانيّ اسمُه عثمان بن عنبسة بن كُليب بن سلمة بن عبدالله بن عبد المقتدر بن عثمان بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس . . . تسكن عائلته بلدة الرملة من منطقة الوادي اليابس في شرقي فلسطين وغربيّ الأردنّ ، وجنوب غربيّ سوريا ، وجنوب غربيّ دمشق بالتحديد ، على بعدِ أميال معدودةٍ عنها . . انظر البحار ج ٥١ ص ٣٠٥ وج ٥٢ ص ١٨٦ وبشارة الإسلام ص ٢١ وص ٤٦ وص ٨٦ وص ١٠٦ وص ٢٧٦ والإمام المهدي ص ٢٢٣ وإلزام الناصب ص ١٧٩ وص ١٨٠ وص ١٩٠ ومنتخب الأثر ص ٤٥٦ وص ٤٥٨ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، والملاحم والفتن ص ١٢٣ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

ـ إذا حادَ أمير الشام عن الحق ، فكأنّي بقيس لا يَمنع ذنبُ تَلْعة . فعند ذلك فرَج الأُمة [1] . . (ثم رُوي عنه ﷺ ما يدلّ على أن قيساً هم المصريون :)

ـ إذا حاد السفيانيُّ عن الحقِّ ، ومال عن جادَّة الدِّين ، تقوم له قيسٌ من مصر فينتصر على جيشها الذي ترسله لقتاله [2] . . (وفي حديث له عن الثائرين في آخر الزمان قال ﷺ :)

ـ . . . فبينا هم كذلك إذ يخرج عليهم السفيانيُّ من الوادي اليابس ، في فَوْرِ ذلك ، حتى ينزل دمشق [3] . (والوادي اليابس أرضها سوداء سمراء ، وأحجارُها تُصنع منها الأرحاءُ كما هو معلوم ـ أُنظر حاشية الصفحة السابقة ـ . ولذلك قيل في بعض الأخبار : إنه يخرج من وادٍ سوداء . . ثم جاء عنه ﷺ :)

ـ يخرج السفيانيُّ في ستّين وثلاثمئةِ راكبٍ حتى يأتيَ دمشق . فلا يأتي عليهم شهرُ رمضان حتى يبايعه من كلبٍ ثلاثون ألفاً . فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتُل بالزَّوراء مئةَ ألفٍ ، وينجرُّون إلى الكوفة فيَنهبونها [4] . . (وسترى تحرُّكاته الحربيَّة في وقائع تتلاحق بين دمشق فحمص فحلب فالرَّقة ، بعد معارك ضاريةٍ مع قيس والأبقع والأصهب ، فمعارك تَليها ـ أشد ضراوةً ـ مع اليمانيِّ وغيره ، ثم يتقدّم نحو رأس العين في شمالي سوريا ، ويمرُّ بنصيبين فالموصل فبغداد فالكوفة حيث يفعل الأفاعيل ويأتي بالأباطيل . . وقبيلة كلب التي يتكرر ذكرها ، كانت من سكان الأردنّ بحسب الظاهر ، لأن الأردنَّ كان موطنَ هذه القبيلة في العصر الأُموي . . وقد وصفتِ السفيانيَّ أخبارٌ كثيرةٌ يضيق صدرُ الكتاب عن ذكرها ، نكتفي بواحدٍ منها ، هو :) .

ـ أشدُّ خَلْق اللّهِ شرًا ، وأكثرُ خَلقِ اللّهِ ظُلماً ، شرسٌ ، قاسي القلب ! . يُجمع له ولجيشه من كافة الأقطار الإسلامية فيهزمهم ويقتلهم ، وينادي بشعارٍ له في حروبه هو : يا ربِّ ، ثاري ثم النار ! ! ! (وقيل : بل هو :) يا ربِّ ، النار ولا

---

(١) الملاحم والفتن ص ١٦١ وغيره .
(٢) منتخب الأثر ص ٤٦٥ .
(٣) في أكثر المصادر المذكورة في الرقم (٢) من الصفحة السابقة .
(٤) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٩ ومصادر أخرى .

العار ! ! ! [1] (ثم جاء عن الصادق عليه السلام في وصفه :)

- لو رأيتَ السفيانيَّ رأيتَ أخبثَ الناس ، أشقرَ أحمرَ أزرق ، يقول : ثاري ثم النار ! . ولقد بلغ من خُبثه أنّه يدفِنُ أمَّ ولدٍ لـه حَيَّةً مخافَةَ أن تـدلَّ عليه [2] ! . (ثم جاء عن النبيِّ صلى الله عليه وآله في وصف ذلك العهد :)

- لا يزال الناس في مُدة (أي مُهلة) حتى يُقرع الراس . فإذا قُرِعَ الراس هلك الناس ! [3] . (أي حتى تخرب دمشق وقسمٌ من بلادها ، فهي الـراس ، وهي السُّرَّة بمنطوق الأخبار القدسية . . وهـذا لأمرِ دولة إسرائيل المتجبِّرة التي تنـظر إلى الجمهورية السورية نظر استضعافٍ واستهانة . فإنها إن هي مسَّتها بسوء ، أو هـاجمت عاصمتها أو دمَّرتها ، ستدمِّر نفسها في آنٍ واحدٍ وستكون نهايتُها عند ذلـك ، لا نهايـة سـوريـا كمـا أسلفنـا في مـوضـوع سـابق . . ثم تحدَّث صلى الله عليه وآله عن جيش السفيـاني فقال :)

- . . . ويُبعثُ إليه بعثٌ من أهل الشام - أي إلى المهديِّ عليه السلام - فيُخسف بهم بـالبيداء بين مكة والمدينة [4] . . (ووصف صلى الله عليه وآله فَتْكَ جيش السفيـانيِّ بيثرب فقال :)

- يكون قبله بأيام وقعةٌ بالمدينة ، تَغرق فيهـا أحجارُ الـزيت بالجمـر ، ما الْحَرَّة عندها إلّا كضربة سَوْط ! . فيَنتحي الجيشُ عن المدينـة - أي جيش السفياني - قَـدْرَ بريدَين ، ثم يُبايَعُ للمهديِّ [5] . (فقد صرَّح صلى الله عليه وآله بشدَّةِ تلك الـوقعة وكثـرةِ ما يُـراق أثناءها من دماء بريئة ، وبما يجري فيها من تقطيعٍ وتنكيل . . وقد قايَسها بوقعة الْحَرَّة

---

(١) انظر الغيبة للنعماني ص ١٦٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤٩ والملاحم والفتن ص ١٢٣ أوله ، ومثله في إلزام الناصب ص ٢٠١ وغيرها من المصادر .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٦ وإلزام الناصب ص ١٨٠ وص ١٨١ وغيرهما من المصادر .

(٣) الملاحم والفتن ص ٣٧ وغيره .

(٤) الإمام المهدي ص ٧١ ومصادر أخرى كثيرة .

(٥) بشارة الإسلام ص ٣٠ وص ١٨٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٣ والملاحم والفتن ص ٤٦ وص ٦٠ بلفظ آخر .

التي قام بها يزيد بنُ معاوية على يد ابن عقبة الذي أباح مدينة الرسول ﷺ لعسكره ثلاثةَ أيام بلياليها إباحةً مُجرِمةً وَقِحَةً سافِلةً . . قايِسها بها وبيِّن أنها تكون أشدَّ منها ! . . أما أحجار الزيت فمنطقة بضاحية المدينة تَغرق بدم الهاربين الذين يلحق بهم جيشه ويقتلهم فيها ! . وقد تحدَّث الباقرُ ؈ عن هذه المذبحة البشِعة وقال في حديث :)

ـ . . . أمَّا من يهرب من آل محمد ، فيلحق بهم الجيش ، ويُدركهم ويَذبحهم عند أحجار الزيت (١) ! . (ثم قال الصادق فيها قولاً تراه في مكانه قريباً . .

فما رأي القارىء أن النبيَّ ﷺ قال هذا القولَ قبل أن تكون وقعة الْحَرَّة بأكثر من خمسين سنة ؟ !! ثم كانت كما ذكَرها ، وتسمَّتْ بما سمَّاها به ! . بل قال عنها ، وقال عن غيرها . . وكلُّ الذي قاله ، قاله الوحيُ الصادق . . ووقعةُ أحجار الزيت صارت على الأبواب لأنها من المحتوم الذي قاله نبيُّنا العظيم ﷺ . . ثم رُوي عنه في حديثٍ عن بُعوث السفيانيِّ إلى الأقطار :)

ـ . . . يحِلّ الجيشُ الثاني بالمدينة ، فينتهبونها ثلاثةَ أيامٍ بلياليها ! (٢) .
(والجيش الأول ـ كما يَتبَدِر كلَّ ذهنٍ ـ يتوجَّه نحو العراق لينتقمَ ممَّن يوالي عليّاً وأهل بيته عليهم السلام جميعاً ! . ثم رُوي عنه ﷺ وعن ابنه الباقر ؈ التفصيل التالي :)

ـ معَ بني ذَنَب الحمار مُضَرُ ، ومعَ السفيانيِّ أخوالُه من كَلْب فيظهر السفيانيُّ ومن معه على بَني ذَنَب الحمار حتى يُقتَلوا قتلاً لم يُقتَلْهُ شيءٌ قط ، ويَحضر رجلٌ بدمشق فيُقتل هو ومن معه قتلاً ، وهو من بَني ذَنَب الحمار ، وهي الآيةُ التي يقول الله تبارك وتعالى فيها : ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِم ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَروا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيم ﴾ . . ويظهر السفيانيُّ ومَن معه ، فلا يكون له هِمَّةٌ إلَّا آل محمدٍ وشيعتهم . فيبعث بعثاً إلى الكوفة ، فيصابُ أُناسٌ من شيعة آل محمدٍ بالكوفة قتلاً

---

(١) بشارة الإسلام ص ١١٦ ومصادر أخرى .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٨٦ ومنتخب الأثر ص ٤٥٦ وبشارة الإسلام ص ٢١ وص ٢٢٠ وص ٢٧٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ وإلزام الناصب ص ١٩٩ .

وصلباً [1] . (وظهور السفيانيِّ ، المذكورُ هنا : هـو انتصاره على مناوئيه كمـا ذكرنـا سابقاً . ثم حدَّد المواعيد بقوله ﷺ :)

ـ الملحمـةُ الكبـرى ، وفتـحُ القسطنـطينية ، وخـروج الـدجَّـال في سبعـة أشهر [2] . . (والملحمةُ الكبـرى : هي معركـة قرقيسيـا التي تقع في شمـاليِّ سوريـا وتسبق خـروج القائم ﵇ بقليـل . وفتحُ القسطنطينيـة يكون على يـدِ وأمـر صـاحب الأمـر . . أما الـدجَّـال فـإن لنـا فيـه رأيـاً سنـذكـره في الفصـل التـالي ، إذا لم يكن النبيُّ ﷺ وأهـلُ بيته ﵇ قـد رَمزوا في أحـاديثهم عنه إلى دجَّـال خـاص . . ثم قال ﷺ يصف الوضع العامّ في أيام السفياني :)

ـ هُم يـومئذٍ على رِدَّةٍ يـزعمون أنَّ الخمـرَ حلال [3] ! . (وستـرى أن السفيـانيَّ يُحلِّل كلَّ حرام ويُبيح المنكَرات والكبائر . .) .

قالَ أمير المؤمنين ﵇ :

ـ هـو من وُلْـدِ أبي سفيـان ، حتى يـأتيَ أرضَ قـرارٍ ومَعينٍ فيستـوي على منبرها [4] . (أي يتصدَّر حُكم دمشق . . ثم قال ﵇ :)

ـ ويخرج يوم الجمعة ، فيصعد منبرَ دمشق ، وهو أولُ منبر يصعدُه . ثم يخـطب ويـأمرهم بـالجهاد ، ويبـايعُهُم على أنهم لا يخالفـون أمـرهُ رَضُـوهُ أمْ كَـرِهُـوهُ [5] . . (وقال ﵇ :)

ـ ثم يُـدركُها ابنُ حـربٍ في ذلك العـام ، حتى يثب بـالشـام [6] . (وكتب إلى معاوية رسالةً قُبيلَ وقعة صِفِّينَ جاء فيها :)

---

(1) مريم ـ ٣٧ ، والخبر في إلزام الناصب ص ١٧٦ وص ٢٤ عن الإمـام الصادق ﵇ ، والبحـار ج ٥٢ ص ٢٢٢ وبشارة الإسلام ص ١٠٢ نصفُه الأخير عن الإمام الباقر ﵇ .
(2) منتخب الأثر ص ٤٥٦ والملاحم والفتن ص ١٢٤ .
(3) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦١ .
(4) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٥ .
(5) إلزام الناصب ص ١٩٨ .
(6) إلزام الناصب ص ٢٠٤ وبشارة الإسلام ص ٤٦ .

. . . وإن رجلاً ، من وُلْدك ، مَشومٌ ملعونٌ ، جلفٌ جافٌ ، منكوسُ القلب ، فَظٌّ غليظٌ ، قد نزعَ اللّهُ من قلبه الرحمةَ والرأفة ، أخوالُه من كلب . كأنّي أنظر إليه ، ولو شئتَ لَسَمَّيْتُه ووصفتُه وابنُ كم هو ! . فيبعث جيشاً إلى المدينة فيدخلونها فَيُسرِفون فيها في القتل والفواحش . ويهرب منهم رجلٌ من وُلْدي ، زكيٌّ نقيٌّ ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجَوراً ، وإنّي لأعرف اسْمَه وابنَ كم هو يومئذ وعلامته ، وهو من وُلد آبني الحسين . . ويَقتلُ صاحبُ ذلك الجيش رجلاً من وُلْدي زكيّاً بريئاً عند أحجار الزيت . . (وقد مرَّ ذِكْرُ هذا السيد المظلوم وذِكْرُ أخته التي يصحُّ أن تُنْعَتها بسيدة شهيدات النساء لأنهم بعد قتلها والتمثيل بها يصلبونها كالرجال ! .

ولكنَّ الذي لم يمرّ معنا بعدُ : هو أننا إذا بقينا ننظرُ إلى النبيِّ وأهل بيته ﷺ كما ننظر إلى أيِّ واحدٍ من الناس ، يبقى أمامنا سدٌّ سميكٌ يحول بيننا وبين فَهْمِهم على حقيقتهم . . فهم ليسوا كالنّاس العاديِّين ، ولا كالناس المتفوِّقي الذكاء ، ولا كالعلماء الجهابذة الفضلاء . . بل كلُّ واحدٍ منهم نسيجُ وحدِه في كلِّ مجال . فلا يُتْعِبَنَّ المرءُ نفسَه في التفكير بالشّبيه والمُماثِل لهم في النّاس ، لأنه يبقى يتردّد بين خطّين متوازيَين لا يَصل إلى القدرة على البرهنة بالْتِقائِهما في اللاّنهاية واللاّمحدود ! .
أمّا إذا قُدِّر له أن يدخل في حظيرة فهمِهم على صعيد النبوّة الإلَهيّة ، والوصاية الربّانية ، فيتسنّى له أن يعرفَ بأنهم محدَّثون بما يقولون ، وبأن قلوبهم أوعيةُ لمشيئة الله . يدلّ على ذلك أشياء وأشياء ، منها :

أن أحاديثهم تحتوي كثيراً عبارةَ : كأنّي أنظر ، وكأنّي أرى . .
وأنها كثيراً ما تستعمل التأكيد بكافّة حروفه وكلماته . .
وأن العديدَ منها يبدأ بالقَسَم بالله تعالى . .

وأن ما لا يُحصى منها ، يسمّي ، ويوقِّت ، ويفصّل الحوادث التي تقع . . ثم لا تقع إلاّ كما قالوا . . ولا يكون إلاّ ما سَمّوا وفصّلوا .

ومنها أنهم يعيِّنون العَدد ، والبلَد ، والقبيلة ، والآية السماوية ، والنازلة الأرضية ، ببساطةِ مَنْ أَلَّف موضوعاً يَعرض عناصرَه على الناس ! .

ومنهـا اطمئنانهم إلى مـا يقولـون ، وأن ذلك سيكـون . . ولو في آخـر الزمـان كموضوع كتابنا الذي بين يديك بكامله ! .

ومنها ما نسيتُه ، وما لم أقُلْه ، وما يستطيع القارىء أن يقولَه عنّي ، وهو أكثر مما قلت . .

فهُم رسولٌ يَنقل عن الله . . وأوصياء على الرسالة بِرُمَّتِها . . ومَن قال لك غيـر هذا فلا تصدِّقْه . . لأنك إذا عَجمتَ أخبارَهم وفكَّرتَ وقدَّرتَ تعـرف ذلك بِيُسـر . . وتعـرف أن هذا النَّـزرَ اليسيرَ الـذي وصلَنا عنهم نجـا من أيدي مـزوِّرةِ التاريـخ وباعـةِ الكذِب على الله ورسوله . .

فكيف لو وصلَنا كلُّ شيءٍ صَدَر عنهم صافياً لا لَعِبَ فيه ولا تحريف ؟ ! !
إذاً لَبَانَ الصبحُ لِذي عينَين ،
ولَظَهَرَ الحقُّ من الباطلِ فما اختلفَ فيهما اثنان ،
وَلكانت الأمَّةُ الإسلاميَّةُ على أمرٍ واحد ،
واستغنتْ عن اتِّباع عروبةٍ يمينيَّة أو عروبةٍ يساريَّة يضيعهـا بين طَرَفَين لا يَلتقيـان إلاّ على تمزيقها وإضعافها . .

هـذا ، ونستأنف حـديث أبي الحسن عليه السلام عن السفياني بقـوله عنـه في خـطبـة طويلة :)

ـ . . . وخروج السفيانيّ برايةٍ حمراء ، أميرُها رجلٌ من بَني كلْب ، واثنـا عشر ألف عِنانٍ من خيل السفيانيّ تتوجّـه إلى المدينـة ، أميرُهـا رجلٌ من بني أميَّـة يقال لـه خُزيمة : أطمسُ العين الشمال ، على عينه ظُفْرةٌ غليظةٌ ، يتمثَّل بالـرجال (أي يتسلّى بالمُثْلة بهم والتشنيع بجُثثهم بعد قتلهم) لا تُرَدُّ له راية حتى ينزل بالمدينة في دارٍ يقال لها : دار أبي الحسن الأمَويّ . ويبعث خيلاً في طلب رجلٍ من آل محمد قد اجتمـع إليه ناسٌ من الشيعة . ثم يعود إلى مكة في جيشٍ أميرُه من غطفان ، إذا تـوسَّط القاعَ الأبيضَ خُسف به فلا ينجو إلا رجُلان يحوِّل اللهُ وَجْهَيْهِما إلى قَفاهما ليكـونا آيـةً لمن خَلْفهما ! [1] . (وقد مضى شرح قصة الخسف في مـوضوع يـوم الخلاص ، ويـأتي

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٤ وج ٢ ص ٢٢ وشرح النهج ج ١ ص ١٩٣ .

ذكرها في هذا الموضوع في نصوص متكرِّرة لالْتصاقها به . . ثم قال عليه السلام عن هذا الثائر وأتباعه :)

ـ وَالله لا يزالون ، حتى لا يدَعوا محرَّماً إلاَّ استحلوه ، ولا عقداً إلاَّ أحلُّوه ، وحتى لا يبقى بيتُ مدَرٍ ولا وَبَرٍ إلاَّ دخلَه ظُلمهم ونَبا به سوءُ رَعْيِهم ! . وحتى يقومَ باكيان : باكٍ يبكي لدينه ، وباكٍ يبكي لدنياه (1) ! ! ! (وبذلك أوضحَ كيدَهم وبطشَهم ، وتمرُّدَهم على محارم الله حتى يُبكوا من خاف فقدانَ دينه ، ويُبكوا من خاف خُسران دنياه للخراب الذي يحل بالأوطان . . ثم قال عليه السلام في خطبةٍ يبيِّن فيها موعد الفرَج :)

ـ . . . حتى تقومَ الحربُ على ساقٍ ، بادياً نواجِذُها (أي مكشّرة) مملوءة أخلافُها ، حلواً رَضاعُها ، علقماً عاقبتُها ! . ألاَ وفي غدٍ ، وسيأتي غدٌ بما لا تعلمون ! . يأخذ الوالي من غيرها عُمَّالَها على مساوىءِ أعمالها . . كأني به قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان ، فعطف إليها عطفَ الضَّروس (أي الناقة الشَّرسة) وفرشَ الأرض بالرؤوس . قد نَغِرتْ فاغِرتُه (أي غَلي جوفُه حقداً وغيظاً) وثقُلت في الأرض وطْأته . بعيدُ الجَولة ، عظيمُ الصَّولة ! . وَاللّهِ لَيُشَرِّدَنَّكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلاَّ القليل ، كالكُحل في العين ! (2) . (ثم أكمل يصف المجازر التي تكون على يده حين يَقتل الرجال وتَصيح النساءُ ويلاً وثبوراً ، بلا حُماةٍ ، وبلا بيوت :)

ـ سَلوني قبلَ أن تبقُر برجلها فتنةٌ شرقيةٌ تطأُ في خطامها بعد موتها وحياتها ، وتشبُّ نارٌ بالحطَب الْجَزْلِ من غربيِّ الأرض ، ملعونٌ ناعقُها ومولاها وقائدُها وسائقُها والمتحرِّز فيها ! . فكم عندها من رافعةٍ ذيلَها تدعو يا ويلَها ! . لا مأوى لها يُكِنُّها ولا أحدَ يرحمُها (3) ! .

---

(1) إلزام الناصب ص ١٧٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢٧٣ وج ٥٣ ص ٨٢ ـ ٨٣ باختلاف يسير ، وبشارة الإسلام ص ٥٨ وص ٦٩ وص ١٠٢ آخره عن الإمام الباقر عليه السلام .

(2) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١ ـ ٢٢ وج ١ ص ١٩٠ ومنتخب الأثر ص ٤٤١ آخره والإمام المهدي ص ٨٦ نصفه الأول .

(3) البحار ج ٥١ ص ٥٧ وج ٥٢ ص ٢٧٢ بلفظ آخر ، وج ٥٣ ص ٨٢ بلفظه ، والملاحم والفتن ص ٨٦ بلفظ قريب ، وبشارة الإسلام ص ٨٥ مع تفصيل وزيادة ، وإلزام الناصب ص ١٧٦ باختلافٍ يسير .

ـ أيها الناس : سَلوني قبـل أن تَفقِدوني ـ فَـلأنا أعلمُ بِـطُرُقِ السماء منّي بـطُرق الأرض ـ قبل أن تشغر برِجلها فتنةٌ تطأ في خطامها (أي تتعثر وتدوس كلَّ شيء وتمشي خبطاً) وتذهب بأحلام قـومها[1] . (أي بعقـولهم لشدَّتهـا ! . ثم قال ﷺ عنهـا في حديث :)

ـ ألَا يـا ويلَ لكـوفانكم هـذه وما يحـلُّ فيها من السفيـاني !. يَملك حريمَكم ، ويَذبح أطفالَكم ، ويهتك نساءَكم ! . فكأني بهم قد قَتلوا أقواماً تخاف الناسُ أصواتَهم وتخاف شرَّهم ! . ثم يأتي الزَّوراء الـظالمَ أهلُها ، فَيحـول الله بينها وبين أهلهـا ، فما أكثر طُغيانهـا وأغلبَ سُلطانها ! . ألَا يـا ويلَ بغـدادَ من الريِّ ـ أي الفُـرس ـ من موتٍ وقتلٍ وخوفٍ يشمل أهلَ العراق إذا حلَّ بينهم السيف ![2] . (ثم تحدث عن أفاعيـل جيش السفيانيِّ في العراق وفي الحجاز فقال ﷺ :)

ـ فيُجيِّش جيشـاً إلى المدينـة ، ويبعث جيشـاً إلى المغـرب . فيقتُـل بـالـزَّوراء سبعين ألفاً ، ويبقُر ثلاثمئة امرأةٍ حامـل ! . ويخرج الجيشُ إلى كـوفانكم هـذه ، فكَم من باكٍ وباكيةٍ ، فيُقتل بها خَلقٌ كثير . وأمَّا جيش المدينة فإنه إذا توسَّط البيداء صاح به جبرائيـلُ صيحةً عـظيمةً فـلا يبقى منهم أحدٌ وخسفَ اللهُ بـه الأرضَ ، ويكون آخِـرَ الجيش رجُلان أحدُهما بشيرٌ والآخرُ نذير . فيصيحُ بهما جبرائيـلُ فيحوِّل الله وَجْهَيْهمـا إلى القَفَا . ويرجع نذيرٌ إلى السفيانيِّ ويُخبره بما أصاب الجيش[3] . (وفي حديث آخر قال ﷺ :)

ـ ثم الفتنةُ الغبراءُ والقلادةُ الحمراء (رايةُ السفيانيِّ) في عَقِبها قائمُ الحق يُسفِـر عن وجهه بين أجنحة الأقاليم كالقمرِ المضيءِ بين الكواكب الـدرِّية ! . ثم يـظهر (أي ينتصـر) القمرُ الأزهـر ، وتَتمُّ كلمةُ الإخـلاص لله على التوحيـد ![4] . (فبعـد ظهـور

---

(١) البحـار ج ٥٢ ص ٢٧٢ وج ٥٣ ص ٨١ وص ٨٢ وينابيـع المودة ج ٣ ص ٢٠٤ وبشارة الإسلام ص ٥٧ ـ ٥٨ بتفصيل ، وص ٦٧ وص ٦٨ وص ٧٣ وص ٨٢ وإلزام الناصب ص ١٧٦ .

(٢) إلزام الناصب ص ١٩٦ وص ١٩٧ .

(٣) إلزام الناصب ص ١٩٩ .

(٤) انظر الملاحم والفتن ص ١١١ ما عدا آخره ، ومثله في بشارة الإسلام ص ٦٠ ، وإلزام الناصب ص ١٨٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٨ بلفظٍ قريب ، والإمام المهدي ص ٨٣ .

الراية الحمراء ، تتلألأ طلعة القائم عليه السلام القدسيَّة لكل ذي عينين ، بجميع وسائل الإعلام والإخبار ، وبسائر الأقاليم والأقطار ، تحمل الصورة المحمديَّة على آلات البثِّ وأجنحة النسيم وضاءةً مشرقةً ، تحمل بُشرى الخلاص بعد احتجاب مئاتٍ ومئاتِ السنين ! .

وما أمير المؤمنين بشاعر ! . ولكنَّ هذه الصورة البرَّاقة التي أبرزها بيانُه تأخذ بالألباب ؟ ! !

فمتى يُسفِر صبحُ ذلك السَّبْتِ من المحرَّمِ عن الوجه المضيء ؟ .

ومتى تأتي ساعة الْهَيْلَلةِ والتكبير ؟ . وتتمُّ كلمة الإخلاص لله ؟ ! (ثم قال عليه السلام :)

ـ يبعث السفيانيُّ مئة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة ، وينزلون بالروحاء والفاروق وموضع مريم وعيسى بالقادسية ، ويسير منهم ثمانون ألفاً حتى ينزلوا موضع قبر هود بالنخيلة (أي في رحبة وادي السلام : مقبرة النجف الأشرف الكبرى) فيجيئون إليهم يومَ الزينة (أي يوم عيد الأضحى) وأميرُ الناس جبَّارٌ عنيدٌ يقال له الكاهن الساحر فيخرج إليهم من مدينة الزوراء أمير في جيشٍ عظيم فيه خمسة آلاف من الكهنة (أي رجال الدين ، ولعلَّه يقصد قائد السفيانيِّ) ويُقتل على جسرها سبعون ألفاً ، حتى يتحامَى الناسُ من الفرات ثلاثة أيام من الدماء ونَتن الأجساد ! . ويَسبي من الكوفة ألف بِكْرٍ لا يُكشَف عنهنَّ قِناع ، حتى يُوضَعْنَ في المَحامِلِ ويُزْلَفُ بهنَّ إلى الثَّوِيَّة وهي الْغَرِيّ ـ أي النجف الأشرف ـ ثم يَخرج من الكوفة مئةُ ألفٍ ما بين مُشركٍ ومنافقٍ حتى يَقدموا دمشق لا يصدُّهم عنها صادٌّ ، وهي إرَمَ ذاتُ الْعِماد [1] . (ثم قال عليه السلام :)

ـ لا يقوم القائم حتى تُفقأ عينُ الدنيا ، وتظهر الحمرة في السماء ، وتلك دموع حَمَلَة العرش على أهل الأرض . فيظهر فيكم أقوامٌ لا خَلاقَ لهم يَدْعون لولَدي وهم بُراء منه . (أي يدعون الناسَ للاجتماع إلى حرب ولده والإرصاد له ، لا أنهم يدعون

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٣ وص ٢٧٤ وج ٥٣ ص ٨٣ وبشارة الإسلام ص ٥٨ وص ٦٩ وإلزام الناصب ص ١٧٦ ـ ١٧٧ وص ١٨٧ .

إلى طاعته) . تلك عصابةٌ رديئـةٌ ، على الأشرار مُسلَّطةٌ ، وللجبـابرة مُفتِّنَـةٌ ، وللملوك مُبيـرة . تظهـر في سـواد الكـوفـة يَقـدمهم رجـلٌ أسـود اللون والقلبِ ، رَثُّ الـدين ، مهجَّنٌ ، زنيمٌ ، عُتُلٌ ، تداولتـه أيدي عـواهر الأمهـات ، من شرِّ نسـلٍ لا سقاهـا اللّهُ المـطر (في سنـة إظهـار غيبـة المتغيب من وُلْـدي) صـاحبُ الـرايـة الحمـراء والعَلم الأخضـر ! . أيُّ يومٍ لِلمُخْبِتين بين الأنبـار وهيت (في قلب العـراق) ذلـك يـومٌ فيـه صَيلمُ الأكراد والشُراة (أي الخوارج الذين اشتَروا الدُّنيا بالآخرة) وخرابُ دار الفـراعنة ومساكن الجبابرة ، ومأوى الوُلاة الظلمـة ، وأم البلاء وأخت العـار ، تلك وربِّ الكعبة بغـداد ! . فويـلٌ للعُصـاة من بَني أُميّـة وبَني فـلان (أي بني العبـاس) الـذي يقتلون الطيِّبين من وُلْدي ، ولا يَـرقبون فيهم ذمَّتي ، ولا يخـافون في مـا يفعلون بحُرمتي . . إن لبَني العباس لَيوماً كيوم الطَّموح (أي كاليوم الهائج وكـالبحر حين تضـربه العـاصفة الشـديدة) ولهم فيـه صرخـةٌ كصرخـة الحُبلى (١) ! . (وبقيـة الحـديث مـذكـورة في موضوع الخراسانيّ . . ثم أمَّنَ الناجين من شيعته بعـد هذه النـار الكاويـة التي تُحرق أهل العراق ، فقال عليه السلام في حديث مرَّ أولُه :)

- . . . ليس فيها منارُ هدى ، ولا علَم يُرى . نحن أهـلَ البيت منها بِمَنْجـاة ، ولسنا فيها بدُعاة . ثم يفرِّجها اللّهُ عنكم كتفريج الأديم (أي بمزِّق هذه الفتنةَ ويبدِّدهـا ويجعل فيها فُرَجاً كما يمزِّق الجلْد) بمن يسـومهم خسفاً (بـالقائم عجَّـل الله فرَجـه) ويسوقهم عُنفاً ، ويسقيهم بكأس مصبَّرة (ملأى) لا يعطيهم إلاَّ السيـف ، ولا يُحْلِسهم إلاَّ الخوف ، فعند ذلك تودُّ قريشٌ بالدُّنيا ومـا فيهـا ، لَـو يَرونَني مقـاماً واحـداً ولَو قَـدْرَ جَـزْرِ جَزورٍ لأَقبـلَ منهم ما أطلبُ اليـومَ بعضَـه فـلا يُعطونني (٢) . (ولا يُحلسهم إلاَّ الخوفَ : أي لا يُغَشِّيهم إلاَّ بالفَزَع والهلَع . . ففي ذلك اليوم تحبُّ قريشٌ لـو أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان حاضراً مُدَّةَ نَحْرِ جمَلٍ ، أي أقصـرَ وقتٍ ممكن ، لتُبايعـه على أن يكشـف عنهـا تلك الغُمَّة بمـا شاء من شـروط البَيعة التي كـان يـطلبُ بعضَهـا في أيـام

(١) الغيبة للنعماني ص ٧٤ تجد فيه الخبر كاملاً ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ وكذلك في بشارة الإسلام ص ٣٨ وفي إلزام الناصب ص ١٧٩ .
(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٤ والمهدي ص ١٧ والإمام المهدي ص ٨٣ باختصار .

دولته . . ثم بيّن علامةَ ذلك فقال عليه السلام :)

ـ في شهر صفر ستظهر لكم من السماء آيةٌ جليَّةٌ ، ومن الأرض مثلُها ، ويحدُث في المشرق ما يُقْلِق . ويغلب على العراق طوائفُ من الإسلام مُرّاق . ثم تنفرج الغُمَّة ببَوار طاغوت الأشرار ، يُسَرُّ بهلاكه المتّقون . . (وآيـةُ السماء الكف التي رأيت شيئاً عنها في الآيات ، وآيـةُ الأرض الخسف ، وطوائف المُرّاق هم خالِعو ربقة الدِّين الإسلامي من أعناقهم يملكون أمرَ العراق ويقهرون أهله . . ثم قال عليه السلام وهو يَعنيه خاصةً ويعني الأعداء عامة :)

ـ مَنْ قاتَلَنا في آخر الزمان ، فكأنما قاتَلَنا مع الدجّال [1] ! . (ولا يقاتلهم علناً ويقف في وجه دعوة الحق سوى السفيانيِّ الذي وقفَ آباؤه في وجه دعوة محمد صلى الله عليه وآله . فَمِنْ فظائع السفيانيّ الغريبة ما قاله عنه أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خُطبه إذ قال :)

ـ لم يَزل السفيانيُّ يَقتل مَن اسمُه محمدٌ وعليٌّ والحسنُ والحسينُ وجعفر وموسى ، وفاطمةُ وزينبُ ومريمُ وخديجةُ وسُكَينةُ ورُقيّةُ ، حَنَقاً وبُغضاً لآل محمد [2] . . (ثم من فظائعه الشنيعة ما قاله عليه السلام عنه أيضاً :)

ـ ويَبقُر بطنَ امرأةٍ حُبلَى بالطريق بغير ذنبٍ ـ في الشام ـ فيُسقط جَنينَها [3] ! (وقال عليه السلام في خطبة من خُطَبه :)

ـ فيومئذ لا يَبقى لهم في السماء عاذرٌ ولا في الأرض ناصر ! . أصفيتُم بالأمر غيرَ أهلِه ، وأوردتموهُ غيرَ مورِده ! . وسينتقمُ الله ممن ظَلَمَ مأكلاً بمأكلٍ ومَشْرَباً بمشْرب ! . فأُقسِمُ ثم أُقسِمُ لَتَنَخَّمنَّها أُمَيّةُ من بَعدي كما تُلفظُ النُّخامةُ ثم لا تَذوقُها ولا تَتَطَعَّمُ بِطَعمها ما كَرَّ الجديدان [4] ! . (وقولُه : أصفيتُم بالأمرِ غيرَ أهله ، يعني

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٣٥ رواه الإمام الرضا عن جدّه عليه السلام .
(٢) بشارة الإسلام ص ٢١٩ وإلزام الناصب ص ١٩٩ .
(٣) إلزام الناصب ص ١٩٩ وغيره من المصادر .
(٤) نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٤ ومنتخب الأثر ص ٤٥٥ أولُه ، وبشارة الإسلام ص ٢٢٠ أكثرُه ، وغيرها من المصادر .

أعطيتُم الولايةَ لغير أهلها صافيةً ، وسينتقم الله ممَّن وَضعها في غيـر محلِّها ، وسينتهي أمرُ بَني أميَّة بعد ذلك العهد إلى الأبد ! .)

قال الإمام زين العَابدين ﷺ :

ـ إنَّ أمـر القائم حتمٌ من الله ، وأمـر السفيانيِّ حتمٌ من الله ، ولا يكـون قائمٌ إلاَّ بسفيـاني . (١) (ولولا أن الأئمـة مكلَّفون بقـول كلمة الحق لتـأثيل العقيـدة الإسلاميـة الصحيحـة في أذهـان النـاس ، لَمَـا نَبَس زينُ العـابـدين ﷺ ببنتِ شفَـة في هـذا الموضوع ، بسبب الضِّيْق الخانق الذي كان يفرضه العهدُ اليزيديُّ عليـه خاصـةً وعلى دُعاة الحق وأهله . . فكيف بمن يتكلَّم عن واحدٍ من السفيانيين في عهد يزيد ؟ ! !

ولكن الكلمة الكبيرة لا تُقاس بعدد ألفاظها وتعدُّد حروفها . . وإنما تكـون كبيرةً بالمعاني التي يُحَمِّلها قائلُها للألفاظ .

فالحتمُ . . يعني الإبْرَام . . أي الذي لا يبدو لِلَّهِ عزَّ وجلَّ فيه بُدُوٌّ من تغييـرٍ أو محوٍ لمصلحة من المصـالح . . فهـو : « كائن » يقـع في وقته المقـدَّر له . لا يحـول دونَ حذَرٌ بعد أن قضاه الله وحتَمه في القدَر ! . هو كالموت . . لكل كائنٍ حي ! .

وكما أن الله برأ الشمسَ منيرةً ، والقمر مستمِدٌّ نور ، فلا هو يكـون منيراً ولا هي تصيـر مستمِدة نـور ، فكذلـك لا يتمكَّن السفيانيُّ إلا أن يكـون السفيانيُّ الـذي نصَّتْ عليه هذه الأخبار ، حتى ولو رآها ، واقتنع هو نفسُه بها وعَلِمَ أنها تَنعته بالكفر والخزي والمُـروق ! . إذ سبق في عِلْمِ الله تعالى أن السفيـانيَّ يختـار لنفسـه ذلـك ويشـاؤه . فشاءَهُ له الله ! .

والحتم . . واقـعٌ ، كما شـاءه الله إنْ عاجـلاً أو آجلاً . . بـل هو بمنـزلة « مـا كان » ورُؤيَ في العيان . . وإن لم يكن قد جاء حينُه . .

هذا شيءٌ من الحتم الذي حمَّـل زينُ العابـدين ﷺ معناه لـلألفاظ القليلة التي رواها عن جدِّه الأعلى ﷺ ليؤدي واجبه . . ثم قال ﷺ في حديثٍ له :)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ١٨٢ .

ـ فإذا ظهر السفيانيُّ اختفَى المهديُّ ، ثم يَظهر بعد ذلك [1] .

قالَ الإمَام البَاقِر عليه السلام :

ـ سُئِلَ : هل السفيانيُّ من المحتوم ؟ . فقال : نعم ، والنداءُ من المحتوم ، وطلوعُ الشمس من مغربها من المحتوم ، واختلافُ بني العباس في الدولة من المحتوم ، وقتلُ النفس الزكيَّة من المحتوم ، وخروجُ القائم من آل محمدٍ صلى الله عليه وآله محتوم [2] . . (ولا إخالُني مُخطئاً إذا لفتُّ نظرَ القارىء إلى أن طلوعَ الشمس من مغربها ـ في أكثر الأخبار الشريفة ـ إشارةٌ إلى ظهور الحجَّة القائم عليه السلام بعد غَيبته المقدَّرة يعني خروجه من حيث غاب كما ألْمحتُ سابقاً . . ثم جاء عنه عليه السلام قولُه :)

ـ يكون خروج السفيانيِّ واليمانيِّ والخراسانيِّ في يوم واحدٍ من شهر رجب من تلك السنة . (ثم قال في تفسير الآية الكريمة :)

ـ ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً ، وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ [3] : إنهما أجَلان : أجلٌ محتومٌ لا يكون غيرُه ، وأجل موقوفٌ لِلّهِ فيه المشيئة . لا وَاللّهِ إنَّ أمرَ السفيانيِّ من المحتوم [3] ! . (فباقرُ العلم يُقسم يميناً على ذلك ، وكفى بيمينه يميناً لقوم يعقلون . . وجاء عنه عليه السلام أيضاً :)

ـ السفيانيُّ والقائم في سنةٍ واحدة [4] . (أي قبل أن يمضي آثنا عشر شهراً على ظهور هذا قبل هذا . بيانُ ذلك : أنَّ السفيانيَّ يظهر في رجب ، والقائم عليه السلام يظهر في المحرَّم الذي يلي ، فيَفصِلُ بين الظَّهورين أشهرٌ معدودة . . ثم حذَّر من فتن البلاد الشامية فقال سلامُ الله عليه :)

ـ إذا سمعتم باختلاف أهل الشام فيما بينهم ، فالهَرَبَ الهَرَبَ من الشام فإن القتل بها والفتنة . [5] (أي الفتنة التي يعيشُها لبنانُ وجيرانُه في هذه الأيام . . ثم جاء

---

(١) بشارة الإسلام ص ٨٦.
(٢) إلزام الناصب ص ١٨٤ .
(٣) الأنعام ـ ٣ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٦١ .
(٤) البحار ج ٥٢ ص ٢٤٠ وبشارة الإسلام ص ٩٧ وإلزام الناصب ص ١٨٠ .
(٥) البحار ج ٥٢ ص ٢٧١ وبشارة الإسلام ص ١٠٩ وإلزام الناصب ص ١٨٠ ، وغيرها .

عنه ﷺ ما يبشّر بالفرَج :)

ـ تكون فتنةٌ بالشام كأنَّ أوّلَها لَعِبُ الصبيان ! . ثم لا يستقيمُ أمر الناس على شيء حتى ينادِيَ منادٍ من السماء . .[1] (إيْ واللّهِ . . فقد بدأت فتنةٌ بلادنا كاللعب كما ذكر . . ثم أخذت تتأزّم وتتفجّر بعد شرارتها الأولى التي انبعثت حين إعلان دولة إسرائيل ، ولا تزال مستمرةً منذ ثُلث قرن ، ولن تهدأ إلا بالسيف ، يوم يعود إعلان دستور عدلٍ محمديٍ ﷺ إلى الأرض ! . ثم جاء عنه ﷺ بخصوص هذه الفتنة :)

ـ لا يظهر القائم حتى يشملَ الشامَ ودُورَ أهلِ البلاد فتنةٌ يطلبون منها المَخرج فلا يجدونه ! . ويكون قتلٌ بين الحيرة والكوفة ، قتلاهم سَواء ! .[2] .

(نعم . . لقد طَلَبْنا ـ واللبنانيّين جميعاً ـ مخرجاً من الفتنة التي نحياها فلم نجد مخرجاً يُنجي من مخاوفها وويلاتها ، بل لم يجد الغربُ ولا الشرقُ مخرجاً من دُوَّامة مطالب الصهيونية التي ما زالت حُبلى بتوائِمَ من الفتن عدا ما ولَدته في فلسطين ولبنان ، ولن ينتهيَ الأمرُ دون أمرِ الله عزّ وجلّ . . ثم قال ﷺ يحدِّد ويفصِّل :)

ـ يخرج السفيانيُّ يوم جمعة ، فيصعد منبر دمشق ، ويبايع الناس على أن لا يخالِفوا أمره رضوه أم كرهوه . ثم يخرج إلى الغوطة فيجتمع إليه خمسون ألف مقاتل . ثم تختلف الرايات الثلاث : فرايةُ التُرك والعجم وهي سوداء ، ورايةٌ لبني العباس صفراء ، وراية السفيانيِّ حمراء . فيغلبهم السفيانيُّ بعد أن يَقتل منهم ستين ألفاً . ويسير إلى حمص فإلى الفرات مروراً بالرَّقة وسبأ .[3] (أي أنه يلتقي باليمانيِّ بعد الرَّقة ، لا أنه يحارب في سبأ البعيدة بُعداً شاسعاً عن تلك المنطقة لأنها في اليَمن ، واليمانيُّ منها . . وقد ورد عنه قريب منه عدَّد فيه رايات الأصهب والأبقع واليمانيّ ، وقال : أهداها راية اليمانيِّ وهي سوداء . . ثم جاء عنه ﷺ أيضاً :)

ـ لا يكون ذلك (أي الظهور) حتى يخرج خارجٌ من آل أبي سفيان ، يملك

---

(١) الملاحم والفتن ص ٤٨ وبشارة الإسلام ص ١٠١ آخرُه ، والإمام المهدي ص ٢٣٢ باختلافٍ يسير ، ومثله في الملاحم والفتن ص ١٥٠ .
(٢) الغيبة للنعماني ص ١٤٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٧١ وص ٢٩٨ وبشارة الإسلام ص ١٠١ .
(٣) انظر بشارة الإسلام ص ١٩٢ وغيره .

تسعة أشهر كَحَمل المرأة . ولا يكـون حتى يخرج من وُلْـد الشيخ ، فيسير حتى يَقتل ببطن النجف ! . فَـوَاللّهِ كـأنّي أنـظر إلى رمـاحهم وسيـوفهم وأمتعتهم إلى حـائطٍ من حيطان النجف يومَ الاثنين ! . ويُستشهَد يوم الأربعاء [1] . (أي يكون يوم مشهد القتل والتنكيل بالمُوالين لعليّ ﷺ. أما الشيخ الذي ورد اسمه فيقصد بـه أبا سفيـان الذي لمَّا صار شيخاً حلَف لبني أُمية حَلْفته المشهورة فأقسم بالذي يحلف به أبو سفيان أنْ لا جنّة ولا نار ! . وقد ورد ذكْرُه مرةً ثانيةً في كلامٍ لأمير المؤمنين ﷺ قال فيه وهو يعدِّد العلامات :)

ـ قُـدوم راياتٍ خضـرٍ مصبّغاتٍ من مصـر إلى الشـام ، تُهـدى إلى ابن صـاحب الوصيّات [2] ! . (وصاحب الوصيّات هو أبـو سفيان الـذي لمّا كَبِـر لعبَ دوراً آخرَ في تحويل أُسرته عن طريقة محمدٍ ﷺ فأوصاها قائلاً : تلقّفوها يـا بَني أُميّة (أي إمـارة النـاس) فوالّـذي يَحلف به أبـو سفيان لا جنّـة ولا نار . فصـدَّقوه ، ومـا زالـوا على خطته ! . ثم جاء عن الباقر ﷺ :)

ـ أنّى لكم بالسفيانيّ ، حتى يخرج قبله الشّيصباني . يخرج بأرض كـوفان ينبع كما ينبع المـاء ، فيَقتل وفْـدَكم . فتوقّعـوا بعد ذلـك السفيانيّ وخـروجَ المهديّ . [3] (وقيل عن الشيصباني إنه فَيضانٌ يكون من الفرات عند تلك النقطة يغمر أرض الكوفـة وما حولها . أمّا الحقّ فإن الشّيصباني يرمز إلى أحد الظَّلمة من الحُكّام العراقيين الذين يفتكون بالشيعة بدليل قوله ﷺ فيَقتل وفدَكم . وسترى ما يوضح ذلك في كـلامٍ لأمير المؤمنين ﷺ في حديثٍ له عن مدينة بغداد في آخر الزمان . ثم قال الباقر ﷺ :)

ـ إذا خالف التُّركُ الرومَ ، وكثُرت الحـروب في الأرض ، ينادي منادٍ على سور دمشق : ويلٌ لازمٌ من شرٍّ قد اقترب ! . (وورد مثلُ هذا التّحذير عن الصـادق ﷺ إذ

---

(1) البحار ج ٥٢ ص ٢٧١ والإرشاد ص ٣٤٠ ومنتخب الأثر ص ٤٥٥ بعضُه عن أمير المؤمنين ﷺ وينابيع المودة ج ٣ ص ٨٢ نصفُه الأول ، ومثلُه في بشارة الإسلام ص ٥١ وَ ١٢٤ .

(2) بشـارة الإسـلام ص ١٥٨ نقـلاً عن الإرشـاد ، وإلـزام النـاصب ص ١٨٤ رُويَ عن أميـر المؤمنين ﷺ .

(3) الغيبـة للنعمـاني ص ١٦٢ والبحـار ج ٥٢ ص ١١٤ وص ٢٠٨ وص ٢٥٠ وبشـارة الإسـلام ص ١٠٧ والكافي م ١ ص ٣٧٠ .

قال يوماً لأصحابه في حديث :)

ـ ويلٌ لطغاة العرب من أمر قد اقترب (١) ! . (ثم قال الباقر عليه السلام أيضاً :)

ـ يختلف الرومُ (أي اليهود) والتُّركُ (أي الغربيون والشرقيون) وتكثُر الحروب في الأرض وينادي منادٍ من دمشق : ويلٌ لأهل الأرض من شرٍّ قد اقترب (١) . (مبيّناً أن الإنذار لا يكون إلاّ على إثر خلافٍ يحصل بين إسرائيل وكافة الدول ، وبينها وبين مُدَلِّعتها الوحيدة أميركا ، بعد أن تجرِّع الصهيونيةُ حُماتَها غصصاً مُرَّة ، فتقع الحروب وتغطّي الأرض ، ثم يظهر صوت السفيانيّ من على منبر دمشق بغتة . . وقد نبّهنا الإمام عليه السلام إلى انتظار ذلك الصوت بقوله أيضاً :)

ـ توقّعوا الصوت يأتيكم بغتةً من دمشق . فيه لكم فرَجٌ عظيم (لأنه بشارةٌ بالظهور المبارك في غضون أشهر معدودة) يجيئكم الصوتُ من ناحية دمشق بالفتح (٣) . . (وكلمةُ : صوت ، التي صدرت منذئذٍ عن النبيّ وأهل بيته صلواتُ الله عليهم ، لا تَعني إلاّ صوتَ الإذاعة التي تَهدر بوعيدها في ذيل الفتن التي نعيشها ، والتي تذهب بأبرياء كثيرين فيهم النساءُ والأطفالُ والشيوخ ! . وقد أوضحنا سابقاً ـ ومكرّراً ـ أن الأخبار الشريفة تُسَمِّينا العربَ دائماً ، لأننا نحن اليومَ نتسمّى بذلك بعصبيّة رَعناء محَت من طريقها الإسلام . . ولم يَبْقَ بيننا وبين الصوت المذكور إلاّ خلافُ اليهود مع أميركا التي تَحمي الصهيونيّة المتمرِّدة على الأعرافِ السماويّة والأرضيّة ! . ثم وضع الإمام الباقر عليه السلام علامةً فارقةً لنداء دمشق ، تُرافق ذلك النداء وتُعاصره ، فقال :)

ـ إلْزَمِ الأرض ولا تحرِّكَنَّ يدَكَ ولا رِجْلك ، حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة (٤) . (أي أنها تحصل بين اثني عشر شهراً بعضها من آخر هذه السنة وبعضُها من

---

(١) إلزام الناصب ص ٧٨ وص ١٨٨ ومصادر كثيرة جدّاً .

(٢) الغيبة للطوسي ص ١٦٨ وص ٢٧٨ ومنتخب الأثر ص ٤٥٢ بعضه ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ وبشارة الإسلام ص ١٧٧ وص ١٢١ بعضه .

(٣) الغيبة للنعماني ص ١٤٩ وبشارة الإسلام ص ١٠١ وإلزام الناصب ص ١٧٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٩٨ ما عدا آخره .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ٢١٢ وص ٢٢٢ وص ٢٣٧ وإعلام الورى ص ٤٢٧ والإمام المهدي ص ٢٢٣

مطلع السنة القادمة . . ثم عدَّد بعضَ العلامات وقال عليه السلام :)

ـ . . وترى منادياً ينادي بدمشق ، وخسفاً بقريةٍ من قُراها ، وسقوطَ طائفةٍ من مسجدها . فإذا رأيت التُّرك جاوزوها ، فأقبلت التُّركُ حتى نزلت (الجزيرة) وأقبلت الروم حتى تنزل (الرملة) . وهي سنة اختلافٍ في كل أرضٍ من أرض العرب ! . [1] (وهذا الجزءُ من العالم هو الذي يُخيِّمُ عليه جوُّ الفتن في أيامنا . ونحن نعيش تأويلَ هذا الحديث الشريف ، لأن التُّركَ ـ من غربيِّين وشرقيِّين ـ موجودون عندنا بسلاحهم ومدرِّبيهم ومُستشاريهم ومبادئهم . كما أنَّ الروم ـ أي اليهود ـ موجودون في الرَّملة واللُّد وغيرهما من أرض فلسطين ، وهم يُخيفون ويُرعبون ، بل يَمرقون كما سمّاهم الإمام عليه السلام (مارِقة الروم) فيما يلي . . ثم بيَّن سببَ سقوط حائط المسجد الأُمويِّ ، وخسف القرية فقال عليه السلام :)

ـ . . إمارةُ خروج السفيانيِّ أن يحصل خسفٌ بغربيِّ مسجد دمشق حتى يخرَّ حائطُ المسجد ، ورجفةٌ ، وتُخسف قريةٌ في جنوب دمشق تسمّى : الجابية : وذلك بعد أن يترك الشامَ المغربيُّ براياته . [2] (ثم بيَّن علاماتٍ تتعلّق ببعضها فقال عليه السلام :)

ـ يجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح . وتُخسف قريةٌ من قرى الشام تسمّى : الجابية وتسقط طائفة من جامع دمشق الأيمن . ومارقةٌ تمرق من ناحية الروم

وبشارة الإسلام ص ٩٤ وص ١٠١ والمهدي ص ١٩٤ وإلزام الناصب ص ١٩ وص ٢٤ رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام ، وص ١٧٥ .

(١) إلزام الناصب ص ١٧٥ وص ١٧٦ وص ١٨٤ وص ٢٤ رُويَ عن الإمام الصادق عليه السلام ، وإعلام الورى ص ٤٢٧ والغيبة للطوسي ص ٢٦٤ وص ٢٦٧ والإمام المهدي ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ والغيبة للنعماني ص ١٤٩ والاختصاص ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٢ وص ٢٢٢ وص ٢٣٧ وص ٢٦٩ وبشارة الإسلام ص ٩٤ بلفظ آخر ، وص ١٠٢ وص ١٥٧ .

(٢) الاختصاص ص ٢٥٥ والغيبة للنعماني ص ١٤٩ وإلزام الناصب ص ١٧٥ والغيبة للطوسي ص ٢٧٨ قريبٌ منه ، ومنتخب الأثر ص ٤٥٢ بعضه ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ وص ٢٦٩ ، وكذلك في الملاحم والفتن ص ١٦٤ ، وبشارة الإسلام ص ١٦٤ وص ١٧٧ وص ١٨٣ منتهياً بعبارة : وتلك إمارة (علامة) السفياني . . والمهدي ص ٩٦ وص ٢٣٢ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٠ .

يعقبَها هرج الـروم . [1] (أي قتلُهم . وبذلـك دلَّ على تحرُّك اليهـود أثناء تلك الفتن لتحقيق أطماعهم التوسُّعية ، فيكون بعدها قتلُهم وإبـادتُهم . . ثم قال ﷺ عن تـطوُّر ثورة السفيانيِّ :)

ـ . . . وبعد دخوله إلى دمشق يهرب منها أولادُ رسول الله إلى القسـطنطينيـة ، فيـطلبُهم ويردهم ملكُ الـروم إليه ، فيضـرب أعناقَهم على الـدرج الشرقيِّ في جـامع دمشق فلا يُنكِرُ ذلك عليه أحد [2] ! . (ثم قال ﷺ :)

ـ يُقبـل السفيانيُّ من بـلاد الروم منتصـراً ، وهو صـاحب القوم . [3] (يعني أنـه يُقبل إلى العراق بعد انتصاره على يهـود فلسطين وعلى الأردن وسـوريا ، وهـو صاحبُ القوم : أي حاملُ رايةِ الأمويَّة التي تُعلن معـارضةَ المهـديِّ ! . ثم رُوي عنه ﷺ في وصف قدوم السـفيانيِّ من بلاد الروم :)

ـ يـأتي من بلاد الـروم في عُنقه صليب [3] ! . (وإذا صحَّ هذا الحـديث كـان يعني أنه يجيء من المنطقـة التي احتلَّها اليهـودُ ـ الروم ـ من الضفَّـة الغربيـة ـ أي من الوادي اليابس قُرب الرملة ـ مرتبطاً بعهدٍ مع حَمَلَةِ الصليب ، أي أنه يخرجُ مُتحالفاً مع أخواله من بَني كلبٍ الذين مرَّ ذكرُهم تكراراً ، لا أنَّه يحمل صليباً يتدلَّى في عنقـه . . ثم تحدَّث عن معركة قرقيسيا [4] . فقال ﷺ :)

ـ أَمَا إنه سيكون بها وقعةٌ لم يكن مثلها منذ خلق اللّهُ سبحانه وتعالى السمـاواتِ والأرض ، ولا يكون مثلها ما دامت السماواتُ والأرض ! . تكـون مأدبـةَ الله ! . حيث تـأكلُ طيـرُ السماء ، وتَشبـع سباعُ الأرض من لـوم ِ الجبَّارين . يَهلك فيهـا قيسٌ (أي المصريُّ والمغربيُّ) فلا تدعو له داعية ! [5] (ثم قال ﷺ عنها :)

---

(١) الاختصاص ص ٢٥٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٧ والإرشاد ص ٣٣٨ والغيبة للطوسي ص ٢٦٩ .
(٢) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ وإلزام الناصب ص ١٩٩ .
(٣) بشـارة الإسلام ص ١٧٩ ومنتخب الأثـر ص ٤٥٥ بلفظ : متنصِّراً ، والغيبـة للطوسي ص ٢٧٨ والبحار ج ٥٢ ص ٣٧٧ بلفظ آخر .
(٤) قرقيسيا : بلدةٌ في شمالي سوريا تقع بين الفرات ومصب نهر الخابور فيـه . ورأسُ العين الواردة في الأخبار قربهـا . انظر معجم البلدان ج ٧ ص ٥٩ ومجمـع البحرين ج ٤ ص ٩٦ وفي البحـار ج ٥٢ ص ٢٣٧ حديث مرور جيشه بها .
(٥) بشارة الإسلام ص ١٠٣ ـ ١٠٤ وص ١٩١ بلفظ آخر ، ومثلُه في الإمام المهدي ص ٣٤٤ .

ـ إنَّ لِوُلْد العباس والمروانيِّ (أي لمن يأتي من العراق ومصر) لوقعةً بقرقيسيا يشيب فيها الغلام الْحَزوَّر (أي الشديد القوي) ويَرفع الله عنهم النصر ، ويُوحي إلى طير السماء وسباع الأرض : اشبَعي من لحوم الجبَّارين ، ثم يخرج السفيانيُّ [1] . (وسترى تفصيلاً أوفى لهذه الوقعة في كلام الصادق عليه السلام وفي ما ورد في الكتاب المقدس ، وفي الأناجيل خاصة . . ثم جاء عنه عليه السلام عند ذكر مذبحة الكوفة :)

ـ يقتتل الرجالُ إلاّ شاميّ . ! (أي أنه استعظم يومَ الاقتِتال في عهد السفيانيِّ لما يرافقه من تفظيعٍ لا يكون كاقْتِتال الآخَرين) والويلُ لمن في أطرافها (أي الكوفة) ماذا يمرُّ بهم من أذى ! . وتسبى بها رجالٌ ونساء . وأحسنُهم حالاً من يَعْبُر الفرات ، والخروجُ منها خيرٌ من البقاء فيها ساعة واحدة من نهار ! ! ! أمّا مَن يؤخَذ منهم فليس عليهم بأس . أمَا إنهم سيُنقذهم أقوامٌ ما لهم عند أهل الكوفة يومئذ قَدْر . (يعني الخراسانيين : صعاليك شيعة عليٍّ بلغة هذا العصر ! .) أمَا لا يجوزون بهم الكوفة ! .[2] (لأن جيش الخراسانيِّ يأخذ منهم السَّبيَ والغنائمَ ويَضرب السفيانيِّين ضربةً قاصمةً قبل خروجهم من النجف الأشرف والكوفة أثناء انتشار خبر ظهور القائم عجّل الله تعالى فرَجه . .

ثم ينتقل الإمامُ عليه السلام إلى الحديث عن جيش السفيانيِّ الذي يؤمُّ الحجاز وعلى لوائه خُزيمة الأمويُّ ، فيتحدَّث عما يصيبه بعد كارثة يثرب قائلاً في تفسير الآية الكريمة :)

ـ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾ : من الصوت ، وذلك صوتُ جبرائيل من السماء ! . ﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ : من تحت أقدامهم ، خُسِفَ بهم . وذلك على بعد بريدَين من المدينة المنوَّرة بين الْحِما ومرّ . فإذا كان الجيش بالبيداء ، يخرج رجلٌ منه في طلب ناقة له ، ثم يرجع فلا يرى من رفاقه أحداً ، ولا يُحِسُّ بهم . وهو الذي يُحدِّث الناسَ عنهم . .[3] (وقد أشارت أخبارٌ أخرى إلى نجاة رَجُلَين اثنين

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٦٣ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥١ وبشارة الإسلام ص ١٠٧ .

(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٧١ وبشارة الإسلام ص ١٠٩ .

(٣) سبأ ـ ٥١ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ٦٣ أولـه ، والبيان ص ٧٣ بلفظ آخر ، وكذلك في الإمام المهدي ص ٥٣ وبشارة الإسلام ص ١٩٢ ومنتخب الأثر ص ٤٥٦ والبحار ج ٥٢ ص ١٨٨ والملاحم والفتن ص ٦٠ وص ٦١ .

ذكرنا عنهما شيئاً مفصّلاً . وذلك ممّا لا شكّ فيه . . وقد رُوي عنه أيضاً قولُه عليه السلام :)

ـ ويخرج المهديُّ منها (أي من المدينة) على سنّة موسى خائفاً يترقّب حتى يقدم مكة . ويُقبل الجيش حتى إذا نزلوا بالبيداء وهو جيش الهلاك ، خسف بهم فلا يُفلت منهم إلاّ مُخبر . [1] (يبقى أثنان كما ورد في فصلٍ سابق . وقد قصدَ الإمامُ عليه السلام هنا النوعَ لا العدد ، ولذلك قال عليه السلام في حديث آخَر :)

ـ . . إنه لا ينجو سوى اثنَين من قبيلة جُهَينة . وهذان الاثنان يُخبران الناسَ عن قصة الخسف ، وأسماهما : بشيرٌ ونذير . [2] (ولذلك قيل في المثل السائر : وعند جُهينة الخبرُ اليقين . . ثم جاء عن ابن عباس رضي الله عنه من كلامٍ له عن الخسف بالجيش السفيانيِّ :)

ـ . . . فإذا أتوا البيداء فينزلها في ليلة مُقْمِرة ، أقبل راعٍ ينظر إليهم ويعجب فيقول : يا ويحَ أهل مكة ما جاءهم ! ! ! فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً ، فإذا هم قد خُسف بهم ، فيقول : سبحانَ الله ارتحلوا في ساعة واحدة ! ! ! فيأتي منزلَهم فيجد قطيفةً (أي ثوباً) قد خُسِفَ ببعضِها وبعضُها على ظهر الأرض ، فيعالجها فيعلم أنه قد خُسف بهم . فينطلق إلى صاحب مكّة فيبشّره ، فيقول صاحب مكة (أيّ المهديّ) : ألحمدُ لله ، هذه العلامة التي كنتم تُخبرون . فيسيرون إلى الشام . [3] (والحقيقة أنه يبقى اثنان يخبر أحدهما المهديَّ عليه السلام وهو بشير ، ويخبر الثاني السفيانيَّ وهو نذير ، كما رأيت في موضوع يوم الخلاص ثم قال الباقر عليه السلام عن جيش السفيانيّ :)

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٥٠ وإلزام الناصب ص ١٧٦ وبشارة الإسلام ص ١٠٢ باختلاف يسير ، وصحيح مُسلم ج ٨ ص ١٦٧ مضمُونُه ، ومثله في المهدي ص ١٩٢ وص ١٩٤ وص ٢٠٩ نقلاً عن البخاري ، ومثلُه في إسعاف الراغبين ص ١٥٠ وص ١٥٣ .

(٢) بشارة الإسلام ص ٢١ وص ١٩٢ ومنتخب الأثر ص ٤٥٦ قريبٌ منه ، والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٤ بتفصيل ، وص ١٦٠ والإمام المهدي ص ٥١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ بلفظ آخر ، وإلزام الناصب ص ١٩٠ باختصار .

(٣) بشارة الإسلام ص ١٨٤ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٤ .

ـ فيه نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ، آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وجوهاً فَنَرُدَّها على أَدْبَارِها ﴾ [1] : لا يفلت من جيش السفيانيّ الهالكين في خسف البيداء سوى ثلاثة نَفَرٍ يحوّل اللّهُ وجوهَهم في أقفيَتهم ، وذلك عند قيام القائم المهديّ ﷺ . [1] (وقال ﷺ في تأويل :)

ـ ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ، وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [2] : إنهم طلبوا المهديَّ من حيث لا يُنال [2] (ثم قال ﷺ في تفسير :)

ـ ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ : هو الصيحة ، ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : وهو الخسف ، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ﴾ : وهو اختلاف الناس في الدِّين وطعنُ بعضهم على البعض ، ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ : وهو أن يقتل بعضُكم بعضاً . وكلُّ ذلك في أهل القبلة [3] . (أي بين المسلمين . . وقد ورد بلفظه عن الصادق ﷺ . وفي هذه البرهة بالذات تُقتل النفس الزكية ، ويخرج المهديّ ﷺ إلى بيت الله الحرام ليقوم بأمر الله في الوقت الذي تنخسف البيداء بجيش الهلاك ، حيث يرسل اللّهُ تعالى صوتاً من السماء هو صوت جبرائيل ﷺ ـ وصفَه الإمامُ الباقر ﷺ بقوله :)

ـ وينزل جيش السفيانيّ البيداء ، فينادي منادٍ من السماء : يا بَيداءُ أَبيدي القومَ ، فيُخسف بهم [4] ! . (فيرى الناسُ ما حدَّثهم عنه عليٌّ ﷺ حين قال : لا يخرج إلّا إذا كَبَس الكابوس كما مرَّ معنا في خطبته ، ويَعقب صوتَ جبرائيل ﷺ ضربةٌ للأرض بجناحه يغور الجيشُ منها في الرمل ! . ثم قال الباقر ﷺ عن نهاية

---

(١) النساء ـ ٤٧ ، والخبر في الغيبة للنعماني ص ١٥٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ٧٦ ـ ٧٧ بتفصيل ، وبشارة الإسلام ص ١٠٢ والإمام المهدي ص ٣٦ وص ٢٢٤ وإلزام الناصب ص ١٩ وص ١٧٥ .

(٢) سبأ ـ ٥٢ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ١٨٧ وغيره .

(٣) الأنعام ـ ٦٥ ، والخبر في البحار ج ٥٢ ص ١٨١ بتفصيل ، ومثلُه في بشارة الإسلام ص ١٠٠ وص ١٠٢ وإلزام الناصب ص ١٧٥ والإمام المهدي ص ٤٠ والمهدي ص ١٩٤ .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ٢٣٨ والمهدي ص ١٩٤ وبشارة الإسلام ص ٢١ بلفظ قريب .

حركة السفياني وقدومه من العراق بعد وصول خبر ظهور المهديّ إليه ـ كما ذكرنا سابقاً ـ :)

ـ يخرج السفيانيُّ بمئة وسبعين ألفاً فينزل بحيرة طبريَّة . ويسير إليه المهديُّ ﷺ ثم يواقعه هناك . ولا تكون ساعة حتى يُهلك اللَّهُ أصحابَه ولا يبقى إلاَّ هو وحدَه . فيأخذه المهديُّ ﷺ فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها مدلاَّةٌ على بُحيرة طبريَّة ، ثم يملك مدينة دمشق [1] . (وفي نهاية هذا الموضوع ترى تفصيلاً أوفى لهذه المعركة .)

قالَ الإمام الصّادق ﷺ :

ـ إنّا وآل سفيان بَيتانِ تعادَيا في الله . قُلنا : صدقَ الله ، وقالوا : كذَبَ الله ! . قاتَل أبو سفيان رسولَ الله ﷺ وقاتلَ معاويةُ عليَّ بنَ أبي طالب ﷺ ، وقاتلَ يزيدُ بنُ معاوية الحسينَ بنَ علي ﷺ والسفيانيُّ يُقاتِل القائم ! [2] . (وقال ﷺ :)

ـ إنَّ أمر السفيانيِّ من المحتوم ، وخروجه في رجب ، يأتي أرض قرار ومَعين (أي دمشق) ويستوي على منبرها [3] . (أي : حُكمها : وقيل إنه :)

ـ يخرج من بَني صخرٍ ، فيبدِّل الرايات السُّود بالحُمر . (ثم قال ﷺ يصفه :)

ـ . . . هو أحمرُ أشقرُ أزرقُ . ضخمُ الهامة ، رَبعةٌ ، خشِنُ الوجه ، في وجهه أثرُ الجدري . إذا رأيتَه حسِبتَه أعورَ وما هو بأعور لأن في عينه نُكتةَ بياض . وهو من أخبث الناس لأنه لم يَعبد اللَّهَ قط ، ولم يرَ مكّة قط ، ولا المدينة قط ! [4] . (وقال

---

(١) انظر بشارة الإسلام ص ٤٦ وص ١٩٢ وص ٢٤٩ وص ٢٧٧ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ ما عدا أوله ، وإلزام الناصب ص ٢٠١ (بألفاظ مختلفة أو متقاربة ، وبمعناه) .

(٢) معاني الأخبار ص ٣٤٦ والبحار ج ٥٢ ص ١٩٠ وإلزام الناصب ص ١٨٠ .

(٣) نصفه الأول في البحار ج ٥٢ ص ٢٠٤ ومنتخب الأثر ص ٤٥٧ وبشارة الإسلام ص ١١٩ وص ١٢٠ وص ١٢٨ والإمام المهدي ص ٢٢٨ ، ونصفه الأخير في بشارة الإسلام ص ١٠٦ وإلزام الناصب ص ١٧٩ وغيرهما من المصادر .

(٤) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٠٦ وص ٢٥٤ والغيبة للنعماني ص ١٦٤ ومنتخب الأثر ص ٤٥٨ وإعلام الورى ص ٤٢٨ وإلزام الناصب ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨١ وبشارة الإسلام ص ١٠٦ وإسعاف الراغبين ص ١٣٨ .

الصادق عليه السلام لبعض أصحابه ، مشيراً إلى علامةٍ تسبق ظهور السفيانيّ :)

ـ لا يكون ما تحبُّون حتى يختلف بنو فلان (أي بنو العباس) فيما بينهم ، فإذا اختلفوا طمع الناس وتفرَّقت الكلمة ، وخرج السفيانيُّ [1] . (وورد هذا الحديث عنه عليه السلام بلفظ :)

ـ لايكون ذلك حتى يختلف سيف بني فلان ، وتضيق الحلَقة ، ويظهر السفيانيّ ، ويشتد البلاء ويشمل الناس موتٌ وقتلٌ يلجأون فيه إلى حَرم الله وحَرم رسوله [2] . (وورد عن الباقر عليه السلام حديث بمعناه يختلف لفظُه قليلاً . ثم جاء عن الصادق عليه السلام بنفس المعنى مع اختلاف في اللفظ ، قولُه :)

ـ لا بد من فتنة صمّاء ، يشتد فيها البلاء ، ويشمل الناس موتٌ وقتلٌ يلجأون فيه إلى حَرم الله وحَرم رسوله [3] . (وهو يَعني فتنةَ السفيانيِّ ولجوءَ أناس معيَّنين من الهاشميين إلى الحرمَين على رأسهم القائم عليه السلام ليستعدَّ للوثبة السعيدة . . ثم قال عليه السلام عن بدءِ ظهور السفيانيّ :)

ـ يخرج مع سبعة نَفَرٍ ، مع أحدهم لواءٌ معقود ، يُعرفون بالنَّصر . يسيرون على ثلاثين ميلاً لا يَرى ذلك العَلَم أحدٌ إلاّ انهزم [4] . . (وسيرُ الثلاثين ميلاً يكون من الوادي اليابس ـ مكان خروجه ـ حتى دمشق . . ثم جاء عنه عليه السلام ما يوضح معالم الحركة :)

ـ حين يقترب السفياني من دمشق يهرب حاكمُها ، وتجتمع إليه قبائل العرب ، ويخرج الربيعيّ والجرهميّ والأصهب وغيرُهم من أهل الفتن والشغَب ، فيغلب السفيانيُّ من يحاربه منهم ويستولي على الشام [4] . (ثم جاء عنه عليه السلام قولُه :)

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٣٨ ومنتخب الأثر ص ٢٥٢ بلفظ قريب ، والبحار ج ٥٢ ص ٢٦٤ وص ٢٣١ رُويَ عن الإمام الباقر عليه السلام .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٣١٩ ومنتخب الأثر ص ٢٥٢ وإعلام الورى ص ٤١٦ والبحار ج ٥١ ص ٣٦٥ وج ٥٢ ص ١٥٧ وبشارة الإسلام ص ١٤١ .

(٣) بشارة الإسلام ص ١٤٤ .

(٤) إلزام الناصب ص ١٨٨ .

ـ يخرج السفيانيُّ بالشام ، فينقاد له أهل الشام إلاّ طوائفَ من المقيمين على الحق يَعصمهم الله من الخروج معه (1) . (وقال عليه السلام مُدرِّباً ومُعلِّماً لشيعته :)

ـ السفيانيُّ لا بدَّ منه ، ولا يخرج إلاّ في رجب ، فقال له رجل : يا أبا عبدالله ، إذا خرج فما حالُنا ؟ . قال : إذا كا ذلك فإلينا (2) . (وورد عنه عليه السلام بلفظ :)

ـ لا تَبرحِ الأرض حتى يخرجَ السفياني ، فإذا خرج السفيانيُّ فأجيبوا إلينا ـ يقولها ثلاثاً ـ وهو من المحتوم (3) . (يريد بذلك عدمَ المُسارعَة إلى من يدَّعي أمرَهم قبل السفيانيِّ ، وعدمَ السير مع كلِّ داعية يتذرَّع بالنداء بالحق . ثم قال عليه السلام يحثُّ على السكينة ولُزوم البيت أثناء الفتن :)

ـ إلْزَمْ بيتَك وكُنْ حِلْساً من أحْلاسهِ ، واسكُنْ ما سكنَ الليلُ والنهار . فإذا بلغك أن اليمانيَّ قد خرج فارحلْ إلينا ولو حبواً على رِجْلِك (4) . (وورد : على رَحْلك) وقبل ذلك ثلاث رايات : راية حسينيَّة ، وراية أمويَّة ، وراية قيسيَّة . فبينا هم كذلك إذ يخرج السفيانيُّ فيحصدهم حَصْدَ الزرع ، ما رأيت مثلَه قَط ! (5) . (والذي يُرْبِكُ في هذا الخبر تقسيم الرايات ، ولكن لا تَنْسَ أنه عَنى بالحسينيَّة راية اليمانيِّ ، وبالأموية راية الأبقع ، وبالقيسيَّة راية المصري والمغربيّ . . ثم حدَّث عن الخطف الذي يمارسه المتحاربون فيما بينهم في أيامنا الحاضرة ، بل حدَّث عن القنص أيضاً ، منذ ثلاثة عشر قرناً ، فقال عليه السلام لأصحابه :)

ـ ما تَمُدُّونَ إليه أعْيُنَكم ؟ . فما تَستعجلون ؟ . ألستم آمنين ؟ . أليس الرجلُ منكم يخرج فيقضي حوائجَهُ ثم يَرجع لم يُخْطَفْ؟ ! ! . إنْ كان ما قبلكم على ما أنتم عليه ، ليُؤخَذ الرجل فتُقطع يداه ورجلاه ، ويصلب على جذوع النخل ، ويُنشر

---

(1) الغيبة للنعماني ص ١٦٣ وبشارة الإسلام ص ٥١ رُويَ عن أمير المؤمنين عليه السلام .
(2) البحار ج ٥٢ ص ٢٤٩ والغيبة للنعماني ص ١٦٢ وبشارة الإسلام ص ١٤٠ .
(3) البحار ج ٥٢ ص ٢٤٩ وص ٢٦٦ في الحاشية ، ومصادر الرقم السابق بألفاظ متفاوتة .
(4) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ وص ٣٠٣ وإلزام الناصب ص ١٨٠ وبشارة الإسلام ص ١٤٢ .
(5) البحار ج ٥٢ ص ٢٧١ وبشارة الإسلام ص ١٤٢ .

بالمنشار ، ثم لا يَعدو ذَنْب نفسه ! . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ، حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ : مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟ . أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [1] . (فمن لم يُصدِّق هذا الصادقَ الصادقَ كان من المكذِّبين بالحق ! . فقد بدأ الرجل منّا يَخرج لحاجته فلا يعود ، فيُقنَص أو يُختطَف ويُذبح وتُقطَع يداه ورجلاه ويُمثَّل به أشنعَ وأبشعَ التمثيل . والخطف والقنص في بيروت عاصمة الجمهورية اللبنانية وفي كثير من مناطق العالم هما الظاهرةُ الحديثةُ للانتقام اللاّإنسانيّ ! . ولا يَعدو هذا الأمر أنْ كان ذَنْب الناس كما قال الإمامُ عليه السلام ، لأنهم حادوا على الدِّين وتعادَوا إلى المعاصي تعاديَ الذئاب إلى الميتة النَّتنة ، فنزلت بهم مثل هذه النقمة من السماء ! . وقد نبَّهنا إلى آمَنِ مكانٍ أثناء الفتن التي تنتهي بفتنة السفيانيّ ، فقال عليه السلام :)

ـ خيرُ المساكن مكةُ وبيتُ المقدس [2] . (ورُوِي عن الباقر عليه السلام قوله :)

ـ خيرُ الأماكن يومئذٍ بيت المقدس . لَيَأتينَّ على الناس زمانٌ يتمنّى أحدُهم أنه من سكّانه [3] . (وهو يعني العهد السفياني . . ثم يُتم الصادق عليه السلام رسمَ صُوَرِ ذلك العهد بقوله :)

ـ منادٍ ينادي في دمشق بعد أن ينزلها التُّرك ويجاوزونها إلى الجزيرة وعلى رأسهم خاقان الأتراك ، يتبعهم الروم الظواهر بالرايات والصُّلُب ، ولا يزال الناس كذلك حتى يُقْرَع الرأس [4] . . (وكلُّ ذلك قد جرى وقوعُه ، والأمر صار يستدعي انتظارَ هجوم الغربيِّين ، أو الشرقيِّين ، على دمشق وغيرها من الدول العربية ، مساعدةً لليهود واحتلالاً للشرق الأوسط بعنوان المحافظة على منابع البترول ، ويكون ـ من

---

(١) البقرة ـ ٢١٤ ، والخبر في الغيبة للطوسي ص ٢٧٦ .
(٢) منتخب الأثر ص ٤٢٨ والغيبة للنعماني ص ١٦١ وبشارة الإسلام ص ١٠٩ .
(٣) بشارة الإسلام ص ٤٤ وإلزام الناصب ص ١٨٠ والإمام المهدي ص ٢١٩ نقلاً عن البحار الطبعة القديمة ج ١٣ ص ١٥٦ .
(٤) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٢٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ والغيبة للطوسي ص ٢٧٩ والملاحم والفتن ص ٢٩ ذِكر عبدالله ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ وبشارة الإسلام ص ١٧٧ وص ١٨٨ مع تفصيلٍ وافٍ .

ثمّ ـ قَرْع الرأس . . ثم قال عليه السلام يصف معركة قرقيسيا التي تسبق دخول السفيانيّ إلى العراق :)

ـ يمرُّ جيشُ السفيانيِّ المتوجّه إلى العراق بقرقيسيا فيكون قتال بين عبدالله وعبدالله (؟) فيرجع المغربيُّ إلى الجزيرة بعد أن يُقتل من الطرفين مئة ألف . . ثم يتابع الجيش السفيانيُّ سيره ، فيسبق اليمانيُّ إلى العراق ، فيمرُّ في بغداد فترتفع فيها ريح سوداء في أول النهار ، ويصيبها زلزال حتى ينخسف كثيرٌ منها ، وحتى تنخسف (الحلة) من الرجفة وتنخسف البصرة وتخرب [1] . . (وقد تحدث الريح السوداء من تفجير خزانات البترول وإحراقها مثلاً ، وقد يكون الخسف من جراء القذف والتدمير ونسف الجسور ، وقد يكون ذلك آيةً سماوية . . أما عبدالله وعبدالله الوارد آسماهُما في الحديث فإنهما قائدا الجيشين العربيَّين : المغربيّ والمصريّ ، أو أن قائداً للسفيانيِّ هو أحد هذين القائدَين والله أعلم . . ثم ذكرَ قرقيسيا والمعركة المذهلة التي تكون فيها مرةً ثانيةً فقال عليه السلام :)

ـ تُبنى مدينةٌ مما يَلي المشرق يكون فيها وقعةٌ لم يسمع أهلُ ذلك الزمان بمثلها ، ثم تنجلي هي والوقعة التي في الشام عن أربعمئة ألف قتيل ! . ثم يخرج المهديُّ في إثر ذلك لا تُرَدُّ له راية [2] . . (وقال عنها أميرُ المؤمنين عليه السلام :)

ـ يُبْنَى مدينةٌ يقال لها الزوراء بين دجلةَ ودُجَيل والفرات . فلو رأيتموها مشيَّدةً بالجصِّ والآجرِّ المزخرف بالذَّهب والفضة واللّازورد والمَرْمَر والرُّخام وأبواب العاج والآبنوس والخِيَمِ والقباب والسِّتارات ! : وتوالت عليها ملوك بني شيصبان ، أربعةً وعشرون ملكاً [3] . . (ثم قال عليه السلام عنها في موردٍ آخر :)

ـ . . وتُبْنَى مدينةٌ يقال لها الزوراء ، بين دجلةَ والفرات . ملعونٌ مَن بَناها

---

(١) انظر البحار ج ٥٢ ص ٢٢٠ والمحجة البيضاء ج ٤ ص ٣٤٣ والغيبة للطوسي ص ٢٧٩ والملاحم والفتن ص ٢٩ ذِكر عبدالله ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ وبشارة الإسلام ص ١٧٧ وص ١٨٨ مع تفصيلٍ وافٍ .

(٢) انظر بشارة الإسلام ص ٥٦ـ ٥٧ وص ٥٩ وغيره من المصادر .

(٣) بشارة الإسلام ص ٧٣.

وسكَنَها . منها تخرج طينةُ الجبَّارين . تُعَلّى فيها القصور ، وتسْدَلُ السُّتورُ ، ويتعاملون بالفجور [1] ! . (ولعنُ ساكِنِها يُقصد به الباني الذي أمر بسُكْناها ، ومَن يستحق اللَّعن من الظالمين والجبَّارين . . ولكن ، من أين لأمير المؤمنين ﷺ هذا الـوصفُ الدقيقُ لمدينةِ بغداد التي كان مكانُها في أيامه كُثْباناً من الرَّمل في باديةٍ مترامية الأطـراف ليس فيهـا أيُّ أثرٍ للحيـاة إذا استثنينا بعض نبـاتات ضفـاف دجلة والفرات ؟ ! . إنـه وصفٌ يعجز عنه أيُّ واصفٍ رأى بغدادَ اليومَ وهي في رونق بهجتهـا وازدهارهـا وخُيَلائهـا ! . وذلك ليس عِلْم غَيْب وإن كان من الْغَيْبِ . . لأنـه ـ بحقيقته ـ علمٌ أفـاضه اللّه تعـالى على رسوله ﷺ فعلّمه لأوصيائـه ، فباحـوا به للصَّـالحينَ من أُمّته . . ثم قـال الإمامُ الصادقُ ﷺ عن معركة قرقيسيا أيضاً :)

ـ إنَّ لِلّهِ مأدُبةً في قرقيسيا ، يطّلع مُطّلع من السمـاء فينادي : يـا طيرَ السمـاء ، ويا سباعَ الأرض : هلمّوا إلى الشبع من لحوم الجبّارين ! [1] . (وقد أصبح الاطّـلاع من السماء ، والنداء من الآفاق شيئاً عادياً في عصرنا بعـد الأقمار الصنـاعية ومحـطات بَثِ صـوَر التلفزة . فكيف إذا بـرزت قدرةُ الله تعـالى إلى الميدان ؟ ! ! ثم ذكـر هـذه الموقعة مرةً أخرى فقال ﷺ :)

ـ يَلتقي السفيـانيُّ بـالأبقـع ـ في الشـام ـ فيقتلُه السفيـانيُّ ومَن معـه . ثم يَقتـل الأصهبَ وأتبـاعَه . ثم لا يكـون له هَمٌّ إلاّ آل محمـدٍ وشيعتهم والمثول إلى العـراق . ويمرُّ جيشُه بقرقيسيا فيقتتلون بها ـ يقتتلُ العربُ فيما بينهم ، ومع التُّرك أيضاً كما رأيت فيما سبق ـ فيُقتلُ بها مئةُ ألـف . ويَبعث السفيانيُّ جيشاً إلى الكـوفة ، وعـدّتُهم سبعون ألفاً ، فيُصيبون من أهلِ الكوفـة قتلاً وسَبْيـاً [2] . . (وردَ مثلُه عن الباقـر ﷺ . . ثم وصفَ الصادقُ أيضاً نهضةَ الهاشميِّ وقَتْلَه وحَرْقَه ، وألْقَى أضـواءً على معركـة قرقيسيـا بقوله ﷺ :)

---

(١) الغيبة للنعماني ص ١٤٨ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤٥ وإلزام الناصب ص ١٨٩ .
(٢) الغيبة للنعماني ص ١٤٩ ـ ١٥٠ والبحار ج ٥٢ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ والإمام المهدي ص ٢٢٤ رُويَ عن الإمام الباقر ﷺ ، ومثلُه في إلزام الناصب ص ١٧٦ ، وبشارة الإسـلام ص ٥٥ وص ١٠٢ وص ١٩٢ شيءٌ منه ، والمهدي ص ١٩٤ ما عدا أوله .

- يخرج قبل السفيانيّ من يدعو لآل محمد (يعني الخراساني) وينزل التُّرك الحيرة (تحريف عن الجزيرة قطعاً) وينزل الروم فلسطين (أي اليهود) . ويسبق عبدُالله (والظاهر أنه المغربي) حتى يلتقي جنودُهما بقرقيسيا على النهر ، ويكون قتال عظيم . ويسير صاحب المغرب فيَقتل الرجال ويسبي النساء ، ثم يرجع في قيس حتى ينزل الحيرة السفيانيُّ فيسبق اليمانيَّ ، ويحوز السفيانيُّ ما جمعوا [1] . (ثم قال ﷺ يصف هول تلك الكارثة :)

- إذا خرج السفياني تُغَيِّب الرجالُ وجوهَها . (أي يجب أن تتوارى وتختبيء من ظُلمه ، لأنَّ فِعْل : تغيَّب ، جاء في محل الدعاء والطلب) وليس على العيال بأس . فإذا ظهر (أي انتصر) على الكُوَر الخَمس فانظروا إلى صاحبكم [2] . (أي انتظروا المهديَّ ﷺ . والكُور الخَمس هي : دمشق ، وفلسطين ، والأردنّ ، وحمص ، وحلب كما عيَّنتها الأخبار . . ثم قال ﷺ يوماً ، مخاطباً بعض العراقيين ومشيراً إلى جيوش السفيانيّ :)

- إذا خرج السفيانيُّ يبعث جيشاً إلينا (أي إلى الحجاز) وجيشاً إليكم (أي إلى العراق) فإذا كان ذلك فَأتونا على صعبٍ وذَلول [3] . (ثم قال ﷺ عن غزو يثرب :)

- ويُؤخَذُ آلُ محمدٍ صغيرُهم وكبيرُهم ، لا يُترك منهم أحدٌ إلاّ حُبِس [4] ! .
(وقال ﷺ :)

- يبعث السفيانيُّ جيشاً إلى المدينة فيأمر بقتلِ كلِّ مَن كان فيها من بَني هاشم . فيُقتلون ويفرُّون هاربين إلى البراري والجبال حتى يظهر المهديّ ﷺ [5] . (ثم

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٠٨ وبشارة الإسلام ص ١٧٧ وص ١٩٢ بلفظ آخر وبمعناه .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٢ وص ٢٧٥ وإعلام الورى ص ٤٢٨ وبشارة الإسلام ص ١٢٢ وص ١٢٣ وفيها عددُ الكُوَر ، وص ١٤٣ .
(٣) الغيبة للنعماني ص ١٦٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥٣ وقريبٌ منه في بشارة الإسلام ص ١٤٠ وص ١٩٢ وص ٢٧٦ .
(٤) إلزام الناصب ص ١٧٦ .
(٥) الملاحم والفتن ص ٤٦ والحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٣ والبحار ج ٥٢ ص ٣٠١ قريبٌ منه .

قال ﷺ عن تلك الموقعة :)

- ويَبعثُ السفيانيُّ عسكراً إلى المدينة ، فيُخربونها ، ويَهدمون القبرَ الشريفَ ، وتَروثُ بِغالُهم في مسجد رسول الله ! ! ! ! (١) . (ثم قال ﷺ :)

- يَعمد المهدي إلى حِمَى مكة وظل البيت الحرام (٢) . . (ثم وصف كارثة العراق أيضاً بقوله ﷺ :)

- ويلٌ للزوراء من الرايات الصُّفر ورايات المغرب وراية السفيانيّ ! (٣) .

(وقال ﷺ :) - تكون الزوراءُ محلَّ عذابِ الله وغَضَبه . تُخربها الفتنُ وتتركُها جَمَّاء ! . فالويلُ لها ولمن بها كُلَّ الويلِ من الرايات الصُّفر ورايات المغرب ومَنْ يُجْلِبُ في الجزيرة - يعني السفياني - ومن الرايات التي تسير إليها من قريب ومن بعيد ! . وَاللّٰهِ لَيَنزِلَنَّ بها من صُنوفِ العذاب ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ بمثلِهِ ! . ولا يكون طوفانُ أهلها إلا بالسيف ، فالويلُ لمن اتَّخذَ بها مَسْكناً ، فإنَّ المُقيمَ بها يبقى لشقائه ، والخارجَ منها برحمة الله ! .

فواللّٰهِ إنَّ بغداد لَتَعمُرُ في بعض الأوقات حتى أن الرَّائي يقول : هذه هي الدنيا . وإنَّ دُورَها وقصورَها هي الجنة ! . وإنَّ بناتها هُنَّ الحورُ العينِ ! . وإن ولْدانَها هم الوِلْدان . ! . وَلَيَظُنَّنَّ أن اللّٰهَ لم يَقسِم الرزقَ إلاَّ بها ! . ولَيَظهرنَّ فيها من الافتراء على اللّٰهِ ورسوله والحُكمِ بغير كتابه ، ومن شهادات الزُّور ، وشُرب الخُمور ، وإتْيان الفُجور ، وأكلِ السُّحت ، وسفكِ الدماء ما لا يكون في الدُّنيا كلها إلاَّ دونَه ! ! ! ثم لَيُخربنَّها اللّٰهُ بتلك الفتن وتلك الرايات ، حتى يمرَّ المارُّ فيقول : ها هنا كانت الزوراء (٤) ! ! ! (وأصحابُ الرايات الصُّفر هُم التُّركُ الشرقيون . . .

---

(١) إلزام الناصب ص ١٩٠ .

(٢) انظر المهدي ص ٢٠٩ وص ٢١٠ نقلاً عن عقد الدرر ، وتجده بألفاظ مختلفة في مصادر كثيرة .

(٣) الملاحم والفتن ص ١٠٩ وبشارة الإسلام ص ١٤٣ و٢٧٣ وإلزام الناصب ص ٢١٨ والبحار ج ٥٣ ص ١٤- ١٥ ومصادر أخرى .

(٤) البحار ج ٥٣ ص ١٤ - ١٥ وبشارة الإسلام ص ١٤٣ بتفصيل ، وكذلك في ص ٢٧٣ ، وكذلك في إلزام الناصب ص ٢١٨ .

ولكن ، ألَا يتعجَّب الناسُ من أن هذا القول صَدَرَ عن رجلٍ عاش قبل أيامنا هذه بألفٍ ومئتي سنة ؟ . فكيف تَسنَّى له أن يصف بغداد هذا العهد بالذات ؟ . إنه الإمَامُ الصادقُ وكفى . . يصدُر بعلْمِهِ عن جدِّه رسول الله ﷺ وجدُّه يَصدُر بقوله عن الله تبارك وتعالى . . فما وزنُ قولِ الخصمِ إذا قال : رَأيي كذا ، وأعتقدُ كذا وكذا ، حين نَجْبَهُه بقول الصادق ؑ ، الذي يقول : حدَّثني أبي عن جدِّه ، عن أبيهِ عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل ؑ عن الله تبارك وتعالى ؟ ! !

ثم قال ؑ :) ـ وتتعطَّلُ المساجدُ من المصلِّين أربعين ليلة (٢) . (وذلك حين تُحاصَرُ المدنُ العراقية بذلك الشكل الخانق ! . وكان رسول الله ﷺ قد قال :)

ـ تكون وقعةٌ بالزوراء . قيلَ : وما الزوراء ؟ قال : مدينةٌ بالمشرق بين أنهارٍ ، يَسكُنها شِرارُ خلق الله وجبابرةٌ من أمَّتي . تُقذَفُ بأربعة أصناف من العذاب : بالسيف ، وخَسف ، وقَذف ، ومَسْخ ! (٢) . (فهل صدَر الأئمةُ ؑ إلَّا عن هذا المَعين الكريم الذي يَنقُل عن رب العالمين ؟ ! . ثم قال الصادق ؑ وهو يذكر الأمويِّين :)

ـ لا يذهب ملكُ هؤلاء حتى يَستعرضوا الناس بالكوفة يوم الجمعة . فكأني أنظر إلى رؤوسٍ تَندار (أي تسقط) فيما بين باب الفيل (حواليَ المسجد) وأصحاب الصابون ! . يُقتل فيها أربعة آلاف ! (٣) . (وروي عن الباقر ؑ بلفظه . وجاء عن الصادق ؑ أيضاً :)

ـ لا يخرج القائم ؑ حتى يُقرأ كتابان : كتابٌ بالبصرة ، وكتابٌ بالكوفة بالبراءة من عليّ ! ! ! (٤) (وقال ؑ أيضاً :)

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٣ وج ٥٣ ص ٨٢ وبشارة الإسلام ص ٥٨ وص ٦٧ وص ٦٨ وإلزام الناصب ص ١٧٦ .

(٢) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٥٩ .

(٣) الإرشاد ص ٣٤٠ والغيبة للطوسي ص ٢٧٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢١١ وبشارة الإسلام ص ١٢٤ بلفظ آخر ، وفي غير هذه المصادر . وبابُ الفيل ، وأصحاب الصابون ، شارِعان في الكوفة .

(٤) الغيبة للنعماني ص ١٦٥ والبحار ج ٥٢ ص ٣٦١ وبشارة الإسلام ص ١٩٩ والغيبة للطوسي =

ـ كأني بالسفيانيّ قد طرح رَحْله في رَحبتكم (أي نزل في ساحتكم) ، فينادي مناديه : من جاء برأس كوفيٍّ فَلَهُ ألفُ درهم ! (وقيل : من جاء برأس واحدٍ من شيعة عليّ ! .) فيَثِب الجارُ على جاره ، والأخُ على أخيه ويقول : هذا منهم فيَضرب عُنقَه ويأخذ ألف درهم ! . أمَا إن إمارتَكم يومئذٍ لا تكون إلاّ لأولاد البغايا . كأنّي أنظر إلى صاحب البُرقع (أي السفياني الأجدر الوجه) رجلٍ منكم ويقول بقولكم (أي أنه عربي ويدّعي الإسلام) يعرفكم ولا تعرفونه ، فيحوشكم فيغمزكم رَجُلاً رَجُلاً . أما إنه لا يكون إلاّ ابنَ بَغيّ ، لا يَدع أحداً رآه إلا قَتله أو صَلبه ! . حتى أن الرجل يمرُّ بالدُّرة العظيمة مطروحةً في الأرض فلا يتعرَّض لها من شدة الخوف ! [1] . (ثم قال ﷺ متحدِّثاً عمّا يجري في تلك الأثناء :)

ـ ثم تنخسف البصرة وتخرب ، ويعم العراقَ خوفٌ شديدٌ لا يكون معه قرار ، ويقع الموت الذريع بعد أن يدخل جيشُه إلى بغداد فيُبيحها ثلاثة أيام ويَقتل من أهلها ستين ألفاً (وقيل سبعين) ويُخرب دُوْرَها ، ثم يُقيم بها ثماني عشرة ليلة فيقسم أموالها ، ويكون أسلم مكانٍ فيها الكرخ [2] . (وقال ﷺ لأهل الكوفة مرة يَعدهم بالنكبة :)

ـ حجُّوا قبل أن لا تحجُّوا ، قبل أن يُمنع البِرّ جانبِه . حجُّوا قبل أن يُهْدَم مسجدٌ بالعراق بين نخلٍ وأنهار (يقصد مسجدَ بُراثا المبارك) . حجُّوا قبل أن تُقطَع سِدرةٌ بالزوراء على عروق النخلة التي اجتنتْ منها مريمُ رُطَباً جَنِيّاً . فعند ذلك تُمنعون من الحج ، ويَنقص الثمار ، ويجدُ البلاء ، وتُبتلون بغلاء الأسعار وجَور السلطان ، ويَظهر فيكم الظلمُ والعدوان ، والوباءُ والجوع ، وتُظِلُّكم الفتنُ من جميع الآفاق ! . فويلٌ لكم يا أهلَ العراق إذا جاءتكم الراياتُ من خراسان ! . وويلٌ لأهل الريِّ من التُرك ، وويل لأهل العراق من أهل الريِّ ، وويلٌ لهم ثم ويلٌ ، ثم ويلٌ لهم من الشُطّ الذين

ص ٢٦٩ باختلاف يسير .

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢١٥ وص ٢١٩ والغيبة للطوسي ص ٢٧٣ ما عدا آخر جملة ، وإلزام الناصب ص ١٨٧ وص ١٧٩ آخرُه ، وبشارة الإسلام ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ما عدا آخره ، وص ٥٧ آخرُه .

(٢) انظر الملاحم والفتن ص ٤١ وص ١٠٢ ومنتخب الأثر ص ٤٢٥ وإعلام الورى ص ٤٢٩ والمهدي ص ١٩٧ (جميعُها بألفاظ متقاربة أو مختلفة ، وبمعنى واحد) .

آذانهم كـآذان الفار ! . صُفرٌ لباسُهم الحديد ، كـلامُهم ككـلام الشياطين ، صغـارُ الحدَق جردٌ مردٌ ، أستعيذ بـالله من شرِّهم ! ! أولئـك يفتـح الله على أيـديهم الـدِّين ويكون سبباً لأمرنا (١) . (ولـربما تكـون السُّدرة التي نـوَّه عنها قـد انقطعتْ أثنـاء عقد الجسر الموصوف بالأخبار يوم عملت الجرَّافات وغيرها فيه . وفي هذا الحـديث إشارة إلى الصينيين وأهل الشرق الأقصى وما يفعلون من الأفاعيل ! . ثم قال الإمامُ ﷺ في حديثٍ له عن السفيانيّ :)

ـ إذا استـوَى السفيـانيُّ على الكُـوَرِ الخَمس ، دمشق ، وحمص ، وحـلب ، والأردن ، وقنَّسرين ، فَعُدُّوا له تسعة أشهر (٢) . (ووردَ بختام : فانتظِروا الفَرَج . وقد رُوِيَ عن الباقر ﷺ بلفظه ، وورد ذكرُ فلسطين بدل الأردن . . ثم جـاء عنه ﷺ في حديث آخر :)

ـ السفيـانيُّ من المحتـوم ، وخـروجـه في رجب ، من أول خـروجـه إلى آخـره خمسة عشر شهراً : ستة أشهر يقاتل فيها . فـإذا ملك الكوَر الخَمس ملك تسعـة أشهر ولم يزد عليها يوماً . (٣) (ولا تنـافيَ بين جميع أخبـار عهده لأنهـا كلُّها متفقـةٌ على أنَّ حُكمه الجائرَ لن يدومَ أكثر من تسعة أشهر . وهذا الصادق ﷺ يقول :)

ـ يركبُ الأرضَ تسعةَ أشهر (أي الأرضَ العربيـة الإسلاميـة) يَسوم النـاسَ فيها سوءَ العذاب . فويلٌ لمصر ، وويلٌ للزوراء والويلُ للكـوفة وواسط (٤) ! ! ! (وبلفـظة مصر يقصد جيش المصريِّين الذي يهزمه ويقتل رجاله . . والحديث السابق جاء مكرَّراً بلفظ :)

---

(١) بشارة الإسلام ص ١٥٠ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٦٣ وفيها عددُ الكُوَر الخَمس ، وبشارة الإسلام ص ١٢٢ وص ١٢٣ وإلزام الناصب ص ١٨٠ والغيبة للطوسي ص ٢٧٣ قريبٌ منه ، وكـذلـك في البحـار ج ٥٢ ص ٢٠٦ وص ٢٠٨ وص ٢٥١ بتفصيل .

(٣) الغيبـة للنعمـاني ص ١٦٠ والبحـار ج ٥٢ ص ٤٤٨ وص ٤٤٩ ومنتخب الأثـر ص ٤٥٧ بلفظٍ قريب ، ومثلُه في بشارة الإسلام ص ٩٧ رُوي عن الباقر ﷺ .

(٤) الملاحم والفتن ص ١٠٩ ، وانظر أيضـاً بشـارة الإسـلام ص ١٤٣ وص ٢٧٣ وإلـزام النـاصب ص ٢١٨ وغيرها من المصادر .

- من أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً : ستة أشهر يقاتلُ فيها ، ثم يملك تسعة أشهر لا تزيد يوماً ! ! إذا كان ذلك فإلينا . .[1] (أي اسْعَوا نحوَنا لنُصرتنا فإن الأمر صائرٌ إلينا ، وجاء في حديث تفصيليٍّ آخر :)

- في شوّال يَشُولُ أمرُ القوم (أي يثور ثائرُهم ويكثر تنكيلُهم ويشتدُّ غضبُهم وتتفرق كلمةُ الناس) وفي ذي القعدة يَقعدون (أي يتربع السفيانيُّ على المُلك) وذو الحجّة شهرُ الدم (أي مذبحة مِنًى ومعركة قرقيسيا ومجزرة العراق ووقعة المدينة وذبح النفس الزكيّة) وفي محرّم يُحَرَّم الحلالُ ويحلَّل الحرام (أي يهيمن حُكم العصبية الجاهلية فتُرتكَبُ المحارم) وفي صفر وربيع خزيٌ عظيمٌ فأمرٌ عظيم (خزيُ الحكم السفيانيِّ وإبادة جيشه وتقويضُ مُلكه وذبحه) وفي جمادى الفتح من أولها إلى آخرها .[2] (أي انتصارات صاحب الأمر عجَّل الله تعالى فَرَجه ! .

فللّهِ دَرُّ هذه الأخبار القدسية التي تتحدث بكل ثقة في النفس ، وتذكرُ مواعيدَ الأحداث وتوقّتُها كأنّها هي التي حتمتها وأجْرَتها للقضاء المبرَم ! ! ثم لا تنسى الإشارة إلى أشياء لم يكن العقلُ البشريُّ قد ابتدعها أو فكّر فيها بعد ! . فاستمع إلى إمامنا الصادق ﷺ يعدِّد ، ويحدِّد ، ويسمِّي ، حتى كأنه يقف على الحادثة ويصف ، إذ قال :)

- إذا هُدم حائطُ مسجد الكوفة ، مؤخْرُه ، مما يلي دار عبدالله بن مسعود ، فعند ذلك زوال مُلك السفيانيّ . أمَا إنَّ هادمَه لا يَبنيه ! ! ![3] (ألا إنه غَيب ! . ولكنه من أسرار محمدٍ وآل محمد صلوات الله عليهم . أطلعَهم عليه علّامُ الغيوب ، لأنهم أُمناؤه على الوَحيِ وعزائمِ الأمور من مشيئته ! .) .

---

(١) البحار ج ٥٢ ص ٢٤٨ والغيبة للنعماني ص ١٦٢ بلفظ آخر .
(٢) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٢ وبشارة الإسلام ص ١٤٢.
(٣) الغيبة للنعماني ص ١٤٧ وإلزام الناصب ص ١٨٤ والبحار ج ٥٢ ص ٢١٠ والغيبة للطوسي ص ٢٧١ والإرشاد ص ٣٣٩ والمهدي ص ١٩٦ أوله ، وبشارة الإسلام ص ١٢١ وص ١٤٩ وص ١٧٥ وص ١٩٢ أوله ، ومثله في الإمام المهدي ص ٢٣٣ .

قال الإمَام الكاظِم عليه السلام :

ـ أنّى يكون ذلك (أي قيام القائم) ولَمّا تكثُر القتلى بين الحيرة والكوفة ! [1] .

(فمن المستحيل الذي أكّده النبيُّ وآله عليهم السلام أن يكون الفرَج إلّا بعد فتكة السفيانيّ النكراء في العراق . . هذا أمرٌ مفروغ منه في سَبْقِ القضاء . . آمَنَ به الكاظم وسلَفُه وخلَفُه كأنهم رأوه رأيَ العين . . ومن غير المعقول أن يستغرب الكاظم عليه السلام قرب الظهور ويفتتح حديثه بكلمة : أنّى ، إلّا ليؤكّدَ أنه على يقينٍ تامٍّ بمجزرة السفيانيّ السابقةِ لقيام القائم عليه السلام . .)

قال الإمَام الرّضا عليه السلام :

(قال له أحدُ أصحابه يوماً : أصلَحكَ الله ، إنهم يتحدّثون أنّ السفياني قد ذهبَ وذهبَ سلطان بَني العباس ـ اي كأنّه صرّح أمامه بزعم العباسيّين أن الإمام الرضا عليه السلام يطلب الولاية لنفسه ، وأنه القائمُ بالأمر ، وأن مُلك العباسيين على وشك الزوال ـ . فقال عليه السلام :)

ـ كذبوا . إن السفيانيَّ لَيَقوم ، وإن سلطانَهم لَقائم ! [2] (والواقع أنه بعد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلب أحدٌ من الأئمة الحُكم وولاية الأمور العامة في زمنه . لأنهم كانوا مأمورين بالسكوت وإتمام تأصيل العقيدة ونشر السنّة وتفسير الشريعة من القرآن ، وكانوا يعلَمون أن لِلّهِ أمراً هو بالغُه ، وأن الحُكم والسلطان لغيرهم حتى قيام قائِمهم وصاحبِ دولتهم . . ولذلك نرى أن المأمون العباسيَّ قد ألْزَم الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد إلْزاماً كما ذكرنا في أوائل كتابنا هذا ، لأن الرِّضا عليه السلام يعرف النتائج ، ويعرف أن المأمون يحتالُ بذلك على مَوالي الرضا وشيعته من جهة ، ويحجُبه عن قواعده الشعبية التي كانت تتعلّق به تعلُّقاً عجيباً من جهة ثانية . وعلى هذا الأساس بيّن الرضا عليه السلام أن الحُكم المنحرف سيبقى قائماً حتى يخرج السفيانيُّ

---

(١) الإرشاد ص ٣٣٩ والغيبة للطوسي ص ٢٧١ رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام ، وكذلك في البحار ج ٥٢ ص ٢٠٩ وكذلك في بشارة الإسلام ص ٩٦ وص ١١٥ وكذلك في الإمام المهدي ص ٢٢٣ .

(٢) الغيبة للنعماني ص ١٦٢ والبحار ج ٥٢ ص ٢٥١ وبشارة الإسلام ص ١٦٢ .

فيكون خروجه بشيراً للناس بفرَج الناس ويمُلك الهاشميين المؤجّل .

ومهما يكن من اشتباه في أمر السفيانيّ ، بل مهما ضاع عن معرفته ـ بذاته ـ العارفون ، فإن الدليل القاطع عليه ، هو مجزرتُه الهائلة في محوَر : بغداد ـ الكوفة ـ النجف التي يفتك فيها فتكاً ذريعاً بشيعة عليٍّ ﷺ خاصة ! . وقد أشار الرضا ﷺ على الشيعة البغداديِّين بالحَذَرِ من تلك المجزرة حين قال :)

ـ الكرخ ، أمَا إنه أسلَمُ موضع ، ولا بدَّ من فتنةٍ صمَّاء صَيْلَم ، يَسقط فيها كلُّ بطانةٍ ووليجة . [1] (فلا تنفع فيها شفاعة المقرَّبين من ذلك الحاكم الغاشم ولا تُجدي فيها الواسطة . . ثم أشار إلى علامات واضحة تسبق الفرَج وقيام دولة الحق وتدل على العهد السفيانيّ بقوله ﷺ :)

ـ إن قدَّام هذا الأمر علامات : حَدَثٌ يكون بين الحَرَمَين . فقيل : ما الحدث ؟ . قال : غضبةٌ تكون ، ويَقتل فلانٌ (أي السفيانيّ) من آل فلانٍ (أي من بني هاشم) خمسة عشر رجلاً ـ كَبشاً ـ . [2] (والغَضبةُ التي لم يوضحها أبو الحسن ﷺ هي الخسفُ في وادي صفرا بذات الجيش التي حدَّدها الإمامُ الصادقُ ﷺ باثني عشر ميلاً عن المدينة المنوَّرة من نحو مكة المكرمة . . هذا وقد ورد عنه ﷺ بشأن نهاية السفيانيّ ما يلي :)

ـ إن السفيانيّ وكلباً يُقتَلون في بيت المقدس (أي في المنطقة الواقعة فيها القدس) حين تستقبله البيعة (والضمير عائدٌ للقائم ﷺ دون غيره) فيؤتَى بالسفيانيّ أسيراً فيأمرُ به فيُذبَح على باب الرُّحبة (أي الساحة العامة) ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق [3] . (وهذا تساهُل في تحديد المكان أو هو وهمٌ من النقلة لأن ذَبْحَهُ يكون قبل وصول السفيانيّ إلى القدس وبعد خروج الإمام ﷺ منها متَّجهاً نحو السفيانيّ ليحاربه ويدخل دمشق . . ثم جاء عنه ﷺ أيضاً :)

---

(١) انظر مصادره سابقاً ـ في موضوع : الفتن .

(٢) انظر الغيبة للطوسي ص ٢٧٢ والإرشاد ص ٢٣٩ وبشارة الإسلام ص ١٥٩ والبحار ج ٥٢ ص ١٨٤ وص ٢١١ وإلزام الناصب ص ١٧٧ وص ١٨٤ والإمام المهدي ص ٢٣١ .

(٣) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٦ وإلزام الناصب ص ٢٠١ بلفظٍ قريب ، وفي مصادر كثيرة .

- إن السفيانيّ يُذبَح على بلاطة باب إيلياء . (١) (ولا نعلم فيما إذا كان يقصد بباب إيلياء موقعاً خاصّاً على ضفة بُحيرة طبريّة ، أو أنه يقصد مدخل فلسطين وأولَ طريق القدس التي هي إيلياء . . وجاء عنه قوله عليه السلام :)

- إنه يُذبح على الصَّفا (أي الصخرة : المتعرِّضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف دَرج طور زيتا المقنطرة . عليها يُذبح كما تُذبح الشاة . فالخائب من خاب يومَ كلب ، حتى تُباع المرأة بثمانية دراهم ! . (٢) (وقد رُوي عن أمير المؤمنين وعن الصادق عليه السلام في قتله :)

- في ذلك العهد يُقتل خليفة ما له في السماء عاذِرٌ ولا في الأرض ناصر (٣) .

قالَ الحجَّةُ المنتظَر عليه السلام :

(في كتاب كريم شرِّفَ به إبراهيم بنَ مهزيار ، حين شكا إليه ظُلم الدولة في عصره ، جاء قولُه عجَّل الله تعالى فرَجه :)

- ﴿ قاتَلَهم اللَّهُ أنَّى يُؤْفَكون ﴾ ! . كأنِّي بالقوم وقد قُتِلُوا في ديارهم ، وأخذَهم أمْرُ ربِّك ليلاً أو نهاراً (٤) . .

* * *

إنجيل يُوحَنَّا :

(رؤيا : ٩ : ١٤ - ١٥) : - صدر الأمر للملائكة الكبار ، عند نهر الفرات العظيم ، لكي يقتلوا ثُلث الناس . (وفيه إشارة واضحة لمعركة قرقيسيا) .

(وفي العدد ١٦ يقول :) - عدد جيوش الفرسان مئتا ألف ألف ، وأنا سمعت عددهم . (يعني بهذا عدد جنود أصحاب الرايات الذين يشتركون في فتن آخر الزمان .)

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٦ وبشارة الإسلام ص ٢٧٤ بلفظ آخر .
(٢) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ وبشارة الإسلام ص ٢٧٤ بلفظ آخر .
(٣) منتخب الأثر ص ٤٥٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٤٠ وبشارة الإسلام ص ١٧٩ .
(٤) بشارة الإسلام ص ١٧٢

(وفي رؤيا ١٩ : ١٧ - ١٨) : - رأيت ملاكاً واقفاً في الشمس . فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء : هَلُمَّ اجتمعي إلى عشاء الألهة ، لكي تأكلي من لحومِ ملوك ، ولحوم قُوَّاد ، ولحوم أقوياء ، ولحوم خيلٍ والجالسين عليها ، ولحوم الكلِّ حرّاً وعبيداً ، صغيراً وكبيراً . (وهذا المعنى قد ورد في أحاديثنا القدسية عن مأدُبة الله العظيمة وعن الذي يبدو في عين الشمس .)

* * *

والمحصَّل من الأخبار - كما رأيت - أن جيش الإمام ﷺ يتوجّه نحو العراق مروراً بطرف فلسطين الشرقيّ ، فيلتقي السفيانيُّ العائد من العراق لمحاربته قبالة بحيرة طبريَّة ، فيجري بين الجَيشين قتالٌ عظيمٌ ينهزم فيه السفيانيُّ بعد إبادة جميع مَن كانوا معه بلا استثناء أحد ، فيلحقه واحدٌ من أنصار القائم ﷺ اسمُه صيَّاح (وقيل : صباح) بفرقة من الجنود ، فيأسره ويأتي به إلى المهديِّ ﷺ وهو قائم يُصلِّي العشاء الآخرة ، فيخفِّف من صلاته ، وينفتل بعد الانتهاء منها ، فيقول له السفيانيُّ : يا آبنِ عمّ ، أعتِقني واستَبقِني أكُنْ لك عَوْناً . فيقول المهديُّ لأصحابه : ما تقولون فيما يقول ؟ ! فإني آليت على نفسي أن لا أفعل شيئاً حتى ترضَوا . فيقولونَ : وَاللّهِ لا نرضَى حتى تقتلَه ، فإنه سفك الدماء التي حرَّم الله سَفْكَها ، وأنت تمنُّ عليه بالحياة ؟ ! . فيقول المهديُّ : شأنكم وإيّاه . فيأخذه جماعة منهم فيُضجِعونه على شاطىء بحيرة طبريَّة [1] تحت شجرة مدلاّة أغصانُها ، فيذبحونه كما يُذبح الكَبش . . وتكون نهايتُه نهايةَ عهدِ ظُلمٍ وجَور بَلَغا الذُّروة في عُمر الكون . .

* * *

---

(١) ورد أنه يُذبح على ضفة نهر . وهذا وذاك صحيحان ، لأن بحيرة طبريَّة يصب فيها النهر من جهتها الشمالية .

ح ـ الدَّجَّال . .

والدَّجَّال . . أشكّ به فعلاً ، لأن الأخبار التي نصَّت عليه غير موثوقة أولاً ، ولأن فيها أشياء مدخولةً تنادي على نفسها ببراءة النبيِّ والأئمة ﷺ مما هو فيها ثانياً . بل بينها أخبار موضوعة ، وأخبار لعبت بها قرائح الدسَّاسين ، فجاءت ـ في ظاهرها الذي تراه ـ مُضَخَّمَةً مبالَغاً فيها . . وإذا كان قد ورد عن النبيِّ ﷺ شيءٌ صحيح في الدجَّال ، فأحتمل أنه كان يرمز إلى دجَّال معيَّن من الثائرين الملحِدين المُتغطرسين ، لم أستطع تطبيقَ هويته بجزم على واحدٍ مما بين يَدَيَّ من الأخبار ، وإن كنتُ أميلُ = بشِبْهِ جزم = إلى أنه أحدُ أكابرِ قادةِ اليهود الذين يعتقدون أن السلاح الذي يُكَدِّسونه هو كلُّ شيءٍ في المعارك الحربية ، ولا يخطر في بالهم أن أكداسَ سلاحهم قد تقع بيد غيرهم بقُدرة قادرٍ أو بخُدعة حربٍ أو بغلْطةِ أرعن . . ونلاحظ أن كلَّ قائد منهم يُملي على أميركا أوامره بواسطة الصهيونية العالمية وضغط يهود أميركا ، ويتطلَّع إلى من حَولَه في الدول العربيَّة باستهزاءٍ ، ويقول بعنجهيَّةٍ وكبرياء : أنا ربُّكمُ الأعلى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ! ! !

أمَّا بعضُ الصفات التي تَنعتُه بها الأخبارُ : كالعينِ المطموسةِ ، والعين الطافيةِ كالْعِنَبة ، وكوسائل الركوب المكنَّى عنها بالحمار العجيب ، وغيرها وغيرها ، أمَّا هذه كلها فتفتح باباً يقوِّي شِبْهَ الجزم ، ويُقرِّبُهُ من اليقين والقطع ، لأنها يمكن تأويلُها وتطبيقُها في أيامنا هذه . .

والدجّال ، لغةً، من مادة : دَجَل التي تدل على التمويه والطُّلاء ، كدجْل السيف ، ودجْل البعير وغيرهما . . فالدجّال على هذا الأساس مموِّهٌ كذّابٌ . . وهذا الذي تتحدَّث عنه الأخبار دجّالٌ يخرج ـ بحسب الظاهر ـ بعد أن ينتصر القائم عليه السلام على السفيانيّ ، وبعد أن يدخل العراق ويفتح القسطنطينية ويتوجَّه إلى سواحل فلسطين ليقضيَ على فلول اليهود حَوَالَيْ عكا ، وليفتح مصر وما بقي من شماليّ وشرقيّ أفريقيا بعد الحروب المبيدة . . وأعود فأكرِّر أنني على شبه جزمٍ بوضع تسعين بالمئة من الأخبار الواردة فيه ، وأن العُشر الباقي يرمز إلى غيره : كالسفيانيّ أو أحد الشرقيِّين الصينيين أو أحد قادة اليهود . ولكنني لا أُنفي ورود شيءٍ في الدجّال فعلاً ، لم يفهم الرواة مغزاه ، فنسجت المُخَيِّلات ما شاءت من الزيادات والمبالغات . . ولعل العكس صحيح . . وهذا بعض ما وجدناه فيه ننقله ـ على كل حال ـ ونُقرِّب إلى الذهن بعض مبهماته قدرَ الإمكان ، والعُهدة فيه على رُواته ونقَلَته . .

قالَ رسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(من المأثور عنه صلى الله عليه وآله وسلم = في أكثر الكُتبِ التي تحدَّثت عن الدجّال في آخر الزمان = قولُه صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ من قاتَلَني في الأولى ، وقاتَلَ أهل بيتي في الثانية ، حشره الله في الثالثة مع الدجّال .

(فقتالُه في الأولى كان على التنزيل والرسالة . وقتالُ أهل بيته في الثانية كان على التأويل وإرجاع الحق إلى نصابه وإعادة الحُكم إلى القرآن والسنّة ، والثالثةُ هي قتال المهديّ عليه السلام . ثم جاء عنه عليه السلام :)

ـ يخرج الدجّال من سجستان . [1] (وجاء أيضاً :)

ـ إنه يخرج من المشرق من قرية يقال لها يهوداء وهي قريةٌ من قرى أصفهان

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٢٥ والبحار ج ٥٢ ص ٢٢٤ وص ٢٧٨ وإلزام الناصب ص ٦٤ وبشارة الإسلام ص ٥ والإمام المهدي ص ٢١٧ .

وبلدةٌ من بلدان الأكاسرة . تحته حمار أقمر ، وهو مطموس العين مكسور الظّفر والنظر ، ويخرج منه الحيّات (وقيل : الحَباب) وهو محدّودِب الظُّهر ، قد صوَّر كل سلاحٍ في يَديه حتى الرمح والقوس ، يخوض البحار إلى الكعب . وهو قصيرُ القامة ، كهلٌ ، مكتوبٌ بين عينَيه : كافر . .[1] (ثم جاء في وصف الشيء المغايرِ فيه للطبيعة :)

ـ يمكث أبو الدجّال ثلاثين عاماً لا يولد له ولزوجته ولَد . ثم يولَد لهما غلامٌ أعور أخرس ، تنام عيناه ولا ينام قلبه . أبوه طويلٌ كثير اللحم ، كأن أنفه منقار ، وأمُّهُ امرأة فرضاخية طويلة اليدَين[2] (والفرضاخية : العريضة . وورد أنه قال ﷺ مشيراً لعلامة من علامات خروجه :)

ـ بين يدَيه ثلاث سنوات : سنةٌ تُمسك السماء فيها ثُلث قَطْرها ، والأرض ثُلث نباتها ، وسنةٌ تُمسك فيها السماء ثُلثَي قَطْرها ، والأرض ثُلثَي نباتها . وسنةٌ تُمسك فيها السماء قَطْرها كلّه ، والأرض نباتها كلّه ، فلا يبقى ذات ظِلْفٍ ولا ذات خرسٍ من البهائم إلاّ هلَك . وإن من أشد فِتنِه أن يأتيَ الأعرابيّ يقول : أرأيتَ إن أحيَيتُ لك إبلَك ألست تعلم أني ربُّك ؟ . فيقول : بَلَى . فيمثّل له نحو إبله (أي مثل جماله) كأحسن ما يكون ضُروعاً (أي أثداء) وأعظمه أسْنِمة ! . ويأتي الرجلَ قد مات أخوه ومات أبوه فيقول : أرأيتَ إن أحيَيتُ أباك وأخاك الستَ تعلم أنّي ربُّك ؟ . فيقول : بَلى . فيمثّل الشياطين نحو أبيه أو أخيه ! .[3] (والله أعلم فيما إذا كان مثل هذا قد ورد عن رسول الله ﷺ ! . وورد عنه ﷺ في وصفه :)

ـ الدجّال يُبصِر بإحدى عينَيه ولا يُبصِر بالأخرى ، طويل القامة ، أزرقُ العينَين ، أعمشُ ، بوجهه أثر الجدري ، أبخرُ الفم كبير الأسنان ، مقلَّب الأظافر ، أجدر الجسم لا شعر في جسده ، متقَّعُ الرأس ، طويلُ العنق ، شانىءٌ (سيء الخلق)

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٢ وص ٢٢٨ أوله ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٩٣ آخره ، وفي غيرهما من المصادر .

(٢) إلزام الناصب ص ٧٣.

(٣) إلزام الناصب ص ١٨١ .

اصابعه تصل حدَّ كفِّه . كلامه له دويٌّ ، عـالي الأكتاف ، طـارحُ الجبهة ، في إحـدى عينَيه عيبٌ ، لحيته بشاخَين تصل سرته . عبوسٌ ، شروسٌ ، تحته حمار أحمر ، أزرق الأطـراف ، بين أذنَيه مقـدار عشرين ميـلاً(؟) رأسه كـالجبل العـظيم ، ظهره ينـاسب رأسـه ، خطوتـه عشرون ميـلاً(؟) على جبينه سـطران مكتوبـان يقرأهمـا كل مؤمن ، ويجحدهما كل كافر ، الأول مكتوب فيه : ألشقيُّ من تَبِعك ، والسطر الثاني : ألسعيدُ من فارقك . وأكثر عسكره اليهود وأولاد الزنـا . عن يمينه جبـلٌ أخضر ، وعلى شمـاله جبلٌ أسود ، يسيران ويقفان بوقوفه ، ويقول : هـذه جَنَّتي ، وهذه نـاري ، من أطاعني أدخلته جنَّتي ، ومن عصاني أذَبته بسيف نقمتي ! [1] . (وسترى التعليق على غـرائب هذا الحديث . ثم رُوي عنه ﷺ فيه :)

ـ ألاَ أُحـدِّثكم حديثـاً عن الدجَّـال ما حـدَّث به نبيٌّ قـومه ؟ . إنـه أعور ، وإنـه يجيء معه بمثل الجنَّة والنار . وإني أُنذِركم كما أنذر به نوحٌ قومه . إني لأُنذركمـوه ، وما من نبيٍّ إلاّ أنذر قومه . لقد أنذر نـوحٌ قومـه ولكني أقول لكم فيـه قولاً لم يقلْه نبيٌّ لقـومه : تعلمـون أنه أعـور ، وإن الله ليس بأعـور (! ! ! كأن الله تعـالى يُبصر بعينَين ويسمـع بأذنَين ويتكلَّم بلسـان ! ! !) يجيء الدجَّـال حتى ينزل بنـاحية المـدينـة ، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق . لا يدخـل المدينـة رعب المسيح الدجَّال ، ولها يومئذٍ سبعة أبواب على كل باب ملَكان . . أعور ، عينه اليمنى كأنها عِنَبَةٌ طافية ! . [1] (ويظهر التشويش في سبـك هذا الحـديث الذي لا يتلفَّظ بـه أفصحُ من نطق بالضاد ، وإن كانت جملة منه قـد مرَّت في غيـره من الأحاديث . . ثم رُوي أنه كان ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجَّال ويقول لأصحابه :)

ـ إن معه ناراً ونـوراً . فناره مـاء بارد ، ومـاؤه نار . فمن أدرك ذلـك منكم فليقع بمثـل هذه الألعـوبة ، ولا أعتقـد أن النبي ﷺ يحدِّث بمثلهـا فإنهـا أقرب إلى لعب الصبيان منها إلى الجدّ . . ثم أوردوا عنه ﷺ قولَه :)

---

(١) انظر هذه الأخبار في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٧١ (عَرْضُ ما بين أُذُني حمار الـدجَّال أربعـون ذراعـاً ـ كأنـه يصف عَرْضَ مـا بين طرَفي جنـاحي الطائـرة) . وصحيـح البخـاري ج ٩ ص ٦٠ وغيرها ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٩٥ وما قبلهـا وما بعـدها ، وإلزام الناصب ص ٧٤ وبشـارة الإسلام ص ٢٧٤ وغير هذه المصادر من الكُتُب التي عرضت لذكر الدجّال .

ـ الدجّال رجلٌ ضخمٌ عريض ، ليس ما بين خلْق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبر منه . (١) (ورَوَوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً :)

ـ إنه لم تكن فتنة في الأرض ، منذ ذرأالله ذُرِّية آدم ، أعظم من فتنة الدجّال ! . وإن الله لم يبعث نبيّاً إلاّ حذَّر أُمته الدجّال ، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأُمم ، وهو خارج فيكم لا محالة ! (٢) . (وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم بنفس المعنى :)

ـ ما من نبيٍّ إلاّ وأنذر قومه الدجّال الأعور الكذّاب (٢) . (وربما يكون ذلك قد حدَث من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لأن الأنبياء صلوات الله عليهم جميعهم قد بَشّروا أقوامهم بنبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وأنذروهم من أعدائهم أشدَّ إنذار . ثم جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ أيها الناس ، ما بعث الله نبيّاً إلاّ وقد أنذر قومه الدجّال . وإن الله قد أخّره إلى يومكم هذا . فمهما تشابه عليكم في أمره فإن ربّكم ليس بأعور (؟ ؟ ؟) إنه يخرج على حمارٍ عَرْض ما بين أُذنَيه ميل ! . يخرج ومعه جنّةٌ ونارٌ ، وجبلٌ من خبز ونهرٌ من ماء ! . أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب . يدخل آفاق الأرض كلها إلاّ مكة ولابَتَيها (واللابة : الأرض الحرَّة التي حجارتها سوداء نَخِرة كأنها أُحرِقت بالنار .) والمدينة ولابتَيها فإنهما محرمتان عليه (٣) . . (وفي هذا الخبر قلَّ عرضُ ما بين أُذني حماره من عشرين ميلاً (؟ ؟ ؟) إلى ميل واحد والحمد لله . . ثم رُوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم :)

ـ من المحرَّم على الدجّال أن يدخل نِقاب المدينة (أي طرقاتها الجبلية) لأنها

---

(١) انظر هذه الأخبار في الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٧١ (عَرْضُ ما بين أُذُنَيْ حمار الدجّال أربعون ذراعاً ـ كأنه يصف عَرْضَ ما بين طرَفي جناحي الطائرة) . وصحيح البخاري ج ٩ ص ٦٠ وغيرها ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٩٥ وما قبلها وما بعدها ، وإلزام الناصب ص ٧٤ وبشارة الإسلام ص ٢٧٤ وغير هذه المصادر من الكُتُب التي عرضت لذكر الدجّال .

(٢) انظر المهدي ص ١٩٢ وإلزام الناصب ص ٧٤ وص ٢٠٢ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٦٠ وغيرها .

(٣) بشارة الإسلام ص ١٥ وص ٢٩٥ وإلزام الناصب ص ٧٤ وص ١٨١ وص ٢٠٢ وص ٢٦١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٠ وص ٢٧٧ وص ٢٧٩ والبحار ج ٥٢ ص ١٩٤ ومنتخب الأثر ص ٤٦٠ والبيان ص ١٠٤ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٢٠ والملاحم والفتن ص ١٤٦ وينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٥ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٦١ .

تنفي الخَبَث كما ينفي الكيرُ خَبَث الحديد (والكير نار الحدّاد) ولأنها لا يقربها الطاعون ولا الدجّال [(١)] . (وقد سبق أن يثرب ترتجف بأهلها حين يحاول دخولها ، فيخرج منها المنافقون . وهذا ما رمز إليه حديث نَفْيِ الخَبَث . ثم ورد عنه ﷺ :)

ـ لا يَدخُلِ المدينةَ رُعْبُ المسيح الدجّال . ولها يومئذٍ ثلاثةُ أبواب ، لكل باب مَلَكان [(١)] (وورد أيضاً :)

ـ على نقاب المدينة ـ أي مداخِلها ـ ملائكة . لا يَدخلها الطاعون ولا الدجّال [(١)] . . (ووردَ :)

ـ يأتي ، وهو محرَّم عليه أن يدخل نِقاب المدينة ، فينتهي إلى بعض السباخ التي تليها ، فيخرج إليه يومئذٍ رجلٌ هو من خير الناس ، فيقول له : أشهد أنك الدجّال . فيقول الدجّال : أرأيتم إن أنا قتلت هذا الرجل ثم أحييته ، أتشكّون في الأمر ؟ . فيقولون : لا ، فيقتله ثم يُحييه ! . فيقول الرجل حين يُحييه : وَاللّهِ ما كنتُ فيك قط أشدّ بصيرة منّي الآن . فيريد الدجّال أن يقتله ثانياً فلا يُسلَّط عليه [(٢)] . . (وقيل إن الرجل هو الخضر ﷺ كما رُوي أن الخضر هو الذي يقتله ويُسمّى ذلك اليوم : يومَ الخلاص . . ثم جاء أيضاً :)

ـ ولَيَهبطنَّ الدجّال حول كرمان ، في قوم يلبسون الطيالسة (لباس اليهود الأخضر) وينتعلون الشَّعر [(٢)] . (ورووا عنه ﷺ :)

ـ يهبط الدجّال كل قرية عامرة في الدنيا أثناء المدّة التي يَسيحها في الأرض [(١)] (وقيل إنه ﷺ قال عَنه لأصحابه :)

ـ يَتبعه سبعون ألفاً من الأتراك واليهود وأولاد الزنا . والمدمنون على الخمر والمغنّون وأصحاب اللّهو والأعراب ، والنساء . وهو يمرّ بالخربة فيقول لها : أخرجي

---

(١) منتخب الأثر ص ٤٦١ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٩٩ وإلزام الناصب ص ٨٥ وص ١٨٥ وص ٢٢٨ وص ٢٦٠ ونور الأبصار ص ١٦٩ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٦٠ ـ ٦١ .

(٢) الملاحم والفتن ص ٦٩ وص ١٢٦ وإلزام الناصب ص ٢٦١ وبشارة الإسلام ص ٤٥ بلفظٍ قريب .

كنوزك ، فتتبعه كنوزها ! (١) . (وجاء عنه صلى الله عليه وآله في وصفه أيضاً :)

ـ الدجّال رجلٌ عريضٌ ، عينه اليمنى مطموسة ، واليسرى كأنها كوكب ، بين عينيه مكتوب : كافرٌ بالله وبرسول الله . يخرج ويدّعي أنه الرّب ولا يسمعه أحدٌ إلاّ تبعه إلاّ من عصمه الله عزّ وجلّ . تكون له جنة ونار ، فيقول : هذه جنّتي لمن سجد لي ، ومن أبى أدخلته النار (٢) ! . (ورووا أيضاً :)

ـ عند خروج الدجّال تهبّ ريحُ عادٍ ، وتُسمَع صيحةُ قوم صالح ، ويكون مَسْخٌ كمسْخ أصحاب الرّسّ . وهو يخرج من ناحية المشرق من قرية يقال لها : دارس . يخرج على حمار ، مطموس العين ، مكسور الظفر ، يخوض البحار إلى كَعبِه . يدخل كل بلد إلاّ أربع مدن : مكة والمدينة والقدس وطرسوس . وينزل عيسى عليه السلام ويكون قتلُه على يده بحربة يُنزلها معه ، ويكون تجوُّله في الدنيا أربعين يوماً : يومٌ كسَنة ، ويومٌ كشَهر ، ويومٌ كجُمعة ، وسائر أيامه كأيام الناس . ويقتُله عيسى بن مريم بباب لدّ (٣) . (أي فلسطين . . وقيل : إن الذي يقتله هو الذي يصلّي عيسى خَلْفَه ، أي صاحب الأمر عليه السلام . . وقد يطعنه عيسى عليه السلام بحربة بعد أن يقتله الإمام ، ليُجهز عليه . . وقد يقتله عيسى نفسه بأمر الإمام في باب اللدّ أو في القدس أو في عقبة أفيق بأمر صاحب الأمر عليه السلام ولفظة اليد في الأخبار قد تَعني السُّلطة والتصرُّف ، فهو يُقتل بيد الإمام وبأمره . . وقد رووا عنه صلى الله عليه وآله قوله :)

ـ يخرج ولست فيكم ، فامرؤٌ حَجيج نَفْسِه ! . واللهُ خليفتي على كل مسلم . إنه شابٌ قَطَطٌ (مجعّد الشَّعر) عينُه قائمة ، (بارزة) يخرج ما بين الشام والعراق (أي يتجوّل بينهما) فيعيث يميناً وشمالاً ، لَبْثُه في الأرض أربعون يوماً : يومٌ كسَنة ،

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٠٢ وص ٢٦١ والبحار ج ٥٢ ص ١٩٤ والملاحم والفتن ص ٦٦ وغيرها من المصادر .

(٢) بشارة الإسلام ص ٢٧٤ وإلزام الناصب ص ٢٢٨ وصحيح البخاري ج ٩ ص ٦٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ وغيرها .

(٣) انظر كشف الغمة ج ٣ ص ٢٧٤ وإلزام الناصب ص ٢٢٨ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٩٧ وص ١٩٨ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ وص ١٣٦ نقلاً عن إسعاف الراغبين وص ٩٢ وبشارة الإسلام ص ١٩٢ وص ٢٧٤ وص ٢٧٥ .

ويـومٌ كشَهر ، ويـومٌ كجُمعة ، وسـار ايامـه كأيـامكم . سرعتُـه في الأرض كـالغَيث . تستدبره الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذِّبونـه ويردُّون عليـه ، فينصرف عنهم ، فتتبعـه أموالهم (أي بقوّة السحـر والشعوذة) ويصبحـون ليس بأيـديهم شيء ، ثم يأتي القـوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه ، فيأمـر السماء أن تُمـطر فتُمطر ، ويـأمر الأرض أن تُنبت فتُنبت ، فتروح سارحتهم (أي ماشيتهم ودوابُّهم) أطولَ ما كانت وأمـدّه خواصـرَ وادرّةً وضُـروعاً . ثم يـأتي الخربـة فيقول لهـا : أخرجي كنـوزَك فينصرف عنهـا فتَتبعه كيعاسيب النحل . ثم يدعو شابّاً ممتلئاً شبابـاً فيضربـه بالسيف فيقـطعه جـزلَتين (أي نصفَين ، وهـو الخضـر بحسب الـروايـات) ثم يـدعـوه فيُقبـل يتـهلّل وجـهـه ويضحك ! [1] .

قالَ أمير المؤمنين عليه السلام :

ـ يخرج الدجّـال الأكبـر ، الأعـور الممسـوح العين اليُمنى ، والأخـرى كـأنهـا ممزوجة بالدم ، لَكأنها في الحُمرة عَلَقة ، تأتي الحَدَقة كهيئة حبَّة العِنَب الطافيـة على الماء[2] . (ورُوي أنه قال :)

ـ يخـرج من بلدة بأصفهـان يقـال لهـا : اليهـوديـة ، عينـه اليمنى ممسـوحـة ، والأخرى في جبهته تُضيء كأنها كوكب الصبح ، فيها عَلَقة كأنها ممزوجة بـالدم ، بين عينَيه مكتوبٌ : كافر . يقرأه كل كاتب وأميّ . يخوض البحار ، ويسير بين يدَيه جبلان من دخان ، وخلْفَه جبلٌ أبيض يرى الناس أنه طعـام . يخرج في قحطٍ شـديدٍ ، تحتـه حمار أحمر طوله سبعون ذراعاً ، خطوته ميل ، تُطوى لـه الأرض منهـلاً منهـلاً . لا يمرّ بماء إلّا غار إلى يوم القيامة : ينادي بصوتٍ عالٍ يُسْمَعُ بين الخافقين ويبلغ ما شاء الله ويقـول : إليَّ إليَّ يـا أوليـائي . أنـا الـذي خلَق فسوّى ، وقـدّر فهـدى ، أنـا ربُّكم الأعلى ! . هذه جنّةٌ لمن سجـد لي ، ومن أبى أدخلته النـار ! . كذب عـدوُّ الله ، إنه أعور ، وربُّكم ليس بأعور[3] ! ! ! (وقد رُوي عن الصادق عليه السلام مثله وأنه يخـرج في

---

(1) انـظر كشف الغمـة ج ٣ ص ٢٧٤ وإلـزام النـاصب ص ٢٢٨ وصحيـح مسلم ج ٨ ص ١٩٧ وص ١٩٨ وينـابيع المـودّة ج ٣ص ٦٦ وص ١٣٦ نقلاً عن إسعـاف الـراغبين وص ٩٢ وبشـارة الإسلام ص ١٩٢ وص ٢٧٤ وص ٢٧٥ .

(٢) إلزام الناصب ص ٢٠٢ وصحيح مسلم ج ١ ص ١٠٧ وبشارة الإسلام ص ٤٤ وغيرها .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ وإلزام النـاصب ص ١٨٠ وص ١٩٠ وص ٢٠٢ وبشارة الإسلام ص ٤٤ـ ٤٥ والملاحم والفتن ص ٧٧ وص ١٠٩ والصواعق المحرقة ص ١٦٥ .

الْعَشر الأول من شهر رجب . وتعـالى الله عن الشبيه . . لم يَلِد ولم يـولد ، ولم يكن له كفوًا أحد . فهـو لا يخلو منه مكـانٌ ولا يَشْغَل حيِّـزاً محدوداً من المكـان ، جلَّ عن التجسيم وسما عن المادَّة . . يبطش بلا يَد ، ويعلم بلا حواسّ . . يُدرِك الأبصار ولا تُـدركـه الأبصـار وهـو اللَّطيف الخبيـر . . وصفـه الـزنـادقـة بغيـر صفـاتـه ، وشبَّهـوه بمخلوقـاتـه ، فضلُّوا عنـه وأضلُّوا . ثم رُوي عن أميـر المؤمنين ﷺ وعن محمـد بن الحنفية رضي الله عنه قولُهما :)

ـ أنَّى يكـون ذلك ـ أي خـروجُ المهدي ﷺ ـ ولم يَعضّ الـزمـان ، أنَّى يكـون ذلـك ولم يجْفُ الإخوان ، أنَّى يكـون ذلك ولم يظلم السلطان ، أنَّى يكون ذلـك ولم يَقُم الـزنديقُ في قـزوين ، فيَهتك ستـورها ، ويكفِّـر صدورهـا ـ أي سـادتهـا ـ ويغيِّـر سـورَها ، ويُـذهِب بهجتَها ؟ ! . مَن فـرَّ منه أدركـه ، ومَن حاربَـه قتَله ، ومَن اعتـزَلَـهُ افتَخَرَ ، ومَن تابَعه كفر ، حتى يقـومَ باكيـان : باكٍ يبكي على دِينـه ، وباكٍ يبكي على دُنياه [١] ! . (فبسبب تناقل الأخبار على الألسنة قبل تدوينها ، حصلت أوهام ، فمنهم من سمَّى مكـان خـروجـه وعيَّن البلدة ، ومنهم من سمَّى المنـطقـة ، ومنهم من سمَّى القطر ، حتى أنك لَتجد لعب مخيِّلات نَقَلَة حديثه واضحاً . . ثم جاء عنه أيضاً :)

ـ ألَا وإنَّ أكثرَ أشياعِه يومئذٍ أولادُ الزِّنى وأصحابُ الطيالسة الْخُضر ـ أي اليهود ـ يَقتله الله عزَّ وجلَّ على عقبة أفيق لثلاث سـاعات مضت من يـوم الجمعة ، على يَـدَي مَن يُصَلِّي عيسى بنُ مريم ﷺ خَلْفه [٢] . (وعَقبةُ أفيق قريـةً بين حوران وغـور بيسان في فلسطين قُربَ مدينة اللُّد . . وجاء عنه ﷺ :)

ـ يَبرزُ الدجَّال ومعه سبعـون ألف يهوديّ كلُّهم ذو سلاحٍ مُحَـلَّاة . فـإذا نـظر الدجَّالُ إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاصُ في النار ـ أي تضاءَل وتعرَّى من عنجهيَّته وبدا على حقيقته بعد أن كان يدَّعي الربوبيَّة ـ ثم يـولِّي هاربـاً ، فيقول عيسى : إنَّ لي

---

(١) الغيبـة للطوسي ص ٢٦٩ ومنتخب الأثر ص ٤٤١ والبحـار ج ٥٢ ص ٢١٢ وبشـارة الإسـلام ص ٦٥ وص ١٨٠ والإمام المهدي ص ٢٣١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ أولَه .

(٢) إلزام النـاصب ص ١٨٠ وص ١٨١ وبشـارة الإسـلام ص ٤٥ ومنتخب الأثـر ص ٤٢٨ والبحـار ج ٥٢ ص ١٩٤ .

فيك ضربةً لن تفوتني بهـا ، فيُدركـهُ فيَقتلُه ، فلا يبقى شيءٌ ممـا خلقَه الله يتـوارَى به يهوديٌّ إلاّ أنطقَه الله عزّ وجلّ ، ولا حجرٌ ولا دابّةٌ إلاّ قال : يـا عبدَالله المُسلم ، هـذا يهوديٌّ فاقتُلْهُ ، إلاّ الْغَـرقَد فـإنها من شجـرهم فلا تنـطق [1] . (رُوي هذا بلفـظه عن الإمام الصادق ﷺ . وهو إنْ دلَّ فإنما يدلّ على هَـول المعركـة الإسلاميـة التي تُنهي الوجودَ اليهوديَّ عن وجه الأرض . وفي الحـديث ـ كما في غيـره ـ اسمُ الدجّـال الذي قلت إن في نفسي شيئاً من صحّة الوعد به كأمرٍ واقعٍ لا بُـدَّ منه ، إذ لم يـرِد ذكرُه في رواياتٍ صحيحة الإسناد مئةً بالمئة ، مضافاً إلى ما حبكته مُخيِّـلات بعض الرُّواة حـول اسمه من الصُّوَر العجيبة الغريبة . . ولكن ذلك لم يُجـزْ لي إنكارَ احتمـال ورود لفظة الدجّال في خبرٍ أو أكثر ، رمزاً إلى قائـد فئةٍ ضـالَّة ـ كمـا قلت سابقـاً ـ يتألّـهُ ويَستعلي على الناس بسلاحه وأتباعه ، ويتربَّبُ على مَن حَولَهُ من جيرانه ، ويتغطرس ويزعم أنَّ قوّته لا تُقهر ، حتى إذا جاء أمرُ رَبِّكَ وظهرَ الحقُّ ، زهقَ باطلُ هذا الجبّار زهوقاً . .)

قالَ الإمَام البَاقِر ﷺ :

ـ الدجّال يخرج من قِبَلِ المشرق من مدينة خراسان (؟) ثم يهبط حَذَرَ كـرمان في ثمانين ألفاً ، وأتباعه كأن وجوههم المَجَـانُ المُطرَّقـة [2] . . (وروي مثله عن أمير المؤمنين ﷺ وبحسب هذه الرواية يخرج معـه قوم من سكـان الشرق الأقصى والصين الـذين تصلُق على وجـوههم مثل هـذه الصفة . . وقيـل إنـه دخـل على البـاقـر ﷺ خراسانيٌّ فقال له :)

ـ يـا خراسـانيّ ، تعرف وادي كـذا ؟ . قال : نعم . قـال : تعرف صَـدْعـاً في الوادي من صفته كذا وكذا ؟ قال : نعم . قال : من ذلك يخرج الـدجّال [3] . . (ثم رُوي عنه قوله :)

---

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٧٣ وبشارة الإسلام ص ٢٧٥ ما عـدا آخره ، وإلزام الناصب ص ٢٠٢ باختصار ، وص ٢٢٩ بلفظ آخر وبتفصيل ، وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٩٦ شيءٌ منه ، والملاحم والفتن ص ٦٦ وص ٧٧ شيءٌ منـه ، وص ١٢٥ والغَرْقَـد شجرٌ عـظيم ، وقيـل إن العـوسجـة إذا عظُمت تُسمّى الغرقدة ، وهي ذات شوكٍ كثير ، وأزهار، مختلفة الألوان .

(٢) الملاحم والفتن ص ١٢٦ .

(٣) البحار ج ٥٢ ص ١٩٠ .

- يخرج بعد جفاف ماء بحيرة طبريّة [(١)] . . (وإذا صدق هذا كان من أعلام نبوّة محمد ﷺ وأعلام معرفة آله بعض الغَيب مما علّمهم ، لأن اليهود اليوم يأخذون ماء البحيرة بكامله ليستخرجوا منه البوتاس والكبريت وغيرهما من المعادن التي تكثر فيها ، وستجف يوماً ما ، إذا منع عنها الماء الذي يأتيها من الشمال والشرق ، وقد فصّلنا ذلك سابقاً .)

قال الإمام الصّادق ؈ :

(جاء عنهَ ؈ في حديث مشابهٍ لما سبق عن الدجّال :)

- يصرخ بصوت يسمعه الإنس والجن : هذه جنّتي لمن سجد لي ، ومن أبى أدخلته النار ! [(٢)] . (وقد مرَّ معنا أن كل إنسان يقف اليوم وراء آلة البث ومكبر الصوت فيُسمع الدنيا صوتَه . فليس ذلك وقفاً على الدجّال بعد أن أصبح يمارسه أحقرُ الرجال ! . ورُوي عنه أيضاً في حديث :)

- . . . وهو يعطي من يقرّ له بالربوبية ، فيتبعه من أصفهان سبعون ألفاً ، ويتبعه أسوأ الناس ! [(٣)] . (ثم جاء عنه ؈ قولُه :)

- القائم يقتل الدجّال ، ويصلبه على كِناسة الكوفة . (وهذا يعني أنه يقتله في العراق ! . وقد ورد عنه أيضاً :)

- يومُ النَّيروز هو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا أهل البيت ووُلاة الأمر ، ويظفره الله تعالى بالدجّال فيصلبه على كِناسة الكوفة ! [(٤)] . (ثم جاء عنه مكرّراً :)

- يقتله صاحب الأمر لثلاث ساعات مضت من يوم الجُمعة . . (فالله هو الكفيل بحصحصة الحق من مثل هذه الروايات المدخولة المشوّشة من كثرة ما أدخل فيها مما لم يكن فيها . .)

---

(١) إلزام الناصب ص ٢٦١ وغيره من المصادر .

(٢) إلزام الناصب ص ٢٦١ وغيره من المصادر .

(٣) انظر ينابيع المودة ج ٣ ص ٦٦ ومنتخب الأثر ص ٤٨٠ وغيرهما من المصادر .

(٤) البحار ج ٥٢ ص ٣٠٨ وبشارة الإسلام ص ١٩٣ .

قال جابر بنُ عبدالله الأنصاري :

ـ مَن كذَّب بالدجَّال فقد كفر ، ومَن كذَّب بالمهديِّ فقد كفر[1] . .

تسالونيكي الثانية :

ـ (٢ : ٨) : وحينئذٍ يستعلن الأثيم الذي الربُّ يبيده بنفخة فمه ، ويُبطله لظهور مجيئه .

(فالمسيح ﷺ من روح الله بنص القرآن الكريم ، وقد خلق بأمر الله تعالى . وتفيد بعض الأخبار الواردة عن الأئمة ﷺ عندنا أن الدجَّال إذا رأى المسيح ذاب كما يذوب الثلج . . وهذا معنى نفخة فمه عليه ، فلعلَّه يقرأ شيئاً من ذكر الله تعالى ثم ينفخ علَيه فيذوب .)

رؤيا :

ـ (١٣ : ١ ـ ١٠) : عن قوَّته وبطشه ، وعمله الفظيع الذي يستمد القوَّة فيه من إبليس . فجميع الساكنين في مواضع نفوذه يخضعون له ويسجدون لربوبيته ، وأكثر أتباعه من اليهود . . (ولا تخفى مطابقة هذا القول مع أخبارنا ! . ويخبر آخر الإصحاح أنه :)

ـ يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدَّام الناس ، وأنه (بصنعه العجائب) يُجبر اليهود أن يقبلوه ميسِّياهم المنتظَر (أي قائمهم المنتظَر .)

(وفي) (١٧ : ١٢ ـ ١٣) :

ـ عشرة ملوك لم يأخذوا ملكاً بعد . لكنهم يأخذون سلطاناً كملوك ساعة واحدة مع الوحش (أي الدجَّال) . هؤلاء لهم رأيٌ واحد ، ويُعطون الوحش قدرتَهم وسلطانَهم. (وهذا يرمز إلى أتباعه من حكام الدنيا الكافرين بالمسيح ﷺ .)

إنجيل يُوحَنَّا :

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦١ .

- (رؤيا : ١٩ : ١٩ - ٢١) : ورأيت الوحش (أي الدجّال) وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليصنعوا حرباً مع الجالس على الفَرس الأبيض ومع جُنده (أي الإمام المنتظَر والمسيح عليه السلام فقبض على الوحش والنبيُّ الكذاب معه ، الصانع قدّامه الآيات التي بها أضلَّ الذين قبلوا سِمَةَ الوحش ، والذين سجدوا لصورته ، وطُرِحَ الاثنان حَيَّين إلى بحيرة النار المتّقدة بالكبريت (يعني بحيرة طبريّة) والباقون قُتلوا بسيف الجالس على العرش الأبيض الخارج من فمه (أي بأمره) . وجميع الطيور شبعت من لحمهم ! . (وهذا يقوّي الزّعم بأن الدجّال قد يكون السفيانيّ الذي يهلك جيشه قرب بحيرة طبريّة ، ثم يذبح هو هناك في آخر المعركة . . وقد شاءت مخيلات الرُّواة أن تجسد دجّالاً له صورةٌ هائلة ، ثم رفعته إلى مرتبة الربوبيّة ، أو لعل الدجّال أمرٌ واقع ، وتصوير حماره بهذا الشكل العجيب إن هو إلا رمز لمركبة حديثة يركبها ، عريض ما بين جناحيها كالطائرة أو هي مركبة يصنعها مشعوذ في آخر الزمان لها هذا الشكل الغريب . أما أن بين أذنَي حماره عشرين ميلاً وخطوته مثل ذلك ، فهذا من المبالغة والوضع الفاضح . . والله تعالى أعلم بذلك كله . .)

وإذ أختِم هذه المحاولة أتمنّى على قارئي الكريم أن ينظر لنفسه ، وأن يتبصّر في عواقب الأمور ، فنحن على مفترقَ طُرُقٍ خطير يؤدّي بالمرء إلى جنّةٍ أو إلى نار ! . فَلْنَسْمَع بآذاننا ، وَلْنَرَ بأعيننا ولْنُفكّر بعقولنا ، كيلا نسيء استعمال حواسّنا في تمييز معاركَ مصيريّةٍ نعيشها - منذ اليوم - قد تؤدّي بالمرء إلى السّعادة الأبَديّة ، أو قد تدفع به إلى الخلود في هاوية ليس لها قرار ! ! .

* * *

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، وله الشكر على التوفيق لهذا الجهد المتواضع ، فهو الذي منحني القوّة عليه في غضون سبع سنوات من البحث والتنقيب والدرس والتحليل ، وله - وحدَه - كل حمدٍ وشكر ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين أولاً وأخيراً . .

* * *

المصادر

مرتبة على الحروف الهجائية

* * *

أ ـ القرآن الكريم .
ب ـ الكتاب المقدَّس : العهد القديم ، العهد الجديد .

* * *

١ ـ الاختصاص : الشيخ المفيد (طبع إيران سنة ١٣٧٩ هـ .) .
٢ ـ الإرشاد : الشيخ المفيد (طبع طهران سنة ١٣٥٨ هـ .).
٣ ـ إلزام الناصب في إثبات حجيَّة الغائب : الشيخ علي اليزدي الحائري (طبع طهران سنة ١٣٨٠ هـ .) .
٤ ـ إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وأهل بيته الطاهرين : الشيخ محمد الصبان ، حاشية على كتاب نور الأبصار (طبع مصر سنة ١٣٨٠ هـ .) .
٥ ـ الأعلاق النفيسة : أحمد بن عمر بن رستم (طبع ليون سنة ١٨٩١ م .) .
٦ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى : الطبرسي (طبع إيران سنة ١٣٣٨ هـ .) .
٧ ـ الإمام المهديّ : علي محمد علي دخيل (طبع النجف).
٨ ـ أمل الأمل : الحر العاملي (طبع بغداد سنة ١٣٨٥ هـ .) .
٩ ـ بحار الأنوار : المجلسيّ (طبع طهران سنة ١٣٨٥ هـ .) .
١٠ ـ بشارة الإسلام : السيد مصطفى الكاظمي (طبع النجف سنة ١٣٨٢ هـ .) .
١١ ـ البلدان : إبن الفقيه (طبع ليون سنة ١٣٠٢ هـ .) .

١٢ ــ البيان والتبيين : الجاحظ (طبع مصر سنة ١٣٦٦ هـ . ١٩٤٧ م .) .
١٣ ــ البيان في أخبار صاحب الزمان : الكنجي الشافعي (طبع النجف ١٣٢٤ هـ . وطبع ١٣٦٢ هـ .) .
١٤ ــ تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء : حمزة بن الحسن الأصبهاني (طبع بيروت ١٣٨٢ هـ . و١٩٦٢ م .) .
١٥ ــ تحف العقول عن آل الرسول : الحسن بن علي الحرّاني (طبع بيروت سنة ١٩٦٩ م .) .
١٦ ــ تقويم البلدان : أبو الفداء (طبع باريس سنة ١٨٤٠ م .) .
١٧ ــ الحاوي للفتاوي : للسيوطي (طبع مصر سنة ١٩٥٩ م .) .
١٨ ــ جامع أحاديث الشيعة : للطباطبائي البُرُوجُرْدي (طبع طهران سنة ١٣٨٠ هـ .) .
١٩ ــ جامع الأخبار : السبزواري (طبع إيران سنة ١٣٨٢ هـ .) .
٢٠ ــ جنة المأوى (مع بحار الأنوار) : النوري (طبع إيران سنة ١٣٨٥ هـ .) .
٢١ ــ حقائق الإيمان : الشيخ يوسف الفقيه .
٢٢ ــ حضارة العرب : مصطفى الرافعي (طبع بيروت سنة ١٩٨٠ م .) .
٢٣ ــ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : أحمد بن عبد الله الطبري (طبع مصر سنة ١٣٥٦ هـ .) .
٢٤ ــ سفينة بحار الأنوار : مادة قَمَم (طبع النجف سنة ١٣٥٥ هـ .) .
٢٥ ــ شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد (طبع مصر سنة ١٣٢٩ هـ .) .
٢٦ ــ صحيح البخاري، (طبع مصر سنة ١٣٧٢ هـ .) .
٢٧ ــ صحيح مسلم ، (طبع مصر سنة ١٣٨٤ هـ .) .
٢٨ ــ الصواعق المحرقة : ابن حجر (طبع مصر سنة ١٣٧٥ هـ .) .
٢٩ ــ عيون أخبار الرضا : الصدوق (طبع النجف سنة ١٣٩٠ هـ . و١٩٧٠ م .) .
٣٠ ــ الغيبة : الطوسي (طبع النجف سنة ١٣٥٧ هـ . وطبع طهران ١٣٨٥ هـ .) .
٣١ ــ غيبة النعماني .
٣٢ ــ الفصول المهمة : ابن الصباغ (طبع النجف سنة ١٩٥٠ م .) .

٣٣ ـ القطرة من بحار النبيِّ والعِترَة : السيد أحمد المستنبط (طبع النجف سنة ١٣٧٥ هـ . و١٩٥٨ م .) .
٣٤ ـ الكافي : الكليني (طبع إيران سنة ١٣٨٨ هـ .) .
٣٥ ـ الكامل : ابن الأثير الجزري (طبع مصر سنة ١٣٠٣ هـ .) .
٣٦ ـ كتاب الفتن : السليلي الحسائي (طبع النجف سنة ١٣٨٢ هـ . و١٩٦٣ م .) .
٣٧ ـ الكشكول : البهائي العاملي .
٣٨ ـ الكنى والألقاب : الشيخ عباس القمّيّ (طبع النجف سنة ١٣٧٦ هـ . و١٩٥٦ م .) .
٣٩ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمة : الحسن الإربلي (طبع إيران سنة ١٣٨٢ هـ .) .
٤٠ ـ لمعان الأنوار : أبو الحسن النجفي المرندي (طبع إيران سنة ١٣٤٠ هـ .) .
٤١ ـ مثير الأحزان : الشيخ يوسف الجواهري (طبع النجف سنة ١٣٧٣ هـ .) .
٤٢ ـ مجمع البحرين، (طبع النجف سنة ١٣٨١ هـ .) .
٤٣ ـ المحجّة البيضاء : محمد بن المرتضى الكاشاني (طبع إيران سنة ١٣٤٠ هـ .) .
٤٤ ـ المُخلاة : البهائي العاملي.
٤٥ ـ مسند أحمد بن حنبل.
٤٦ ـ مشتهى كل الأمم : القسّ عبدالله صائغ (طبع بيروت سنة ١٩٥٧ م.) .
٤٧ ـ معاني الأخبار : الصدوق (طبع إيران سنة ١٣٧٩ هـ .) .
٤٨ ـ معجم البلدان : ياقوت الحموي (طبع مصرسنة ١٣٢٤ هـ . و١٩٠٦ م .) .
٤٩ ـ معاجم لغة وأدب مختلفة.
٥٠ ـ الملاحم والفتن : ابن طاووس (طبع النجف سنة ١٣٨٢ هـ . و١٩٦٣ م .) .
٥١ ـ منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر : لطف الله الصافي (طبعتان : طهران سنة ١٣٢٤ هـ . و١٣٧٣ هـ .) .
٥٢ ـ المهديّ : السيد صدر الدين الصدر (طبع إيران سنة ١٣٥٨ هـ .) .
٥٣ ـ موجز تواريخ أهل البيت : محمد الشيخ طاهر السماوي (طبع النجف سنة ١٣٨٥ هـ . و١٩٦٥ م.) .

٥٤ ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : محمد بن أبي طالب الأنصاري (طبع ليبزغ سنة ١٩٢٣ م .) .
٥٥ ـ نهج البلاغة ، (طبع بيروت ـ المكتبة الأهلية .) .
٥٦ ـ نهج الفصاحة ، (طبع إيران سنة ١٣٤١ هـ .) .
٥٧ ـ نوائب الدهور في علائم الظهور : محمد حسن مهاجري جرقوئي (طبع طهران سنة ١٣٨٣ هـ .) .
٥٨ ـ نور الأبصار في مناقب آل النبيّ المختار : السيد مؤمن الشبلنجي (طبع مصر سنة ١٣٨٠ هـ .) .
٥٩ ـ نور الأنوار : أبو الحسن المرندي (طبع إيران سنة ١٣٢٨ هـ .) .
٦٠ ـ وسائل الشيعة : الحرّ العاملي (طبع بيروت سنة ١٣٩١ هـ .) .
٦١ ـ وفاة العسكريّ : الشيخ حسين البحراني (طبع النجف سنة ١٣٩٣ هـ .) .
٦٢ ـ ينابيع المودّة: القندوزي (طبع إسلامبول سنة ١٣٠١ هـ .) .

طبع للمؤلف

١ ـ الحسن بن علي : دراسة وتحليل. (طبعة رابعة) .
٢ ـ إشراق : شِعر .
٣ ـ من قلبي : شعر .
٤ ـ التربية : كتاب نظريٌ عمَليٌ ، بالاشتراك مع الأستاذ علي عبدالله .
٥ ـ سلسلة تربوية ، بالاشتراك مع الأستاذَين : السيد محمد كاظم مكي وعلي عبدالله .
٦ ـ ديوان الشريف الرضي : شرح وتعليق .
٧ ـ الاتجاهات الحديثة في الإسلام للدكتور جيب ، الإنكليزي : ترجمة .
٨ ـ سبيل يا عطشان : شِعر .
٩ ـ ألمانيا الغربية : ترجمة .
١٠ ـ الحُب والطبيعة : ترجمة .
١١ ـ مروِّضة الرجال : ترجمة .
١٢ ـ كن رئيساً : ترجمة .
١٣ ـ يوم الخلاص، وهو هذا الكتاب .
١٤ ـ جملة سلاسل مدرسية في القراءة والقواعد العربية ، والحساب ، ودروس الأشياء ، والعلوم الطبيعية ، والتاريخ ، بالاشتراك مع بعض كبار المربِّين .
١٥ ـ ديوان شعر : معدّ للطبع .
١٦ ـ الولاية ، والإسلام والإيمان : قيد الطبع .

* * *

الفهـــرس

التمهيد لِلغَيبة

خطّة سيْرِه في المعارك